

# مؤسوع بي المالا المالا

تأليفُ لَّجُمِّ إِنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمِنْ الْمُنْ الْمُنْمِي الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمُنْ الْمِ

> فِكُوةُ وَاشْرَافُ ح. رَجِّ لِيُّمَا وُلِلْأَلِيْعِ

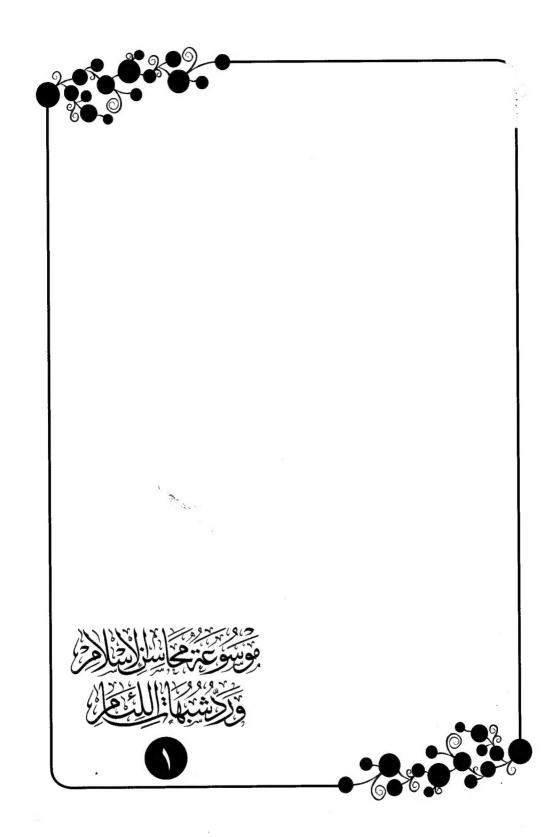
الم*جكَّدُالاُوَّلُ* المُقَدِّمَةُ وَبُطُلانُ الْوُهِيَّةِ المَسِيْح

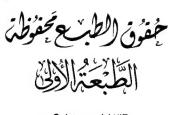
> ۻؙٳڋٳڿؽڵۅٛٳڮؙڎؙڵ<u>ڎۜڮؿؖؠؖٛؠ</u> ڶؚڵۺؘؿ؞ؚۅؘٳڶؿۧۏڹۼ











۲۳31ه- ۲۰۱0 م



المدير العام: د/ فرحان بن عبيد الشمري

falaslmi@gmail.com

الإدارة: مجمع المخيال - هاتف: ٢٤٥٧٠٠٨٢ - ٩٦٩٩١٨٢ - الكويت.

الفرع الأول: الجهراء - مجمع الخير - الدور الأول مكتب ١٠ هاتف ٢٤٥٥٧٥٥٩

الفرع الثاني: حولي - شارع المثنى ، هاتف وناسوخ: ٢٢٦٤١٧٩٧

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١١٠٤٥/ ٢٠١٥م

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية:



للبحث العلمي وتحقيق التراث

لصاحبها: أحمد بن سليمان

ah.solaiman 1970@gmail.com

ت: ۸۰۰۸۹۸۰۱۱۰



## فريق العمل أحمد بن سليمان أيوب ونخبة من الباحثين

أبو محمد صالح حسون محمود عبد العكيم سيد سيد عبد العال ايهاب عبد الواحد عبد الرحمن إسماعيل محمد عوض صالح أبو حسام الطرفاوي سليمان دويدار عبد الله الغندور مصطفى أبو الغيط محمد غنيم

محمد عبد العزيز

أحمد بنداري

مدحت عبد العظيم

وليد دويدار

#### تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد

فقد عرف أعداء الإسلام أن مصدر عزة هذا الدين وعزة أهله، وسر تجدده في نفوس المسلمين هو تمسكهم بهذا القرآن العظيم وسنة نبيهم الأمين، هذا القرآن الذي لا يخلق من كثرة الترداد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يمله القارئ والسامع ولا يزداد به المؤمن إلا يقينا بدينه وتعلقا به، وهو المعجزة الخالدة، والآية الباقية ما بقي الليل والنهار، وهو المحفوظ بوعد الله كما قال: {إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩].

وقد اجتهد أعداء الدين في الطعن في هذا القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة؛ حتى يسلخوا المسلمين عن دينهم، فيصبحوا صيدًا سهلًا وغنيمة باردة.

وحرب أعداء الدين هذه شاملة لكل أساسيات هذا الدين وقواعده؛ فلم يتركوا بابًا يشوهون فيه صورة الإسلام إلا اتبعوه ولا سبيلًا إلا سلكوه، فهم يعلمون أن المسلمين لو تعرفوا على دينهم الصحيح بنقائه لدعاهم ذلك إلى العزة بهذا الدين ونبذ كل منهج وطريق يخالف شريعة سيد المرسلين

### أسباب جمع هذه الموسوعة المباركة

زادت الحاجة لإخراج عمل موسوعي يتناول كل ما يثار حول الإسلام من تشكيك وتلبيس وكذب وافتراء على الملة الغراء، ولقلة الحياء وذهاب المروءة عن أهل الضلال استباحوا أن يكذبوا على المسلمين ويدسوا على المساكين ما يروج من المشكلات والضغن المبين، فكان لزامًا على أهل العلم والغيورين أن يثوروا على هؤلاء الآثمين بدحض شبهاتهم وكشف زيغهم وبهتانهم وفضح مخططاهم {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيْ عَنْ بَيِّنَةٍ } [الأنفال: ٤٢]

## وأجمل الاسباب الداعية لهذا العمل أيضا في التالي:

١- كثرة المطاعن في هذا الزمن على الإسلام، واتهامه بالتناقض، سواء من

المستشرقين، أو من أعداء الدين، أو ممن ينتسبون للإسلام.

٢ - تأثر بعض المسلمين بهذه الشبه التي تثار، فكان لزاما على طلبة العلم وأهله كشف
 هذه الشبه، وبيان فسادها للناس أجمعين.

٣- إثبات إعجاز القرآن، وأنه من عند الله، وأن الله تكفل بحفظه حقا. وإثبات أن السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام محفوظة أيضا من الزيف والافتراء وهذا يدل على حفظ الله ورعايته للوحيين الكريمين

٤ - كشف شبه الطاعنين وأكاذيبهم، وبيان أنها ترديد لما أورده الطاعنون السابقون.

٥ - كشف المنافقين المندسين بين المسلمين للطعن في هذا الدين.

7- جهاد أعداء الله بالكلمة وهو أحد أنواع الجهاد، وقد كان النبي على يأمر أصحابه بالدفاع عنه وهجاء المشركين ففي صحيح مسلم (٢٤٩) عَنْ عَائِشَة، أَنَّ رَسُولَ الله على، بالدفاع عنه وهجاء المشركين ففي صحيح مسلم (٢٤٩) عَنْ عَائِشَة، أَنَّ رَسُولَ الله عَلَى قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ» فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَة فَقَالَ: «اهْجُهُمْ» فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِلَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ فَلَا اذَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ وَسُلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِلَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحِرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحُقِّ لَأَفْرِينَهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الْأَدِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ الله قَدْ لَتَص لِي نَسَبَك، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحُقِّ لَا فَيْهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِصَ لَكَ نَسَبِي» فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله قَدْ لَتَص لِي نَسَبَك، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحُقِّ لَا شَيْعِي فَانَاهُ وَيَسُولُ الله عَيْقَ وَاشْتَقَى وَاشْتَقَى وَاشْتَقَى » وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله عَلَيْ يَقُولُ الله عَلَى وَاشْتَقَى »

قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ الله فِي ذَاكَ الْجُزَاءُ هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ... رَسُولَ الله شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحُمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ ثَكِلْتُ بُنيَّتِي إِنْ لَمْ تَرُوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَدَاءِ يُبَارِينَ الْأَعِنَةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ يُبَارِينَ الْأَعِنَةُ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ تَظُلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ...... تُلطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَإِنَّا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ...... يُعِرُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَقَالَ اللهُ: قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ... يَقُولُ الْحُتَّى لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ وَقَالَ اللهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ وَقَالَ اللهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ وَقَالَ اللهُ: قَدْ يَسَرْتُ جُنْدًا ... هُمُ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللَّقَاءُ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدِّ ..... سِبَابٌ أَوْ قِتَالُ أَوْ هِجَاءُ فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ وَجَبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

قال ابن القيم: الجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: جِهَادُ النَّفْسِ، وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ.

فَجِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَيْضًا:

ُ إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلَّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحُقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيَتْ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعْهَا. الثَّالِئَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْمُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْمُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ. الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقً الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

وَأَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ: بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْمَالِ، وَالنَّفْسِ، وَجِهَادُ

الْكُفَّارِ أَخَصُّ بِالْيَدِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَخَصُّ بِاللِّسَانِ. (١)

٧ - أن هذا الباب لم يُخدم بها يستحقه مع اشتداد الحاجة إليه فلم يخرج عمل موسوعي
 شامل يدحض شبهات القوم ويبين للمسلمين نقاء الدين ونفى التبديل عنه والتحريف.

٨- خطورة الطعن في القرآن والسنة ؛ حيث إنه من نواقض العهد مع أهل الذمة، بل
 من نواقض الإسلام.

ولما كان الأمر على ما ذكرت فقد دفعني ذلك إلى المساهمة بجهد في إخراج موسوعة علمية فيها رد على أهم ما يثار حول الإسلام من شبهات والرد عليها بطريقة علمية بعيدة عن المهاترات والأغاليط وبذاءة الألفاظ لتكون مثالاً على سمو الإسلام وحسن أخلاق أتباعه في المناظرة والرد على المخالف مها تطاولوا علينا ، فكان أن تم التعاقد مع الأخ الشيخ / أحمد بن سليان على التعاون في إخراج هذا العمل في مقر عمله بمكتبه في مصر ورأيت أننا اشتركنا في نفس الأهداف والغايات لخروج مثل هذا العمل العظيم للمسلمين ليعم النفع به.

وبدأت مسيرة العمل في مصر وكانوا يرسلون لي العمل تباعا وكانت لي ملاحظات استشرت فيها بعض أهل العلم وأرسلتها لهم ودارت بيننا مناقشات حول بعض القضايا حتى انتهى العمل بعد قرابة خمس سنوات من العمل الدؤب وكان الإخوة في مصر يبدون كل الاستعداد لتعديل أي ملاحظة أو تغيير أي كلمة ليخرج العمل سالما من الخلل والخطأ بقدر الإمكان، والكمال عزيز ولكن التسديد والإتقان لا بد منه ، وكانت المحصلة كتابة ثمانية عشر مجلدا تضمنت شبهات عن الكتاب والسنة النبوية وما يتعلق بهما من فقه وعقيدة وحديث والكلام حول الصحابة وما أثير حولهم وغير ذلك مما هو مدون بتفاصيله في الموسوعة.

وقد ألمح لي بعض أهل العلم أن الكتاب لو اختصر قليلا وضم بعضه إلى بعض بحذف ما يتكرر واختصار ما يمكن اختصاره ليقل حجم الكتاب، فطلبت ذلك من الشيخ أحمد حفظه الله وما كان منه إلا أن وافق على هذه الرغبة حرصًا على عموم نفع

<sup>(</sup>۱) زاد المعاد في هدى خير العباد (٣/٩)

الكتاب وتيسير اقتنائه، فتمت مراجعة الكتاب بكامله والنظر في المواضع التي يمكن اختصارها أو تلخيص ما يمكن تلخيصه من غير إخلال أو سقوط ما لابد منه فخرج الكتاب في صورته الأخيرة في اثني عشر مجلدًا بفهارسه الموضوعية وهو بهذا يسد ثغرة في التراث الإسلامي ويساعد على التعرف على الإسلام تعرفًا صحيحًا خاليًا من الزيف والتحريف ومدافعًا عن ما أثير حول هذا الدين بأسلوب عصري سهل متين

والحمد لله على توفيقه وتسديده لنا وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

کتبه د/ سلیمان بن دریع العازمی

#### مقدمة العمل

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَالِهِ وَلَا تَمُوثُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَيَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ مِن نَفْسِ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَلِسَآةً ۗ وَاتَّقُواْ ٱللّهَ ٱلَّذِى تَسَآهَ لُونَهِهِۦوَٱلأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۞۞ (النساء: ١)

﴿ يَنَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلَا سَدِيلًا ۞ يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَىٰلَكُمُّ وَيَغْفِرْلَكُمْ ذُنُوبَكُمُّ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ ﴿ (الأحزاب ٧١: ٧٠)

أما بعد، فإن الإسلام أضخم حقيقة وأصلب عودًا وأعمق جذورًا من أن يجتثه الأعداء من على وجه الأرض.

ولقد تمت إرادة الله فظهر هذا الدين على الدين كله.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِعُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِمِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهِ ٱلْكَفِرُونَ كَا الصف: ٨).

ظهر في ذاته كدين، فما يثبت له دين آخر في حقيقته وفي طبيعته، فأما الديانات الوثنية فليست في شيء من هذا.

وأما الديانات الكتابية فهذا الدين خاتمها والناسخ لها والمهمين عليها.

﴿ هُوَالَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ فِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْمُقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف: ٩) ولقد أدرك الغربيون هذه الحقيقة فبعد أن فشلت حملاتهم الصليبية ركَّزوا جهودهم على الغزو الفكري.

يقول المستشرق جاردنر: إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا. ويقول أحد المبشرين: إن القوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفت سدًا منيعًا في وجه انتشار المسبحية. وإن أعظم ما يواجه المسلمون اليوم هو الغزو الفكري الرهيب الذي استولى على عقول بعض النفوس فأفسدها حتى التبس عليهم الحق بالباطل، والخطأ بالصواب وراجت عليهم الأباطيل والمنكرات. وقد رأينا هجمة علمية وغارة فكرية من بعض القساوسة ورهبان الكنائس على الإسلام وذلك في مواعظهم وكتاباتهم وقنواتهم الإعلامية، وتطاولوا فيها على الإسلام وثوابته ورموزه ونبيه على، وهذا أمر مستعجب إذ أنهم يعلمون أن ما في أيديهم من الدين محرف والتناقض فيه مخوف وأسفاره فيها عبارات وضعها كل مزيف، وليتهم يسكتون حتى لا نفضحهم ولكنهم يعلنون الحرب على الدين الإسلامي وأهله، مع أن البون بيننا وبينهم شاسع والحق واضح وتميزنا عليهم أمر ظاهر عند من له مسكة من عقل زاجر.

"كَيْفَ لا يُمَيِّرُ مَنْ لَهُ أَذَنَى عَقْلِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ بَيْنَ دِينٍ قَامَ أَسَاسُهُ وَارْتَفَعَ بِنَاؤُهُ عَلَى عِبَادَةِ الرَّحْنِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُجِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مَعَ الْإِخْلَاصِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ، وَمَعَامَلَةِ خَلْقِهِ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، مَعَ إِيثَارِ طَاعَتِهِ عَلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ، وَبَيْنَ دِينٍ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِصَاحِبِهِ فِي النَّارِ، أُسِّسَ عَلَى عِبَادَةِ النِّيرَانِ، وَعَقْدِ الشَّرِكَةِ بَيْنَ الرَّمْنِ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِصَاحِبِهِ فِي النَّارِ، أُسِّسَ عَلَى عِبَادَةِ النِّيرَانِ، وَعَقْدِ الشَّرِكَةِ بَيْنَ الرَّمْنِ الرَّمْنِ اللَّهُونَةِ وَالشَّوْلِ الشَّوْلِ وَيَشْ اللَّهُونَةِ فَالْتَحَمَ بِبَطْنِ أَنْنَى، وَأَقَامَ وَالشَّوْلِ وَيَنْهُ وَيَثْلَمُ وَيَقْلَلْ وَيَعْمَدِهِ فَالْتَحَمَ بِبَطْنِ أَنْنَى، وَأَقَامَ مَنَاكَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ، بَيْنَ دَمِ الطَّمْثِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَحْشَاءِ تَعْتَ مُلْتَقَى الْأَعْكَانِ، ثُمَّ خَرَجَ هَنَاكَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ، بَيْنَ مَمِ الطَّمْثِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَحْشَاءِ تَعْتَ مُلْتَقَى الْأَعْكَانِ، ثُمَّ خَرَجَ مَالِيَّةُ وَلَيْعَ السَّيْعِ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَبُولُ وَيَنَامُ وَيَتَقَلَّبُ مَعَ الصَّبْيَانِ، مُنَا الْقُلْفَةُ وَيَعْمَ النَّيْهُودُ يَعْلُولُو يَتَعَلَّمُ مَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ، هَذَا وَقَلْ قُطِعَتْ مِنْهُ الْقُلْفَةُ عَلَى وَيَعْلَى مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ عَلْ مُعْوَلًا عَلَى وَيَعْ وَلَكُمُ وَيَعَلَّى مَكَانٍ عَنْ مُقْوعًا مَبْصُوقًا عَلَى وَالْمَعُولُ وَيَعْ مَنْ النَّولُولُ وَالْمَانُ وَيَقَلِلُ وَعَن الْأَيْمُونُ وَلَا اللَّهُ وَالْمَامُهُ وَعَنْ شَمَائِلِهِ وَعَنِ الْأَيْمَانِ . ثُمَّ الْوَلِهِ وَعَنْ شَاوِلِهِ وَعَنِ الْأَيْمَانِ . ثُمَّ أَرْكَبُوهُ ذَلِكَ الْرُكَبَ الَّذِي الْقَلْدِي تَقْشَعِرُ وَمُ وَلُكَ الْمُرْكِ مَا الْذِي وَالْمَامُهُ وَعَنْ الْأَيْمَانُ وَلَا الْمَامُهُ وَعَنْ شَامَانُهُ وَعَنْ شَامَانِهُ وَعَنْ الْأَيْمُ وَلَا الْمَامُهُ وَالْمُلُولُ الْمُحْمَلِ عَلَى الْمُعُولُ وَالْمَعُولُ وَالْمَامُ وَعَنْ شَامِلُولُ وَالْمُ وَعَنْ الْمُعْرَافِهُ الْمُعْوِقُ الْمُلْكُولُ الْمُرْمُولُ وَ

مِنْهُ الْقُلُوبُ مَعَ الْأَبْدَانِ، ثُمَّ شُدَّتْ بِالْحِبَالِ يَدَاهُ وَالرِّجْلَانِ، ثُمَّ خَالَطَهَا تِلْكَ الْمَسَامِيرُ الَّتِي عَنْهُ الْقُلُوبُ مَعَ الْأَبْدَانِ، ثُمَّ فِالْطَهَا تِلْكَ الْمَسَامِيرُ الَّتِي تَكْسِرُ الْعِظَامَ وَتُمُزِّقُ اللَّحْهَانَ، وَهُوَ يَسْتَغِيثُ: يَا قَوْمِ ارْحَمُونِي! فَلَا يَرْحَمُهُ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ.

هَذَا وَهُوَ مُدَبِّرُ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ الَّذِي يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمِ هُوَ فِي شَأْنٍ. ثُمَّ مَاتَ وَدُفِنَ فِي التُّرَابِ تَحْتَ صُمِّ الْجُنَادِلِ وَالصَّوَّانِ، ثُمَّ قَامَ مِنَ الْقَبْرِ وَصَعِدً إِلَى عَرْشِهِ وَمُلْكِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَا كَانَ.

فَهَا ظَنَّكَ بِفُرُوعٍ هَذَا أَصْلُهَا الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ الْبُنْيَانُ، أَوْ دِينٍ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى عِبَادَةِ الْإِلَهِ الْمُنْكُوتِ بِالْأَيْدِي بَعْدَ نَحْتِ الْأَفْكَارِ مِنْ سَائِرِ الْأَجْنَاسِ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَصْنَافِ وَالْأَلْوَانِ، وَالْخُصُوعِ لَهُ وَالتَّذَلُّلِ وَالْخُرُورِ سُجُودًا عَلَى الْأَذْقَانِ، لَا يُؤْمِنُ مَنْ يَدِينُ بِهِ بِاللهَّ وَلَا مُسُلِهِ وَلَا رُسُلِهِ وَلَا لِقَائِهِ يَوْمَ يَجْزِي اللهِيءَ بِإِسَاءَتِهِ وَاللَّحْسِنَ بِالْإِحْسَانِ. وَلَا مُسَلِعُ وَلَا رُسُلِهِ وَلَا لِقَائِهِ يَوْمَ يَجْزِي اللهِيءَ بِإِسَاءَتِهِ وَاللَّمْسِنَ بِالْإِحْسَانِ. وَلَا مُسَلِعُ وَلَا لِقَائِهِ يَوْمَ يَجْزِي اللهِ كَانْسِلَاخِ الْحَيَّةِ مِنْ قِشْرِهَا، وَبَاءُوا أَوْ دِينِ اللهُ كَانْسِلَاخِ الْحَيَّةِ مِنْ قِشْرِهَا، وَبَاءُوا أَوْ دِينِ الْأُمَّةِ الْغَضَبِيَّةِ الَّذِينَ انْسَلَخُوا مِنْ رِضُوانِ الله كَانْسِلَاخِ الْحَيَّةِ مِنْ قِشْرِهَا، وَبَاءُوا أَوْ دِينِ اللهُ كَانْسِلَاخِ الْحَيَّةِ مِنْ قِشْرِهَا، وَبَاءُوا بِالْعَضَبِ وَالْمُورِهِمْ، وَالْمُورَاةِ وَنَبَذُوهَا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِاللهِ وَالْمُعْورِهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِاللهِ وَالْمُؤَانِ، وَالْمُورَاقِ وَقَارَتَهُمُ التَّوْفِيقُ وَقَارَتَهُمُ الْخُذُلُانُ، وَاسْتَبْدَلُوا بِولَايَةِ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَلَايَةَ اللهَ وَمَلَائِكَتِهِ وَلَايَة وَلَائَهُ وَلَايَة اللهِ وَمَالَائِكَةِ وَلَايَة وَلَايَة وَلَائَهُ وَلَا اللهَ وَأَوْلِيَائِهِ وِلَايَة اللهِ وَمَالَائِهُ وَلَايَة اللّهُ وَالْمَائِولَ (١٠).

أما وقد تمادوا في غيِّهم وضلالهم فليندموا على ما قدموا وليحزنوا على ما اقترفوا وشككوا؛ لأن الله تعالى قد حفظ هذا الدين وسد على الزائغين طرق التشكيك والتلبيس على المسلمين، ونصب في كل فترة من ينبري لصد عدوان الصائلين، وقد أمرنا نبينا أن نرد على الحاقدين والمارقين.

لما قال أبو سفيان يوم أحد: أفيكم محمد؟ أفيكم أبو بكر، أفيكم ابن الخطاب؟ قال لأصحابه: «لا تجيبوه». تهاونًا به وتحقيرًا لشأنه، فلما قال: أُعل هبل، قال لهم رسول الله على الله أعلى وأجل». ولما قال: لنا العزى ولا عزى لكم، قال لهم: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

<sup>(</sup>١) هداية الحياري لابن القيم ١/ ٢١٨ -٢٢٠.

وليت من تكلم الهذيان تنكب عن ميدان الفرسان، ليسلم من أسنة ألسنتهم عرضه، وينطوي من بساط المشاجرة طوله وعرضه، ولم يسمع ما يضيق به صدره، ولم ينتهك بين أفاضل الأمة ستره، وإذا أبى إلا المهارشة والمناقشة، والمواحشة والمفاحشة، فليصبر على حزّ الحلاقم، ونكز الأراقم، ونهش الضراغم، والبلاء المتراكم المتلاطم، ومتون الصوارم.

فوالذي نفسي بيده؛ ما بارز أهل الحق قط قرن إلا كسروا قرنه، فقرع من ندم سنه، ولا ناحرهم خصم إلا بشّروه بسوء منقلبه، وسدّوا عليه طريق مذهبه لمهربه، ولا فاصحهم أحد –ولو كان مثل خطباء إياد– إلا فصحوه وفضحوه، ولا كافحهم مقاتل –ولو كان من بقية قوم عاد– إلا كبُّوه على وجهه وبطحوه، هذا فعلهم مع الكهاة الذين وردوا المنايا تبرعًا، وشربوا كؤوسها تطوعًا، وسعوا إلى الموت الزؤام سعيًا، وحسبوا طعم الحهام أريًا، والكفاة الذين استحقروا الأقران فلم يهلهم أمر مخوف، وجالوا في ميادين المناضلة واخترقوا الصفوف، وتجالدوا لدى المجادلة بقواطع السيوف (۱).

فكان لزامًا على كل منابر الدعوة إلى الله أن تتصدى لهذه الحملات التي تسعى بكل طاقاتها إلى إطفاء نور الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْكَرِهَ ٱلْكَفِرُونَ ﴿ ﴾ (الصف: ٨).

وها نحن ومن هذا المنطلق قد انبرينا وشمَّرنا وجاهدنا للصد عن حياض هذا الدين العظيم. ليحيا من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، فوحَّدنا الجهود والطاقات، وضننًا بالأنفاس واللحظات؛ لجمع موسوعة هي بحق منتهى الغايات، جمعت بين دفتيها أقوى ما يدعيه المخالفون من المتشابهات والمتناقضات والأغلوطات فيها أعلم، والرد عليها من كل الوجوه التي وقفنا عليها بشتى المسكتات: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَذِينَ ظَلَمُواً وَالْمُعَلِينَ طَلَمُواً .

والله تعالى من حكمته يقيض في كل حقبة من الزمان حراسا لشريعته يذبون عنها كل باطل ودخيل، فلم يخل زمن من المجرمين ويسلط الله عليهم المؤمنين، فلما قام المبتدعة

<sup>(</sup>١) انظر: ما كتبه العلامة محمود شكري الآلوسي في مقدمة كتابه غاية الأماني في الرد على النبهاني.

وكذبوا على الناس في حديث رسول الله ﷺ قام علماء الحديث فبينوا كذبهم وافتراءهم.

عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ، قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ (').

وقِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الْمُصْنُوعَةُ؟ قَالَ: «يَعِيشُ هَا اجْهَابِذَةُ» (٢)

#### منشأ الشبهات:

لقد حاول أعداء الإسلام إلصاق التهم به، وإشاعة التناقض فيه، وإظهار محاسنه في صورة تشمئز منها النفوس ،ولو تتبعنا ما يقولونه فإنه لا يخرج عن عدة نقاط.

- ا أنهم اعتمدوا على أقوال الحاقدين على الإسلام من المستشرقين والمنافقين والكُتَّاب
   العرب المعاندين للدين.
- المرويات الضعيفة والمكذوبة؛ فقد أتوا بها ليعارضوا بها الصحيح ولم يبينوا أن الضعيف لا حجة فيه.
- ٣) وبعضهم نقل أقوالًا مبتورة ليتغير المعنى على حسب ما يريد ثم ذاع الكلام المبتور
   على أنه تمام لا بتر فيه.
- ٤) وبعضهم أتى بأقوال شاذة أو مرجوحة ذكرها العلماء في مصنفاتهم وردوا عليها،
   فأتى هؤلاء وعرضوا على الناس هذه الأقوال على أنها معتمدة عند قائلها ليروجوا
   تلبيساتهم على عوام المسلمين.
- هو الفهم لنصوص الكتاب والسنة، فهو لا يرجع إلى شروح العلماء الراسخين؛
   وإنها يفسر النص على قدر فهمه وغالبهم جهلة بلسان العرب فأنّى لمثل هؤلاء أن يفهموا
   أفصح الكلام الذي هو كلام الله عز وجل.
- الاستعانة بشبهات وأقوال الفرق الضالة والتي خالفت منهج أهل السنة والجماعة
   كشبهات الرافضة، والخوارج، والجهمية، وغلاة الصوفية وغيرهم.

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم في المقدمة.

<sup>(</sup>٢) الكفاية للخطيب (١/ ٣٦).

#### منهج الردعلى الشبهات

لا شك أن الأعمال الموسوعية تحتاج إلى نفس طويل، وصبر من حديد، وقد استغرق العمل في هذه الموسوعة حوالي خمس سنوات.

ولقد سار العمل في هذه الفترة على مراحل:

المرحلة الأولى: الجمع: لقد تتبعنا الشبهات المثارة حول الإسلام من مصادرها؛ من خلال المؤلفات والمجلات العلمية، والمراجع المعنية بهذا الأمر، ثم تتبعنا ذلك على مواقع الإنترنت.

ثم قمنا بعد ذلك بصياغتها بأسلوب فصيح مؤدب، إذ من عادة القوم السب والشتم بها لا يليق ذكره. وحاولنا جاهدين الاستقصاء في جمع كل ما تفوهوا به؛ غير أنا وجدنا بعض هذه الشبه لا تستحق الذكر فها هي إلا نوع من السباب والشتم ونحن ننزه موسوعتنا عن ذكرها، كذلك بعضهم لا يجيد قراءة العربية فقرأ النص خطأ ثم بنى الشبهة عليه فلا فائدة من الرد عليه فأمره ظاهر مكشوف.

ثم قمنا بتقسيمها تقسيمًا موضوعيًا على الأبواب ليسهل عرضها وتناولها.

المرحلة الثانية: الرد: في كل شبهة مثارة كنا نجمع فريق العمل لنتشاور في محاور الرد وبيان الوجوه المعتمدة في بيان زيف الشبهة، وكنا نجد عونًا من الله، وفتحا مبينًا للرد عليهم بمنطقهم فغايتنا بيان الحق ﴿لِيَهْ لِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَمَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَمَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَلِيحًا لَهُ وَلِيكُ مَنْ عَمْ عَلِيكُمْ وَلِيكُمْ اللهِ وَإِنْ اللهُ لَسَمِيعُ عَلِيمُ ﴾.

#### فكان العمل على هذا النحو:

أولًا: تم الرد على الشبهات على صورة وجوه- في الغالب- الوجه الواحد هو رد دامغ في نفسه لكننا لم نكتف بالوجه الواحد فأردنا الاستقصاء في الرد من كل الوجوه النقلية والعقلية والعلمية.

ثانيًا: تضمن الرد- في أكثر الشبهات- وجهًا هامًّا وهو الرد على المخالفين من مصنفاتهم التي يعتمدون عليها. غالبها من كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد.

ثاثا: توجد بعض الشبهات ربيا ألقى بها رجل يُحسب على الإسلام إلا أنه من دعاة

الضلالة وهذا لا يحتج به علينا. أو يلزمنا بحديث ضعيفٍ أو مكذوبٍ ولا حجة في هذا، أو بقول شاذ خلاف قول الجماهير. فأردنا أن نعلن ما نعتقده وندين به ونلتزم ونُلزِم به المخالفين وما سواه فلا حجة علينا به.

رابعًا: قد تحتوي الشبهة الواحدة الأساسية على عدة شبهات فرعية فنقوم بالرد على كل هذه الشبهات. لذا ننصح القارئ بالصبر والمثابرة عند قراءته للرد خاصة في الشبهات التي تم الاستطراد في الرد عليها.

خامسًا: حاولنا في ردنا أن نُعلِّم القارئ المعنى الصحيح من الآية أو الحديث لتتم الفائدة، ونحن نعتقد أن هذا من أولى الأولويات، فالجاهل إن طالع كتابنا سيتعلم ولابد، أما المعاند والجاحد – فنسأل الله له الهداية – فلن يصح في ذهنه شيء منها إلا أن يشاء الله، فنهار الشريعة بادٍ لكل ذي عين ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَاتِ عِندَاللَّهِ الشَّمُ الدِّيمَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢].

سادساً: استفدنا من جهود السابقين لنا في هذا المضهار؛ فحاولنا أن نؤلف بين وجوه الرد ونختار منها ما وافق الحق، وندع ما تكلف فيه صاحبه في وجوه الرد.

سابعًا: عزونا الآيات والأحاديث والأقوال إلى مصادرها إبراءً للذمة، وتحقيقًا للقول، ومنفعة لمن أراد المزيد.

**ثَامِئًا**: إن كان أصل الشبهة يدور على آية من القرآن استقصينا في بيان تفسيرها ووجوه الرد من أقوال المفسرين.

وإن كان مدارها على حديث فإن كان ضعيفًا اجتهدنا قدر الطاقة في بيان ضعفه، وإن كان في الصحيحين اكتفينا بالعزو لهم في بيان اللفظ الصحيح، وإن كان في غيره توسعنا في تخريجه بقدر الحاجة والمصلحة.

تاسعًا: استفدنا من بعض مواقع (الإنترنت) في معرفة بعض الشبهات والرد عليها وقد عزونا لهذه المواقع.

عاشرًا: تضمنت بعض الردود ردودًا عامة، وردودًا خاصة؛ فنبدأ ببيان الرد العام

والذي يبين منهج الإسلام أو اعتقاد المسلمين في المسألة، ثم تفصيل الرد بعد ذلك حسب الشبهة الملقاة.

الحادي عشر: جعلنا آخر الردود الرد على النصارى من مصنفاتهم التي يعتمدون عليها لبيان ما عندهم من التناقض والتحريف والتبديل بها لا يخفى على أدنى منصف من العقلاء، فهم معنا كمن قال: رمتني بدائها وانسلت.

« إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » (').

وربها سأل سائل لم الحمل على أهل الكتاب خاصة ؟ والجواب: أنهم الطائفة التي يعود أصلها إلى كتاب سهاوي حق، ولكن وقع عليه قلم التحريف، أما الطوائف الأخرى كالعلمانية والملاحدة ومن سار على دربهم فهم ليسوا بشيء ولا على شيء ، ثم إن الجميع يتناقلون نفس الاعتراضات والترهات فها يقوله النصراني من شبهة يلوكها العلماني والملحد والليبرالي وغيرهم .

الثاني عشر: قسمنا الموسوعة إلى عدة أقسام:

١ - قسم شبهات العقيدة.

٢ - القرآن وعلومه القرآن، ورتبناه على ترتيب المصحف.

٣- السنة وعلومها.

٤ - الأنبياء والنبي

٥ - زوجات النبي ﷺ.

٦- الصحابة.

٧- الفقه.

<sup>(</sup>١) صحيح البخاري (٣٤٨٤).

٨- المرأة.

٩ - اللغة.

١٠ - وأخيرًا: شبهات الإعجاز العلمي.

الثالث عشر: وقبل أن نشرع في هذه الردود فقد قدمنا بمقدمة لابد منها تناولنا فيها: الصراع بين الحق والباطل، والمناظرة وآدابها، وعن حال العالم قبل الإسلام، ثم التعريف بالإسلام، وخصائصه، وسهاحته، وعن وسطيته، وعن الحقوق الإسلامية، وماذا قال الغرب عن الإسلام، وأيضًا التعريف بنبي الإسلام عليه فضائله، وأخلاقه، وشهائله، وعن صحابته، وماذا قالوا عنه عليه المسلام عليه المسلام عليه المسلام عليه المسلام المسل

المرحلة الثالثة: المراجعة: وفي هذه المرحلة كان التركيز على الضبط العام للكتاب من قواعد الإملاء، واللغة، ثم نظرة أخيرة عامة على وجوه الرد؛ فربها زدنا وجها غاب عنا، أو حذفنا آخرًا ليس في بابه.

جهود العلماء في الرد على الشبهات: لم يُقصر علماء المسلمين في القيام بواجبهم في الرد على هذه الشبهات والتي أثارها النصارى على الخصوص وتلوكها الألسنة من كل المشارب على العموم ، فقاموا رحمهم الله كل بطريقته الخاصة تولى الرد عليهم بها يدحض شبهتهم ويخيب رجاءهم، من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية كها في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح». وتلميذه ابن القيم في كتابه «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى». والقرطبي في «الإعلام بها في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام». والقرافي في « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة» والألوسي ابن المفسر في «الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح» وابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ومن المعاصرين الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي « إظهار الحق» والزرقاني في «مناهل العرفان في علوم القرآن» والدكتور محمد أبو شهبة في « الدفاع عن السنة» والشيخ أحمد ديدات في كتبه ومناظراته الشهيرة. والدكتور

عمر بن إبراهيم رضوان في «آراء المستشرقين حول القرآن الكريم». والدكتور إبراهيم عوض في كتبه. واللواء أحمد عبد الوهاب في كتبه... وغيرهم كثير لكنها ردود فردية فكان عملنا هذا تجميع ردود هؤلاء السابقين تحت منهج واحد بخطة شاملة والله المستعان.

فريق العمل: إن هذا الجهد المبارك كان نتاج جهود متضافرة من طلاب نابهين غيورين على دينهم فدفعهم حماسهم، وحميتهم إلى جمع الهمم على هذا العمل المبارك، وكان اشتراطنا في العمل أن لا يقتحم فيه إلا من شعر بأهمية هذا العمل العظيم ليستشعر أنه على ثغر لابد من المجاهدة عليه، وكان يجمعنا مجمع التوحيد الإسلامي بمحلة بلبيس شرقية من جمهورية مصر العربية فنلتقي في مجالس راتبة، نجمع الشبهات، ونتداول الردود، ونجمع المصنفات، ونناقش الوجوه، ولكل دوره المناطبه،

ولابد في مثل هذه الأعمال إعطاء كل ذي حق حقه، فحقهم علينا أن نذكر كل من شارك معنا في هذه الموسوعة المباركة.

#### وها هو بيان بأسهاء المشاركين في العمل:

- ١ أبو محمد صالح حسون: وقد قام بجهد كبير في العمل، وكان مسئولًا عن توزيع الأعمال على الباحثين، ومتابعتهم، وقد شارك أيضًا بجهده في مقدمة الكتاب مع شبهات القرآن، والفقه، وغير ذلك. ثم كان هو القائم على الضبط الفني للكتاب والمراجعة الأخيرة له فجزاه الله خيرًا.
- ٢- أبو عبد الرحمن محمود عبد الحكيم: وشارك معنا في المقدمة، وفي إثبات تحريف التوراة والإنجيل، وبعض شبهات القرآن، وغيرها.
  - ٣- أبوعمر سيد سيد عبد العال: وشارك في ملفات العقيدة، والصحابة، والمرأة، وغيرها.
    - ٤- إيهاب عبد الواحد: شارك معنا في ملفات علوم القرآن، والإعجاز العلمي.
      - ٥- عبد الرحمن إسماعيل: شارك في علوم القرآن، وملفات القرآن، والسنة.
    - ٦- محمد عوض: شارك في المقدمة، وملفات علوم القرآن، والقرآن، والأنبياء.

- ٧- أبو حسام الطرفاوي: شارك في ملفات العقيدة.
  - ٨- سليمان دويدار: شارك في شبهات الحدود.
- ٩، ١٠ عبد الله الغندور وأحمد ناجي: شاركا في الشبهات اللغوية.
- 11 مصطفى أبو الغيط: شارك في ملفات شبهات المرأة، وانتشار الإسلام بالسيف.
  - ١٢ محمد غنيم: شارك في شبهة الفداء والصلب.
  - ١٣ محمد عبد العزيز السيد: شارك في ملفات علوم السنة، ومراجعة شبهات الفقه.
    - ١٥ مدحت عبد العظيم: شارك في ملفات علوم القرآن.
      - ٥١ أحمد بنداري: شارك في ملفات القرآن، والسنة.
- 17. وليد دويدار وهو الذي قام بجمع الشبهات في بادئ العمل وكذلك جمع المصادر المتعلقة بالردود ثم انقطع عن الإتمام نظرا لظروف خاصة به.

هذا؛ وقد جمع العبد الفقير إلى الله / أحمد بن سليمان طلبة العلم والباحثين، ووضعت الخطة لهم وحددت عناصر الرد على كل شبهة بها يقتضيه المقام من توسع في موضع وبذل الجهد في تتبع المسألة لقطع اللجاج فيها واختصار في آخر بحسب المقام والحال في الشبهة، وناقشتهم في وجوه الرد، ثم راجعت العمل كاملًا أربع مرات، فزدت بعض الوجوه، وحذفت ما لا يصلح في الرد، أو كان فيه تعسف، أو مخالفة للمنهج الصائب عند السلف في الرد كها بينا سابقًا.

وقد كان د/ سليان بن دريع العازمي صاحب فكرة الموسوعة والمشرف العام عليه فجزاه الله خيرا ،وكانت له ملاحظات أخذناها بعين الجد والاجتهاد وأثبتنا منها ما كان في الإمكان، وكان آخر ذلك أن العمل خرج بعد سنوات عدة في ثهانية عشر مجلدًا فأشار على جزاه الله خيرًا باختصار العمل وضم ما يمكن ضمه وحذف مالا يخل بنظمه فوافق ذلك رغبة عندي فراجعنا العمل مرة أخرى على منهج يختصر العمل قليلًا ولا يخل بأصله وعتواه فكانت المحصلة أن خرج في اثني عشر مجلدًا ولعل هذا أيسر للقارئ.

وقد أرسلت نسخة من العمل لأخي الشيخ أبي حسين خالد الرباط للنظر فيها من الناحية الفنية وذلك بمكتبه في دار الفلاح بالفيوم فجزاه الله خيرًا على ما قدم.

فها هو بين يديك سفرٌ نفيس، وجمع سهلٌ محقق لطيف، جمعنا فيه المتفرقات، واستوعبنا في الرد الوجوه المتآلفات حسب ما وصل إليه علمنا، فأثمر ردًّا على ما يربو على ستمائة شبهة أساسية وفي ثناياها شبهات فرعية فوفقنا الله لدحضها.

فنسأل الله أن يتقبله عنده، وأن يكتب لنا به الأجر يوم الدين، ونسأل الله أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه، وأن يجعله زادًا لحسن المصير إليه وعتادًا ليوم القدوم عليه إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل. وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من زلل أو نسيان فمنا ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

#### والحمد لله الذي بنعمنه ننم الصالحات

كتبه أبو عبد الرحمن/ أحمد بن سليمان أيوب في الثاني عشر من شعبان لعام ١٤٣٥هـ بمنزله الكائن بمدينة بلبيس جمهورية مصر العربية

# المقدمة

وتشتمل هذه المقدمة على ما يلي: الفصل الأول.

الصراع بين الحق والباطل.

الفصل الثاني.

ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: حالة العالم قبل الإسلام.

المبحث الثاني: المناظرة وآدابها.

ويشتمل هذا المبحث على المطالب الآتية:

المطلب الأول: تمهيد.

الطلب الثاني: المحاور التي يتم على أساسها تقييم أي حضارة سابقة أو لاحقة.

المبحث الثاني: الإسلام وبيان معناه.

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: معنى الإسلام.

المطلب الثاني: الإسلام هو دين الفطرة.

المطلب الثالث: التوحيد وأقسامه.

المبحث الثالث: مراتب الدين.

ويشتمل هذا المبحث على المطالب الآتية:

المطلب الأول: أركان الإسلام.

المطلب الثاني: أركان الإيان.

المطلب الثالث: الإحسان.

البحث الرابع: بيان بعض مزايا الشريعة الإسلامية.

البحث الخامس: الإسلام بين الوسطية والغلو.

المبحث السادس: الحقوق الإسلامية.

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: مقدمة عامة عن الحقوق ومزايا هذا الدين الإسلامي.

الطلب الثاني: ذكر بعض هذه الحقوق بشيء من التفصيل.

المبحث السابع: قالوا عن الإسلام.

الفصل الثالث: رسول البشرية محمد عليه.

ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: التعريف بالنبي عَلَيْكُ .

المبحث الثاني: بعض فضائل النبي عَيَالِيُّ.

البحث الثالث: أخلاق النبي عَلَيْكُمْ.

المبحث الرابع: صحابة النبي عَلَيْكِيَّ.

المبحث الخامس: قالوا عن النبي ﷺ.

# الفصل الأول المحث الأول المحث الأول: الصراع بين الحق والباطل

إن الصراع بين الحق والباطل سنة ربانية جارية كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينُ وَكَفَى بِرَيِّكِ هَادِيكا وَنَصِيرًا ﴿ ﴾ (الفرقان: ٣١).

فالأنبياء وهم أكرم الخلق وأعدل الخلق وُجدَ لهم أعداء ومضادون، يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق.

وقد أمر الله المؤمنين بالقيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله، وتضعف شوكة الباطل وتنكسر، وحتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلي، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَانِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْيُقَانِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّلغُوتِ فَقَائِلُوٓا أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَائِ إِنَّ كَيْدَالشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ١٧٧﴾ (النساء: ٧٦). ففي هذه الآية وآية سورة الفرقان التي ذكرناها قبل إشارة إلى ضعف الباطل وأهله إذا قام أهل الحق بواجبهم في مدافعتهم وقتالهم، لأن الله مع الذين اتقوا. فقوله في الآية الأولى: ﴿وَكَفَىٰ برَبِّكَ هَادِيَــا وَنَصِيرًا ﴾ وفي الآية الثانية: ﴿إِنَّ كَيْدَالشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ إشارة إلى ضعف كيد الشيطان الذي يتولاه الكفار والمشركون، فإذا كان وليهم ضعيفًا فهم أضعف وأذل، وهذا يعطى المؤمن قوة على العمل بها أوجبه الله عليه من مدافعة الباطل وأهله، كما يعطيه ثقة في نصر الله له، ومن ثم يعتز بدينه ويتمسك به، وهذا هو الذي قام به الصحابة لله في العهد المكي، فقد وقع عليهم الاضطهاد الشديد من المشركين في مكة، ولم يكن بمقدورهم المواجهة العسكرية ولم يؤمروا بالجهاد بعد، وإنها أمروا بالصبر والتحمل، فصبروالله وتحملوا تلك المرحلة، ولكن مع الصبر والتحمل كانوا يسعون لإزالة هذا الواقع وعدم استمراره، فجاءت الهجرة الأولى إلى الحبشة، ثم ذهابه ﷺ إلى الطائف، ثم العرض على القبائل في المواسم، كلها بحث عن مخرج من ذلك الواقع حتى قيض الله طائفة من الأوس والخزرج لقبول دعوة الحق، ثم المبايعة على النصرة ليلة العقبة، وأعقب ذلك الهجرة إلى

المدينة، فخرج المسلمون من الاضطهاد ونصرهم الله بإخوانهم في المدينة عندما قاموا بالأسباب الموجبة لذلك. والملاحظ أن الصحابة تحملوا مرحلة الاضطهاد وواجهوها بالصبر ولكن مع عدم الاستكانة والرضى بالواقع، فأخذوا يعملون لإزالة ذلك الواقع حتى تمكنوا من رفعه (۱).

فيعلم كل مسلم أن أهل الكفر والضلال ضد أهل الإسلام في كل زمان ومكان وذكر الله في أول سورة البقرة الناس وقسمهم إلى ثلاثة أقسام: مؤمنون وكفار ومنافقون فلا بد من العداوة بين أهل الإسلام وبين أعداء الله وإن لم تحصل العداوة فالأمر خطير.

قال الله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ امَنُوا لَا تَنَخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالَاوَدُّواْ مَا عَنِيَّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاةُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ ٱلْآيَنَتِ ۚ إِن كُنتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاةُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ ٱلْآيَنَتِ ۚ إِن كُنتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاةُ مِنْ أَفْوَهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ ٱلْآيَنَتِ ۚ إِن كُنتُمْ فَعَلَوْنَ ﴾ (آل عمران: ١١٨).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَائِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة: ٢١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِئْنِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (البقرة: ١٠٩). ولا شك أن عداوة الكفار للمسلمين ليست لأجل دنيا بل هي لأجل الدين قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَرَىٰ حَتَّى تَلَيِّعَ مِلَتَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٢٠).

فالصراع بين الحق والباطل قائم إلى يوم القيامة؛ ولكن مآل الباطل الزهوق والذهاب، والحق مآله الانتصار والغلبة إن شاء الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ الْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقًا اللهِ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقًا اللهِ ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقًا اللهِ ﴿ وَالإِسراء: ٨١).

وقال تعالى: ﴿ بَلَ نَقْذِفُ بِٱلْمَقِ عَلَى ٱلْبَطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿ (الأنبياء: ١٨).

<sup>(</sup>١) مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها. مسائل في منهج دراسة السيرة النبويـة د/ محمد بن صامل السلمي العدد ٢٤. ربيع الأول ١٤٢٣هـ/ مايو (آيار) ٢٠٠٢م.

وهذه السنة أيضًا من أهم السنن الربانية التي يجب الوقوف عندها، وعدم نسيانها أو الغفلة عنها؛ لأن الصراع والمدافعة بين الحق والباطل وُجدا منذ أن أهبط آدم عليه الصلاة والسلام على هذه الأرض ومعه إبليس - الملعون - أعاذنا الله منه. واقتضت حكمة الله على أن يستمر هذا الصراع إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بين حزب الله عنى وحزب الشيطان. وليس بالضر ورة أن تكون المدافعة أو أن يكون الصراع بالقتال والسلاح. بل إنه يكون بغير ذلك، وما القتال إلا مرحلة من مراحل هذا الصراع؛ فإقامة الحجة على الباطل وأهله مدافعة، وإزالة الشبه عن الحق وأهله مدافعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدافعة، والصبر على ابتلاء الأعداء من الكفرة والظلمة والثبات على الدين مدافعة وصراع. ويأتي الجهاد والقتال في سبيل الله على رأس وذروة هذه المدافعة والصراع، فيقذف الله بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق. وما دام هناك حق وباطل فالصراع موجود والمدافعة حتمية. وهذا الصراع لصالح البشرية وخبرها، ولو كان فيه من العناء والشدة والمكاره؛ فإن هذه المشقات كلها تهون وتصغر عند المفاسد العظيمة التي تنشأ فيها لو لم يكن هناك دفع للفساد وصراع مع الباطل. كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ لَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُ م بِبَعْضِ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (البقرة: ٢٥١)، وهذا يفرض على أهل الحق السير على هذه السنة، وبذل الجهد الجهيد في مدافعة الباطل وأهله، وإحقاق الحق وتمكين أهله، ورد البشرية الشاردة إلى عبودية الله على وتوحيده، وإنقاذها من الشرك ومفاسده؛ فإن الصراع بين الحق والباطل قديم، فيحاول أهل الباطل اتهام أهل الحق، وتشكيكهم به، حتى يتركوه قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَائِلُونَكُمُ حَتَّى يَرُدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِ دُمِنكُمْ عَن دِينِدِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَكِكَ حَبِطَتْ أَعَمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَيَهِكَ أَصْحَبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ اللهِ (البقرة: ٢١٧)، وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر؛ وعلى فتنة المسلمين عن دينهم؛ بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم. وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل. إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته

غيظ ورعب لأعداء هذا الدين؛ ولأعداء الجهاعة المسلمة في كل حين إن الإسلام بذاته يؤذيهم ويغيظهم ويخيفهم. فهو من القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد. إنه حرب بذاته وبها فيه من حق أبلج، ومن منهج قويم، ومن نظام سليم. إنه جرب على الباطل والبغي والفساد. ومن ثم لا يطيقه المبطلون البغاة المفسدون. ومن ثم يرصدون لأهله ليفتنوهم عنه، ويردوهم كفارًا في صورة من صور الكفر الكثيرة.

ذلك أنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم، وفي الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين، وتتبع هذا المنهج، وتعيش بهذا النظام.

وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتًا، على أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا. وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحًا غيره، وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها. والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام، وينبهها إلى الخطر؛ ويدعوها إلى الصبر على الحرب، وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة؛ والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر: قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَائِلُونَكُمْ حَتَى يَرُدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِن يَسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُت وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَتَهِكَ حَبِطَت أَعْمَلُهُمْ فِي الدُنيا وَالآخِرة وَالبقرة: ٢١٧)

ومن يرتدد عن الإسلام وقد ذاقه وعرفه؛ تحت مطارق الأذى والفتنة – مهما بلغت – هذا مصيره الذي قرره الله له حبوط العمل في الدنيا والآخرة. ثم ملازمة العذاب في النار خلودًا (').

وعندما ظهر الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان، لم يتوقف سيل الشبهات التي يثيرها المشككون من خصوم هذا الدين، تشكيكًا في مصادره، أو في نبيه، أو في مبادئه وتعاليمه. ولا تزال الشبهات القديمة تظهر حتى اليوم في أثواب جديدة يحاول مروجوها أن يضيفوا عليها طابعًا علميًا زائفًا.

<sup>(</sup>١) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٢٧ - ٢٢٨.

ومن المفارقات الغريبة في هذا الصدد، أن يكون الإسلام - قد اختص من بين كل الديانات التي عرفها الإنسان سهاوية كانت أم أرضية بأكبر قدر من الهجوم وإثارة الشبهات حوله.

ووجه الغرابة في ذلك يتمثل في أن الإسلام في الوقت الذي جاء فيه يعلن للناس الكلمة الأخيرة لدين الله لم ينكر أيًّا من أنبياء الله السابقين ولا ما أنزل عليهم من كتب سهاوية، ولم يجبر أحدًا من أتباع الديانات السهاوية السابقة على اعتناق الإسلام. ولم يقتصر الأمر على عدم الإنكار، وإنها جعل الإسلام الإيهان بأنبياء الله جميعًا وما أنزل عليهم من كتب عنصرًا أساسيًا من عقيدة كل مسلم، بحيث لا تصح هذه العقيدة بدونه.

ومن شأن هذا الموقف المتسامح للإسلام إزاء الديانات السابقة أن يقابل بتسامح مماثل؛ وأن يقلل من عدد المناهضين للإسلام، ولكن الذي حدث كان على العكس من ذلك تمامًا. فقد وجدنا الإسلام – على مدى تاريخه – يتعرض لحملات ضارية من كل اتجاه. وليس هناك في عالم اليوم دين من الأديان يتعرض لمثل ما يتعرض له الإسلام في الإعلام الدولي من ظلم فادح وافتراءات كاذبة.

وهذا يبين لنا أن هناك جهلًا فاضحًا بالإسلام، وسوء فهم لتعاليمه، سواء كان ذلك بوعي أو بغير وعي، وأن هناك خلطًا واضحًا بين الإسلام كدين وبعض التصرفات الحمقاء التي تصدر من بعض أبناء المسلمين باسم الدين وهو منها براء (۱).

إن أعداء الجماعة المسلمة لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب؛ ولم يكونوا يؤلبون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والرمح فحسب؛ إنها كانوا يحاربونها أولًا في عقيدتها. كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك، ونثر الشبهات وتدبير المناورات!

كانوا يعمدون أولًا إلى عقيدتها الإيهانية التي منها انبثق كيانها، ومنها قام وجودها، فيعملون فيها معاول الهدم والتوهين. ذلك أنهم كانوا يدركون كها يدركون اليوم تمامًا - أن هذه الأمة لا تؤتى إلا من هذا المدخل، ولا تهن إلا إذا وهنت عقيدتها، ولا تهزم إلا إذا

<sup>(</sup>١) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين صـ ٥-٦.

هزمت روحها، ولا يبلغ أعداؤها منها شيئًا وهي ممسكة بعروة الإيهان، مرتكنة إلى ركنه، سائرة على نهجه، حاملة لرايته، ممثلة لحزبه، منتسبة إليه، معتزة بهذا النسب وحده، ومن هنا يبدو أن أعدى أعداء هذه الأمة هو الذي يلهيها عن عقيدتها الإيهانية، ويحيد بها عن منهج الله وطريقه، ويخدعها عن حقيقة أعدائها وحقيقة أهدافهم البعيدة.

إن المعركة بين الأمة المسلمة وبين أعدائها هي قبل كل شيء معركة هذه العقيدة. وحتى حين يريد أعداؤها أن يغلبوها على الأرض والمحصولات والاقتصاد والخامات، فإنهم يحاولون أولا أن يغلبوها على العقيدة، لأنهم يعلمون بالتجارب الطويلة أنهم لا يبلغون مما يريدون شيئًا والأمة المسلمة مستمسكة بعقيدتها، ملتزمة بمنهجها، مدركة لكيد أعدائها. ومواجهة ذلك تكون ببذل جهود علمية مضاعفة من أجل توضيح الصورة الحقيقة للإسلام، ونشر ذلك على أوسع نطاق.

#### المبحث الثاني: المناظرة وآدابها.

وقبل أن نشرع في مادة هذه الموسوعة نذكر طرفا مختصر جامعًا للمناظرة وآدابها ينشأ الاختلاف الفكري من اختلاف الطبائع والعقول البشرية (١).

وحيث كان كل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابًا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابًا وأحكامًا يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول(٢).

والحديث عن ذلك من خلال هذه النقاط:

أولًا: تعريف المناظرة والجدال.

المناظرة لغة: من النظير، أو من النظر بالبصيرة (٣).

المناظرة اصطلاحًا: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظر تما فيه معًا كيف تأتيانه. (١)

<sup>(</sup>١) فقه الائتلاف لمحمود الخزندار (صـ٧١).

<sup>(</sup>٢) المقدمة لابن خلدون (صـ ١ ٣٢).

<sup>(</sup>٣) التعريفات للجرجاني (ص٩٦).

وهي: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منها تصحيح قوله وإبطال قول الآخر؛ مع رغبة كل منهما في ظهور الحق(٢).

الجدل لغة: مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة المناظرة والمخاصمة (٢).

الجدل اصطلاحًا: مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها().

الجدال لا يبعد أن يقال أن علم الجدل هو علم المناظرة (٥).

ثانيًا: مشروعية المناظرة. (٢)

والأصل في مشروعيتها:

قوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُم بِاللَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥). وقوله: ﴿ وَلَا بَحَادِلُواْ أَهْلَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللَّا الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه؛ ولا وفَّى بموجب العلم والإيهان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين (٧٠).

ومن حق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسنان، والقلب والجنان وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان. اهـ(^).

<sup>(</sup>١) لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢١٧).

<sup>(</sup>٢) آداب البحث والمناظرة للشنقيطي صـ٣من القسم الثاني.

<sup>(</sup>٣) لسان العرب لابن منظور (١١/ ١٠٥).

<sup>(</sup>٤) التعريفات للجرجاني (صـ١٠١).

<sup>(</sup>٥) كشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٥٧٩).

<sup>(</sup>٦) انظر بالتفصيل كتاب درء تعارض العقل مع النقل لابن تيمية (٣/ ٣٧٧-٣٨٧).

<sup>(</sup>۷) مجموع فتاوي ابن تيمية (۲۰/ ١٦٤-١٦٥).

<sup>(</sup>۸) هدایة الحیاری لابن القیم ۱۰/۱.

#### ثالثًا: أنواع المناظرة.

المجادلة [المناظرة] نوعان:

الأولى: مجادلة الماراة، يهاري بذلك السفهاء ويجادل الفقهاء ويريد أن ينتصر قوله فهذه مذمومة.

وهي الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام، وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس، وقصد المباهاة والمهاراة، واستهالة وجوه الناس، وهذه منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله.

وهي يتنزل عليها كلام السلف في ذم الجدل والمجادلة.

الثانية: لإثبات الحق وإن كان عليه فهي محمودة مأمور بها. (١)

رابعًا: آداب المناظرة. للمناظرة آداب يجب مراعاتها وهي:

. أولًا: آداب خاصة بالمناظرين.

- ١) إخلاص النية لله عَجْلَتُ (١).
- $\Upsilon$ ) تقديم تقوى الله عند المناظرة $^{(T)}$ .
- ٣) يرغب المناظر إلى الله على التوفيقه لطلب الحق(١٠).
  - ٤) التحلي بالأخلاق الإسلامية (°).
- ٥) عدم إعجاب المناظر بكلام نفسه لأنه مدعاة للتعصب وضياع الحق(١).

(١) انظر: الرد على المخالف من أصول الإسلام لبكر أبو زيد (ص٧٠)، شرح حلية طلب العلم لابن عثيمين (١٨١)، الإحياء للغزالي (١/ ٧٧)، فتاوى ابن تيمية (٢٤/ ١٧١ - ١٧٦).

<sup>(</sup>٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٤٨)، فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٢٣٥).

<sup>(</sup>٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٤٧).

<sup>(</sup>٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ١٥).

<sup>(</sup>٥) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٥١)، تفسير ابن كثير (طه: ٤٤)، أصول الدعوة لبدير محمد بدير (٧٨)، وسائل الدعوة لعبد الرحيم المغذوي (٩٩).

- ٦) الإنصاف وترك التعصب وقبول الحق من أى شخص كان (٢).
- لا المواظبة على مطالعة الكتب والتمرس على المناظرة والحوار وقت فراغه ().
  - ٨) الإصلاح من اللغة وتجنب اللحن في الكلام(1).
  - ٩) ألا يتصدر للمناظرة قبل أوانه أو ما يسمى: الأهلية للمناظرة (٥).
- ١٠) تجنب المناظرة مع من هو من أهل المهابة العظمية والاحترام العظيم كيلا يدهشه جلالة خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي (٦).
  - (11) الامتناع عن مناظرة من يريد الجدال فقط وليس إظهار الحق(11)
    - ١٢) الامتناع عن مناظرة الجهال وكل لجوج (^).

#### ثانيًا: آداب خاصة بقواعد المناظرة.

- ١) أن يكون هدف المناظرة النصيحة والإفادة وإظهار الحق لا الجدال والمراء(١).
  - ٢) تحديد موضوع الجدال أو المناظرة والأطراف المشتركة فيه (١٠).
  - ٣) تحديد المنهج والضوابط التي يرجع إليها عند الاختلاف(١١).
    - (١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٥٧).
    - (٢) فقه الائتلاف لمحمود الخزندار (٤٩، ٥١، ٥٥، ٩٨).
      - (٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/٥٦).
      - (٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٥٤).
- (٥) درء تعارض العقل مع النقل لابن تيمية (٣/ ٣٨١)، أصول الرد على المخالف لبكر أبو زيد (٧٧)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٢١)، معالم السنن للخطابي (٤/ ١٤٩).
  - (٦) آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (٢/ ٩١)، وسائل الدعوة لعبد الرحيم المغذوي (٩٢).
    - (٧) أخلاق العلماء للآجري (٩٣٤) بتصرف.
    - (٨) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ١٤٦).
- (٩) فتاوى ابن تيمية (٢٤/ ١٧٣)، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٤٩)، أخلاق العلماء للآجري (٩٣٣)، الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٠٣)، أدب الدنيا والدين للماوردي (١٠٨).
  - (١٠) وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي (٩٣).
  - (١١) وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي (٩٣).

٤) مراعاة الظروف المحيطة بالمناظرة كالأشخاص والموضوع والزمان والمكان(١).

ثالثًا: آداب الحديث بين المتناظرين.

- ١) الجلوس في وقار وسكينة (٢).
- ٢) ينظر كل طرف للآخر مع حسن الاستهاع (٣).
- ٣) اختيار أحسن الألفاظ وألطفها في مخاطبة الطرف الآخر<sup>(1)</sup>.
- ٤) تجنب غريب الألفاظ ومجملها ومناسبة الكلام لموضوع المناظرة (٥).
- ٥) إعطاء المناظر فرصة لذكر أدلته دون مداخلة أو إظهار التعجب من كلامه (٢).
  - $^{(Y)}$  عدم سخرية أحدهما من الآخر $^{(Y)}$ .
  - ٧) يتجنب المناظر رفع صوته في الكلام بها يؤذي ولا يخفض بها لا يسمع (^).
- ٨) ستر عيوب المناظر والعفو عن سوء خلقه أثناء المناظرة وعدم تصيد أخطاؤه (٩).
  - ٩) التركيز أثناء المناظرة على نقاط الالتقاء ومواضع الاتفاق (١٠).
  - ١٠) لا يتحدث إذا كان في مكان المناظرة من يشهد للخصم بالزور والباطل(١١).
    - ١١) لا يجيب عن الأسئلة الموجهة لغيره (١).

<sup>(</sup>١) وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي (٩٩).

<sup>(</sup>٢) الفقيه والمتفقه (٢/ ٥١).

<sup>(</sup>٣) الفقيه والمتفقه (٢/ ٦٢)، آداب البحث للشنقيطي (٢/ ٩١).

<sup>(</sup>٤) الفقيه والمتفقه (٢/ ٧٠)، أصول الدعوة لبدير محمد بدير (١٥٦-١٥٧).

<sup>(</sup>٥) آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (٢/ ٩١).

<sup>(</sup>٦) الفقيه والمتفقه (٢/ ٦٧)، الإحياء للغزالي (١/ ٧٦)، آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (٢/ ٩١).

<sup>(</sup>٧) آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (٢/ ٩١).

<sup>(</sup>٨) الفقيه والمتفقه (٢/ ٥٤).

<sup>(</sup>٩) فتاوي ابن تيمية (٢٧/ ٣٠١)، الفقيه والمتفقه (٢/ ٦٨، ٥٧)، فقه الائتلاف لمحمود الخزندار (١٠٣).

<sup>(</sup>١٠) أصول الدعوة لبدير محمد بدير (١٥١-١٥٣).

<sup>(</sup>١١) الفقيه والمتفقه (٢/ ٥٣).

رابعًا: آداب طرح الأسئلة أثناء المناظرة.

- الإيجاز في السؤال وتوضيح معاني الكلام (١).
- $\Upsilon$ ) الإنصات عند طرح الأسئلة ولعل فيها ما يرد حجة المناظر  $\Upsilon$ .

خامسًا: آداب الردعلي أسئلة المناظر الآخر.

- ١) ألا يتعجل في إصدار الأحكام على كلام الخصم حتى يفهم مراده تمامًا(١).
  - ٢) الإجابة على قدر السؤال (°).
  - ٣) الإقناع بالدليل وتجنب القول بالهوى والعصيبة (٢).
  - تقديم النقل ونصوصه على العقل وظنونه في الاحتجاج على الخصم (٧).
    - ه) تقديم الأقوى والأهم من الأدلة (^).
    - ٦) مراعاة عدم التعارض بين الأدلة (٩).
    - ٧) تو ثيق الأدلة المستمدة من كتب المخالفين (١٠٠).
- اإذا هم برد فتبين له خطؤه فلم يذكره، فليحمد الله كالذي عصمه من الخطأ(١١).

سادسًا: آداب إنهاء المناظرة.

(١) الفقيه والمتفقه (٢/ ٦٧).

(٢) الفقيه والمتفقه (٢/ ٥٣، ٦٣)، آداب البحث والمناظرة (٦/ ٩١)، وسائل الدعوة لعبد الرحيم المغذوي (٩٩).

(٣) الفقيه والمتفقه (٢/ ٦٢).

- (٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ١٤٨)، الفقيه والمتفقه (٢/ ٥٩).
  - (٥) الفقيه والمتفقه (٢/ ٦٥).
- (٦) أصول الرد على المخالف، بكر أبو زيد (٩٠)، فقه الائتلاف لمحمود الخزندار (١٤٩).
  - (٧) وسائل الدعوة لعبد الرحيم المغذوي (٩٩).
- (٨) أصول الرد على المخالف لبكر أبو زيد (٩٠)، وسائل الدعوة لعبد الرحيم المغذوي (٩٩).
  - (٩) وسائل الدعوة لعبد الرحيم المغذوي (٩٩).
  - (١٠) أصول الردعلي المخالف لبكر أبو زيد (٨٠).
  - (١١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٦٨).

- ١) إعلان التسليم بالقضايا المتفق عليها وقبول نتائج المناظرة(١).
- التوقف عن المناظرة إذا تبين الحق وأصر المناظر على باطله (٢).
- ٣) التوقف عن المجادلة أو المناظرة إذا كانت تؤدي إلى مفسدة تلحق بالدعوة (٢).
   خامسًا: نماذج للمناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن.
- المجادلة إبراهيم النَّيْ للنمرود حينها آدعى الربوبية على قومه ودارت بينهها مناظرة ومجادلة انتهت بنصر إبراهيم النَّيْ وبهت عدوه. يقول تعالى في ذلك: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى عَالَى أَنْ وَبَالَهُ اللَّهُ اللَّهُ ٱلمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَهِمْ مَنِ ٱلَّذِى يُحْي وَيُعِيتُ قَالَ أَنَا أُحْي عَلَى عَلَى اللَّهِ عَالَ أَنَا أُحْي وَلَمُ عِنَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّاللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللللَّالَةُ الللَّهُ الللَّهُ الللللَّاللَّالَةُ اللللللَّا الللللَّالَةُ الللللَّاللَّالَةُ اللللللَّالَةُ الللَّهُ الللللللَّا ال
- ٢) مجادلة إبراهيم النفي لقومه ولأبيه في إثبات عقيدة التوحيد والملة الحنفية السمحة، وإظهار بطلان ما يعبد من دون الله وأنها لا تنفع ولا تضر وكل ذلك بالأسلوب المقنع والمنطق المهذب الاستنتاج السليم والحجة الظاهرة. يقول الله تعالى في ذلك: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ ، اَزَرَ أَتَتَخِذُ أَصْنَامًا ، اللهَةٌ إِنِّ أَرَنكَ وَقَوْمَكَ فِي صَلَالٍ مُبِينِ ﴿ وَكَذَلِكَ ثُرِيَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ ، اَزَرَ أَتَتَخِذُ أَصْنَامًا ، اللهَةٌ إِنِّ أَرَنكَ وَقَوْمَكَ فِي صَلَالٍ مُبِينِ ﴿ وَكَذَلِكَ ثُرِي إِبْرَهِيمُ مَلَكُوتَ السَّمَونِ وَالأَرْضِ وَلِيكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الْيَلُولَ وَمَا كُوكُمَا قَالَ هَذَارَقٍ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ هَذَارَقٍ فَلَمَا أَفَلَ قَالَ هَذَارَقٍ فَلَمَا أَفَلَ قَالَ هَذَارَقٍ فَلَمَا أَفَلَ قَالَ هَذَارَقٍ فَلَكُ أَلَى قَالَ اللهَ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَوْمَلَ أَنَا اللهُ ال

<sup>(</sup>١) وسائل الدعوة لعبد الرحيم المغذوي (٩٩).

<sup>(</sup>٢) أصول الرد على المخالف لبكر أبو زيد (٤٧٨).

<sup>(</sup>٣) وسائل الدعوة لعبد الرحيم المغذوي (٩٩).

<sup>(</sup>٤) وسائل الدعوة د/ عبد الرحيم المغذوي (١٠٠-١٠١)، ودرء تعارض النقل لابن تيمية (٣/ ٣٨٢).

تَتَذَكَّرُونَ ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكَتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلُ بِهِ عَلَيْتُ وَلَا تَخَافُونَ ﴿ اللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلُ بِهِ عَلَيْتُ مَا أَشْرَكُتُم اللّهِ مَا أَشْرَكُتُم اللّهِ مَا أَنْ يَا اللّهِ مَا أَنْ يَا اللّهِ مَا أَنْ يَا اللّهِ مَا أَنْ يَا مَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَنَهُم بِظُلْمٍ أُولَتِهِ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهَ تَدُونَ ﴿ أَنْ وَيَلْكَ حُجَّتُنَا آ وَاتَيْنَهُما إِبْرَهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ اللّهُ وَيَلْكَ حُجَّتُنَا آ وَاتَيْنَهُما إِبْرَهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ اللّهُ اللّهُ وَيَعْمَلُهُ مَنْ وَهُم مُهُمّ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

\* \* \*

### الفصل الثاني

المبحث الأول: حالة العالم قبل الإسلام ويشتمل هذا المبحث على المطالب الآتية:

المطلب الأول: تمهيد.

المطلب الثاني: المحاور التي يتم على أساسها تقييم أي حضارة سابقة أو لاحقة. المطلب الأول: تمهيد.

كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح الله من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف، فكانت الإنسانية متدلية منحدرة منذ قرون، وما على وجه الأرض قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردي، فقد زادتها الأيام سرعة في هبوطها وشدة في إسفافها، وكأنَّ الإنسان في هذا القرن قد نسى خالقه، فنسى نفسه ومصيره، وفقد رشده، وقوة التمييز بين الخبر والشر، والحسن والقبيح، وقد خفتت دعوة الأنبياء من زمن، والمصابيح التي أوقدوها قد انطفأت من العواصف التي هبت بعدهم أو بقيت، ونورها ضعيف ضئيل لا ينير إلا بعض القلوب فضلًا عن البيوت فضلًا عن البلاد، وقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة، ولاذوا إلى الأديرة والكنائس والخلوات، فرارًا بدينهم من الفتن وضنًّا بأنفسهم، أو رغبة إلى الدعة والسكون، وفرارًا من تكاليف الحياة وجدها، أو فشلًا في كفاح الدين والسياسة والروح والمادة، ومن بقى منهم في تيار الحياة اصطلح مع الملوك وأهل الدنيا، وعاونهم على إثمهم وعدوانهم، وأكل أموال الناس بالباطل. . . على حساب الضعفاء والمحكومين. ومن ناحية الأديان فقد أصبحت الديانات العظمى فريسة العابثين والمتلاعبين، ولعبة المحرفين والمنافقين، حتى فقدت روحها وشكلها، فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها، وأصبحت مهود الحضارة الثقافة والحكم والسياسة مسرح الفوضي والانحلال والاختلال وسوء النظام، وعسف الحكام، وشغلت بنفسها، لا تحمل للعالم رسالة ولا للأمم دعوة، وأفلست في معنوياتها، ونضب معين حياتها، لا تملك مشرعًا صافيًا من الدين السهاوي، ولا نظامًا ثابتًا من الحكم البشري. (١)

## المطلب الثاني: المحاور التي يتم على أساسها تقييم أي حضارة سابقة أو لاحقة

وسنحاول أن نستعرض واقع العالم المعروف في هذا الوقت، سواء كان محليًا - في الجزيرة العربية - أو عالميًّا، في العالم المتحضر المعروف آنذاك. ونحن نتكلم عن العصر بعد حوالي ستمائة سنة من مولد السيد المسيح الميه. كيف كان واقع العالم في ذلك الوقت؟ وكيف تغير ذلك الواقع؟ وهل يمكن للتاريخ أن يعيد نفسه؟ وهل هناك وجه تشابه بين الواقع الحالي وهذا الواقع قبل ألف وأربعهائة سنة؟

هذه أسئلة نعتقد أن الإجابة عليها سوف تعني الكثير للبشرية الحائرة التي تتخبط بين ماديات عصرية طاغية، وأحلام إنسانية لحياة أفضل، حياة مثالية تحمل الخير والعدل والرحمة للناس أجمعين.

وفي الواقع ما أشبه اليوم بالأمس، فعندما نستعرض ما كان عليه الحال قبل ألف وأربعهائة سنة قبل الرسالة؛ ستجد كثيرًا من التشابه مع ما تعيشه الإنسانية الآن سواء محليًا حيث مهد الرسالة، أو عالميًا من خلال العالم الذي يدعي التحضر اليوم. وسنقوم باستعراض سريع لواقع العالم في ذلك الزمان وفي تلك الأماكن التي كانت معروفة في ذلك الوقت، وسنعرض لمحة سريعة على التغيير الذي حدث في تلك العوالم؛ أي التأثير الذي أحدثه محمد على في زمانه ومكانه والأزمنة التي تلته والأماكن الأخرى من العالم وذلك من خلال محورين رئيسيين هما:

١ - الوضع السياسي.

٢- الوضع الأخلاقي الديني والاجتماعي.

ونرى أن هذه المحاور هي أسس تقييم أي حضارة سابقة أو لاحقة.

المحور الأول: الوضع السياسي.

كان العصر الجاهلي مسرحًا للحكم المستبد، فقد كانت السياسة في هذا العصر ملكية

<sup>(</sup>١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ ٤٠ – ٤١.

مطلقة، قد تقوم على تقديس البيوتات الخاصة، كما كان في فارس، فقد كان آل ساسان يعتقدون أن حقهم في الملك مستمد من الله، وقد عملوا كل ما في استطاعتهم للتأثير في رعاياهم حتى أذعنوا لهذا الحق الملكي المقدس وصارت لهم عقيدة يدينون بها. وقد تقوم على تقديس الملوك مطلقًا، فكان الصينيون يسمون ملكهم الإمبراطور ابن السهاء، ويعتقدون أن السهاء ذكر، والأرض أنثى، وقد ولدا الكائنات، وكان الإمبراطور ختا الأول هو بكر هذين الزوجين، وكان الإمبراطور يعتبر كالأب الوحيد للأمة، له أن يفعل ما يشاء، وكانوا يقولون له: أنت أبو الأمة وأمها، ولما مات الإمبراطور "لي يان" أو "تاي تسونغ" لبست الصين ثوب الحداد، وحزنت الأمة حزنًا شديدًا، فمنها من أثخن وجهه بالإبر، ومن قطع شعره، ومن ضرب أذنيه بجانب النعش.

وقد تقوم على تقديس بعض الشعوب والأوطان كها كان في المملكة الرومية، فكان المبدأ الأساسي هو تقديس الوطن الرومي، والشعب الرومي. ولم تكن الأمم والبلاد إلا خادمة لمصلحتها وعروقًا يجري منها الدم إلى مركزها، فكانت الدولة تستهين في ذلك بكل حق ومبدأ، وتدوس كل شرف وكرامة، وتستحل كل ظلم وشنيعة، ولا يمنع بلادًا من هذا الحيف والظلم اشتراك في دين وعقيدة ولا إخلاص ووفاء للملكة، ولا يعترف لها في زمن من الأزمان بحق حكمها نفسها بنفسها والتمتع بحقوقها في أرضها إنها هي ناقة ركوب في بعض الأحيان، حلوب في بعضها، لا يقدم لها العلف إلا ما يقيم صلبها ويدر ضرعها. وهذه بعض الأمثلة:

الدولة الرومانية. وعن حال الحكم الروماني في مصر والشام. فيقول الدكتور الفرد. ج. بتلر عن الحكم الروماني في مصر: إن حكومة مصر الرومية لم يكن لها إلا غرض واحد، وهو أن تبتز الأموال من الرعية لتكون غنيمة للحاكمين، ولم يساورها أن تجعل قصد الحكم توفير الرفاهية للرعية أو ترقية حال الناس والعلو بهم في الحياة أو تهذيب نفوسهم أو إصلاح أمور أرزاقهم، فكان الحكم على ذلك حكم الغرباء لا يعتمد إلا على القوة ولا

يحس بشيء من العطف على الشعب المحكوم. (١)

ويقول مؤرخ عربي شامي عن الحكم الروماني في الشام: كانت معاملة الرومان للشاميين بادئ ذي بدء عادلة حسنة مع ما كانت عليه مملكتهم في داخليتها من المشاغب والمتاعب. ولما شاخت دولتهم انقلبت إلى أتعس ما كانت عليه من الرق والعبودية، ولم تضف رُومية بلاد الشام مباشرة ولم يصبح سكانها وطنيين رومانيين، ولا أرضهم أرضًا رومانية، بل ظلوا غرباء ورعايا، وكثيرًا ما كانوا يبيعون أبناءهم ليوفوا ما عليهم من الأموال، وقد كثرت المظالم والسخرات والرقيق، وبهذه الأيدي عمر الرومان ما عمروا من المعاهد والمصانع في الشام. (۱)

الدولة الفارسية: ولم يكن النظام المالي والسياسة المالية في إيران عادلة مستقرة بل كانت جائرة مضطربة في كثير من الأحوال، تابعة لأخلاق الجباة العاملين وأهوائهم والأحوال السياسية والحربية.

يقول مؤلف إيران في عهد الساسانيين: كان الجباة لا يتحرزون من الخيانة واغتصاب الأموال في تقدير الضرائب وجباية الأموال، ولما كانت الضرائب تختلف كل سنة وتزيد وتنقص لم يكن دخل الدولة وخرجها مقدرين مضبوطين، وقد كانت الحرب تنشب في بعض الأحيان وليست عند الدولة أموال تنفقها على الحرب، فكان يلجئها ذلك إلى ضرائب جديدة، وكانت المقاطعات الغربية الغنية - وخاصة بابل - هدف هذه الضرائب دائمًا. (")

الجزيرة العربية: وأما في الجزيرة العربية لم تكن هناك دولة مركزية، ولكن قبائل متفرقة يغير بعضها على بعض، والبقاء للأقوى. وكانت الحروب والسلب والنهب متفشية بين هذه القبائل، لا أمان ولا عهود ولا مواثيق تحكم علاقة هذه القبائل بعضها ببعض، ولكن منطق القوة والغلبة؛ مما تولد عنه واقع العبودية وانتشارها وكثرة العبيد الذين هم أسرى هذه الحروب أو نتاج هذه المعاملة اللاإنسانية للضعفاء من البشر في هذا الزمان.

<sup>(</sup>١) فتح العرب لمصر للدكتور / ألفرد. ج. بتلر، تعريب: محمد فريد أبو حديد.

<sup>(</sup>٢) ماذا خسر العالم لأبي الحسن على الحسني الندوي (ص ٩٨ – ٩٩).

<sup>(</sup>٣) إيران في عهد الساسانيين (ص ١٦١).

ولك أن تقارن هذا الواقع قبل الرسالة وبعد ثلاثة وعشرين سنة بعد الرسالة كانت هذه الجزيرة أمة واحدة تحت لواء حاكم واحد وهو خليفة رسول الله على وأصبحت هذه القبائل المتناحرة المتقاتلة من أجل المصالح الشخصية هي نفسها التي تحارب لنشر عدل ورحمة الإسلام في بقاع الأرض واختفت هذه الحروب القبلية البغيضة وحل محلها الجهاد في سبيل الله لإخراج الشعوب المضطهدة من ظلم الواقع إلى عدالة الإسلام ومن العبادة للعباد إلى عبادة رب العباد.

كما سبق وأن ذكرنا في التمهيد أن الأديان أصبحت فريسة للعابثين والمتلاعبين، ولعبة للمحرفين والمنافقين، حتى فقدت روحها وشكلها، وسنحاول في هذا المحور أن نلقي نظرة على حالة بعض الملل قديمًا.

أولًا: اليهودية: وكانت في أوربا وآسيا وإفريقيا أمة هي أغنى أمم الأرض مادة في الدين، وأقربها فهم المصطلحاته ومعانيه، أولئك هم اليهود، ولكن لم يكونوا عاملًا من عوامل الحضارة والسياسة أو الدين يؤثر في غيرهم، بل قُضي عليهم من قرون طويلة أن يتحكم فيهم غيرهم، وأن يكونوا عرضة للاضطهاد والاستبداد، والنفي والجلاء، والعذاب والبلاء، وقد أورثهم تاريخهم الخاص وما تفردوا به بين أمم الأرض من العبودية الطويلة والاضطهاد الفظيع، والإذلال، والجشع وشهوة المال وتعاطي الربا، أورثهم كل ذلك نفسية غريبة لم توجد في أمة وانفردوا بخصائص خلقية كانت لهم شعارًا على تعاقب الأعصار والأجيال، منها الخنوع عند الضعف، والبطش وسوء السيرة عند الغلبة، والختل والنفاق في عامة الأحوال، والقسوة والأثرة وأكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله. وقد وصفهم القرآن الكريم وصفًا دقيقًا عميقًا يصور ما كانوا عليه في القرنين السادس والسابع من تدهور خلقي، وانحطاط نفسي، وفساد اجتهاعي، عزلوا بذلك عن إمامة الأمم وقيادة العالم.

ثانيًا: السيحية: لم تكن المسيحية في يوم من الأيام من التفصيل والوضوح ومعالجة مسائل الإنسان بحيث تقوم عليه حضارة، أو تسير في ضوئه دولة، ولكن كان فيها أثارة من تعليم المسيح، وعليها مسحة من دين التوحيد البسيط، فجاء بولس فطمس نورها، وطعمها

بخرافات الجاهلية التي انتقل منها، والوثنية التي نشأ عليها، وقضي قسطنطين على البقية الباقية، حتى أصبحت النصرانية مزيجًا من الخرافات اليونانية والوثنية الرومية والأفلاطونية المصرية والرهبانية، اضمحلت في جنبها تعليم المسيح البسيطة كما تتلاشى القطرة من اليم، وعادت نسيجًا خشبيًا من معتقدات وتقاليد لا تغذى الروح، ولا تمد العقل ولا تشعل العاطفة، ولا تحل معضلات الحياة، ولا تنير السبيل، بل أصبحت بزيادات المحرفين، وتأويل الجاهلين، تحول بين الإنسان والعلم والفكر، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية، يقول (Sale) مترجم القرآن إلى الانكليزية عن نصارى القرن السادس الميلادي: وأسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا في ذلك الكاثوليك في هذا العصر، وثارت حول الديانة في هذه الفترة حرب أهلية بين رعايا النصرانية، وانقسموا إلى فريقين الملكانية والمنوفيسية؛ أو نصاري الشام والدولة الرومية وبين نصاري مصر، فكان شعار الملكانية عقيدة ازدواج طبيعة المسيح، وكان المنوفيسيون يعتقدون أن المسيح له طبيعة واحدة، وهي الإلهية التي تلاشت فيها طبيعة المسيح البشرية، كقطرة من الخل تقع في بحر عميق لا قرار له، وقد اشتد الخلاف بين الفريقين، حتى صار كأنه حرب عوان بين دينين متنافسين، أو كأنه خلاف بين اليهود والنصاري، كل طائفة تقول للأخرى: إنها ليست على شيء (١).

وأما الحال الاجتهاعي والاقتصادي فقد بلغ الانحلال الاجتهاعي غايته في الدولة الرومية والشرقية، وعلى كثرة مصائب الرعية ازدادت الإتاوات، وتضاعفت الضرائب. حتى أصبح أهل البلاد يتذمرون من الحكومات. ويمقتونها مقتًا شديدًا، ويفضلون عليها كل حكومة أجنبية. وذابت أسس الفضيلة، وانهارت دعائم الأخلاق، حتى صار الناس يفضلون العزوبة على الحياة الزوجية ليقضوا مآربهم في حرية. وكان العدل كها يقول (سيل) يباع ويساوم مثل السلع. وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة التشجيع.

يقول جيبون: وفي آخر القرن السادس وصلت الدولة في ترديها وهبوطها إلى آخر

<sup>(</sup>١) ماذا خسر العالم (ص ٤٢ - ٤٣) بتصرف.

نقطة، وكان مثلها كمثل دوحة عظيمة كانت أمم العالم في حين من الأحيان تستظل بظلها الوارف، ولم يبق منها إلا الجذع الذي لا يزداد كل يوم إلا ذبولًا.

ويقول مؤلفو تاريخ العالم للمؤرخين: إن المدن العظيمة التي أسرع إليها الخراب ولم تسترد مجدها وزهرتها أبدًا، تشهد بها أصيبت به الدولة البيزنطية في هذا العهد من الانحطاط الهائل الذي كانت نتيجته المغالاة في المكوس والضرائب والانحطاط في التجارة، وإهمال الزراعة، وتناقص العمران في البلدان. (1)

ثالثًا: حالة الفرس: أما فارس فكانت تقاسم مملكة الروم حكم العالم المتمدن، ولكن كانت الحالة الأخلاقية متدهورة إلى حد بعيد، وقد انتشرت عندهم عادة نكاح المحارم وغيرها من الفعال القبيحة.

يقول البروفسور أرتهر كرستن سين أستاذ الألسنة الشرقية في جامعة كوبنهاجن بالدنهارك المتخصص في تاريخ إيران في كتابه إيران في عهد الساسانيين: إن المؤرخين المعاصرين للعهد الساساني مثل جاتهياس وغيره، يصدقون بوجود عادة زواج الإيرانيين بالمحرمات، ويوجد في تاريخ العهد الساساني أمثلة لهذا الزواج، فقد تزوج بهرام جوبين وتزوج جشتسب قبل أن يتنصر بالمحرمات (٢)، ولم يكن يعد هذا الزواج معصية عند الإيرانيين، بل كان عملًا صالحًا يتقربون به إلى الله، ولعل الرحالة الصيني هوئن سوئنج أشار إلى هذا الزواج بقوله: إن الإيرانيين يتزوجون من غير استثناء. (٣)

وظهر " ماني " في القرن الثالث المسيحي، ودعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الشر والفساد من العالم؛ فحرم النكاح استعجالًا للفناء وانتصارًا للنور على الظلمة بقطع النسل.

ثم ثارت روح الطبيعة الفارسية على تعاليم ماني المجحفة، وتقمصت دعوة مزدك الذي ولد ٤٨٧م فأعلن أن الناس ولدوا سواء لا فرق بينهم.

<sup>(</sup>١) نقلا عن: ماذا خسر العالم (ص ٤٦).

<sup>(</sup>٢) إيران في عهد الساسانيين: ترجمة الدكتور محمد إقبال (ص ٤٣٩).

<sup>(</sup>٣) المصدر السابق (ص ٤٣٠).

قال الشهرستاني: كان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك إنها يقع بسبب النساء والأموال، أحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيهها كاشتراكهم في الماء والنار والكلاً. (١)

وكان عندهم تقديس الأكاسرة، ملوك فارس حيث كانوا يدعون أنه يجري في عروقهم دم إلهي، وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة، ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئًا علويا مقدسا فكانوا يكفرون لهم، وينشدون الأناشيد بألوهيتهم، ويرونهم فوق القانون وفوق الاعتقاد وفوق البشر، لا يجري اسمهم على لسانهم؛ ولا يجلس أحد في مجلسهم، ويعتقدون أن لهم حقًا على كل إنسان، وليس لإنسان حق عليهم وأن ما يرضخون لأحد من فضول أموالهم وفتات نعيمهم إنها هو صدقة وتكرم من غير استحقاق، وليس للناس قِبلهم إلا السمع والطاعة، وخصصوا بيتًا معينًا - وهو البيت الكياني فكانوا يعتقدون أن لأفراده وحدهم الحق أن يلبسوا التاج ويجبوا الخراج، وهذا الحق ينتقل فيهم كابرًا عن كابر وأبًا عن جد لا ينازعهم ذلك إلا ظالم ولا ينافسهم إلا دعى نذل، فكانوا يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك لا يبغون به بدلًا ولا يريدون عنه محيصًا، فإذا لم يجدوا من هذه الأسرة كبيرًا ملكوا عليهم طفلًا، وإذا لم يجدوا رجلًا ملكوا عليهم امرأة فقد ملكوا بعد شيرويه ولده أزدشير وهو ابن سبع سنين وملك فرُّخ زاد خسروا ابن كسرى أبرويز وهو طفل، وملكوا بوران بنت كسرى، وملكت كذلك ابنة كسرى ثانية يقال لها أزرمي دخت ولم يخطر ببالهم أن يملكوا عليهم قائدًا كبيرًا أو رئيسًا من رؤسائهم مثل رستم وجابان وغيرهما لأنهم ليسوا من البيت الملكي. (٢)

رابعًا: الصين: وكانت تسود الصين في هذا القرن ثلاث ديانات؛ ديانة لا وتسو، وديانة كونفوشيوس، والبوذية.

أما الأولى: ففضلًا عن أنها تحولت وثنية في عهد قريب فهي تُعني بالنظريات أكثر منها

<sup>(</sup>١) الملل والنحل (١/ ٢٤٨).

<sup>(</sup>٢) ما ذا خسر العالم (ص٥٨ – ٥٩).

بالعمليات، وكان أتباعها متقشفين زاهدين، لا يتزوجون ولا ينظرون إلى المرأة ولا يتصلون بها اتصالًا، فلم يكن لها أن تكون أُسًّا لحياة سديدة أو حكومة رشيدة، حتى التجأ الذين جاءوا بعد مؤسسها إلى مخالفته والعدول عنه إلى غيره.

أما كونفوشيوس فقد كان يعني بالعمليات أكثر من النظريات، ولكن انحصرت تعاليمه في شؤون هذه الدنيا وتدبير الأمور المادية والسياسية والإدارية، وقد كان أتباعه لا يعتقدون - في بعض الأزمنة - بعبادة إله معين، فيعبدون ما يشاءون من الأشجار والأنهار، وليس فيها نور من يقين ولا باعث من إيهان ولا شرع سهاوي، وإنها هو حكمة حكيم وتجارب خبير، يستفيد بها الإنسان إذا شاء ويرفضها إذا شاء.

أما البوذية فقد فقدت بساطتها وحماستها، وابتلعتها البرهمية الثائرة الموتورة فتحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سارت. وتبني الهياكل. وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت ونزلت. وقد غمرت هذه التماثيل الحياة الدينية والمدنية التي ظهرت في عهد ازدهار البوذية.

يقول الأستاذ ايشوراتوبا أستاذ تاريخ الحضارة الهندية في إحدى جامعات الهند: لقد قامت في ظل البوذية دولة تعني بمظاهر الآلهة وعبادة التماثيل وتغير محيطا لرابطات الأخوية البوذية، وظهرت فيها البدع.

ولاحظ ذلك أيضًا أحد الكتاب العصريين وكبار السياسيين في الهند فقال: جعلت البرهمية بوذا مظهرًا للآلهة، وقلدتها في ذلك البوذية نفسها، وأصبحت الرابطة الأخوية البوذية تملك ثروة هائلة، وأصبحت مركزًا لمصالح جماعات خاصة، وفقدت النظام وتسرب إلى مناهج العبادة السحر والأوهام، وبدأت الديانة تتقهقر وتنحط بعدما سادت في الهند وازدهرت ألف سنة. (۱)

خامسًا: أمم آسيا الوسطى: أما الأمم الأخرى في آسيا الوسطى وفي الشرق، كالمغول والترك واليابانيين، فقد كانت بين بوذية فاسدة، ووثنية همجية، لا تملك ثروة علمية، ولا

<sup>(</sup>١) ماذا خسر العالم (ص ٦٦).

نظامًا سياسيًا راقيًا، إنها كانت في طور الانتقال من عهد الهمجية إلى عهد الحضارة، ومنها شعوب لا تزال في طور البداوة والطفولة العقلية.

سادسا: الهند: أما الهند فقد اتفقت كلمة المؤلفين في تاريخها على أن أَحَط أدوارها ديانة وخلقًا واجتهاعًا ذلك العهد الذي يبتدئ من مستهل القرن السادس الميلادي، قد ساهمت الهند جاراتها وشقيقاتها في التدهور الخلقي والاجتهاعي، الذي شمل الكرة الأرضية في هذه الحقبة من الزمن وأخذت نصيبًا غير منقوص من هذا الظلام الذي مد رواقه على المعمورة، وامتازت عنها في ظواهر وخلال، يمكن أن نلخصها في ثلاث:

- (١) كثرة المعبودات والآلهة كثرة فاحشة.
  - (٢) الشهوة الجنسية الجامحة.
- (٣) التفاوت الطبقي المجحف والامتياز الاجتماعي الجائر.

أولًا: كثرة المعبودات والآلهة كثرة فاحشة - الوثنية المتطرفة -: قد بلغت الوثنية أوجها في القرن السادس، فقد كان عدد الآلهة في "ويد" ثلاثة وثلاثين، وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠ مليون، وقد أصبح كل شيء رائع وكل شيء جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة إلما يعبد، وهكذا جاوزت الأصنام والتهاثيل والآلهة والإلاهات الحصر وأربت على العد، فمنها أشخاص تاريخية، وأبطال تمثل فيهم الله-زعموا- في عهود وحوادث معروفة، ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس "مهاديو" الإله، ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة والأجرام الفلكية وغير ذلك، وأصبحت الديانة نسيجًا من خرافات وأساطير وأناشيد وعقائد وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يستسغها العقل السليم في زمن من الأزمان.

ثانيًا: الشهوة الجنسية الجامحة: وأما الشهوة فقد امتازت بها ديانة الهند ومجتمعها منذ العهد القديم، فلعل المواد الجنسية والمهيجات الشهوية لم تدخل في صميم ديانة بلاد مثل ما دخلت

في صميم الديانة الهندية، وقد تناقلت الكتب الهندية وتحدثت الأوساط الدينية عن ظهور صفات الإله وعن وقوع الحوادث العظيمة وعن تعليل الأكوان روايات وأقاصيص عن اختلاط الجنسين من الآلهة وغارة بعضها على البيوت الشريفة تستك منها المسامع، ويتندى لها الجبين حياء، وتأثير هذه الحكايات في عقول المتدينين المخلصين المرددين لهذه الحكايات في إيمان وحماسة دينية وفعلها في عواطفهم وأعصابهم واضح، زد إلى ذلك عبادتهم لآلة التناسل لإلههم الأكبر"مهاديو "، وتصويرها في صورة بشعة، واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال وبنات، زد إليه كذلك ما يحدث به بعض المؤرخين أن رجال بعض الفرق الدينية كانوا يعبدون النساء العاريات والنساء يعبدن الرجال العراة، وكان كهنة المعابد من كبار الخونة والفساق الذين كانوا يرزءون الراهبات والزائرات في أعز ما عندهن، وقد أصبح كثير من المعابد مواخير يترصد فيها الفاسق لطلبته، وينال فيها الفاجر بغيته، وإذا كان هذا شأن البيوت التي رفعت للعبادة والدين فما ظن القارئ ببلاط الملوك وقصور الأغنياء؟! فقد تنافس فيها رجالها في إتيان كل منكر وركوب كل فاحشة، وكان فيها مجالس مختلطة من سادة وسيدات، فإذا لعبت الخمر برؤوسهم خلعوا جلباب الحياء والشرف وطرحوا الحشمة فتوارى الأدب وتبرقع الحياء. . . هكذا أخذت البلاد موجة طاغية من الشهوات الجنسية والخلاعة، وأسفَّت أخلاق الجنسين إسفافًا كبرًا.

ثالثا: التفاوت الطبقي المجحف والامتياز الاجتماعي الجائر: ووضع لهم " منو " أيضا نظام الطبقات الجائر حيث يقسم هذا القانون أهل البلاد إلى أربع طبقات ممتازة وهي:

- (١) البراهمة، طبقة الكهنة ورجال الدين.
  - (٢) شتري رجال الحرب.
  - (٣) ويش رجال الزراعة والتجارة.
    - (٤) شودر رجال الخدمة.

ويقول منو مؤلف هذا القانون:

إن القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم البراهمة من فمه، وشتري من سواعده، وويش من أفخاذه، والشودر من أرجله، ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم. فعلى البراهمة تعليم ويد أو تقديم النذور للآلهة وتعاطي الصدقات، وعلى الشتري حراسة الناس والتصدق وتقديم النذور ودراسة ويد والعزوف عن الشهوات، وعلى ويش رعي السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة ويد والتجارة والزراعة، وليس لشودر إلا خدمة هذه الطبقات الثلاث. (1)

وأما المرأة في المجتمع الهندي فقد نزلت في هذا المجتمع منزلة الإماء، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القيار، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج، فإذا مات زوجها صارت كالموءودة لا تتزوج، وتكون هدف الإهانات والتجريح، وكانت أمة بيت زوجها المتوفى وخادم الأحماء وقد تحرق نفسها على إثر وفاة زوجها تفاديًا من عذاب الحياة وشقاء الدنيا. وهكذا صارت هذه البلاد المخصبة أرضًا وعقولًا، وهذه الأمة التي وصفها بعض مؤرخي العرب بكونها معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة وأهل الأحلام الراجحة والآراء الفاضلة؛ لبعد عهدها عن الدين الصحيح وضياع مصادره وتحريف رجال الدين وإمعان الناس في القياس والتخمين واتباع هوى النفوس ونزعات رجال الدين وإمعان الناس في القياس والتخمين واتباع هوى النفوس ونزعات الشهوات. أصبحت هذه البلاد مسرحًا للجهل الفاضح والوثنية الوضيعة والقسوة الهمجية والجور الاجتماعي الذي ليس له مثيل في الأمم ولا نظير في التاريخ. (٢)

سابعًا: العرب: أما العرب فقد امتازوا بين أمم العالم وشعوبه في العصر الجاهلي بأخلاق ومواهب تفردوا بها أو فازوا فيها بالقِدْح المعلَّى، كالفصاحة، وقوة البيان، وحب الحرية والأنفة والفروسية والشجاعة والحاسة في سبيل العقيدة، والصراحة في القول، وجودة الحفظ، وقوة الذاكرة، وحب المساواة، وقوة الإرادة، والوفاء والأمانة. ولكن ابتلوا في العصر

<sup>(</sup>١) ماذا خسر العالم صد ٧٧ - ٧٣.

<sup>(</sup>٢) ماذا خسر العالم (٧٥ – ٧٦).

الأخير - لبعد عهدهم من النبوة والأنبياء وانحصارهم في شبه جزيرتهم وشدة تمسكهم بدين الآباء وتقاليد أمتهم بانحطاط ديني شديد ووثنية سخيفة قلما يوجد لها نظير في الأمم المعاصرة، وأدواء خلقية واجتماعية جعلت منهم أمة منحطة الأخلاق، فاسدة المجتمع متضعضعة الكيان حاوية لأسوأ خصائص الحياة الجاهلية وبعيدة عن محاسن الأديان.

كان الشرك هو دين العرب العام والعقيدة السائدة، كانوا يعتقدون في الله أنه إله أعظم خالق الأكوان ومدبر السهاوات والأرض، بيده ملكوت كل شيء فلئن سئلوا: من خلق السهاوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم، ﴿ وَلَمِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ولكن ما كانت حوصلة فكرهم الجاهلي تسع توحيد الأنبياء في خلوصه وصفائه وسموه، وما كانت أذهانهم البعيدة العهد بالرسالة والنبوة والمفاهيم الدينية تسيغ أن دعاء أحد من البشر يتطرق إلى السموات العلى ويحظي عند الله بالقبول مباشرة بغير واسطة وشفاعة، قياسًا على هذا العالم القاصر وعاداته، وأوضاع الملوكية الفاسدة، ومجاري الأمور فيها، فبحثوا لهم عن وسطاء توسلوا بهم إلى الله وأشركوهم في الدعاء، وقاموا نحوهم ببعض العبادات ورسخت في أذهانهم فكرة الشفاعة حتى تحولت إلى عقيدة قدرة الشفعاء على النفع والضرر. ثم ترقوا في الشرك فاتخذوا من دون الله آلهة، واعتقدوا أن لهم مماثلة ومشاركة في تدبير الكون، وقدرة ذاتية على النفع والضرر والخير والشر والإعطاء والمنع، فإذا كانوا الأولون يعترفون لله بالألوهية والربوبية الكبرى، ويكتفون بالشفعاء والأولياء كان الآخرون يشركون آلهتهم مع الله ويعتقدون فيهم قدرة ذاتية على الخير والشر والنفع والضر والإيجاد والإفناء مع معنى غير واضح عن الله كإله أعظم ورب الأرباب. (١) وانتشر في جزيرة العرب عبادة الأصنام بأبشع أشكالها، فكان لكل قبيلة أو ناحية أو مدينة صنم خاص، بل كان لكل بيت صنم خصوصي.

قال الكلبي: كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم

<sup>(</sup>١) بيئة النبي ﷺ من القرآن، للأستاذ محمد عزت دروزة.

السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفر كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضًا. (١)

واستهترت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتًا، ومنهم من اتخذ صنيًا، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجرًا أمام الحرم، وأمام غيره، مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب.

وكان في جوف الكعبة - البيت الذي بني لعبادة الله وحده - وفي فنائها ثلاث مائة وستون صنيًا، وتدرجوا من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة جنس الحجارة، فعن أبي رجاء العطاردي قال: كنا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجرًا، جمعنا حثوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به ("). وقال الكلبي: كان الرجل إذا سافر فنزل منزلًا أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًا، وجعل ثلاث أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه (").

وانتشرت اليهودية والنصرانية في بلاد العرب، ولم تستفد منها العرب كثيرًا من المعاني الدينية، وكانتا نسختين من اليهودية في الشام، والنصرانية في بلاد الروم والشام قد طرأ عليها من التحريف والزيغ والوهن ما شرحناه من قبل.

الأدواء الخلقية والاجتماعية عند العرب: أما من جهة الأخلاق، فكانت فيهم أدواء وأمراض متأصلة، وأسبابها فاشية، فكان شرب الخمر واسع الشيوع شديد الرسوخ فيهم تتحدث عن معاقرتها والاجتماع على شربها الشعراء، وشغلت جانبًا كبيرًا من شعرهم وتاريخهم وأدبهم، وكثرت أسمائها وصفاتها في لغتهم، وكثر فيها التدقيق والتفصيل كثرة تدعو إلى العجب<sup>(3)</sup>، وكانت حوانيت الخمارين مفتوحة دائيًا، يرفرف عليها علم يسمى

<sup>(</sup>١) كتاب الأصنام لهشام بن محمد الكلبي ص. .

<sup>(</sup>٢) البخاري (٤١١٧).

<sup>(</sup>٣) الأصنام لابن الكلبي (ص٣٣).

<sup>(</sup>٤) انظر: المخصص لابن سيده (١١/ ٨٢ – ١٠١).

غاية، وكان أهل الحجاز، العرب واليهود، يتعاطون الربا، وكان فاشيًا فيهم، وكانوا يجحفون فيه ويبلغون إلى حد الغلو والقسوة.

ولم يكن الزني نادرًا وكان غير مستنكر استنكارًا شديدًا، فكان من العادات أن يتخذ الرجل خليلات ويتخذ النساء أخلاء بدون عقد، وكانوا قد يُكرهون بعض النساء على الزني. عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِي ﷺ قالت: النِّكَاحِ في الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ، يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لِإِمْرَأَتِهِ إِذَا طَهْرَتْ مِنْ طَمْثِهَا أُرسلي إِلَى فُلاَنٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ. وَيَعْتَزِلُهُمَا زَوْجُهَا، وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الذي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبُّ، وَإِنُّهَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً في نَجَابَةِ الْوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الإسْتِبْضَاع، وَنِكَاحٌ آخَرُ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشَرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمُرْأَةِ كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا. فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا ليالي بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلُ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا تَقُولُ لَهُمْ قَدْ عَرَفْتُمُ الذي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ، وَقَدْ وَلَدْتُ فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ. تُسَمِّى مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ، فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ. وَنِكَاحُ الرَّابِعِ يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمُرْأَةِ لاَ تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا وَهُنَّ الْبَغَايَا كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَاجُنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَمَا وَدَعَوْا لَمُهُمُ الْقَافَةَ ثُمَّ أَلْحُقُوا وَلَدَهَا بِالذي يَرَوْنَ فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِى ابْنَهُ لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحُقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ، إِلاَّ نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ. (١)

المرأة في المجتمع الجاهلي: وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة غبن وحيف، وتؤكل حقوقها وتُبتُز أموالها وتُحرم إرثها وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجًا ترضاه، وتورث كما يورث المتاع أو الدابة. وقال السُدي: إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فإذا مات وترك امرأته فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق

<sup>(</sup>١) البخاري (١٢٧٥).

بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو يُنكحها فيأخذ مهرها، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهي أحق بنفسها، وكانت المرأة في الجاهلية يطفف معها الكيل، فيتمتع الرجل بحقوقه ولا تتمتع هي بحقوقها، يؤخذ مما تؤتي من مهر وتمسك ضرارًا للاعتداء، وتلاقي من بعلها نشوزًا أو إعراضًا وتترك في بعض الأحيان كالمعلقة، ومن المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث، وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد.

وكانوا يقتلون البنات ويئدونهن بقسوة نادرة في بعض الأحيان، فقد يتأخر وأد الموءودة لسفر الوالد وشغله فلا يئدها إلا وقد كبرت وصارت تعقل، وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات، وقد كان بعضهم يلقى الأنثى من شاهق.

العصبية القبلية والدموية في العرب: كانت العصبية القبلية والدموية شديدة جاعة. وكانت في المجتمع العربي طبقات وبيوت ترى لنفسها فضلًا على غيرها، وامتيازًا، فتترفع على الناس ولا تشاركهم في عادات كثيرة حتى في بعض مناسك الحج، فلا تقف بعرفات وتتقدم على الناس في الإفاضة والإجازة، وتنسأ الأشهر الحرم، وكان النفوذ والمناصب العليا والنسيء متوارثًا، يتوارثه الأبناء عن الآباء، وكانت طبقات مسخرة وطبقات شوقة وعوام، فكان التفاوت الطبقي من مسلمات المجتمع العربي.

وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج، ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة، ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء، وكان النور الضعيف الذي يتراءى في هذا الظلام المطبق من بعض الأديرة والكنائس أشبه بالحباحب الذي يضيء في ليلة شديدة الظلام فلا يخترق الظلام، ولا ينير السبيل، وكان الذي يخرج في ارتياد العلم الصحيح، وانتجاع الدين الحق يهيم على وجهه في البلاد، ترفعه أرض وتخفضه أخرى، حتى يأوي إلى رجال شواذ في الأمم والبلاد، فيلجأ إليهم كما يلجأ الغريق إلى ألواح سفينة مكسرة، هشمها الطوفان، يدل على ندرتهم خبر سلمان الفارسي أكبر الرواد الدينيين في

القرن السادس الذي شرق وغرب في الفحص عنهم، ولم يزل يتنقل من الشام إلى الموصل، ومن الموصل إلى نُصيبين، ومن نصيبين إلى عمورية، ويوصي به بعضهم إلى بعض، حتى أتى على آخرهم فلم يجد لهم خامسًا، وأدركه الإسلام في هذا الظلام.

قال سلمان ها: قدمت الشام، فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال: فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك، قال: فادخل فدخلت معه، قال: فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء، اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، قال: وأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئا، قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: قلت أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، قال: فأريتهم موضعه، قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا، قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدا فصلبوه، ثم رجموه بالحجارة.

ثم جاءوا برجل آخر، فجعلوه بمكانه، قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلا ونهارا منه، قال: فأحببته حبا لم أحبه من قبله، فأقمت معه زمانا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان إني كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه من قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟، قال: أي بني والله ما أعلم أحدا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلا بالموصل، وهو فلان، فهو على ما كنت عليه، فالحق به.

قال: فلما مات وغيب، لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان، إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا

فلان، إن فلانا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه إلا بنصيبين، وهو فلان، فالحق به، قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجئته فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فو الله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر، قلت له: يا فلان، إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وما تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما نعلم أحدا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، قال: فإنه على أمرنا.

<sup>(</sup>١) حسن. أخرجه أحمد (٥/ ٤٤١). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٩٤)، وانظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص ٧٦ - ٩٢).

#### المبحث الثاني: الإسلام وبيان معناه.

ويشتمل على المطالب الآتية: المطلب الأول: معنى الإسلام.

لقد عُرف الإسلام بتعريفات عديدة ووصف بأوصاف كثيرة.

فمن مُعرِّف ببيان أركانه وذكر ما يحتويه. ومن معرف للإسلام بذكر صفة المسلم الذي ينطبق عليه صفات الإسلام، وغير ذلك من التعريفات.

ومن أشهرها تعريف النبي على لل الله عبريل النه ما الإسلام قال على: " الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَه إِلَا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله على، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُوْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله على الْبَيْتَ إِنْ الله عَلَى الْبَيْتَ إِنْ الله عَلَى الْبَيْتَ إِنْ الله عَلَى الْبَيْتَ إِنْ الله عَلَى ا

وقيل: الإسلام: هو الاستسلام لله وحده وهو أصل عبادته وحده وذلك يجمع معرفته ومحبته والخضوع له.

وهذا المعنى الذي خلق الله له الخلق هو أمر وجودي من باب المأمور به (٣).

فالإسلام: هو استسلام وطاعة؛ استسلام لله وللمنهج الذي وصفه وارتضاه للناس كافة، وطاعة لله ولرسوله؛ طاعة لله بالاستسلام لأوامر، وطاعة لرسوله باتباعه وعدم مخالفته.

والإسلام: مصدر أسلم وهو يأتي بمعنى خضع واستسلم، وبمعنى أدى؛ يقال أسلمت الشيء إلى فلان إذ أديته إليه، وبمعنى دخل في السلم وهو بالفتح والكسر بمعنى الصلح والسلامة وبالتحريك الخالص من الشيء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَنْدُ ﴾ (آل عمران: ١٩). فهو دين الحق. فالمسلم الحقيقي ماكان خالصًا من شوائب الشرك بالرحمن، مخلصًا في أعماله مع الإيمان. ذلك لأن الله شرع الدين لأمرين أصليين:

<sup>(1)</sup> مسلم (A).

<sup>(</sup>٢) تفسير القرطبي (٤/ ٤٦).

<sup>(</sup>٣) مجموع فتاوي ابن تيمية (٢١٦/٢).

أحدهما: تصفية الأرواح، وتخليص العقول من شوائب الاعتقاد بالسلطة الغيبية للمخلوقات وقدرتها على التصرف في الكائنات لتسلم من الخضوع والعبودية لمن هم من أمثالها أو لما هو دونها في استعدادها وكمالها.

وثانيهما: إصلاح القلوب بحسن القصد في جميع الأعمال، وإخلاص النية لله وللناس. فمتى حصل الأمران انطلقت الفطرة من قيودها العائقة لها عن بلوغ كمالها في أفرادها وجمعياتها.

وهذان الأمران هما روح المراد من كلمة الإسلام. أما أعمال العبادات:

فإنها شرعت لتربية هذا الروح الأمري في الروح الخلقي، ولذلك شرط فيها النية والإخلاص، ومتى تربى سهل على صاحبه القيام بسائر التكاليف الأدبية والمدنية التي يصل بها إلى المدينة الفاضلة وتحقيق أمنية الحكهاء (١٠).

وقيل الإسلام: هو علم بالغلبة على مجموع الذي جاء به محمد على كما أطلق على ذلك الإيمان أيضًا (٢).

فمضمون الإسلام هو توحيد الله والإخلاص له والإيهان برسوله محمد والإيهان بالله بجميع المرسلين مع الإيهان بوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج والإيهان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره والإيهان بكل ما أخبر الله به ورسوله. المطلب الثاني: الإسلام هو دين الفطرة.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِدْ وَجَهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا نَبْدِيلَ لِيَحْلَقِ ٱللَّهِ اللَّهِ عَلَمُونَ ۞ ﴿ (الروم: ٣٠).

أي: إذا تبين لك أحوال المعرضين عن دلائل الحق فأقم وجهك للدين. وإقامة الوجه تقويمه وتعديك باتجاهه قبالة نظره غير ملتفت يمينًا ولا شمالًا. فأقم وجهك لدين الإسلام حنيفًا وهو الميل عن الباطل أي العدول عنه بالتوجه إلى الحق فطرة الله، والفطرة

<sup>(</sup>١) تفسير المنار (٣/ ٢٥٧) بتصرف.

<sup>(</sup>۲) تفسیر ابن عاشور (۳/ ۱۹۰).

أصلها اسم هيئة وهو الخلق مثل الخلقة كما بينه قوله: ﴿ فِطْرَتَ اللهِ اللَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم: من الآية ٣٠). والمعنى: فطر الناس على الدين الحنيف أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين، وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم؛ غير مجافية لها غير نائين عنه، ولا منكرين له، مثل إثبات الوحدانية لله لأن التوحيد هو الذي يسوق العقل والنظر الصحيح، حتى لو ترك الإنسان تفكيره ولم يلقن اعتقادًا ضالًا؛ لاهتدى إلى التوحيد بفطرته. فالفطرة هي الخلقة والهيئة التي في نفس الإنسان التي هي معدّة ومهيئة لأن يميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه.

فالله عَلَىٰ خلق الناس سالمة عقولهم مما ينافي الفطرة من الأديان الباطلة والعادات الذميمة، وأن ما يدخل عليهم من الضلالات ما هو إلا من جراء التلقي والتعود وقد قال النبي عَلَيْهِ: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبُواهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءً"(١).

قال النبي ﷺ قال فيها يرويه عن ربه: "وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَنْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمُ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا. . . (٢)

فوصف الإسلام بأنه فطرة الله معناه أن أصل الاعتقاد فيه جاء على مقتضى الفطرة العقلية.

وأما تشريعاته وتفاريعه فهي إما أمور فطرية أيضًا أي: جارية على وفق ما يدركه العقل ويشهد به، وإما أن تكون لصلاحه مما لا ينافي فطرته، وقوانين المعاملات هي راجعة إلى ما تشهد به الفطرة لأن طلب المصالح من الفطرة.

واعلم أن شواهد الفطرة قد تكون واضحة بينة وقد تكون خفية، فالفطرة وهي الإسلام تسمى أيضًا بالضرورات العقلية وهي التي لا يستغني عنها أحد ولا يحاول في

<sup>(</sup>۱) البخاري (۱۳۵۸)، مسلم (۲۲۵۸).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۸۲۵).

التصديق بها والتحاكم إليها إلا من فقد عقله، وطمست بصيرته، ومسخت فطرته، وارتضى لنفسه طريق العناد والاستكبار (١).

لذا فإن الإسلام دين كل الأنبياء؛ فالإسلام ليس اسمًا لدين خاص؛ وإنها هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْ مَا لِلَّهِ اللَّهِ عَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْ مَا للَّهِ مَا لا الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْ مَا للَّهِ مَا لا الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْ مَا للَّهِ مَا لا الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْ مَا لَا لللَّهِ عَالَى اللَّهِ عَالَى اللهِ عَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عَنْ اللَّهِ عَالَى اللهِ عَالَى اللهِ عَالَى اللَّهُ عَاللَّهُ اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَمُ اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَّا عَلَّا عَلَّهُ عَلَّا عَلَّهُ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَا

فدين الله الذي بعث به أنبياءه من أولهم إلى آخرهم دين واحد هو دين الإسلام.

فلا يجوز التفريق بين رسل الله قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكُفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَعُولُونَ فَرْمِنُ بِبَعْضِ وَنَحَمْرُ بِبَعْضِ وَيُرِيدُونَ وَيُورِيدُونَ أَن يُفَرِقُوا بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَعُولُونَ فَمُ الْكَفِرُونَ حَقًا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ عَذَابًا مُهِيئًا أَن يَتَخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيِيلًا ﴿ أَنْ أَوْلَيْكَ هُمُ الْكَفِرُونَ حَقًا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَفِرِينَ عَذَابًا مُهِيئًا الله وَرُسُلِهِ وَلَمَ يُعَرِقُوا بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ أَوْلَيْكَ سَوْفَ يُوْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٠: ١٥١) فهذا نوح عليه السلام يقول: ﴿ وَأَمِرتُ أَنَ أَكُنَ اللّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٠: ١٥٠) فهذا نوح عليه السلام يقول: ﴿ وَأَمِرتُ أَنَ أَكُنَ مَنْ اللّهَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٠). وهذا إبراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ وَأَسْلِمُ قَالُ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ مَن الْمُسْلِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣١). وهذا يعقوب يوصي بنيه فيقول: ﴿ يَبَهُونَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ اللّهَ الْمَعْتُ لِكِنَ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ اللّهَ اللهَ الله الله وَمَن مِنْ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَيْهَ وَ إِلّهُ عَابَآبِكَ إِنَاهِمِ يَعْفُوبَ الْمَوْتُ إِلَا اللّهُ الْمَعْلِيدِ وَيَعْدُ اللّهُ يقول: ﴿ أَنْتُو مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣١). ويوسف الله يقول: ﴿ أَنْتَ وَلِيءَ فِي اللّهُ الْمَالَةُ عَنْهُ الْمُونَ اللّهُ الْمَعْدُ اللّهُ الْمَعْلَى اللّهُ الْمَعْدُ اللّهُ الْمُونَ اللّهُ الْمَعْدُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَكُولُهُ وَلَوْلَا اللّهُ الْمُعْدُونَ اللّهُ الْمُولُونَ اللّهُ الْمُعْدُلُولُ اللّهُ الْمُعْدُلُولُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ

وعن الحواريين أصحاب عيسى العَلَى قالوا: ﴿ مَامَنَا وَاشْهَدْ بِأَنَنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (المائدة: ١١١) وقال محمد عليه: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الزمر: ١٢). فالإسلام هو ما بعث الله به جميع الأنبياء والمرسلين من لدن نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (٢٠).

<sup>(</sup>١) راجع: الفصل لابن حزم (١/ ٤٣)، وتفسير ابن عاشور (٢١/ ٨٧)، وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٤).

<sup>(</sup>٢) راجع: فتاوى ابن تيميــة (١٩/ ٩٥)، وتفســير القرطبــي (١٥/ ٢٣٢)، وتفســير ابــن عاشـــور (٦/ ٩)،

وقد خص الله تعالى محمدًا ﷺ بخصائص ميزه الله بها على جميع الأنبياء والمرسلين وجعل له شِرْعةً ومنهاجًا أفضل شرعة وأكمل منهاج مبين (۱).

# المطلب الثالث: التوحيد وأقسامه.

التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ عَقَالَ يَنَقُومِ اعْبُدُوا اللّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَامٍ غَيْرُهُ وَ اللّهِ عَالَى الله عَدْرُهُ وَ اللّهِ عَالَى الله عَدْرُهُ وَ اللّهِ عَالَى الله عَدْرُهُ وَ اللّهِ عَدْرُهُ وَ اللّهُ وَاللّهُ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَامٍ عَيْرُهُ وَ اللّهِ عَلَى اللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَامٍ عَيْرُهُ وَ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

فالتوحيد أول ما يدخل في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ: "مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله دَخَلَ الجُنَّةُ (''. فالتوحيد أول الأمر وآخره.

والتوحيد لا يخرج عن أقسام ثلاثة هي محصل ما ورد في الكتاب والسنة.

أحدها: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

والثاني: توحيد الإلهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له.

وشرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٢١).

<sup>(</sup>١) راجع: الجواب الصحيح (١/ ٥)، وتفسير المنار (٦/ ١٨٤).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢٥)، مسلم (٢٢).

<sup>(</sup>٣) شرح العقيدة الطحاوية صـ ١٦.

<sup>(</sup>٤) أخرجه أبو داود (٣١٠٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٥١)، وحسنه الألباني في الإرواء (٦٨٧).

والثالث: الكلام في الصفات. (١)

ولنشرع الآن في بيان أنواع التوحيد وهذا التقسيم مستفاد من نصوص الوجهين وفصله العلماء بهذا التفصيل تيسيرا على المسلمين لدراسة عقيدتهم.

# أولًا: توحيد الربوبية.

وهو الإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية. وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار بعيره من الموجودات، القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيها حكى الله عنهم: ﴿ ﴿ قَالَتَ رُسُلُهُم الْفِ اللّهِ شَافُ فَاطِر السّمَواتِ وَاللّهُ مَا اللهُ عنهم عنه الله عنهم عنه الله عنهم عنه الأمور، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل ما سواه إذا قدر سببًا فلا بد له من شريك معاون وضد معوق، فإذا طلب عا سواه إحداث أمر من الأمور وحده عليه، حتى ما طلب عا سواه إحداث أمر من الأمور طلب منه ما لا يستقل به ولا يقدر وحده عليه، حتى ما يطلب من العبد من الأفعال الاختيارية لا يفعلها إلا بإعانة الله له ".

ومن خصائص الربوبية أنه مالك خلقه، وأنشأهم لا عن حاجة إلى ما خلق ولا معنى دعاه إلى أن خلقهم، لكنه فعال لما يشاء ويحكم كما يريد، لا يسأل عما يفعل، والخلق مسؤلون عما يفعلون (1).

فمشيئة الله وحده مستلزمة لكل ما يريده، فها شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما سواه لا تستلزم إرادته شيئا؛ بل ما أراده لا يكون إلا بأمور خارجة عن مقدوره إن لم يعنه الرب بها لم يحصل مراده، ونفس إرادته لا تحصل إلا بمشيئة الله تعالى. كها قال تعالى: ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن

<sup>(</sup>١) شرح الطحاوية صـ ١٦.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق صـ١٧.

<sup>(</sup>٣) مجموع فتاوي ابن تيمية (١٠/ ٣٣١).

<sup>(</sup>٤) اعتقاد أثمة الحديث لأبي بكر الإسهاعيلي (ص٥١).

يَسْتَقِيمَ ﴿ وَمَا نَشَآءُونَ إِلَّا أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٨، ٢٩). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَا مَنْ مَنَا أَهُونَ إِلَّا أَن يَشَآءُ وَنَ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا عَكِيمًا ﴿ وَهَا لَمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْ

وبالجملة يمكن تلخيص معنى هذا التوحيد بأنه الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيان بالقدر (٢). وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام بل لابد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية، لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله تعالى وحده.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَدَر وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَى مِن ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِن ٱلْمَيْتِ مِن ٱلْمَيْتِ مِن ٱلْمَيْتِ مِن اللَّهِ مَن عَلَقَهُمْ لَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ ٱلْمَلَا نَتَقُونَ اللَّهُ (الزخرف: ٨٧). وقال تعالى: ﴿ وَلَهِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴿ (الزخرف: ٨٧). وقال تعالى: ﴿ وَلَهِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴿ (الزخرف: ٨٧). وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُعِيبُ ٱلْمُصْطَرِّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (النمل: ٦٢).

فهم كانوا يعلمون أن جميع ذلك لله وحده ولم يكونوا بذلك مسلمين، بل قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكُ ثُرُهُم مِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ ﴿ يُوسَفَ: ١٠٦). قال مجاهد في الآية: إيهانهم بالله قولهم: إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيهان مع شرك عبادتهم غيره. . .

فتبين أن الكفار يعرفون الله ويعرفون ربوبيته، وملكه وقهره وكانوا مع ذلك يعبدونه ويخلصون له أنواعًا من العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الاضطرار ونحو ذلك (٣).

<sup>(</sup>۱) مجموع فتاوي ابن تيمية (۱/ ٣٣١، ٣٣٢).

<sup>(</sup>٢) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليان بن عبد الله آل الشيخ (صـ١٧).

<sup>(</sup>٣) تيسير العزيز الحميد صـ١٧، ١٨.

# ثَانيًا: توحيد الألوهية (توحيد العبادة).

هو عبادة الله وحده لا شريك له. وأن لا نعبده إلا بها أحبه وما رضيه. وهو ما أمر به وشرعه على ألسن رسله – صلوات الله عليهم – فهو متضمن لطاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فهذا التوحيد – توحيد الألوهية – يتضمن فعل المأمور وترك المحظور. ومن ذلك: الصبر على المقدور، وهذا التوحيد: هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة. فمن لم يأت به كان من المشركين الحالدين في النار. فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (۱). ومن معانيه أيضًا تجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضى به ربًا وإلمًا ووليًا، وأن لا يجعل له عِدلًا في شيء من الأشياء. وسورة (الكافرون) فيها وإياب عبادته وحده لا شريك له، والتبري من عبادة كل ما سواه (۱).

وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُهُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِبُ ۞ ، وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدُهُ وَاصْطِيرِ لِعِبَدَيَّ عَلَى تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۞ ﴾ (مريم: ٢٥). وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكُلْتُ وَإِلَيْهِ أَبِيبُ ۞ ﴾ (هود: ٨٨)، وقوله: ﴿ وَاعْبُدُ رَبِّكَ حَتَّى رَبِّكَ حَتَّى إِلَيْهِ أَبِيبُ ۞ ﴾ (هود: ٨٨)، وقوله: ﴿ وَاعْبُدُ رَبِّكَ حَتَّى يَأْلِيكَ ٱلْيَقِيثُ ۞ ﴾ (الحجر: ٩٩) ٣ . وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول: لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية والإجلال والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خُلِقتْ الخليقة، وأُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبُّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمُ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَكُمْ تَتَقُونَ ۞ ﴾ (البقرة: ٢١). فهذا أول أمر في القرآن، وقال تعالى: وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَكُمْ تَتَقُونَ ۞ ﴿ (البقرة: ٢١). فهذا أول أمر في القرآن، وقال تعالى: وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَكُمْ تَتَقُونَ ۞ ﴿ (البقرة: ٢١). فهذا أول أمر في القرآن، وقال تعالى:

<sup>(</sup>١) مجموع فتاوي ابن تيمية (١٤/ ٣٧٨-٣٥٠).

<sup>(</sup>٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٣٥، ٣٦).

<sup>(</sup>٣) تيسير العزيز الحميد (صـ٧٠).

وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا نُوسًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنَقُومِ أَعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عَيْرُهُ ﴾ (المؤمنون: ٢٣). فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك، وقال كل من هود وصالح، وشعيب لقومه: ﴿عَبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ عَيْرُهُ ﴾ الوهكذا جميع الأنبياء، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ لَلِّي نَوَ الْإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ﴿ وَهَ ﴾ (الذاريات: ٥٦). وقال هرقل لأبي سفيان لما سأله عن النبي على ما يقول لكم؟ قال: يقول: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم (١٠. وقال النبي على لكم؟ قال: "إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الله. وفي رواية: "أَنْ لَعَالَى: ﴿ فَأَقِدَ اللهِ وَلَا يَعْدُولُ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَالْبَوالُهُ أَوْلُهُ مُعْمَالِهِ أَوْ يُمَعِمُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

وهذا الذي أخبر به على هو الذي تشهد الأدلة العقلية بصدقه، فلو أقر رجل بتوحيد الربوبية، وهو مع ذلك لم يعبد الله وحده ويتبرأ من عبادة ما سواه – كان مشركًا من جنس أمثاله من المشركين، والقرآن مملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه وضرب الأمثال له، ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلًا على الثاني. (٧)

<sup>(</sup>١) البخاري (٧).

<sup>(</sup>٢) البخاري (١٤٥٨)، والراوية الأخرى في البخاري (٧٣٧٢).

<sup>(</sup>٣) تيسير العزيز الحميد (٢٠: ٢١)، شرح الطحاوية (١٦) بتصرف.

<sup>(</sup>٤) البخاري (١٣٨٥)، مسلم (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.

<sup>(</sup>٥) الترمذي (٢١٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٦٠).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۸۵۲۲).

<sup>(</sup>۷) شرح الطحاوية (١٦-١٩) بتصرف. وانظر: مجموع الفتاوي لابن تيمية (١/ ٢٢، ٢٣)، (٣/ ١٠٥-١٠٦).

وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه، كما قال النبي: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خُسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاة، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ "()، فأخبر أن دين الإسلام مبني على هذه الأركان الخمسة وهي الأعمال، فدل على أن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له، بفعل المأمور، وترك المحظور، والإخلاص في ذلك لله.

وقد تضمن جميع أنواع العبادة، فيجب إخلاصها لله تعالى (\*)؛ فهو الذي يستحق أن يستعان به ويتوكل عليه ويستعاذ به ويلتجئ العباد إليه؛ فإنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد، كما قال تعالى في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ مَبْتُهُ وَإِيَّاكَ مَنْتُهُ وَإِيَّاكَ مَنْتُهُ وَإِيَّاكَ مَنْتُهُ وَإِيَّاكَ مَنْتُهُ وَالْكَابُ: ﴿فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴾ (هود: ١٢٣). وقال: ﴿فَالْ هُورَيِّ لاَ إِلَهُ إِلَّاهُو عَلَيْهِ قَوَكَ لَتُهُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿نَّ ﴾ (الرعد: ٣٠). (")

فلا يتوكل على غير الله فيها لا يقدر عليه إلا الله، والتوكل على غير الله فيها يقدر عليه شم ك أصغر<sup>(1)</sup>.

فهذه المعاني كلها صحيحة وهي من صريح التوحيد وبها جاء القرآن، فالعباد لا ينبغي لهم أن يخافوا إلا الله كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشُوا ٱلنَّاسَ وَأَخْشُونِ ﴾ (المائدة: ٤٤) وقال تعالى: ﴿اللَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا صَالَى: ﴿ إِنَّا اللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلَ مَا لَكُمْ الشَّيَطُانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيمَا وَهَا لُوهُمْ حَسَمُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلَ آهَهُ وَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنهُم مُؤْمِنِينَ ﴿ اللَّ عمران: ١٧٣: ١٧٥) (\*).

<sup>(</sup>١) البخاري (٨)، مسلم (١٦)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

<sup>(</sup>٢) تيسير العزيز الحميد (٢٣).

<sup>(</sup>٣) مجموع فتاوي ابن تيمية (٢/ ٤٨٨).

<sup>(</sup>٤) تيسير العزيز الحميد (٢٤).

<sup>(</sup>٥) مجموع فتاوي ابن تيمية (٢/ ٤٨٨).

ولا يخاف خوف السر إلا من الله؛ ومعنى خوف السر، هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله والله تعالى يقول: ﴿ وَإِن لَمْ يَباشره فهذا شرك أد)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسَّكَ اللّهُ بِضُرِّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ وَ إِلَا هُوَ أَوْ إِلنَ يُرِدُكَ بِخَيْرِ فَلَا رَآدٌ لِفَضْلِهِ وَ يُصِيبُ بِهِ وَمَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِةً وَهُو ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ اللهِ ﴿ يُونس: ١٠٧).

وكذلك الصلاة والركوع والسجود، قال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِكَ وَأَغْمَرُ ﴾ (الكوثر: ٢). وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَأَسْجُ دُواْ وَأَعْبُدُواْ رَبَّكُمْ ﴾ (الحج: ٧٧). وكذلك الذبح، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشْكِى وَتَحْيَاى وَمَمَاقِ لِلّهِ رَبِّ ٱلْعَلْمِينَ وَكَذَلك الطواف؛ فلا يطاف إلا ببيت الله تعالى: ﴿ وَلَيُطَوّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَبْيقِ ﴾ (الحج: ٢٩)، وكذلك التوبة، فلا يتاب إلا إلى تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَيُطّوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَبْيقِ ﴾ (الحج: ٢٩)، وكذلك التوبة، فلا يتاب إلا إلى

<sup>(</sup>١) مجموع فتاوي ابن تيمية (٢/ ٤٨٩).

الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلدُّنُوبِ إِلَّا ٱلله عالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ الله تعالى وبين مخلوق فيها يختص بالخالق تعالى من هذه العبادات أو غيرها فهو مشرك، وكل نوع من أنواع العبادة، من صرفه لغير الله، أو شرك بين الله تعالى: ﴿ ﴿ وَأَعْبُدُوا ٱللّهَ وَلَا تُشْرِكُوا مُشْرِكُ وَ الله تعالى: ﴿ ﴿ وَأَعْبُدُوا ٱللّهَ وَلَا تُشْرِكُوا لِلله تعالى وَبِين غيره فيه فهو مشرك، قال الله تعالى: ﴿ ﴿ وَأَعْبُدُوا ٱللّهَ وَلَا تُشْرِكُوا لِلله يَعْمِي الله الله تعالى وبين غيره فيه فهو مشرك في العبادة هو الذي كَفَّرَ الله به المشركين وأباح به يماء وأموالهم ونساءهم، وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ليس له شريك في ملكه، وإنها كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها (١٠).

ثالثًا: توحيد الأسماء والصفات.

أهمية العلم بأسماء الله وصفاته: العلم بأسهاء الله وصفاته منزلته في الدين عالية وأهميته عظيمة ولا يمكن لأحد أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسهاء الله وصفاته ليعبده على بصيرة.

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآةُ ٱلْحُسَّنَىٰ فَأَدْعُوهُ ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

ونشرع الآن في بيان الثمرات والمنافع التي تعود على العباد من وراء علمهم بأسماء الله وصفاته.

أولًا: العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله: فإذا شاء العبدُ أن يعرف ربه ويزداد به علمًا؛ فليس أمامه طريق إلا النصوص الواصفة له والمصرحة بأفعاله وأسمائه، لأن الله غيبٌ لا يرى في الحياة الدنيا.

ثانيًا: تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد.

ثالثا: العلم بأسهاء الله وصفاته أشرف العلوم: فشرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات، فالعلم بأسهائه أشرف العلوم. (٢)

<sup>(</sup>١) تيسير العزيز الحميد (٢٦).

<sup>(</sup>٢) أسياء الله وصفاته (٢٣).

رابعًا: العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه: فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقًا له أو أمرًا، ومصدر الخلق والأمر عن أسائه الحسنى وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح بمقتضيه، فالأمر كله مصدره عن أسائه الحسنى وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة بهم، والإحسان إليهم، فأمره كله مصلحة وحكمة ورحمة وإحسان، إذ مصدره أسهاؤه الحسنى وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، إذ مصدره أسهاؤه الحسنى فلا تفاوت في خلقه ولا عبث ولم يخلق خلقه سدى ولا عبثًا، وكها أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابع لوجوده تبع المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسهائه أصل لسائر العلوم، فمن أحصاها كها ينبغي أحصى جميع العلوم إذ إحصاء أسهائه أصل لإحصاء كل معلوم (۱).

خامساً: العلم بها سبب زيادة الإيهان: العلم بأسهاء الله وصفاته والفقه لمعناها والعمل بمقتضاها وسؤال الله بها؛ يُوجِد في قلوب العابدين تعظيم الباري، وتقديسه ومحبته، ورجاءه وخوفه، والتوكل عليه، والإنابة إليه بحيث يصبح الباري في قلوبهم المثل الأعلى الذي لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته (٢).

سادسا: عظم ثواب من أحصى أسماء الله: حيث ينال الحافظ لأسماء الله - تبارك وتعالى العارف بمعناها العمل بمقتضاها من الأجر مالا يعلمه إلا الله؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَيْ أَنَّ رَسُولَ الله عَيْقَةً قَالَ: "إِنَّ بِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجُنَّةُ". (")

وإحصاء الأسماء على ثلاث مراتب وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح: المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

<sup>(</sup>١) بدائع الفوائد (١/ ١٦٣).

<sup>(</sup>٢) أسماء الله وصفاته (٢٦).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٢٧٣٦)، مسلم (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بهاكما قال تعالى: ﴿ وَيَلَّهِ ٱلْأَسَّمَاتُهُ الْخُسَّنَىٰ فَأَدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٠)(١).

سابعًا: تعظيم الله وتمجيده ودعاؤه بأسائه وصفاته؛ فأسماء الله وصفاته تدل على عظمته تبارك وتعالى، ومن هنا كثرت أسماؤه وصفاته، كما قيل: العظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال(٢).

وقد أمرنا الحق بدعائه بأسمائه الحسنى فقال: ﴿ وَيِلَّهِ ٱلْأَسَّمَآ يُ ٱلْحُسَّنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٠). وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة: أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسهاء الله تعالى ما يكون مناسبًا مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني، ويا حفيظ احفظني ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد الله تعالى بمقتضى هذه الأسهاء فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير وهكذا. (٣)

**ثَامِئًا:** العلم بالله وفق المنهج القرآني النبوي سبب للتمكين في الأرض والضلال عنه سبب للهزيمة والخذلان.

عقيدة أهل الحق في أسماء الله وصفاته: تقوم عقيدة سلفنا الصالح على عدة أسس وأصول كلها دلَّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهي:

الأساس الأول: إثبات ما أثبته الله ورسوله على: فمذهب السلف -رحمهم الله - الإيهان بصفات الله تعالى وأسهائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان رسوله على من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها ولا تفسير ولا تأويل لها بها يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سهات المحدثين، بل أمرُّ وها كها جاءت وردوا

<sup>(</sup>١) بدائع الفوائد (١/ ١٦٤).

<sup>(</sup>٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦١).

<sup>(</sup>٣) القواعد المثلي صـ٧.

٧.

علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم به(١).

الأساس الثاني: أن أسماء الله كلها حسنى وصفاته كلها كاملة عليا: فأهل السنة والجهاعة الذين ساروا على منهج الصحابة والتابعين يعتقدون جازمين بأن الصفات التي وصف الله بها نفسه، والأسهاء التي سمى بها نفسه لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وهي أحسن الأسهاء وأكمل الصفات. قال الله تبارك وتعالى -مقررًا هذه الحقيقة: ﴿وَيِلَّهِ ٱلْأَسَّمَاءُ الشَّمَاءُ وَالْمَلُ الصفات بأكملها وله من الكهال أَلْمُسَّنَى فَأَدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف: ١٨٠). فهو موصوف من الصفات بأكملها وله من الكهال أكمله، وهكذا أسهاؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسهاء وأكملها فليس في الأسهاء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها(٢)، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السهاء ولا يوصف بها فيه نقص أو عيب فإنه عز وجل تعالى عن ذلك(٢).

### الأساس الثالث: تنزيه الباري\_ تبارك وتعالى\_ عن التشبيه والتمثيل وكل صفات النقص.

وهذا الأمر قد نصت عليه نصوص كثيرة من كتاب الله تعالى كقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ مَ شَئِ مُّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ لَا ﴾ (الشورى: ١١). وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُنُواً أَحَدُ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ المَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ

وقد قرر أهل السنة والجماعة بناء على ما فقهوه من بيان الله تعالى أن الله لا يشبه شيئًا من خلقه، لا في ذاته ولا في صفاته، فنؤمن بها وصف الله به نفسه من غير تحريف في كتابه، وبها وصفه به رسوله على من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ عَلَيْ اللَّهِ مَنْ عَلَيْ مَنْ عَلَيْ اللَّهِ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ اللَّهُ مَنْ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَى أَلْمُ اللَّهُ مِنْ عَلَى أَلْمُ اللَّهُ مِنْ عَلَى مَا عَلَيْ عَلَى أَلْمُ اللَّهُ مِنْ عَلَيْ أَلْمُ اللَّهُ مِنْ عَلَى أَلْمُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى مَا عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ مِنْ عَلَى مَا اللَّهُ عَلَى مَا عَلَيْ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى مَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ

<sup>(</sup>١) ذم التأويل لابن قدامة صـ ١١، عقيدة أصحاب الحديث للصابوني (١٣-١٥)، الشريعة للآجري (صـ ٢٦٨)، اعتقاد أثمة الحديث للإسماعيلي (صـ ٥١).

<sup>(</sup>٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٨).

<sup>(</sup>٣) اعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي (صدا ٥).

عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه(١).

تنبيه: لا يكفي في التنزيه مجرد نفي التشبيه. فهناك أصلان متلازمان:

الأول: وصف الله بها وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

الثاني: نفي مشابهة صفات الله لصفات خلقه، ولا يكفي المثبتين مجرد نفي التشبيه، إذ لو كفى في إثباته مجرد النفي -أي نفي التشبيه- لجاز أن يوصف سبحانه من الأعضاء والأفعال، بها لا يكاد يحصى مما هو ممتنع عليه مع نفي التشبيه، وأن يوصف بالنقائص التي لا تجوز عليه مع نفى التشبيه. . . (٢).

<sup>(</sup>١) العقيدة الواسطية، لابن تيمية (١٦-٢١) بشرح خليل هراس.

<sup>(</sup>٢) فتاوى ابن تيمية (٣/ ٨٢)، وانظر أسهاء الله وصفاته للأشقر.

وينفى مماثلة المخلوقات(١).

الأساس الخامس: إجراء الصفات على ظاهرها: فالواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف؛ لاسيها نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها:

ودليل ذلك السمع والعقل: أما السمع: فقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلزُّوجُ ٱلْأَمِينُ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِ رِينَ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَهُ قُرَءَ نَا عَرَبِيّا لَعَلَكُمْ مَ الشعراء: ١٩٥-١٩٥) وقوله: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَهُ قُرَءَ نَا عَرَبِيّا لَعَلَكُمْ مَ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف: ٣). تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف: ٣). وقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرَءَ نَا عَرَبِيّا لَعَلَكُمْ مَّعَقِلُونَ ﴾ (الزخرف: ٣). وهذا يدلُّ على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليلٌ شرعى.

وأما العقل: فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره وقد خاطبنا باللسان العربي فوجب قبوله على ظاهره وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة (٢).

تنبيه: ليس معنى إجراء النصوص على ظاهرها أنها غير مفهومة المعنى، بل هي معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر.

فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة. وقد دلَّ على ذلك السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿ كِنَتُ أَنزَلْنَهُ إِلَيْكَ مُبَرَكُ لِيَدَّبَّرُواْ مَايَتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْآلَبَ بِ السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿ كِنَتُ أَنزَلْنَهُ إِلَيْكَ مُبَرَكُ لِيَكَبِ الْمِعِينِ الْمُعَالِينِ اللهِ عَلَى الْمُعَالِقِينِ اللهُ عَلَى الْمُعَالِقِينِ اللهِ عَلَى الْمُعَالِقِينِ اللهِ عَلَى الْمُعَالِقِينِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَّا عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

وكون القرآن عربيًا ليعقله من يفهم العربية، يدلُّ على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرقٌ بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها، وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه.

وأما العقل: فلأن من المحال أن يُنزِّلَ الله تعالى كتابًا، أو يتكلم رسوله على بكلام، يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق؛ ويبقى في أعظم الأمور وأشدها

<sup>(</sup>۱) فتاوی ابن تیمیة (٦/ ٣٧).

<sup>(</sup>٢) القواعد المثلي (٤٢).

ضرورة مجهول المعنى. لأن ذلك تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال تعالى عن كتابه: ﴿الَّرَّ كِنَابُ أُعْكِمَتَ ءَايَنْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتَ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (هود: ١).

هذه دلالة السمع والعقل عن علمنا بمعاني نصوص الصفات (١)، وما أحسن كلمة الإمام مالك لما سئل عن كيفية الاستواء فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيهان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

# الأساس السادس: ترك البحث في حقيقة الذات الإلهية والصفات التي تستحقها.

إنَّ ذات الله تبارك وتعالى ليس كمثلها شيء، وكذلك صفاته تبارك وتعالى، فالكلامُ في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وإذا كانت الذات لا يعلم كنهها وحقيقتها، فكذلك الصفات لا يعلم كنهها وحقيقتها، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ مَنْ مَنْ الشورى: ١١).

ومن هنا منع الذين فقهوا المنهج القرآني السؤال عن الله وصفاته بكيف، لأن حقيقة الذات والصفات لا يمكن أن تعلم، فلا يقال كيف الله؟ ولا كيف استوى؟ ولا كيف علمه وسمعه وبصره؟ وهذا لا يعني نفي الصفة وقد أشار الحق إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمَا ﴾ (طه: ١١٠)، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ (البقرة: ٢٥٥). فرؤية الله في الآخرة ممكنة، ولكن الإحاطة بالله منفية، وإدراك معنى العلم ممكن، ولكن الإحاطة بعلم الله غير ممكنة.

وقد نهى الرسول ﷺ عن التفكر في ذات الله، وأمر بالتفكر في خلق الله، ففي الحديث: "لا تفكروا في الله وتفكروا في خلق الله"(٢٠).

وفي الحديث الآخر: "تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله"(").

<sup>(</sup>١) القواعد المثلي (٤٣).

<sup>(</sup>٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٦٧)، وقال الألباني: حسن. صحيح الجامع (٢٩٧٦).

<sup>(</sup>٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٢٠)، والطبراني في الأوسط (٦٣١٩)، وأبو الشيخ في العظمة (١)، والهروي في دلائل التوحيد (١/ ٩٠/ ٣٨)، وقال الألباني: وهذا إسناده حسن في الشواهد الصحيحة (١٧٨٨).

وقال الإمام الطحاوي: لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام ('). (''). الأساس السابع: عدم الإلحاد في أسماء الله وصفاته: الابتعاد عن الإلحاد في أسماء الله وصفاته معلم بارز من معالم أهل السنة والجماعة في هذا الباب، واتباع هذا السبيل هو تحقيق لما حذر الله منه في قوله: ﴿وَيلاًهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسُنَىٰ فَادَعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آسَمَنَهِمِهِهِ (الأعراف: ١٨٠).

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي عَايَتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ (فصلت: ٤٠)، والإلحاد في أسهاء الله تعالى هو الميل بها عها يجب فيها وهو أنواع. ("): الأول: أن ينكر شيئًا منها أو مما دلت عليه الصفات والأحكام (1).

وذلك كتكذيب المشركين باسم الرحمن، قال تعالى: ﴿ وَلِذَا قِيلَ لَهُمُ اَسَّجُدُواَ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواً وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسَجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نَفُورًا ﴾ (الفرقان: ٦٠)، وأيضًا إلحاد الجهمية والمعطلة الذين نفوا عن الله أسمائه وصفاته أو عطلوها عن معانيها(٥)، وإنها كان ذلك إلحادًا لوجوب الإيهان بها، وبها دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميلٌ بها عها يجب فيها(١).

الثاني: أن يجعلها دالَّةً على صفاتٍ تشبه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدلَّ عليه النصوص، بل هي دالةٌ على بطلانه فجعُلها

وقال المناويُّ: تفكروا في آلا الله أي نعمه التي أنعم بها عليكم.

وقال القاضي: والتفكر فيها أفضل العبادات، ولا تفكروا في الله فإن العقول تحار فيه.

<sup>(</sup>١) شرح العقيدة الطحاوية (١١٧).

<sup>(</sup>٢) أسماء الله وصفاته، للأشقر (١٣٦، ١٣٧).

<sup>(</sup>٣) قال صاحب القاموس (١/ ٤٥٨/ مادة لحد: ألحد: مال وعدل وماري وجادل).

<sup>(</sup>٤) القواعد المثلي (٢٦).

<sup>(</sup>٥) أسهاء الله وصفاته، للأشقر (١٣٨) بتصرف.

<sup>(</sup>٦) القواعد المثلي (٢٦).

دالة عليه ميلٌ مها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمِّي الله تعالى بها لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له: الأب، وتسمية الفلاسفة إياه العلة الفاعلة، وذلك لأن أسهاء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بها لم يسم به نفسه ميلٌ بها عها يجب فيها، كها أن هذه الأسهاء التي سموه بها نفسها باطلة يُنَزَّهُ الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كما فعل المشركون في اشتقاق العُزَّى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين فسَمُّوا بها أصنامهم (١)، ومن ذلك أيضًا دعوى الألوهية والربوبية، كقول فرعون طاغية مصر لقومه: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهُا الْمَكُمُ مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَه عِنْرِي ﴾ (القصص: ٣٨)، ودعواه بأنه ربهم الأعلى في قوله: ﴿ أَنَا رَبُكُمُ ٱلْأَعْلَى ﴿ النازعات: ٢٤).

الأساس الثامن: الوقف في أسماء اللَّه وصفاته.

قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بها وصف به نفسه؛ أو وصفه به رسوله على الله المعام أحمد: لا يوصف الله على المعام المعام

وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسهاء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقَفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُوَّادَ كُلُّ أُوْلَكِيكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِي ٱلْفَوَحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغَى بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَدٌ يُنَزِّلْ بِهِ عَسُلُطَنْنَا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَائَعْلَمُونَ ﴿ ﴿ الْأَعْرَاف: ٣٣).

لأن تسميته تعالى بها لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص(٢٠).

<sup>(</sup>١) المصدر السابق.

<sup>(</sup>٢) القواعد المثلي (١٦).

وكل ما ذكرته هنا من أنه يجب أن يتوقف في أسهاء الله وصفاته عائدٌ لأمور:

الأول: أن مخالفة هذا المنهج قولٌ على الله بغير علم، ورجم بالغيب، وقد حَرَّم الله هذا، وعده من الجرائم العظام، وإذا كان البشر لا يرضون أن يسموا بغير أسمائهم، فكيف يجوز هذا في حق خالق البشر.

الثاني: أن مخالفة هذا النهج تقديم بين يدي الله ورسوله على وقد نهينا عن التقديم بين يدي الله ورسوله عن وصفه تبارك وتعالى يدي الله ورسوله، وكيف يجيب العبد إذا حاسبه ربه يوم القيامة عن وصفه تبارك وتعالى بها لم يصف به نفسه.

الثالث: أن أسماء الله تبارك وتعالى حسنى، ومهما اجتهد العبد فإنه قد لا يوفَّق للتعرف على الاسم الأحسن الذي يستحقه الرب تبارك وتعالى (١).

وهذا الأساس أعنى الوقف في أسماء الله وصفاته، وأنه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله أسماء، إلا إذا ورد نص إما في الكتاب أو السنة قد اتفق عليه العلماء المحققون.

فقال الفخر: المشهور عن أصحابنا أنها توقيفية.

وقال أبو القاسم القشيري: الأسهاء تؤخذ توقيفًا من الكتاب والسنة والإجماع، فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صح معناه.

وقال أبو إسحاق الزجاج: لا يجوز لأحد أن يدعو الله بها لم يصف به نفسه (٢).

<sup>(</sup>١) أسياء الله وصفاته للأشقر (١٢٨).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري (١١/ ٢٢٦).

### المبحث الثالث: مراتب الدين. ويشتمل هذا المبحث على المطالب الآتية:

المطلب الأول: أركان الإسلام. (') الركن الأول: الشهادتان.

ومعنى لا إله إلا الله: أي لا معبود بحق في الأرض ولا في السهاء إلا الله وحده، فهو الإله الحق، وكل إله غيره باطل، وتقتضى إخلاص العبادة لله وحده، ونفيها عما سواه.

ولا تنفع قائلها حتى يتحقق فيه أمران:

الأول: قول لا إله إلا الله عن اعتقاد وعلم ويقين وتصديق ومحبة.

الثاني: الكفر بها يعبد من دون الله.

فمن قال هذه الشهادة ولم يكفر بها يعبد من دون الله لم ينفعه هذا القول.

شروط لا إله إلا الله

أحدها: العلم المنافي للجهل.

الثانى: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقياد المنافي للترك

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للنفاق.

السابع: المحبة المنافية لضدها.

وقد قال حافظ حكمى:

وبشروط سبعة قد قيدت وفي نصوص الوحى حقا وردت

فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها

(١) وهذا المطلب اختصرناه فالأصل فيه مخاطبة من ليس مسليًا، أو مسلم يجهل أصول دينه، وإلا فإن هذا المطلب مفصل في أسفار عظام ولكنها إشارات هامة.

العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيها أمر، وتصديقه فيها أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بها شرع، وأن تعلم وتعتقد بأن محمدًا رسول الله إلى الناس جميعا، وأنه عبد لا يُعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، وأن تعلم وتعتقد بأن تلقي التشريع سواء في العقيدة، أم في شعائر العبادات التي أمر الله بها، أم في نظام الحكم والتشريع، أم في مجال الأخلاق، أو في مجال بناء الأسرة، أو في مجال التحليل والتحريم. لا يكون إلا عن طريق هذا الرسول الكريم محمد عليه لأنه رسول الله المبلغ عنه شريعته.

وقد سبق التفصيل في ذلك عند الحديث عن التوحيد وأقسامه.

### الركن الثاني: الصلاة.

الصلاة لغة: الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ (التوبة: ١٠٣). أي ادع لهم. وقال ﷺ: "إذا دُعِي أَحَدُكُمْ فَلْيُحِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِبًا فَلْيُصَلِّ". (١)

والصلاة عند أهل الاصطلاح: عبارة عن التعبد لله تعالى بأقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير محتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة.

وقد ثبت فرضية الصلاة بالقرآن والسنة والإجماع، قال سبحانه ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكُوةَ ﴾.

وقال ﷺ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خُسْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهِ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِلَّا اللهِ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحُجِّ، وَصَوْم رَمَضَانَ" ().

وهي خمس صلوات كما جاء في حديث الأعرابي: أخبرني ما فرض الله علي من الصلوات؟ فقال: "خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ". (")

<sup>(</sup>١) مسلم (١٤٣١).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٨)، مسلم (١٦) من حديث ابن عمر.

<sup>(</sup>٣) البخاري (٤٦)، مسلم (١١).

قال ابن المندر: أجمع أهل العلم على أن صلاة الظهر أربع ركعات يخافت فيها بالقراءة، ويجلس فيها جلستين في كل مثنى جلسة للتشهد، وأن عدد صلاة العصر أربعًا كصلاة الظهر لا يجهر فيها بالقراءة، ويجلس فيها جلستين في كل مثنى جلسة للتشهد، وأن عدد صلاة المغرب ثلاثًا؛ يجهر في الركعتين الأوليتين منها بالقراءة ويخافت في الثالثة، ويجلس في الركعتين الأوليتين جلسة للتشهد وفي الآخرة جلسة، وأن عدد صلاة العشاء أربعًا، يجهر في الركعتين الأوليتين منها بالقراءة، ويخافت في الأخريين ويجلس فيها جلستين كل مثنى جلسة للتشهد، وأن عدد صلاة الصبح ركعتان يجهر فيها بالقراءة ويجلس فيها جلسة واحدة للتشهد هذا فرض المقيم، فأما المسافر ففرضه ركعتين إلا صلاة المغرب فإن فرض المسافر في صلاة المغرب كفرض المقيم.

### الركن الثالث: إيتاء الزكاة.

إن التفاوت بين الناس في الأرزاق والمواهب وتحصيل المكاسب أمر واقع طارئ يحتاج في شرع الله إلى علاج، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضِ فِي ٱلزِّزْقِ ﴾ (النحل: ٧١). وأوجب على الغني أن يعطي الفقير حقًا واجبًا مفروضًا لا تطوعًا ولا منةً قال تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ فِي أَمْوَلِهِمْ حَقَّ مَعْلُومٌ \* السَّمَا لِل وَالْمَعْرُومِ \* (المعارج: ٢٤-٢٥).

وفريضة الزكاة أولى الوسائل لعلاج ذلك التفاوت، وتحقيق التكافل أو الضمان الاجتماعي في الإسلام. (٢)

الزكاة لغة: النهاء والزيادة. (٦)

اصطلاحًا: فإنها حق مخصوص في مال مخصوص على وجه مخصوص في وقت مخصوص. ويعتبر في وجوبه الحول والنصاب.

الزكاة من أركان الإسلام الخمسة، وفرض من فروضه، وفرضت في المدينة في شوال

<sup>(</sup>١) الأوسط لابن المنذر (٢/ ٣١٨).

<sup>(</sup>٢) الفقه الإسلامي وأدلته وهبه الزحيلي (٢/ ٧٣١-٧٣٢).

<sup>(</sup>٣) لسان العرب (٣/ ١٨٤٩).

السنة الثانية من الهجرة بعد فرض زكاة الفطر، وقرنت بالصلاة في اثنين وثهانين موضعًا مما يدل على كهال الاتصال بينهها. (١)

وقد دل على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع:

أَمَا الْكَتَابِ؛ فقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلَوْةَ وَمَاثُواْ ٱلزَّكُوةَ ﴾ (النور: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّكَوْةَ وَءَانَوُاْ ٱلزَّكُوةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (التوبة: ١١). وغيرها كثير.

وأما السنة؛ فقوله ﷺ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَسْ. . . "منها "وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ". (٢)

ولما بعث النبي ﷺ: معاذًا إلى اليمن فقال: " فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِمِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ". (")

وقال ﷺ: "مَنْ آتَاهُ الله مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثَّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْ زِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ". (''

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون في جميع الأعصار على وجوبها من حيث الجملة، واتفق الصحابة رضى الله عنهم على قتال مانعيها (°).

### الحكمة من تشريع الزكاة.

١) تصون المال وتحصنه من تطلع الأعين وامتداد أيدي الآثمين والمجرمين.

٢) تطهر النفس من داء الشح والبخل فالزكاة التي يؤديها المسلم امتثالًا لأمر الله وابتغاء مرضاته، إنها هي تطهير له من أرجاس الذنوب بعامة، ومن رجس الشح بخاصة، وذلك الشح الذميم الذي أحضرته الأنفس وابتلي به الإنسان، قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَانَ

<sup>(</sup>١) الفقه الإسلامي وأدلته ٢/ ٧٣٣.

<sup>(</sup>٢) البخاري (٨)، ومسلم (٢١).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٤٥٦٥) عن أبي هريرة ك.

<sup>(</sup>٥) المغنى ٢/ ٤٣٣.

قَتُورًا ﴾ (الإسراء: ١٠٠)، وقال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحُّ ﴾ (النساء: ١٢٨)(١).

- ٣) تدرب المسلم على الإنفاق والبذل والجود والسخاء والكرم الذي يجبه كل بر وفاجر وتبعده عن الشح الذي هو مذموم عند كل أحد وتطهر القلب عن حب الدنيا ببذل اليسير (١).
- ٤) عون للفقراء والمحتاجين، تأخذ بأيديهم لاستثناف العمل والنشاط إن كانوا قادرين، وتساعدهم على ظروف العيش الكريم إن كانوا عاجزين فتحمي المجتمع من مرض الفقر، والدولة من الإرهاق والضعف(٢).
- وجبت شكرا لنعمة المال، فالزكاة توقظ في نفس معطيها معنى الشكر لله تعالى والاعتراف بفضله عليه وإحسانه إليه<sup>(1)</sup>.
- 7) علاج القلب من حب الدنيا، فهي علاج للقلب من الاستغراق في حب الدنيا، وحب المال فإن الاستغراق في حبه -كما قال الرازي يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة (°).
- الزكاة منمية لشخصية الغني وكيانه المعنوي فلإنسان الذي يبذل الخير ويصنع المعروف ويبذل من ذات نفسه ويده لينهض بإخوانه في الدين والإنسانية وليقوم بحق الله عليه يشعر بامتداد في نفسه وانشراح واتساع في صدره، ويحس به من انتصر في معركة (٦).
- ٨) والزكاة تربط بين الغني ومجتمعه برباط متين سداه المحبة ولجمته الإخاء والتعاون، فإن الناس إذا علموا في الإنسان رغبته في نفعهم، وسعيه في جلب الخير لهم، ورفع الضرعنهم، أحبوه بالطبع ومالت نفوسهم إليه لا محالة.

<sup>(</sup>١) فقه الزكاة يوسف القرضاوي (٢/ ٨٥٧).

<sup>(</sup>٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز المحمد السلمان (١/ ٢٦١-٢٦٢)

<sup>(</sup>٣) الفقه الإسلامي وأدلته (٢/ ٧٣٢).

<sup>(</sup>٤) فقه الزكاة (٢/ ٨٦٣).

<sup>(</sup>٥) المصدر السابق (٢/ ٨٦٤).

<sup>(</sup>٦) المصدر السابق (٢/ ٨٦٦).

#### الركن الرابع: الصيام.

الصيام في اللغة: هو الإمساك والكف عن كل شيء، يقال لمن سكت ولم يتكلم صائم. قال الله تعالى في قصة مريم ﴿إِنِي نَذَرْتُ لِلرَّمْنَنِ صَوِّمًا ﴾ (مريم: ٢٦)

وأما الصيام في الشرع: إمساك مخصوص، عن شيء مخصوص، في زمن مخصوص، من شخص مخصوص، بنية مخصوصة، أي: الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات؛ من طلوع الشمس إلى غروب الشمس مع نية التعبد لله تعالى.

والصيام ركن من أركان الإسلام دَلُّ علي وجوبه الكتاب والسنة والإجماع.

أما من الكتاب: قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُنِبَ عَلَيْتُكُمُ الصِّيامُ كَمَا كُنِبَ عَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّمُ تَنَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

أما من السنة: حديث عبد الله بن عمر الله قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ": بُنيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خُسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجُ، وَصَوْم رَمَضَانَ" (١).

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون على أن الصوم ركن من أركان الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة بحيث يكفر منكره وأنه لا يسقط علي المكلف إلا بعذر من الأعذار الشرعية المعتبرة (٢).

ويجب الصوم على المسلم البالغ العاقل القادر على الصوم ولا يجب على كافر ولا مجنون ولا صبي. (<sup>٣)</sup>

# الركن الخامس: الحج.

الحج في لسان العرب فيه قولان:

أحدهما: أنه القصد ولهذا سمى الطريق محجة لأنه يوصل إلى المقصد.

الثاني: أنه العود مرة بعد أخرى.

<sup>(</sup>۱) البخاري (۸)، مسلم (۱٦).

<sup>(</sup>٢) المغنى (٣/٣)، المجموع (٦/٢٥٢).

<sup>(</sup>٣) المغنى (٣/ ١٣).

العج شرعًا: قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص (١).

والحج فرض عين على كل مكلف مستطيع في العمر مرة. وهو ركن من أركان الإسلام وقد ثبت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: فقد قال تعالى: ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النّاسِحِجُّ الْبَيْتِ مَنِ السّنَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (آل عمران: ٩٧) وأما من السنة: فقد وردت أحاديث كثيرة جدًا بلغت حد التواتر تفيد اليقين والعلم القطعي الجازم بثبوت هذه الفريضة. ومن ذلك حديث ابن عمر أن النبي على قال: "بُنيَ الله على خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحُجِّ، وَصَوْم رَمَضَانَ "(٢)

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على وجوب الحج (على المستطيع) مرة واحدة في العمر وهو المعلوم بالدين بالضرورة يكفر جاحده (٢)

والحج له مواقيت زمانية ومكانية: والزمانية في قوله ﷺ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتُ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

أي: لا يصح شيء من أعمال الحج إلا فيها.

والمكانية: فهي كما في حديث ابن عباس قال: "وقت رسول الله ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ وَلِأَهْلِ الشَّامِ الجُّحْفَةَ وَلِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلَمْلَمَ. . . "(١)

وفي حديث عائشة عليه الله عليه الله عليه وقت الأهل العراق ذات عرق "(٥).

هذا؛ وللحج أركان لا يصح إلا بها، وهي عند الجمهور أربعة: الإحرام، الوقوف بعرفة، طواف الإفاضة، والسعي بين الصفا والمروة، ويجب الحج بخمسة شروط هي

<sup>(</sup>١) معونة أولى النهى (٣/ ١٥٤).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٨)، مسلم (١٦).

<sup>(</sup>٣) المغنى (٣/ ١٥٩)، المجموع (٧/٧).

<sup>(</sup>٤) البخاري (١٥٦٢)، مسلم (١١٨١).

<sup>(</sup>٥) أبو داود (١٧٣٩)، النسائي (٥/ ١٢٣)، صححه الألباني في الإرواء (٩٩٩).

الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والاستطاعة. (١)

المطلب الثاني: أركان الإيمان. الركن الأول: الإيمان بالله.

فلفظ الجلالة الله: علم على الرب تبارك وتعالى وقيل أنه أعرف المعارف. وأصله: الإله وهو مشتق.

إن الإيهان بالله تعالى هو الركن الركين والركن الأساسي، فهو العمدة ويبنى عليه باقي أركان الإيهان، وهو بمثابة القاعدة الصلبة لأركان الإيهان.

فالإيهان بالله تعالى: إثباته والاعتراف بوجوده، والإيهان له تعالى: القبول عنه والطاعة له. (٢٠

معرفة الله على أسمى المعارف وأجلِّها وهي الأساس الذي تقوم عليه الحياة الروحية كلها.

فمنها تفرعت المعرفة بالأنبياء والرسل وما يتصل بهم من حيث عصمتهم ووظيفتهم وصفاتهم والحاجة إلى رسالاتهم، وما يلحق بذلك من المعجزة والولاية والكرامة والكتب الساوية.

وعنها تشعبت المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة من الملائكة والجن والروح.

وعنها انبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة وما تنتهي إليه من الحياة البرزخية والحياة الأخروية من البعث والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار.

الإيمان بوجود الله تعالى: دلت عليه الفطرة، والعقل، وإجماع الأمم، والآيات الكونية.

أما دلالة الفطرة: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيهان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، لقول النبى عليه: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبُواهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ" (٣).

فها يغرسه الآباء في نفوس الأبناء، وما يلقيه الكتَّاب والمعلمون والباحثون في أفكار

<sup>(</sup>١) المغنى (٣/ ١٦١).

<sup>(</sup>٢) تيسير العزيز الحميد صـ١٥.

<sup>(</sup>٣) البخاري (١٣٨٥)، مسلم (٢٦٥٨).

الناشئة؛ يبدل هذه الفطرة ويكدرها ويلقي عليها غشاوة فلا تتجه إلى الحقيقة.

وشياطين الإنس والجن يقومون بدور كبير في إفساد الفطرة وتدنيسها.

وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارِ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: "أَلَا إِنَّ رَبِّ أَمْرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عَلَيْهِمْ مَا عَبِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا عَبَادِي حُنفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لُهُمْ، وَأَمَرَ ثُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمُ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا "(۱).

إذًا فالإقرار بوجود الله تعالى أمر فطري، فالعلم الإلهي فطري ضروري وأنه أشد رسوخًا في النفوس من مبدأ العلم الرياضي كقولنا: إن الواحد نصف الاثنين ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا: إن الجسم لا يكون في مكانين، لأن هذه المعارف أسهاء قد تعرض عنها أكثر الفطر، وأما العلم الإلهي: فها يتصور أن تعرض عنه فطرة (٢).

فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقًا به ودينًا له، لكن يعرض لها ما يفسدها، ومعرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه؛ لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل، لكن قد يعرض لها ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق، وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعه.

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۸۲۵).

<sup>(</sup>٢) مجموع فتاوي ابن تيمية (٢/ ١٥).

فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة؛ ولا قصد نافع بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب: ﴿وَقَالُواْ لَوَكُنَا نَسْمُعُ أَوْنَعْقِلُ مَاكُنَا فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿ اللَّكَ: ١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ ٱلْجِنِ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعَيُنُ لَا يُعْمِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلَتِهِكَ كَٱلْأَنْعَلِوبَلَ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَتِهَكَ هُمُ ٱلْغَنْفِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٩)(١).

فإن قيل: إذا كانت معرفته والإقرار به ثابتًا في كل فطرة فكيف ينكر ذلك كثير من النظار -نظار المسلمين- وغيرهم وهم يدعون أنهم الذين يقيمون الأدلة العقلية على المطالب الإلهية؟!

فيقال أولًا: أول من عرف في الإسلام بإنكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين اتفق السلف على ذمهم؛ من الجهمية والقدرية، وهم عند سلف الأمة من أضل الطوائف وأجهلهم. ولكن انتشر كثير من أصولهم في المتأخرين الذين يوافقون السلف على كثير مما خالفهم فيه سلفهم الجهمية.

فصار بعض الناس يظن أن هذا قول صدر في الأصل عن علماء المسلمين؛ وليس كذلك إنها صدر أولًا عمن ذمه أئمة الدين وعلماء المسلمين.

الثاني: أن الإنسان قد يقوم بنفسه من العلوم والإرادات وغيرها من الصفات ما لا يعلم أنه قائم بنفسه فإن قيام الصفة بالنفس غير شعور صاحبها بأنها قامت به. فوجود الشيء في الإنسان وغيره غير علم الإنسان به(۱).

فمعرفة الخالق سبحانه فطرية، وإنها تكون نظرية عند من فسدت فطرته فاحتاج إلى النظرة والبرهان.

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الرسول على أنه لم يوجب هذا النظر على الأمة، ولا أمرهم به، بل ولا سلكه هو ولا أحد من سلف الأمة في تحصيل هذه المعرفة، ولو كان

<sup>(</sup>١) فتاوى ابن تيمية (٧/ ٥٢٨)، فتح الباري (٣/ ٢٤٨)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٧٥).

<sup>(</sup>٢) فتاوي ابن تيمية (١٦/ ٢٣٠-٣٤٨)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٩-٤).

النظر واجبًا لكان أول ما يجب على الرسل دعوة قومهم إليه، وهذا مما علم فساده من دين الإسلام، فالفطرة تعرف الخالق بدون الآيات والأدلة العقلية، لأن معرفة الدليل تستلزم تصور المدلول عليه قبل ذلك.

كما أن معرفة الاسم تقتضي تصور المسمى من قبل حتى تمكن المطابقة وتتم المعرفة، والقلوب مفطورة على الإقرار به سبحانه أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات؛ كما قالت الرسل: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: ١٠)(١)، ولذلك قال كثير من العلماء والعقلاء: إن العلم بالخالق ضروي لا يحتاج إلى نظر، وإنها إلى تذكر يوقظ من سنة الغفلة كالموت الذي يغفل عنه كثير من الناس وهو ضروري، وقد قال تعالى في مخاطبة العقلاء به: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتُ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۞ ﴿ (الزمر: ٣٠)؛ فالألسنة تنطلق بذكره تعالى عند الكوارث، والنفوس تلجأ إليه عند دفع المضار، ولو قيِّد لسان المضطر لنطق جنانه وأفصحت إشاراته وأركانه، ووجد حرارة تدفعه إلى بارئه وتضطره إلى مُنْشِئه وهذا الشعور لا صنع فيه للبشر ولا كسب لهم فيه لا بتقليد ولا نظر بل هو لازم من لوازم الإنسانية وصفة من صفاتها الذاتية: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّيثُ ٱلْقَيِّمُ وَلَاكِنَ أَكْتُ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ الروم: ٠٣)(٢). فما أصبحت مسالة توحيد الربوبية من النظريات التي يقام عليه برهان فإن الفطرة السليمة الإنسانية تشهد بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير، ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنها ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشرك.

دلالة العقل على وجود الله تعالى: يجب أن يعلم: أن العاَلَمَ مُحدَث؛ وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، والدليل على حدوثه: تغيره من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة، وما كان هذا سبيله ووصفه كان مُحدَثًا، وقد بيَّن نبيُنا ﷺ هذا بأحسن بيان يتضمن

<sup>(</sup>١) فتاوي ابن تيمية ١٦/ ٣٣٠، درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٧-٤١، مناهج الأدلة لابن رشد صـ٤٣.

<sup>(</sup>٢) دلائل التوحيد للقاسمي صـ١٦ – ١٤.

أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة، لما قالوا له: يا رسول الله: أخبرنا عن بدء هذا الأمر؟ فقال: نعم. كان الله تعالى ولم يكن شيء، ثم خلق الله الأشياء.

فأثبت أن كل موجود سواه محدث مخلوق. وكذلك الخليل الطّيكا، إنها استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة؛ لأنه لما رأى الكوكب قال: هذا ربي، إلى آخر الآيات فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت على أنها محدثة مفطورة مخلوقة، وأن لها خالقًا، فقال عند ذلك ﴿وَجَهَّتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (الأنعام: ٧٩)

وإذا صح حدوث العالم؛ فلا بد له من محدث أحدثه، ومصور صوره، والدليل على ذلك: أن الكتابة لا بد لها من كاتب كتبها، والصورة لا بد لها من مصور صورها، والبناء لا بد له من بان بناه. فإنا لا نشك في جهل من أخبرنا بكتابة حصلت بنفسها لا من كاتب، وصناعة لا من صانع، وحياكة لا من ناسج. وإذا صح هذا وجب أن تكون صور العالم وحركات الفلك متعلقة بصانع صنعها، ومحدث أحدثها، إذ كانت ألطف وأعجب صنعًا من سائر ما يتعذر وجوده إلا من صانع.

دليل ثان: ويدل على ذلك أيضًا: علمنا بتقدم الحوادث بعضها على بعض، وتأخر بعضها عن بعض، مع علمنا بتجانسها وتشاكلها، فلا يجوز أن يكون المتقدم منها متقدمًا لنفسه؛ لأنه لو تقدم لنفسه لوجب تقديم كل ما هو من جنسه معه، وكذلك المتأخر منها، لو تأخر لنفسه وجنسه لم يكن المتقدم منها بالتقدم أولى منه بالتأخر، وفي علمنا بأن المتقدم من المتهاثلات بالتقدم أولى منه بالتأخر، دليل على أن له مقدمًا قدمه، وعاجلًا عجله في الوجود، مقصورًا على مشيئته.

ويدل على صحة ما ذكرناه: أن الموجودات لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها، أنا وجدنا منها الموات والأعراض، أعني الجهادات التي لا حياة فيها، لا يجوز أن تكون فاعلة لنفسها ولا لغيرها، لأن من شرط الفاعل أن يكون حيًا قادرًا، فبطل كونها محدثة لنفسها بل لها محدث أحدثها.

ويدل على صحة ذلك أيضًا: أنا وجدنا أنفس الموجودات في العالم، الحي القادر العاقل

المحصل، وهو الآدمي، أكمل ما تكون. تعلم وتحقق أنه كان في ابتداء أمره نطفة ميتة، لا حياة فيها ولا قدرة، ثم نقل إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم من حال إلى حال، ثم بعد خروجه حيًا من الأحشاء إلى الدنيا. تعلم وتحقق أنه كان في تلك الحالة جاهلًا بنفسه وتكييفه، وتركيبه، ثم بعد كمال عقله وتصوره وحذقه وفهمه لا يقدر في حال كماله أن يحدث في بدنه شعرة ولا شيئًا، ولا عرقًا فكيف يكون محدثًا لنفسه ومنقلًا لها في حال نقصه من صورة إلى صورة ومن حالة إلى حالة وإذا بطل ذلك منه في حال نقصه، ولم يبق إلا أن له محدثًا أحدثه، ومصورًا صوره ومنقلًا نقله؛ وهو الله سبحانه وتعالى (۱).

وتقوم هذه الأدلة على أسس عقلية لا يخالفنا فيها أحد.

 ١) فالعدم لا يفعل شيئًا: فمن المستحيل أن يوجد فعل بدون فاعل، ومن المستحيل أن يفعل العدم شيئًا لأنه لا وجود للعدم.

٢) والفعل مرآة لبعض قدرة فاعله وبعض صفاته:

فإن بين الفعل والفاعل علاقة قوية فالفاعل هو المقدمة والفعل هو النتيجة ولا يكون شيء في الفعل ليس للفاعل قدرة على فعله.

٣) وفاقد الشيء لا يعطيه: فنحن إذا شاهدنا مقتولًا في الشارع فإن أحدًا منا لا يدعوا إلى إلقاء القبض على حجرة بجوار القتيل بتهمة القتل لأنها لا تملك القدرة على الفعل كها أن الواحد منا لا يزعم بأن حيوانًا لا يعقل قد أطلق قمرًا صناعيًا يدور حول الأرض لأن الحيوان لا يملك القدرة على إطلاق ذلك القمر وهكذا يحكم العقل حكمًا جازمًا بأن ليس الفاعل من لا يملك القدرة على الفعل وفاقد الشيء لا يعطيه (٢).

٤) مبدأ السبية؛ فالواقع والعقول السليمة تشهد أن الإنسان منذ فتح عينيه لم يشاهد
 أن حادثًا حدث من غير سبب أو أن شيئًا وجد من غير موجد حتى أصبح هذا المعنى

<sup>(</sup>١) انظر في ذلك الفصل في الملل والنحل (١/ ٦٦)، ودرء تعارض العقل والنقل (٣/ ١١٣)، وأضواء المان (٤/ ٣٦٨).

<sup>(</sup>٢) توحيد الخالق (٢٩-٣٠)، والرياض النضرة (صـ٧٥٨)، ودرء تعارض العقل مع النقل (٣/ ١٢١).

بحكم الواقع لا يتصور العقل خلافه ولا يأبى الإقرار به إلا كصاحب عقل مفقود أو مريض كشأن المعتوهين.

# دلالة إجماع الأمم على وجود الله سبحانه وتعالى:

من المعلوم أنه لا يوجد أحدً من الخلق لم يزعم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح ابن مريم شاركوا الله في خلق السموات والأرض بل ولا زعم أحد من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلمًا مساويًا لله في جميع صفاته.

بل عامة المشركين بالله: مقرون بأنه ليس شريكه مثله بل عامتهم يقرون أن الشريك مملوك له سواء كان ملكًا أو نبيًا أو كوكبًا أو صنيًا.

كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

فأهلَّ رسول الله عَلَيْ بالتوحيد وقال: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك".

وقد أخبر سبحانه عن المشركين من إقرارهم بأن الله خالق المخلوقات فقال: ﴿ وَلَهِنَ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ لِيَقُولُنِ ٱللَّهُ قُلْ أَفْرَءَ يَشُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي سَأَلْتَهُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضَرِّ هَلْ هُرَى مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسِّبِي ٱللَّهُ عَلَيْهِ بِنَوْكَ لُلُ اللَّهُ مَا تَدْمُونَ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللللِّهُ اللللَّهُ الللللِّهُ الللللِّهُ اللللَّهُ اللللْهُ الللللِّهُ اللللللِّهُ اللللللِّهُ الللللِّهُ اللللللللللْهُ الللللِّهُ الللللْهُ الللللْهُ اللللِّهُ الللللْمُ الللللِّهُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللْمُ اللللْمُ الللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ ال

فقد تبين أن ليس في العالم من ينازع في هذا الأصل؛ ولكن غاية ما يقال: إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقا لغير الله كالقدرية وغيرهم؛ لكن هؤلاء يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم، وإن قالوا إنهم خلقوا أفعالهم وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون أن بعض المخلوقات مبدعة لبعض الأمور هم مع الإقرار بالصانع يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة لا يقولون إنها غنية عن الخالق مشاركة له في الخلق (1).

<sup>(</sup>۱) فتاوی ابن تیمیة (۳/ ۹۷ - ۹۹)، (۶/ ۱۵ – ۱۵)، (٥/ ۵۵۰).

### الاستدلال بالآيات الكونية وغيرها على وجود الله سبحانه وتعالى.

وهذا من أعظم الأدلة فائدةً، وأسهلها طريقةً، وأسرعها نتيجةً، وأسلمها وأبعدها عن الخطأ. ولذلك لما سئل بعض الأعراب عن وجود الرب تبارك وتعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فساء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

# وقال أبو نواس وقد سئل عن ذلك:

تأمل في نبات الأرض وانظر عيون من لجُين شاخصات على قضب الزبرجد شاهدات

# وقال آخر:

سل الواحة الخضراء والماء جاريا سل الروض مزدانًا سل الزهر والندى وسل هذه الآنام والأرض والسما فلو جن هذا الليل وامتد سر مدا

إلى آثار ما صنع المليك بأحداق هي الذهب السبيك بأن الله ليس له شريك.

وهذي الصحاري والجبال الرواسيا سل الليل والإصباح والطير شاديا وسل كل شيء تسمع الحمد ساريا فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا

وأول سورة نزلت في القرآن ذكرت هذا حيث يقول سبحانه: ﴿أَقُرَأُ بِاَسِّهِ رَبِّكِ ٱلَّذِي خَلَقَ اللهِ عَلَقَ الْإِنسَنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿ العلق: ١-٢). فذكر الخلق مطلقًا ومقيدًا؛ ليذكر أن هذا الخلق لابدله من خالق، وهذا ما يسميه دليل الخلق والآيات في هذا المعنى كثيرة.

قال تعالى: ﴿ فَلْمَنْظُرِ ٱلْإِنسَنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّلَهِ دَافِقِ۞ ﴿ الطارق: ٥-٦ ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿ وَإِلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿ ﴾ (الغاشية ١٧: ٢٠)

وقال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِشَى ۗ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ ۞ ﴾ (الطور: ٣٥).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَقُا ٱلْخَاقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءَكَ مُّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَ اتُوا بُرْهَ نَنكُمْ إِن كُنتُدُ صَدِقِينَ ﴿ إِنَّ النَّمَلِ: ٦٤) (١).

# الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

الإيهان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد، لا يتم الإيهان إلا به، والملائكة عالم من عوالم الغيب التي امتدح الله بها المؤمنين تصديقًا لخبر الله سبحانه وإخبار رسوله عليه.

ولهم أجنحة كما قال الله تعالى: ﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَتَهِكَةِ رُسُلًا أُولِيَ الْجَنِحَةِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبِكَعٌ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلَقِي مَا يَشَآءٌ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ ۞ ﴾ (فاطر: ١).

ولا يأكلون ولا يشربون. ويدل على هذا قصة الملائكة مع إبراهيم الطّي لما جاؤوا إليه في صورة بشر، فقدَّم لهم الطعام، فلم تمتد أيديهم إليه، فأوجس منهم خيفة قال تعالى: ﴿ هَلْ أَنَكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَهِيمَ الشّكُرُمِينَ ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَمًا ۖ قَالَ سَلَمٌ قَرَمٌ مُنكرُونَ ﴿ هَلْ أَنكَ حَدِيثُ ضَيْفٍ إِبْرَهِيمَ الشّكُرُمِينَ ﴿ إِنْ فَقَرَبَهُ وَإِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ فَا لَهُ مَا مَعْهُمْ خِيفَةً فَالُواْ لاَ تَغَفَّ وَبَشَرُوهُ بِغُلَيْمٍ عَلِيمٍ ﴾ (الذاريات: ٢٤-٢٨).

ولايملون ولا يتعبون من عبادة الله. لقوله تعالى: ﴿ يُسَيِّحُونَ ٱلَيَّلَ وَٱلنَّهَارَلَا يَفْتُرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٠). فهم دائبون في العمل ليلًا ونهارًا، مطيعون قصدًا وعملًا، قادرون عليه (٢).

وأعدادهم كثيرة لا يعلمه إلا الله. لقوله ﷺ: "أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٩)، وعقيدة المسلمين للبليهي (١/ ١٢٥)، وتلبس إبليس (١/ ١٧٤)، والملل والنحل (٣/ ٧٥)، والإيمان لعبد المجيد الزنداني (صـ ٢٢)، ودرء تعارض العقل مع النقل (٧/ ٣٠٥).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۹۹۲).

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن كثير (٩/ ٣٩٦).

أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ "(').

وحديث النبي ﷺ في وصف البيت المعمور "هَذَا الْبَيْتُ المُعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ٱلَّفَ مَلَكِ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ". (٢)

ولهم أعمال موكلون بها. وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالخنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله، ولهم علاقة طيبة بالصالحين من بني آدم. وأما مع غيرهم فهي علاقة بغض وشدة.

وإليك بعض هذه الصور الطيبة للعلاقة الصالحة:

١- استغفارهم للصالحين: قال تعالى: ﴿ اللَّذِينَ يَعِلُونَ الْعَرَّشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُوْمِنُونَ بِهِ وَ وَسَتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (غافر: ٧)، وقال تعالى: ﴿ وَالْمَلَتُهِ كُهُ يُسَيِّحُونَ عِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (غافر: ٧)، وقال تعالى: ﴿ وَالْمَلَتُهِ كُهُ يُسَيِّحُونَ عِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلْمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ (الشورى: ٥)، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة هون النبي عَلَيْهِ قال: "صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ مِن عَلَى عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ مِنْ عَلَى اللّهِ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ مِنْ مَن حَدَيثُ مُن اللّهِ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ مِنْ عَلَى اللّهِ عَلَى مَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ مِنْ عَلَى اللّهَ عَلَى اللّهُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُؤْذُ فِيهِ مَا لَمْ يَعُولُونَ اللّهُ هَا لِلْهُ مَا لَهُ اللّهُ مَا عَلِيهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُعْدِي مُنْ وَلَاهُ اللّهُ مَا عَلَاهُ عَلَى اللّهُ مَا عَلَى اللّهُ مَا عَلَيْ أَلِهُ مَا عَلَى اللّهُ مَا قَامَ فَلَا اللّهُ مَا لَهُ عَلَاهُ عَلَى اللّهُ مَا عَلَيْهِ مَا لَمْ يُو يَقُولُونَ اللّهُ اللّهُ مَا قَامَ فَا لَهُ اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَالَهُ عَلَى اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ مَا لَهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا لَهُهُ إِللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَا

٢-شفاعتهم للموحدين عند الله: قال تعالى: ﴿ وَكُم مِن مَّلَكِ فِي ٱلسَّمَوَاتِ لَا تُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ
 شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآلُهُ وَيَرْضَى ﴾ (النجم: ٢٦)، وفي حديث أبي سعيد الخدري

<sup>(</sup>١) أحمد (٥/ ١٧٣)، الترمذي (٢٣١٢)، وغيرهما. وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٢٢).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٣٢٠٧)، مسلم (١٦٢).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٤٧٧)، مسلم (٦٤٩) واللفظ له.

عن النبي ﷺ وهو حديث الرؤية الطويل وفيه"... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون"(١).

٣- عبتهم للمؤمنين: كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة همن النبي على قال: "إذَا أَحَبَّ الله الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ الله يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبُهُ فَيُحِبَّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي الْأَرْضِ"(١). أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ الله يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ"(١).

٤ - وهم يصلون على النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَيْ حَلَيْ النَّبِيِّ عَلَى النَّبِيِّ عَلَى النَّبِي اللَّهِ وَسَلِمُوا تَسَلِيمًا ﴿ (الأحزاب: ٥٦).

٥-التأمين على دعاء المؤمنين: وبهذا يكون الدعاء أقرب إلى الله تعالى. لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم. ففي حديث أبي الدرداء أن رسول الله على قال: "مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ اللَّكُ اللَّوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ".

وهذا قليل من كثير من أعمال الملائكة وخصوصًا مع المؤمنين وإلا فالأعمال كثيرة. ولذا فإن واجب المؤمن تجاه الملائكة هو عدم إيذاء الملائكة والبعد عن كل ما يؤذي الملائكة من الذنوب والمعاصى وموالاة الملائكة كلهم.

# الركن الثالث: الإيمان بالكتب.

وهذا هو الركن الثالث من أركان الإيهان ومعناه: أن تؤمن بها سمى الله من كتبه في كتابه، من التوراة، والإنجيل، والزبور، وتؤمن بأن لله سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسهاءها وعددها إلا الذي أنزلها، وتؤمن بالفرقان. ('' قال تعالى: ﴿ قُولُواْ ءَامَنَا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَهِءَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النّبِيُونَ مِن رَبِهِمْ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ وَتَحَنُّ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ البقرة: ١٣٦).

ومن الإيهان بالكتب الإيهان بأنها كلام الله على الله على على على تكلم بها حقيقة

<sup>(</sup>۱) البخاري (۷٤۳۹)، مسلم (۱۸۳).

<sup>(</sup>۲) البخاري (۳۲۰۹)، مسلم (۲۹۳۷).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۷۳۳، ۲۷۲۲).

<sup>(</sup>٤) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٣)، شرح الطحاوية (٢١٢).

ومن الإيمان بالكتب الإيمان بأن جميعها يصدق بعضها بعضًا لا يكذبه.

ومن الإيمان بالكتب الإيمان بأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخ بعض شرائع التوارة بالإنجيل، وكما نسخ كثير من شرائع التوراة والإنجيل بالقرآن.

ونؤمنُ بأن القرآن لا يأتي كتاب بعده ولا مغير ولا مبدِّل لشيء من شرائعه بعده، وأنه ليس لأحدِ الخروج عن شيء من أحكامه، وأن من كذب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه، كما أن من كذب بها أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذب به، وأن من اتبع غير سبيله ولم يقتف أثره ضل.

وأخيرًا نقول: إن الإيهان بكتب الله عز وجل يجب إجمالًا فيها أجمل وتفصيلًا فيها فصل كما قال تعالى: ﴿ عَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مِن دَّبِهِ عَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلُّ عَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَتَهِ كَنِهِ عَ وَكُنْبُهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْ

فقد سمى الله تعالى من كتبه التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود والقرآن على محمد على و ذكر صحف إبراهيم وموسى، وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مجملًا في قوله: ﴿ وَٱلْكِئْكِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَٱلْكِتَكِ ٱلَّذِى أَزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ (النساء: ١٣٦). (١)

### الركن الرابع: الإيمان بالرسل

إن الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، ومن لم يؤمن بالرسل ضلَّ ضلالًا بعيدًا، قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَكَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزِلَ عَلَيْتَنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْمَا أُنْزِلَ عَلَيْ إِبْرَهِيمَ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِمِنَهُمْ وَيَعْشُوبَ وَالْنَبِيُّونَ مِن دَّبِهِمْ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِمِنَهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ اللهِ ﴿ وَمَا أُوتِي مُوسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن دَّبِهِمْ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِمِنَهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ اللهِ ﴾ (آل عمران: ٨٤).

<sup>(</sup>١) معارج القبول (٢/ ٦٧٣-٥٧٥) باختصار.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكُفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَيْ كَتِهِ وَكُنْبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْمَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ صَلَ صَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١٣٦)، ومن شعب الإيهان: الإيهان برسل الله على الله عليهم أجمعين وسلم لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْ كَنِهِ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (البقرة: ٢٨٥). ولذا قال النبي على في سؤال جبريل المنه له عن الإيهان: "الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ". (١)

ويجب الإيهان بجميع الرسل، والكفر برسول واحد هو كفرٌ بجميع الرسل، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الشعراء: ١٠٥). وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الشعراء: ١٢٣). وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الشعراء: ١٤١). وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الشعراء: ١٦٠).

ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به وتصديقه فيها أخبر به وطاعته فيها أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجع الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال بل أعظم ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي.

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلَّقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح

<sup>(1)</sup> مسلم (A).

نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (۱).

### الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

إن الإيهان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيهان وعمود من أعمدة هذا الإيهان. وهو الاعتقاد الجازم الذي لا يدخله شكٌ ولا ريب بكل ما أخبر به الله ﷺ كتابه العزيز، أو جاء على لسان نبينا محمد ﷺ عن ذلك اليوم، وما يحدث فيه بها في ذلك من الساعة وعلاماتها، والقبر ونعيمه وعذابه، والصراط ومحنته، والصحف وتطايرها، والميزان وانتصابه، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها.

ومعناه التصديق بأن لأيام الدنيا آخرًا أي أن هذه الدنيا منقضية، وهذا العالم منقض.

وفي الاعتراف بانقضائه اعتراف بابتدائه لأن القديم لا يفنى ولا يتغير، وفي اعتقاده وانشراح الصدر به ما يبعث على فضل الرهبة من الله على، وقلة الركون إلى الدينا والتهاون بأحزانها ومصائبها، والصبر عليها وعلى مضض الشهوات احتسابًا وثقةً بها عند الله عنها من حسن الجزاء والثواب(٢).

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْمَثْرِةِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْمُؤْمِ الْآخِرِ ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وقال ﷺ في تعريف الإيهان: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْمَيْوِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ" والإيهان باليوم الآخر يتضمن الإيهان ورُسُلِهِ وَالْمُيْوِ الله الدالة عليها والمقدمة إليها، والإيهان بالموت وما يعقبه من غيبيات. حتى يصل فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير "".

#### الركن السادس: الإيمان بالقدر.

<sup>(</sup>١) زاد المعاد (١/ ٦٩).

<sup>(</sup>٢) فتاوي ابن تيمية (٧/ ٣١٣)، وشعب الإيمان للبيهقي (١/ ٢٣٥).

<sup>(</sup>٣) الاعتقاد للبيهقي (صـ٢٦٩).

الإيهان بالقدر أصل من أصول الإيهان التي لا يتم الإيهان إلا بها، قال تعالى: ﴿إِنَّاكُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ٣٠﴾ (القمر: ٤٩). والآيات في ذلك كثيرة وقد قال النبي ﷺ لما سأله جبريل عن الإيهان: "أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْم الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"(١)، فمن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها. الإيهان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه، والإيهان بها لا يقال كيف ولا لم؛ إنها هو التصديق والإيهان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث ولم يبلغه عقله فقد كفى ذلك وأحكم له، فعليه الإيهان به والتسليم (٢). ويقول أهل السنة والجماعة إن الخير والشر والحلو والمر، بقضاء من الله عَلَا، أمضاه وقدره، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعا إلا ما شاء الله، وإنهم فقراء إلى الله الطِّيِّلا، لا غنى لهم عنه في كل وقت ("). عَنْ طَاوُس أَنَّهُ قَالَ أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُونَ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوْ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ"(٤). واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه: أن الله - تبارك وتعالى – قدر الأشياء في القدم، وعلم الله أنها ستقع في أوقات معلومة عنده – وتعالى – وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى (٥).

ومراتب القضاء أربعة من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته له قبل كونها.

<sup>(1)</sup> مسلم (A).

<sup>(</sup>٢) أصول السنة للإمام أحمد (١٧).

<sup>(</sup>٣) اعتقاد أئمة الحديث للإسهاعيلي (٦١). وانظر: أيضًا مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٣١٣)، ومختصر شعب الإيهان (٢٤).

<sup>(</sup>٤) مسلم (٢٦٥٥).

<sup>(</sup>٥) شرح مسلم للنووي (١/ ١٩٠).

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

المرتبة الرابعة: خلقه لها.

المطلب الثالث: الإحسان.

أولًا: تعريفه: وهو: كما عرفه النبي على "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". (1) والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَوا وَالدّينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾ (النحل: ١٢٨) هذه المرتبة هي الثالثة من مراتب الدين المفصلة في حديث جبريل المتقدم وهي أعلى مراتب الدين وأعظمها خطرًا، وأهلها هم المستكملون لها السابقون بالخيرات، المقربون في علو الدرجات، وقد جاء الإحسان في القرآن في مواضع كثيرة تارة مقترنا بالإيان، وتارة بالتقوى، وتارة بها معا، وتارة بالجهاد، وتارة بالإسلام، وتارة بالعمل الصالح مطلقًا، وتارة بالإنفاق في سبيل الله. (٢)

فيعبد الإنسان ربه على هذه الصفة، وهي استحضار قربه، وأنه بين يديه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، ويوجب النصح في أداء العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها.

فالعبد يراقب ربه في أداء العبادة، ويستحضر قربه منه حتى كأنه يراه، فإن شق عليه ذلك فليستعن على تحقيقه بإيهانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته، وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره. (٣)

فالعبد الذي بلغ هذه المنزلة يعبد ربه مخلصا، لا يلتفت إلى أحد سواه، فلا ينتظر ثناء الناس، ولا يخشى ذمهم، إذ حسبه أن يرضى عنه ربه، ويحمده مولاه.

فهو إنسان تساوت علانيته وسره، فهو عابد لربه في الخلوة والجلوة، موقن - تمام اليقين - أن الله مطلع على ما يكنه قلبه وتوسوس به نفسه، هيمن الإيهان على قلبه، واستشعر رقابة ربه عليه، فاستسلمت جوارحه لبارئها، فلا يعمل بها من العمل إلا ما يحبه

<sup>(</sup>۱) مسلم (۸) من حدیث عمرید.

<sup>(</sup>٢) معارج القبول ٣/ ٩٩٨.

<sup>(</sup>٣) جامع العلوم والحكم ص: ١٢٨.

الله ويرضاه، مستسلم لربه.

وحيث تعلق قلبه بربه فلا يستعين بمخلوق، لاستغنائه بالله، ولا يشتكي لإنسان، لأنه أنزل حاجته بالله سبحانه وكفى به معينا، ولا يستوحش في مكان، ولا يخاف من أحد، لأنه يعلم أن الله معه في كل أحواله، وهو حسبه ونعم النصير، ولا يترك أمرا أمره الله به، ولا يقترف معصية لله، لأنه يستحيي من الله، ويكره أن يفقده حيث أمره، أو يجده حيث نهاه، ولا يعتدي أو يظلم مخلوقا أو يأخذ حقه، لأنه يعلم أن الله مطلع عليه، وأنه سبحانه سيحاسبه على أفعاله.

ولا يفسد في الأرض، لأنه يعلم أن ما فيها من خيرات ملك لله تعالى، سخرها لخلقه فهو يأخذ منها على قدر حاجته، ويشكر ربه أن يسرها له. (١)

ثانيا: مراتب الإحسان: فسره النبي على في حديث سؤال جبريل لما قال له: " فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " فبين على أن الإحسان على مرتبتين متفاوتتين.

أعلاهما: مقام الإخلاص (المراقبة)، وهو أنْ يعملَ العبدُ على استحضارِ مُشاهدةِ الله إياه، واطِّلاعه عليه، وقُربه منه، فإذا استحضرَ العبدُ هذا في عمله، وعَمِلَ عليه، فهو مخلصٌ لله؛ لأنَّ استحضارَهُ ذلك في عمله يمنعُهُ من الالتفاتِ إلى غير الله وإرادته بالعمل.

الثاني: مقام المشاهدة، وهو أنْ يعملَ العبدُ على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه، وهو أنْ يتنوَّرَ القلبُ بالإيهانِ، وتنفُذ البصيرةُ في العِرفان، حتّى يصيرَ الغيبُ كالعيانِ. وهذا هو حقيقةُ مقامِ الإحسّان المشار إليه في حديث جبريل – عليه السلام –، ويتفاوت أهلُ هذا المقام فيه بحسب قوَّة نفوذ البصائر. (٢)

<sup>(</sup>١) الإسلام أصوله ومبادئه ١/ ٢٠٣.

<sup>(</sup>٢) جامع العلوم والحكم ٤/ ٥٣.

### المبحث الرابع: بيان بعض مزايا الشريعة الإسلامية.

أولًا: إن الإسلام جاء دينًا صالحًا لجميع الأمم في جميع العصور ولسائر البشر وهذا شيء لم يسبق إليه دين قبله قط قال الله تعالى: ﴿ وَمَا آرْسَلْنَكَ إِلَّا كَآفَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَكِذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨)

ثانيًا: جاء الإسلام لإصلاح العقيدة، بحمل الذهن على اعتقاد لا يشوبه تردد، ولا تمويه ولا أوهام ولا خرافات، فَيُكوِّن عقيدة مبنية على الخضوع لواحد عظيم، وعلى الاعتراف باتصاف هذا الواحد بصفات الكهال التامة التي تجعل الخضوع إليه اختياريًا، ثم لتصير تلك الكلمات مطمع أنظار المعتقد في التخلق بها ثم بحمل جميع الناس على تطهير عقائدهم حتى يتحد مبدأ التخلق فيهم: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلُ اللَّكِئَبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سَوَلَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُوا لَالَا نَعَبُدُ إِلَّا يَتحد مبدأ التخلق فيهم: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلُ اللَّكِئَبِ تَعَالُوا إِلَى كَلِمَةِ سَوَلَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُوا لَلَّ نَعَبُدُ إِلَّا يَتحد مبدأ التخلق فيهم: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلُ اللَّكِئَبِ تَعَالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَلَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُوا لَلَّا نَعَبُدُ إِلَّا عَمْران: ١٤٤).

وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام؛ وأكثر ما تعرض له، وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح ولأنه لا يرجى صلاح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة: خوفًا من لا شيء وطمعًا في غير شيء وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه.

ثم نشأ عن هذا الاعتقاد الإسلامي وأصالة الرأي وحرية العقل ومساواة الناس فيها عدا الفضائل.

وقد أكثر الإسلام شرح العقائد إكثارًا لا يشبهه فيه دين آخر؛ بل إنك تنظر إلى كثير من الأديان الصحيحة فلا ترى فيها من شرح صفات الخالق إلا قليلًا.

ثالثًا: كون الإسلام دين الفطرة فليس فيه شيء غير معقول كالتثليث، ولا غير ممكن طبعًا كحب الأعداء، وأساسه تجريد التوحيد الذي يعتق البشر من رق الخرافات والأوهام.

رابعًا: جمع الإسلام بين إصلاح النفوس بالتزكية؛ وبين إصلاح نظام الحياة بالتشريع، في حين كان معظم الأديان لا يتطرق إلى نظام الحياة بشيء، وبعضها وإن تطرق إليه إلا أنه لم يوفه

خامسًا: أن حكومة الإسلام مقيدة بالنصوص وبالشورى؛ ورئيسها مقيد باختيار أهل الحل والعقد الذين يمثلون الأمة، فلا يكون سلطانًا لها إلا باختيارهم إياه للخلافة، ومبايعتهم له، ولا يطاع في معصية الله تعالى وإنها الطاعة في المعروف.

سادساً: استقلال الفكر في فهم الدين والعلم وجميع شئون الحياة، فليس في الإسلام سلطة دينية روحانية تلزم المسلمين اتباع مذهب لمجتهد وآرائه في العقائد والعبادات الدينية والحلال والحرام، وإنها هناك نصوص قطيعة وأصول وفروع إجماعية يشترك جميع المسلمين في التزامها ولا يعد أحد متبعًا لأحد غير الرسول وجماعة الأمة فيها، ويقرب من الإجماع ما جرى عليه جمهور سلف الأمة الصالح من أمر الدين، ولم يشذ عنهم إلا أفراد لا يعتد بهم، وما عدا ذلك من المسائل فهو اجتهادي، ويجب على كل مسلم أن يعلم باجتهاد نفسه فإن عجز فله أن يأخذ بعلم من يثق بعلمه ودينه.

والراجح المختار في العبادات أنه لا اجتهاد في التشريع فيها بل في التنفيذ.

والأحكام الدينية منوطة بنصوص الكتاب والسنة والقضائية يعتبر فيها مراعاة المصالح وعليها مدارها.

سابعًا: المساواة بين المسلمين في جميع أحكام الشرع.

ثامنًا: تقييد المسلمين بعقائد وأحكام وآداب وفضائل دينية بالوازع النفسي لا تتغير ولا تنقض وهي تؤمنهم من فوضى الحرية المسرفة التي أوقعت شعوب أوربا في أسر النظام المالي وسلطان أهله من جهة وفي المفاسد الأدبية التي هتكت الأعراض وأضاعت الأنساب وبددت الأموال من جهة ثالثة.

تاسعًا: اختصاصه بإقامة الحجة ومجادلة المخاطبين، بصنوف المجادلات، وتعليل

أحكامه بالترغيب وبالترهيب، وقد راعى مراتب نفوس المخاطبين فمنهم العالم الحكيم الذي لا يقنع إلا بالحجة والدليل، ومنهم المكابر الذي لا يرعوي إلا بالحدل والخطابة، ومنهم المترهب الذي اعتاد الرغبة فيها عند الله، ومنهم المكابر المعاند الذي لا يقلعه عن شغبه إلا القوارع والزواجر.

عاشرًا: الإقلال من التفريع في الأحكام بل تأتي بأصولها ويترك التفريع لاستنباط المجتهدين لتكون الأحكام صالحة لكل زمان.

حادي عشر: أنَّ المقصود من وصايا الأديان إمكان العمل بها، وفي أصول الأخلاق أن التربية الصحيحة هي التي تأتي إلى النفوس بالحيلولة بينها وبين خواطر الشرور، لأن الشرور إذا تسربت إلى النفوس تعذر أو عسر اقتلاعها منها، وكانت الشرائع تحمل الناس على متابعة وصاياها بالمباشرة فجاء الإسلام يحمل الناس على الخير بطريقتين:

طريقة مباشرة وطريقة سد الذرائع الموصلة إلى الفساد وغالب أحكام الإسلام من هذا القبيل، وأحسنها أنها من جملة ما أريد بالمشتبهات في حديث "الحُلَالُ بَيِّنٌ وَالحُرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاس"(١).

الثاني عشر: الرأفة بالناس حتى في حملهم على مصالحهم؛ وذلك في إبراز ذلك التشريع في صورة لينة وفي القرآن: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ ٱلْمُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥). وفي الحديث "إِنَّ الدِّينَ يُسْرُّ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ" (٢).

الثالث عشر: امتزاج الشريعة والحكومة وذلك من خصائصها إذ لا معنى للتشريع إلا تأسيس قانون للأمة وما قيمة قانون لا تحميه القوة والحكومة وبامتزاج الحكومة مع الشريعة أمكن تعميم الشريعة واتحاد الأمة في العمل والنظام.

الرابع عشر: صراحة أصوله بحيث يتكرر في القرآن ما تستقري منه قواطع الشريعة

<sup>(</sup>١) البخاري (٥٢)، مسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير الله المعان بن بشير

<sup>(</sup>۲) البخاري (۳۹)، من حديث أي هريرة ك.

معصومة من التأويلات الباطلة والتحريفات التي طرأت على أهل الكتاب السابقة.

الخامس عشر: قام الإسلام ببناء الأحكام السياسية والمدنية على أساس درء المفاسد وحفظ المصالح، والأحكام القضائية على العدل المطلق والمساواة، ووجوب حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض، ولازمه النسب من الاعتداء عليهن.

السادس عشر: مساواة النساء للرجال في جميع الحقوق إلا ما جاء الدليل بالتفرقة.

السابع عشر: قام الإسلام ببناء ضرورات الاجتماع السابقة كالحرب والرق، والضرورات الفردية على قاعدة التوقيت فيها وتقديرها بقدرها وتخفيف شرها والسعي الممكن لإزالتها والاستغناء عنها.

الثامن عشو: فرض الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الفريضة التي تُحفظ على الأمة فضائلها وآدابها ما أقامتها وذلك بضوابطه الشرعية.

التاسع عشر: بيان تكافل المسلمين وتضامنهم حكومة وأفرادًا؛ وذلك من خلال فريضة الزكاة، والترغيب في الصدقات، والواجب من الكفارات، فتكون جماعة المسلمين دائمًا في كفاية قلما تنال الضرورة إلا من بعض الأفراد المجهولين منهم، وبذلك يقل التحاسد والعدوان بينهم.

العشرون: ختم الرسالة والنبوة المقتضي أن لا يوجد بعد محمد صلوات الله وسلامه عليه نبي يبلغ الناس شيئًا عن وحي الله، أو يشرع لهم شيئًا من الدين، وهذا من إتمام عتق البشر من الأدعياء الذين يتحكمون في أفكار الناس وإراداتهم، يدعون أنهم نواب فيهم عن ربهم أو أنهم آلهة بالفعل كما يدعي البهائيون في زعيمهم أو أنبياء كما يدعى الأحمدية القاديانيون في مسيحيهم الدجال.

الواحد والعشرون: أن شريعة الإسلام فيها من الهدى ودين الحق أكمل مما في الشريعتين المتقدمتين، ويسَّر الله من اتباع الخلق له واهتدائهم به ما لم يتيسر مثله لمن قبله، فحصل فضيلة شريعته من جهة فضلها في نفسها ومن جهة كثرة من قبلها وكمال قبولهم لها، ففي شريعة

الإسلام تحليل الطيبات وتحريم الخبائث، وشريعة التوراة فيها تحريم كثير من الطيبات عليهم، وفي شريعة الإسلام من قبول الدية في الدماء ما لم يشرع في التوراة، وفيها من وضع الآصار والأغلال التي في التوراة ما يظهر به أن نعمة الله على أهل القرآن أكمل.

وما امتاز به الإنجيل عن التوراة بمكارم الأخلاق المستحسنة والزهد المستحب وتحليل بعض المحرمات وهذا كله في القرآن وهو في القرآن أكمل، فليس في التوارة والإنجيل ما هو من العلوم النافعة والأعمال الصالحة إلا وهو في القرآن والإسلام أو ما هو أفضل مما في التوراة والإنجيل.

ففي الإسلام والقرآن من العلوم النافعة والأعمال الصالحة من الهدى ودين الحق ما ليس في الكتابين(١).

الثاني والعشرون: ومن خصائص الإسلام الأمر بالاجتماع والنهى عن التفرق. وقد استفاضت الأدلة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة لتقرير هذا الأصل.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَلَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَنَبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَلِكُمْ وَصَّنكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣). فهذه الوصية هي خاتمة وصاياه العشر، التي هي جوامع الشرائع التي تضاهي الكلمات التي أنزلها الله على موسى في التوراة، وإن كانت الكلمات التي أنزلت علينا أكمل وأبلغ وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَمِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

فنهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البيانات، وأخبر رسوله أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء، وذكر أنه جعله على شريعة من الأمر، وأمره أن يتَبِعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون (٢). وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِعُوا المَامِرِ، وَالْمَرِهُ وَالْمَرَهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرِهُ وَالْمَرْهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَالْمُ وَالْمَرَاهُ وَالْمَرَاهُ وَلَا لَهُ مِنْ اللَّهُ وَلَا لَهُ وَالْمُؤْمِنُ وَالْمُوالِمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمُونُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُونُ وَالْمُؤْمُ وَالِمُ وَالْمُؤْمُ وَالْمُوالْمُوا وَالْمُؤْمُ وَالْ

<sup>(</sup>۱) راجع: الجواب الصحيح (۳/ ۲۳۵)، وتفسير ابن عاشور (۳/ ١٩٤)، ومجلة المنار عام (١٩٢٦)، (صـ ٤٩٧). (صـ ٤٩٧).

<sup>(</sup>٢) مجموع فتاوي ابن تيمية (٢٥/ ١٢٧-١٢٧).

بِحَبُّلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوأً ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وحبل الله كتابه كما فسره النبي ﷺ، إلى غير ذلك من نصوص الكتاب.

ومن عناية الرسول على بالدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين وتحذيرهم عن التفرق أحاديث كثيرة، منها على سبيل المثال: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ الله عَلَيْ الله عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ قَالَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سَبِيلُ الله، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ قَالَ يَزِيدُ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأً ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا يَزِيدُ مُتَفَرِّقَ وَلَا تَنْبِعُوهُ وَلَا تَنْبِعُوهُ وَلَا تَنْبِعُوهُ وَلَا تَنْبِعُوا السَّبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (١).

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ المُهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ """.

وقد أوصى الرسول ﷺ حذيفة عند ظهور الخلاف والافتراق في الدين بقوله: "تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ"قال حذيفة: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَمَمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قال: "فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المُوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ"(").

ونختم بهذا الكلام القيم الذي ذكره الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي يبين فيه فضل هذا الدين قال:

١- لا يوجد دين من الأديان يؤاخي العقل والعلم في كل ميدان إلا الإسلام.
 ٢- ولا يوجد دين روحي مادي إلا الإسلام.

<sup>(</sup>١) حسن. أحمد (١/ ٤٣٥)، الدارمي (٢٠٢)، الطيالسي (٢٤٤)، وابـن حبـان في صـحيحه (٦)، وحسـنه الألباني في مشكاة المصابيح (١٦٦).

<sup>(</sup>٢) حسن. أبو داود (٤٥٩٩)، والترمذي (٢٦٧٦)، وأحمد (٤/١٢٦).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٣٦٠٦)، مسلم (١٨٤٧).

- ٣- ولا يوجد دين يدعو إلى الحضارة والعمران إلا الإسلام.
- ٤- ولا يوجد دين شهد له فلاسفة العالم المتحضر إلا الإسلام.
  - ٥ ولا يوجد دين يسهل إثباته بالتجربة إلا الإسلام.
- ٦- ولا يوجد دين من أصوله الإيمان بجميع الرسل والأنبياء والكتب الإلهية إلا الإسلام.
  - ٧- ولا يوجد دين جامع لجميع ما يحتاجه البشر إلا الإسلام.
  - ٨- ولا يوجد دين فيه من المرونة واليسر الشيء الكثير إلا الإسلام.
    - ٩- ولا يوجد دين تشهد له الاكتشافات العلمية إلا الإسلام.
      - ١٠ ولا يوجد دين صالح لكل الأم والأزمان إلا الإسلام.
    - ١١- ولا يوجد دين يسهل العمل به في كل حال إلا الإسلام.
      - ١٢ ولا يوجد دين لا إفراط فيه ولا تفريط إلا الإسلام.
        - ١٣ ولا يوجد دين حفظ كتابه المقدس إلا الإسلام.
  - ١٤ ولا يوجد دين صرح كتابه المنزل بأنه عام لكل الناس إلا الإسلام.
    - ١٥ ولا يوجد دين يأمر بجميع العلوم النافعة إلا الإسلام.
      - ١٦- الحضارة الحاضرة قبس من الإسلام.
      - ١٧ هذه الحضارة مريضة ولا علاج لها إلا الإسلام.
  - ١٨ ما شهد التاريخ حضارة جمعت بين الروح والمادة إلا حضارة الإسلام.
    - ١٩- السلام العالمي لا يتم إلا بالإسلام.
    - ٠١- لا يوجد دين يسهل إثباته بالتحليل العلمي إلا الإسلام.
    - ٢١- لا يوجد دين وحد قانون المعاملات بين البشر إلا الإسلام.
      - ٢٢- لا يوجد دين أزال امتياز الطبقات إلا الإسلام.
      - ٢٣- لا يوجد دين حقق العدالة الاجتماعية إلا الإسلام.
      - ٢٤- لا يوجد دين لا يشذ عن الفطرة في شيء إلا الإسلام.

- ٢٥- لا يوجد دين منع استبداد الحكام وأمر بالشوري إلا الإسلام.
  - ٢٦- لا يوجد دين أمر بالعدالة مع الأعداء إلا الإسلام.
  - ٧٧- لا يوجد دين بشرت به الكتب السهاوية إلا الإسلام.
- ٢٨- لا يوجد دين أنقذ المرأة في أدوارها: أما وزوجة وبنتا إلا الإسلام.
- ٧٦ لا يوجد دين ساوي بين الأبيض والأسود والأصفر والأحمر إلا الإسلام.
  - ٣٥- لا يوجد دين أمر بالتعليم وحرّم كتمان العلم النافع إلا الإسلام.
    - ٣١- لا يوجد دين قرر الحقوق الدولية إلا الإسلام.
  - ٣٢- لا يوجد دين توافق أوامره ما اكتشفه الطب الحديث إلا الإسلام.
- ٣٣- لا يوجد دين أنقذ الرقيق من المعاملات الوحشية وأمر بمساواته لسادته وحض على إعتاقه إلا الإسلام.
  - ٣٤- لا يوجد دين قرر سيادة العقل والخضوع لحكمه إلا الإسلام.
- ٣٥- لا يوجد دين ينقذ الفقّراء والأغنياء بفرض جزء من مال الأغنياء يعطى للفقراء إلا الإسلام.
- ٣٦- لا يوجد دين قرر من الأخلاق مقتضى الفطرة والحكمة الإلهية، فللشدة موقف وللرحمة موقف إلا الإسلام.
  - ٣٧- لا يوجد دين أمر بالإحسان والرفق بجميع الخلق إلا الإسلام.
  - ٣٨- لا يوجد دين قرر أصول الحقوق المدنية على قواعد فطرية إلا الإسلام.
    - ٣٩- لا يوجد دين اعتنى بصحة الإنسان وثروته إلا الإسلام.
    - ٤ لا يوجد دين أثر في النفوس والأخلاق والعقول كالإسلام(١)

<sup>(</sup>١) نقلًا من كمال الدين الإسلامي/ المؤلف: عبد الله بن جارالله بن إبراهيم آل جارالله.

# المبحث الخامس: الإسلام بين الوسطية والغلو

ومن محاسن الإسلام نفي الغلو عن أحكامه وتشريعاته الإسلام بين الغلو والتوسط تعريف الوسطية

أولًا: لغة: وسطُ الشيء: ما بين طرفيه. . . ، واعلم أن الوسط قد يأتي صفة، وإن كان أصله أن يكون اسمًا من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه (۱). الوسطُ: من كلِ شيءٍ أَعْدَلُهُ. (۲)

ثانيًا: اصطلاحًا: قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَاكِ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

أي كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ، وبها جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان بأن جعلناكم أمة وسطًا.

وأما الوسط فإنه في كلام العرب الخيار، يقال منه: فلان وسط الحسب في قومه: أي متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه. وهذا معنى من معاني الوسط المذكور في الآية الكريمة، ولعل هناك معنى آخر لا يعارض المعنى الأول وهو:

أن الوسط في هذا الموضع المقصود به الجزء، الذي هو بين الطرفين، مثل وسَط الدار، وأرى أن الله تعالى ذكره إنها وصفهم بأنهم وسَط، لتوسطهم في الدين، فلا هُم أهل غُلوِّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها. (")

وفي سنة النبي ﷺ ورد ما يقررُ هذا المعنى ويوضحه فمن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري الله تَعَالَى هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ الله تَعَالَى هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ

<sup>(</sup>١) لسان العرب (٦/ ٤٨٣١، ٤٨٣٢) مادة وسط.

<sup>(</sup>٢) مختار الصحاح صـ٧٤٠.

<sup>(</sup>٣) تفسير الطبري (٢/٦).

نَعَمْ أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّعَكُمْ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيَقُولُ عُمَدًّ عَلَيْكُمْ أُمَّةً لَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدً عَلَيْكُمْ أُمَّةً وَسُطًا فَيَقُولُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لَالْعَدُلُ اللهِ عَلَى النَّاسِ ﴾ وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى النَّاسِ اللهِ وَالْوَسَطُ الْعَدْلُ اللهِ اللهُ ال

#### الإسلام بين الملل الأخرى:

الإسلام دين الوسط بين المادية الملحدة وبين الرهبانية المبتدعة، فاليهودية والنصرانية زاغت عن العدل والاعتدال فيها يخص حقوق الروح وحقوق الجسد.

فبالنسبة لليهودية كانت وما تزال ترى أن المال هو الغاية، وأن المادة هي الهدف الأسمى، ولذا أقدمت على تقديسها وتأليهها لدرجة أنها حريصة على الحياة المادية أكثر من كل شيء حتى إن عيسى الحيالاكان يخاطبهم قائلًا: "لا تعبدوا ربين: الله والمال". ويقول ول ديورانت: إن اليهود قلما كانوا يبشرون إلى حياة أخرى.

ولم يرد في دينهم شيء من الخلود، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ﴾ (البقرة: ٩٤). يقول سبحانه: ﴿ وَلَنَجِدَ نَهُمْ الْحَرُصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوْةٍ وَمِنَ اللّذِينَ أَشْرَكُوا أَيوَدُ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُو يُمُرَّخُونِهِ مِن الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرُ وَاللّهُ بَصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٩٦). ويقول تعالى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرّبُوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكُولِ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ إِن مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦١).

ومن هنا نرى أن اليهود حرفت وشوهت وبالغت في هذا الجانب المادي على حساب الجانب الروحي.

أما النصرانية فقد اتخذت منحى معاكسًا للفكر اليهودي حيث بالغت في الجانب الروحي بدعوة الزهد والترهبن قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَةُ آبْتَدَعُوهَا مَا كَنْبَنْهَا عَلَيْهِ مِّ إِلَّا ٱبْتِغَآ وَضَوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهِمْ فَعَالَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (الحديد: ٢٧).

<sup>(</sup>١) البخاري (٣٣٣٩).

وقال رسول الله ﷺ: "لَا تُشَدِّوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَاللهُ عَلَيْهُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَاللهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ ﴿ وَرَهْبَانِيَّا آبْتَدَعُوهَا مَا كَنَبَّنَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ "("). صور الوسطية في الإسلام: وسطية الإسلام من أبرز خصائصه، وهي بالتبع من أبرز خصائصه، أمد الاستجابة "".

فالأمة الإسلامية وسط في كل جوانب الدين (").

١) في جانب العقيدة: فهم ممتثلون لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّ لَ الْكِتَٰكِ لَا تَغَلُّواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْمَحَقِ وَلَا تَتَبِعُواْ أَهْوَاءَ قَوْمِ قَدْ ضَكُواْ مِن قَبْلُ وَأَضَكُواْ كَثِيرًا وَضَكُواْ عَن سَوَاءِ السَّكِيلِ ( المائدة: ٧٧).

فهم وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين؛ لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود؛ فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا.

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة

<sup>(</sup>١) أبو داود (٥/ ٣١٥/ ٤٨٦٨)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٤٦٨).

<sup>(</sup>٢) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (٢٦).

<sup>(</sup>٣) انظر: الغلو في الدين لجلال عارف (٢٠).

كها تقوله النصارى، ولا كفروا به وقالوا على مريم بهتانا عظيها حتى جعلوه ولد بغية كها زعمت اليهود، بل قالوا هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. (١)

وكذلك في صفات الله تعالى: فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة؛ فقالوا: هو ﴿فَقِيرٌ وَنَحَنُ أَغِنِيَاتُهُ ﴾. وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغَلُولَةٌ ﴾. وقالوا: إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت. إلى غير ذلك.

والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا: إنه يخلق ويرزق؛ ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب.

والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى ليس له سميٌّ ولا ندُّ ولم يكن له كفوا أحد وليس كمثله شيء. فإنه رب العالمين وخالق كل شيء وكل ما سواه عباد له فقراء إليه ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي ٱلرَّحْنِ عَبْدًا ﴿ اللهُ لَقَدْ أَحْصَىٰ مُ وَعَدَّهُمْ عَدًا ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ مَن فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْنِ عَبْدًا ﴿ اللهُ اللهِ اللهِل

٢) في جانب التشريع وكذلك هم وسط في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء. ويثبت كما قالته اليهود كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله:
 شيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّمُهُمْ عَن قِبْلَئِهُمُ الَّتِي كَافُواْعَلَيْهَا ﴾ (البقرة: ١٤٢).

وبقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْمَنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ. وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًالِمَا مَعَهُمْ ﴾ (البقرة: ٩١). .

ولا جوزوا لأكابر علمائهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بها شاءوا وينهوا عما شاءوا كما يفعله النصارى كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله: ﴿ ٱتَّخَكَذُوۤا اَحْبَكَارَهُمْ وَرُهْبَكَنَهُمْ اَرْبَكَابًا مِن دُونِ اللهِ ﴾ (التوبة: ٣١).

<sup>(</sup>۱) فتاوی ابن تیمیة (۳/ ۳۷۰).

<sup>(</sup>۲) فتاوی ابن تیمیة (۳/ ۲۷۱–۳۷۲).

قال عدي بن حاتم الله على الله ما عبدوهم؟ قال: ما عبدوهم؛ ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم (١).

والمؤمنون قالوا: لله الخلق والأمر فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره. وقالوا: سمعنا وأطعنا؛ فأطاعوا كل ما أمر الله به. وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحَكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾. وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيها(٢).

وفي السنة مثال على هذا الأمر وهو حديث الثلاثة نفر؛ فعن أنس بن مالك هوقال: "جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ عَلَيْهُ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهُ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَمَّهُمْ تَقَالُوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ عَلَيْهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ: أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ: آخَدُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ: آخَدُ أَنَا أَعْتَوِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ: آخَدُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ: آخَدُ أَنَا أَعْدِ لَلْ النِّسَاءَ فَلَا أَتَوَقَّحُمْ لَهُ لَكِنِي رَسُولُ الله عَلَيْ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: "أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَالله إِنِي لَأَخْشَاكُمْ للهُ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ لَكِنِي اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللللّهُ اللللللللّذِي اللللللّذِي الللللّهُ الللللّهُ اللل

٣) في جانب الحلال والحرام: وهم وسطٌ أيضًا في هذا الباب، فإن اليهود كما قال الله تعالى: ﴿ فَيُظَالِمِ
 مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْحَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِبَاتٍ أُحِلَتَ لَهُمْ وَبِصَدِ هِمْ عَنسَبِيلِ ٱللَّهِ كَيْثِيرًا ﴾ (النساء: ١٦٠).

فلا يأكلون ذوات الظفر؛ مثل الإبل والبط. ولا شحم الثرب<sup>(1)</sup> والكليتين؛ ولا الجدي في لبن أمه. إلى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما؛ حتى قيل: إن المحرمات عليهم ثلاثيائة وستون نوعا. والواجب عليهم مئتان وثيانية وأربعون أمرًا وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت. وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وباشروا جميع النجاسات وإنها قال لهم المسيح ﴿وَلِأُحِلَ

<sup>(</sup>١) رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني، غاية المرام (٦)

<sup>(</sup>٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/ ٣٧١).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٦٣ • ٥)، وانظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (صـ٧٧).

<sup>(</sup>٤) الثرب: شحم رقيق يغشى الكَرِش والأمعاء، اللسان، مادة: ثرب.

لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿ قَائِلُواْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَنَ حَقَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۞ ﴾ (التوبة: ٢٩).

وأما المؤمنون فكها نعتهم الله به في قوله: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمُعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ هَمُّ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ (الأعراف ١٥٧)). (١)

٤) في جانب الدعوة: من فضل الله على الأمة الإسلامية، أن الرسالة الخاتمة جاءت شاملة لكل ما يحتاجه المسلمون في حياتهم الدينية والدنيوية، موجهة لكل الثقلين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد وَضُحَ في القرآن الكريم، والسنة النبوية، كيف يؤدي المسلمون واجبهم في الدعوة إلى الله.

ويُقصد بوسطية الدعوة، أن منهاج الدعوة إلى الله، هو أوسط المناهج وأعدلها وأقومها، وهو الجدير وحده بالاتباع في كل زمان ومكان، وأن هذا المنهاج جانب من التشريع الإلهي، يجب أن يلتزم به المسلم إزاء الآخرين، سواء أكانوا مسلمين يحتاجون إلى

<sup>(</sup>۱) مجموع فتاوي ابن تيمية (٣/ ٣٧٢–٣٧٣).

تنمية المعارف، أو تزكية النفوس، حتى يكون اتباعهم للشريعة صحيحًا، أم كانوا غير مسلمين تطلب لهم الهداية.

ويمكن أن نحدد بعض الملامح المهمة في منهاج الدعوة والتي منها يتبين أن الإسلام هو دين الوسطية حتى في الدعوة إليه.

أ) هداية الناس بيد الله: قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كِنَّ أَلَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (فاطر: ٨). (القصص: ٥٦). وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ أَلَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مِن يَشَآءُ ﴾ (فاطر: ٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص و قَلَى قال: قال رسول الله عَلَيْ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله عَلَيْهِ اللهمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ "(١).

ب) مهمة الدعاة التبليغُ والبيان: قال تعالى: وقال تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاعُ ﴾ (الشورى الآية ٤٨). فإذا بذل الدعاة جهدهم في ذلك، فقد قاموا بالواجب، وأدوا الأمانة:

ج) لا إكراه في الدين: قال الله تعالى: ﴿ لَاۤ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۚ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشُدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٥). وقال سبحانه: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَقَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩).

د) وسائل الدعوة ثلاث: وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال الله تعالى: ﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥).

فالحكمة: وهي ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والسنة، تجذب أصحاب العقول والفطر السوية.

والموعظة الحسنة: أي ما في الكتاب والسنة من الزواجر والوقائع بالناس، يذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى، والداعية بهذه الوسيلة يستميل أولئك الذين يستمعون القول

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۲۵۶).

فيتبعون أحسنه، والذين تلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق.

أما من يحتاج فهمه إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال الله تعالى: ﴿ ﴿ وَلَا يَجُكِدِلُواْ أَهْلَ ٱلۡكِحَتَٰكِ إِلَّا بِٱلَّذِينَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللّهُ اللّهُ

وهذه الأساليب الثلاثة، أهم أساليب الدعوة التي لا يخرج عن نطاقها والتأثر بها من المدعوين إلا من قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِن يَرَوَّا سَبِيلَ ٱلرُّشَدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ (الأعراف: ١٤٦).

هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو من أوصاف الأمة الإسلامية التي استحقت بها الخيرية على الأمم، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِأَلْمَعُرُونِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكِرِ ١١٠﴾.

وقد استحق بنو إسرائيل اللعن بتركهم لهذه الشريعة، قال الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْمِنَ بَخِيَ إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُردَ وَعِيسَى اَبَّنِ مَرَّيَعَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿ الْمَائِدَةَ: ٧٨- ٧٩). كَانُواْ لَا يَتَنَاهُونَ عَن مُنكِرٍ فَعَلُوهُ لِيقْسَ مَاكَانُواْ يَقْعَلُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨- ٧٩). ومنهاج الإسلام فيه منهاج الوسط والاعتدال، ، ومراعاة الاستطاعة والقدرة. ولقد كانت حياة النبي عَلَيْهُ هي المنهاج العملي للوسطية في الدعوة إلى الله، وعلى سيرته سار الخلفاء الراشدون، والتابعون لهم بإحسان.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فمنها حديث المسيء صلاته لما صلى الرجل عدة مرات، والنبي يقط كل مرة "ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ " ثم علمه النبي ﷺ كيفية الصلاة (١٠).

وأيضًا حديث معاوية بن الحكم السلمي لما تكلم في الصلاة وعلَّمه النبيُّ ﷺ "إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ ما يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَام النَّاسِ"(٢).

<sup>(</sup>١) البخاري (٧٥٧)، مسلم (٣٩٧).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۷۳۵).

وفي هذه الفترة القليلة من الزمن في حياة الأمم، دخل الناس في دين الله أفواجًا وتكوَّن المجتمع المسلم الواحد في عقيدته وشريعته وسلوكه الاجتماعي.

وكانت الدعوة إلى الله وفق منهاج الوسطية القرآنية، هي السبيل الأول لانتشار الإسلام ودعوته (١).

0) في جانب حقوق الإنسان: الإسلام يحترم حقوق الإنسان ويلزمه بأداء الواجب إذ أنها وجهان لعملة واحدة فكل حق يقابله واجب، ويعطيه مكانته وكامل حقوقه المشروعة شريطة ألا تكون هذه الحقوق على حساب الجهاعة، وهكذا نرى أنه من الحقوق التي منحها الإسلام للفرد حق حرية الرأي والتعبير والمشاركة في المجتمع وحق التملك وحق الكرامة وحرية التدين.

فالحرية التي يرفع شعارها اليوم الكثير من الدول في العالم بلا ضوابط ولا قيود مما أدى للفوضى والتناقض والاضطراب في فهمها وتطبيقها؛ فحرية كل فرد تكون اعتداء على حريات الآخرين، وفي الوقت نفسه فإن الحجر عليها كبت لا يرضى، فجاء الإسلام ليعلن الحرية في حمى الدين المقيدة بضوابط شرع رب العالمين، تلك التي تمنع الإنسان من فعل الشر، وتدفعه لجلب الخبر.

فالحرية في الإسلام لا تعني التفلت من المسؤولية، وحرية القول لا تعني حرية السب والشتم، وحرية الانتقال لا تعني حرية الاستبلاء والاحتلال.

وأما بالنسبة لحق التملك فقد أباح الإسلام للإنسان الملكية الفردية مع مراعاة حقوق الآخرين في هذه الملكية من زكاة وصدقات ووجوه البر والخير والإحسان، وكذلك الإرث والوصايا وغيرها، قال تعالى: ﴿ وَفِي ٓ أَمَوالِهِم حَقُّ لِلسَّالِيلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات: ١٩)،

<sup>(</sup>١) الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، تأليف الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحـت فصل بعنوان، ((الوسطية في الدعوة)) بتصرف يسير.

وقال سبحانه: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمْ تُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُرْ وَأَنفَقُواْ لِهُتُمْ آجَرٌ كِبَرٌ ﴾ (الحديد: ٧).

لقد أباح الإسلام التملك الفردي احترامًا لحق الإنسان وحثًا له على العمل والإنتاج تلقائيًا ولكن مع مراعاة مصلحة الجهاعة من أجل تحقيق العدالة الاجتهاعية والتخفيف من الفوارق الطبقية هذه هي الوسطية الإسلامية الحقيقية التي لا نجدها في الأنظمة الاقتصادية الحديثة.

أما بالنسبة لكرامة الإنسان فإن الفرد في الإسلام مكرم عند الله بغض النظر عن الجنس أو العرق أو اللون، قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن ذَكْرِ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَكُم شُعُوبًا وَمَا الله عَلَيْ وَجَعَلْنَكُم شُعُوبًا وَمَا يَعَارَفُوا أَإِنَّ أَكُم مُكْم عِن الله عَلَيْم: "أَنْتُمْ وَالْحَجرات: ١٣). وقال رسول الله عَلَيْم: "أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابِ "(١).

فالإسلام ينبذ العنصرية بكل أشكالها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُرَّمْنَا بَنِيَ عَادَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء، آية: ٧٠).

وتظهر وسيطة الإسلام هنا من إعطاء الحق والعدل والاعتدال في الكرامة للجميع (٢٠). ٦) في جانب إنفاق المال: يعد المال في الإسلام عصب الحياة وقوام الأعمال إلا أنه في الوقت نفسه يحذرنا المولى على من طغيانه، قال تعالى: ﴿كُلّاۤ إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لَيَطْغَيٓ ﴾ (العلق: ٦).

وقال تعالى: ﴿ آلْمَالُ وَٱلْمَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا ۗ وَٱلْمَنْقِينَتُ ٱلصَّلِحَنْتُ خَيْرُ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلًا ﴿ وَٱلْمَنْقِينَتُ ٱلصَّلِحَنْتُ خَيْرً عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرُ أَمَلًا ﴿ وَٱلْمَنْعِ فِيمَا ٓ اَتَمَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةُ ۚ وَلَا تَنْفَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۗ وَقَالَ تعالى: ﴿ وَٱلْمَنْعِ فِيمَا ٓ اَتَمَاكَ ٱللَّهُ ٱللَّهُ ٱللَّهُ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

<sup>(</sup>١) أبو داود (٥٧٥)، والترمذي (٣٢٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣١٠١).

<sup>(</sup>٢) وسطية الإسلام وسهاحته ودعوته للحوار، تحت فصل بعنوان (الوسطية في الحقوق).

وحذر الإسلام أيضًا من الترف الفاحش الذي يؤدي إلى الفسق وارتكاب المعاصي فيستوجب غضب الرب كما يستوجب الدمار والهلاك والخراب، قال تعالى: ﴿ وَإِذَاۤ أَرَدْنَاۤ أَنَّ اللَّهُ وَالْحَرَابُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَاۤ أَرَدُنَاۤ أَنْ اللَّهُ وَالْحَرَابُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَاۤ أَرَدُنَاۤ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَةُ وَلَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّلَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْعُلَّالَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّالِقُلْ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَال

٧) في جانب المعاملة مع النفس: حذر الإسلام من طغيان النفس وأهوائها وتحكمها في سلوك الإنسان، إلا أنه في الوقت نفسه نهانا عن إرهاق النفس بها لا تطيق، كها نهانا الإسلام عن تحريم ما أحله الله من الطيبات. وهذا يعني أن الإنسان عليه أن يتخذ من نفسه موقفًا وسطًا؛ بحيث لا تتحكم فيه كها تشاء ولا يكلفها ما لا تطيق من أمور العبادات والعمل ولا يمنعها حقها من التمتع بالطيبات.

<sup>(</sup>١) البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

<sup>(</sup>٢) وسطية الإسلام وسهاحته ودعوته للحوار، لمحمد بن أحمد الصالح، تحمت فصل بعنوان (وسطية الإسلام في إنفاق المال) بتصرف. وانظر أيضًا: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان صـ٧٣.

وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقوله تعالى: ﴿لاَيُكُلِفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا مَاتَنها﴾ (الطلاق: ٧). ولما دخل سلمان الفارسي على أبي الدرداء هوصنع أبو الدرداء أه طَعَامًا قَالَ له سلمان: كُلْ فَإِنِّ صَائِمٌ فَقَالَ سلمان: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ فَأَكُلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ له سلمان: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ فَأَكُلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ له سلمان: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ فَمَا يَعُومُ فَقَالَ له سلمان: "إِنَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ قُمْ الْآنَ: فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: "إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقًّ حَقَّهُ "فَأَتَى النَّبِي عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقًّ حَقَّهُ "فَأَتَى النَّبِي عَلِي فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِي عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقًّ حَقَّهُ "فَأَتَى النَّبِي عَلَيْكَ حَقًا فَلَالَ النَّبِي عَلَيْكَ حَقًا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقًّ حَقَّهُ "فَأَتَى النَّبِي عَلَيْكَ عَلَيْكَ حَقًا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقًّ حَقَّهُ "فَأَتَى النَّبِي عَلَيْكَ خَلَى فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ النَّبِي عَلَيْكَ حَقًا فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقًّ فَأَكُلُ فَلَكَ الْمَالُ النَّبِي عَلَيْكَ عَلَى اللَّهُ الْكَالُولُ اللَّهُ الْمَالُ النَّبِي عَلَيْكَ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ لَكُولُ اللَّهُ فَقَالَ النَّبِي عَلَى اللهُ اللَّهُ الْمَالُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَالُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهُ اللَّهُ اللهُ الله

وأمر الإسلام الإنسان أيضًا أن يسلك مسلك الحلم والتعقل والرزانة بحيث لا يكون لينًا فيعصر ولا يابسًا فيكسر، قال سبحانه: ﴿ اللّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَآءِ وَالضَّرَآءِ وَالضَّرَآءِ وَالضَّرَآءِ وَالضَّرَآءِ وَالضَّرَآءِ وَالْفَرَاءِ وَالْفَرَاءِ وَقَالَ عَلَيْهِ وَالْفَرَاءِ وَقَالَ تَعْلَى: ﴿ وَالْفَينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَالْفَرَاءِ اللّهِ وَاللّهِ عَلَيْهُ وَالْفَيْرِ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَالْفَرَاءِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ (الشورى: ٣٧). وقال ﷺ: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ " (\*). لذا لا بد من الوسطية هنا واستعال الحكمة، فالغضب عواقبه وخيمة كها أنه دليل على الضعف وتحكم النفس والشيطان. وحتى في مشي الإنسان في الطريق أمر الإسلام المسلم بالتوسط فيه، فلا اختيال ولا تكبر ولا مسكنة ولا ذلة. فقال تعالى آمرًا رسوله ﷺ: ﴿ وَلَغْفِضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ النَّمُ وَمِنَا إِنَّ اللّهُ لاَ يُحِبُكُنَّ مُغْنَالٍ فَخُورٍ ﴿ وَاللّهُ وَالْعَصِدُ اللّهُ وَالْمَوْنِ السَّوْتِ الصَّوْتُ الْمُورِينَ الْمُورِينَ الْمُورِينَ الْمُورِينَ اللّهُ لا يُحِبُكُنَّ مُغْنَالٍ فَخُورٍ ﴿ وَاللّهُ اللّهُ وَالْمَوْنِ السَوْدَةُ الْمُورِينَ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللللللللّ

<sup>(</sup>١) البخاري (٦١٣٩).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢١١٤)، مسلم (٢٦٠٩).

وقال ﷺ: "إِنَّ الله أَوْحَى إِلِيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ"''.

٨) في جانب الشهادة والحكم: سبق أن أوضحنا أن من معاني كلمة "وسطًا" التي وردت في الآية الكريمة معنى العدل وهو ما فسره النبي على كما ورد في صحيح البخاري(٢).

وقد جاءت آيات كثيرة تبيّن وجوب العدل في الشهادة، وكذلك في الحكم - أيضًا - والشهادة هي إحدى مقدّمات الحكم في كثير من الأحكام. . . . ، وإذا كان العدل يعني الوسط، كما تقرّر، فإن أمر الله بالعدل في الشهادة والحكم هو أمر وإقرار لمنهج الوسطيّة، ويتضح ذلك - من الآي:

1) قال تعالى: ﴿ يَكُنْ عَنِيًّا أَلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْرَمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآة بِلَهِ وَلَوَ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَلِلَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَبِعُوا الْمُوكِىٰ أَن تَعَدِلُوا وَإِن الْوَلِلَيْنِ وَالْأَقْرَبُوا فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿ النساء: ١٣٥). ومعنى الآية الكريمة: يَا أيها الذين آمنوا ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام بالقسط، يعني العدل وشهداء الله بيا أيها الذين آمنوا ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام بالقسط، يعني العدل وشهداء الله جمع شهيد ونصبت الشهداء على القطع مما في قوله: ﴿ قَوْرَمِينَ ﴾ من ذكر الذين آمنوا. معناه: قوموا بالقسط لله عند شهادتكم، أو حين شهادتكم ﴿ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ (النساء: ١٣٥). أي ولو كانت شهادتكم على أنفسكم، أو على والديكم أو أقربيكم، فقوموا فيها بالقسط والعدل، وأقيموا على صحتها بأن تقولوا فيها الحق، ولا تميلوا فيها لغني لغناه على فقير، ولا لفقير لفقره على غنى فتجوروا.

٢) قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ مَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلْعَشْهَدَاءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَكُمْ شَكَانُ قَوْمٍ عَلَىٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ أَمْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨). يعني جل ثناؤه: يا أيها

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۸۲۵).

<sup>(</sup>٢) انظر: تفسير الوسطية في أول الفصل.

الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله، شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، فتجاوزوا ما حدّت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصّروا فيها حدّت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدّي، واعملوا فيه بأمري(١).

٣) تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمَّ فَأَعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْيَىٰ ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

ومعنى الآية الكريمة: وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم، فقولوا الحق بينهم، واعدلوا، وأنصفوا، ولا تجوروا، ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة لكم، ولا تحملنّكم قرابة قريب، أو صداقة صديق، حكمتم بينه وبين غيره، أن تقولوا غير الحق فيها احتكم إليه فيه. (٢)

٤) وردت آيات كثيرة تأمر بالعدل، وتنهى عن الهوى، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلأَمْنَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُهُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحَكُّمُوا بِٱلْعَدْلِ ﴾ (النساء: ٥٨). وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْفَ وَيَنْعَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَ وَٱلْبِحْسَنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْفَ وَيَنْعَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَ وَالْبَغِي عَيْظُكُمْ لَعَلَّكُمْ مَنَدَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠)، يقول الفَحْمُ بَنَ النَّاسِ بِٱلْحَقِ وَلَا تَعالى: ﴿ قُلْ أَمْرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ﴾ (الأعراف: ٢٩). ويقول تعالى: ﴿ فَاصْمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِ وَلَا تَعَالَى: ﴿ فَاصْمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِ وَلَا تَعَالَى: ﴿ فَاصْمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِ وَلَا تَعَالَى: ﴿ فَاصْمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِ وَلَا لَهُ مِنْ كَلِي اللّهِ ﴾ (الأعراف: ٢٩). ويقول تعالى: ﴿ فَاصْمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِ وَلَا اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ ﴾ (الأعراف: ٢٦).

ويقول تعالى: ﴿ وَمَن قُئِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيّهِ عَسُلْطَنَنَا فَلَا يُسْرِف فِي ٱلْفَتْلِ إِنَّهُم كَانَ مَنصُورًا ﴿ الْإِسراء: ٣٣﴾ (الإسراء: ٣٣) (٢٠).

> توسط أهل السنة والجماعة بين الفرق الإسلامية فأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق كلها.

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (١٠/ ٩٥).

<sup>(</sup>۲) تفسير الطبري (۱۲/ ۲۵۲).

<sup>(</sup>٣) انظر: الوسيطة في القرآن الكريم، لناصر العمر، تحت فصل بعنوان (منهج الوسطية في الشهادة والحكم).

فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسطٌ بين أهل التعطيل، الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه؛ حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات.

فيؤمن أهل السنة والجماعة بها وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل.

وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله؛ الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء؛ وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل. فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: ﴿ وَهَا مَا اللهُ اللهُ مَا اللهُ ال

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير. فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات.

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبورا؛ إذ المجبور من أكره على اختلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختارًا لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير. فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وهم في باب الأسهاء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية؛ الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الإيهان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي على المرجئة الذين يقولون: إيهان الفساق مثل إيهان الأنبياء والأعهال الصالحة ليست من الدين والإيهان. ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية.

فيؤمن أهل السنة والجهاعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيهان وأصله وليس معهم جميع الإيهان الواجب الذي يستوجبون به الجنة وأنهم لا يخلدون في النار. بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيهان أو مثقال خردلة من إيهان وأن النبي ﷺ ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

وهم أيضًا في أصحاب رسول الله على ورضي عنهم وسط بين الغالية. الذين يغالون في على شه فيفضلونه على أبي بكر وعمر وسط ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونها وأن الصحابة ظلموا وفسقوا، وكفروا الأمة بعدهم كذلك وربها جعلوه نبيا أو إلها وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان وسلام ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما. ويستحبون سب على وعثمان ونحوهما ويقدحون في خلافة على شهوإمامته (۱).

وهم وسط بين المعتزلة المعظمين للعقل إلى درجة أنهم يردون المتواتر من الأحاديث ويلوون أعناق الآيات بتأويلاتهم الفاسدة لزعمهم أنها تخالف العقل، وبين أهل الجمود والظاهر ممن يلغون دور العقل في الفهم والاستنباط والفقه ولا يثبتون للنص معنى.

وهم وسط بين من يقول: نقرأ القرآن والسنة للبركة، وأما العلم والفقه فهو مدون في المتون والمختصرات والمطولات وأقوال الرجال، ويحفظون الأقوال والمسائل دون اهتهام بالدليل، وبين من يقول: "الكتاب والسنة"، بمعنى إهدار جهود السابقين من الأئمة الأعلام ومصابيح الظلام الذين أصّلُوا الأصول وفرَّعوا الفروع ونفعوا الأمة وخدموا الكتاب والسنة، فالمتأخرون من بحر علومهم يغرفون، ولكن هذا لا يعني أنهم معصومون ولا يخطئون، فأهل السنة والجهاعة يجبونهم ويحترمونهم وينتفعون بعلومهم ويستعينون بأقوالهم لفهم الكتاب والسنة واتباع الصحيح من الأقوال.

وهم وسط بين من يقول بأن كل مجتهد مصيب وبين من يسفه آراء العلماء ويتطاول على أئمة الإسلام، وقولهم في المسألة كل مجتهد مأجور وإن أخطأ، لقول النبي ﷺ: "إِذَا حَكَمَ الحُاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطاً فَلَهُ أَجْرٌ واحد"(").

<sup>(</sup>۱) مجموع فتاوي ابن تيمية (٣/ ٣٧٣-٣٧٥).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٧٣٥٢)، مسلم (١٧١٦).

وهم وسط بين المتفلتين المتتبعين لرخص العلماء بزعم التيسير والتخفيف على العباد وبين المتشددين المحرمين لكل شيء.

وهم وسط في مسألة التقليد بين من يحرم الاجتهاد ويوجب التقليد على كل أحدٍ وبين من يحرم التقليد على إطلاقه دون تفصيل(١).

وكذلك في سائر "أبواب السنة " هم وسط. لأنهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله على الله وسنة رسوله على الفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان (").

الإسلام بين الغلو واليسر: تعريف اليُسْرِ: لغة: نقيض العسر. وهو السهولة. (")

اصطلاحًا: هو تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة كها جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، من غير تشدد يحرم الحلال ولا تميع يحلل الحرام، ويدخل تحت هذا المصطلح: السعة، ورفع الحرج، وغيرها من المصطلحات التي تحمل المدلول نفسه".

الدين الإسلامي قائم على اليسر ورفع الحرج: إن الدين الإسلامي قائم بمجمله على اليسر ورفع الحرج ابتداءً من العقيدة وانتهاءً بأصغر أمور الأحكام والعبادات بشكل يتوافق مع الفطرة الإنسانية وتتقبله النفس البشرية من غير تكلف أو تعنت، "فإن الشارع لم يقصد إلى التكليف بالمشاق الإعنات فيه والدليل على ذلك أمور "(°):

أُولًا: الآيات الكثيرة التي تثبت التيسير وتنفي العسر والحرج والمشقة عن الدين الإسلامي منها: قوله تعالى: ﴿وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُرُ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: ٧٨).

وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اللَّهُ مَلَكُ مُ اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهُ وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَفِّفَ عَنكُم ۗ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَانُ ضَعِيفًا ۞ ﴿ (النساء: ٢٨).

<sup>(</sup>١) الغلوفي الدين، لجلال بن بعد الرحمن عارف صـ٧١، ٢٢.

<sup>(</sup>۲) مجموع فتاوي ابن تيمية (۳/ ۳۷۳).

<sup>(</sup>٣) الصحاح للجوهري (٢/ ٧٣٠)، القاموس المحيط (١/ ٦٩١).

<sup>(</sup>٤) اليسر والسماحة في الإسلام. تأليف/ فالح بن محمد الصغير تحت فصل بعنوان (مفهوم اليسر).

<sup>(</sup>٥) انظر: الموافقات للشاطبي (٢/ ٨١)، اليسر والساحة في الإسلام.

وكذلك الأحاديث الكثيرة التي تحمل معاني اليسر في أمور الدين وعدم التنطع والتشدد في العبادات والطاعات، فقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى أن أهم ما تميزت به رسالة الإسلام عن غيرها من الرسالات الساوية السابقة هي اليسر ورفع الحرج والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر ولكن نكتفي منها بالإشارة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسُرُّ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلِجُةِ"(١).

وعن ابن عباس ﴿ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: "أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى الله الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ" (٢).

والمتمعن في السيرة النبوية يجد أن سلوك النبي على منهج التيسير والسهاحة، والشواهدُ أكثر من أن تعد أو تحصى، ولكن نكتفي بسرد حادثة وقعت لأحد الصحابة وجاء إلى الرسول على الله يريدُ مخرجًا لها وهو صحابي فقير لا يملك قوت يومه.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ هُقَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ هَلَكْتُ قَالَ: "مَا لَكَ" قَالَ وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ فَقَالَ رَسُولُ الله عَلَيْ: "هَلْ تَجُدُ وَقَبَةً تُعْتِقُهَا"قَالَ: لَا قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ"قَالَ: لَا فَقَالَ: "فَهَلْ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا"قَالَ: لَا قَالَ: لا قَالَ: لا قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ عَلَيْ فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أَتِي النَّبِيُ عَلَيْ فَيَكُ بِعِرْقِ فِيهَا تَمْرٌ وَالْعَرَقُ الْمُعَلَ قَالَ: "أَيْنَ السَّائِلُ"فَقَالَ: أَنَا قَالَ: "خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ"فَقَالَ بِعَرَقِ فِيهَا تَمْرٌ وَالْعَرَقُ الْمُعَلَى قَالَ: "أَيْنَ السَّائِلُ"فَقَالَ: أَنَا قَالَ: "خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ"فَقَالَ اللهَ عَلَى السَّائِلُ "فَقَالَ: أَنَا قَالَ: "خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ"فَقَالَ اللهُ مُنْ وَالله مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا - يُرِيدُ الْحَرَقُ النَّي يَعِيْ حَتَى بَدَتْ أَنْيَابُهُ ثُمَّ قَالَ: "أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"(").

ثانيًا: اعتماد الشريعة الإسلامية على عدة أسس في التيسير.

<sup>(</sup>١) البخاري (٣٩).

<sup>(</sup>٢) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا (١/ ١٦٦)، ووصله في الأدب المفرد (٢٨٧)، ورواه أحمد (٢٣٦/١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٨١).

<sup>(</sup>٣) البخاري (١٩٣٦)، مسلم (١١١١).

فإن الشريعة الإسلامية -كما سبق- اعتبادها الأساسي على التيسير ورفع الحرج وللتحقيق فقد اعتمدت على عدة أسس أو مرتكزات مثل:

الرُخْصَةْ: ومعناها لغة: ترخيصُ الله للعبد فيها يخففه عليه، والتسهيلُ (١).
 واصطلاحًا: ما ثبت على خلاف دليلِ شرعي لمعارض راجح (٢).

والرخصة قاعدة عظيمة من قواعد هذا الدين حيث تشمل جميع أمور الدين وجوانبه في العقيدة والعبادة والمعاملة والعقوبات وغيرها، وهي منحة وصدقة من الله تعالى لعباده، كما قال عليه الصلاة والسلام"صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ الله بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ" (٢٠٠٠).

والرخصة من أهم معالم اليسر في هذا الدين، وأن الله -تعالى- إنها أجازها ليخفف عن عباده وطأة بعض التكاليف، ويعذرهم عما لا يطيقونه لذلك يستحب إتيان هذه المنحة والعمل بها في مواضع الجواز، يقول عَلَيْمَ: "إِنَّ الله يُحِبُّ أَنْ تُؤْمَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْمَى مَعْصِيتُهُ" (٤).

ونسوق بعض الأمثلة التي توضح تيسير الشرع الحنيف في هذا الجانب وهو الرخص. أ) الرخصة في السفر: وذلك بقصر الصلاة الرباعية المفروضة وصلاتها ركعتين، والجمع بين صلاتي الظهر والعصر وكذا المغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير.

وكذلك الإفطار للصائم لقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْعَلَى سَفَرِ فَعِـدَّهُ مِّنَ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة: ١٨٤). وقال ﷺ: "لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ "(°).

ب) التيمم بالتراب عند عدم وجود الماء أو عند تعذر استعماله لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْعَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدُّ مِن كُمْ مِن ٱلْغَآبِطِ أَوْ لَهَسْتُمُ ٱلنِسَآءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَآءُ فَتَيمَمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِ حَمَّمَ وَأَيدِيكُم مِّنْ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ

<sup>(</sup>١) القاموس المحيط (١/ ٨٤٣).

<sup>(</sup>٢) شرح الكوكب المنير (١/ ٤٧٨)، روضة الناظر (١/ ١٩٠).

<sup>(</sup>٣) مسلم (٢٨٦).

<sup>(</sup>٤) أحمد (٢/ ١٠٨)، وابن خزيمة في صحيحة (٢٠٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٠٥٩).

<sup>(</sup>٥) البخاري (١٩٤٦)، مسلم (١١١٥).

حَرَج وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُرَبَّ نِعْ مَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَدَ مُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة: ٦). جـ) الرخصة في الحيض والنفاس، وهما عذران للصلاة والصيام والطواف بالنسبة للمرأة (١٠) الأصل في الأشياء الإباحة: وهذا من أهم المرتكزات والأسس التي قام عليها منهج التيسير في الإسلام وهو أن الأصل في الأشياء حلها وإباحتها، وليس منعها وحرمتها، فكل ما خلق في هذا الكون مسخرٌ للإنسان ومهيأ للاستمتاع به، ما لم يكن فيه نهى صريحٌ، فقال تعالى: ﴿ وَسَخَرُ لَكُرُمّا فِي السَّمَونِ وَمَا فِي الْمُرْضِ جَيمًا مِّنَهُ ﴾ (الجاثية: ١٣). وبها أن الشارع قد بين ذلك فلا يحق لأحد أن يحرم هذا المباح، فإنه بذلك يدخل في نطاق التنطع والتعنت المنهي عنه ومن أجل ذلك جاء التحذير الرباني بالنهي عن تحريم الأمور المباحة أو تحليل المحرم، فقد كان هذا السؤال سببًا لإخراج الناس من الدين الحق، وإحلال غضب الله عليهم، كما حدث لبعض الأمم السابقة، فقال تعالى: ﴿ يَكَايُّهُا اللَّذِينَ مَا مَنُوا لاَ تَسَعُلُوا عَنْ أَشَيَاتُهُ إِن ثُبَدُ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ عَنُورٌ حَلِي شَوَّ اللَّهُ عَنُورٌ حَلِي شَوَّ اللَّهُ وَاللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَهُ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَهُ اللَهُ عَنْهُ وَاللَهُ اللَهُ عَنْهُ وَاللَهُ اللَهُ عَنْهُ وَاللَهُ اللَهُ عَنْهُ وَاللَهُ عَنْهُ وَاللَهُ اللَهُ عَنْهُ وَاللَهُ عَنْهُ وَاللَهُ اللَهُ عَنْهُ وَاللَهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَنْكُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ عَنْهُ وَاللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ ا

ويقول ﷺ: "إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ "(").

٣) عدم المؤاخذة على الخطأ والنسيان والإكراه: وفي هذا الأمر تظهر سهاحة الإسلام ويسره في توافقه مع الفطرة الإنسانية السليمة التي خلقها الله في نفس الإنسان، ومن هذه الفطرة الخطأ الذي يقع فيه الإنسان في معظم أحواله من غير قصد، وكذلك ما يعتريه من نسيان -وهو ما ذكره الله تعالى - على لسان المؤمنين الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ "قَالَ قَدْ فَعَلْتُ "(٣).

وما كان يجيب به ﷺ في حجة الوداع على من أخطأ أو نسي فقدم أو أخر فكان الجواب دائمًا"

<sup>(</sup>١) انظر: المنثور في القواعد للإمام الزركشي تحت فصل بعنوان (الرخص).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٧٢٨٩)، مسلم (٢٣٥٨).

<sup>(</sup>٣) مسلم (١٢٦).

افْعَلْ وَلَا حَرَجَ "(١).

فها كان هذا الجواب إلا سهاحة الإسلام وتيسيره ورفعه الحرج على أتباعه.

وأما الاستكراه فهو أمرٌ خارجٌ عن إرادة الإنسان، لا يستطيع كل إنسان أن يتحمل ما قد يتعرض له من أذى أو ضرر أو تهديد بالقتل أو قطع عضو وغيره، فحينها رخص له الشارع أن يتنازل عن بعض مفاهيمه الدينية تخلصًا من الحال التي يعاينها والعذاب الواقع عليه كها حصل لعهار بن ياسر على حينها ذكر آلهة قريش بخير ونال من رسول الله على تحت وطأة التعذيب، وقتل أبواه أمام عينه، فشكا ذلك إلى رسول الله على فقال له الرسول على: "كيف تجد قلبك؟ "قال: مطمئنًا بالإيهان، قال النبي على: "إن عادوا فعد"(").

وما ذلك إلا رحمة وتيسيرًا لهم، لأن الخطأ والنسيان من الأمور الفطرية التي لا يسلم منها أحد، وأما الإكراه فلأن قوة التحمل تختلف من إنسانٍ لآخر، من أجل ذلك جاء هذا التشريع الرباني بهذه الصورة الميسرة التي تناسب أطباع الناس وفطرهم (٣).

لا التوبة: والتوبة من الأسس المتينة التي يرتكز عليها منهج التيسير في الإسلام وهي سبب من أسباب ثبات المؤمن وبقائه على دين الله تعالى، حيث تزيل عن كاهله هموم المعاصي وأثقال المخالفات، وتدفعه للعمل دومًا نحو الأفضل، يقول الله تعالى: ﴿ قُلَ يَعْبَادِى اللَّهِ يَعْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُو يَعْبَادِى اللَّهِ يَعْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُو النَّهَ يَعْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُو النَّهَ يَعْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُو النَّهَ يَعْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُو النَّهُ وَرُالرَّحِيمُ ﴿ الزمر: ٥٣).

والتوبة سبب لمحبة الله تعالى للإنسان عندما ينيب إليه بعد أن عصاه ويندم على فعله:

<sup>(</sup>١) البخاري (٨٣)، مسلم (١٣٠٦).

<sup>(</sup>٢) المستدرك (٢/ ٣٥٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه البيهقي في الكبرى (٨/ ٨٠١/ ٢٠٧٣). وهو مرسل ورجاله ثقات، وذكر مراسيل أخرى في المعنى نفسه ثم قال: وهذه المراسيل تقوى بعضها بعضًا.

 <sup>(</sup>٣) اليسر والساحة في الإسلام: تأليف/ فالح بن محمد الصغير تحت فصل بعنوان: مرتكزات منهج التيسير.
 وانظر أيضًا: المنثور في القواعد للزركشي عنوان ((الخطأ يرفع الإثم)).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّدِينَ ﴿ اللَّهِ (البقرة: ٢٢٢).

وأيضًا قول النبي ﷺ: "لله أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا"(').

ومن يسر هذا الدين وسعته ورحمته، أن الله تعالى جعل الأعمال الصالحة مكفرات لخطايا بني آدم لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَكَمَلًا صَالِحًا فَأُولَكَيْمِكَ يُبَدِّلُ ٱللّهُ سَيَّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ ٱللّهُ عَنْ فُولَارَجِيمًا ﴿ ﴾ (الفرقان: ٧٠).

# ومن أمثلة هذه الأعمال التي تكفر السيئات:

أ) الوضوء: فإنه يكفر الذنوب والخطايا ما اجتنبت الكبائر لقوله ﷺ: "مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ" (٢).

ب) الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة وكذا صوم رمضان فإنها جميعًا تكفر الخطايا لقوله ﷺ: "الصَّلَوَاتُ الحُمْسُ وَالجُمْعَةُ إِلَى الجُمْعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ"(").

ج) أَن كُلُ ابتلاء ومصيبة يبتلى بها المسلم فهي كفارة له لقوله ﷺ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ الله بهَا مِنْ خَطَايَاهُ"('').

### مجالات التيسير في الإسلام:

أولًا: في العبادات: يظهر مبدأ اليسر والمسامحة جليًا في العبادات أكثر من غيرها من أمور الدين، حيث إنها سلوك ظاهر، فجميع العبادات قائمة على هذا المبدأ الذي خص الله تعالى به هذه الأمة من غيرها من الأمم المفروضة منها والنوافل، يقول عليه عليه عليه العبيرة العبيرة المعرفة عنها والنوافل، يقول عليه عليه المعرفة عنها والنوافل، يقول عليه المعرفة والمعرفة والمعرف

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۲۷۵).

<sup>(</sup>Y) amla (O).

<sup>(</sup>٣) مسلم (٢٣٣).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٥٦٤١)، وانظر: الموافقات للشاطبي (٢/ ٨٢).

فَوَالله لَا يَمَلُّ الله حَتَّى مَمَلُّوا"(١). ويمكن أن نشير إلى بعض هذه المظاهر في العبادات الآتية:

أ) في الطهارة: يظهر مبدأ اليسر في الطهارة واضحًا لأنها المدخل إلى العبادات، واليسر فيها أمر ضروري، لأن المسلم يتوضأ في اليوم والليلة خمس مرات، ويغتسل من الجنابة كذلك، ويتعرض لبعض النجاسات هنا وهناك، فإن الشدة في الطهارة توقعه في الضيق والحرج ويجعل نفسه تمل من العبادة نفسها فضلًا عن الطهارة.

ومن الأمثلة الواضحة على هذا التيسير قول النبي على لما سئل عن ماء البحر قال: "هُوَ الطَّهُورُ مَاوُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ" (٢). ويتبين هذا اليسر أيضًا من قصة الأعرابي الذي بال في المسجد فقام الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله على: "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِنْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَنُوا مُعَسِّرِينَ" (٣).

ومن اليسر في الطهارة أيضًا أنه إذا تعلقت القذارة بالنعلين فإن مسحها بالأرض يطهرهما لقوله عليه الصلاة والسلام: "إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى المُسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ رَأَى فِي يَطهرهما لقوله عليه الصلاة والسلام: "إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ إِلَى المُسْجِدِ فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ رَأَى فِي يَعْمَا "(أ).

ومن يسر هذا الدين أيضًا في الطهارة أن النجاسة الواقعة على الثوب تزال بالماء وهذا فيه يسر كبير إذا قورن بها كانت عليه بنو إسرائيل من قبل حيث كانوا يكلفون بقص ما أصيب بالنجاسة من الثوب.

ب) التيمم: ومن اليسر في هذا الدين أن المسلم إذا لم يجد الماء ليتوضأ به أو كان به مرض أو جرح لا يستطيع أن يتوضأ بالماء، فله أن يتيمم بالتراب، فضلًا من الله تعالى وتسهيلًا عليه، لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرِ أَوْ جَآءَ أَحَدُ مِنكُم مِّنَ ٱلْغَآبِطِ أَوْ

<sup>(</sup>١) البخاري (٤٣).

<sup>(</sup>٢) رواه مالك في الموطأ (٤١)، وأبو داود (٨٤)، والترمذي (٦٩)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٩).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٢٢٠).

<sup>(</sup>٤) رواه أبو داود (١/ ٢٥٣/، ٦٥٠)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٨٤).

لَامَسْتُمُ ٱلنِسَآةَ فَلَمْ يَجِدُواْ مَآءُ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَأَمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْةُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ فِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ لَنَّ ﴾ (المائدة: ٦).

بخلاف ما كانت عليه الشرائع السابقة، حيث لا تقبل صلاة من غير تطهر بالماء.

وجاء تأكيد هذا الأمر في السنة النبوية في قوله ﷺ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي المُغَانِمُ وَلَمْ تَحِلًّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصلِّ وَأُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "(').

ج) الصلاة: ويمكن بيان بعض صور التيسير في الصلاة من خلال النقاط الآتية:

ا أنها فرضت في بداية الأمر في رحلة المعراج خمسين صلاة ثم خففت إلى خمس في العمل وخمسين في الأجر.

٢) مشروعية الجمع والقصر في الصلاة أثناء السفر أو المطر أو المرض وذلك للظروف التي يمر بها الإنسان في هذه الحالات من قلة في الماء أو البرد أو خوف من الطريق أو زيادة في المرض.

لذلك جعل الإسلام فيه الصلاة بشكل آخر يتناسب مع هذه الظروف فأجاز له الجمع والقصر، حيث قصرت الصلوات الرباعية إلى ركعتين فقط.

ويتغير وضع الصلاة وكيفيتها كذلك في حالة الخوف في الحرب أو هجوم سبع أو سيل ونحوه، ويسهل أمرها وتقصر، لما في ذلك من مصلحة على المسلمين وحماية لهم من عدوهم الذين قد يغدرون بهم أثناء الصلاة، وتسمى هذه الصلاة بصلاة الخوف، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبِّمُ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيَكُمُ جُنَاحُ أَن نَقَصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَوْةِ إِنْ خِفْتُمَ أَن يَقْنِنكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ ٱلْكَفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوا أَن الصَّلَوْةِ إِنْ خِفْتُمَ أَن يَقْنِنكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ ٱلْكَفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوا اللهِ اللهِ الآتية كيفية أداء هذه الصلاة على دفعتين.

٣) جواز الصلاة في أي مكان من الأرض، حيث لم تكن جائزة عند الأمم السابقة إلا

<sup>(</sup>۱) البخاري (۳۳۵)، مسلم (۲۱۵).

في المعابد والصوامع، يقول عليه الصلاة والسلام: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَيْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّهَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ..... "(١) الحديث.

٤) تخفيف الصلاة وعدم الإطالة فيها، لأن صلاة الجماعة تجمع بين الصغير والكبير والمريض، فينبغي مراعاة ذلك، وهذا ما كان الرسول على يحذر أصحابه معه، يقول جابر بن عبد الله الأنصاري على: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي فَتَرَكَ بن عبد الله الأنصاري على: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ فَقَرَأً بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ أَوْ النِّسَاءِ فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ فَأَتَى النَّبِيَ عَلَيْ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا فَقَالَ النَّبِيُ عَلَيْ: "يَا مُعَاذُ أَفَتَانٌ أَنْتَ، أَوْ أَفَاتِنٌ ثَلَاثَ مِرَارٍ فَلَوْلَا صَلَيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الحُاجَةِ" (").

ويقول ﷺ: "إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمُّهِ" (").

٥) رفعت الصلاة عن الحائض والنفساء، ولا تقضي بعد الطهر، وهذا يسر ولطف على المرأة، حيث تعاني في فترة الحيض والنفاس آلامًا ودماء، يصعب معها الصلاة، وقد تطول هذه المدة فيشق القضاء، فجاءت الرحمة الربانية على المرأة بهذا التيسير، ولم يطلب منها قضاء تلك الصلوات الفائتة عنها بعد ذلك(1).

٦) مشروعية سجود السهو لجبر الخلل الذي يحصل في الصلاة، ولم تطلب إعادتها.
 كل هذا اليسر وهذه السهاحة جاءت في الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين

<sup>(</sup>١) متفق عليه، وقد سبق.

<sup>(</sup>٢) البخاري (٧٠٥).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٨٦٨).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٣٢١)، مسلم (٣٣٥)، عن عائشة رَهِينَ أنها سُئلت: أتجزى إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقالت: كنا نحيض مع النبي على فلا يأمرنا به أو قالت فلا نفعله.

وهو الصلاة التي هي أعظم الأعمال العملية.

- د) الزكاة: وتتبين مظاهر اليسر والتسهيل في أداء فريضة الزكاة من خلال الأمور الآتية:
- ١) أنها لم تأت على جميع الممتلكات والعقارات والأموال وإنها اقتصرت على بعض الأصناف.
  - ٢) ثم إنها يشترط في الأصناف التي تجب فيها الزكاة أن تبلغ النصاب.
- ٣) ومن يسر الإسلام أيضًا في أداء هذه الفريضة أنه لم يجعل دفع الزكاة إلا مرة واحدة في السنة، وذلك بعد أن يحول عليها الحول.
- ٤) ومن ذلك أيضًا أن مقدار المال الواجب دفعه للزكاة قليل جدًا بالنسبة للمال الذي يوجب فيه الزكاة بحيث لا يؤثر فيه كثيرًا ولا يتأثر بذلك صاحبه.

هذا فضلًا عن كيفية تعامل الإسلام مع زكاة الزروع، حيث أوجب العشر في التي تسقى بهاء المطر، ونصف العشر بالتي تسقى بالنضح والآبار، لقوله على: "فيهَا سَقَتْ السَّهَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْح نِصْفُ الْعُشْرِ"(١).

وهكذا نلاحظ يسر الإسلام وتسهيله في هذا الجانب مما يجعل صاحب المال يسارع إلى إخراج زكاة ماله عن طيب نفس، دون ضجر أو ملل أو ثقل.

- هـ) الصيام: ونستطيع أن نلاحظ تيسير الإسلام أيضًا في هذه الفريضة من خلال النقاط الآتية:
- ان الصيام لم يفرض إلا في شهر واحد في السنة وهو شهر رمضان قوله تعالى:
   ﴿أَيْتَامِ مَعْدُودَتِ ﴾ (البقرة: ١٨٤)، وهذا فيه سعة وتيسير على المسلم.
- ٢) أن وقت الصيام من الفجر إلى غروب الشمس، ولا يجوز الزيادة في هذا الوقت، من أجل ذلك نهى عن صوم الوصال وهو وصل صيام يومين أو ثلاثة متواليات، لما في ذلك من مشقة وعنت على النفس يقول على: "لَا تُوَاصِلُوا قَالُوا إِنَّكَ تُوَاصِلُ قَالَ لَسْتُ

<sup>(</sup>١) البخاري (١٤٨٣) عن ابن عمر رضى الله عنها.

كَأَحَدٍ مِنْكُمْ إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى أَوْ إِنِّي أَبِيتُ أُطْعَمُ وَأُسْقَى "(١).

٣) ومن أفطر خطأ أو نسيانًا فإنه يكمل صومه، ولا حرج عليه، فإنها أطعمه الله وسقاه، يقول ﷺ: "مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّهَا أَطْعَمَهُ الله وَسَقَاهُ"(٢).

و) الحج: ويتضح يسر الإسلام في هذا الركن أيضًا من خلال النقاط الآتية:

الاستطاعة في الزاد والراحلة، وأن لا يكون عليه دين أو التزام مالي آخر من حقوق الآخرين، لقوله تعالى: ﴿وَلِللَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ ٱلْبَـيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: ٩٧).

٢) وجوبه في العمر مرة واحدة، لأن فيه المشقة والعناء، فيصعب على المؤمن أن يؤديه كل عام.

٣) التخيير بين المناسك الثلاثة: التمتع والقرآن والإفراد (١٠).

التخيير في الترتيب بين بالأعمال الثلاثة يوم العيد، الرمي والحلق والطواف، وهذا
 فيه تيسيرٌ على الحاج الذي يعاني من زحمة الناس والمواصلات والأسفار، يقول ابن عباس

<sup>(</sup>١) البخاري (١٩٦١).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٦٦٦٩) عن أبي هريرة ك.

<sup>(</sup>٣) مسلم (١٣٣٧).

<sup>(</sup>٤) ولهذه تفصيلات يطول المقام بذكرها وتراجع مصادر الفقه في ذلك.

رضي الله عنهما: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ عَيْقَ زُرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ: "لَا حَرَجَ"قَالَ حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ قَالَ: "لَا حَرَجَ"(١).

وفي رواية مسلم قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: فما رأيته ﷺ سئل يومئذ عن شيء إلا قال: "افْعَلْ وَلَا حَرَجَ" (٢).

٥) أن الله تعالى جعله سببًا لمغفرة الذنوب والخطايا، وقد وعد الرسول على الحاج بالجنة وأنه يرجع كيوم ولدته أمه فقال على "امَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ
 كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" (٢).

ويقول أيضًا: "وَالْحُجُّ الْمُبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجُنَّةُ"(٤).

وهكذا لاحظنا يسر الإسلام أيضًا في هذا الركن.

ثانيًا: في المعاملات: لم يقتصر التيسير في الإسلام على العقيدة والعبادة بل تعداه إلى المعاملات التي تأخذ مساحة واسعة من حياة الإنسان العملية، فالتجارة والصناعة والزراعة والتعليم ونحوها يدخل جميعها تحت مظلة المعاملات، والناس في المعاملات أكثر عرضة للمعاصي والآثام، لأن المحرك هو المال، ومعلوم مدى تأثير المال على نفس الإنسان وطباعه وسلوكه، ولذلك كانت النصوص القرآنية والنبوية تترى في اتباع التيسير والمسامحة في المعاملات، يقول عليه: "رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى" (٥٠).

ونبين بعض صور التيسير في المعاملات: أ) ففي البيع أجاز الإسلام للمتبايعين الخيار في عدد من المواضع كما إذا كانا في مجلس البيع، رفعًا للحرج الذي يقع فيه أحدهما، لأنه ربها يحصل ضرر كبير إذا تم هذا العقد يقول ﷺ: "إِذَا تَبَايَعَ الرَّجُلَانِ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْخِيَارِ

<sup>(</sup>١) البخاري (١٧٢٢).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۱۳۰۶).

<sup>(</sup>٣) البخاري (١٨٢٠)، مسلم (١٣٥٠) عن أبي هريرة ﷺ.

<sup>(</sup>٤) البخاري (١٧٧٣)، مسلم (١٣٤٩)، عن أبي هريرة ١٠٤٠

<sup>(</sup>٥) البخاري (٢٠٧٦)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهها.

مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا وَكَانَا جَمِيعًا أَوْ يُخَيِّرُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ فَتَبَايَعَا عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ الْبَيْعُ وَإِنْ تَفَرَّقَا بَعْدَ أَنْ يَتَبَايَعَا وَلَمْ يَنْرُكْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا الْبَيْعَ فَقَدْ وَجَبَ الْبَيْعُ"().

ب) وحرم الإسلامُ الربا الذي فيه ظلم الناس، وهو سبب في إفشاء الفقر والغنى الفاحشين، وسبب لزرع الأحقاد والضغائن بين أبناء المجتمع الواحد، فحرم الله الربا وأباح القرض الحسن، يقول الله: ﴿ يَمْحَقُ اللهُ ٱلرِّبَوْا وَيُرْبِي ٱلصَّكَوَاتِ ﴾ (البقرة: ٢٧٦). وقال تعالى: ﴿ وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ (المزمل: ٢٠).

ج) كما حرم هذا الدين احتكار الطعام والسلع واحتجازها في وقت تشتد حاجة الناس إليها، يقول عليه الصلاة والسلام: "مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ"(٢).

د) التيسير على المدين المعسر، وهو مبدأ عظيم جاء به الإسلام رحمة بحاله وتقديرًا لظروفه القاسية، وهو عنصر قوى من عناصر التكافل الاجتهاعي بين أبناء الأمة، حيث يجعل من المجتمع وحدة متينة، قائمة على الحب والوئام، والتعاون والتراحم، وهو تطبيق عملي لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَاكَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةً إِلَى مَيْسَرَةً وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمُ إِن كُنتُمُ تَعْلَمُونَ فَاللهَ وَالبقرة: ٢٨٠).

وأوصى به النبي ﷺ فقال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ الله مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرِ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ"."

ويقول ﷺ عن رجل كان يتجاوز عن المعسر: "كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ الله أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ الله عَنْهُ"('').

**ثالثًا: في العقوبات:** لقد تميزت الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع، والقوانين

<sup>(</sup>١) البخاري (٢١١٢)، مسلم (١٥٣١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

<sup>(</sup>۲) مسلم (۱۲۰۵).

<sup>(</sup>٣) مسلم (١٥٦٣)، عن أبي قتادة .

<sup>(</sup>٤) البخاري (٢٠٧٨)، عن أبي هريرة ١٠٠٠

في التشريع الجنائي ووضع العقوبات المناسبة لأفعال الناس التي تضر بالأنفس والأموال والأعراض وغيرها حيث أضفت الشريعة على هذه العقوبات ألوانًا من السهاحة واليسر بحيث تتقبلها النفس الإنسانية في كل أحوالها.

### ويمكن أن نبين هذه السماحة والسعة من خلال بيان عقوبتين فقط وهما:

أ) عقوبة قتل النفس: إن قتل النفس بغير حق يعد من أكبر الجرائم وأعظمها عند الله تعالى، يقول الله على: ﴿ وَلَا تَقَـنُكُوا ٱلنَّفْسَى ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمُ وَصَّنكُم بِهِ لَعَلَّكُمُ مَا لَهُ إِلَا بِٱلْحَقِ ۚ ذَٰلِكُمُ وَصَّنكُم بِهِ لَعَلَّكُمُ لَهُ إِلَا بِٱلْحَقِ ۚ ذَٰلِكُمُ وَصَّنكُم بِهِ لَعَلَّكُم لَهُ إِلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِي

وقد جعل الله تعالى قتل النفس الواحدة بمثابة قتل الناس جميعًا وإحياء نفس بمثابة إحياء الناس جميعًا، يقول الله تعالى: ﴿مِنَ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِيَ إِسْرَتِهِ يَلَ أَنَّهُ مَن قَتَكَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَ أَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢).

ويقول ﷺ: "لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ"(١).

فقتل النفس فعلٌ شنيعٌ وجريمة عظمى، وكان حكم الله في القتل أن يقتل القاتل قصاصًا. قال تعالى: ﴿ وَكَنَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنْفَ وَالْأَنْفَ فَاللَّانِ وَٱلْأَنْفَ وَاللَّانِيْ وَٱلْأَنْفَ وَٱلْأَنْفَ وَٱلْأَنْفِ وَٱلْأَذُنُ وَٱلسِّنَ وَٱلسِّنَ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصُ ﴾ (المائدة: ٤٥).

ونستطيع أن نظهر يسر الإسلام وسماحته في تطبيق العقوبة على القاتل من خلال الآتي:

1) لا يؤخذ أحد بجريرة أحد، أي أنه لا يعاقب إلا القاتل نفسه، وليس لأهله وذريته وقبيلته شأن في فعله وتطبيق العقوبة عليه، بدون تعسف أو تعد، بخلاف ما كانت عليه الجاهلية، حيث كان يقتل بالرجل الواحد أكثر من رجل، فنجد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَن قُئِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيّهِ عِسُلَطْنَا فَلا يُسترف فَي القَرَآنِ الْكريم (الإسراء: ٣٣).

٢) ولكن من يسر الإسلام وسهاحته أن جعل المجال مفتوحًا أمام ولي أمر المقتول

<sup>(</sup>١) الترمذي (١٣٩٥)، النسائي (٧/ ٨٢)، عن ابن عمر في . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٧).

وخيره بين إحدى ثلاث:

القصاص أو الدية أو العفو، لقوله ﷺ: "مَنْ أُصِيبَ بِدَمٍ أَوْ خَبْلِ "الْخَبْلُ الْجِرَاحُ" فَهُوَ بِالْخِيَارِ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ يَقْتَصَّ أَوْ يَأْخُذَ الْعَقْلَ أَوْ يَعْفُو فَإِنْ أَرَادَ رَابِعَةً فَخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ فَإِنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ عَدَا بَعْدُ فَقَتَلَ فَلَهُ النَّارُ خَالِدًا فِيهَا مُحُلَّدًا"(١).

٣) ومن يسر الإسلام وسياحته قبل تطبيق هذه العقوبة أنه يغري أهل المقتول بها عند الله تعالى، إذا تجاوزوا عن القاتل وعفوا عنه، لقوله ﷺ: "مَا عَفَا رَجُلٌ إِلَّا زَادَهُ الله بِهِ عِزًّا وَلَا عَفَا رَجُلٌ قَطُّ إِلَّا زَادَهُ الله عِزًّا"(٢).

٤) ومن سياحة الإسلام ويسره أنه اشترط في جواز تطبيق القصاص اتفاق أولياء الدم جميعًا على هذا القصاص، فإذا وجد من بينهم من عفا عن القاتل وإن كانت امرأة فإن الحكم يسقط، ويمنع القصاص. وكذلك إذا كان من بين أولياء الدم من لم يبلغ سن التمييز أو كان غائبًا، فإنه ينتظر بلوغه أو عودته من غيبته لأخذ رأيه، فإن عفا عن الجاني فإن الحكم يسقط، وقد يأخذ ذلك سنينًا وأعوامًا، وفي ذلك حكمة فربها ينسى هؤلاء الأولياء حنقهم على دمهم وتتخفف الوطأة عليهم، فيكون العفو حينها أقرب إلى القصاص.

ب) عقوبة الزنا: وجريمة الزنا من الجرائم الأخلاقية التي تفسد الأسر والمجتمعات وتضيع الأنساب وتفشي الضغائن والأحقاد، لذلك كانت هذه الجريمة من الكبائر التي توعد الله فاعلها بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، لقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَنْحِشَةُ فِي اللَّذِينَ عَالَمُونَ ﴾ (النور: ١٩).

وعقوبة الزاني الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن، وفي هذا يسر وسهاحة، وذلك بتناسب العقوبة مع طبيعة الزاني نفسه، فالزاني الثيب أعظم جرمًا من الزاني غير المحصن، لذلك جاءت عقوبته أقسى وأشد وهي الرجم.

<sup>(</sup>١) أحمد (٤/ ٣١)، وابن ماجه (٢٦٢٣)، وغيرهما، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٣٣).

<sup>(</sup>٢) أحمد (٢/ ٤٣٨)، من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة وهذا إسناد على شرط مسلم.

ومن يسر الإسلام وسهاحته في إنفاذ العقوبة على الزاني أنه طلب شهادة أربعة أشخاص على الفاحشة، وهذا من باب التحدي الزائد، وتجنبًا لتطبيق العقوبة، وحتى لا يقع الناس في أعراض غيرهم، وليس هذا فحسب وإنها حدد عقوبة للذي يقذف الآخرين ويتهمهم بالزنا من غير أن يحضروا أربعة أشخاص فحينها ينال عقوبة القذف يقول الله تعالى: ﴿ وَالّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَرَيْاً أَوْا بِأَرْبَعَةِ شُهَداً فَا اللهُ وَهُرَ ثَمَنِينَ جَلَدةً وَلا نَقْبَلُوا هُمُ شَهَدةً أَبداً وَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْفَسِقُونَ اللهِ (النور: ٤).

ومن أجل إقرار هذا المبدأ لدى الأمة كان الرسولُ على الله يحاول تجنب تطبيق حد الزاني، أو يوجد للمعترف بالزنا أعذارًا لعله يتراجع عن اعترافه كما ثبت في حديث ماعز بن مالك.

وقد عمل الإسلام على تخفيف وقوع الزنا ومحاولة الستر على مرتكبها وأن تتم التوبة بينه وبين الله تعالى فالأمر يرجع إلى الله تعالى يوم القيامة إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه.

#### القواعد الشرعية المستنبطة من النصوص الواردة في اليسر:

استنبط علماء الأصول من النصوص الواردة في سماحة الإسلام ويسره بعض القواعد وجعلوها معالم لعلم الأصول، ونذكر منها قاعدتين أساسيتين.

الأولى: المشقة تجلب التيسير. وهذه قاعدة عظيمة تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدرها وبيان منزلتها في الفقه الإسلامي وأجمعت عليها كتب القواعد الفقهية وهي من الدعائم والأسس التي يقوم عليها صرح الفقه الإسلامي وأصوله (۱).

معنى القاعدة: لغة: أن الصعوبة والعناء تصبح سببًا للتسهيل.

اصطلاحًا: أن الأحكام التي ينشأ عن تطبيقها حرج على المكلف ومشقة في نفسه أو ماله فالشريعة تخففها بها يقع تحت قدرة المكلف دون عسر أو إحراج (٢).

الأدلة الشرعية على هذه القاعدة.

<sup>(</sup>١) القواعد الفقهية الكبرى، تأليف/ صالح بن غانم السدلان (٢١٦).

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق (٢١٩–٢٢٠).

دل على هذه القاعدة أدلة كثيرة من القرآن والسنة نشير إلى شيء منها على سبيل المثال لا الحصر. فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللّهُ بِحَكُمُ اَلْيُسْتَرَ وَلَا يُرِيدُ بِحُكُمُ اَلْمُسْتَرَ وَلَا يُرِيدُ بِحُكُمُ الْمُسْتَلَ وَاللّهِ وَاللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨)، وغيرها من الآيات الكثير.

ومن أدلة هذه القاعدة في السنة النبوية:

١) قال النبي ﷺ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرُ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلِّةِ"(٢).

أي: دين الإسلام ذو يسر، أو سمى الدين يسرا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم. ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم

<sup>(</sup>۱) فتاوي ابن تيمية (۱۶/ ۱۳۷، ۱۳۸).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٣٩).

كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم(١).

٢) قال النبي ﷺ: "يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا" (٢).

وغيرها كثير من الأحاديث النبوية الشريفة.

الثانية: الضرورات تبيح المعظورات. إن من مسلمات المبادئ لدى جمهور المسلمين أن الشريعة الإسلامية قد التزمت في أحكامها مبدأ رعاية مصالح الناس دنيويًا وأخرويًا، فأحكامها مبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد، والمتأمل في نصوصها يجد ذلك واضحًا في جميع ما قررته من أحكام، وفي كل ميدان تناولته من ميادين الحياة، ومن هنا حصل تقسيم الأقوال والأفعال والعقود والتصرفات إلى مأمور بها لما فيها من المصالح، ومنهي عنها لما فيها من مفاسد على المتصف بها أو غيره. . . غير أن الإسلام يحسب حساب الضرورات فيبيح فيها المحظورات، ويحل فيها المحرمات بقدر ما تنتفي هذه الضرورات بغير تجاوز لها ولا تعد لحدودها وهذا ما يعرف عند جمهور العلماء بقاعدة "الضرورات تبيح المحظورات".

والتعريف الاصطلاحي لهذه القاعدة هو: أن تطرأ على الإنسان حالة من الخطر أو المشقة الشديدة بحيث يخاف حدوث ضرر أو أذى بالنفس أو بالعضو أو بالعرض أو بالعقل أو بالمال، ويتعين أو يباح عندئذ ارتكاب الحرام أو ترك الواجب أو تأخيره عن وقته دفعًا للضرر عنه في غالب ظنه ضمن قيود الشرع.

# ٢) الأدلة الشرعية على هذه القاعدة:

من القرآن الكريم: أ) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْسَةَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِ يَّا فَمَنِ ٱضْطُرَّ عَيْرَ بَاغِ وَلَاعَادِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيثُهُ ﴾ (البقرة: ١٧٣).

ب) قال تعالى: ﴿ قُل لَّا أَجِدُفِي مَا أُوحِيَ إِلَىٰ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمِ يَطْعَمُهُ وَإِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ

<sup>(</sup>١) فتح الباري (١/٦١١).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٦٩)، مسلم (١٧٣٤)، عن أنس ١٠٠٠.

<sup>(</sup>٣) انظر: القواعد الفقيهة الكبرى وما تفرع منها (٢٤٧-٢٥٠).

دَمَامَسْفُوحًا أَوْلَحْمَ خِنزِيرِ فَإِنَّهُ رِجْسُ أَوْفِسْقًا أُهِلَ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ قَمَنِ اَضْطُرَ غَيْرَ بَاغِ وَلَاعَادِ فَإِنَّ وَرَجْسُ أَوْفِسْقًا أُهِلَ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ قَمَنِ اَضْطُر عَيْرُ بَاغِ وَلَاعَادِ فَإِنَّ مَن المحرمات في حال الاضطرار وكذلك أبيح الفعل المحرم حال الضرورة مثل التلفظ بكلمة الكفر عند إلاكراه عليه بالقتل أو بقطع عضو من الأعضاء مع اطمئنان القلب بالإيمان بدليل قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ عِلْ الْأَصْلَ المُحْرَة وَقَلْبُهُ مُمُ طُمّ بِنُ إِلَا لِيمَانِ ﴾ (النحل: ١٠٦)(١).

وأيضًا ذكر الله تعالى الضرورة في هذه الآيات، وأطلق الإباحة في بعضها بوجود الضرورة من غير شرط ولا صفة، وهو قوله: ﴿ وَقَدْ فَصَلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ إِلَّا مَا الضرورة من غير شرط ولا صفة، وهو قوله: ﴿ وَقَدْ فَصَلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ إِلَّا مَا الضرورة في كل حال وجدت الضرورة فيها(٢).

من السنة النبوية: أ) فعَنْ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ فَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا بِأَرْضٍ تُصِيبُنَا بِهَا خُمْصَةٌ فَمَا يَحِلُّ لَنَا مِنْ المُيْتَةِ قَالَ: "إِذَا لَمْ تَصْطَبِحُوا وَلَمْ تَغْتَبِقُوا وَلَمْ تَخْتَفِقُوا بَقُلًا فَشَأْنُكُمْ بِهَا" ".

ومعنى الحديث: إذا لم تجدوا ألبنة -تشربونها أول النهار- أو شرابًا تغتبقونه -أي تشربونه آخر النهار- ولم تجدوا بعد ذلك بقلة تأكلونها حلَّت لكم الميتة (٤).

ب) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّ أَهْلَ بَيْتٍ كَانُوا بِالْحَرَّةِ مُحْتَاجِينَ قَالَ فَهَاتَتْ عِنْدَهُمْ نَاقَةٌ لَمُمْ أَوْ سَنَتِهِمْ "(°). أَوْ بعير لهم فَرَخَصَ لَمُمْ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَكْلِهَا قَالَ: "فَعَصَمَتْهُمْ بَقِيَّةَ شِتَائِهِمْ أَوْ سَنَتِهِمْ "(°).

ومن الأحاديث التي تثبت هذه القاعدة أيضًا الأحاديث المروية في الدفاع عن النفس أو

<sup>(</sup>١) القواعد الفقيهة الكبرى (٢٥٧).

<sup>(</sup>٢) أحكام القرآن للجصاص (١/ ١٢٦).

<sup>(</sup>٣) أحمد (٧ / ٢١٨)، والدارمي (٢/ ١٢٠/ ١٩٩٦)، وقال ابن كثير: وهو إسناد صحيح على شرط الصحيحين (تفسير ابن كثيرسورة المائدة/ آية ٣).

<sup>(</sup>٤) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد (١٧/ ٨٣)، نقلًا عن أبي عبيد.

<sup>(</sup>٥) أحمد (٥/ ٨٨). وفي إسناده شريك بن عبد الله القاضي وهو سيء الحفظ وكذا فيه سماك بـن حـرب وقـد تغير بأخرة فكان ربها يلقن كها قال الحافظ في التقريب فالحديث (إسناده ضعيف).

المَال أو العرض، ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَرَائِتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَرَائِتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي قَالَ: "فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ" قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ قَالَ: "هُوَ فِي النَّارِ" (١٠). "قَاتِلُهُ" قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ قَالَ: "هُوَ فِي النَّارِ" (١٠).

**حالات الضرورة التي بياح فيها المحظور**: ضرورة الغذاء (الجوع والعطش)، والدواء، والإكراه، والنسيان، والجهل والعسر أو الحرج وعموم البلوى، والسفر والمرض، والنقص الطبيعي<sup>(۲)</sup>.

ويلحق بهذه القاعدة قاعدة أخرى هي بمثابة ضابط لها وهي: (الضرورات تبيح المحظورات) أي أن المباح من فعل المحظورات يكون قدر حاجة الإنسان بحيث ينتفي الضرر الذي يهدده، فلا يتجاوز هذا القدر، وإلا وقع في المعصية، كالمقبل على الهلاك من العطش فلا يجوز له أن يشرب الخمر فوق ما يكسر عطشه ويخلصه من الموت، فإن فعل ذلك فإنه آثم ويتحمل وزر شرب الخمر (٣).

## صور السماحة في الإسلام أولًا: سماحة الإسلام في التعامل مع غير السلمين:

إن الله بعث نبيه ﷺ رحمة للعالمين، وهو ﷺ مثال للكهال البشري في حياته كلها، مثال للكهال البشري في حياته كلها، مثال للكهال في علاقته بربه وفي علاقته بالناس كلهم بمختلف أجناسهم وأعهارهم وألوانهم، مسلمين وغير مسلمين، قال جابر بن عبد الله ﷺ: "وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا سَهْلًا"(٤).

أي سهل الخلق كريم الشائل لطيفًا ميسرًا في الخلق (°).

وعَنْ عَائِشَةَ ﴿ اللَّهُ اللّ يَكُنْ إِنْهَا فَإِنْ كَانَ إِنْهَا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عنه وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنتَهَكَ

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱٤٠).

<sup>(</sup>٢) القواعد الفقهية الكبرى (٢٦٠).

<sup>(</sup>٣) اليسر والسماحة في الإسلام تحت فصل بعنوان ((القواعد الشرعية المستنبطة من النصوص الواردة في اليسر)).

<sup>(3)</sup> amba (1717).

<sup>(</sup>٥) شرح النووي (٤/ ٤٢٢).

حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ للهُ بِهَا"(١).

بمثل هذه القيم كانت دعوة النبي على يسر في كل شيء وذود عن حرمات الله لا عن عَرَضِ الدنيا أو أهواء النفوس. وتعدد صور السماحة في هدي النبي على مع غير المسلمين وشواهد ذلك من سيرته لا تحصر منها ما يلى:

١) رحمته ﷺ بالخلق عامة. وذلك تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آَرْسَلْنَكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَكِينَ ﴿ وَمَا آَرْسَلْنَكَ إِلَّا رَحْمَةً لللهِ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ " ( ) .
 لِلْعَكَمِينَ ﴿ ) ( الأنبياء : ١٠٧ ) . وقال ﷺ : "لَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ " ( ) .

فكلمة: "العالمين" وكلمة "الناس" عامة تشمل كل العالمين وكل الناس، فدين الإسلام دين الساحة والرحمة يسع الناس كلهم ويغمرهم بالرحمة والإحسان.

Y) تجاوزه عن مخالفيه ممن ناصبوا له العداء. وهذا له من الأمثلة ما يصعب حصرها وتعدادها فمنها: لما فتح مكة فكان موقفه فيها غاية ما يمكن أن يصل إليه صفح البشر وعفوهم فكان موقفه عن كانوا حربًا على الدعوة ولم يضعوا سيوفهم بعد عن حربها أن قال لهم: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"(٣).

ومنها سماحته ﷺ مع لَبِيد بن الأعصم الذي سحره في مشط ومشاطة وحف طلع نخل ذكر في بئر زروان، وحينها أخبر عائشة بذلك قالت له: أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ قَالَ: "قَدْ عَافَانِي الله فَكَرِهْتُ أَنْ أُثُوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرَّا فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ"('').

ومنها سهاحته مع زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الذي تحمل قصة الإفك ومع ذلك فقد عفا عنه على وحينها مات عبد الله بن أبي عطاه النبي على بقميصه واستغفر له حتى نزل قوله: ﴿ السَّمَ اللهُ مَا اللهُ مَا اللهُ مَا أُولَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمُ إِن تَسْتَغْفِرُ لَهُمُ اللهُ عَنْ مَرَّةَ فَلَن يَغْفِر اللهُ لَمُمُ ﴿ (التوبة: ٨٠)(٥).

<sup>(</sup>۱) البخاري (۳۵۲۰)، مسلم (۲۳۲۷).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٧٣٧٦).

<sup>(</sup>٣) السيرة النبوية لابن كثير نقلًا عن ابن إسحاق (٣/ ٥٧٠).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٥٧٦٣)، مسلم (٢١٨٩).

<sup>(</sup>٥) البخاري (١٢٦٩)، ومسلم (٢٤٠٠).

٣) دعاؤه ﴿ لَخَالْفِيهُ مِن غِير المسلمين. ومثال ذلك، لما قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهَا فَقِيلَ اللهِ عَلَيْهَا فَقِيلَ اللهِ عَلَى النَّبِي عَلَيْهَا فَقِيلَ اللهِ عَلَيْهَا فَقِيلَ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

ومن صور الدعاء أيضًا ما كَانَ من الْيَهُودُ حديث كانوا يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٧٣١).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٦٣٩٧)، مسلم (٢٥٢٤).

<sup>(</sup>٣) مسلم (٢٩١).

رجاء أَنْ يَقُولَ لَمُّمْ يَرْحَمُكُمْ الله فَيَقُولُ: "يَهْدِيكُمُ الله وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ "(').

- ٤) وكان على يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين. فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر حيث أهدت له شاة مشوية قد وضعت فيها السم (٢).
- ٥) وكان على يغشى مخالفيه في دورهم. فعن أبي هُرَيْرة هُقال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمُسْجِدِ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله عَلَيْ فَقَالَ انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمُدْرَاسِ فَقَامَ رسول الله عَلَيْ فَنَادَاهُمْ: "يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا" فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِم، فَقَالَ هم رسول الله: ذَلِكَ أُرِيدُ، ثُمَّ قَالَمَا الثَّانِيَة، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِم، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَة، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِم، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَة، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِم، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَة، فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِم، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَة، فَقَالُ قَلْ الْمُولِةِ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِهَا فَلْيَعِعْهُ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لَلهٌ وَرَسُولِهِ النَّالِيَةِ الْمَالِمُ اللهِ الْمَالِمُ اللهُ الْمَالِمُ اللهُ الْمُعْرَالِهُ وَلِي أُرِيدُ أَنْ أُجِلِيَكُمْ فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِهَا لَهُ اللهُ اللهُ اللهُ الْمُ اللهُ الْمُؤْنَ اللهُ عَلَيْهُ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لَلهُ وَرَسُولِهِ وَإِنِّ أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِهَالِهِ هَيْئِا فَلْيَعِعْهُ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لَلْهُ وَرَسُولِهِ النَّهُ .

7) وكان على أمُّكِ "فن ولم بصلة القريب وإن كان غير مسلم فقال لأسهاء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: "صِلِي أُمَّكِ "فن ولما تأسس المجتمع الإسلامي الأول وعاش في كنفه اليهود بعهد مع المسلمين وكان على غاية في الحلم معهم والسهاحة في معاملتهم حتى نقضوا العهد وخانوا رسول الله على أما من يعيشون بين المسلمين يحترمون قيمهم ومجتمعهم وحذر رسول الله على من ظلم المعاهدين أو انتقاصهم فقال على: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرٍ طِيبِ نَفْسِ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٥).

وشدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم فقال ﷺ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةً

<sup>(</sup>١) الترمذي (٢٧٣٩)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٢٧٧).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢٦١٧).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٦٩٤٤)، مسلم (١٧٦٥) بنحوه.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٢٦٢٠)، مسلم (١٠٠٣).

<sup>(</sup>٥) أخرجه أبو داود (٣/ ٤٩٧/٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٠٥١/ ١٨١١)، عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء الصحابة عن آبائهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٥٥).

الجُنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"('). وقال ﷺ لأصحابه: "إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا"('').

صور من سماحة الصحابة والتابعين في معاملة غير المسلمين: تاريخ الإسلام شاهد على أن المسلمين لم يكرهوا أحدا في أي فترة من فترات التاريخ على ترك دينه، فالإسلام دين العقل والفطرة ولا يقبل من أحد أن يدخله مكرها، تحدى الأولين والآخرين بمعجزته الخالدة، ولم يعرف في تاريخ المسلمين الطويل أنهم ضيقوا على اليهود والنصارى أو غيرهم أو أنهم أجبروا أحدا من أي طائفة من الطوائف اليهودية أو النصرانية على اعتناق الإسلام. يقول توماس آرنولد: "لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي "".

ولقد كان عهد الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبي على وشهد صورا من سياحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال أو النفس عند الحاجة، ومن كفالة العاجز منهم عن العمل أو كبير السن، وغير ذلك. وهذا هو عين ما سار عليه الخلفاء الراشدون في في صدر الإسلام في معاملتهم لأهل الذمة، وأسوق هنا بعض الشواهد والأمثلة التي تبين سياحة الصحابة في معاملة غير المسلمين.

1) في خلافة أبي بكر كتب خالد بن الوليد في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق وكانوا من النصارى -: "وجعلت لهم أبيا شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه؛ طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله"(٤).

<sup>(</sup>١) البخاري (٣١٦٦)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله الله الله بن عمرو الم

<sup>(</sup>٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٦١/ ١١١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٣٧٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٣)، وصححه، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٧٤).

<sup>(</sup>٣) سياحة الإسلام نقلًا عن كتاب ((الدعوة إلى الإسلام)) لـ توماس آرنولد.

<sup>(</sup>٤) انظر: سهاحة الإسلام.

إن التكافل الاجتماعي في الإسلام لا يرضى أن يذل رجل من أهل الذمة وهو يحيا في كنف الإسلام فيعيش على الصدقة يتكفف الناس ولكن الإسلام يحميه ويكرمه ويوجب على الدولة أن تعوله وتعول عياله.

- ٢) وكان أبو بكر الله يوصي الجيوش الإسلامية بقوله: "وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم "(١).
- ٣) وأوصى عمر الله الخليفة من بعده بأهل الذمة أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم (٢).
- ٤) ومر عمر بن الخطاب ، بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فها ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ (٣) له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِللَّهُ قَرَآءِ وَٱلْمَسَكِينِ ﴾ والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه (١٠).
- 0) ومن الساحة أن يراعى في معاملتهم كل مصلحة وقصد صحيح فعن عبد الله بن قيس قال: كنت فيمن تلقى عمر بن الخطاب مع أبي عبيدة مقدمه من الشام فبينا عمر يسير إذ لقيه (المُقلَّسون)(0) من أهل أذرعات بالسيوف والريحان فقال عمر شاك أن عنهم وامنعوهم فقال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم أو كلمة نحوها وإنك إن تمنعهم

<sup>(</sup>٢) البخاري (١٣٩٢).

<sup>(</sup>٣) معنى رضخ: أعطاه عطاءً غير كثير القاموس المحيط (١/ ٣٧٤/ مادة رضخ).

<sup>(</sup>٤) كتاب الخراج لأبي يوسف (ص٢٦).

<sup>(</sup>٥) هم الذين يلعبون بين يدي الأمير إذا وصل البلد انظر ((النهاية)) (٤/ ١٠٠).

منها يروا أن في نفسك نقضا لعهدهم فقال: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة(١).

7) وعن مجاهد قال: كنت عند عبد الله بن عمرو ﴿ وغلامه يسلخ شاة فقال: "يا غلام، إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي، فقال رجل من القوم اليهودي: أصلحك الله؟ قال: سمعت النبي ﷺ يوصي بالجارحتى خشينا أو رؤينا أنه سيورثه "(۲).

٧) وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب إلى عدي بن أرطأة: وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه (٣).

٨) وعندما أمر عمر بن عبد العزيز مناديه ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، قام إليه رجل ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال: وما ذاك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي. والعباس جالس، فقال له عمر: يا عباس ما تقول؟ قال: نعم أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلا، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى، فقال عمر: نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد قم فاردد عليه ضيعته فردها عليه ثم تتابع الناس في رفع المظالم إليه().

9) وفي عهد الرشيد كانت وصية القاضي أبي يوسف له بأن يرفق بأهل الذمة حيث يخاطبه بقوله: "ينبغي يا أمير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد على والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم "(°).

<sup>(</sup>١) كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام (صـ٦٦١)، وهـذه الجملة الأخيرة تواضع مـن عمـر بـن الخطاب وهو أمير المؤمنين للحق الذي قاله أمير الجيوش أبو عبيدة بن الجراح، فلله درهم من رجال!

<sup>(</sup>٢) الأدب المفرد (٦٢/ رقم ١٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم (٩٥).

<sup>(</sup>٣) الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام صـ ٥٠.

<sup>(</sup>٤) البداية والنهاية (٩/ ٢٣٩).

<sup>(</sup>٥) الخراج، أبو يوسف صـ١٢٥.

بمثل هذه المعاملة ساد المسلمون الأوائل وكانت معاملتهم محط إعجاب مخالفيهم فشهدوا لهم بالسمو في أخلاقهم والتسامح في معاملتهم.

## سماحة الإسلام في المعاملة في كتابات غير المسلمين:

منذ فجر الدعوة الإسلامية كانت شهادة الخصوم ظاهرة بيّنة إذ رأوا من سهاحة هذا الدين وتيسيره ما بهر عقولهم وأخذ بألبابهم ورأوا من سلوك أهله ما دعاهم إليه، فاستجابت نفوس الكثيرين إليه وإلى أهله وإن لم يؤمنوا به، فدون التاريخ شهاداتهم له ولأهله بحسن المعاملة والسهاحة العظيمة، فمن ذلك:

1) ما كتبه نصارى الشام في صدر الإسلام حيث كتب النصارى في الشام سنة ١٣هـ إلى أبي عبيدة بن الجراح الله يقولون: "يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا"(١).

واستمر هذا النهج في معاملة غير المسلمين عبر تاريخ الإسلام.

٢) ففي الوقت الحاضر يعيش طوائف عديدة من النصارى في بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب العربي وهي شاهد على سهاحة الإسلام جعلت المستشرق الإنجليزي توماس آرنولد يقول: "إن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح"().

ويقول أيضا: "لما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني تمتعوا وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة".

٣) وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: "العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها سمح لهم جميعًا دون أي عائق يمنعهم بمهارسة شعائر دينهم وترك

<sup>(</sup>١) انظر: سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين فقد نقل هذا النص عن فتوح البلدان للبلاذري.

<sup>(</sup>٢) انظر: المصدر السابق فقد نقل هذه النصوص عن قائلها من كتابه ((الدعوة إلى الإسلام)).

المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الأسبان واضطهاد اليهود. إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا أنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية. فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة وهم لا يستخدمون معنا أي عنف"(١).

٤- ويقول المستشرق ديورانت: "لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام". (٢)

ثانيًا: السماحة في التجارة وقضاء الحق: وهذا أيضًا من سهات الدين الإسلامي حيث حث على السهاحة في البيع والشراء فقال: "رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى ".

وهذا النص يشمل التعامل مع المسلم وغير المسلم، وفي هذا الحديث الحض على السهاحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق، وترك المشاحة، والحث على ترك التضييق على الناس في المطالبة، وأخذ العفو منهم (1).

كَمَا رَغْبِ وَحَثَ ﷺ عَلَى السَّمَاحَةُ فِي القَرْضُ وَإِنْظَارُ المَّعْسُرُ فَقَالَ: "تَلَقَّتُ الْمُلَاثِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ عِنَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنْ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا

<sup>(</sup>١) ساحة الإسلام في معاملة غير المسلمين. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان. نقلًا عن كتاب: ((شمس العرب تسطع على الغرب)).

<sup>(</sup>٢) انظر: كتاب (سماحة الإسلام))، نقلًا عن (قصة الحضارة)، تأليف/ ول ديورانت.

<sup>(</sup>٣) البخاري (٢٠٧٦).

<sup>(</sup>٤) فتح الباري (٤/ ٣٥٩).

المُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنْ الْمُوسِرِ، قَالَ: فتَجَاوَّزُوا عَنْهُ اللهُ.

وهذا دليل على أن السماحة اشتملت أمورًا كثيرة منها المجال الاقتصادي في البيع والشراء وهو أمر يتجدد يوميًا، مما يفصح أن التسامح ليس من الأمور النادرة بل يتجدد كل حين.

ثالثا: السماحة في درء الحدود: ينعق المعادون للإسلام بأن الحدود في الإسلام فيها شدة وهدر للدماء وتخلّف في تنمية الموارد البشرية، فليعلم هؤلاء أن إقامة الحدود الشرعية لا تنفذ إلا في نطاق محدود، فقد يظن بعض الناس أن إقامة الحدود في الإسلام كإقامة الصلاة في كثرتها، والحق أن أحكام الشريعة الإسلامية تعد بالمئات لكن عدد الحدود التي تقام هي سبعة: الحرابة (قطع الطريق)، والردة، والبغي، والزنا، والقذف، والسرقة، وشرب الخمر، وإذا نفذت فإنه لا يمكن ذلك إلا بعد مراحل وشروط (٢٠).

وهذا من تمام حكمة الله تعالى ورحمته أنه لم يأخذ الجناة بغير حجة، كما لم يعذبهم في الآخرة إلا بعد إقامة الحجة عليهم، وجعل الحجة التي يأخذهم بها، إما منهم وهي الإقرار، أو ما يقوم مقامه من إقرار الحال وهو أبلغ وأصدق من إقرار اللسان. . . وإما أن تكون الحجة من خارج عنهم، وهي البينة، واشترط فيها العدالة، وعدم التهمة، فلا أحسن في العقول والفطر من ذلك، ولو طلب منا الاقتراح لم تقترح أحسن من ذلك، ولا أوفق منه للمصلحة "".

وها هي أمثلة تبين هذا الأمر وتوضحه، فعلى قلة تنفيذ الحد لهذه الجريمة فإنه منذ أن نزل حد الزنا لم نسمع في تاريخ أمة الإسلام أن أُقيم حد الزنا بتوافر أربعة شهود، وكذلك لم تحد امرأة حتى لو تمت عليها الشهادة كها في الملاعنة إذا لم تقر بهذه الجريمة فقد ثبت أن النبي على لم يقم الحد على المرأة في قصة الملاعنة وذلك: أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النبي على المرأة في قصال النبي على المرأة في قصال النبي على المرأة في قصال النبي المبينة أوْ حَدُّ في ظهرك، فقال: يَا رَسُولَ الله، إذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ ؟ فَجَعَلَ النبَيْ عَلَيْ يَقُولُ: الْبَيِّنَةَ أو حَدُّ النبيني عَلَيْ الله عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ ؟ فَجَعَلَ النبَيْ عَلَيْ يَقُولُ: الْبَيِّنَةَ أو حَدُّ

<sup>(</sup>۱) البخاري (۲۰۷۷)، مسلم (۱۵٦٠).

<sup>(</sup>٢) ساحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين/ تأليف: حكمت بن بشير بن ياسين.

<sup>(</sup>٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٢/ ١٠٣).

فِي ظَهْرِك؟ فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحُقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ فَلَيُنْزِلَنَّ الله مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنْ الْحُدِّ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿ وَالَّذِينَ يَرَمُونَ أَزُوبَجَهُم ﴾ فَقَراً حَتَّى بَلَغَ ﴿ إِن كَانَمِنَ الصَّلِيقِينَ ﴾ فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ عَلَيْهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجَاءَ هِلَالٌ فَشَهِدَ وَالنَّبِيُ عَلَيْهُ يَقُولُ: إِنَّ الله يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ، ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفُوهَا وَقَالُوا إِنَّهَا مُوجِبَةٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ إِنَّهَا مُوجِبَةٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ وَمُ مَنَ اللهِ مَنْكُمَا النَّبِيُّ عَيْقِ: أَبْصِرُوهَا؛ فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْ سَابِعَ الْإِلْيَتَيْنِ خَدَلَكَ، فَقَالَ النَّبِيُ عَيْقِ: "لَوْلَا النَّبِيُ عَيْقِ: "لَوْلَا النَّبِيُ عَلَيْ الله لَكَانَ لِي وَلَمَا شَأَنٌ" (١٠).

وحتى لو ثبتت جريمة الزنا بالاعتراف وأقيم حد الرجم فإن هذا الزاني الذي يرجم لو طلب منهم التوقف عن ذلك لإدلاء ما عنده ما يدفع عنه فينبغي أن يوقف الرجم ويُسمع منه هل ما يقوله يعتد به أم لا؟

وقد صح أن ماعز بن مالك فرّ حين وجد مسّ الحجارة ومسّ الموت فقال رسول الله عَلَيْهِ: "هَلّا تَرَكْتُمُوهُ لَعَلّهُ أَنْ يَتُوبَ فَيَتُوبَ الله عَلَيْهِ" "؟. وفي رواية: "فلما وَجَدَ مَسَّ الحِجَارَةِ صَرَخَ بِنَا يَا قَوْمُ رُدُّونِي إِلَى رَسُولِ الله عَلَيْهِ فَإِنَّ قَوْمِي قَتَلُونِي وَغَرُّونِي مِنْ نَفْسِي وَأَخْبَرُونِي أَنَّ رَسُولَ الله عَلَيْهِ فَإِنَّ قَوْمِي قَتَلُونِي وَغَرُّونِي مِنْ نَفْسِي وَأَخْبَرُنَاهُ قَالَ: "فَهَلّا الله عَلَيْهِ عَنْهُ حَتَّى قَتَلْناهُ فَلَمَّا رَجَعْنَا إِلَى رَسُولِ الله عَلَيْهِ وَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: "فَهَلّا تَرَكْتُمُوهُ وَجِئْتُمُونِي بِهِ لِيَسْتَثْبِتَ رَسُولُ الله عَلَيْهِ مِنْهُ"".

وإذا وُجد أن أحد المسلمين له رغبة في الوقوع في هذه الجريمة أو ينوي فعلها فإنه ينصح ولا يؤخذ بنيته ولا يعاقب عليها.

ولقد استخدم النبي ﷺ منهاجًا فريدًا في نصح الشاب الذي رغب في الزنا فأراد أن

<sup>(</sup>١) البخاري (٤٧٤٧).

<sup>(</sup>٢) أبو داود (٤١٨)، وقال الألباني: إسناده حسن على شرط مسلم، الإرواء ٧/ ٣٥٧.

<sup>(</sup>٣) أبو داود (٤٤١٩)، وقال الألباني: إسناده جيد، الإرواء ٧/ ٣٥٤.

يستأذن النبي على فقال له: "أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ، قَالَ: لَا وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَا مِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْتَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخُواتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا، وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخُواتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ: لَا وَالله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ" (١).

وفي هذا الحديث تتجلى السهاحة النبوية حيث لم تعاقب ذلك الشاب ولم تعنفه. مع أن الصحابة أرادوا أن يزجروه وينهروه عن ذلك لكن تلك السؤالات التي ألقاها المصطفى على ذلك الشاب كانت درسًا عظيمًا له ولمن سمع تلك السؤالات.

وكذلك حينها يقع الشخص في بعض المحرمات، فإن الأصل قبل الحد الستر عليه، وذلك عند شرب الخمر أو عندما يرى الزنى. فالقاعدة حديث رسول الله ﷺ: "مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ اللَّهُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٢).

وكذلك أيضًا تدرء الحدود بالشبهات، وهي قاعدة فقهية مشهورة، وفي ذلك أثر صحيح عن ابن مسعود موقوفًا: "ادرءوا الجلد والقتل عن المسلمين ما استطعتم"(").

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ فِي الْمُسْجِدِ فَنَادَاهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله إِنِّي زَنَيْتُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى رَدَّدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "أَبِكَ جُنُونٌ" قَالَ: لَا قَالَ: "فَهَلْ أَحْصَنْتَ" قَالَ نَعَمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ" (٤٠).

و لما أتاه ماعز بن مالك يعترف له بالزنا قال له: "لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ"

<sup>(</sup>١) أحمد (٥/ ٢٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٥).

<sup>(</sup>٢) أحمد (٢/ ٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٧).

<sup>(</sup>٣) سنن البيهقي الكبرى (٨/ ٢٣٨). وقال: هذا موصول. وحسن إسناده الألباني في الإرواء ٨/ ٢٩.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٦٨١٥)، مسلم (١٦٩١) عن أبي هريرة.

قَالَ: لَا يَا رَسُولَ الله قَالَ: "أَنِكْتَهَا" لَا يَكْنِي قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ بِرَجْمِهِ(').

وفي رواية مسلم قال: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكِ إِلَى النّبِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، طَهِّرْنِي فَقَالَ: "وَيُحُكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ الله وَثُبْ إِلَيْهِ" قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله عَلَيْهِ: "وَيُحُكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ الله وَثُبْ إِلَيْهِ" قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ الله طَهِّرْنِي فَقَالَ رَسُولَ الله عَلَيْهِ: "وَيُحُكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ الله وَثُبْ إِلَيْهِ" قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله طَهِّرْنِي فَقَالَ النّبِيُّ عَلَيْهَ: مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ الله عَلَيْهِ: "أَنِهِ جُنُونٌ؟ " فَأَخْبِرَ أَنَهُ وَسُولُ الله عَلَيْهِ: "أَبِهِ جُنُونٌ؟ " فَأَخْبِرَ أَنَهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ: "أَشِرِبَ خُرًا؟ " فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَرْمٍ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله عَلَيْهِ: "أَرْبَعْ قَالَ: فَقَالَ : فَقَالَ اللهُ عَلَيْهِ : "أَذَنْ النّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الْعُقَالَ : اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

ويستفاد من الحديث أنه لا يمكن إقامة الحد إلا بعد الاعتراف أربع مرات تعادل أربعة شهود، وأن الإمام يتأكد من سلامة عقل المعترف، وفيه أيضًا السماحة بقوله: ارجع فاستغفر الله وتب إليه.

<sup>(</sup>١) البخاري (٦٨٢٤). سيأتي هذا الحديث في الشبهات فلتراجع.

<sup>(</sup>۲) مسلم (۱۲۹۵).

## المبحث السادس: الحقوق الإسلامية المطلب الأول: مقدمة عامة عن الحقوق ومزايا هذا الدين الإسلامي.

إن قضية "الحقوق "، أشغلت العالم اليوم بجميع أممه ودوله ولا تزال، وهي قضية كبرى، جديرة بالبحث والدراسة، من وجهة النظر الشرعية الإسلامية، ذلك أن تسلط العالم الغربي، وفرض هيمنته الفكرية والإعلامية على كثير من دول العالم، وبخاصة العالم العربي والإسلامي، أدى إلى ضياع المفهوم الإسلامي لهذه القضية وغيرها، وأوجد انطباعًا لدى الناس بأنه لا طريق لنيل الحقوق إلا من خلال التبعية المقيتة لذلك العالم الغربي، والدخول طوعًا أوكرهًا ضمن أحلافه ومنظوماته، وتحمّل أصناف المهانة، من أجل الحصول على هذه الحقوق.

١) النص الشرعى: وهو هذه الآيات القرآنية الجامعة.

القواعد والمبادئ التي تتضمنها النصوص: فالآيات تتضمن حقوقًا كثيرة منها:
 حق الله، حق الوالدين، حق الحياة، حق اليتيم، حق الذمى وغير ذلك مما بينته الآيات.

٣) تنظيم علاقات الناس: فهذه القواعد جاءت لضبط حياة الناس في علاقة بعضهم ببعض، فهي تنظم علاقة الفرد بوالديه وأولاده وسائر فئات المجتمع، بل حتى مع المخالف في الدين، فله حق الوفاء بالعهد ونحوه.

٤) الوجوب والإلزام في تطبيق هذه المبادئ: فهذه المطالب جاءت بصيغة الأمر من الله تعالى، وهو في الأصل يقتضي الوجوب كها قرره أهل العلم، إضافة إلى أن الآيات الثلاث تضمنت في خاتمة كل واحدة منها؛ تأكيد الوجوب بقوله تعالى: ﴿ ذَلِكُو وَصَّـنكُم بِهِ وَأُوجِبِهِ عَلَيْكُم.

قال ابن كثير: يقول تعالى: هذا أوصاكم به وأمركم به وأكد عليكم فيه. (١)

كما أن هذه الحقوق هي واجبات شرعية ملزمة، فهي عبادات يؤجر على فعلها، ويحاسب على تضييعها، وهي تنظم في مجموعها علاقات الناس ومعاملاتهم وحياتهم الاجتماعية، فأصحاب هذه الحقوق هم فئات مختلفة من المجتمع مثل: الآباء والأمهات، الأيتام، الجيران، الأبناء، المرأة، وهكذا.

ومن جهة أخرى: ترتبط هذه الحقوق بالضرورات، التي جاءت الشرائع بحفظها، ذلك أن مصالح الناس الدنيوية والأخروية، إنها تكون بحفظ مقاصد الشريعة ومنها هذه الضرورات، فهي من الدين المشترك بين الأنبياء، ويدل على هذا قول الله تعالى: ﴿ وَكُنَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْمَيِّنِ بِٱلْمَيْنِ ﴾ (المائدة: ٤٥)، وقوله: ﴿ فَبُطْلِم مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِبَتِ أُجِلَتَ لَهُمْ وَبِصَدِهِمْ عَنسَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا الله وَالْخَذِهِمُ الرِّبَوْا وَقَدْ مُهُواْ عَنْهُ وَأَكْبِهِمْ أَمُولَ النَّاسِ فِالْبَطِلُ وَأَعْتَدُنَا لِلْكَفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أليسمًا ﴾ (النساء: ١٦٠-١٦١)

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير٦/ ٢١٥.

وفي هذا دلالة واضحة على أن كافة الشرائع، جاءت بحفظ تلك الضرورات، وهي قاعدة عظيمة لحفظ حقوق الأفراد والمجتمعات العامة والخاصة، ففي حفظ الدين مثلًا، إعطاء لحق التدين والعبادة، وفي حفظ النهل منح لحق الإنسان في الحياة، وفي حفظ النهل، تأكيد لحق الإنسان في التزوج، وحفظ المال يتضمن حق الإنسان في التملك والسعي في الأرض وممارسة أنواع المعاملات كالبيع والشراء والشراكة والتجارة، ونحوها، وحفظ العقل فيه حق الحرية في التفكير والتدبر، وهكذا. ومما يؤصل مسألة "الحقوق" في القرآن والسنة، كثرة الفئات التي راعى القرآن والسنة حقوقها، إضافة إلى تعدد أنواع الحقوق، كما سنبين بالتفصيل.

من خلال ما سبق بيانه في مفهوم "الحقوق " وتأصيله في القرآن الكريم، يمكن أن نستشف معالم مهمة، وخصائص مميزة، لمبادئ "الحقوق في الدين الإسلامي" فمن ذلك:

ا أن مصدرها الوحي المتمثل في القرآن والسنة النبوية، فهي منحة ربانية، أوجبها الله للإنسان، فهي ليست من مخلوق لبشر مثله، يمن بها عليه متى شاء، أو يمنعها إذا شاء، كلاّ، بل هي فرض لازم وحق واجب، من الخالق سبحانه لبني الإنسان. وقد أشارت الآيات إلى هذا في عدة مواضع كها تقدم في مثل قوله تعالى: (ذلكم وصاكم به) وقوله: (فريضة من الله) وقوله: (وقضى ربك) وغيرها.

٢) أنها تنبع من التكريم الإلهي للإنسان، الذي أكدته النصوص القرآنية الصريحة الواضحة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُرَّمْنَا بَنِيَ ءَادَمَ وَ مُمَلِّنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِ وَٱلْبَحْرِ وَرَذَقْنَاهُم مِن الطَّيِبَاتِ وَفَضَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِ وَٱلْبَحْرِ وَرَذَقْنَاهُم مِن الطَّيِبَاتِ وَفَضَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِيمِ مَن خَلَقْنَا تَقْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠) وغيرها. ولذا فإن القيام بهذه الحقوق، هو جزء من دين المسلم وعبوديته لله تعالى، وأمر مستقر في فطرة الإنسان التي فطره الله عليها.

٣) أنها شاملة لجميع أنواع الحقوق: الاجتماعية، والمالية، والسياسية، والشخصية، وغيرها،
 كما أنها عامة لكل أصناف المجتمع، ولجميع أفراده، حتى المخالفين منهم، كما تقدم ذكره آنفًا.

أنها ثابتة لا تقبل الإلغاء ولا التبديل ولا التغيير، لأنها جزء من الدين، ولأنها فرض من رب العالمين، الذي حفظ دينه عامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَفِظُونَ اللهِ فهو باقِ إلى قيام الساعة، وهو صالح لكل زمانٍ ومكان، بينها وثائق البشر عرضة للنقض والتعديل في كل وقت وحين.

- ٥) أنه يترتب على أدائها الجزاء والثواب، وعلى التقصير فيها: الحساب والعقاب، ذلك أنها واجبة ملزمة، يؤكد ذلك بجلاء قول النبي: "لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء "(١).
- آنها أحيطت بضمانات لحمايتها من الانتهاك، تتلخص في: أ) إقامة الحدود الشرعية،
   التي من مقاصدها: المحافظة على حقوق الأفراد، وحفظ الضرورات الخمس.
- ب) تحقيق العدالة المطلقة التي أوجبها الله على عباده: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدُلِ وَٱلْإِحْسَانِ ﴾. إلى غير ذلك من الخصائص التي تميز منهج "الحقوق في الدين الإسلامي"، وتؤكد تفرده بالصلاحية المطلقة: ﴿ صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً أَوْغَنُ لَهُ، عَبِدُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٨). (٢)

# المطلب الثاني: ذكر بعض هذه الحقوق بشيء من التفصيل، وهي كما يلي:

١ - حق الله تعالى على العباد.

٢- حق النبي ﷺ على أمته

٣- حق الأنبياء والمرسلين.

٤ - حق القرآن.

٥ - حقوق آل البيت.

٦- حق العلماء.

٧- حق الحاكم.

٨- حق الحياة.

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۵۸۲).

<sup>(</sup>٢) انظر: المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم د/ يحيى بن محمد حسن زمزمي.

- ٩- حقوق الوالدين.
- ١٠ حقوق الزوج.
  - ١١- حق المرأة.
  - ١٢ –حق الطفل.
- ١٣ حق الميت على أهله.
  - ١٤ حق الأخوة.
  - ١٥ حق الجنين.
  - ١٦ حق الجسد.
  - ١٧ حق المريض.
  - ١٨ حق اللسان.
    - ١٩ حق اليتيم.
  - ٢٠ حق الضيف.
    - ٢١- حق الجوار.
- ٢٢ حق الخادم والمملوك.
  - ٢٣ حق الدواب
  - ٢٤ حقوق الطريق.
    - ٢٥- حق اللجوء.
  - ٢٦- حقوق الذميين.

واليك تفصيلها.

## ١ حق الله تعالى على العباد

وهذا الحق هو أعظم الحقوق على الإطلاق، وأجلها قدرًا، وهو يدور على أصلين: الأول: توحيده على أعلى: عبادته سبحانه لا شريك له. فعَنْ مُعَاذِ هُوَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ عَلَى حَمَّا للهُ عَلَى عِبَادِه، وَمَا خَلَيْ اللهُ عَلَى عِبَادِه، وَمَا حَقُ اللهِ عَلَى عِبَادِه، وَمَا حَقُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عِبَادِه، وَمَا حَقُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عِبَادِه، وَمَا حَقُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عَبَادِه، وَمَا حَقُ الله عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى عَبَادِه، وَمَا عَمُّ الْعِبَادِ عَلَى الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ؛ أَنْ يَعْبُدُوهُ؛ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلا أَبَشِّرُ هُمْ فَيَتَكِلُوا "(۱).

قال ابن حجر: قَوْله (أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا): الْمُراد بِالْعِبَادَةِ عَمَلُ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابُ الْمُعَاصِي وَعَطَفَ عَلَيْهَا عَدَمَ الشِّرْكِ لِأَنَّهُ ثَمَّامُ التَّوْحِيدِ، وَالْحِكْمَةُ فِي عَطْفِهِ عَلَى الْعِبَادَة أَنَّ بَعْضَ الْكَفَرَةِ كَانُوا يَدَّعُونَ آهِةً أُخْرَى فَاشْتَرَطَ نَفْي أَنَّ بَعْضَ الْكَفَرَةِ كَانُوا يَدَّعُونَ آهِةً أُخْرَى فَاشْتَرَطَ نَفْي ذَلِكَ، والمراد من حق الله على عباده، ما يستحقه الله على عباده مما جعله عليهم، وقال القرطبي: وحق الله على العباد هو ما وعدهم به من الثواب وألزمهم إياه بخطابه (٢٠).

أولًا: توحيد الله سبحانه وتعالى: أعلى وأغلى الحقوق على الإطلاق، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلِجُنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعَبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَهُ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَأَعَبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٥٢)، هذا مع قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا آنِ اعْبُدُوا الله وَالدالله الله الله الله أي: لا معبود بحق إلا الله.

قال الإمام البقاعي: (لا إله إلا الله) أي: انتفى انتفاءًا عظيمًا أن يكون معبودًا بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنها يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنها يكون نافعًا إذا كان الإذعان والعمل بها تقتضيه، إلا فهو جهل

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٨٥٦)، مسلم (٣٠).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري (١١/ ٣٤٧)، وانظر: شرح النووي (١/ ٢٦٧: ٢٦٦).

صرف، وقد دل كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ على أن العقيدة الصحيحة تتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فهذه الأمور الستة هي أصول العقيدة الصحيحة (١٠).

قال تعالى: ﴿ ثُولُوا أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ ٱلْبِرِّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْبَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَغْرِبِ وَٱلْكِنَّ الْبِرِّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْبَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَعْرِبِ وَٱلْكِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) (البقرة: ١٧٧)، وفي حديث جبريل: (الْإِيمَانِ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهُ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) (١٧٠). وهذه الأصول الستة يتفرع عنها جميع ما يجب على المسلم اعتقاده في حق الله سبحانه، وفي أمر المعاد وغير ذلك من أمور الغيب.

والإيهان بالله يتضمن أربعة أمور:

الماليمان بوجود الله: فوجود الله سبحانه وتعالى من البداهات التي يدركها الإنسان بفطرته ويهتدي إليها بطبيعته، وليس من مسائل العلوم المعقدة، ولا من حقائق التفكير العويصة، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء، ولقتراب المسافة جدًا قد يعطل الرؤية ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد ﴿ أَفِ اللّهِ شَكُ فَاطِر السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: ١٠).

٧-الإيمان بربوبيته: ومعنى الرب: أي: الخالق والمالك والمدبر، فهذا معنى ربوبية الله الله ولا يغني واحد من هذه الثلاثة عن الآخر، فهو الخالق الذي أوجد الأشياء من عدم بديع السّمون و والمرب والمرب والبقرة: ١١٧)، والمالك أي: خالق الخلق وانفرد بملكه له، كما انفرد بخلقه له، كذلك أيضًا منفرد بالتدبير، فهو المدبر لجميع الأمور، وهذا بإقرار المشركين فإنهم إذا سئلوا من يدبر الأمور؟ فسيقولون: الله، فهو المنفرد بالتدبير في يُديّر المشركين فإنهم إذا سئلوا من يدبر الأمور؟ فسيقولون: الله، فهو المنفرد بالتدبير في يُديّر السجدة: ٥).

<sup>(</sup>١) الحقوق الإسلامية (٢٩).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٤٤٣١)، مسلم (٨).

٣- الإيمان بالوهيته: الإيمان بأنه سبحانه هو الإله الحق، وأنه لا يشاركه أحد في هذا الحق لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولهذا كانت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم هي الدعوة إلى قول (لا إله إلا الله)، ﴿ وَلَقَدَ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاللهُ وَلا يكونَ مؤمنًا حتى يفرده سبحانه بالألوهية.

2. الإيمان بأسمائه وصفاته: الواردة في كتابه العزيز والثابتة عن الرسول الأمين على من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تمر كها جاءت بلا كيف مع الإيهان بها دلت عليه هذه المعاني العظيمة التي هي أوصاف الله على يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شئ من صفاته، كها قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِشَلِهِ عَلَى السَّاسِيعُ البَّصِيرُ الله (الشورى ١١)، وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَضَرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالُ النَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا نَعْلَمُونَ الله (النحل ٧٤).

الأمر الثاني: من حقوق الله علينا: عبادته سبحانه لا شريك له: والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار، والمنافقين، والإحسان إلي الجار، واليتيم والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

ذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له التي خلق الحلق لها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَتُ ٱلِجُنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعَبُّدُونِ ﴾ (الذاريات٥٦)، وبها أرسل جميع الرسل، وذم

المستكبرين عن عبادته، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِيبَ يَسَتَكُبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْ خُلُونَ جَهَنَّمَ وَالحِينِ كله داخل في العبادة، وقد ثبت في الصحيح، أن جبريل لما جاء إلى النبي على صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا"، وفي قوله: "قال ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "، ثم قال في حديث آخر (هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم) ((). فجعل هذا كله من الدين، والدين يتضمن معنى الخضوع، والذل، يقال: دنته فدان، أي: أذللته فذل، يقال يدين الله ويدين لله أي: يعبد الله ويطبعه ويخضع له.

فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له وتتضمن العبادة معنى الذل والحب بغاية المحبة له(٢).

## ٢ - حق النبي ﷺ على أمته

المركان الإيمان به عَلَيْ: فالإيمان به من أركان الإيمان التي يجب على المسلم الإيمان بها، ومن هذه الأركان الإيمان بالرسل، وهو رسول من أولئك الرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، قال الله تعالى: ﴿فَاَمِنُوا بِاللَّهِ وَاللَّهُ وِاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّ

ومن الإيهان به التصديق الجازم الذي لاشك فيه بأن رسالته ونبوته هي حق من عند الله تعالى، والعمل بمقتضى ذلك، والتصديق بأن كل ما جاء به من الدين وما أخبر به عن الله تعالى حق صحيح، ولابد من تصديق ذلك بالقلب واللسان، فلا يكفي الإيهان به باللسان، والقلب مُنْكِر لذلك، قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى (النساء: ١٣٦).

٢- محبته ﷺ: وهذا حق من حقوقه على أمته، وواجب عليهم أيضًا، فينتفي الإيهان

<sup>(</sup>۱) البخاري (٤٧٧٧)، مسلم (٨).

<sup>(</sup>٢) وقد فصلنا الكلام على هذا الحق في مقدمة هذه الموسوعة تحت المبحث الثاني (الإسلام وبيان معناه).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٢٥)، مسلم (٢٠).

بعدم محبة النبي ﴿ فقد أوجب الله محبة نبيه في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ اللّهِ وَالْبَاؤُكُمُ وَأَبْنَا وَ كُو اللّهِ وَإِخْوَانُكُمُ وَأَزْوَجُكُمُ وَعَشِيرَ وُكُو وَأَمَوَلُ الْقَتَرَفَتُمُوهَا وَجَهَرَ أُنَّ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَلَكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَ إِلَيْكُمُ مِن اللّهِ وَرَسُولِهِ، وَجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرَبَّصُوا كَسَادَهَا وَمَسَلَكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَ إِلَيْهِ مِنْ الْفَيسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤). وقال ﷺ: "لاَ حَتَى يَأْقِلَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لَا يَهْدِى الْفَوْمَ الْفَيسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤). وقال ﷺ: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنّاسِ أَجْعِينَ "("). وقال ﷺ: " فَلَاثُ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيهَانِ، أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَ إِلَيْهِ مِنَّ سِوَاهُمَا، وَأَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَ إِلَيْهِ مِنَ النَّارِ"("). فَيْكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَ إِلَيْهِ مِنَ النَّارِ "(").

قال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله على، ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به والمعاندين له، وأن لا يتركوا طاعته على، بل امتثلوا أمره، واتركوا زواجره بعدما علمتم ما دعاكم إليه من الحق، قال على: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: يا رسول الله، ومن يأبى، قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى "(").

وقال على: " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته ويقول عليكم بهذا القرآن فها وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه"(أ).

ومما يدل على عظم شأن طاعته أن الله تعالى قرن طاعته سبحانه بطاعة نبيه فقال تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدُ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠). وقال على: " من أطاعني فقد أطاع الله

<sup>(</sup>١) البخاري (١٥).

<sup>(</sup>٢) البخاري (١٦).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٧٢٨٠).

<sup>(</sup>٤) أحمد ٤/ ١٣٠، وأبو داود (٢٠٤) بسند صحيح، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٢٠٤).

ومن عصاني فقد عصى الله اا(١).

وغير ذلك من الأمور التي ينبغي على المسلم متابعتها والعمل بها مما أمر بها النبي، واجتناب ما نهى عنه من أعمال وأفعال قال تعالى: ﴿وَمَا ٓ ءَانَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُــٰدُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمُ عَنْهُ فَٱننَهُوا ﴾ (الحشر: ٧)، وقال: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا "(٢).

ك التباعه على المؤمن الله على المؤمن الباع نبيه، والباعه على المؤمن الله والقول، قال العتقاد والقول، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله قَالَتَهِ عُونِي يُحْبِبَكُمُ الله وَيَغَفِرُ لَكُمْ ذُنُوبِكُمْ وَاللّهُ عَفُورٌ رَّحِيبُ ﴾ (آل عمران: ٣١)، فلا بد للمسلم من الباع هدي نبيه، واقتفاء آثره والعمل بها جاء به من قول وفعل.

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۱۳۳۷).

<sup>(</sup>٣) أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٩٣٧).

فالواجب على المؤمن اتباع النبي ﷺ في العقيدة والعبادة والسلوك فهذا هو طريق النجاة يوم القيامة بإذن الله تبارك وتعالى ومن خالف ذلك فسيلقي به إلى النار والعياذ بالله (١).

2. الاقتداء به على: ﴿ أُوْلَتِكَ الذِينَ هَدَى اللّهُ فَيِهُ دَسُهُمُ اَفْتَدِهَ ﴾ (الأنعام: ٩٠)، فلقد أمر الله جل وعلا نبيه بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والرسل. وأمرنا نحن باتباع النبي والاقتداء به فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسُوةً حَسَنَةً لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللّهَ وَالْمِوْرَ وَلَالْمَ اللّهَ كَيْكِرُ الله كَانَ يَرْجُوا الله وَالْمِوْرِ اللهِ اللهِ اللهِ الله وهو الله وأقواله فاقتدوا به، فمن اقتدى به وتأس به سلك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم، فهو على الأسوة الحسنة التي يوفق للاقتداء بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، لما معه من الإيجار والخوف من الجبار سبحانه، ولما يرجو من ثواب ربه، وما يخشاه من عقابه وعذابه، فكل ذلك حافز، ودافع للاقتداء به في أقواله وأفعاله وأحواله.

7. توقيره على وتعظيم شافه: توقيره من آكد حقوقه على أمته قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَكَ مَنْهِ لَا وَمُبَشِّرًا وَنَدْدِيرًا ﴿ لَ لِتَوْمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَبُوقِ رُوهُ وَشَيَعِحُوهُ بَكَرَهُ وَكُوقِ رُوهُ وَشَيَعِحُوهُ بَكَرَهُ وَأَصِيلًا ﴿ لَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَى الله على الله عليهم وكل ما اتصل به على من قريب أو بعيد. فيرفع من قدره حتى لا يساويه ولا يدانيه أحد من الناس. فمن توقيره على عدم التقدم بين يديه من قدره حتى لا يساويه ولا يدانيه أحد من الناس. فمن توقيره على عدم التقدم بين يديه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّمُ اللَّذِينَ ءَامَنُوا لَا لُونَصِتُوا ، فلا يحل لأحد أن يسبقه بالقول ولا لا تقولوا قبل قوله وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا، فلا يحل لأحد أن يسبقه بالقول ولا برأي ولا بقضاء بل يتعين عليهم أن يكونوا تابعين له على وقال جل شأنه: ﴿ يَكَانَهُ اللَّذِينَ عَلَيْهُمُ أَلَدُينَ عَلَيْهُمُ أَلَدُينَ لَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّذِينَ عَلَيْهُمُ أَلَدُينَ عَلَيْهُمُ أَنْ يكونوا تابعين له على وقال جل شأنه: ﴿ يَكَانَهُ اللَّذِينَ عَلَيْهُمُ أَلَدُينَ عَلَيْهُمُ أَنْ يكونوا تابعين له عَيْهُ . وقال جل شأنه: ﴿ يَكَانَهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

<sup>(</sup>١) جامع العلوم والحكم الحديث (٢٨) ص٥٥٩.

ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي وَلَا تَجَهَرُواْ لَهُ, بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبِعْضِ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَن اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَم رفع الصوت عند مخاطبة النبي، ولا يجهر المخاطب له بالقول بل يخفض الصوت ويخاطبه بالأدب ولين الجانب ويخاطبه بالتعظيم والتكريم والإجلال والإعظام.

٧- وجوب النصح له ها: قال ابن رجب (۱): وأما النصيحة للرسول في حياته فبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته وبذل المال إذا أراده والمسارعة إلى محبته، وأما بعد موته، فالعناية بطلب سنته والبحث عن أخلاقه وآدابه وتعظيم أمره ولزوم القيام به وشدة الغضب والإعراض عمن يدين بخلاف سنته والغضب على من صنعها لأثرة دنيا وإن كان متدينًا بها، وحب من كان منه بسبيل من قرابة، أو صهر، أو هجرة، أو نصرة، أو صحبة ساعة من ليل أو نهار على الإسلام والتشبه به في زيه ولباسه، والإيهان به وبها جاء به، ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه. . . . . ونحو ذلك.

ومن النصيحة له على الذب عن شريعته وحمايتها بألا يزيد فيها أحد ما ليس فيها، أو ينتقصها أحد، فيحارب أهل البدع القولية والفعلية والعقدية، كل حسب بدعته، وكذلك احترام أصحابه وتعظيمهم ومحبتهم، لأنهم خير القرون فلا يجتمع حب رسول الله والنصح له وبغض أصحابه أو أحد منهم، فمن سب الصحابة فقد قدح في الدين، لأنهم هم الذين بلغوا دين الله على بعد وفاة نبيه وفي ذلك قدح لله على وسب له، وتشكيك في حكمته تعالى، فالله جل وعلا قد اختار لنبيه ولحمل دينه من هم أهل لذلك لأن الله تعالى تكفل بحفظ دينه، وهيئ له من العلماء من يبلغوه إلى الناس، فالأمة لا تجتمع على ضلالة. فمن النصح له محبة أصحابه لأنهم هم الذين بلغوا عنه هذا الدين، فرضي الله عنهم أجمعين. فاللهم صلي وسلم وزد وبارك على نبينا محمد ما غرد طير وصاح، وصلي على محمد ما أظلم ليل وأشرق صباح.

<sup>(</sup>١) جامع العلوم والحكم الحديث السابع.

A محبة أهل بيته وصحابته الله عبة أهل بيت رسول الله ، ومحبة أصحابه ، كل ذلك من محبة أهل بيت النبي أو أحدًا من ذلك من محبته ، وهي محبة واجبة فمن أبغض أحدًا من أهل بيت النبي أو أحدًا من صحابته الكرام ، فقد أبغض النبي على الأن محبته مقرونة بمحبتهم. قال على الذكر كم الله في أهل بيتي الأن . وقال على الأم سلمة: "لا تؤذيني في عائشة "(").

وقوله في صحابته: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ "(٢).

وقوله: " لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ من أحدهم ولا نصيفه "( ف).

٩. الصلاة عليه ﷺ: ومن حقه على أمته أن يصلوا عليه كلما ذكر ﷺ، قال تعالى ﴿ إِنَّ اللّهَ وَمَلَيْ صَلّهُ عَلَيْهُ وَسَلِمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦) قال ابن كثير: أي أن الله تعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع عليه الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعًا (٥٠).

فالصلاة والسلام عليه واجبة على كل مؤمن ومؤمنة لما في ذلك من الأجر العظيم من الله عليه والله عليه. الله عَلَيْه في ذلك أيضًا من طاعة لله تعالى عندما أمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه.

قال النووي: إذا صلى على النبي فليجمع بين الصلاة والتسليم - أي ليقل عليه الصلاة والسلام - مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا اللَّهِ عَالَى اللهُ عَلَيْهِ وَالسلام - مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا اللَّهِ عَلَيْهِ وَالسَلَّمُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ مَا اللهُ عليه بها وعن ابن عمرو أنه سمع رسول الله عليه يقول: "من صلى على صلاة صلى الله عليه بها

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲٤۰۸).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢٥٨١).

<sup>(</sup>٣) الترمذي ٢٦٧٦، أبو داود (٢٠٧٤)، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة (٩٣٧).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

<sup>(</sup>٥) تفسر ابن کثر (٣/ ٦٦٨).

عشرًا ال<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة الله قال: قال رسول الله عليه: رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصلي علي (٢٠). عن الأنبياء والرسلين

١-الإيمان بهم: فالإيمان بالأنبياء والمرسلين أصل من أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿ قُلْ عَامَنَكَا بِأَللَهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيَ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَنَى وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِي مُوسَىٰ وَمَا أُنزِلَ عَلَيَ إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَنَى وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِي مُوسَىٰ وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَهِيمَ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِمِنْهُمْ وَنَحْنُ لَدُ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٨٤).

والكفر بهم كفر بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكُفُرُ بِاللّهِ وَمَلَتَهِكَتِهِ وَكُنْبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْكَفر بِهُم كَفَر بَاللّهِ عَلَيْ وَالْكَفر بَاللّهِ وَمُلَتِهِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْكَفر الْكَخِر فَقَدْ ضَلَّ ضَلَلْا بَعِيدًا ﴿ ﴾ (النساء: ١٣٦)، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللّهِ يَكُفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضِ يَكُفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضِ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿ أَوْلَتَهِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ حَقًا اللّهُ اللّهَ عَلَى اللّهُ وَرُسُلِهِ اللّهُ اللّهِ وَرُسُلِهِ عَمْ الْكَفِرُونَ حَقًا اللّهُ اللّهِ عَنِي عَذَابًا مُهِيئًا ﴿ ﴿ النساء ١٥٥: ١٥١).

٧ الإيمان بمعجزاتهم: المعجزة: هي الأمر الخارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد من يشاء من عباده مقرونة بالتحدي عند دعوى النبوة، هذا وقد أيد الله تعالى كل رسول منهم بمعجزات خارقة للعادة، كناقة صالح ونار إبراهيم، وعصا موسى ويده البيضاء، وفلق البحر وتفجير الماء من الحجر، وكإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى، وكانشقاق القمر لسيدنا محمد عليه، ونبع الماء من يده الشريفة، وتكثير الطعام والشراب، وتكليم الجهادات له صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٣ الاعتقاد بعصمتهم: حياة الأنبياء تحلق في مستوى من الكيال لا تهبط عنه أبدًا، والمؤمن من عامة الناس تتذبذب حرارته في مدارج الارتقاء، ويعتبر الحد الأسمى الذي يقف عنده هو مقام الإحسان وهو (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، بيد أن مقام الإحسان

<sup>(</sup>۱) مسلم (۳۸٤).

<sup>(</sup>٢) الترمذي (٣٥٤٥)، صحيح الترمذي (٢٨١٠).

وهو آخر ما يصل إليه الناس بعد الجهد والمران، هو المرتبة الدنيا للأفق الذي يعيش فيه الأنبياء، إذ يستحيل في حقهم أن يسقطوا دونه، وقد قرر علماء المسلمين أن العصمة واجبة لرسل الله كافة، فلا يليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها(١).

ك الشهادة لهم بانهم قد بلغوا أممهم: قال تعالى: ﴿ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُ النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

قال القرطبي: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطًا، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ فَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ فَيَقُولُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقَالُ لأمَّتِهِ هَلْ بَلَّغْتُمْ فَيَقُولُ نَعَمْ فَيُقُالُ لأمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ فَيقُولُ عَلْ بَلَّغُ وَاللَّهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ وَسَطًا لِنَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمْ أَمَةً وَسَطًا لِنَكَوُنَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ أن الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ".

مالإيمان بالكتب المنزلة عليهم: إن معنى الإيان بالكتب الإلهية الذي هو جزء من عقيدة المؤمن: التصديق الجازم بها أوحى الله تعالى من كلامه الخاص إلى من اصطفى من رسله عليهم السلام، فجمع ودون فكان صحفًا مطهرةً، وكتبًا قيمةً، فها عرف منها آمن به المؤمن تفضيلًا، وما لم يعرف آمن به إجمالًا، والمصدر الوحيد الذي يرجع إليه في معرفة الكتب الإلهية بالتفضيل هو القرآن الكريم وحده، إذ هو الكتاب المحفوظ حفظًا، لا يتطرق إليه معه الزيادة والنقص ولا التحريف ولا التغيير أو التبديل بحال من الأحوال.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَعَنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَنفِظُونَ اللَّهِ ﴿ الحجر ٩)، وقال تعالى: ﴿ لَقَدَ اللَّهُ اللَّالَّاللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّا

<sup>(</sup>١) عقيدة المسلم (٢٠٧).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٣٣٣٩).

(الحديد: ٢٥)، وقال عَلى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّئَنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِئبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ (البقرة: ٢١٣).

٢. محبتهم، وإزالة الشبهات التي افتريت عليهم: من علامات المحبة لأنبياء الله ورسله: إماطة اللثام عما دار حولهم من مفتريات وأوهام، فلقد تعرض الأنبياء على مر العصور والدهور لحملات غاشمة ظالمة، وألصقت بهم التهم، ودارت حولهم مفتريات في محاولة شيطانية صهيونية للنيل من مكانهم، والحط من شأنهم، ولم يسلم نبي من ذلك حتى رسولنا الأمين على المنافقة من الله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة الله المنافقة ال

## ك حق القرأن

أولًا: فضل تلاوة القرآن وحملته: قال الله ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُوبَ كِنَبَ اللَّهِ وَأَقَامُواْ الله ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ يَتْلُوبَ كِنَبَ اللَّهِ وَأَقَامُواْ اللهَ اللهَ اللهَ اللهَ اللهِ وَأَنفَقُواْ مِمَا رَزَقْنَاهُمْ مِيرًا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ يَجَنَرَةً لَن تَجُورَ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ

وعن أبي موسى الأشعري الله على قال: قال رسول الله على: "المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ". (")

ثانيًا: حقوق القرآن الكريم: ولهذا الكتاب حقوق علينا ينبغي أن نعلمها ونراعيها مع القرآن الكريم

<sup>(</sup>١) البخاري (٧٧٥).

<sup>(</sup>۲) البخاري (۲۹۳۷)، مسلم (۷۹۸).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٥٠٥٩)، مسلم (٧٩٧).

ا الإيمان به: فالإيمان بها بالكتب المنزلة أصل من أصول الإيمان، فمن كفر بكتاب منزل كفر كفرا يخرجه من الملة والعياذ بالله. قال الله قال قال الله قال

ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله منه بدأ وإليه يعود بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال على: ﴿إِنْ هَذَاۤ إِلَّا فَوْلُ ٱلْبَشَرِ اللهِ ﴿ المَدْرُ : ٢٥). علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه بقول البشر. (١)

#### ٢ـ مراعاة أداب تلاوته:

ولتلاوة القرآن آداب ظاهرة وباطنة، فمن الآداب الظاهرة للتلاوة:

الأول: في حال القارئ: وهو أن يكون على الوضوء واقعًا على هيئة الأدب والسكون إما قائمًا وإما جالسًا مستقبل القبلة مطرقًا رأسه ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر.

الثاني: في مقدار القراءة: وللقراءة عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم في يختم القرآن في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة،...، والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع، وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أومن المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفى في الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل.

الثالث: في كتابة القرآن: يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه.

الرابع: الترتيل: هو المستحب في هيئة القرآن؛ لأن المقصود من القراءة التفكر والترتيل

<sup>(</sup>١) انظر: شرح الطحاوية (ص-١٦٨).

مُعِينٌ عليه، وقال ابن عباس الله الأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرًا، واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضًا الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيرًا في القلب من الهذرمة والاستعجال. (1)

الخامس: البكاء: وهو مستحب مع القراءة، وقد ثبت ذلك عن النبي على لما قرأ عليه عبد الله بن مسعود على من أول سورة النساء حتى وصل إلى قوله على فكيف إذا جِتنا مِن كُلِ أُمّتِم بِشَهِيلِ وَجِئنا بِكَ عَلَى هَتَوُلا مِ شَهِيلًا الله (النساء: ٤١). وإنها طريق تكلف مِن كُلِ أُمّتِم بِشَهِيلِ وَجِئنا بِكَ عَلَى هَتَوُلا مِ شَهِيلًا الله الله الله الله الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء،...، ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب.

السادس: أن يراعي حق الآيات: فإذا مر بآية سجدة سجد، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة.

السابع: في الجهر بالقراءة: ولا شك في أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه، إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف، . . . ، والإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته أيضًا تتعلق بغيره فالخير المتعدي أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله. (٢)

الثامن: أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: لقوله ﷺ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرُّوانَ

<sup>(</sup>١) إحياء علوم الدين (١/ ٤٢٦-٤٢٧).

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق (١/ ٤٢٩-٤٣١).

فَاسَتَوِذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيَطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ اللّهِ عَلَىٰ اللّهِ عَلَىٰ اللّهِ عَلَىٰ اللهِ عَلَىٰ الله عَلَیْ ذات لیلة فافتتح البقرة، وإذا مر بآیة فیها تسبیح سبح وإذا مر بسؤال سأل. (۱)

التاسع: تحسين القراءة وترتيلها: بترديد الصوت بلا تمطيط مفرط يغير النظم لقوله على: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن"(۱)، واستمع على مرة إلى أبي موسى الأشعري شه فقال: لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير داود. (۲)

ومن الآداب الباطئة: الأول: فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه حيث أوصل إليهم معاني كلامه بكل يسر وسهولة.

الثاني: التعظيم للمتكلم، فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه، عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول: هو كلام ربي هو كلام ربي.

الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس، . . . ، قيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال: أو شيء أحب إليّ من القرآن حتى أحدث به نفسي؟ .

الرابع: التدبر: وهو وراء حضور القلب؛ قال علي ﴿: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها، وعن أبي ذر ﴿ قال: قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي قوله ﴿ إِن تُعَدِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكُ وَإِن تَغْفِرُ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ لُكَّكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٨). (١)

الحق الثالث: العمل به وتطبيق أحكامه: فلقد أنزل الله الكتاب بالحق والميزان ليقوم الناس بالقسط. . . وليحكم بين الناس فيها اختلفوا فيه. . . وفرض على المسلمين ما فيه

<sup>(</sup>۱) مسلم (۷۷۲).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٧٥٢٧) عن أبي هريرة ١٠٠٠

<sup>(</sup>٣) البخاري (٥٠٤٨)، مسلم (٧٩٣).

<sup>(</sup>٤) ابن ماجه (١٣٥٠) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١١١٠).

من أحكام، قال ﷺ ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَا آنَزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (المائدة: ٤٩).

## ٥ حقوق آل البيت عليهم السلام

اختلف أهل العلم في تعريف من هم آل البيت وأصح ما قيل في ذلك قولان الأول: من تحرم عليهم الصدقة وهو منصوص الشافعي وأحمد وجمهور أصحابها.

والقول الثاني: أن آل النبي ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصة 🗥.

## لآل البيت عند أهل السنة والجماعة حقوق وواجبات:

١ - منها: حق الموالاة والمحبة، فتجب محبتهم لإيهانهم، وتجب محبتهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ؛ حيث قال النبي ﷺ: "أذكركم الله في أهل بيتي"(")، ولقوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْدُوا الصَّلِحَتِ تُل لا السَّمُلكُمُ عَلَيْهِ أَجًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْنِيُ وَمَن يَقْتَرِفَ حَسَنَةً نَزِدَلَهُ, فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿ "" ﴾ (الشورى: ٣٣).

وهذه الآية لها معنيان: أحدهما السابق، والآخر: أن تحبوني لقرابتي فيكم؛ فإنه لا يخلو بطن في قريش إلا وله صلة قرابة به ﷺ.

٢ - ومنها: حق الدفاع عنهم، وتبرئة ساحتهم مما ينسب إليهم كذبًا وزورًا، والدفاع عنهم لا يعني مجرد الرد على من يسبهم، بل يشمل ذلك، ويشمل الرد على من غلا فيهم، وأنزلهم فوق منزلتهم؛ فإن ذلك يؤذيهم.

٣-ومنها: مشروعية الصلاة عليهم، وذلك في عقب الأذان، وفي التشهد آخر الصلاة، وعند الصلاة على النبي على فقد جاء في هذا عدة نصوص؛ كما جاء في الحديث لما سئل النبي عن كيفية الصلاة عليه في الصلاة؟ قال: (قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد، والسلام كما قد علمتم)(٣).

<sup>(</sup>١) انظر: جلاء الأفهام (ص ٣٢٥).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲٤۰۸).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٥٠٥).

فالصلاة على آله من تمام الصلاة عليه وتوابعها؛ لأن ذلك مما تقرُّ به عينه، ويزيده الله به شرفًا وعلوًا.

قال ابن تيمية: "فآل بيت النبي لهم من الحقوق ما يجب رعايتها؛ فإن الله جعل لهم حقًا في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله"(١).

٥ - ومنها: اليقين الجازم بأن نسب رسول الله وذريته هو أشرف أنساب العرب قاطبة؛ فإن النبي ﷺ يقول: "إن الله اصطفى بني إسهاعيل، واصطفى من بني إسهاعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"(٢).

٦- ومن هذه الحقوق: تحريم الزكاة والصدقة عليهم؛ وذلك لكرامتهم وتنزيههم عن
 الأوساخ؛ فقد قال رسول الله: "إن هذه الصدقات إنها هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل

<sup>(</sup>١) مجموع الفتاوي (٢/ ٤٠٧).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۷۲۲).

لحمد ولا لآل محمد "(١).

قال ابن تيمية: "وأما تحريم الصدقة فحرمها عليه وعلى أهل بيته تكميلًا لتطهيرهم، ودفعًا للتهمة عنه؛ كما لم يورث، فلا يأخذ ورثته درهمًا ولا دينارًا"(٢).

#### ٦\_ حق العلماء

إن مكانة العلماء في الإسلام مكانة عالية وغالية، فلقد رفع الإسلام شأنهم، وأعلى قدرهم، وصان حقهم، نطقت بذلك آيات القرآن والأحاديث والآثار.

فمن الآیات: قوله تعالى: ﴿ شَهِـدَ اللّهُ اَنَهُ لَآ إِلَهَ إِلّا هُوَ وَٱلْمَلَتَهِكَةُ وَأُولُوا ٱلْمِلْمِ قَآبِمًا بِٱلْقِسْطِ ﴾ (آل عمران: ١٨)، وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللّهُ ٱلّذِينَ ءَامَنُواْمِنكُمْ وَٱلّذِينَ أُوتُواْ ٱلْمِلْمَ وَرَجَنتِ ﴾ (المجادلة: ١١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَغْشَى ٱللّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُلَمَـّةُواْ ﴾ (فاطر: ٢٨).

ومن الأحاديث: ١ -عن معاوية الله على قال: سمعت رسول الله على قال: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ". (٣)

٢-وعن أبي الدرداء ﷺ: قال رسول الله ﷺ: " فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ
 لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِّئُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرِ". (٤)

ومن الآثار: سئل ابن المبارك: من الناس؟ فقال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قال: فمن السفلة؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: العلماء أرحم بأمة محمد على من آبائهم وأمهاتهم قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهو يحفظونهم من نار الآخرة. (°)

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۰۷۲).

<sup>(</sup>۲) مجموع الفتاوي (۱۹/ ۳۰).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٧١)، مسلم (١٠٣٧).

<sup>(</sup>٤) الترمذي (٢٦٨٢)، ابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٢).

<sup>(</sup>٥) موسوعة الحقوق الإسلامية (٦٤٤-٦٤٥).

## وعليه فحقوق العلماء علينا كثيرة نذكر منها الآتي:

الحق الأول: أن نحفظ مكانتهم، ونتأدب معهم: فالتأدب مع العلماء من تعظيم العلماء تعظيم العلماء تعظيم العلماء تعظيم لشعائر الله وقد قال اله وقد قال الله وقد قال الل

وهذه جملة من الآداب التي ينبغي أن نتحلى بها مع العلماء: ليكن شيخك محلً إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستهاع وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمهاراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنبا الإكثار من السؤال، لاسيها مع شهود الملأ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل.

ولا تناده باسمه مجردًا، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان! بل قل: يا شيخي أو شيخنا! فلا تسمه، فإنه أرفع في الأدب ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بعد من اضطرار، وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير على في قوله: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمُ مَ كُمُّا اللهِ بَعْضًا ﴾ (النور: ٦٣) والتزم توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس والإفادة به، وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك، فإنه سبب لحرمانك من علمه، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالمًا؟). (٢)

وعن علي بن أبي طالب ، قال: " إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب وأن لا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا نفشين له سرًا ولا

<sup>(</sup>١) حرمة أهل العلم (١٩٧) تأليف (محمد إسهاعيل المقدم).

<sup>(</sup>٢) المجموعة العلمية، تأليف / بكر أبو زيد صـ ١٦٢.

تغتابن عنده أحدًا ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله وإن كان له حاجه سبقت القوم إلى خدمته". (١)

ولقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة في تحقيق هذا الحق والأدب، منها قول الشافعي الله عنه الله الله الله عنه الله

العق الثاني: كف السنتنا عن الوقوع فيهم: الجناية على العلماء خرق في الدين، فمن ثم قال الطحاوي في عقيدته: (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين – أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر – لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء، فهو على غير السبيل). قال ابن المبارك: (من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته). وقال أبوسنان الأسدي: إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس، متى يفلح؟!. ، وقال الإمام أحمد بن الأذرعي: الوقيعة في أهل العلم ولا سيها أكابرهم من كبائر الذنوب. (٢)

وقال ابن عساكر: اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلني وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته: أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب، بلاه الله قبل موته بموت القلب ﴿ فَلْيَحْدَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنَ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِنْنَةُ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابُ ٱلِيحُ ﴿ النور: ٦٣). والطاعنون في العلماء لا يضرون إلا أنفسهم، وهم يستجلبون لها بفعلتهم الشنيعة أحبث الأوصاف ﴿ يِتْسَ ٱلِاَسَمُ الْفَسُوقُ بَعَدَ ٱلْإِيمَنِ وَمَن لَمْ يَتُبَ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلظّلِمُونَ ﴿ اللهِ . وهم مفسدون في الأرض، وقد قال الفسوقُ بَعَدَ ٱلْإِيمَنِ عَمَلَ ٱلمُفسِدِينَ ﴿ يُونس: ٨١). وهم عرضة لحرب الله تعالى،

<sup>(</sup>١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ١٢٩).

<sup>(</sup>٢) انظر: حرمة أهل العلم لمحمد بن إسهاعيل المقدم (ص- ٣١٩).

#### ٧\_ حق الحاكم

إن الله على قد جعل للحاكم حقوق واجبة تجاه الرعية من هذه الحقوق:

وقال عليه: " عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثره

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٥٠٢) عن أبي هريرة ١٠٠٨. وانظر حرمة أهل العلم ص-٣٢٠.

<sup>(</sup>٢) تفسير الطبرى (١٤/ ٣٣٣).

<sup>(</sup>٣) تفسير الطبري (٧/ ١٤٧)، وفتح الباري (١٣/ ١١٩).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

عليك ولو استعمل عليكم عبد حبشيًا يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا". (1)
وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال وسببها اجتماع كلمة
المسلمين فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم، لذا أجمع العلماء على
وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وعلى تحريمها في المعصية لقوله على "عليك السمع
والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثره عليك " معناه تجب طاعة ولاة
الأمور فيها يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا
طاعة، وقوله على " وأثره عليكم " الأثرة بفتح الهمزة والثاء ويقال: بضم الهمزة وإسكان
الثاء وبكسر الهمزة وإسكان الثاء ثلاث لغات وهي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا
عليكم أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلكم حقكم مما عندهم،
قال أبو ذر (إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا مجدع الأطراف)(") يعني
مقطوعها والمراد: أخس العبيد أي أسمع وأطيع للأمير وإن كان دنيء النسب حتى لوكان

وتجوز إمارة العبد إذا ولاه بعض الأئمة أو إذا تغلب على البلاد بشوكته وأتباعه ولا يجوز ابتداء عقد الولاية له مع الاختيار بل شرطها الحرية. (")

وقال ﷺ " أنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم ". (4)

وعن سعيد بن حضير أن رجلًا أتى النبي على فقال: يا رسول الله، استعملت فلانًا ولم تستعملني، قال: " إنكم سترون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض". (°)

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (١٨٣٨)، وأبو داود (١٨٣٤).

<sup>(</sup>٢) مسلم (١٨٣٧)، وابن ماجه (٢٨٦٣).

<sup>(</sup>٣) شرح مسلم للنووي (٦/ ٢٥٥-٤٦٩).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٠٥٩).

ومن العقوق الواجبة على الراعي أن يعلم المقصود من الولاية: إن المقصود الواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذي متى فاتهم خسروا خسرانا مبينا ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم وهو نوعان: قسم المال بين مستحقيه، وعقوبات المعتدين فمن لم يعتد أصلح له دينه ودنياه ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول "إنها بعثت عالي إليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ويقيموا بينكم دينكم " فلما تغيرت الرعية من وجه والرعاة من وجه تناقضت الأمور، فإذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان كان من أفضل أهل زمانه وكان من أفضل المجاهدين في سبيل الله، فالمقصود أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الله السم جامع لكلماته التي تضمنها كتابه وهكذا قال الله الله الحديد: ٥٠).

فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه ثم قال في: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدٌ وَمَنكَفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللهُ مَن يَصُرُهُ، وَرُسُلَهُ بُوالْغَيْبِ ﴾ (الحديد: ٢٥)، فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف. (۱)

ومتى اهتم الولاة بإصلاح دين الناس صلح للطائفتين دينهم ودنياهم وإلا اضطربت الأمور عليهم وملاك ذلك كله حسن النية للرعية وإخلاص الدين كله لله والتوكل عليه فإن الإخلاص والتوكل جماع صلاح الخاصة والعامة كها أمرنا أن نقول في صلاتنا ﴿إِيَّكَ نَبْتُهُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِبُ ﴾ فإن هاتين الكلمتين قد قيل إنها يجمعان معاني الكتب المنزلة من السهاء وقد روي أن النبي على كان مرة في بعض مغازيه فقال: "يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين " فجعلت الرءوس تندر عن كواهلها، وقد ذكر ذلك في غير موضع

<sup>(</sup>١) السياسة الشرعية (٢٩-٣١).

من كتابه كقوله "فاعبده وتوكل عليه " وقوله تعالى ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۞﴾ وكان النبي ﷺ إذا ذبح أضحيته يقول " اللهم منك ولك".

وأعظم عون لولي الأمر خاصة ولغيره عامة، ثلاثة أمور: أحدهما: الإخلاص لله والتوكل عليه بالدعاء وغيره وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن.

الثاني: الإحسان إلى الخلق بالنفع والمال الذي هو الزكاة.

الثالث: الصبر على أذى الخلق وغيره من النوائب ولهذا جمع الله بين الصلاة والصبر في كتابه في آيات منها ﴿ وَٱسْتَعِينُوا بِالصَّبِرِ وَالصَّلُوةِ ﴾ (البقرة: 80). وقوله ﷺ ﴿ وَٱصِّبِرَ الصَّلُوةِ ﴾ (البقرة: 80). وقوله ﷺ ﴿ وَٱصْبِرَ الصَّلُوةَ طَرَفِي النَّهَ إِرَا وَزُلُفًا مِنَ النَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَتِ يُذْهِبَنَ السَّيِّتَاتُ ذَيْلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ ﴿ وَاصْبِرَ وَالْحَاةَ وَالزَكَاةَ فَإِلَّا اللهِ عَلَى اللهِ المُحْسِنِينَ ﴿ وَالرَّعَةَ إِذَا عَرَفَ الإنسانِ ما يدخل في هذه الأسماء الجامعة.

ومن حق الحاكم على رعيته: إكرامه وتعظيمه وتقديره: قال على: "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط". (١)

وعن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق فقال أبو بكرة: اسكت سمعت رسول الله على يقول "من أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ومن أهان سلطان الله في الدنيا أهانه الله يوم القيامة ". (٢)

فمن أكرم سلطان الله أي بالطاعة له فيها أمر الله تعالى فيه بطاعته والإضافة في سلطان الله أضافه تشريف كبيت الله وناقة الله ومن أهان سلطان الله في الأرض أهانه من أهان من

<sup>(</sup>١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، وراجع صحيح الجامع (٢١٩٩).

<sup>(</sup>٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢)، والترمذي (٢٢٢٤)، وقال: حسن غريب، صحيح الجامع (٣٣٥٢). ٠

أعزه الله وألبسه خلعة السلطنة أهانه الله. (١)

ومن حقه أن لا تغرج عليه الرعية وأن لا ينازعوا الأمر أهله: فعن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثره علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله قال: إلا أن تروا كفرا بواحًا عندكم من الله فيه برهان. (٢)

ففي قوله على الأنه الأنازع الأمر أهله " دليل على حرمة منازعة الأئمة والسلاطين والخروج عليهم إلا أن نرى منهم كفرًا بواحًا، فلا يحل منازعة ولاة الأمور في ولايتهم ولا يعترض عليهم إلا أن نرى منهم منكرًا محققًا نعلمه من قواعد الإسلام فإذا وجد ذلك صح الإنكار عليهم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقه ظالمين. ""

ومن حقه على الرعية: عدم عزله إلا لأمر شرعي: فالإمام صالح للولاية ولا يعزل من ولايته ولا يسعى في عزله لذا أجمع العلماء أنه لا ينعزل السلطان ولو بالفسق، وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه.

لذا أجمع جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: أنه لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه وتخويفه. (٤)

ومن حق الحاكم على رعيته (النصح له): قال على: "الدين النصيحة " قلنا لمن قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ". (°)

والنصيحة كلمة جامعه معناها حيازة الحظ للمنصوح له، ويقال هو من وجيز الأسهاء ومختصر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة

<sup>(</sup>١) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٩٤).

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم (١٧٠٩).

<sup>(</sup>٣) شرح مسلم للنووي (٦/ ٤٧٠).

<sup>(</sup>٤) شرح مسلم للنووي (٦/ ٤٧٠).

<sup>(</sup>٥) أخرجه مسلم (٩٥).

كما قالوا في الفلاح: ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه وقيل: النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا أخاطه فشبهوا فعل الناصح فيها يتحراه من صلاح المنصوح له بها يسده من خلل الثوب وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع ومعنى الحديث: عهاد الدين وقوامه النصيحة كقوله على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم عرفه، والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بها غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتألف قلوب الناس لطاعتهم، ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة وأن لا يغزوا بالثناء الكاذب عليهم وأن يدعي لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات. (1)

# من الحقوق الواجبة على الولاة أن يقسموا الأموال كما أمر الله ورسوله:

فليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم كما يقسم المالك ملكه فإنها هم أمناء ونواب ووكلاء ليسوا ملاكا كما قال رسول الله على: "إني والله لا أعطي أحدًا ولا أمنع أحدًا وإنها أنا قاسم أضع حيث أمرت ". (٢)

فهذا رسول رب العالمين قد أخبر أنه ليس المنع والعطاء بإرادته واختياره كها يفعل ذلك المالك الذي أبيح له التصرف في ماله وكها يفعل ذلك الملوك الذين يعطون من أحبوا وإنها هو عبد الله يقسم المال بأمره فيضعه حيث أمره الله تعالى، وهكذا قال رجل لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله تعالى فقال له عمر: أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء كمثل قوم كانوا في سفر فجمعوا منهم ما لا وسلموه إلى واحد ينفقه عليهم فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم، وحمل مرة إلى عمر بن الخطاب على مال عظيم من الخمس فقال: إن قومًا أدوا الأمانة في هذا لأمناء فقال بعض

<sup>(</sup>١) شرح مسلم للنووي (٦/ ٣١٥).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٩).

الحاضرين إنك أديت الأمانة إلى الله تعالى فأدوا إليك الأمانة ولو رتعت رتعوا، وينبغي أن يعرف أن أولي الأمر كالسوق ما نفق فيه جلب إليه هكذا قال عمر بن عبد العزيز في: فإن نفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة جلب إليه ذلك وإن نفق فيه الكذب والفجور والجور والخيانة جلب إليه ذلك، والذي على ولي الأمر أن يأخذ المال من حله ويضعه في حقه ولا يمنعه من مستحقه وكان علي بن أبي طالب في إذا بلغه أن بعض نوابه ظلم يقول: اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك. (1)

ومن حق الحاكم جواز أخذ ما يكفيه من بيت المال لقيامه بمصالح المسلمين: فعن عبد الله بن السعدي أنه قدم على عمر في خلافته فقال له عمر ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالًا فإذا أعطيت العمالة كرهتها فقلت بلى فقال عمر: ما تريد إلى ذلك قلت إن لي أفراسًا وأعبدًا وأنا بخير وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين قال عمر لا تفعل فإني كنت أردت الذي أردت فكان رسول الله على يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقر إليه مني حتى أعطاني مرة مالًا فقلت أعطه أفقر إليه مني فقال النبي على: "خذه فتموله وتصدق به فها جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وإلا فلا تتبعه نفسك". (٢)

وقال الله على هذه الآية والحديث الدليل الواضح على أن من اشتغل بشيء من أعمال المسلمين أخذ الرزق على عمله الآية والحديث الدليل الواضح على أن من اشتغل بشيء من أعمال المسلمين أخذ الرزق على عمله ذلك كالولاة والقضاة وجباة الغني وعمال الصدقة وشبههم لإعطاء رسول الله على عمر العمالة على عمله، وكان شريح القاضي يأخذ على القضاء أجرًا، وقال عمر: إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم إن استغنيت منه استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف. (")

وعن عائشة والله عليه قالت: " لما استخلف أبو بكر الصديق قال: لقد علم قومي أن

<sup>(</sup>١) السياسة الشرعية صـ ٣٥-٣٧.

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٧١٦٣).

<sup>(</sup>٣) مصنف ابن أبي شبيه (٦/ ٤٦٠)، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ١٦١).

حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال وأحترف للمسلمين فيه "(١).

وفي كل هذا دليل على أنه للحاكم الحق في أخذ ما يكفيه وأهله من بيت المال ولكن بالمعروف. (٢)

ومن الحقوق الواجبة على الراعي تجاه الرعية: (استعمال الأصلح): إن النبي على الله المعالم المعالم

فتح مكة وتسلم مفاتيح الكعبة من بني شيبة طلبها منه العباس ليجمع له بين سقاية الحاج وسدانة البيت، فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل قال النبي عليه: " من ولي من أمر المسلمين شيئًا فولي رجال وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله " وفي رواية " من قلد رجلًا عملًا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين". (٦) وروى بعضهم أنه من قول عمر لابن عمر روى ذلك عنه وقال عمر بن الخطاب ﷺ" من تولى من أمر المسلمين شيئًا فولى رجلًا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين " وهذا واجب عليه فيجب عليه البحث عن المستحقين للولايات من نوابه على الأمصار من الأمراء الذين هم نواب ذي السلطان والقضاة من أمراء الأجناد ومقدمي العساكر الصغار والكبار وولاة الأموال من الوزراء والكتاب والسعاة على الخراج والصدقات وغير ذلك من الأموال التي للمسلمين، وعلى كل واحد من هؤلاء أن يستنيب، ويستعمل أصلح من يجده، وينتهى ذلك إلى أئمة الصلاة، والمؤذنين، والمقرئين، والمعلمين، وأمير الحاج، والبرد، والعيون، الذين هم القصاد، وخزان الأموال، وحراس الحصون، والحدادين الذين هم البوابون على الحصون، والمدائن، ونقباء العساكر الكبار، والصغار، وعرفاء القبائل، والأسواق، ورؤساء القرى الذين هم الدهاقين، فيجب على كل من ولى شيئا من أمر المسلمين من هؤلاء وغيرهم

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٠٧٠).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري (١٣/ ١٥٩ -١٦٣).

<sup>(</sup>٣) أخرجه الحاكم (٤/٤)، وقال: صحيح الإسناد.

أن يستعمل فيها تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق في الطلب بل ذلك سبب المنع فإن في الصحيحين عن النبي على "أن قومًا دخلوا عليه فسألوه ولاية فقال: إنا لا نولي أمرنا هذا من طلبه ". (1) وقال عليه لعبد الرحمن بن سمرة: " يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها". (1)

فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينها أو ولاء عتاقة أو صداقه أو غير ذلك من الأسباب أو لضغن في قلبه على الأحق أو عداوة بينها فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيها نهي عنه في قوله الله ويكأينها الّذِينَ ءَامَنُوا لا تَخُونُوا الله والرسول والمؤمنين ودخل فيها نهي عنه في قوله الله والمؤلف الله والرسول والمؤلف أمننيكم وأقلندكم وأقلندكم وأقلندكم وأقلندكم وأقلندكم وأقلندكم وأقلندكم وأقلندكم والمؤلف الله والمؤلف الله والمؤلف وا

ومن الحقوق الواجبة على الراعي تجاه الرعية (اختيار الأمثل فالأمثل): إذا كان في غير وجود الحاكم من هو صالح لتلك الولاية فيختار الأمثل فالأمثل في كل منصب بحسبه وإذا فعل ذلك بعد الاجتهاد التام وأخذه للولاية بحقها فقد أدى الأمانة وقام بالواجب في هذا وصار في هذا الموضع من أثمة العدل والمقسطين عند الله وإن إختل بعض الأمور بسبب من غيره إذا لم يكن إلا ذلك فإن الله يقول ﴿ فَأَنْقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم ﴾ (التغابن: ١٦). ويقول: ﴿ لَا يُكِلِّفُ اللهَ نَقْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقال في

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٦٧٣٠)، ومسلم (١٧٣٣).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٦٧٢٨)، ومسلم (١٦٥٢).

<sup>(</sup>٣) السياسة الشرعية صـ١٣ - ١٤.

الجهاد ﴿فَقَائِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: ٨٤)، وقال ؟ : ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ أَلَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْشُمْ ﴾ (المائدة: ١٠٥).

فمن أدى الواجب المقدور عليه فقد اهتدى وقال النبي ﷺ: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ". (١)

لكن إن كان منه عجز ولا حاجة إليه أو خيانة عوقب على ذلك وينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب فإن الولاية لها ركنان: القوة، حو الأمانة كها قال ﴿ إِنَ خَيْرَ مَنِ ٱلسَّتَعْجَرَتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأُمِينُ ﴿ القصص: ٢٦)

وقال صاحب مصر ليوسف الناس في صفة جبريل: ﴿إِنَّكُ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينُ أَمِينُ ﴿ وقال في صفة جبريل: ﴿إِنَّهُ, لَقُولُ رَسُولٍ كَرِمِ ﴿ إِنَّ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ مُطَاعٍ مَمّ آمِينٍ ﴿ التكوير: عبريل: ﴿إِنَّهُ, لَقُولُ رَسُولٍ كَرِمِ ﴿ اللّهِ بحسبها والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام، والأمانة ترجع إلى خشية الله وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلًا وترك خشية الناس وهذه الخصال الثلاث التي اتخذها الله على كل حكم على الناس في قوله ﴿ فَلَا تَحْشُوا ٱلنكاس وَاخْشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنًا قلِيلًا وَمَن لَمْ يَحْمُونُ وَلَا تَشْتَرُوا الله عَلْ الله عَلْمُ الْكَيْفِرُونَ ﴾ (المائدة: ٤٤).

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۳۳۷).

بالمشورة، وقد أثنى الله على المؤمنين بذلك في قوله: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَالَّذِينَ يَجْنَنِبُونَ كَبَتْهِرَ ٱلْإِثْمِ وَالْفَوَحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۞ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهُمْ وَأَقَامُواْ الصَّلَوَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ ۞ ﴿ (الشورى: ٣٦ - ٣٨).

وإذا استشارهم فإن بين له بعضهم ما يجب إتباعه من كتاب الله أو سنة رسوله أو إجماع المسلمين فعليه اتباع ذلك ولا طاعة لأحد في خلاف ذلك وإن كان عظيمًا في الدين والدنيا قال الله على: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَوْلِى اللَّمْ مِنكُمْ ﴾. وإن كان أمرًا قد تنازع فيه المسلمون فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه ووجه رأيه فأي الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله عمل به كما قال على: ﴿ فَإِن نَنزَعُهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهِ وَاللهِ وَاللهُ وَاللهُ

وأولي الأمر صنفان الأمراء والعلماء وهم الذين إذا صلحوا صلح الناس فعلى كل منهما أن يتحرى ما يقوله ويفعله طاعة الله ورسوله وإتباع كتاب الله. (١)

من الحقوق التي تجب على الرعية (وجوب اتخاذ إمام): فيجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بدلهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي عليه:
" إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم ". (٢)

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي على قال: " لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم "" فأوجب على تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف، والنهي عن

<sup>(</sup>١) السياسة الشرعية (ص١٦٥-١٦٧).

<sup>(</sup>٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨)، وابن حبان (٥/٤٠٥)، وراجع صحيح الجامع (٥٠٠).

<sup>(</sup>٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٤٥): رواه أحمد، والطبراني (٩/ ١٨٥)، وفيه ابن لهيعه حديثه حسن، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجُمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة ولهذا روي " أن السلطان ظل الله في الأرض " ويقال: " ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان"، والتجربة لما ذكر جور الولاة فقال: " أدوا إليهم الذي لهم فإن الله سائلهم عها استرعاهم " وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي عن النبي قال: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلها هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء ويكثرون قالوا فها تأمرنا فقال أوفوا ببيعة الأول فالأول ثم أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عها استرعاهم "().

وفيها عن ابن مسعود الله قال: قال رسول الله على " إنكم سترون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا: فها تأمرنا يا رسول الله قال: "أدوا إليهم حقهم واسألوا الله حقكم" (٢) ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وغيرهما يقولون " لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان "، وقال النبي على: " إن الله يرضى لكم ثلاثة: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ". (٤)

وقال ﷺ: " ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ". (°)

فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله فإن التقرب غليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربان. (٦)

٨ حق الحياة

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (١٨٤٢).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٤)، ومسلم (١٧٠٩).

<sup>(</sup>٣) السياسة الشرعية صـ ٣٤-٣٥.

<sup>(</sup>٤) أخرجه مسلم (١٧١٥)، وأحمد (٢/ ٣٢٧).

<sup>(</sup>٥) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٣)، وابن ماجه (٢٣٠)، وصححه الألباني في المشكاة (٣١/ ٣٢).

<sup>(</sup>٦) السياسة الشرعية ص-١٦٩-١٧١.

تعريف الحياة لغة: الحياة والحيوان والحيُّ مصادر والحيوان اسم يقع على كل شيءٍ حيُّ. (١) تحريم قتل الإنسان: قال ﴿ وَلَا تَقَـنُكُوا ٱلنَّفْسَى ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (سورة الأنعام: ١٥١).

وعن عبدالله قال: قام فينارسول الله على فقال: "والذي لا إله غيره، لا يحل دم رجل مسلم "(٢) وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب. (٦) وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي على قال: " من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ربحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما". (١)

قتل المؤمن متعمداً: قال الله ﷺ: ﴿ وَمَن يَقْتُلُ مُؤْمِنَا مُتَعَمِّداً فَجَزَا وَهُ وَالْكَهُ وَالْكَهُ وَالْكَدُ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿ وَسُورة جَهَنَمُ خَلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلْعَنهُ وَالْعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿ وَسُورة النساء: ٩٣). فهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطي هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله حيث يقول تعالى: ﴿ وَاللَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلَّهُ إِلّا بِالْحَقِ ﴾. (سورة الفرقان: (٦٨)، والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدًّا. (٥ وعن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: "لوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق". (١٠)

غلظ تحريم الانتحار: عن أبي هريرة شه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب

<sup>(</sup>١) لسان العرب (١٤/ ٢١٤).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٦٨٧٨)، مسلم (١٦٧٦).

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢١٤).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٦٩١٤).

<sup>(</sup>٥) تفسير ابن كثير (٤/ ١٩٩).

<sup>(</sup>٦) ابن ماجه (٢٦١٩)، والترمذي (١٣٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٢١٢١).

سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا ". (١)

تعريم المبارزة لإثبات حق: عن الأحنف بن قيس قال: " ذهبت لأنصر هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرجل، قال: ارجع فإني سمعت رسول الله على يقول: "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، فقلت يا رسول الله هذا القاتل فها بال المقتول؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه". (٢)

تعريم قتل الجنين: في حديث المرأة الغامدية التي جاءت إلى رسول الله على فقالت: يا رسول الله طهرني، فقال: " ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه "، فقالت: أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك، قال: " وما ذاك؟ قالت: إنها حبلي من الزني، فقال: (آنت؟) قالت: نعم، فقال لها: " حتى تضعي ما في بطنك". (")

#### ٩\_ حقوق الوالدين

من حق الوالدين على الولد أمور لا حصر لها من بينها: قول الله على: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَا يَعْبُدُواْ إِلّاَ إِيّاهُ وَبِالْولِدَيْنِ إِحْسَنَا الْمَايَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكَبِرَ أَحَدُهُمَا أَوْكِلاهُمَا فَلا تَقُل لَمُّمَا أَنِي وَلا نَهْرَهُما وَقُل لَهُمَا فَوْلا كَبِرِيما ﴿ وَالْخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبِّ وَلا نَهْرَهُما كَا رَبّيَانِي صَغِيرا ﴿ قَلْ رَبّي وَمُعْمَا كَا رَبّيانِي صَغِيرا ﴾ وَتُبكُو أَعَامُوبِما فِي نَفُوسِكُو إِن تَكُونُواْ صَلِحِينَ فَإِنّهُ وَقُل رَبّي اللّه والشفقة عَفُورًا ﴿ وَالله والله والله والشفقة عَفُورًا ﴿ وَالله والله وا

<sup>(</sup>۱) البخاري (۵۷۷۸)، مسلم (۱۰۹).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

<sup>(</sup>٣) مسلم (١٦٩٥).

القول بأن لا يكلمهما إلا مع الاستكانة والذل والخضوع وإظهار ذلك لهما واحتمال ما يصدر منها ويربها أنه في غاية التقصير في حقها وبرهما وأنه من أجل ذلك حقير ذليل ولا يزال على نحو ذلك إلى أن ينثلج خاطرهما ويبرد قلبهما عليه بالرضا والدعاء ومن ثم طلب منه بعد ذلك أن يدعوا لهما لأن ما سبق يقتضي دعائهما له كما تقرر فليكافئهما إن فرصت مساواة وإلا فشتان ما بين المرتبتين وكيف توهم المساواة وقد كانا يحملان أذاك وكلك وعظيم المشقة في تربيتك وغاية الإحسان إليك راجيين حياتك مؤملين سعادتك وأنت إن حملت شيئا من أذاهما رجوت موتهما وسئمت من مصاحبتهما ولكون الأم أحمل لذلك وأصبر عليه مع أن عنائها أكثر وشفقتها أعظم بها قاسته من حمل وطلق وولادة ورضاع وسهر ليل وتلطخ بالقذر والنجس وتجنب للنظافة والترفه لذا حض النبي ﷺ على برها ثلاث مرات وعلى بر الأب مرة واحدة كما في الحديث " أن رجلا جاء النبي ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي قال: أمك قال: ثم من؟ قال: أمك، ثم من؟ قال أمك، ثم من؟ قال أبوك ثم الأقرب فالأقرب". (١) وجاء رجل إلى أبي الدرداء فقال يا أبا الدرداء إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها الباب أو احفظه "(٢)

فبرهما يزيد في العمر: قال على الله الله الله الله ولا يرد القضاء إلا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها". (")

## وبرهما شكر لله ولهما:

قال الله ﷺ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَلِدَيْكَ ﴾ (لقمان: ١٤). فانظر – وفقني الله وإياك –

<sup>(</sup>۱) أخرجه الترمذي (۱۸۹۷) وقال: حديث حسن، وأبوداود (۱۳۹۵)، وصححه الألباني في: صحيح أبي داود (۱۲/ ۲۰).

<sup>(</sup>٢) أخرجه الترمذي (١٩٠٠)، وابن ماجه (٣٦٦٣)، وانظر السلسلة الصحيحة (٩١٠).

<sup>(</sup>٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٧)، والترمذي (٢١٣٩)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦/٨٧).

كيف قرن شكر هما بشكره.

## برهما أفضل من الجهاد مع النبي ﷺ:

جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد معه فقال له: " أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد". (١) فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد معه. (١)

### فمن حقهما على الأولاد عدم عقوقهم:

قال الله عَلَّى: ﴿ فَلَا نَقُل لَمُ كَمَا أُنِّ وَلَا نَتَهُرُهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلُاكَرِيمًا ﴾ (الإسراء: ٢٣) وقال عَلَيْ: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين". (") وهذه جملة حقوق للآباء على الأبناء:

- ١- إذا احتاج أحدهما إلى الطعام أطعمه.
- ٢- إذا احتاج على الكسوة كساه إن قدر عليه.
  - ٣- إذا احتاج أحدهما إلى الخدمة خدمه.
    - ٤- إذا دعاه أجابه وحضره.
- ٥- إذا أمره أطاعه ما لم يأمر بالمعصية والغيبة.
- أن يتكلم معه باللين ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ.
  - ٧- أن لا يدعوه باسمه.
    - أن يمشى خلفه.
  - ٩ أن يرضى له ما يرضى لنفسه ويكره ما يكره لنفسه.
- ١٠ أن يدعوا له بالمغفرة كلما يدعوا لنفسه قال الله تعالى حكاية عن نوح الطَيْنَا وَرَبِّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ (نوح: ٢٨)، وهكذا عن إبراهيم الطَيْنَا ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمٌ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿ إَبراهيم: ٤١)، وقال تعالى ﴿ وَقُل رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كُمَّا

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (١٩٧٥).

<sup>(</sup>٢) الزواجر (٢/ ١٤٥ –١٥٥).

<sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري (١١٥٣)، ومسلم (١٤٣).

رَبّيانِي صَغِيرًا ١٠٠٠) (الإسراء: ٢٤)(١).

ومن حقهما أن يستأذنهما عند الخروج ولو إلى الجهاد: وروى أبوسعيد الخدري هأن رجلًا من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله شخف فقال: يا رسول الله قد هاجرت فقال رسول الله على: " هل لك أحد باليمن؟ " قال: أبواي "قال أذنا لك؟ " قال: لا "قال فارجع إليها فاستأذنها فإن أذنا لك فجاهد وإلا فبرهما". (٢)

وذلك ما لوكان الوالد كافرا فإنه لا يحتاج الولد إلى إذنه في الجهاد ونحوه. <sup>(٣)</sup>

ومن حقهما أن يبر أهليهما بعد موتهما: فعن أبي أسد الساعدي قال: "بينا نحن عند رسول الله على أذ جاءه رجل من بني سلمه، فقال: يا رسول الله هل بقى من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: "نعم الصلاة عليها، والاستغفار لها، وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بها وإكرام صديقها ". (أ) "والصلاة عليها" أي الدعاء ومنه صلاة الجنازة والمراد به الترحم. "والاستغفار لها" أي طلب المغفرة لها وهو تخصيص بعد تعميم، "وإنفاذ عهدهما" أي إمضاء وصيتها، " وصلة الرحم" أي إحسان للأقارب التي لا توصل إلا من قبلها. (9)

### فكل هذه حقوق تجب على الأولاد تجاه آبائهم:

- \* أن يستغفر لهما.
- \* وأن يدعوا لهما.
- \* وأن يمضى وصيتهما.

<sup>(</sup>١) تنبيه الغافلين (٨٩).

<sup>(</sup>٢) أخرجه أبو داود (٢٥٣٠)، وراجع صحيح أبي داود (٢٢٠٧).

<sup>(</sup>٣) الزواجر (١٥٩/٢).

<sup>(</sup>٤) أخرجه أبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، والحاكم (٤/ ١٧١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

<sup>(</sup>٥) عون المعبود (٧/ ٣٦).

\* وأن يصل ما كانوا يصلونه.

وعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة وعهامة يشد بها رأسه فبينا هو يوما على ذلك الحمار إذا مر به أعرابي، فقال: ألست ابن فلان بن فلان قال بلى فأعطاه الحمار وقال: اركب هذا والعهامة، قال: اشدد بها رأسك، فقال له: بعض أصحابه غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حمارا كنت تروح عليه وعهامة كنت تشد بها رأسك، فقال: إني سمعت رسول الله على يقول: "إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى " وإن أباه كان صديقا لعمر". (١)

وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم وهو متضمن لبر الأب، وإكرامه لكونه بسببه وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة. (٢)

١٠\_ حقوق الزوج

من حق الزوج على زوجته: حسن طاعته في المعروف:

قال ﷺ: "إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت"(").

وقال ﷺ: "لو كنت آمرًا أحد أن يسجد لغير الله لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه "(٤).

وعن حصين بن محصن أن عمة له أتت النبي على فقال لها: " أذات زوج أنت؟ " قالت: نعم، قال: "فكيف أنت له

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

<sup>(</sup>٢) شرح مسلم للنووي (٨/ ٣٥٢).

<sup>(</sup>٣) أخرجه أحمد (١/ ١٩١)، وابن حبان (٢٦٣)، وراجع: صحيح الترغيب (٣٢٥٤).

<sup>(</sup>٤) أخرجه أحمد (٤/ ٣٨١)، وابن ماجه في سننه (١٨٥٣)، والترمذي في سننه (١١٩٩)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٩٥).

" فإنه جنتك نارك". (١)

وقال علي امرأة ماتت وزوجها عنها راضي دخلت الجنة "(٢).

وقال ﷺ: " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنها الطاعة في المعروف" (٢٠).

وقال عليه: " لو كنت آمر أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"(١).

أي: لكثرة حقوقه عليها وعجزها عن القيام بشكرها، وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها فإن السجدة لا تحل لغير الله. (°)

ومن حق الزوج أيضًا: قرار زوجته في بيته وعدم خروجها إلا بأذنه:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْ ﴾ أَلْجَ هِلِيَّةِ ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

﴿ وَقَرْنَ ﴾: قرأ الجمهور "وقرن " بكسر القاف وقرأ عاصم ونافع بفتحها فأما القراءة الأولى فتحتمل وجهين أحدهما: أن يكون من الوقار: تقول "وقر يقر وقارًا أي سكن والأمر قر وللنساء قرن.

والثاني: وهو من القرار تقول قررت بالمكان (بفتح الراء أقر والأصل أقررن بكسر الراء فحذفت الراء الأولى تخفيفًا ونقلوا حركتها إلى القاف واستغني عن ألف الوصل لتحرك القاف" وأما قراءة أهل المدينة وعاصم فعلى لغة العرب قررت في المكان إذا أقمت فيه بكسر الراء أقرا بفتح القاف.

ومعنى هذه الآية: الأمر بلزوم البيت وإن كان الخطاب لنساء النبي ﷺ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى، هذا لولم يرد دليل يخص جميع النساء كيف والشريعة طافحه بلزوم

<sup>(</sup>١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٤١)، والحاكم (٢/ ١٨٩)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح خلا حصين وهـو ثقة (مجمع الزوائد٤/ ٣٠٩)، وراجع: صحيح الترغيب والترهيب (١٩٣٣).

<sup>(</sup>٢) أخرجه الترمذي (١١٧١)، وقال: حسن غريب.

<sup>(</sup>٣) البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠)، وأحمد (١/ ٩٤).

<sup>(</sup>٤) مسند أحمد (٣/ ١٥٨)، والترمذي (١١٥٩)، وقال: حسن غريب، صحيح الجامع (٥٢٩٥).

<sup>(</sup>٥) تحفة الأحوذي (٤/ ٢٧١).

النساء بيوتهن والاعتكاف عن الخروج منها إلا لضرورة (۱)، فقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ ﴾ يقال قر فلان في منزله يقر وقورا إذا هدأ فيه واطمأن به وفيه الدلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيوت منهيات عن الخروج. (۲)، ويجوز للزوج منعها من الخروج من منزله إلى مالها منه بد سواء أرادت زيارة والديها أو عيادتها أو حضور جنازة أحدهما.

قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة قال: طاعة زوجها أوجب عليها من أمها إلا أن يأذن لها، ولأن طاعة الزوج واجبة والعيادة غير واجبة فلا يجوز ترك الواجب بها ليس بواجب ولا يجوز لها الخروج إلا بإذنه، ولكن لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارتهما لأن في ذلك قطيعة رحم وحملا لزوجته على مخالفته وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف وليس هذا من المعاشرة بالمعروف. (<sup>7)</sup>

### ومن حق الزوج عدم تبرج زوجته وإيجاب تحجبها:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّعُ لَ تَبَرُّعُ ٱلْجَهِلِيَةِ ٱلْأُولَى ﴾ (الأحزاب: من الآية ٣٣)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرِّعُ مَنَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَبْرِجُ اللهِ وَاللهِ وَاللهِ وَلَا للهِ وَلَا للهِ وَلَا للهِ وَلَا للهِ وَلَا للهِ وَلَا للهِ اللهِ وَلَا للهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلللهِ وَلَا للهِ وَلَا للهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلِهُ اللهِ وَلِنْ لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلِنْ اللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِنْ اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي الللهِ وَلِي اللهِ وَلَا لللهِ وَلِي اللهِ وَلَا لِي اللهِ وَلَا لللهِ وَلَا اللهِ وَلَا لللهُ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا للللهِ وَلَا الللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلِي الللهِ وَلَا للللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلَا لللهِ وَلِي الللهِ وَلَا للللهِ وَلِي الللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي الللهِ وَلِي اللهِ وَلِي الللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللّهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي الللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي اللهِ وَلِي الللّهِ وَلِي الللّهِ وَلِي الللّهِ وَلِي الللّهِ وَلِي الللّهِ وَلِي الللّ

قال على: "صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها على الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ".

إنها جعلهن كاسيات لأن الثياب عليهن وإنها وصفهن بأنهن عاريات لأن الثوب إذا رق يصفهن ويبدي محاسنهن وذلك حرام. (أ) وقيل: أنهن كاسيات من الثياب عاريات من لباس التقوى الذي قال الله تعالى فيه ﴿وَلِيَاشُ ٱلتَّقَوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ (لأعراف: ٢٦)(٥)،

<sup>(</sup>١) أحكام القرآن القرطبي (١٤/ ١٧٣/ ١٧٤).

<sup>(</sup>٢) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٣٦٠).

<sup>(</sup>٣) المغنى (٨/ ١٣٠).

<sup>(</sup>٤) مسلم (١٢٨).

<sup>(</sup>٥) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ١٤٠١).

وهو اللائق بهن في هذه الأزمان وخاصة الشباب فإنهن يتزين ويخرجن متبرجات فهي كاسيات بالثياب عاريات من التقوى حقيقة ظاهرًا وباطنًا حيث تبدي زينتها ولا تبالي بمن ينظر إليها بل ذلك مقصودهن وذلك مشاهد في الوجود منهن فلو كان عندهن شيء من التقوى لما فعلن ذلك ولم يعلم أحد ما هنا لك. (۱)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعَا فَسَّنَاوُهُنَّ مِن وَرَآءِ جِمَابٍ ۚ ذَالِكُمُ أَطَهَرُ لِقُلُوبِكُمُ وَفَلُوبِهِنَّ ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض أو مسألة يستفتين فيها، ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى وبها تضمنه أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة، فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة، كالشهادة عليها أو داء يكون ببدنها أو سؤالها عها يعرض وتعين عندها. (٢)

ومن حق الزوج على زوجته أن تحفظ ماله: قال ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". (")

وقال ﷺ "لا تنفق امرأة شيء من بيت زوجها إلا بإذن زوجها، قيل: يا رسول الله والطعام قال: ذاك أفضل أموالنا". (٤)

فعامة العلماء على أنه لا يجوز لها التصدق من مال زوجها بغير إذنه.

وعن سعد شقال: "لما بايع الرسول يه النساء، قامت امرأة جليله فقالت: "يا رسول إنا كل على آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لناس أموالهم قال: "الرطب تأكلنه وتهدينه". (°) وقال على آبائنا ولد في صغره وأرعاه

<sup>(</sup>۱) تفسير القرطبي (۱۲/ ۳۰۸).

<sup>(</sup>٢) القرطبي (٢١٨/١٤).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٥٢٠٠)، ومسلم (١٩٢٩).

<sup>(</sup>٤) الترمذي (٦٧٠) وقال: حديث حسن.

<sup>(</sup>٥) أبوداود (١٦٨٦).

على زوج في ذات يده'''<sup>(۱)</sup>

وقوله (وأرعاه على زوج) أي أن النساء من قريش خير نساء لأنهن أحفظ لماله بالأمانة فيه والصيانة له وترك التبذير في الإنفاق في مال الزوج وفي هذا دلالة على وجوب حفظ مال الزوج وحسن التدبير فيه. (٢)

وعن عبد الله بن يحيى الأنصاري رجل من ولد كعب بن مالك عن أبيه عن جده أن جدته خيرة امرأة كعب بن مالك أتت رسول الله على بحلي لها فقالت " أني تصدقت بهذا "فقال لها رسول الله على "لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها فهل استأذنت كعبًا قالت نعم فبعث رسول الله على إلى كعب بن مالك فقال "هل أذنت لخيرة أن تتصدق بحليها فقال: نعم فقبله رسول الله على منها ".

وقال ﷺ: "إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بها أنفقت ولزوجها أجره بها كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا" وفي رواية ومن طعام زوجها – وفي رواية "من العبد إذا أنفق من مال مواليه قال الأجر بينكها نصفان". فأعلم أنه لا بد للعامل وهو الخازن وللزوجة والمملوك من إذن المالك فإن لم يكن أذن أصلا فلا أجر لأحد من هؤلاء الثلاثة بل عليهم وزر بتصرفهم في مال غيرهم بغير إذنه

والإذن ضربان: أحدهما الإذن الصريح في النفقة والصدقة.

والثاني: الإذن المفهوم من اطراد العرف والعادة كإعطاء السائل كسرة ونحوها مما جرت العادة به واطراد العرف فيه وعلم بالعرف رضاء الزوج والمالك به فإذنه في ذلك حاصل وإن لم يتكلم وهذا إذا علم رضاه لاطراد العرف وعلم أن نفسه كنفوس غالب الناس في السهاحة بذلك والرضا به، فإن أضطرب العرف وشك في رضاه أو كان شخص يشح بذلك وعلم من حاله ذلك أوشك فيه لم يجز للمرأة وغيرها التصدق من ماله إلا

<sup>(</sup>١) البخاري (٥٠٨٢)، ومسلم (٢٥٢٧).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري (٩/ ٢٨).

<sup>(</sup>٣) البخاري (١٤٤١)، ومسلم (١٠٢٤).

بصريح إذنه. وأما قوله ﷺ: "وما أنفقت من كسبه من غير أمره فإن نصف أجره له" فمعناه من غير أمره الصريح في ذلك القدر المعين ويكون معها إذن عام سابق متناول لهذا القدر وغيره وذلك الإذن الذي قد أولناه سابقًا أما بالصريح وإما بالعرف ولابد من هذا التأويل؛ لأنه ﷺ جعل الأجر مناصفة وفي رواية فلها نصف أجره ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ولا معروف من العرف فلا أجر لها بل عليها وزر فتعين تأويله.

واعلم أن هذا كله مفروض من قدر يسير يعلم رضا المالك به في العادة فإن زاد على المتعارف به لم يجز، وهذا معنى قوله على: "إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة". فأشار على أنه قدر يعلم رضا الزوج به من العادة ونبه بالطعام أيضا على ذلك لأنه يسمح به في العادة بخلاف الدراهم والدنانير في حق أكثر الناس وفي كثير من الأحوال. واعلم أن المراد بنفقه المرأة والعبد والخازن النفقة على عيال صاحب المال وغلمانه ومصالحه وقاصديه من ضيف وابن سبيل ونحوهما وكذلك صدقتهم المأذون فيها بالصريح أو العرف والله أعلم. (1)

ومن حقه أن لا تصوم زوجته نفلًا إلا بإذنه: قال ﷺ: "لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ". (٢)

وفي لفظ "لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه". (")

وقوله على صوم التطوع والمندوب الذي ليس له زمن معين وهذا النهي للتحريم صرح به أصحابنا وسببه أن الزوج له الحق الاستمتاع بها في كل الأيام وحقه فيه واجب على الفور فلا يفوته بتطوع ولا بواجب على التراخي فإن قيل: فينبغي أن يجوز لها الصوم بغير إذنه فإن أراد الاستمتاع بها كان له ذلك ويفسد صومها، فالجواب: أن صومها يمنعه من الاستمتاع في العادة لأنه يهاب انتهاك الصوم بالإفساد، وقوله على "وزوجها شاهد" أي: مقيم في البلد إذا كان

<sup>(</sup>١) شرح النووي (٤/ ١٢٢-١٢٣).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (١٩٥٥)، وأحمد (٢/ ٢٤٥).

<sup>(</sup>٣) أخرجه مسلم (١٠٢٦).

مسافرا فلها الصوم لأنه لا يتأتى منه الاستمتاع إذا لم تكن معه. (١)

عن أبي سعيد قال: جاءت امرأة إلى النبي على ونحن عنده، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي صفوان بن المعطل، يضربني إذا صليت، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، قال وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت، فقال: يا رسول الله، أما قولها يضربني إذا صليت، فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها، قال: فقال: "لو كانت سورة واحدة لكفت الناس "، وأما قولها: يفطرني، فإنها تنطلق فتصوم، وأنا رجل شاب، فلا أصبر، فقال رسول الله على يومئذ: " لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها "، وأما قولها: إني لا أصلي حتى تطلع الشمس، فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: " فإذا استيقظت فصل ". (٢)

وفي هذا الحديث من الفقه: أن منافع المتعة والعشرة من الزوجة مملوكة للزوج في عامة الأحوال وأن حقها في نفسها محصور في وقت دون وقت. (٣)

ومن حقه أن لا تأذن في بيته إلا بإذنه"(أن)، وفي لفظ "ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه قال على: "ولا تأذن في بيته إلا بإذنه"(أن)، وفي لفظ "ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه"(أن). وقوله " وهو شاهد": قيد لا مفهوم له بل خرج مخرج المغالب وإلا فعيبة الزوج لا تقتضي الإباحة للمرأة أن تأذن لمن يدخل بيته بل يتأكد حينئذ عليها المنع لثبوت الأحاديث الواردة في النهي عن الدخول على المغيبات أي من غاب عنها زوجها ويحتمل أن يكون له مفهوم وذلك أنه إذا حضر تيسر استئذانه وإذا غاب تعذر فلو دعت الضرورة إلى الدخول عليها أما

<sup>(</sup>١) شرح النووي (٤/ ١٢٤).

<sup>(</sup>٢) أبو داود (٢٤٥٩)، وابن حبان (٩٥٦)، والحاكم (١/ ٤٣٦)، السلسلة الصحيحة (٣٩٥).

<sup>(</sup>٣) معالم السنن (٢/ ١١٦).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري (١٩١٥).

<sup>(</sup>٥) أخرجه مسلم (١٠٢٦).

مطلق دخول البيت بأن تأذن لشخص في دخول موضع من حقوق الدار التي هي فيها أو إلى دار منفردة عن سكنها فالذي يظهر أنه ملتحق بالأول(١).

وقوله ﷺ: "ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه " فيه إشارة إلى أنه لا يفتات على الزوج وغيره من مالكي البيوت وغيرها بالإذن في أملاكهم إلا بإذنهم وهذا محمول على مالا يعلم رضا الزوج ونحوه به، فإذا علمت المرأة ونحوها رضاه جاز كما سبق في النفقة (")، وحاصله أنه لابد من اعتبار إذنه تفصيلا أو إجمالا. ")

ومن حقه أن تشكره زوجته على ما يقدمه لها، وأن لا تطالبه بأكثر: قال على: "لا ينظر الله على المرأة لا تعرف حق زوجها ولا شكره وهي لا تستغني عنه". (3) وقال على: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس "(9)

فمن كان من طبعه وعادته كفران نعمة الله تعالى وترك الشكر له فمن كان من طبعه وعادته كفران نعمة الله تعالى وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله تعالى وترك الشكر له.

وأن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر. (¹) وقال على: "حق الزوج على زوجته لو كانت به قرحة فلحستها أو انتثر منخراه صديدا أو دما ثم ابتلعته ما أدت حقه ". (٧)

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٥١٩٥).

<sup>(</sup>٢) النووي شرح مسلم (٤/ ١٢٤–١٢٥).

<sup>(</sup>٣) فتح الباري (٩/ ٢٠٧).

<sup>(</sup>٤) أخرجه النسائي في عشرة النساء (٢٥٠)، والحاكم (٢/ ١٩٠)، والبيهقي (٧/ ٢٩٤).

<sup>(</sup>٥) أبوداود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤) وقال: صحيح، صحيح الجامع (٧٧١٩).

<sup>(</sup>٦) عون المعبود (٧/ ١١٤).

<sup>(</sup>٧) أخرجه ابن حبان (٤١٦٤)، والبزار (١٤٦٥)، وقال الهيثمي، والبزار: رجاله رجال الصحيح، صحيح الجامع (٣١٤٨).

وكذلك لا تكلف الزوجة زوجها أكثر من طاقته قال الله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦). وقال تعالى: ﴿ لِيُنْفِقَ ذُوسَعَةٍ مِن سَعَتِهِ ۚ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلَيْنِقِقَ مِمّا ءَائنهُ اللّهُ لَا يُكَلِّفُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُ

ومن حق الزوج على زوجته إذا دعاها لحاجته تجيبه على أي حالة كانت إذ كانت طاهرة:
قال على: "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة
حتى تصبح " وفي رواية "والذي نفسي بيده ما من رجل يدعوا امرأته إلى فراشه فتأبى عليه
إلا كان الذي في السهاء ساخط عليها حتى يرضى عنها"(١)، وقال على: "إذا باتت المرأة
مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع ". (٢)

ومن حق الزوج على زوجته أن يأخذ حقه من مالها إذ توفيت: وحق الزوج النصف مع عدم الولد أو ولد الولد والربع مع وجوده، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصَفُ مَا تَكَكَ اَزُوَجُكُمْ إِن لَمْ يَكُن لَهُ رَبِّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرَّبُعُ مِمَّاتَرَكَنَ مَنْ بَعَدِ وَصِيرَةِ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنِ ﴾ (النساء: ١٢)، ولهذا أجمع العلماء على أن للزوج النصف مع عدم الولد أو ولد الولد وله مع وجوده الربع. (")

فالقول الجامع في حق الزوج على زوجته أن تكون قاعدة في قعر بيتها، ولا يكثر صعودها واطلاعها، قليلة الكلام مع جيرانها، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته، وتطلب مسرته في جميع أمورها، ولا تخونه في نفسه وماله، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن خرجت بإذنه فمختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرف إلى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها مهتمة بتدبير بيتها

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٦٥ ٣٠)، ومسلم (١٤٣٦).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (١٤٣٦).

<sup>(</sup>٣) تفسير القرطبي (٥/ ٨٠).

مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بها رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها منظفة في نفسها مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء مشفقة على أولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج وأن لا تتفاخر على الزوج بجهالها ولا تزدري زوجها لقبحه، ويجب على المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب، والانبساط، وأسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال، روي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله عليه: "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنها هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا"(١).

ولا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمه دخل على أم حبيبة زوج النبي على حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله على نوج أربعة أشهر وعشرا". (٢)

وتلزم مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة. وتقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها فقد روي عن أساء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - أنها قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى على رأس من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنها أعتقني، ولقيني رسول الله عليه يوما ومعه أصحابه فقال عليه: "أخ أخ" لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت

<sup>(</sup>١) أخرجه الترمذي (١١٧٤)، وابن ماجه (١٠٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧١٩٢).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (١٢٨٠)، ومسلم (١٤٩١).

الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ أنني قد استحييت فجئت الزبير فحكيت له ما جرى، فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشد علي من ركوبك معه". (١)

## ١١ـ حق المرأة

لقد أعطى الإسلام حقوقًا للمرأة على مدار حياتها، ليحفظها، وليبين كرامتها، ومن هذه الحقوق:

ا.حق المرأة كجنين وكطفل: حقوق المرأة وهي في بطن أمها كثيرة، مراعاة لها في وقت لا تملك لنفسها فيه شيئًا؛ فعلى أبيها أن يختار أمًا ذات دين؛ حتى تقومها وتربيها على منهج الله وسنة رسوله على من يعيشون حول أمها أن يهيئوا لها الاستقرار النفسي؛ لأن مرحلة الحمل والولادة شاقة وعسيرة، قال تعالى: ﴿ مَلَتَهُ أُمُّهُ وَهَنّا عَلَى وَهَنِ ﴾ (لقهان: ١٤)، وقال الحمل والولادة شاقة وعسيرة، قال تعالى: ﴿ مَلَتَهُ أُمُّهُ وَهَنّا عَلَى وَهَنِ ﴾ (لقهان: ١٤)، وقال الحمل والولادة شاقة وعسيرة، قال تعالى: ﴿ مَلَتَهُ أُمُّهُ وَهَنّا عَلَى وَهَنِ ﴾ (لقهان: ١٤)، وقال الحمل، وحال الرضاع، وأن يصلى عليها الجنازة، ويستحسن أن تخرج الزكاة عنها، وإذا استهلت فلها الميراث، ولا بد من الحفاظ على حياتها، ولها أن يهيئ لها أبوان صالحان، وأن يحسن اسمها، وأن تختن ولها حق الحضانة على أبويها، ولها حق الرضاعة على أمها.

وهكذا اعتنى الإسلام بالمرأة؛ حتى وهي لم تخرج للحياة بعد (٣).

#### ٢\_ حق البنت: ولها حقوق منها:

ا.حق التعليم: قال أهل العلم: ويدخل في فضل العلم للأبناء (الأولاد والبنات سويًا) عموم الأحاديث في فضل ذلك، ولنا أن نتصور الفتاة حين تبني أسرة من زوج وأبناء وهي لا تقرأ ولا تكتب، يعني أنها لن تقرأ القرآن ولا السنة ولا شيئًا مطلقًا من علوم الدين أو الدنيا، والواقع خير شاهد على الفرق بين الأم القارئة المثقفة، وبين غيرها في بناء عقول الأولاد، فهي تعين على المذاكرة، ويشعر الأبناء بالعلاقة القريبة منها،

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٤٩٢٦)، ومسلم (٢١٨٢). وانظر: إحياء علوم الدين (٢/ ٩٣-٩٥).

<sup>(</sup>٢) المستدرك (٤/ ١٩١)، الجامع الصغير (٧٦٢٧).

<sup>(</sup>٣) للتفصيل انظر: بحث حق الجنين، وحق الطفل.

بخلاف الأخرى التي تشعرهم بغربة تزداد مع الوقت، وقد تصل إلى الاحتقار لعدم قدرتها على المشاركة معهم ولو بالقراءة. والمتأمل في حياة السيدة عائشة يرى عجبًا في علمها واستدراكها على الصحابة وقوة حفظها واستنباطها، فعن عائشة بنت طلحة قالت: قلت لعائشة – وأنا في حجرها – وكان الناس يأتونها من كل مصر، فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها، وكان الشباب يتأخوني فيهدون إلي، ويكتبون إلي من الأمصار، فأقول لعائشة: يا خالة، هذا كتاب فلان وهديته، فتقول لي عائشة: أي بنية، فأجيبيه وأثيبيه، فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك، فقالت: فتعطيني. (١٥)(٢)

٧. حق الزواج: جعل الله للإنسان من الخلق والتصوير ما يصلح به لما خلق له، ثم هداه لما خلق له، ثم هداه لما خلق له، وهداه في معيشته وطعامه وشرابه وضحكه وتقلبه وتصرفه، فكان بها قدره الله تعالى لهذا الإنسان ودبره له، قضاء الشهوة بالطريقة المثلى الصحيحة، التي تحافظ على استمرار الحياة دون خلل يدمر الأخلاق والعائلة.

وتأمل بدء الخلق، وكيف جعل الله تبارك وتعالى لأبينا آدم زوجه حواء تؤنسه، فقال ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَكَأُ النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسِ وَعِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَيْسَآءٌ وَاتَقُواْ اللّهَ الّذِى تَسَاءً لُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)، والنفس الواحدة: هي آدم النيخ، والزوج: حواء، ففي هذا الخلق العجيب عبرة، فإن أصله واحد، ويخرج هو مختلف الشكل والخصائص، وفيه المنة على الرجال بخلق النساء، وعلى النساء بخلق الرجال. (٣) وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَنتِهِ النَّ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمُ أَزُوبَ اللّهَ اللّهَ اللّه على الرجال. (١) والله على: ﴿ وَمِنْ ءَايَنتِهِ اللّهَ عَلَى الْرَجَالُ بِعَلْقُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللللللللللللللللللللللللل

٣- الحق في اختيار الزوج دون إكراه: عن أَبَي هُرَيْرَةَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ قَالَ: "لَا تُنْكَحُ

<sup>(</sup>١) الأدب المفرد (١١١٨)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٥١). راجع: شبهة تعليم المرأة في هذه الموسوعة.

<sup>(</sup>٢) انظر: حق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة.

<sup>(</sup>٣) التحرير والتنوير (٤/ ٢١٦).

الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ إِذْهُمَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ "(١).

قال ابن القيم: فهذا خبر في معنى الأمر على إحدى الطريقتين، أو خبر محض، ويكون خبرًا من حكم الشرع، لا خبرًا عن الواقع، وهي طريقة المحققين. فقوله (حتى تستأمر)، أصل الاستثار طلب الأمر، فالمعنى لا يعقد عليها حتى يطلب الأمر منها، ويؤخذ من قوله تستأمر أنه لا يعقد إلا بعد أن تأمر بذلك، وليس فيه دلالة على عدم اشتراط الولي في حقها، بل فيه إشعار باشتراطه. وقوله (ولا تنكح البكر حتى تستأذن) هنا للتفرقة بين الثيب والبكر، فعبر للثيب بالاستثار وللبكر بالاستئذان، فيؤخذ منه فرق بينها من جهة أن الاستثار يدل على تأكيد المشاورة وجعل الأمر إلى المستأمرة، ولهذا يحتاج الولي إلى صريح إذنها في العقد، فإذا صرحت بمنعه امتنع اتفاقا والبكر بخلاف ذلك، والإذن دائر بين القول والسكوت بخلاف الأمر فإنه صريح في القول وإنها جعل السكوت إذنا في حق البكر لأنها قد تستحي أن تفصح (٢).

ومما يؤكد أن للمرأة الحق في اختيار زوجها، ما رواه البخاري: عن خنساء بنت خذام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت النبي ﷺ فرد نكاحها (").

ك العدل: العدل بين الأبناء ذكورًا وإناثًا من إقامة شرع الله على أرضه، وإقامة سنة نبيه على وخاصة العدل للنساء؛ لأن حقهن عادة مهضوم، ويظلمن غالبًا من قبل الآباء وخاصة في الميراث أن وقد قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُو اللّهُ فِي آولَندِكُم اللّهُ لِي اللّهَ كِي مِثْلُ حَظِ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الله

<sup>(</sup>١) البخاري (١٣٦٥).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري (٩ / ٩٩).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٦٩٤٥).

<sup>(</sup>٤) انظر: بحث ميراث المرأة

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ آلُ النساء ١٧٦) فما هضم الله ﷺ عَلِيمٌ ﴿ آلُهُ فَي كتابه، وقال ﷺ: "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم" (١٠٠.

# ٣-حق المرأة كزوجة، ويتضمن أمورًا

١- إعطائها المهر: قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَائِمَ نَعِلَةً ﴾ (النساء: ٤).

الصدقات جمع، الواحدة صدقة. قال الأخفش: وبنو تميم يقولون صدقة والجمع صدقات، وإن شئت فتحت وإن شئت أسكنت. قال المازني: يقال صداق المرأة بالكسر ولا يقال بالفتح. وحكي يعقوب وأحمد بن يحيى بالفتح عن النحاس. والخطاب في هذه الآية للأزواج؛ أمرهم الله تعالى بأن يتبرعوا بإعطاء المهور نحلة منهم لأزواجهم. فهذه الآية تدل على وجوب الصداق للمرأة، وهو مجمع عليه لا خلاف فيه.

وأجمع العلماء أيضا: أنه لا حد لكثيره، واختلفوا في قليله؛ فلذلك أبقى النبي على وجوب المهر كما كان ولم يضبطه بحد إذ العادات في إظهار الاهتمام مختلفة والرغبات لها مراتب شتى (٢). وروي أنس بن مالك شأن عبد الرحمن بن عوف شقال لرسول الله على اتزوجت امرأة "فقال: ما أصدقتها؟ "قال: "وزن نواة من ذهب " فقال: بارك الله لك؛ أولم ولو بشاة "(٣). وقال على: "خير النكاح أيسره "، وفي رواية " خير الصداق أيسره "(١)، فكانوا لا ينكحون إلا بصداق، لأمور بعثتهم على ذلك وكان فيه مصالح منها: أن النكاح لا تتم فائدته إلا بأن يوطن كل واحد نفسه على المعاونة الدائمة، ويتحقق ذلك من جانب المرأة بزوال أمرها من يدها، ولا جائز أن يشرع زوال أمره أيضًا من يده، وإلا أنسد باب الطلاق، وكان أسيرًا في يدها كما أنها عانية بيده، وكان الأصل أن يكونوا قوامين على النساء، ولا جائز أن يجعل أمرهما إلى القضاة؛ فإن مراجعة القضية إليهم فيها حرج، وهم

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٥٨٧).

<sup>(</sup>٢) تفسير القرطبي (٥/ ٢٧)، حجة الله البالغة (٢/ ٢٣٣).

<sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري (١٤٨٥)، ومسلم (١٣٦٥).

<sup>(</sup>٤) أبو داود (٢١١٧)، وابن حبان (١٢٥٧)، والحاكم (٢/ ١٨٢)، صحيح الجامع (٣٣٠٠).

لا يعرفون ما يعرف هو من خاصة أمره؛ فتعين أن يكون بين عينيه خسارة مال، إن أراد فك النظم؛ لئلا يجتريءَ على ذلك إلا عند حاجه لا يجد منها بدًا، فكان هذا نوعا من التوطين، وأيضا فلا يظهر الاهتهام بالنكاح؛ إلا بهال يكون عوض البضع؛ فإن الناس لما تشاحوا بالأموال شحا لم يتشاحوا به في غيرها، كان الاهتهام لا يتم ببذلها، وبالاهتهام تقر أعين الأولياء، حين يتملك هو فلذة أكبادهم، وبه يتحقق التمييز بين النكاح السفاح، وهو قوله تعالى: ﴿أَن تَبْ تَعُولُ إِلَمْ وَلِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَنفِحِينَ ﴾ (النساء: ٢٤)(١).

وتزوج بلال بن رباح بناخت عبد الرحمن بن عوف بن وقد قال الله تعالى: ﴿ وَالطّيبَاتُ لِلطّيبِينَ وَالطّيبِينَ وَالطّيبَاتِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَاللّهِ وَكَالًا وَ فَلا تزوج مسلمة بكافر، فالذي يقتضيه حكمه على الكفاءة أصرًا وراء ذلك والله عنه حرم على ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمرًا وراء ذلك، فإنه حرم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث ولم يعتبر نسبًا ولا صناعة ولا غنى ولا حرية، فجوّز للعبد القرشيين نكاح الحرة النسيبة الغنية؛ إذا كان عفيفا مسلما، وجوز لغير القرشيين نكاح القرشيات، وللفقراء نكاح الموسر الت (٤٠).

**٣-حرية المرأة في اختيار الزوج:** فلا ينكح الأب وغيره، البكر والثيب إلا برضاهما

<sup>(</sup>١) حجة الله البالغة (٢/ ٢٣٤).

<sup>(</sup>٢) الترمذي (١٠٨٥) وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٦٨).

<sup>(</sup>٣) أخرجه الترمذي (١٠٨٥) وقال حسن غريب، وراجع السلسلة الصحيحة (٢٤٤٦).

<sup>(</sup>٤) زاد المعاد (٥/ ١٥٩ - ١٦٠)، وراجع فتاوي ابن تيمية (٣٢/ ٥٧)، وفتح الباري (٩/ ٣٤-٤٠).

لحديث: " لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن". قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت "، وحديث عائشة في أنها قالت: يا رسول الله: إن البكر تستحى، قال: " رضاها صمتها "(۱).

- البكر البالغة: لا نعلم خلافًا في استحباب استئذانها، فإن النبي على قد أمر به، ونهي عن النكاح بدونه، وأقل أحواله ذلك الاستحباب، ولأن فيه تطييب قلبها وخروجًا من الخلاف، وقالت عائشة: سألت رسول الله على عن الجارية ينكحها أهلها، أتستأمر أم لا؟ فقال لها رسول الله: الله عنه تستأمر "، وقال: "استأمروا النساء في أبضاعهن، فإن البكر تستحى فتسكت فهو إذنها "(٢).

- أما الثيب فإذنها الكلام: أما الثيب: فلا نعلم بين أهل العلم خلافًا في أن إذنها الكلام: للخبر، ولأن اللسان هو المعبر عما في القلب، وهو المعتبر في كل موضع يعتبر فيه الإذن غير أشياء يسيرة أقيم فيها الصمت مقامه لعارض ("). وقد ثبت أن خنساء بنت خذام زوجها أبوها، وهي كارهة، وكانت ثيبًا؛ فأتت رسول الله وي تكاحها().

وفي السنن من حديث ابن عباس: أن جارية بكرًا أتت النبي الله فذكرت له أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي الله الله النبي الله في إحداهما بتخبير الثيب وقضى في الأخرى بتخيير البكر.

وموجب هذا الحكم: أنه لا تجبر البكر البالغ على النكاح، ولا تزوج إلا برضاها. وهذا هو قول جهور السلف، وهو القول الذي ندين الله به، ولا نعتقد سواه، وهو الموافق لحكم

<sup>(</sup>۱) البخاري (۱۳۷ه: ۱۳۳۵).

<sup>(</sup>٢) مسند أحمد (٦/ ٤٥، ٣٠٣)، سنن النسائي (٦/ ٣٩٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٩٨). وانظر: المغنى مع الشرح الكبير (٧/ ٣٨٤).

<sup>(</sup>٣) المغني مع الشرح الكبير (٧/ ٣٨٦).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري (١٣٧).

<sup>(</sup>٥) أبو داود (٢٠٩٦)، وابن ماجه (١٨٧٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٩٦).

رسول الله ﷺوأمره ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته. (١)

قال النبي على: "إذا أنفق المسلم نفقة على أهله، وهو يحتسبها كانت له صدقة ""، فالإنفاق على الأهل واجب، والذي يعطيه يؤجر عليه على ذلك بحسب قصده. ولا منافاة بين كونها واجبة، وبين تسميتها صدقه؛ بل هي أفضل من صدقة التطوع. فالنفقة على الأهل واجبة بالإجماع، وإنها سهاها الشارع صدقة؛ خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه، وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر؛ فعرفهم أنها لهم صدقه؛ حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل؛ إلا بعد أن يكفوهم؛ ترغيبًا لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع، وتسمية

<sup>(</sup>١) زاد المعاد ٥/ ٩٥.

<sup>(</sup>٢) تفسير ابن عاشور (٢٨/ ٣٣٢).

<sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري (٥٣٥٢).

النفقة صدقة من جنس تسمية الصداق نِحْلَة، فلما كان احتياج المرأة إلى رجل كاحتياجه إليها في اللذة والتأنيس والتحصين وطلب الولد؛ كان الأصل أن لا يجب لها عليه شيء؛ إلا أن الله خص الرجل بالفضل على المرأة بالقيام عليها، ورفعه عليها بذلك درجة؛ فمن ثم جاز إطلاق النحلة على الصداق، والصدقة على النفقة، وقال عليه: "قال الله: أنفق يا ابن آدم؛ أنفق عليك. "(۱)، وقال عليه: " الساعي على الأرملة والمسكين؛ كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار "(۲). وقال عليه: " أفضل الصدقة ما ترك غني، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول " تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني، ويقول العبد: أطعمني وإستعملني، ويقول الابن: أطعمني إلى من تدعني "(۱).

وقال ﷺ: " اتقوا الله في النساء؛ فإنهن عوانٍ عندكم، أخذتموهن بأمانه الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف "(١)

وقال على: "كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته"(°)، وفي رواية: "كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت "(¹).

وقال ﷺ: " إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته"(٧).

\_ ومن النفقة توفير السكن: قال الله تعالى ﴿أَسْكِنُوهُنَ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُه مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا لَنْهَ الله عَالَى ﴿أَسْكِنُوهُنَ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُه مِن وُجْدِكُمْ وَلَا لَيْهَارَّوُهُنَّ لِنُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ﴾ (الطلاق: ٦).

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٥٣٥٢).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٥٣٥٣).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٥٣٥٥).

<sup>(</sup>٤) أخرجه مسلم (١٢١٨).

<sup>(</sup>٥) مسلم (٢٤٥).

<sup>(</sup>٦) أبوداود (١٦٩٢)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، صحيح الجامع (٤٤٨١).

<sup>(</sup>٧) ابن حبان (١٥٦٢)، وصححه الحافظ في الفتح (١٣/١٣).

وكذلك يخبر أهله بوقت الصلاة، ووجوب الصيام، ووجوب الفطر، إذا وجب؛ مستندًا في ذلك إلى رؤية الهلال. وقد روي مسلم أن النبي على كان إذا أوتر يقول: "قومي فأوتري يا عائشة"(")، وقوله على: " أيقظوا صواحب الحجر "(")، ويدخل هذا في عموم قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلنَّقَوَىٰ ﴾ (المائدة: ٢). فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، ومالا يستغنى عنه من الأدب. وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرَ آهَلَكَ بِٱلصَّلُوةِ وَآصَطَيِرُ عَلَيْهَا ﴾ (طه: ١٣٢) ونحو قوله تعالى للنبي على ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتِكَ ٱلأَقْرَبِينَ ﴾ (").

<sup>(</sup>١) التفسير الكبير (٤٦/ ٣٠).

<sup>(</sup>٢) البخاري (١٨٨٥).

<sup>(</sup>٣) مسلم (٤٤٧).

<sup>(</sup>٤) البخاري (١١٥).

<sup>(</sup>٥) تفسير القرطبي (١٨٧/١٨).

7- الاعتدال في الغيرة: وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها، ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله على أن تتبع عورات النساء. ولما قدم رسول الله على من سفره قال قبل دخول المدينة: " لا تطرقوا النساء ليلا" فخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره"()، وفي الخبر المشهور: "المرأة كالضلع إن قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج"().

وهذا في تهذيب أخلاقها وقال على: "إن من الغيرة غيرة يبغضها الله كالوهمي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة" لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه، فإن بعض الظن إثم. وقال علي الله تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك. وأما الغيرة في محلها؛ فلا بد منها وهي محمودة. وقال رسول الله عليه "إن الله تعالى يغار، والمؤمن يغار، وغيرة الله تعالى؛ أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه "نك.

وقال على الله أغير من غيرة سعد! أنا والله أغير منه، والله أغير مني النه.

ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله؛ ولذلك بعث المنذرين والمبشرين، ولا أحد أحب إليه المدح من الله؛ ولأجل ذلك وعد الجنة، وكان الحسن البصري يقول: أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار، والطريق المغني عن الغيرة: أن لا يدخل عليها الرجال، وهي لا تخرج إلى الأسواق<sup>(1)</sup>.

٧ المعاشرة بالمعروف: قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُ نَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهُ تُمُوهُ نَ فَعَسَى آن

<sup>(</sup>١) أخرجه: أحمد (٢/ ١٠٤)، والبزار (١٤٨٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٨٥)

<sup>(</sup>٢) البخاري (١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨).

<sup>(</sup>٣) أبوداود (٢٦٥٩)، والنسائي (٥/ ٧٨)، وأحمد (٥/ ٤٤٦، ٤٤٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٩٩٩).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٢٢٣٥)، ومسلم (٢٧٦١).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٦٤٥٤)، ومسلم (١٤٩٩).

<sup>(</sup>٦) إحياء علوم الدين (٢/ ٧٥).

تَكُرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا الله (النساء: ١٩)، وعاشروهن بالمعروف على ما أمر الله به من حسن المعاشرة، والخطاب للجميع إذ لكل أحد عِشرة؛ زوجًا كان أووليًا، ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج وهو مثل قوله تعالى (فإمساك بمعروف) وذلك توفية حقها من المهر والنفقه، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقًا في القول، لا فظًا ولا غليظًا ولا مظهرًا ميلًا إلى غيرها.

والعشرة: المخالطة والمهازجة. فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون أدمة ما بينهم، وصحبتهم على الكمال؛ فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش. وهذا واجب على الزوج ولا يلزمه في القضاء، وقال بعضهم: أن يتصنع لها كما تتصنع له. (فإن كرهتموهن) أي: لدمامة أو سوء خلق من غير ارتكاب فاحشة أو نشوز، فهذا يندب فيه إلى الاحتمال؛ فعسى أن يؤل الأمر إلى أن يرزق الله منها أولادًا صالحين. ومن هذا المعنى ماورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه: " لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر"(١)، أي: لا يبغضها بغضا كليا يحمله على فراقها. أي لا ينبغي له ذلك بل يغفر سيئتها لحسنتها، ويتغاضى عما يكره لما يحب(٢)، قال النبي على "لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم"(٣)، فلا يعدل إلى الضرب؛ لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجية؛ إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله (١٤). فحسن الخلق معهن، واحتمال الأذى منهن؛ ترحما عليهن لقصور عقلهن، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُونِ ﴾ وقال في تعظيم حقهن: ﴿ وَأَخَذَكَ مِنكُم مِّيثَنَقًاغَلِيظًا ﴾ وقال: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنَّبِ﴾ قيل: هي المرأة. واعلم أنه ليس حسن

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۶۲۹).

<sup>(</sup>٢) القرطبي (٥/ ١٠٤).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٤٠٤٥).

<sup>(</sup>٤) فتح الباري (٩/ ٢١٥).

الخلق معها كف الأذى عنها؛ بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله على فقد كانت أزواجه تراجعنه في الكلام، وتهجره الواحدة منهن يومًا إلى الليل(١)، وقال على الماير بن عبد الله حين تزوج ثيبا: " فهلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك"(٢).

ومن حسن المعاشرة: التحدث مع الزوجة، فعن عائشة رضي الله عنها: "أن النبي على كان إذا صلى سنة الفجر؛ فإن كنت مستيقظة حدثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة، وقوله تعالى ﴿ قُوا أَنفُكُم وَأَهْلِيكُم نَارًا ﴾ يؤخذ منه: أن لا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص إلى تعاطي المعصية بمباشرتها، أوترك الواجب، وإنها المراد أن يتركها على اعوجاجها في الأمور المباحة (٣).

ومن حسن المعاشرة: عدم ترجيح إحدى الزوجات على الأخرى ظلما وعدوانا: قال الله تعالى ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِسَاءَ وَلَوْ حَرَصْتُم ۗ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَ ٱلْمَيْلِ فَتَدَرُوهَا كَالْمُعَلَقَةً وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِن ٱللّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ١٢٩).

وقال ﷺ: "من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينها؛ جاء يوم القيامة وشقه ساقط"(أ)، وفي رواية: "من كانت له امرأتان فهال إلى أحدهما؛ جاء يوم القيامة وشقه مائل"، وفي رواية: "من كانت له امرأتان يميل إلى أحدهما على الأخرى؛ جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل"(أ).

والمراد بقوله: "فهال" وقوله: " يميل" الميل بظاهره؛ بأن يرجح إحداهما في الأمور الظاهرة التي حرم الشارع الترجيح فيها، لا الميل القلبي، وروى مسلم وغيره: " إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم

<sup>(</sup>١) إحياء علوم الدين (٢/ ٦٨).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٥٣٦٧)، ومسلم (٧١٥).

<sup>(</sup>٣) الفتح (٩/ ١٦٣).

<sup>(</sup>٤) الترمذي (١١٤١)وابن ماجه (١٩٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٥).

<sup>(</sup>٥) ابن ماجه (١٩٦٩)، وابن حبان (٢٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٩٤٩).

وأهليهم وما ولوا". فينبغي أن يعدل بينهن ولا يميل إلى بعضهن؛ فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن، كذلك كان يفعل رسول الله على فإن ظلم المرأة بليلتها قضي لها، فإن القضاء واجب عليه، وإنها عليه العدل في العطاء والمبيت، وأما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار. قال الله تعالى: ﴿ وَلَن نَسَـ تَطِيعُوا أَن تَعَـ لِلُوابِيِّنَ النِسَاءِ وَلَو لَكُو مُصَمَّمٌ ﴾ (النساء: ١٢٩)، أي: أن تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس، ويتبع ذلك التفاوت، وكان رسول الله على يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي().

قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسَتَطِيعُواْ أَن تَعَدِلُواْ بَيْنَ النِسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُم ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَ الْمَتِ الْمُتِ الْمُتِ الْمُتِ الْمُتَالِ ﴾ أخبر تعالى بنفي الاستطاعة في العدل بين النساء، وذلك في ميل الطبع بالمحبة والجماع والحظ من القلب. فوصف الله تعالى حالة البشر، وأنهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض دون بعض، ولهذا كان على يقول: "اللهم إن هذه قسمتي فيها أملك فلا تلمني فيها تملك ولا أملك" ثم نهى فقال (فلا تميلوا كل الميل) أي: لا تتعمدوا الإساءة؛ بل الزموا التسوية في القسمة والنفقة؛ لأن هذا مما يستطاع.

- ومن حسن المعاشرة: أن لا يتبسط في الدعابة وحسن الخلق، والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها، ويسقط بالكلية هيبته عندها؛ بل يراعي الاعتدال فيه، فلا يدع الهيبة والانقباض مها رأى منكرًا، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة؛ بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض، فإن الله ملكه المرأة، فمن ملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال: وَلَا مُن مُهُم ﴿ فَلَي عَيْرُت خَلْق الله هِ (النساء: ١٩٩). (")

٨ عدم ايلائها أكثر من اربعة اشهر: قال الله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ يُوَّلُونَ مِن فِسَآبِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمُ ﴿ اللَّهِ عَنْ مُؤَالطَّلَقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٦-٢٢٧)

<sup>(</sup>١) إحياء علوم الدين (٢/ ٧٥). مسلم (١٨٢٧).

<sup>(</sup>٢) الترمذي (١١٤٠)، والمصنف (١٧٥٤٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (١٩٣).

<sup>(</sup>٣) إحياء علوم الدين (٢/ ٧١).

والإيلاء: هو أن يحلف الرجل أن لا يطأ زوجته إما مدة هي أكثر من أربعة أشهر أو أربعة أشهر('<sup>)</sup>.

وهو لغة: الامتناع باليمين. وخص في عرف الشرع: بالامتناع من وطء الزوجة ولهذا عدى فعله بأداة "من" تضمينا له معنى "يمتنعون" من نسائهم، وهو أحسن من إقامة "من" مقام "على". وجعل سبحانه للأزواج مدة أربعة أشهر يمتنعون فيها من وطء نسائهم بالإيلاء؛ فإذا مضت، فإما أن يفيء، وإما أن يطلق. وقد دلت الآية على أحكام منها: أن من حلف على ترك الوطء أقل من أربعة أشهر لم يكن مؤليا، وهذا قول الجمهور. ومنها: أنه لا يثبت له حكم الإيلاء حتى يحلف على أكثر من أربعة أشهر، وبعد انقضائها إما أن يطلقوا وإما أن يفيئوا وهذا قول الجمهور، والجمهور يجعلون المدة أجلًا لاستحقاق المطالبة، وعند الجمهور لا يستحق المطالبة حتى تمضي الأربعة أشهر فحينئذ يقال: إما أن تفيء وإما أن تطلق، وإن لم يفيء أخذ بإيقاع الطلاق، إما بالحاكم وإما بحبسه حتى يطلق ".

ومن حسن العشرة: عدم هجر فراش الزوجة إلا لأمر شرعي:

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُ بَ فَعِظُوهُ وَاهْجُرُوهُنَ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَ فَإِنَّ أَطَعَنَكُمْ فَلَا نَبَعُواْ عَلَيْمِنَ سَبِيلًا ۖ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً صَبِيلًا ﴿ النساء٣٤)، أي: النساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن. والنشوز: هو الارتفاع، فالمرأة الناشز: هي المرتفعة على زوجها، التاركة لأمره، المعرضة عنه، المبغضة له، والهجران في المضاجع معناه: لا يجامعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره، وهذا الهجر غايته عند العلماء شهر، كما فعل النبي على حين أسر إلى حفصة، فأفشته إلى عائشة، وتظاهرتا عليه، ولا يبلغ به الأربعة الأشهر التي ضرب الله أجلا عذرا للمولى "".

<sup>(</sup>١) بداية المجتهد (٣/ ١٨٧).

<sup>(</sup>۲) زاد المعاد (٥/ ٣١٠)

<sup>(</sup>٣) تفسير القرطبي (٥/ ١٧٨)، وابن كثير (٢/ ٢٥٧).

وفي ضمن الهجر: امتناعه من كلامها: ولا يزيد في هجرة الكلام على ثلاث(١).

" ولا يهجرها إلا بعد عدم تأثير الوعظ؛ فإن أثر الوعظ لم ينتقل إلى الهجر، وإن كفاه الهجر، لم ينتقل إلى الضرب، فكلا من الهجر والضرب مقيد بعلم النشوز ولا يجوز بمجرد الظن<sup>(٣)</sup>.

ولك أن تقول: إن عبارة في المضاجع تدل بمفهومها على منع ما جعله بعضهم معنى لها، فهو يقول: "﴿ وَالْهَجُرُوهُنَ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ ولا يتحقق هذا بهجر المضجع نفسه، وهو الفراش، ولا يهجر الحجرة التي يكون فيها الاضطجاع؛ وإنها يتحقق بهجر في الفراش نفسه، وتعمد هجر الفراش أو الحجرة زيادة في العقوبة، لم يأذن بها الله تعالى، وربها يكون سببًا لزيادة الجفوة، ومن الهجر في المضجع نفسه معنى لا يتحقق بهجر المضجع أو البيت الذي هو فيه؛ لأن الاجتماع في المضجع يهيج شعور الزوجية، فتسكن نفس كل من الزوجين إلى الآخر، ويزول اضطرابهما الذي أثارته الحوادث قبل ذلك، فإذا هجر الرجل المرأة وأعرض عنها في هذه الحالة، رجي أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسي إلى المرأة وأعرض عنها في هذه الحالة، رجي أن يدعوها ذلك الشعور والسكون النفسي إلى سؤاله عن السبب، ويهبط بها من نشز المخالفة إلى الموافقة (٣).

أجمع العلماء على أن المطلق للسنة في المدخول بها: هو الذي يطلق امرأته في طهر لم يمسها

<sup>(</sup>١) نظم الدرر (٢/ ٢٥٢).

<sup>(</sup>٢) فتح البيان في مقاصد القران (٣/ ١٠٧).

<sup>(</sup>٣) تفسير المنار (٥/ ٧٣).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١).

فيه طلقه واحدة، وأن المطلق في الحيض أو الطهر الذي مسها فيه غير مطلق للسنة"(١).

عن عبد الله في قوله: ﴿ فَطَلِقُوهُنَ لِعِدَّتِمِنَ ﴾ قال: الطهر من غير جماع. وعن ابن عباس قال: لا يطلقها وهي حائض، ولا في طهر قد جامعها فيه، ولكن تتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة، ولا يطلقها وقد طاف عليها، ولا يدري حبلي هي أم لا؟ ومن ها هنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق، وقسموه إلى طلاق سنه وطلاق بدعة، فطلاق السنة: أن يطلقها طاهرًا من غير جماع، أو حاملًا قد استبان حملها، والبدعي: هو أن يطلقها في حال الحيض، أوفي طهر قد جامعها فيه ولا يدري أحملت أم لا؟ (٢)

وكذلك فالنفساء حكمها حكم الحائض، قال الثوري: النفساء مثل الحائض لا تعتد بنفاسها في عدتها(٢).

1. عدم إخراجها من البيت ولو بعد الطلاق إلا لأمر شرعي: قال الله تعالى: ﴿وَاتَقُواْ الله وَاحَدُرُوا الله وَاحَدُرُوا الله وَاحَدُرُوا الله وَاحَدُرُوا معصيته أَن تتعدوا حده، فلا تخرجوا من طلقتم من نسائكم لعدتهن من بيوتهن التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق؛ حتى تنقضي عدتهن ''.

لما أمر بالتقوى، وناط بعضها بصفة الإحسان، فسره بقوله: (لا تخرجوهن) أي: أيها الرجال في حال العدة (من بيوتهن) أي: المساكن التي وقع فيها سكنهن، وكأنه عبر بذلك إشارة إلى أن استحقاقها لإيفاء العدة به في العظمة كاستحقاق المالك، ولأنها كانت في حال العصمة كأنها مالكة له؛ فليس من المروءة إظهار الجفاء بمنعها منه، ولأنها إن روجعت كانت حاصلة في الحوزة ولم يفحش الزوج في المقاطعة، وإن لم يحصل ذلك فظهر

<sup>(</sup>١) بداية المجتهد (٣/ ١٢٥).

<sup>(</sup>٢) تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٨).

<sup>(</sup>٣) عبد الرزاق (٦/ ٣١٢).

<sup>(</sup>٤) الطبرى (١٤/ ١٣٢).

أنها حامل لم تحصل شبهة في الحمل (۱) وأضيفت إليهن البيوت لاختصاصها بهن من حيث السكنى، ومعنى الجمع بين إخراجهم أو خروجهن قلت: معنى الإخراج: أن لا يخرجهن البعولة غضبًا عليهن وكراهة لمساكنتهن، أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في المخروج إذا طلبن ذلك إيذانًا بأن إذنهم لا أثر له في رفع الحظر (۱). فإذا أذن لها أن تعتد في غير بيته، فتعتد في بيت أهلها، فقد شاركها إذا في الإثم، ثم تلا: ﴿لَا تُحْرِجُوهُنَ مِنَ عَيْرِ بِيتَه، فَتَعَتَد في بيت أهلها، فقد شاركها إذا في الإثم، ثم تلا: ﴿لَا تُحْرِجُوهُنَ مِنَ اللهُ مِنْ وَلَا يَخْرُجُوهُنَ مِنَ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود الله عبد الله عبد الله بن مسعود عليظة في بيتها، قال: لا تدعها قال: إنها أبت إلا أن تخرج قال تقيدها قال إن لها إخوة غليظة رقابهم قال استعد عليهم السلطان (٤).

11. عدم العضل: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَقَتُمُ ٱللِّسَآةَ فَلَغَنَ أَجَلَهُنَ فَلَا تَعْضُلُوهُنَ أَن الله عَالَى: ﴿ وَإِذَا طَلَقَتُمُ ٱللِّهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ اللَّاخِرِ اللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرُ اللَّخِرَ أَذَكَى لَكُرُ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿ آلَكُ ﴿ اللَّهِ وَاللَّهُ مِنْ كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ اللَّهِ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَأَنتُمْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿ آلَكُ لَكُرُ وَأَطْهَرُ وَأَطْهَرُ وَأَلْقَهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿ آلَكُ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ كُمْ وَأَلْهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا نَعْلَمُونَ ﴿ آلَكُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

(عضل) العضلة والعضلية: كل عصبة معها لحم غليظ. وعضل المرأة عن الزوج: حبسها(°).

إن الله على أنزلها دلالة على تحريمه على أولياء النساء مضارة من كانوا له أولياء من النساء، بعضلهن عمن أردن نكاحه من أزواج كانوا لهن، فبن منهن بها تبين به المرأة من زوجها، من طلاق أو فسخ نكاح، ويعني بقوله: ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ لا تضيقوا عليهن بمنعكم إياهن أيها الأولياء من مراجعة أزواجهن بنكاح جديد؛ تبتغون بذلك مضارتهن.

<sup>(</sup>١) نظم الدرر (٨/ ٢٥).

<sup>(</sup>٢) تفسير الرازي (١٥/ ٣٧٤).

<sup>(</sup>٣) الطبري (١٤/ ١٣٣).

<sup>(</sup>٤) السنن لسعيد بن منصور (١/ ٣٢٣).

<sup>(</sup>٥) لسان العرب (٤/ ٢٩٨٩).

﴿ ذَالِكَ يُوعَظُ بِهِ - مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك، ما ذكر في هذه الآية: من نهى أولياء المرأة عن عضلها عن النكاح، يقول: فهذا الذي نهيتكم عنه من عضلهن عن النكاح، عظة منى لمن كان منكم أيها الناس يؤمن بالله واليوم الآخر، يقول: ومن يؤمن باليوم الآخر، فيصدق بالبعث للجزاء والثواب والعقاب، ليتق الله في نفسه، فلا يظلمها بضرار وليته ومنعها من نكاح من رضيته لنفسها، ممن أذنت لها في نكاحه، (ذلكم) أي: نكاح أزواجهن لهن، ومراجعة أزواجهن إياهن، بها أباح لهن من نكاح ومهر جديد؛ أزكى لكم أيها الأولياء والأزواج والزوجات. ويعني بقوله: (أزكى) أفضل وخير عند الله من فراقهن أزواجهن، وأما قوله: (وأطهر) فإنه يعنى بذلك: أطهر لقلوبكم وقلوبهن وقلوب أزواجهن من الريبة. وذلك أنها إذا كان في نفس كل واحد منها -أعنى الزوج والمرأة- علاقة حب، لم يؤمن أن يتجاوزا ذلك إلى غير ما أحله الله لهما، ولم يؤمن من أوليائهما أن يسبق إلى قلوبهم منهما ما لعلهما أن يكونا منه بريئين. فأمر الله تعالى ذكره الأولياء إذا أراد الأزواج التراجع بعد البينونة، بنكاح مستأنف، في الحال التي أذن الله لهما بالتراجع أن لا يعضل وليته عما أرادت من ذلك، وأن يزوجها؛ لأن ذلك أفضل لجميعهم، وأطهر لقلوبهم مما يخاف سبقه إليها من المعاني المكروهة. ثم أخبر تعالى ذكره عباده أنه يعلم من سر ائرهم وخفيات أمورهم ما لا يعلمه بعضهم من بعض، ودلهم بقوله لهم ذلك في هذا الموضع، أنه إنها أمر أولياء النساء بإنكاح من كانوا أولياءه من النساء، إذا تراضت المرأة والزوج الخاطب بينهم بالمعروف، ونهاهم عن عضلهن عن ذلك؛ لما علم مما قلب الخاطب والمخطوبة من غلبة الهوى والميل من كل واحد منهما إلى صاحبه بالمودة والمحبة، فقال لهم تعالى ذكره: افعلوا ما أمرتكم به، إن كنتم تؤمنون بي، وبثوابي وبعقابي من معادكم في الآخرة، فإني أعلم من قلب الخاطب والمخطوبة مالاً تعلمون من الهوى والمحبة. وفعلكم ذلك أفضل لكم عند الله ولهم، وأزكى وأطهر

لقلوبكم وقلوبهن في العاجل(١).

17. الغلع: والخلع لغة: الانتزاع على مهلة، ومنه خلع الثوب: نزعه. وسوى بعضهم بين الخلع والنزع، يقال: خلع امرأته وخالعها، إذا افتدت منه بهالها فطلقها وأبانها من نفسه، وسمي ذلك الفراق خلعا؛ لأن الله تعالى جعل النساء لباسًا للرجال والرجال لباسًا لمن فقال: " هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ " وهي ضجيعه وضجيعته، فإذا افتدت المرأة بهال تعطيه لزوجها ليبينها منه فأجابها إلى ذلك؛ فقد بانت منه، وخلع كل واحد منها لباس صاحبه، والاسم من كل ذلك: الخلع (٢).

إذا فالخلع في الشرع: هو بذل المرأة العوض على طلاقها، إلا أن اسم الخلع يختص ببذلها له جميع ما أعطاها، والصلح ببعضه، والفدية بأكثره، والمبارأة بإسقاطها عنه حقًا لها عليه (").

والأصل في اباحة الخلع: قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِلُ لَكُمْ أَنَ تَأْخُذُواْ مِمَّا ٓ عَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْتًا إِلَّآ أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَا لِلَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاجُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا أَفْنَدَتْ بِدِ ـ ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

فقوله تعالى: (ولا يحل لكم) أي: أيها المطلقون ﴿أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْعًا ﴾ من المهر وغيره، ﴿ إِلَا أَن يَعَافَآ أَلًا يُقِيمًا حُدُودَ اللّهِ ﴾ أي: فيها يلزمها من حقوق الزوجية "فإن خفتم ألا يقيها حدود الله فلا جناح عليهها فيها افتدت به " أي: نفسها عن ضرره، أي: لا إثم على الزوج في ما أخذ ما افتدت به ولا عليها في إعطائه وهذه الآية أصل في الخلع (٤٠).

والدليل من السنة على جواز الخلع: أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي على فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين؛ ولكني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله على: " أتردين عليه حديقته"؟ قالت: نعم، قال رسول الله على: اقبل

<sup>(</sup>١) تفسير الطبرى (٢/ ٤٨٧ - ٤٨٩).

<sup>(</sup>٢) لسان العرب (٨/ ٧٦).

<sup>(</sup>٣) بداية المجتهد (٣/ ١٢٩).

<sup>(</sup>٤) محاسن التأويل (٣/ ٢٤٨).

الحديقة، وطلقها تطليقة "(١).

فالإسلام أباح للمرأة عند وقوع الضرر الغير محتمل أن تطلب الفراق، فلا تجبر على زواج لا تستقيم به حياتها، ولا يحفظ لها دينها، وهذا من أسمى درجات العدل في الإسلام.

17. ومن حق الزوجة حضانة ولدها: والحضانة هي: حفظ صغير ومعتوه — وهو المختل العقل – ومجنون عما يضرهم، وتربيتهم بعمل مصالحهم من غسل بدنهم وثيابهم ودهنهم ونحو ذلك، وأم المحضون أولى بحضانته من جميع أقاربه؛ لما روى عبد الله بن عمر وبن العاص: "أن امرأة قالت: يا رسول الله: إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينزعه مني. فقال رسول الله على: " أنت أحق به مالم تنكحي "(٢)، ولأنها أشفق عليه وأقرب، ولا يشاركها في القرب إلا الأب، وليس له مثل شفقتها، ولا يتولى الحضانة بنفسه وإنها يدفعه إليها، فتقدم على غيرها، ولو بالأجرة مثلها كرضاع (٣).

31. الإرث: قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُ كَ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن الله تعالى: ﴿ وَلَهُ كُمْ مَمَّا تَرَكْتُمْ ﴾ (النساء: ١٢). ، يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَلَهُ كَ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ ﴾ أي: ولأزواجكم أيها الناس، ربع ما تركتم بعد وفاتكم، من مال وميراث، إن حدث بأحدكم حدث الوفاة، ولا ولد له ذكر ولا أنثى ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ ﴾ يقول: فإن حدث بأحدكم حدث الموت وله ولد ذكر أو أنثى، واحدًا كان الولد أو جماعه ﴿ فَلَهُنَّ الشُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمُ ﴾ يقول: فلأزواجكم حينئذ من أموالكم وتركتكم التي تخلفونها بعد وفاتكم، الثمن من بعد قضاء ديونكم التي حدث بكم

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٧٣٥).

<sup>(</sup>٢) أبوداود (٢٧٦)، والحاكم (٢/ ٢٠٧)، وصححه.

<sup>(</sup>٣) معونة أولي النهي (٨/ ١٠٧ –١٠٨).

حدث الوفاة وهي عليكم، ومن بعد إنفاذ وصاياكم الجائزة التي توصون بها(١).

فهذه فريضة الميراث الذي سببه العصمة، وقد أعطاها الله حقها المهجور عند الجاهلية، إذ كانوا لا يورثون الزوجين، فكانت المرأة لا ترث زوجها؛ بل كانت تعد موروثة عنه يتصرف فيها ورثته. قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّينَ ءَامَنُواْ لا يَحِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّينَ عَنوه الله في هذه الآيات بصلة العصمة، وهي التي وصفها بالميثاق الغليظ في قوله: " وأخذن منكم ميثاقا غليظا"(٢).

10. حفظ الزوجة وصيانتها: من حقوق المرأة حفظها من كل ما يسئ إليها بالقول أو الفعل ويخدش حياءها وكرامتها، فمن ذلك ألا يسبها أو يلعنها أو يؤذيها بسيء الأقوال، وكذلك ألا يهجرها إلا بالحق، وألا يضربها إلا برفق، ضربًا غير مبرح، ولو اتبع الزوج نصيحة القرآن الكريم في إصلاح الأسرة؛ لاستغنى عن كثير من الأمور التي عاقبتها الطلاق، أو الحياة المضطربة المتوترة التي تخلو من المودة والرحمة والسكن، ولذلك كان من حقها أن يجنبها أسباب الفتن ومواضع الشبهات، فيقول على: "ذبوا بأموالكم عن أعراضكم، قالوا: يا رسول الله كيف نذب بأموالنا عن أعراضنا؟ قال: يعط الشاعر ومن تخافون لسانه"("). فمن حق الزوجة على زوجها؛ أن يحمي عرضها ويجنبها مجالس السوء، ويعالج الأحقاد والدسائس بحكمة، ويحذر إشاعة أسرارها وأحوالها الخاصة، ويحمي عرضه بهاله ونفسه (فمن مات دون عرضه فهو شهيد) وهذا يحتاط منه نساء العلماء والدعاة بخاصة، حيث يتربص أهل الأحقاد والفجور، فيعملون على تشويه صورة أهل العلم، ومن تدبر قصة الإفك لاستخرج منها عبرًا وعظات دالة على تربص المنافقين وأهل

<sup>(</sup>١) تفسير الطبرى (٣/ ٢٨٣).

<sup>(</sup>٢) التحرير والتنوير (٤/ ٢٦٣).

<sup>(</sup>٣) صححه الألباني في الصحيحة (١٤٦١)، وهو في كنز العمال (٨٧٥).

الريب بالمؤمنين (١٠). وكذلك حديث زيارة السيدة صفية أم المؤمنين للنبي على معتكف فخرج معها إلى بَابِ أُمِّ سَلَمَة، مَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَار، فَسَلَّمًا عَلَى رَسُولِ الله عَلَى اللهِ فَقَالَ لَمَهُ النَّبِي عَلَى وَسُلِكُمَا إِنَّهَا هِي صَفِيَّةُ بِنْتُ حُمِيًّ، فَقَالًا: سُبْحَانَ الله يَا رَسُولَ الله وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِي عَلَى وَسُلِكُمَا إِنَّا الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنْ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِي عَلَى وَعن ابن عمر أن النبي على قال: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: قُلُوبِكُمَا شَيْنًا" (٢٠). وعن ابن عمر أن النبي على قال: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء "(٣)، والديوث هو الذي يرى المنكر بأهله فلا يغيره، فمن رأى في أهله عوجًا أو سوء خلق، فلا يسكت؛ بل يسارع بالإصلاح، وإلا كان من أهل السوء، ويستوجب غضب الله تعالى، ولهذا كانت الغيرة المحمودة، التي تحافظ على العرض، وتصون حمى المرأة من كل سوء، بل هذا من أوجب الأمور على الرجل، فمن حقها أن يسكنها بين صالحين مشهور عنهم الأدب، لا الفجور وفعل المنكرات، ولا يجبرها على صحبة أهل السوء، ولا يرضى لها ذلك.

١٧. حق المرأة في التصرف في مالها: يقول تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبُ مِّمَا أَكْسَبُوأً وَلِيسِّالَةِ فَي التَصرف في مالها: يقول تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبُ مِّمَا أَكْسَابُوا وَلِلنِّسَاءِ عَلَى الْسَاء ٣٢)، للرجل نصيبه من الثواب والعقاب، وللنساء كذلك، فللمرأة الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها كما للرجل،

<sup>(</sup>١) القرطبي (٤/ ٤٥٧٨).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢٠٣٥).

<sup>(</sup>٣) النسائي (٢٥١٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٩٩).

والاكتساب يعني الإصابة للذكر مثل حظ الأنثيين(١).

ويدخل في ذلك أن الرجال يختصون بها كسبوا، والنساء يتخصصن بها اكتسبن من الأموال، ومن هنا كان للمرأة الحق في التصرف في مالها في حدود مرضاة الله تعالى، فلها التصرف في البيع والشراء والهبة والوصية والإيجار وغير ذلك، وليس للزوج حق التدخل في تصرفات المرأة في مالها إلا في حالة الضرر والتعسف في استخدام الحق، ولا يجوز أخذ الزوج أو غيره شيئًا من مهرها قل أو كثر (").

 ١٨-حق المرأة في التعبير عن حقها بالمعروف: يقول تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيَّ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمّاً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١). فعن خولة بنت تعلبة قالت: وَالله فِيَّ وَفِي أَوْس بْن صَامِتٍ أَنْزَلَ الله عَلَىْصَدْرَ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ. قَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ سَاءَ خُلُقُهُ وَضَجِرَ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا فَرَاجَعْتُهُ بشَيْءٍ فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ فَجَلَسَ فِي نَادِي قَوْمِهِ سَاعَةً ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ، فَإِذَا هُو يُرِيدُنِي عَلَى نَفْسِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسُ خُوَيْلَةَ بِيَدِهِ، لَا تَخْلُصُ إِلَيَّ وَقَدْ قُلْتَ مَا قُلْتَ حَتَّى يَحْكُمَ الله وَرَسُولُهُ فِينَا بِحُكْمِهِ. قَالَتْ: فَوَاثَبَنِي وَامْتَنَعْتُ مِنْهُ، فَغَلَبْتُهُ بِهَا تَغْلِبُ بِهِ الْمُرْأَةُ الشَّيْخَ الضَّعِيفَ، فَأَلْقَيْتُهُ عَنِّي، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى بَعْض جَارَاتِي فَاسْتَعَرْتُ مِنْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْه، فَذَكَرْتُ لَهُ مَا لَقِيتُ مِنْهُ، فَجَعَلْتُ أَشْكُو إِلَيْهِ ﷺ مَا أَلْقَى مِنْ سوءِ خُلُقِهِ، قَالَتْ: فَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُول: يَا خُوَيْلَةُ، ابْنُ عَمِّكِ شَيْخٌ كَبِيرٌ فَاتَّقِي الله فِيهِ، قَالَتْ: فَوَ الله مَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ فِيَّ الْقُرْآنُ، فَتَغَشَّى رَسُولُ الله ﷺ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ لِي: يَا خُوَيْلَةُ، قَدْ أَنْزَلَ الله فِيكِ وَفِي صَاحِبِكِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَ ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُحَدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِنَ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرُكُماً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَلِلْكَنِفِرِينَ عَذَابُ أَلِيمُ ﴾ فَقَالَ

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٢/ ١٧٣٤).

<sup>(</sup>٢) المحلي (٩/ ٥٠٧).

لِي رَسُولُ الله ﷺ: مُرِيهِ فَلْيُعْتِقْ رَقَبَةً، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَالله يَا رَسُولَ الله مَا عِنْدَهُ مَا يُعْتِقُ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالله يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ مِنْ قَالَ: فَلْيَصِمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا ذَاكَ صِيَامٍ، قَالَ: فَلْيُطْعِمْ سِتِينَ مِسْكِينًا وَسُقًا مِنْ تَمْر، قَالَتْ: قُلْتُ: وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا ذَاكَ عِنْدَهُ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولَ الله، عَلَيْ الله عَلْقُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْر، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ الله سَأْعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْر، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ الله سَأَعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْر، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ الله سَأُعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْر، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ الله سَأَعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْر، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ الله سَأَعِينُهُ بِعَرَقٍ مِنْ تَمْر، قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَأَنَا يَا رَسُولَ الله عَلَيْ وَأَصْبَتِ وَأَحْسَنْتِ، فَاذْهُمِي فَتَصَدَّقِي عَنْهُ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِّ فَى اللهُ عَلَى اللهُ عَرَقِ آخَرَ، قَالَ: قَلْ الله عَدْ: الْعَرَقُ الصَّنُ الله عَلْدُ الْعَرَقُ الصَّنُ الله عَنْهُ اللهُ سَلَعُ عَنُهُ مَا الله عَلْهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ ال

فها هي خولة تجادل وترفع شكواها إلى رسول الله على فسمعها رب العالمين وأنصفها من زوجها الذي تعجل في أمره، فالإسلام يسمح للمرأة أن ترفع شكواها لوليها أو القاضي أو الحاكم، ولها أن تتحدث بها يليق، ولا يحق لأحد هضم حقها، ورسول الله على يصبر على أحوال بعض نسائه، ويستمع إليهن بها يثير أحيانًا أبا بكر، وتارة يثار عمر كذلك على ابنته حفصة كها جاء في صدر سورة التحريم.

19 حق الزوجة الكتابية: قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِبَاتُ ۗ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَابَ حِلُّ لَكُمُ الطَّيِبَاتُ ۗ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا الْكِنَابَ ﴾ الْكِنَابَ حِلُّ لَكُمُ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَهُمُ ۗ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِنَابَ ﴾ (المائدة: ٥).

قال ابن قدامة: ليس بين أهل العلم بحمد الله اختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب، بإجماع الصحابة، وهذا في الكتابيات دون الوثنيات أو المحاربات، وحيث كون الكتابيات، وبخاصة اللاتي يعشن في بلاد المسلمين، يوجد في دينها التقاء مع الإسلام في أمر التوحيد؛ حيث أن أصل الدين واحد، أما التحريف فطارئ عليه بأيديهم وتأويلهم، وهذا بخلاف الوثنيات.

وقال العلماء: وإذا تزوج المسلم الكتابية، فيكون عليها كل الحقوق التي على المسلمة، وكذلك لها حقوق المسلمة؛ إلا في التوارث؛ لأن شرط التوارث اتحاد الدين، مع الأخذ في

<sup>(</sup>١) مسند أحمد (٢٦٧٧٤)، أبو داو د (٢٢١٤). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٠٨٧).

الاعتبار، أن يكون جميع الأولاد مسلمين بلا فرق بين الذكر والأنثى، وله أن يدعوها إلى الإسلام، ويحببها في أحكامه، بها تراه من محافظة منه على دينه، وعدم تعاطيه المحرمات، مع المحافظة على الطاعات واستعمال العدل والإنصاف معها.

#### رابعًا: حق المرأة كمعتدة:

قال أبو جعفر الطبري: يعني تعالى ذكره بذلك: ولا جناح عليكم، أيها الرجال، فيها عرضتم به من خطبة النساء، للنساء المعتدات من وفاة أزواجهن في عددهن، ولم تصرحوا بعقد نكاح (۱). وكذلك يحرم الزواج، لقوله تعالى: (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) ولا يجوز الخروج من البيت، لقوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِّجُوهُنَ مِنْ بُيُوتِهِنَ وَلَا يَخْرُجُنُ إِلّا أَن يَأْتِينَ بِفَنْحِسَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ (الطلاق: ١).

٧- حقها في السكنى في بيت الزوجية، والنفقة: هذا حق للمرأة واجب على الزوج، أما سكنى المعتدة - أي معتدة - في بيت الزوجية فواجبة، لقوله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَ لِعِدَّتِهِ وَأَحْصُواْ الْعِدَّةُ وَاتَّقُواْ اللَّهَ رَبَّكُمُ لَا تُخْرِجُوهُنَ مِنْ بُعُوتِهِنَ وَلَا يَخْرُجُنَ إِلَا أَن يَأْتِينَ بِفَنْحِشَةٍ مُبَيِّنَةً وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّحُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَحْدُرِى لَعَلَ اللَّهَ يُعْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿ إِلَى الطلاق: ١).

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (٥/ ٩٥).

قال الطبري: يقول: وخافوا الله أيها الناس ربكم فاحذروا معصيته أن تتعدّوا حده، لا تخرجوا من طلقتم من نسائكم لعدتهن من بيوتهن التي كنتم أسكنتموهن فيها قبل الطلاق حتى تنقضي عدتهن (١٠).

وعن القاسم بن محمد وسليهان بن يسار أن يَخْيَى بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، طَلَّقَ بِنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ اللَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ وَانْتَقَلَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَمِ وَهُو أَمِيرُ اللَّهِينَةِ: اتَّقِ الله وَارْدُدْهَا إِلَى بَيْتِهَا. قَالَ مَرْوَانُ - فِي حَدِيثِ سلَيُهانَ -: إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَم عَلَبَنِي (").

وعن عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُبْدِ الله بْنِ عُبْدَة : أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصِ بْنِ المُغِيرَةِ حَرَجَ مَعَ عَلِيًّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْيَمَنِ، فَأَرْسَلَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَاطِمَة بِنْتِ قَيْسٍ بِتَطْلِيقَةٍ كَانَتْ بَقِيَتْ مِنْ طَلَاقِهَا، وَأَمَرَ لَمَا الْحَارِثَ ابْنَ هِشَامٍ وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَة بِنَفَقَةٍ، فَقَالَا لَمَا: وَالله مَا لَكِ نَفَقَةٌ إِلَا أَنْ تَكُونِي حَامِلًا، فَأَتَتْ النَبِيَّ عَلَيْهُ فَذَكَرَتْ لَهُ قَوْهُمَا فَقَالَ: لَا نَفَقَة لَكِ، فَاسْتَأْذُنَتُهُ فِي الْاِنْتِقَالِ، فَأَذِنَ لَهَ، ا فَقَالَتْ: أَيْنَ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: إِلَى ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، -وكَانَ أَعْمَى تَضَعُ الاِنْتِيَّ عَلَيْهُ أَسَامَة بْنَ زَيْدٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَيُلِي عَلَيْهَا عَنْ الْحَدِيثِ فَحَدَّثَتُهُ بِهِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: لَمْ نَسْمَعْ هَذَا الْحَدِيثَ مَرْوَانُ قَبِيصَة بْنَ ذُويْتٍ يَسْأَلُهَا عَنْ الْحَدِيثِ فَحَدَّثَتُهُ بِهِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: لَمْ نَسْمَعْ هَذَا الْحَدِيثَ مَرْوَانُ قَبِيصَة بْنَ ذُويْتٍ يَسْأَلُهَا عَنْ الْحَدِيثِ فَحَدَّثَتُهُ بِهِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: لَمْ نَسْمَعْ هَذَا الْحَدِيثَ مَرْوَانُ قَبِيصَة بْنَ ذُويْتٍ يَسْأَلُهَا عَنْ الْحَدِيثِ فَحَدَّثَتُهُ بِهِ، فَقَالَ مَرْوَانُ: لَمْ نَسْمَعْ هَذَا الْحَدِيثَ مَرْوانُ قَبِيصَة بْنَ ذُويْتِ مِنَ بَلَغَهَا قُولُ وَنَ لَا مَنْ أَوْرُ الله عَلْدَ فَلَا إِلَا عَصْمَة الَّتِي وَجَدْنَا النَّاسَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ حِينَ بَلَغَهَا قُولُ مَنْ امْرُأَةٍ سَنَأْخُذُ بِالْعِصْمَةِ الَّذِي وَجَدْنَا النَّاسَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ حِينَ بَلَغَهَا قُولُ مَنْ مَنْ مُرَاجِعَةٌ، فَأَيُ أَمْرٍ يَعُدُثُ بَعْدَ النَّلَاثِ؟ فَكَيْفَ تَقُولُونَ لَا نَفَقَةَ لَمَا إِذَا لَمْ تَكُنْ حَلَا لَيْ اللْمَاسَة وَلَوْنَ لَا نَفَقَةَ لَمَا إِذَا لَمْ تَكُنْ مَالِكُهُ وَلَا الله وَلَا اللهُ وَلَا الله وَلَا اللهُ عَلَامَ مَعْدَا اللّهُ وَلَا لَهُ وَلَا الله وَلَا الله وَلَا اللهُ عَلَا إِلَا لَهُ وَلَا الله وَلَا الله وَلَا الله وَلَا اللهُ اللهَ اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا الله وَلَا الله وَلَا ا

وعن عائشة أنها قالت: ما لفاطمة ألا تتقي الله (يعني في قولها: لاسكنى ولا نفقة)(1).

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري (١٢/ ١٢١).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٥٣٢٢، ٥٣٢١).

<sup>(</sup>٣) مسلم (١٤٨٠).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٥٣٢٤، ٥٣٢٥).

وعن عروة بن الزبير أنه قال لعائشة: أَلَمْ تَرَيْ إِلَى فُلَانَةَ بِنْتِ الْحُكَمِ، طَلَقَهَا زَوْجُهَا الْبَتَّةَ، فَخَرَجَتْ، فَقَالَتْ: بِئْسَ مَا صَنَعَتْ، قَالَ: أَلَمْ تَسْمَعِي فِي قَوْلِ فَاطِمَةَ، قَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ لَمَا خَيْرٌ فِي ذِكْرِ هَذَا الْحَدِيثِ، وفي رواية (عَابَتْ عَائِشَةُ أَشَدَّ الْعَيْبِ وَقَالَتْ: إِنَّ فَاطِمَةَ لَيْسَ لَمَا خَيْرٌ فِي ذِكْرِ هَذَا الْحَدِيثِ، وفي رواية (عَابَتْ عَائِشَةُ أَشَدَّ الْعَيْبِ وَقَالَتْ: إِنَّ فَاطِمَةَ كَانَتْ فِي مَكَانٍ وَحْشِ فَخِيفَ عَلَى نَاحِيَتِهَا، فَلِذَلِكَ أَرْخَصَ لَمَا النَّبِيُّ عَيْلِيمٌ )(۱).

٣- ثبوت نسب الولد المولود في فترة العدة: يثبت نسب ولد المطلقة والمتوفى عنها زوجها إذا جاءت به في وقت تحتمله أقصى مدة للحمل على اختلاف في تفاصيلها بين الفقهاء والقانونيين والأطباء الرجعية (٢).

2 ثبوت الإرث في العدة: إذا مات أحد الزوجين قبل انقضاء عدة المطلقة طلاقًا رجعيًا؛ ورثه الآخر بلا خلاف، سواء أكان الطلاق في حال المرض أم في حال الصحة، لبقاء الزوجية حكمًا، فتكون سببًا لاستحقاق الإرث من الجانبين. فإن كان الطلاق بائنًا أو ثلاثًا في حال الصحة، فهات أحد الزوجين في العدة لم يرثه الآخر وإن كان الطلاق بائنًا ثلاثًا في حال المرض، فإن كان برضاها لا ترث بالإجماع، وإن كان بغير رضاها فإنها ترث من زوجها عند الجمهور (٣)

### خامسًا: حق الأم.

<sup>(</sup>١) البخاري (٥٣٢٦، ٥٣٢٥).

<sup>(</sup>٢) حقوق الإنسان في ضوء الكتاب السنة.

<sup>(</sup>٣) حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة (٣٢٦).

<sup>(</sup>٤) تفسير الطبرى (٢١/ ٦٩).

آرَّ مَهُما كما رَبِيَانِي صَغِيرًا ﴿ الإسراء: ٢٤)، فالأب أيضًا مشترك في التعب والوهن، ولهذا جمع الله بينها في تعب التربية في تلك الآية، فلزم بر كليها حيث يتوليان حفظه وإكهال نشأته، ولهذا إذا تعارض حقها دون القدرة على الجمع بينها حيث جمعها الله تعالى في الوصية ثم خصص الأم بذكر درجة الحمل ودرجة الرضاعة، ودرجة الولادة قبل ذلك، فتحصل للأم ثلاث مراتب، وللأب واحدة، ولهذا قال رسول الله على حين سأله رجل درجة أحق الناس بحسن صحبته قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم من؟ قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك) (١٠). وفيه تأكيد للبر بالأم خشية التفريط فيه؛ إذ قد يقع التفريط في الوفاء الواجب للأم من الابن، اعتهادا على ما يلاقيه من اللين منها؛ بخلاف جانب الأب فإنه قوي ولأبنائه خوف من شدته (١٠). وقال على ما وقعه (١٠). وهو من تخصيص الشيء بالذكر إظهارًا لعظيم موقعه (١٠).

وذهب العلماء إلى أن عقوق الوالدين مخالفتها في أغراضها الجائزة لها، كما أن برهما موافقتها على أغراضها، وعلى هذا إذا أمرا أو أحدهما ولدهما بأمر وجبت طاعتها فيه، إذا لم يكن ذلك الأمر معصية، وإن كان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله، وكذلك إذا كان من قبيل المندوب، وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهما بالمباح يصير في حق الولد مندوبا إليه، وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدا في ندبيته (٥).

وكل هذا بشرط ألا يكون المأمور به معصية (أكب ومن البر بهما عدم تعرضهما لأي أذى وخاصة الأم، لقوله ﷺ: "إن مِنْ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ قَالُوا يَا رَسُولَ الله: وَهَلْ

<sup>(</sup>۱) البخاري (۷۹۷۱)، مسلم (۲۵٤۸).

<sup>(</sup>٢) تفسير ابن عطية (١٠/ ٢٧٦)، التحرير التنوير (٢١/ ١٥٨).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٥٩٧٥).

<sup>(</sup>٤) فتح الباري (١٠/ ٤٥٧).

<sup>(</sup>٥) القرطبي (٥/ ٣٨٥٤).

<sup>(</sup>٦) حقوق الإنسان ليسرى السيد محمد (٢٤١: ٢٤٠).

يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَشُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَشُبُّ أَبَاهُ وَيَشُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ" (١).

الإحسان إلى الأم: ومن الإحسان إليها أن لا يخرج للجهاد بدون إذنها وإذن أبيه، وهذا مستفاد من قوله على لرجل جاءه فقال: "جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبواي يبكبان، فقال على: ارجع اليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما"("). قال الخطابي: إن كان الخارج فيه متطوعًا؛ فإن ذلك لا يجوز إلا بإذن الوالدين، فأما إذا تعين عليه فرض الجهاد فلا حاجة إلى إذنهما، هذا إن كانا مسلمين، فإن كانا كافرين، يخرج بدون إذنهما فرضا كان الجهاد أو تطوعًا("). وعن ابن عمر في قال: (جاء رجل إلى النبي في فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد)(").

واستدل به على تحريم السفر بغير إذن؛ لأن الجهاد إذا منع مع فضيلته فالسفر المباح أولى (٥).

حقها في النفقة: قال رسول الله ﷺ: "إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أو لادكم بن كسبكم" (أ).

وقال على: "أنت ومالك لأبيك"(). ولما كان الأب هو سبب وجود هذا الرجل، فكان من أهنأ وأحل الطعام من مال هذا الرجل، ولأن الرجل بعضه، وحكم بعضه حكم نفسه، ثم بين في الحديث الثاني: أن وجودك سبب وجود مالك، فصار له بذلك حق كان به أولى منك بنفسك، فإذا احتاج فله أن يأخذ منه قدر الحاج، فليس المراد إباحة ماله له حتى يستأصله بلا حاجة، ولوجوب نفقة الأصل على فرعه ().

<sup>(</sup>۱) مسلم (۹۰).

<sup>(</sup>٢) أبو داود (٢٥٢٨٩)، النسائي (٢١٦٣)، وابن ماجه (٢٧٨٢) وهو في صحيح أبي داود (٢٢٠٥).

<sup>(</sup>٣) عون المعبود (٥/ ٤٢٤).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٢٠٠٤)، مسلم (٢٥٤٩)

<sup>(</sup>٥) فتح الباري (٦/ ١٥٩)

<sup>(</sup>٦) الترمذي (١٣٥٨)، ابن ماجه (٢٢٩٠)، وهو في صحيح ابن ماجه (١٨٥٤).

<sup>(</sup>٧) ابن ماجه (٢٢٩١)، مسند أحمد (٢/ ٢٠٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٥٥).

<sup>(</sup>٨) فيض القدير (٣/ ٥٢: ٥١).

قال ابن القيم: قال حرب: سمعت الإمام أحمد بن حنبل يقول: يأخذ الرجل من مال ولده ما شاء، وإن كان غنيًا (١). فتكون الأم من باب أولى بالنفقة، لأن حقها أعظم من حق الأب كما بينا.

حقها بعد موتها: لا يتوقف حق الوالدين على حياتها؛ بل يظل إلى ما بعد موتها قال ولد ولد (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له)(٢)، ويشمل هذا الدعاء عند صلاة الجنازة: الاستغفار لهما وسؤال الله تعالى الرحمة لهما، والوفاء بوصيتهما بما يوافق شرع الله، والإحسان لأقاربهما وأصدقائهما(٣).

سادسا: حق المرأة في عبادة الله: يقول تعالى: ﴿ مَنْ عَيِلَ صَلِيحًا مِن ذَكِرٍ أَوْ أَنْيَ وَهُو مُوْمِنُ فَلَنُحْيِينَهُ، حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل ٩٧)، وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيّّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقَنَكُمْ مِن ذَكْرٍ وَقَال مُوانَى وَ وَهَا لِلْهَا لِنَعَارَقُوا أَنَّ الْحَرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَنْقَنكُمْ إِللهِ المَعْرِلِ وَيَنكُم مِن ذَكْرٍ أَوْ أَنْيَ تَعْضُكُم مِن اللهِ المَرأة ومنولته : ﴿ فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِي لَا أُوسِيعُ عَمَلَ عَلِمِ لِمِنكُم مِن ذَكْرٍ أَوْ أَنْيَ تَعْضُكُم مِن اللهِ المرأة ومنولته الله المرأة ومنولته الله المرأة ومنولته الله المرأة ومنولته في الوقت الذي كانت أوروبا غارقة في الظلمات، وتبحث هل المرأة جسد وروح أم جسد فقط؟ وهل هي إنسان أم شيطان؟ فجاء الإسلام ليزيح عنها تراب الجاهلية، وجبال الضلال والشرك، وبدد الإسلام ستائر الظلمات التي أحاطت بأخلاق المرأة ووضعها، وتحقير الإنسان حينئذ لها، فلهذا كان من اللازم أن يحمي الإسلام حق المرأة في عبادة الله، دون إكراه، أو تضييق، فلها الحق في توحيد الله دون إكراه لها على الشرك والضلالات، قال تعالى: ﴿ فَالصَّدَا حَسَلُ عَنْ نَنْ ثَنْ حَلَوْظَتَ مُ لِلْفَلْاتُ لِلْفَيْدِ بِمَا حَفِظَ اللهُ اللهِ وَالسَّدُ اللهُ المِن اللهُ المرأة المسلمة الصادقة: ﴿ إِنَّ ٱلمُسْلِمِينِ مَا حَفِظَ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله المادة الصادقة: ﴿ إِنَّ ٱلمُسْلِمِينِ مَا عَلْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المَادة المسلمة الصادقة: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُهُ المَادِةُ اللهُ اللهُ اللهُ المَادِي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُن اللهُ المُن اللهُ المَادِي المُن اللهُ المُن المُن اللهُ المُن اللهُ المُن اللهُ المُن اللهُ المُن اللهُ المُن اللهُ المُن اللهُ المُن المُن

<sup>(</sup>١) جامع الفقه (٤/ ٦٢٦).

<sup>(</sup>Y) amba (1771).

<sup>(</sup>٣) حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة.

وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينِ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْقَنِينِينَ وَٱلْقَنِينِينَ وَٱلْقَنِينِينَ وَٱلْقَنِينِينَ وَٱلْقَنِينِينَ وَٱلْقَنْيِمِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَٱلْمَنْمِينِينَ وَالْمَنْمِينِينَ وَالْمَنْمِينِينَ وَالْمَنْمِينِينَ وَالْمَنْمِينِينَ وَالْمَنْمِينِينَ وَالْمَنْمُونِ أَنْ السَاءِ وَأَمَا ذَكُو الرجال، فللإشارة إلى أن الصنفين في أصحاب هذه الأوصاف المذكورة: النساء، وأما ذكر الرجال، فللإشارة إلى أن الصنفين في هذه الشرائع سواء، ليعلموا أن الشريعة لا تختص بالرجال، لا كها كان معظم شريعة التوراة خاصا بالرجال، إلا الأحكام التي لا تتصور في غير النساء.

مما سبق يتضح: أن الله قد حفظ المرأة، وهي خلق من خلقه تعالى، ولهذا نبه على أن المرأة تقيم أولًا حق الله تعالى؛ حتى تشعر هي بمدي حفظ الله لها، والقرآن الكريم قد أكد المساواة في الجزاء، وعدم أفضلية الرجل على المرأة في أداء الصلاة مثلًا، إنها العبرة بالإخلاص والصدق: ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الصّكلِحَتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُو مُؤْمِنٌ فَأُولَيَهِكَ يَدْخُلُونَ والصدق: ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الصّكلِحَتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُو مُؤْمِنٌ فَأُولَيَهِكَ يَدْخُلُونَ الصّدق: ﴿ وَمَن يَعْمَلُ مِنَ الصّكلِحَتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُو مُؤْمِنٌ فَأُولَيَهِكَ يَدْخُلُونَ المُحَنّة وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء ١٢٤)، وقال تعالى ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات ﴾ ألم المساواة في التكاليف إلا خص به الرجل، قال تعالى: ﴿ قُل لِلْمُؤْمِنِينَ كَ يَعْضُوا مِنَ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ثم قال: ﴿ وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضَ مِنْ أَبْصَارِهِنَ ﴾ (النور ٣١: ٣٠). وقال عَلَيْ النساء شقائق الرجال" ").

وقال ابن الأثير: أي نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، كأنهن شققن منهم، ولأن حواء خلقت من آدم (٣).

ثم المساواة في العقوبات، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَأَقْطَ عُوَا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (المائدة:

<sup>(</sup>١) الترمذي (٣٠٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٦٥).

<sup>(</sup>٢) أبو داود (٢٢٧)، الترمذي (١١٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٦).

<sup>(</sup>٣) النهاية (٢/ ٤٩٢).

٣٨)، وقال: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَأَجْلِدُوا كُلُّ وَيَجِدِيِّتُهُمَامِأَتُهَ جَلْدَةِ ﴾ (النور: ٢).

#### ١٢\_ حق الطفل

أولا ـ إثبات نسبه وتحسين اسمه: قال الله تعالى: ﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَآبِهِمْ هُوَ أَقَسَطُ عِندَ ٱللّهِ وَعَالَ اللهُ عَالَى: ﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَآبِهِمْ هُوَ أَقَسَطُ عِندَ ٱللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ عَلَيْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ عَلَيْكُمْ وَكِينَا عَلَيْكُمْ وَكِينَا أَخُطَأْتُم بِهِ عَلَيْكُمْ وَكَانَ أَللّهُ عَفُورًا تَحِيمًا ﴿ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ أَللّهُ عَفُورًا تَحِيمًا ﴿ ﴾ (الأحزاب: ٥).

هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التبني وهو من نسخ السنة بالقرآن فأمر أن يدعوا من دعوا إلى أبيه فإن لم يكن له ولاء معروف قال له يا أخي يعني في الدين قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخُوةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)(١). أما ما يستحب من الأسهاء فقد قال النبي ﷺ: " إن أحب أسهائكم إلى الله ﷺ عبد الله وعبد الرحن "(٢).

قال النووي: فيه التسمية بهذين الاسمين، وتفضيلها على سائر ما يسمى به (")، وكذلك يستحب تسمية الطفلة بها يدل الصدق ورفعة الشأن والهمة، وعن ابن عمر أن النبي على غير اسم (عاصية) وقال: (أنت جميلة)(1). وقال على "لا تسمين غلامك يسارًا ولا رباحًا ولا نجاحًا ولا أفلح فإنك تقول: أثم هو فلا يكون، فيقول: لا "(0).

قال ابن القيم: تغيير الاسم يكون لقبحه وكراهته فقد يكون لمصلحة أخرى مع حسنه كما غير اسم برة بزينب كراهة التزكية وأن يقال خرج من عند برة أو يقال كنت عند برة فيقول لا، ويجوز التسمية بأكثر من اسم، وكذلك الجمع بين الاسم والكنية واللقب(١).

وعن ابن عباس على قال: كانت جويرية اسمها برة فحول رسول الله ﷺ اسمها

<sup>(</sup>١) إعراب القرآن للنحاس (٣/ ٣٠٣).

<sup>(</sup>Y) amba (Y)Y).

<sup>(</sup>٣) شرح النووي (٧/ ٣٦٩).

<sup>(</sup>٤) مسلم (٢١٣٩)، الترمذي (٢٨٣٨) وقال: هذا حديث حسن غريب.

<sup>(</sup>٥) مسلم (١٣٧).

<sup>(</sup>٦) تحفة المودود (١/ ١٣٣).

جويرية وكان يكره أن يقال: خرج من عند برة(١).

قال النووي: معنى هذه الأحاديث تغيير الاسم القبيح أو المكروه إلى حسن وقد ثبتت أحاديث بتغيير أسماء جماعة كثيرين من الصحابة، وقد بين على العلة في النوعين وما في معناهما وهي التزكية أو خوف التطبر (٢).

ثانیًا: العقیقة: قال ﷺ: "كل غلام رهینة بعقیقه تذبح عنه یوم سابعه ویسمی فیه ویحلق رأسه"(۳).

ثالثا: حق الطفل في الاختتان: الحتان: اسم لفعل الحاتن، وهو مصدر كالنزال والقتال، ويسمى به كذلك موضع الحتن، وهو قطع الجلدة التي تغطي الحشفة من الذكر، وقطع جزء من الجلدة التي في أعلى الأنثى (٤).

فعن أبي هريرة الله على الله على الله على الله على الله والاستحداد، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب<sup>(٥)</sup>. وينبغي أن يقوم بذلك طبيب خبير، ولعل من المفيد من استشارة الطبيب والطبيبة المسلمة الثقة الخبيرة في أمر ختان البنات، فلهن مقدرة على معرفة احتياجهن من عدمه، وينبغي مراعاة الرفق وعدم العنف خاصةً مع المرأة.

رابعًا: رضاعه: فبعد خروج هذا المخلوق الصغير العجيب، تتداركه رحمة ربه بإنشاء هذا المصنع العجيب لإفراز الغذاء الطيب (اللبن من صدر أمه)، فها هو سبحانه وتعالى يطعمه من جوع ويؤمنه من الخوف لأنه بين يدي أمه التي جعل الله تعالى فيها من الحنان مالا يتخيل مثله، ولا يقاس حنان على حنانها ولا شفقة على شفقتها، وإذا كان الرجل

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۱٤۰).

<sup>(</sup>٢) شرح النووي (٧/ ٢٧٤).

<sup>(</sup>٣) أبو داود (٢٨٣٨)، والترمذي (١٥٢٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وراجع صحيح الجامع (٥٤١).

<sup>(</sup>٤) لسان العرب (٢/ ١١٠٢).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٥٨٨٩)، مسلم (٢٥٧).

يؤجر للقمة يطعمها زوجته، فما ظننا بها تصنعه الأم مع ولدها في هذه المرحلة الخطيرة من عمر الإنسان، فالأب وعليه النفقة، وفيها إطعام الأم فيجب عليه الاعتناء بها، لأنها بدورها تقوم على مخلوق آخر غيرها وهو طفلها، فيحرم على الأب التقصير تجاه الأم، لأنه بالتالي يؤدي إلى التقصير تجاه المولود، ويقول على الكور الكوري الله التقصير تجاه المولود، ويقول على الكور الكوري الله التقصير تجاه المولود، ويقول الكوري الله المولود، ويقول الكور الكوري الكور الكوري الكور الكوري الكور الكوري الكوري

وتأمل رحمة الأم بوليدها كما يصوره الحديث الشريف عن عمر بن الخطاب قال: قَدِمَ عَلَى النّبِيِّ عَلَيْهُ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النّبِيُّ عَلَيْهُ: "أَثْرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النّبِيُّ عَلَيْهُ: "أَثْرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي السَّبْيِ أَخَذَتُهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النّبِيُّ عَلَيْهُ: "أَثْرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا" ("). النّارِ، قُلْنَا: لَا، وَهِي تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ! فَقَالَ: لله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا اللّهَ وَعَلَالُولُودِ لَهُ وقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَلِلاَتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَكُوهُ لَكُ كُونَا أَوْلُودِ لَهُ وَقَالَ لَكُنَا وَلَا مَوْلُودُ لَهُ وَعَلَ الْوَلَودِ لَهُ وَقَالَ لَكَ اللّهَ وَالْمَاعَةُ وَعَلَ الْوَلُودِ لَهُ وَقَالَ اللّهَ وَالْمَاعَةُ وَعَلَ الْوَلُودِ لَهُ وَقَالُ وَلَا مَوْلُودُ لَهُ اللّهُ وَلَا مَوْلُودُ لَهُ اللّهُ وَلَو اللّهُ وَلَا مَوْلُودُ لَهُ اللّهُ وَعَلَى الْوَلِيثِ مِثْلُ وَلِكَ أَوْلُودُ لَهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا مَلُودُ أَلَهُ مَا أَلُولُودُ أَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا مَلُولًا أَنَا اللّهُ وَاللّهُ وَلُولُكُ أَلْهُ وَاللّهُ وَلَا مَلْ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا الللّهُ وَاللّهُ وَاللللللللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللللللّهُ وَالللللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

## قال ابن القيم: دلت الآية على عدة أحكام:

أحدها: أن تمام الرضاع حولين وذلك حق للولد إذا احتاج إليه ولم يستغن عنه وأكدهما بكاملين لئلا يحمل اللفظ على حول وأكثر، وثانيها: أن الأبوين إذا أرادا فطامه قبل ذلك بتراضيهما وتشاورهما مع عدم مضرة الطفل فلهما ذلك. وثالثها: أن الأب إذا أراد أن يسترضع لولده مرضعة أخرى غير أمه فله ذلك وإن كرهت الأم إلا أن يكون مضارا بها أو بولدها فلا يجاب إلى ذلك ويجوز أن تستمر الأم على رضاعه بعد الحولين إلى

<sup>(</sup>١) سنن النسائي الكبرى (٩١٧٦)، المستدرك (٨٥٢٦)، وصححه الألباني في الإرواء بلفظ (مـن يقـوت) (٣/ ٢٠٦)، وهذا اللفظ عند أبي داود (١٦٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٨٤).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٩٩٩٥)، مسلم (٢٧٥٤).

نصف الثالث أو أكثر(١).

خامسا: فطامه: قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَ حَوْلِيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَ الرَّضَاعَةُ وَعَلَى المُؤَلُودِ لَهُ رِذَقُهُنَّ وَكِسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسُ إِلَّا وُسَعَها ۚ لَا تُضَارَ وَالِدَهُ اللهِ عَلَى اللهُ وَاللهُ وَاللهُ أَن اللهُ عَن اللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَاللهُ وَاللهُ وَا

دلت الآية على عدة أحكام:

أحدها: أن إتمام الرضاع حولين وذلك حق للولد إذا احتاج إليه ولم يستغن عنه وأكدهما (بكاملين) لئلا يحمل اللفظ على حول وأكثر الثاني.

وثانيهما: أن الأبوين إذا أرادا إفطامه قبل ذلك بتراضيها وتشاورهما مع عدم مضرة الطفل فلها ذلك.

وثالثهما: أن الأب إذا أراد أن يسترضع لولده مرضعة أخرى غير أمه فله ذلك وإن كرهت الأم ألا يكون مضارا بها أو بولدها فلا يجاب إلى ذلك.

سادسا: الإنفاق على الولد: قال الله تعالى: ﴿ لِيُنْفِقَ ذُوسَعَةٍ مِن سَعَتِهِ ۗ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، فَلَيْنَفِقْ مِمَّا ءَانَنهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّاماً ءَاتَنها ﴾ (الطلاق: ٧).

وروى أبو هريرة هاأن رجلًا أتى النبي على "فقال: يا رسول الله، عندي دينار، فقال: أنفقه على ولدك "(٢). وقال على: "كفى بالمرء أنفقه على ولدك "(٢). وقال على: "كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت"(٣).

<sup>(</sup>١) تحفة المودود (٢٠٥).

<sup>(</sup>٢) أحمد (٢/ ٢٥١)، وأبو داود (١٦٩١)، والنسائي (٢٥٣٥)، وابن حبان (٣٣٣٧)، صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٥).

<sup>(</sup>٣) مسلم (٩٩٦).

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسُوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٢٣). وقال ﷺ: "وابدأ بمن تعول" (٠٠٠).

قال النووي: فيه تقديم نفقة نفسه وعياله، لأنها منحصرة فيه، بخلاف نفقة غيرهم (\*). سابعًا: حق الحضائة: يثبت على الطفل منذ ولادته ثلاث ولايات:

الولاية الأولى: ولاية التربية.

الولاية الثانية: الولاية على النفس.

الولاية الثالثة: على ماله إن كان له مال.

أما الأولى هي ولاية التربية، فهذه وظيفة النساء، وهوما يسمى بالحضانة، فالحضانة هي تربية الولد في المدة التي لا يستغنى فيها عن النساء ممن لها الحق في تربيته شرعًا، وهي حق للأم ثم لمحارم المولود من النساء، والأصل في الباب حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وِعَاءً وَثَدْيِي لَهُ سِقَاءً وَحِجْرِي لَهُ حِوَاءً، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَقَنِي وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِي، فَقَالَ لَمَا رَسولُ الله ﷺ: أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمُ تَنْكِحِي """.

قال في عون المعبود: (كَانَ بَطْنِي لَهُ وِعَاء) أَيْ: ظَرْفًا حَال حَمْله، (وَثَدْيِي لَهُ سِقَاء) أَيْ: طَلْ قال وَعَاء، (وَثَدْيِي لَهُ سِقَاء) أَيْ: حَال رَضَاعه، (وحجري له حواء) أي: مَكَانًا يَحْوِيه وَيَحْفَظهُ وَيَحْرُسهُ، وَمُرَاد الأمّ بِذَلِكَ عَال رَضَاعه، (وحجري له حواء) أي: مَكَانًا يَحْوِيه وَيَحْفَظهُ وَيَحْرُسهُ، وَمُرَاد الأمّ بِذَلِكَ أَنّهَا أَحَقّ بِهِ لِإخْتِصَاصِهَا بِهَذِهِ الْأَوْصَاف دُون الْأَب. قال في النيل: في الحديث دليل على أن الأم أولى بالولد من الأب ما لم يحصل مانع من ذلك كالنكاح، لتقييده ﷺ للأحقية بقوله (مالم تنكحي). وَبِهِ قَالَ مَالِكُ وَالشَّافِعِيَّة وَالْحَنَفِيَّة ('').

والحضانة واجبة، وهي من حقوق الطفل، حتى يحفظ مما يضره ويهلكه، من تجهيزه

<sup>(</sup>١) البخاري (٥٣٥٥)، مسلم (١٠٣٤).

<sup>(</sup>٢) شرح النووي (٤/ ١٣٦).

<sup>(</sup>٣) أبو داود (٢٢٧٦)، مسند أحمد (٢/ ١٨٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٦٨)، وفي صحيح أبي داود (١٩٩١).

<sup>(</sup>٤) عون المعبود (٥/ ١٤٩).

لملابسه وتنظيفه وتنظيف أدواته (١).

ثامنًا: تاديب الأولاد وتعليمهم والعدل بينهم: قال الله تعالى: ﴿يَثَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فُوَا الله تعالى: ﴿يَثَالُهُمَ اللَّهِ مَا أَمَرُهُمُ النَّفَسَكُمُ وَأَهْلِيكُمُ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَيْكَةً غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمُ النَّفَسَكُمُ وَأَهْلِيكُمُ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَيْكَةً غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمُ وَيَقَعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ آلَ ﴾ (التحريم: ٦)، قال علي ﴿: علموهم وأدبوهم، وقال الحسن: مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير، وقال ﷺ: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع"".

وقال: على "اعدلوا بين أبنائكم اعدلوا بين أبنائكم أعدلوا بين أبنائكم" وقال: وقال: على المنائكم المنائكم المنائكم اعدلوا بين أبنائكم المائل أبنائكم الأولاد إنها جاء في تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنها جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه فأضاعوهم صغارًا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارًا (1).

#### ١٣ حقوق الميت على أهله

تلقينه الشهادة عند حضور الأجل: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: " لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله". (°)

أن يؤمر بقول الشهادة: عن أنس: أن النبي عَلَيْ دخل على رجل من بني النجار يعوده، فقال له رسول الله على: " يا خال، قل: لا إله إلا الله، فقال: أو خال أنا، أو عم؟ فقال النبي عَلَيْهُ: لا، بل خال، فقال له: قل: لا إله إلا هو، قال: خيرُ لي؟ قال: نعم". (١)

<sup>(</sup>١) حقوق الإنسان ليسري سيد محمد (٢١٢).

<sup>(</sup>٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٨١)، وأبو داود (٤٩٥)، ، والترمذي (٤٠٧) وقال: حسن صحيح. وانظر: صحيح الجامع (٤٠٢).

<sup>(</sup>٣) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٥)، وأبو داود (٣٥٤٤)، والنسائي، وراجع صحيح الجامع (١٢١)

<sup>(</sup>٤) تحفة المودود صـ (٧٧٥-٢٨٥).

<sup>(</sup>٥) أخرجه مسلم (٩١٧).

<sup>(</sup>٦) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٢)، وأبو يعلي (٣٤٩٩)، وقال عنه الشيخ الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم. انظر أحكام الجنائز (ص٠٢).

### الدعاء له ولا يقال في حضوره إلا خيرًا:

عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: " إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ". (١)

نعي الجنائز: يجوز إعلان الوفاة إذا لم يقترن به ما يشبه نعى الجاهلية. (٢)

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ: " نعي النجاشي في اليوم الذي مات فيه ". (")

إغماض العين والدعاء له: عن أم سلمة قالت: " دخل رسول الله على أبي سلمة، وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه "(<sup>3)</sup>

(الحِبَرة) هي ضرب من برود اليمن، وفيه استحباب تسجية الميت، وهو مجمع عليه، وحكمته: صيانه من الانكشاف وستر عورته المتغيرة عن الأعين. (1)

وهذا في غير من مات محرمًا فأما المحرم فإنه لا يغطى رأسه ووجهه. (٧)

عن ابن عباس ﴿ وَهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ وَقُصُهُ بَعِيرُهُ، وَنَحْنُ مَعَ النَّبِي ﷺ وهو محرم فقال

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (٩١٩).

<sup>(</sup>٢) أحكام الجنائز للشيخ الألباني (ص٥٤).

<sup>(</sup>٣) البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).

<sup>(</sup>٤) مسلم (٩٢٠).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٥٨١٤)، ومسلم (٩٤٢).

<sup>(</sup>٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٤/ ١٣).

<sup>(</sup>٧) أحكام الجنائز وبدعها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (٢٢).

النبي على "اغسلوه بهاء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تمسوه طيبًا ولا تخمروا رأسه فإن الله يعثه يوم القيامة ملبيًا". (١)

عن أبي هريرة ، عن النبي عَلَيْ قال: "أسرعوا بالجنازة"(٢١٠٣)

غسله، وتكفينه: عن ابن عباس في أن النبي على قال: " للرجل الذي وقصته ناقته اغسلوه بهاء وسدر، وكفنوه في ثوبين". (1)

حرمة جسد الميت: قال النبي ﷺ: ((إن كسر عظم المؤمن ميتا، مثل كسره حيًّا))(٥٠).

قال الألباني: والحديث دليل على تحريم كسر عظم الميت المؤمن ولهذا جاء في كتب الحنابلة (ويحرم قطع شيء من أطراف الميت وإتلاف ذاته وإحراقه ولو أوصى به) (1). إن جبر عظمه بعظم فجبر ثم مات فإن كان طاهرًا لم ينزع وإن كان نجسًا وأمكن إزالته من غير مثلة أزيل لأنه نجاسة مقدوره على إزالتها من غير ضرر وإن أفضى إلى المثلة لم يقلع، وإن كان في حكم الباطن كالحي، وإن كان عليه جبيرة يفضى نزعها إلى مثله مسح عليها كحال الحياة وإلا نزعها وغسل ما تحتها. (٧)

الصبر والرضا بالقدر: قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم مِثَىٰءٍ مِّنَ ٱلْخُوفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصِ مِّنَ

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (١٢٦٧)، ومسلم (١٢٠٦).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (١٣١٥)، ومسلم (٩٤٤).

<sup>(</sup>٣) قال ابن حجر في الفتح " بالجنازة أي بحملها إلى قبرها، وقيل المعنى بتجهيزها، فهو أعم من الأول، قال القرطبي: والأول أظهر، وقال النووي: الثاني باطل مردود بقوله في الحديث " تضعونه على رقابكم "، وتعقبه الفاكهي بأن الحمل على الرقاب قد يعبر به عن المعاني كما تقول حمل فلان على رقبته ذنوبا، فيكون المعنى استريحوا من نظر من لا خير فيه، قال: ويؤيده أن الكل لا يحملونه (فتح الباري (٣/ ٢١٩).

<sup>(</sup>٤) البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦).

<sup>(</sup>٥) أخرجه البخاري في تاريخه (١/ ١٥٠) وابن حبان في صحيحه (٧٧٦) موارد وصححه الألباني في أحكام الجنائز.

<sup>(</sup>٦) أحكام الجنائز (٢٩٦).

<sup>(</sup>٧) الشرح الكبير بهوامش المغنى (٢/ ٣٢٦).

ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَنفُسِ وَالشَّمَرَتِ وَبَشِرِ الصَّنبِرِينَ ﴿ اللَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ مَ الْمُهَتَدُونَ ﴿ اللَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ وَالْمَعْوَنُ ﴾ (البقرة) رَجِعُونَ ﴾ (البقرة) وعن أنس بن مالك، هوال: مر النبي على بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري، قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي على فأتت باب النبي على فالم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنها الصبر عند الصدمة الأولى. (١)

الاسترجاع: عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله على يقول: " ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله، إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أخلف الله له خيرا منها"، قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله على ثم إني قلتها، فأخلف الله لى رسول الله على (١٠)

عدم النياحة عليه: عن أبي مالك الأشعري أن النبي على قال: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب". (7)

عن ابن عمر عن أبيه و النبي على عن النبي على قال: " الميت يعذب في قبره بها نيح عليه". (\*) أن لا يلطم خد ولا يشق جيب: عن عبد اله الله أن النبي على قال: " ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية". (\*)

عدم حلق الشعر عند المصيبة: حدث أبو بردة بن أبي موسى الله قال: "وجع أبو موسى وجعا فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا، فلما

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٦٢٦).

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم (٩١٨).

<sup>(</sup>٣) أخرجه مسلم (٩٣٤).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧).

<sup>(</sup>٥) أخرجه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

أفاق، قال: أنا بريء ممن برىء منه رسول الله على إن رسول الله على بريء من الصالقة والحالقة والشاقة "('). الصالقة: التي ترفع صوتها بالبكاء. ('')

أن لا يُنشر شعرًا: حدث أسيد بن أبي أسيد، عن امرأة من المبايعات، قالت: كان فيها أخذ علينا رسول الله على في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه وأن لا تخمش وجها، ولا ندعوا ويلا، ولا نشق جيبا، وأن لا ننشر شعرا "(") (أن لا تخمش) أي لا تخدش، (ولا ندعو ويلًا) والويل أن يقول عند المصيبة وا ويلاه، (ولا نشق جيبًا) الجيب هوما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس وهو الطوق في لغة العامة، (ولا ننشر شعرا) يقال نشر الراعي غنمه أي بثها بعد أن آواها. (أ)

المبادرة بقضاء دينه من ماله: عن جابر هوال: "توفى رجل فغسلناه، وحنطناه، وحنطناه، وكفناه، ثم أتينا به رسول الله على عليه، فقلنا: نصلي عليه فخطا خطى، ثم قال: أعليه دين؟ قلنا: ديناران، فانصرف، فتحملها أبو قتادة، فأتيناه، فقال أبو قتادة، الديناران علي، فقال رسول الله على: أحق الغريم، وبرئ منها الميت، قال: نعم، فصلى عليه، ثم قال بعد ذلك بيوم: ما فعل الديناران؟ فقال: إنها مات أمس، قال: فعاد إليه من الغد، فقال قد قضيتها، فقال رسول الله على: الآن بردت عليه جلده، فقال معاوية بن عمرو في هذا الحديث: فغسلناه وقال: فقلنا نصلى عليه". (°)

البكاء عليه ثلاثة أيام فقط: عن عبد الله بن جعفر أن النبي على أمهل آل جعفر ثلاثا أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال " لا تبكوا على أخي بعد اليوم ". (٢)

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٩٨).

<sup>(</sup>٣) أخرجه أبوداود (٣١٣١)، والطبراني في الكبير (٢٥/ ١٨٤)، وانظر: صحيح الترغيب (٣٥٣٥).

<sup>(</sup>٤) عون المعبود (٨/ ٢٨١).

<sup>(</sup>٥) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٨١٢).

<sup>(</sup>٦) أخرجه أبو داود (١٩٢)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٠٥)، وأحمد (١/ ٢٠٤)، وصححه الألباني في

دفنه في البلد الذي مات فيه ولا ينقل إلى بلد آخر: عن جابر هُقال: كنا حملنا القتلى يوم أحد لندفنهم فجاء منادي النبي عَلَيْ فقال: إن رسول الله عَلَيْ "يأمركم أن تدفنوا القتلى في مضاجعهم فرددناهم". (١)

وعن منصور بن صفية عن أمه، قالت: مات أخ لعائشة- رضي الله عنها- بوادي الحبشة فحمل من مكانه فأتيناها نعزيها، فقالت: ما أجد في نفسي، أو يحزنني في نفسي إلا أني وددت أنه دفن في مكانه ". (٢)

وإذا أوصى بأن ينقل إلى بلد آخر لا تنفذ وصيته، فإن النقل حرام على المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون وصرح به المحققون، وقيل مكروه. (")

حمل الجنازة واتباعها: ويجب حمل الجنائز، واتباعها وذلك من حق الميت المسلم على المسلمين. (٤)

قال رسول الله ﷺ: "حق المسلم على المسلم خمس: (ذكر منها) واتباع الجنائز". (°) الصلاة على الميت: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أخا لكم قد مات فقوموا

فصلوا عليه ". <sup>(۱)</sup>

دفن الميت: ويجب دفن الميت ولو كان كافرًا. (٧) عن علي الله قال: لما مات أبو طالب أتيت النبي على فقلت له إن عمك الشيخ الضال قد مات قال: " اذهب فواره أنت إنه

المشكاة (٦٣٤٤).

(١) أخرجه أبو داود (٣١٥٧) واللفظ له، وأحمد (٣/ ٢٩٧)، والترمذي (١٧١٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٧١٠).

<sup>(</sup>٢) البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٥٧)، وقال الشيخ الألباني: سنده صحيح. أحكام الجنائز صـ ٢٥.

<sup>(</sup>٣) الأذكار للنووي صـ ١٦٧.

<sup>(</sup>٤) أحكام الجنائز للألباني صـ ٨٦.

<sup>(</sup>٥) البخاري (١٢٤٠)، مسلم (٢١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

<sup>(</sup>٦) مسلم (٢٥٩).

<sup>(</sup>٧) أحكام الجنائز الألباني صـ ١٦٧.

مات مشركًا، قال: اذهب فواره ولا تحدث شيئًا حتى تأتيني، ثم أتيته فقلت قد واريته فأمرنى فاغتسلت". (١)

قضاء الصوم عن الميت: عن عائشة أن رسول الله على قال: " من مات وعليه صيام صام عنه وليه ". (٢)

## 12\_ حق الأخوة

الأخ لفة: الأخ للواحد والاثنان أخوان والجميع إخوان وإخوة، " الأخوة " في النسب. ويقال للأصدقاء وغير الأصدقاء. إخوة وإخوان، قال الله على: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً ﴾ (الحجرات: من الآية ١٠)، ولم يعني النسب"، وقال: ﴿ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَنِكُمْ ﴾ (النور: ٢١)، وهذا في النسب.

حقيقة الأخوة: قال الله على: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً ﴾: أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل إخوة الدين أثبت من إخوة النسب، فإن إخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب، وعن أبي هريرة على، قال: قال رسول الله على الا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا"(أ). وفي رواية "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم

<sup>(</sup>١) النسائي (١٩٥)، وأحمد (١/ ٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦١).

<sup>(</sup>٢) البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧).

<sup>(</sup>٣) تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ٦٢٣)، وانظر: (لسان العرب مادة (أخا)، والقاموس المحيط (للفيروز آبادي) مادة (أخ).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٥٩).

# على المسلم حرام دمه وماله وعرضه "(١)

وقال الله على: ﴿فَأَصَّبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ ۚ إِخْوَنَا ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، أي: صرتم بنعمة الإسلام إخوانا في الدين، والإخوان جمع أخ، وسمي أخا لأنه يتوخى مذهب أخيه، أي يقصده. (٢) وقيل: فأصبحتم بتأليف الله على بينكم بالإسلام وكلمة الحق والتعاون على نصرة أهل الإيهان والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر، إخوانا متصادقين لا ضغائن بينكم، ولا تحاسد. (٣)

الحب في الله والبغض في الله: عن أنس الله عن أن النبي على قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار". (ئ) قوله: (وأن يحب المرء) قال يحيى بن معاذ: حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء. (6)

عن أبي هريرة على عن النبي عَلَيْ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله "ذكر منهم "ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه". (أ) قوله "تحابا" بتشديد الباء وأصله أي اشتركا في جنس المحبة وأحب كل منها الآخر حقيقة لا إظهار فقط، وقوله: "اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه" والمراد أنها على المحبة الدينية ولم يقطعاها بعارض دنيوي سواء اجتمعا حقيقة أم لا حتى فرق بينها الموت". (\*)

وعن أبي هريرة هاقال: قال رسول الله عليه: "إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون

<sup>(</sup>١) مسلم (٢٥٦٤). وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١/ ٣٠٧).

<sup>(</sup>٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/ ١٧٢).

<sup>(</sup>٣) جامع البيان الطبرى (٤/ ٣٦).

<sup>(</sup>٤) البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

<sup>(</sup>٥) فتح الباري لابن حجر (١/ ٧٩).

<sup>(</sup>٦) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

<sup>(</sup>٧) الفتح (٢/ ١٧٠).

بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي". (١)

مسامعتهم ولو كانوا قد بالغوا في الإساءة وقبول عذرهم إذا اعتدروا: قال الله على وَرَفَعَ أَبُوبَهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْلَهُ سُجَدًا وَقَالَ يَكَأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيكَى مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَارَقِ حَقًا وَقَدْ أَحْسَنَ مِن إِذْ أَخْرَجَنِي مِن السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّن الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَن نَزَعَ الشَّيْطَنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَقِتَ إِنَّ رَبِّي لَطِيفُ لِمَا يَشَاءً إِنَّهُ هُو الْعَلِيمُ الْمُحَكِمُ الله (يوسف: ١٠٠). قوله وَبَيْنَ إِخْوَقِت الله المَحرم، لئلا الله على الله وقد الله الله الله الله وقت يذكر إخوته صنيعهم بعد عفوه عنهم قوله: "لا تثريب عليكم " لأن ذكر الجفا في وقت الصفا جفا، وهو قول صحيح دل عليه الكتاب. (٢)

وقال الله تعالى: ﴿ يَمَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِ إِثَكَ بَعْضَ ٱلظَّنِ إِثْدٌ ﴾ (الحجرات: ١٢). وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا

<sup>(</sup>۱) رواه مسلم (۲۵۶۲).

<sup>(</sup>٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢٧٣).

<sup>(</sup>٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونا عباد الله إخوانا". (١)

تحريم الظلم: عن أبي ذر عن النبي على فيها روى عن الله على أنه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا". (٢) وعن سالم عن أبيه أن رسول الله على قال: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه". (٣)

نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا: عن أنس الله أن النبي على قال: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا: يا رسول الله: هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال: تأخذ فوق يده ". (1)

وعن البراء بن عازب و قال: "أمرنا النبي الله بسبع، ونهانا عن سبع ذكر منها "ونصر المظلوم". (°)

التراحم والتعاطف والتعاضد: عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ". (٦)

وعن النعمان بن بشير قال، قال رسول الله ﷺ: "المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله". (٧)

تحريم غيبته: قال الله: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْنَا فَكُرِهْمُنُهُ ﴾ (الحجرات: ١٢). وعن أبي هريرة الله على قال: "أتدرون ما

<sup>(</sup>١) البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

<sup>(</sup>۲) رواه مسلم (۲۵۷۷).

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري (٢٤٤٤)، ورواه مسلم (٢٥٨٤) ولفظه "فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوماً إن كان ظالمًا، فلينهه فإنه له نصر. وإن كان مظلوما فلينصره".

<sup>(</sup>٥) أخرجه البخاري (٢٥٨٦).

<sup>(</sup>٦) أخرجه البخاري (٦٠١١)، وأخرجه مسلم (٢٥٨٦).

<sup>(</sup>٧) أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بها يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته ". (\)

الإشارة بالسلاح إلى أي مسلم: عن ابن سيرين سمعت أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم عن أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه ". (٢)

وعن أبي هريرة ه عن رسول الله على قال: "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده، فيقع في حفرة من النار". "

الاحترام والتقدير: قال الله ﷺ: ﴿ يَمَا أَيُّهَا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى آن يَكُونُواْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسَانَهُ مِن فِسَامٌ مِن فِسَامٌ مَن فِسَامٌ مَن فِسَامٌ مُن فَاللَّهِ مُن اللَّهِ مُنْ اللَّهُ مَن لَمْ يَلُبُ فَأُولَكُمْ لَا اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الل

الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر الاستطاعة: عن أبي هريرة شه قال: قال رسول الله على نفس الله عنه كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه". (3)

التناصح والتراحم: عن تميم الداري أن النبي على قال " الدين النصيحة "قلنا: لمن؟ قال: لله الله على الله الله على الله الله على الله على الله الله على الله على الله على الله على الله الله على الل

الستر والتغافر: عن أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ: " يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيهان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۵۸۹).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۱۲۲).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٦٩٩).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٤٢)، ومسلم (٥٥).

# عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته". (١)

10\_ حق الجنين

الجنين هو: الولد ما دام في بطن أمه لاستتاره فيه وجمعه أجنه وأجنن بإظهار التضعيف فسمي جنينا لاستتاره فأجنته المرأة جنينا أي حملته.

وجمع الجنين: أجنه وأجنن وقد جن الجنين في الرحم يجن جنا وأجنته الحامل سترته ومنه الجنون لاستتار عقله والجان لاستتاره عن أنظار الناس<sup>(۲)</sup>.

1.: حق الجنين في أبوين صالحين: بين القرآن الكريم، وكذا سنة رسوله الأمين على فرورة الاهتهام والتدقيق عند اختيار الزوج وكذا الزوجة، وبين الله تعالى أن الأسرة الصالحة تنشأ بين أبوين صالحين يتقيان الله تعالى بإقامة أوامره والانتهاء عن نواهيه، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا ﴾ (الكهف: ٨٢)، فجعل العلة صلاح الأب الذي هو عليه الكسب غالبًا، فعليه أن يطعم زوجته التي تحمل ولده حلالًا طيبًا، والله تعالى يقول: ﴿ قُل لَا يَسْتَوِى ٱلْخَيِيثُ وَالطَيْبُ وَلَو آعَجَبُكَ كَثَرَةُ ٱلْخَيِيثِ ۚ فَاتَقَوُا ٱللّهَ يَكَأُولِي ٱلْأَلْبَابِ لَعَلَكُمُ اللّه يَعْلَونِ اللّه يَعْلَدُونَ ﴿ وَلَا يَنْجَبُ وَلَو آعَجَبُكَ كَثَرَةُ ٱلْخَيِيثِ ۚ فَاتَقَوُا ٱللّهَ يَكَأُولِي ٱلْأَلْبَابِ لَعَلَكُمُ اللّهُ يَكُلُونِ اللّهُ اللّه يَعْلَدُونَ ﴿ وَلَا يَلْهُ مِنْ اللّهُ يَكُلُونُ اللّهُ وَلَو آعَجَبُكَ كَثَرَةُ الْخَيِيثِ وَالطيب الحلال، والحبيث إن كثر لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة، والطيب وإن قل نافع مفيد جميل العاقبة.

وقال تعالى: ﴿يَتَأَنُّهَا ٱلنَّاسُكُلُواْ مِمَا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (البقرة ١٦٨)، وقال رسول الله ﷺ: "إِذَا أَتَاكُم مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ قَالُوا يَا رَسُولَ الله وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَالَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ. . . "(").

فقد جعل لقبول الرجل زوجًا للمرأة شرطين (الدين والخلق)، والدين يشمل إقامة

<sup>(</sup>١) أبوداود في الأدب (٤/ ٤٨٨٠)، والإمام أحمد في مسنده (١٤/ ٤٢٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢ ٢٥٨)، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٢٣٤٠).

<sup>(</sup>٢) لسان العرب (١٣/ ٩٢ - ٩٣).

<sup>(</sup>٣) الترمذي (١٠٨٥، ١٠٨٤)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٨٦٨).

الصلاة والصوم وأداء الزكاة للقادر، والحج للمستطيع، ويدخل فيه جميع أنواع العبادات التي هي إمارات على قوة وحسن دين فاعلها، كالذهاب لصلاة الجهاعة والالتزام بالهدي النبوي الشريف، والأخلاق تجمع كل خصال الخير من بر الوالدين والإحسان للجار، وحسن أسلوب الكلام وأداء الأمانة، وحفظ العهد والصدق والعفة والصبر والحكمة.

٧- وضع الصوم عن أمه: قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (البقرة: ١٨٤). فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن الحبلى والمرضع إذا خافتا على أو لادهما أفطرتا وأطعمتا (١).

# ٣- وضع إقامة الحد عن أمه حال حمله وإرضاعه للحفاظ على حياته:

جاءت امرأة من غامد من الأزد، فقالت: يا رسول الله، طهرني، فقال: ويحك! ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه، فقالت: أراك تريد أن تردني كها رددت ماعز بن مالك، قال: وما ذاك؟ قالت: إنها حبلي من الزني، فقال: آنت؟ قالت: نعم، فقال لها: حتى تضعي ما في بطنك، قال: فكلفها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي على فقال: وضعت الغامديه، فقال: "إذا لا نرجها، ولا ندع ولدها صغيرًا ليس له من يرضعه "، فقام رجل من الأنصار، فقال: إلى رضاعه يا نبي الله، فرجها".

ك تحريم قتل الجنين وجعل دية لقتله: عن أبي هريرة هأن امرأتين من هذيل رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها، فقضى فيه النبي على بغرة عبد أو أمة "(").

۵ـ يصلي عليه الجنازة: قال ﷺ: الراكب خلف الجنازة والماشي حيث شاء منها والطفل يصلي عليه (٤).

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٢/ ٢٩١).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۱۲۹۵).

<sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري (٥٧٥٨)، ومسلم (١٦٨١).

<sup>(</sup>٤) أخرجه الترمذي (١٠٣١)، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٢٣).

فيصلي على الطفل وإن لم يستهل بعد أن يعلم أنه خلق(١).

آحق الجنين في الاستقرار النفسي لأمه: قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَنَ بِوَلِدَيْهِ حَمَلَتَهُ أَمُّهُ وَهُمْ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُر لِي وَلِوَلِدَيْكَ إِلَى ٱلْمَصِيرُ ﴿ القَهَانِ: ١٤)، تصف الآية الكريمة حالة الأم أثناء حملها مما يصيبها من أثر هذا الحمل من آثار تظهر على وجهها وصحتها وسائر أحوالها، فيصيبها ضعف في البدن نتيجة هذا الحمل، مع كونها لا تترك عمل بيتها وخدمة زوجها، فكان حقًا لهذه الأم من وافر البر والرعاية خاصةً من زوجها، ولهذا يقول الرسول ﷺ: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" (٢).

وهذه الخيرية تعم الزوجة والأولاد والأقارب، ويقول الرسول على: "خيركم خيركم للنساء"("). فتبين اختصاص الزوجة بخيرية خاصة تعم جميع أحوالها منذ بدء الزواج إلى ما شاء الله تعالى، وفي هدي رسول الله على خير بيان، حيث كان يلاطفهن قولًا وفعلًا، فيدخل نساء الأنصار للعب مع عائشة ويتتبع مكان شرابها إذا شربت، وكان يسابقها في السفر، وكان يريها وهي متكئة على فكيه لعب الحبشة في المسجد(").

ولهذا كان للحامل مزيد عناية واهتهام من زوجها، الاهتهام النفسي بحسن العبارة وجمال الأسلوب، والاهتهام بطعامها وغذائها بها ينبه عليه الأطباء. وفي حديث رسول الله عليه: "وإنك مهها أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك"(°)، دليل على وجوب الإنفاق على الأهل مع الثواب، وذلك بالاحتساب لوجه الله تعالى، وصدق نيته، ودفع مظنة عدم الأجر على الواجب(¹).

<sup>(</sup>۱) سنن الترمذي (۳/ ۳٤۱).

<sup>(</sup>٢) الترمذي (٣٨٩٥)، أبو داود (٢٥٣٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥).

<sup>(</sup>٣) المستدرك (٤/ ١٩١)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٦٢٧).

<sup>(</sup>٤) فيض القدير (٣/ ٤٩٥).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٢٧٤٣)، مسلم (١٦٢٨).

<sup>(</sup>٦) فتح الباري (٥/ ٤٣٢).

٧-إخراج الزكاة عن الجنين: ذهب كثير من أهل العلم إلى استحسان إخراج الزكاة عن الجنين، فقد كان عُثْمَانَ كَانَ يُحْرِجُهَا عَنْهُ، وَلِأَنْهَا صَدَقَةٌ عَمَّنْ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ، فَكَانَتْ مُسْتَحَبَّةٌ كَسَائِرِ صَدَقَاتِ التَّطَوُّع(١).

٨حق الجنين في الدية: قال الخرقي: وَدِيَةُ الجُنِينِ إِذَا سَقَطَ مِنْ الضَّرْبَةِ مَيِّتًا، وَكَانَ مِنْ حُرَّةٍ مُسْلِمَةٍ، غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوا مَةٌ ((). وفي الحديث عن أبي هريرة () أن رسول الله ﷺ "قَضَى عُرَّةٍ مُسْلِمَةٍ، غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوا مَتُكَاتًا؛ فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ؛ فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِي حَامِلٌ؛ فَقَتَلَتَا وَهُ مَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى بِحَجَرٍ فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِي حَامِلٌ؛ فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَضَى أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَو أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِيُ النَّرِ أَقِ الَّتِي غَرِمَتْ: كَيْفَ أَغْرَمُ يَا رَسُولَ الله مَنْ لا شَرِبَ وَلا أَكَلَ وَلا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ ؟ فَقَالَ النَّبِيُ ﷺ: إِنَّا هَذَا مِنْ إِخُوانِ الْكُهَّانِ" (").

وفيه من الفوائد: وجوب الدية في الجنين ''. وأطلق على الآدمي غرة لأنه أشرف الكائنات، فإن محل الغرة الوجه، والوجه أشرف الأعضاء ''. والغرة في الأصل البياض يكون في جبهة الفرس، وقد استعمل للآدمي في حديث الوضوء، وتطلق الغرة على الشيء النفيس آدميًا كان أو غيره، ذكرًا كان أو أنثى، ويقصد بها هنا: تحرير عبد أو أمة، كفارةً لإسقاطه، ومن هذا يؤخذ منزلة حق الجنين عند من كان كل شئ عنده بمقدار.

٩. حق الجنين في الميراث: وهذا مثال آخر لحفاظ الإسلام على حق الجنين، وهنا نرى حفظ حقه في الميراث، فيحفظ حقه في التركة على فرض كونه ذكرًا ثم على فرض كونه أنثى، ثم بعد وضع الأم جنينها بأخذ حقه من الميراث إذا كان ذكرًا، وكذلك إذا كانتا أنثيين، وفي حالة كونه أنثى ترد على الوراثة نصف ما كان قد اقتطع له، وفي حالة كون الحمل ذكرين، استرد حقه من

<sup>(</sup>١) المغنى لابن قدامة (٤/٣١٦).

<sup>(</sup>۲) المغنى (۱۲/ ۹۹).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٥٧٥٨)، مسلم (١٦٨١).

<sup>(</sup>٤) فتح الباري (٢٤٦/١٠).

<sup>(</sup>٥) فتح الباري (١٢/ ٢٦٠).

أنصبة ما أخذ باقي الورثة، ولهذا حرصت الشريعة على حفظ حق الجنين باعتبار أحسن الحالين، وفي حق من معه من الورثة أسوؤهما حتى لا ينفرط حقه ويتعثر.

وقال العلماء في الرجل يتوفى ووارثه حمل في البطن: يوقف له الميراث فيرث له حالة خروجه حيًا خروجه حيًا، وإن خرج ميتًا لا يرث، بل هو لباقي الورثة الأول، وفي حالة خروجه حيًا ثم مات يورث منه سواء استهل أم لم يستهل بعد أن وجد فيه أمارات الحياة من عطاس أو تنفس أو حركة دالة على الحياة سوى اختلاج الخارج من الضيق، وهذا قول الثوري والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي(). وذهب آخرون إلى أنه لا يورث منه ما لم يستهل وهو قول محمد بن سيرين وغيره، وبه قال الزهري ومالك، قال الزهري: أرى العطاس استهلالًا، واحتجوا بها روي عن أبي هريرة على عن النبي على قال: (إذا استهل المولود ورث)(). والاستهلال هو رفع الصوت، والمراد عند الآخرين وجود أمارة الحياة، وعبر عنها بالاستهلال، لأنه يستهل حالة الانفصال في الأغلب، وبه تعرف حياته، وانظر كلام الفقهاء في هذه المسألة، لأن المقصود هنا هو الإشارة فقط.

قال ابن كثير: يقول تعالى: قد خسر الذين فعلوا هذه الأفعال في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فخسروا أولادهم بقتلهم، وضيقوا عليهم في أموالهم، فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، وأما في الآخرة فيصيرون إلى شر المنازل بكذبهم على الله وافترائهم، كما

<sup>(</sup>١) مستفاد من شرح السنة للبغوي (٨/ ٣٦٨).

<sup>(</sup>٢) أبو داود (٢٩٢٠)، ابن ماجه (١٥٠٨)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٠٥٠).

قال تعالى: ﴿ قُلَ إِنَ ٱلنَّيْنَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللّهِ ٱلْكَذِبَ لاَ يُقْلِحُونَ ﴾ ((). ويقول جل شأنه: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَيْرِ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَدِهِمْ شُرَكَ ٱوُهُمْ لَا يَكُرَدُوهُمْ وَلَمَا يَفْتَرُونَ هُمْ وَلَا يَقْتَرُونَ ﴾ (المُنعام ١٣٧)، وتشير الآيات الكريهات إلى نظامهم الفاسد الباطل من وأد البنات، هذه الصفة السيئة التي اشتهرت غالبًا في قبيلتي ربيعة ومضر، وهما جمهرة العرب، وليس كلّ الآباء من هاتين القبيلتين يفعله ((). قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْمُ, دَهُ سُهِلَتَ ﴿ يَأْيَ ذَنْ ِ قُبِلَتَ اللّهِ هذه الخصلة السيئة إحدى حوادث وأهوال يوم القيامة، والوأد: دفن الطفلة، وقيل: كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة؛ فإذا ولدت بنتًا رمت بها في الحفرة، وإن ولدت ابنًا حبسته (()). فحرم الإسلام هذا الفعل الخبيث، وصحح المعتقدات حفاظً على حياة المرأة والبنت.

#### ١٦\_حق الجسد

إن الإسلام في حاجة إلى كيان سليم قوي، وإن رسالته هي رسالة القوة في الحق، والقوة في البناء، والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، قال الله هي أيّ وَأَعِدُوا لَهُم مّا استَطَعْتُم مِن قُوّةٍ البناء، والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء، قال الله من المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الأنفال: ٦٠). وفي الحديث الصحيح المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف الشه، ولهذا اهتم الإسلام بحقوق البدن فحث على ما ينفعه ونهى عما يضره عن عبد الله بن عمرو بن العاص: "قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا الله عليك حقًا وإن لزورك عليك حقًا وإن لزوجك عليك حقًا "(٥).

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٨).

<sup>(</sup>٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٤٥).

<sup>(</sup>٣) الكشاف (٤/ ١٨٨).

<sup>(</sup>٤) مسلم (٢٦٦٤).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٦١٣٤).

<sup>(</sup>٦) موسوعة الحقوق الإسلامية تأليف/سعد يوسف أبو عزيز صـ ٢٨٤.

# ونبين حرص الإسلام على هذا الحق من خلال النقاط الآتية:

1. الاستنجاء وآداب قضاء العاجة: فلقد أوجب الإسلام الاستنجاء لكل خارج من السبيلين (القُبل والدُبر) إلا من الريح. فعن أنس ها قال: كان النبي السلم فإنه لا يستنجى أنا وغلام نحوي إداوة من ماء وعنزة، فيستنجي بالماء. (أوإذا استنجى المسلم فإنه لا يستنجى بيمينه، لحديث أبي قتادة ها قال: قال رسول الله الله الله على أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه، ولا يتنفس في الإناء". (أوعن سلمان القبلة بغائط أو بول، رجل: إن صاحبكم ليعلمكم حتى الخراءة قال: أجل، نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وأن نستنجي بأيهاننا، أو نكتفي بأقل من ثلاثة أحجار". (أومن آداب الاستنجاء أيضًا أن ينظف يده بعد الاستنجاء إما أن يغسلها بالصابون أو أن يدلكها بالأرض إن لم يجد فعن أبي هريرة القران "كان النبي الله إذا أتى الخلاء أتيته بهاء في تور أو ركوة، فاستنجى ثم مسح يده على الأرض". (أا

وهذا الأمر فيه كثير من الفوائد الصحية والوقائية. (°)

ولقد أثبتت الأبحاث العلمية في جامعة رستوك بألمانيا الشرقية أن بعض المواد المضادة للميكروبات، وخاصة التي تحتمي في المواد الدهنية، موجودة في السواك وقد أثبت الطب

<sup>(</sup>١) البخاري (١٥٢)، مسلم (٢٧١).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۲۷).

<sup>(</sup>Y) مسلم (Y7Y).

<sup>(</sup>٤) أبو داود (٤٥)، أحمد (٣/ ٣١١)، وحسنه الألباني في صحيح أبو داود (٣٥).

<sup>(</sup>٥) موسوعة الحقوق (٢٨٦).

<sup>(</sup>٦) مسلم (٢٥٢).

الحديث أن السواك يحتوي على مادة قاتلة للميكروبات تفوق البنسلين في مفعولها. (١)

٣- الوضوء: والأحاديث في فضله كثيرة ومتنوعة فمنها ما ورد في حديث أبي مالك الأشعري الله قال: قال رسول الله على الطهور شطر الإيمان. . . "(٢)، والوضوء إلى جانب تطهيره للذنوب والسيئات فهو أيضًا يقي الإنسان المسلم المتوضئ من الأمراض (فالوضوء بالماء الجاري على بساطته خمس مرات في اليوم كفيل بتطهير الجسم، وإزالة ما علق به من ميكروبات، وقد أثبتت التقارير الطبية لمنظمة الصحة العالمية في بنجلاديش عام ١٩٧٤م أن الاغتسال بالماء الجاري في حالات الوباء يزيل ٩٠٪ من الميكروبات العالقة بالجسم). (٣)

2- النظافة العامة في الثوب والبدن والمكان: إن الدين الإسلامي يحض المسلم على النظافة العامة في كل أمور حياته فمنها نظافة الشعر فعن جابر بن عبد الله هافال: أتانا رسول الله في فرأى رجلًا شعثًا قد تفرق شعره فقال: "أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره? " ورأى رجلًا آخر وعليه ثياب وسخه فقال: "أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه"(أ)، وكذلك يأمر النبي في بجانب ما تقدم بقص الشارب، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط. . . ، فيقول في "عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء "قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة (أ)، ففي قص الأظافر عناية بالصحة البدنية فهي مكان تجمع الأوساخ واليد هي التي يأكل بها الإنسان فهاذا عساه يكون حاله إذ أكل بيد أظافرها تجمعت بها الأوساخ، وكذا قص الشارب فإنه

<sup>(</sup>١) موسوعة الحقوق (٢٨٧) نقلًا عن مجلة الدعوة.

<sup>(</sup>Y) amba (YYY).

<sup>(</sup>٣) موسوعة الحقوق (٢٨٨) وقد نقل هذا التقرير عن جريدة الأهرام القاهرية العدد ٣٣١٣٨ في ٢/ ٩/ ١٩٧٧م.

<sup>(</sup>٤) أبو داود (٢٢٠٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٣).

<sup>(</sup>٥) مسلم (٢٦١).

تتجمع فيه بقايا الطعام وتتكون فيه الميكروبات، وفي حلق العانة حكمة عظيمة فتركها يسبب حكة في الجلد. . . مما يولد بعض الأمراض الجلدية.

وفي إعفاء اللحية حكمة عظيمة أيضًا. . . فهي بالإضافة إلى أنها تورث المسلم جلالًا ووقارًا وهيبة وجمالًا إلا أن لها فوائد أخرى منها:

١-أن إمرار آلة الحلق على الذقن والخدين يضر بالبصر.

٢-أن اللحية تمنع الجراثيم الضارة، وتمنعها من الوصول إلى ظاهر الحلق والصدر.

٣-تحمى لثة الإنسان من العوارض الطبيعية فهي لها وقاء منها.

٤-أن هذا الشعر تجري فيه مفرزات دهنية من الجسد يلين بها الجلد ويبقى نضرًا فيه حيوية الحياة وطراوتها.

٥-إن اللحية والمادة المنوية، بينهما ارتباط باطني، فالرجولية تقوى بإعفاء اللحية، قال بعض الأطباء: لو اعتاد الناس حلق اللحية نسلًا بعد نسل ينتج من ذلك أن يولد الرجال في النسل الثامن من غير لحية، فالرجولية تقل شيئًا فشيئًا، ويظهر أثر ذلك بعد هذه المدة... (١).

٥-الأمر بالفرار من المجذوم: ولقد أمر الإسلام بالتحرز والوقاية من الأمراض المعدية. . . . ففي الصحيحين عن أبي هريرة شه قال: " قال رسول الله على الصحيحين عن أبي هريرة معمو قال: " قال رسول الله على المصح "(٢)، وأيضًا ورد عن عمرو بن الشريد عن أبيه شه قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي على " إنا قد بايعناك فارجع "(٦)، وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة شه، عن النبي على أنه قال: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد "(١)، وكل هذا الذي أرشدنا إليه النبي على هو ما يسمى في لغة العصر الحديث (بالحجر الصحى)، ويقوم مفهوم الحجر الصحى وماهيته، على منع انتقال الداء من المريض

<sup>(</sup>١) موسوعة الحقوق الإسلامية صـ ٢٩١، ٢٩١.

<sup>(</sup>٢) البخاري (٧٧١).

<sup>(</sup>٣) مسلم (٢٢٣١).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٥٧٠٧).

إلى السليم، أو بمعنى آخر، حصر المرض المراد عدم انتقاله في منطقة معينة حتى يسهل القضاء عليه، قبل انتشاره إلى المناطق المجاورة للبيئة الموبوءة،...، والنبي على لم ينكر انتقال المرض عن طريق العدوى إلى الإنسان السليم، بل نصح عليه الصلاة والسلام أمته بأن تتجنب المناطق التي تتفشى فيها الأمراض المعدية، ولم يكتف على بذلك، بل فرض على مثل هذه المناطق حظر انتقال أفرادها إلى جهات أخرى منعًا من انتشار وتفشي الوباء، وهذا ما يشير إليه الحديث النبوي، وهو قوله على "إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"(١٠٠٠)

7- الأمر بغسل نجاسة الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب: وثبت هذا الأمر عن النبي على بقوله "إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات وعفروه الثامنة في التراب "")، والمراد اغسلوه سبعًا واحدة منهن بالتراب مع الماء، فكأن التراب قائم مقام غسله فسميت ثامنة لهذا. والله أعلم.

ولقد أثبت العلم الحديث أن الآنية التي يردها الكلاب تنقل مرض الكلب (الريبس) الخطير وعدة أمراض طفيلية أخرى، والحكمة في الغسل سبع مرات أولاها بالتراب أن فيروس الكلب دقيق متناه في الصغر، وكلما صغر حجم الميكروب كلما ازدادت فعالية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل، ودور التراب هو امتزاز الميكروب منه على سطح دقائقه. (3)

٧- غسل اليدين قبل الطعام: فعن عائشة في أن رسول الله و كان إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ، وإذا أراد أن يأكل غسل يده. (٥)

<sup>(</sup>١) البخاري (٥٧٢٨).

<sup>(</sup>٢) الإعجاز الطبي في الكتاب والسنة، تأليف / حسن ياسين عبد القادر صـ٥٥.

<sup>(</sup>۳) مسلم (۲۸۰).

<sup>(</sup>٤) كشاف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة صـ٥٦ جمع / نبيل عبد السلام هارون.

<sup>(</sup>٥) أحمد (٦/ ١٩)، والنسائي (١/ ١٣٩)، وصححه الألباني في الصحيحة ٣٩٠.

٨- غسل اليدين والمضمضة بعد الطعام: ويستحب غسل اليد بعد الطعام لا سيما قبل النوم اتقاءً للضرر وحفاظًا على الصحة. فعن أبي هريرة عن النبي على قال: " من نام وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه". (١)

٩. تقليل الطعام والشراب: قال ﴿ وَكُولُ وَاشْرَبُواْ وَلا شُمْرِفُواْ إِنَّهُ لا يُحِبُ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١)، وعن المقدام بن معدي كرب ﴿ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما ملأ آدمي شرًا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لنفسه ". (٢)

10 — النهي عن الشرب من في السقاء، ومن ثلمة القدح والشرب ثلاثا وعدم التنفس في الإناء: وعن أبي سعيد الله عن الشرب من ثلمة القدح، وأن ينفخ في الشراب ". (")

وعن ابن عباس و قال: "نهى رسول الله و أن يتنفس في الإناء، أو ينفخ فيه "(<sup>1)</sup>، وفي هذا النهي من الحكم الكثيرة. . . فقد يكون الشارب مريضًا بمرض معدي فتنتقل العدوة إلى غيره، وكذا كان من سنته و أنه يتنفس في الشراب ثلاثًا ويقول: إنه أروى وأبر

<sup>(</sup>١) أحمد (٢/٣٢٣)، أبو داود (٣٨٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٦٤).

<sup>(</sup>٢) الترمذي (٢٣٨٠) وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني، صحيح الجامع (٦٧٤).

<sup>(</sup>٣) أحمد (٣/ ٨٠)، وأبو داود (٣٧٢٢)، وقال الألباني صحيح (صحيح الجامع ٦٨٨٨).

<sup>(</sup>٤) أحمد (١/ ٢٢٠)، وأبو داود (٣٧٢٨)، الترمذي (١٨٨٨)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٩٧٧).

أو أمرأ، قال أنس: فأنا أتنفس في الشراب ثلاثًا. ". (١)

11. النهي عن وطء الحائض: قال الله على: ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ فَلَ هُو أَذَى اللهُ عَلَيْ عَن حكم إِنَّ اللهُ يُعِبُّ ٱللهُ عَلَيْ عَن حكم الحيض فقال: "اصنعوا كل شيء إلا النكاح". (")

وإنها كان القوم سألوا رسول الله على فيها ذكر لنا عن الحيض، لأنهم كانوا قبل بيان الله لهم ما يتبينون من أمره، لا يساكنون حائضًا في بيت، ولا يؤاكلونهن في إناء، ولا يشاربونهن، فعرفهم الله بهذه الآية أن الذي عليهم في أيام حيض نساءهم أن يجتنبوا جماعهن فقط دون ما عدا ذلك من مضاجعتهن، ومواكلتهن ومشاربتهن. (٣)

ولقد أثبت الطب الحديث بعد المئات من السنين الآفات والأمراض التي تحصل بسبب الاتصال بالمرأة الحائض، فمنها ما يلي:

- ١ التهاب الأعضاء التناسلية للمرأة كالمهبل والرحم، وما يصعب ذلك من ارتفاع
   درجة الحرارة، وترشحات مرضية ذات رائحة كريهة.
  - ٢- تحرش المهبل والإصابة بالرضوض والسحجات.
  - ٣- وصول الالتهاب في بعض الحالات إلى ملحقات الرحم.
  - ٤- آلام في منطقة الثديين، وعدم حصول الانسجام عند المداعبة.
  - ٥- ردود فعل عصبية تؤدي إلى انقطاع شديد للمحيض مع آلام شديدة.
  - ٦- اضطراب حالة المرأة النفسية يؤدي إلى تصرفات غير طبيعية في البيت والمجتمع.
    - ٧- زيادة كمية النزف الدموى المرافق للحيض يصحبه ضعف عام لدى المرأة.

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۰۲۸).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۳۰۲).

<sup>(</sup>٣) تفسير الطبرى (٢/ ٣٩٢).

٨- التهاب الأعضاء التناسلية في الرجل يشمل لشدته المثانة والمجاري البولية والمروستاتا. (١)

11. تعريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير: وقد جمع الله تعالى تحريم ذلك كله في قوله و إِنّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ (البقرة: ١٧٣). ومعنى الميتة هو الحيوان الذي يموت حتف أنفه وقبل تذكيته، والمراد بالدم الدم المسفوح ولحم الخنزير سواء ذكى أو مات حتف أنفه، ويدخل شحمه في حكم لحمه. (ا ويأتي الطب الحديث ليكشف لنا عها أوضحه القرآن الكريم فنجد أن الخنزير يصاب بأنواع من الديدان منها: دودة التنيا، والدودة الشريطية، وهذه الدودة الشريطية لا يقتصر وجودها على أمعاء الإنسان بل تكمل دورتها في جسم نفس الشخص المريض وفي جسم أي إنسان آخر، إذ تخرج الأجنة اليرقات من البيض، وتخترق جدار الأمعاء إلى الدورة الدموية، وتتوزع على الأجهزة الحيوية للجسم حيث تتحوصل اليرقة في غلاف سميك الجدار، وقد تصل إلى حجم حبة الفول (٢سم تقريبًا) مما يزيد خطورتها أنها تفصل التحوصل في الجهاز العصبي. (ا

وقد يعترض المدافعون عن أكل لحم الخنزير بقولهم: إن وسائل الطهو الحديثة والجيدة التي تمتاز بالحرارة المرتفعة، قادرة على قتل الدودة الشريطية، وحينئذ فلا وجه للتحريم، ولكن الطب الحديث الذي يقدسونه، يرد عليهم بالحجج والقواطع العلمية والطبية التالية:

١ - الوقاية المضمونة من الإصابة لهذه الدودة هي في عدم أكل لحم الخنزير.

٢-أن الأمراض العضوية التي تنتج عن أكل لحم الخنزير هي كالآتي:

أ-الدودة الشريطية تسبب اضطرابات مختلفة في الجهاز الهضمي مع ضعف عام

<sup>(</sup>١) الإعجاز الطبي في الكتاب والسنة. حسن ياسين عبد القادر (٧٨-٧٩).

<sup>(</sup>٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٤٨).

<sup>(</sup>٣) الإعجاز الطبي في الكتاب والسنة ص٥٥، نقلًا عن كتاب الطب الوقائي في الإسلام تأليف/ أحمد شوقي الفنجري.

ونحول واصفرار الوجه. (١)

ب - يحتوي لحم الخنزير على ٢٨.١ ٪ من الدهون في حين أن لحم البقر يحتوي على ٤. ٥ ٪ من الدهون، لذلك يكون لحم الخنزير أعسر هضمًا ويؤثر على الأمعاء.

ج- يحتوي لحم الخنزير على كمية كبيرة من حامض البوليك، خلافًا لسائر الحيوانات، فكل الحيوانات تستطيع أن تفرز ٩٠٪ من هذه المادة بمساعدة الكليتين، إلا أن الخنزير لا يتمكن من إفراز أكثر من ٢٪.

د-يسبب أكل لحم الخنزير، التهاب السحايا، والمخ نتيجة الإصابة بالميكروب السبحي الكثير الشيوع في لحم الخنزير.

هـ -يسبب أكل لحم الخنزير العديد من الأمراض النفسية منها: موت النخوة، وعدم الغيرة على أهله، ولما كان الخنزير من الحيوانات آكلات اللحوم، فهو أكثر عنفًا، وشراسة من الغنم والبقر وتنتقل هذه الصفات إلى أكل لحم الخنزير. (٢)

17. تعريم شرب الخمر والمخدرات: قال ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَنْتُرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنْصَابُ وَٱلْأَرْلَامُ رِجْسُ مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطُنِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَمَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠). وقال ﷺ: "كل مسكر خمر، وكل خمر حرام". (")

ولقد أعلن الإسلام الحرب على شاربي الخمر ومن عاونهم: فعن ابن عمر وين قال: قال رسول الله على: "لعن الله الخمر وشاربها وساقيها، وبايعها، ومبتاعها وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه". (4)

ومما قاله الطب الحديث بشأن الخمر وخطورتها على صحة الإنسان أن التجارب أثبتت

<sup>(</sup>١) المصدر السابق (٥٦).

<sup>(</sup>٢) لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع راجع كتاب "انعكاسات لحم الخنزير على الصحة "لمؤلفه / هايتس هاينرش ركفاق، ومجلة الإعجاز العلمي العدد الثالث. راجع: تفصيل ذلك في شبهة تحريم لحم الخنزير (٣) مسلم (٢٠٠٣).

<sup>(</sup>٤) أبوداود (٣٦٧٤)، وأحمد (٢/ ٢٥)، وغيرهما، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٣٩).

أن أكثر خلايا الجسم تأثرًا بالكحول هي بالدرجة الأولى الملايين العديدة من الخلايا العصبية في قشرة الدماغ وجذعه وبالدرجة الثانية الخلايا العصبية في النخاع الشوكي. (۱) وكما حرم الإسلام الخمر وحرم التداوي بها. . . فقد حرم كل المخدرات والمفترات، فعن أم سلمة والمنتخفين قالت: "نهى رسول الله على عن كل مسكر ومفتر "(۱)

ويدخل في المخدرات الحشيش والأفيون والماريجوانا والقات وغير ذلك من سائر المخدرات، وعلة التحريم هو مشاركتها الخمر في الإضرار بالجسم وإن اختلف التأثير، ويدخل التدخين في التحريم لثبوت ضرره على النفس والمال. . . فالتدخين من وسائل الإدمان، لأن شركات التبغ العالمية تربي المدخنين قبل سن العشرين، بحيث يصعب عليهم الإقلاع عن التدخين، كما تقوم بزيادة نسبة النيكوتين المخدر في السجائر مما يدفع إلى إدمانها. (")

18- الأمر بإطفاء النار أثناء النوم: وهذا أيضًا من حرص الإسلام على حياة الإنسان وصحته. فعن جابر بن عبد الله وسلام على عبد الله وسلام على عبد الله والمناو الأبواب، وأطفئوا المصابيح فإن الفويسقة ربا جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت ". (1)

10. تعريم الزفا: لقد حرم الله الزنا وسد الذرائع المؤدية إليه بالدعوة إلى الاحتشام ومنع الفتنة بالتزين المفرط أو بالتعطر، فقال ﴿ وَلَا نَقْرَبُوا الزِّنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةَ وَسَآ اسَبِيلًا الفتنة بالتزين المفرط أو بالتعطر، فقال ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَحِثَى مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الإسراء: ٣٢). وقال ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَحِثَى مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأنعام: ١٥١)، وأثنى الله تعالى على الحافظين فروجهم والحافظات فقال ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ الْفَاوَحِهِمُ أَوْ مَا مَلَكَتَ أَيْمَنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ الْعَادُونَ ﴿ وَالْمَونِ ٥ : ٧). وعن أبي هريرة ﴿ قال: قال

<sup>(</sup>١) الإعجاز الطبي في الكتاب والسنة (٦١) نقلًا عن مصدر وسيط.

<sup>(</sup>٢) أحمد (٦/ ٣٠٩)، وأبو داود (٣٦٨٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٧٣٢).

<sup>(</sup>٣) موسوعة الحقوق الإسلامية (٨٠٣-٣١٠)، راجع: شبهة تحريم الخمر.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٦٢٩٥).

رسول الله على: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر". (١) وفي حديث سمرة بن جندب في في حديث الرؤيا الطويل أن النبي على قال: "فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: أحسب أنه يقول: فإذا فيه لغط وأصوات قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قال: قلت لهما ما هؤلاء،...، ثم قالا له: وأما الرجال والنساء العراة الذي في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني ". (١)

هذا وقد كشف العلم الحديث عن بعض أضرار الزنا الصحية فمنها:

١\_ السيلان: وسببه الميكروبات البنية اللون التي يصاب بها الإنسان، نتيجة العلاقات الجنسية، غير الشرعية واتصاله بالنساء المريضات والعكس.

٢- السفلس: وهو من الأمراض الزهرية الخطرة يسببه ميكروب اللولبية الشاحبة
 ويصاب به الإنسان أثناء العلاقات الجنسية السرية مع الفاحشات أو عند اللواط. (٣)

17. الحث على التداوي: كان من هدي النبي على " فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، فعن أسامة بن شريك، قال: شهدت الأعراب يسألون النبي على أعلينا حرج في كذا؟ أعلينا حرج في كذا؟ فقال لهم عباد الله، وضع الله الحرج، إلا من اقترض من عرض أخيه شيئًا فذاك الذي حرج. فقالوا: يا رسول الله هل علينا جناح أن لا نتداوى؟ قال: تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داءً إلا وضع معه شفاءً، إلا الهرم. قالوا: يا رسول: ما خير ما أعطى العبد؟ قال: خلق حسن. (1)

(والأمر بالتداوي لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه رفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۷۲).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٧٠٤٧).

<sup>(</sup>٣) الإعجاز الطبي في الكتاب والسنة، تأليف / حسن ياسين عبد القادر صـ ٧٤.

<sup>(</sup>٤) ابن ماجه في السنن (٣٤٣٦)، البخاري في الأدب المفرد (٢٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٣٣).

قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة). (١)

ولكن ينبغي أن يعلم أيضًا أن التداوي نوعان: تداوي مادي وتداوي روحي وهو التداوي بالقرآن والأدعية المأثورة عن النبي على قال على: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَشِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء: ٨٢). وكان النبي على يدعو للمريض فيقول: "أذهب البأس، رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا ". (٢)

## 17\_ حق المريض

ا حقه في التداوي: عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ بن عبد الله هُعَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ الله ﷺ ""، فهذا يوضح ثبوت الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها.

والْأَمْرُ بِالتّدَاوِي لَا يُنَافِي التّوكّلَ كَمَا لَا يُنَافِيهِ دَفْعُ دَاءِ الْجُوْعِ وَالْعَطَشِ وَالْحَرّ وَالْبَرْهِ بِأَضْدَاهِهَا بَلْ لَا تَتِمّ حَقِيقَةُ التّوْحِيدِ إلّا بِمُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ الّتِي نَصَبَهَا الله مُفْتَضَيَاتٍ لِمَسَبَّاتِهَا قَدَرًا وَشَرْعًا وَأَنّ تَعْطِيلَهَا يَقْدَحُ فِي نَفْسِ التّوكّلِ كَمَا يَقْدَحُ فِي الْأَمْرِ وَالْحِكْمَةِ (''). لِمُسَبَّاتِهَا قَدَرًا وَشَرْعًا وَأَنّ تَعْطِيلَهَا يَقْدَحُ فِي نَفْسِ التّوكّلِ كَمَا يَقْدَحُ فِي الْأَمْرِ وَالْحِكْمَةِ (''). وله الحق في التداوي، ولو بشيء محرم اضطرارًا، عَنْ أَنسٍ قَالَ: رَخَّصَ النَّبِيُّ ﷺ لِلزُّبَيْرِ وَعَالِمُ لِلزُّبَيْرِ وَعَالَمُ عَلَيْهُ لِلزُّبَيْرِ وَعَالَمُ لَا لَهُ مَنْ فَي لُبْسِ الْحَرِيرِ لِحِكَّةٍ كانت بِهَا ('').

٢- حقه في العيادة: قال البراء: أمَرَنَا النَّبِيُّ عَلَيْةٍ بِاتِّبَاعِ الْجُنَائِزِ وَعِيَادَةِ المُرِيضِ(١).

وعن أبي هريرة الله مرفوعًا: حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتُّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا

<sup>(</sup>١) زاد المعاد (٤/ ١٢).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٥٧٥)، مسلم (٤٨).

<sup>(</sup>٣) مسلم (٤٠٢٢).

<sup>(</sup>٤) زاد المعاد (٤/ ١٦: ١٣).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٢٧٦٤)، مسلم (٢٠٧٦).

<sup>(</sup>٦) البخاري (١١٨٢)، مسلم (٢٠٦٦).

مَاتَ فَاتَّبِعْهُ (١).

وعن علي أن النبي على قال: مَا مِنْ مُسْلِم يَعُودُ مُسْلِمًا غُدُوةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجُنَّةِ (٢). لَهُ خَرِيفٌ فِي الجُنَّةِ (٢).

٣. حقه في المجاملة: يسأل العائد عن حال المريض، وينفس له في الأجل يعطيه الأمل في أنه سيشفى ويطول عمره بها يطيب نفسه إدخالًا للسرور عليه، ويرغبه في التوبة والوصية لحديث: "مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِم لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ"(")

ولا يطيل العائد الجلوس خوفًا من الضجر، وتكره العيادة وسط النهار، ويعاد بكرةً وعشيًا أنَّ، ويرقيه ويدعو له بالصلاح، فعن عائشة قالت: كان النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: اللهمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبْ الْبَاسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاةً لَا يُغَادِرُ سَقَهًا (°).

2 حقه في تخفيف بعض العبادات حسب مرضه: حقه في تخفيف أحكام الطهارة، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنكُم مَرْ هَنَى آوَ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ (النساء: ٤٣)، وعن عمرو بن العاص أنه لما خاف أن يهلك من شدة البرد تيمم، ولم يأمره على بغسل ولا إعادة (١٠). وحقه في تخفيف الصلاة إذا عجز المريض عن القيام سقط عنه وصلى قاعدًا، وإذا تيسر له يركع ويسجد إن استطاع، فإن لم يستطع الركوع والسجود أو السجود فقط أوماً إيهاءً برأسه، وجعل إيهائه للسجود أخفض من ركوعه تفرقةً بينها. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله هُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله عَلَيْهِ

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۲۲۲).

<sup>(</sup>٢) الترمذي (٩٦٩)، أبو داود (٣٠٩٨)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٠٧٠).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٢٥٨٧)، مسلم (١٦٢٧).

<sup>(</sup>٤) الفقه الإسلامي (٢/ ٤٥٠).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٥٧٥٠)، مسلم (٢١٩١).

<sup>(</sup>٦) أبوداود (٣٣٤)، المستدرك (١/ ٢٨٥)، سنن الدار قطني (١٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٣).

عَادَ مَرِيضًا، فَرَآهُ يُصَلِّى عَلَى وِسَادَةٍ، فَأَخَذَهَا فَرَمَى بِهَا، فَأَخَذَ عُودًا لَيُصَلِّى عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ فَرَمَى بِهِ وَقَالَ: " صَلِّ عَلَى الأَرْضِ إِنِ اسْتَطَعْت، وَإِلاَّ فَأَوْمِئ إِيهَاءً، وَاجْعَلْ سُجُودَكَ فَرَمَى بِهِ وَقَالَ: " صَلِّ عَلَى الأَرْضِ إِنِ اسْتَطَعْت، وَإِلاَّ فَأَوْمِئ إِيهَاءً، وَاجْعَلْ سُجُودَكَ أَخْفَضَ مِنْ رُكُوعِكَ "('). فإن لم يستطع القعود استلقى على ظهره وجعل رجليه إلى القبلة وأومأ جاز، والكيفية وأومأ بالركوع والسجود، وإن استلقى على جنبه ووجهه إلى القبلة وأومأ جاز، والكيفية أو الهيئة الأولى أولى، فإن لم يستطع الإيهاء برأسه أخر الصلاة، ولا يومئ بعينه ولا بقلبه ولا بحاجبيه، لأنه لا عبرة له، ولا تسقط عنه الصلاة ويجب عليه القضاء. ('')

۵ حقه في تغفيف الصوم: قال تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعَدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مّرِيضًا أَوْعَلَى سَفَرٍ فَعِدَةً مّن أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة: ١٨٤)، قوله تعالى: " مريضا " للمريض حالتان: إحداهما: ألا يطيق الصوم بحال، فعليه الفطر واجبا. الثانية: أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة، فهذا يستحب له الفطر ولا يصوم إلا جاهل (أ). فإن تمادى به المرض فلم يصح حتى جاء رمضان آخر، فيطعم مكان كل يوم مسكينا مدًا من حنطة، ثم ليس عليه قضاء، وإذا أفطر في رمضان لعلة فهات من علته فلا شئ عليه (أ).

وقوله تعالى: ﴿فَنَكَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ ۚ أَذَى مِن رَأْسِهِ وَفَدْ يَةٌ مِن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكِ ﴾ (البقرة: ١٩٦)، أجمع أهل العلم على أن المحرم ممنوع من حلق شعره وجزه وإتلافه بحلق أو نورة أو غير ذلك إلا في حالة العلة كها نص على ذلك القرآن. وأجمعوا على وجوب الفدية على من حلق وهو محرم بغير علة (٥).

٣-حقه في رفع الجهاد: قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى

<sup>(</sup>١) سنن البيهقي الكبرى (٣٤٨٤)، (٣٤٨٥)، وصححه الألباني في تمام المنة ١/ ٣١٤.

<sup>(</sup>٢) الفقه الإسلامي (١/ ٦٣٩، ٦٣٨).

<sup>(</sup>٣) تفسير القرطبي (٨/ ٦٨٤٧).

<sup>(</sup>٤) تفسير القرطبي (١/ ٦٥٣).

<sup>(</sup>٥) تفسير القرطبي (١/ ٧٠٨).

ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ (الفتح ١٧)، أي: لا إثم عليهم في التخلف عن الجهاد لعماهم وزمانتهم وضعفهم ('). وله الحق أن يضع السلاح أثناء الحرب، قال تعالى: ﴿أَوْ كُنتُم مَّرْضَيَ أَن يَضَعُوا أَسَلِحَتَكُمُ وَخُذُوا حِذْرَكُم ۚ إِنَّ ٱللّهَ أَعَدَّ لِلْكَيْفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿ (النساء ٢٠١)، رخص في المطر وضع السلاح لمشقة حمله ورخص في وضعه في المرض (').

#### ١٨\_ حق اللسان

اللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير حجمه، عظيم طاعته وجرمه فمن أطلق للسانه العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان. . . ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع. (٣)

وفيما يلي نبين بإذن الله تعالى بعض حقوق اللسان:

أولًا: عظم خطر اللسان، وفضيلة الصمت: قال على: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت "(1)، وقال على لعقبة بن عامر لما سأله عن النجاة فقال: " أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ". (0)

**ثَانيًا: آفات اللسان:** للسان آفات وأمراض وعلل كثيرة وكلها تودي بالإنسان في المهالك فمنها:

1- الكلام فيما لا يعنيه: قال على "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". (١) فعلى العاقل أن يستغل وقته فيها يعنيه ولا ينفقه ويضيعه فيها لا يعنيه، فكم من كلمة يبنى بها قصرٌ في الجنة.

<sup>(</sup>١) تفسير القرطبي (٧/ ٦٠٩٣).

<sup>(</sup>٢) القرطبي (٣/ ١٩٤٣).

<sup>(</sup>٣) موسوعة الحقوق الإسلامية (٣٩٥).

<sup>(</sup>٤) البخاري (۲۰۱۸)، مسلم (۷٤).

<sup>(</sup>٥) الترمذي (٢٤٠٦) عن عقبة بن عامر، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢٧٤١): صحيح لغيره.

<sup>(</sup>٦) الترمذي (٢٣١٧)، ابن ماجه (٣٩٧٦)، وغيرهما عن أبي هريرة ١٠ وصححه الألباني

<sup>(</sup>الجامع الصغير وزيادته ١٠٨٥٤).

٢- فضول الكلام: قال ﷺ: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرِ مِن نَجُولُهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُونِ أَوْ إِصْلَامٍ: قال ﷺ: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ آبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُوْلِيهِ أَجُرًا عَظِيمًا 
 (النساء: ١١٤).

وقال عطاء بن أبي رباح: إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله وسنة رسوله على . أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر، أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد منها، أتذكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين عن اليمين وعن الشهال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

٣- المراء والجدال: قال النبي ﷺ: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان عقاً.. ". (١)

والمراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ، وإما في المعنى. والجدال هو: قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه.

2 الخصومة: قال رسول الله علي "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ". (٢)

فاللسان هو سبب الخصومة، والخصومة توغر الصدر، وتهيج الغضب وتورث العداوة، وتشوش الخاطر، ومنها ينشأ الحقد والغل والحسد وهي مبدأ كل شر. . . فهي سبب الغيبة والنميمة، وتلمس العثرات. . . وقطع الأرحام، وسفك الدماء.

۵ التشدق في الكلام، وتكلف الفصاحة: قال على البغضكم إلى وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون، والمتشدقون؛ فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون ". (") فهذا من التصنع المذموم.

<sup>(</sup>١) أبوداود (٤٨٠٠) عن أبي أمامه ١٠٠٥ وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٧٣).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢٤٥٧)، مسلم (٥) عن عائشة رضي الله عنها.

<sup>(</sup>٣) الترمذي (١٨ • ٢) عن جابر، وحسنه الألباني (الجامع الصغير وزيادته ٣٩٦٤).

7- الفحش، والسب، وبذاءة اللسان: والفحش: هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصم يحة.

ولم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا. (١)

وقال: " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر".(٢)

ومن أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه قالوا: يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: "يسب الرجل فيسب أباه ". (٣)

٧- اللعن: إما لعن الحيوان أو الجماد أو الإنسان وكل ذلك مذموم، قال النبي على "العن المؤمن كقتله "(٤).

وقال على اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة ". (٥)

٨- المزاح: منه مباح ومنه مذموم فأما المباح فهو ما كان يسيرًا ولم يتعد قدر الحاجة، وأما المذموم فهو الذي يتجاوز به العبد الحد، وكان النبي على "يمزح ولا يقول إلاحقًا".

A. السخرية والاستهزاء: قال ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسَخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَامَ مِن فَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَامَ مُّ مِن نِسَامَ مِن فَي أَن يَكُنَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَلْمِنُواْ فِاللَّا لَقَابِ مِنْسَ الاَسْمُ الْاَسْمُ الْفَسُوقُ بَعَدَ الْإِيمَانُ وَمَن لَمْ يَتُبُ فَأُولَئَهِكَ مُمُ الظّالِمُونَ ﴾ (الحجرات: ١١). وعن عائشة والله عالمات: حكيت إنسانًا ولي كذا وكذا ". (١)

١٠ افشاء السر: وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء، والتهاون بحق المعارف والأصدقاء
 قال على الله عنه الله عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه

<sup>(</sup>١) البخاري (٦٠٣٥)، مسلم (٦٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢٠٤٤)، مسلم (١١٦) عن عبد الله بن مسعود ١٠٠٠)

<sup>(</sup>٣) البخاري (٥٩٧٣)، مسلم (١٤٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

<sup>(</sup>٤) أحمد (٤/ ٣٣)، الدارمي (٢/ ٢٥٢- ٢٣٦١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٠٤٥).

<sup>(</sup>٥) مسلم (٢٨).

<sup>(</sup>٦) أبو داود (٤٨٧٥)، البيهقي في الشعب (٥/ ٣٠١)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٠٤٥٢).

ثم ينشر سرها ". (١)

11. الوعد الكاذب من أمارات النفاق. قال على: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر ". (٢)

11. الغيبة: قال ﴿ وَلا يَغْتَب بَعْضُكُم بِعَضًا أَيُحِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُل لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكُرِهِ مَنْتُكُم بَعْضًا أَيُحِبُ أَحَدُون مَا الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله فكرِهْتُمُوهُ ﴾ (الحجرات: ١٢). قال النبي ﷺ: " أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاه بها يكره، قال: فإن كان فيه ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته. (")

### ١٩\_ حقوق اليتيم

اليتيم لغة: قال الليث: اليتيم الذي مات أبوه فهو يتيم حتى يبلغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم، واليتيم من قبل الأب في بني آدم وقد يتم يتيم يتها وقد أيتمه الله. وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا اللَّيْنَيْنَ آمُولَكُمْ ﴾. (النساء: ٢). سهم يتامى بعد بلوغهم وإيناس رشدهم للزوم اليتم إياهم. وقال المفضّل أصل اليتم: الغفلة قال: وبه يسمى اليتيم يتيها، لأنه يتغافل عن بره. وقال أبو عمرو: اليتيم، الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم لأن البر يبطئ عنه. وقال الأصمعي: اليتم في البهائم من قبل الأم وفي الناس من قبل الأب. (١)

مكانة اليتيم في القرآن: قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلَا نُشْرِكُوا بِهِ مَ شَيْعًا وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِى اللّهَ مَا الله عالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلَا نُشْرِكُوا بِهِ مَ شَيْعًا وَبِالْوَلِدَيْنِ وَالْجَسَاءَ: ٣٦). وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنَى بَنِي إِسْرَهِ بِلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلّا اللّهَ وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۲۳).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٣٤)، مسلم (١٠٦) عن عبد الله بن عمرو.

<sup>(</sup>٣) مسلم (٢٥٨٩) عن أبي هريرة ١٠٠٠

<sup>(</sup>٤) تهذيب اللغة للأزهري مادة يتم (١٤/ ٣٣٩)، وانظر: الصحاح للجوهري (٥/ ١٦٦٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٢/ ٦٤٥).

ٱلْقُرْبِي وَٱلْيَتَنِينِ وَٱلْمَسَاكِينِ ﴾ (البقرة: ٨٣).

دفع المال لليتيم بعد بلوغه ورشده: قال الله تعالى: ﴿ وَٱبْنَالُواْ ٱلْيَنَىٰ حَقَى إِذَا بَلَغُواْ ٱلذِكَاحَ فَإِنَ النَّسَاءُ مَ مِنْهُم وَسُدُه الله الله تعالى ذكره بقوله " وابتلوا اليتامى" واختبروا عقول يتاماكم في إفهامهم، وصلاحهم في أديانهم، وإصلاحهم أموالهم، "حتى إذا بلغوا النكاح" فإنه يعني إذا بلغوا الحلم.

وقوله "فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم" في حالهم والإصلاح في أموالهم يعني بذلك تعالى ذكره: ولاة أموالهم، يقول الله لهم فإذا بلغ أيتامكم الحلم، فآنستم منهم عقلا وإصلاحا لأموالهم، فادفعوا إليهم أموالهم ولا تحبسوها عنهم "(١)

تزويج اليتيمة: قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ آلاً نُقْسِطُوا فِي الْيَنَهَىٰ فَانكِمُواْمَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَآهِ ﴾ (النساء: من الآية ٣). أي: إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة، وخاف أن لا يعطيها مهر مثلها فليعدل إلى سواها من النساء، فإنهن كثير، ولم يضيق الله عليه. (") وعن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمُ آلًا فَقَسِطُوا فِي الْيَنَهَىٰ ﴾ فقالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِسَآءِ ﴾ وقول الله تعالى في آية أخرى ﴿ وَرَغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَ ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجهال، قالت: فنهوا أن ينكحوا عن من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا المال والجهال، قالت: فنهوا أن ينكحوا عن من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا

<sup>(</sup>١) جامع البيان للطبري (٣/ ٢٥١).

<sup>(</sup>٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٣٩).

بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال. (١)

حق اليتيم في السنة: عن أبي هريرة ها قال: قال رسول الله على "إني أحرج (٢) حق الضعيفين اليتيم والمرأة". (٣)

وعن أبي هريرة الله أن رجلًا شكا إلى رسول الله على قسوة قله فقال له: "إذا أردت أن تلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم". (٤)

# ما للوصى أن يعمل في مال اليتيم وما يأكل منه بقدر عمالته:

عن ابن عمر الله الله على عهد رسول الله إني استفدت مالا وهو عندي نفيس فأردت أن أتصدق وكان نخلا — فقال عمر: يا رسول الله إني استفدت مالا وهو عندي نفيس فأردت أن أتصدق به، فقال النبي على: تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمرة، فتصدق به عمر، فصدقته تلك في سبيل الله وفي الرقاب والمساكين والضيف وابن السبيل ولذي القربي، ولا جناح على من وليه أن يأكل منه بالمعروف أو يوكل صديقه غير متمول "(°)، وعن عائشة ولا جناح على من وليه أن يأكل منه بالمعروف أو يوكل صديقه غير متمول "(°)، قالت: أنزلت في والي اليتيم أن يصيب من ماله إذا كان محتاجا بقدر ماله بالمعروف ". (")

وقوله تعالى: "ومن كان غنيًا" من ولاة أموال اليتامى على أموالهم" فليستعفف بهاله عن أكلها بغير الإسراف والبدار أن يكبروا بها أباح الله له أكلها به، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أي: ومن كان فقير منهم إليها محتاجا فليأكل بالمعروف "(٧).

<sup>(</sup>١) البخاري (٤٥٧٤)، ومسلم (١٨).

<sup>(</sup>٢) أحرج: أي أضيقه وأحرمه على من ظلمها. انظر لسان العرب مادة (حرج) (٢/ ٢٣٣).

<sup>(</sup>٣) أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨) والنسائي (٩١٤٩)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠١٥).

<sup>(</sup>٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٣)، والبيهقي في الشعب (١١٠٣٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٨٥٤).

<sup>(</sup>٥) أخرجه البخاري (٢٧٦٤).

<sup>(</sup>٦) أخرجه البخاري (٢٧٦٥)، ومسلم (٣٠١٩).

<sup>(</sup>٧) انظر جامع البيان لابن جرير (٤/ ٢٥٤).

وعن عبد الله بن عمرو، أن رجلًا أتى النبي على فقال: إني فقير ليس لي شيء ولي يتيم، "قال: كل من مال يتيمك غير مسرف، ولا مباذر، ولا متأثل "(۱)، وعن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا نَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِاللَّتِي هِى آحَسَنُ ﴾ (الأنعام: ١٥١)، و﴿إِنَّ اللَّذِينَ يَأْكُونَ أَمُولَ ٱلْيَتَنَمَى ظُلْمًا ﴾ (النساء: ١٠) فشق ذلك على المسلمين، فشكوا ذلك اللّه النبي على فأنزل الله ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَنَمَى قُلُ إِصْلاَحٌ لَمُّمْ خَيْرٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٠) إلى قوله "لأعتكم "(العترة: ٢٢٠) إلى قوله "لأعتكم "(العرفة فأنزل الله على المرجل اليتيم، فيعزل له طعامه وشرابه وآنيته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله على حجر الرجل اليتيم، فيعزل له طعامه وشرابه وآنيته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله على ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ فأحل لهم خلطتهم". (")

اجتناب التعدي على ماله: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمُولَ ٱلْيَتَنَكَىٰ ظُلُمًا إِنَّمَا يَأَكُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿ النساء: ١٠). أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنها يأكلون نارا تتأجج في بطونهم يوم القيامة ". (1) وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ وذكر منها: " أكل مال اليتيم ". (٥)

كفالته: لقوله على "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وقال بإصبعيه السبابة والوسطى ". (") الشفقة والبر: قال الله تعالى: ﴿ وَيُطَعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّدِهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿ ﴾ (الإنسان: ٨). أي: هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه وشهوتهم له وقوله

<sup>(</sup>۱) أخرجه النسائي (٦/ ٢٥٦)، وابن ماجه (٢٧١٨)، وأبو داود (٢٨٧٢)، وقال الألباني: حسن صحيح في صحيح النسائي (٣٤٢٩).

<sup>(</sup>٢) أخرجه النسائي٦/ ٢٥٦، وأبو داود (٢٨٧١)، وحسنه الألباني في صحيح النسائي (٣٤٣٠).

<sup>(</sup>٣) أخرجه النسائي في كتاب الوصايا (٦/ ٢٥٦)، وحسنه الألباني في صحيح النسائي (٣٤٣).

<sup>(</sup>٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٦٥).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩).

<sup>(</sup>٦) أخرجه البخاري (٢٠٠٥)، ومسلم بنحوه (٢٩٨٣) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

مسكينا يعني جل ثناؤه بقوله "مسكينًا " ذوي الحاجة الذين قد أذلهم الحاجة "يتيها وهو الطفل الذي قد مات أبوه و لا شيء له". (١)

قوله تعالى: ﴿ كُلَّ بَل لَا تُكْرِمُونَ ٱلْمِتِيمَ ﴿ الفجر: ١٧)، يقول الله تعالى: إنها أهنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم، فأخرج الكلام على الخطاب، فقال: بل لستم تكرمون اليتيم، فلذلك أهنتكم. (٢)

وحديث أبي هريرة ﴿ أن رجلًا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: "إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم". (أ) وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْمِيْمِ فَلَا نَقُهُرُ اللَّهِ فَلا تقهر اليتيم، أي: لا تذله وتنهر وتهده، ولكن أحسن إليه، وتلطف به ". (أ)

#### ٢٠\_ حقوق الضيف

الضيف لغة: ضفت الرجل ضيفًا، وضيافة، وتضيفته: نزلت به ضيفًا وملت إليه، وقيل: نزلت به وصرت له ضيفًا وضفته وتضيفته: طلبت منه الضيافة. (°)

يقول الله وخبرهم يا محمد عن قصة ضيف إبراهيم والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسفر. (١)

وقال ﷺ: ﴿ هَلْ أَنْكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَهِمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿ آيَةٍ مَ خَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَمَا ۖ قَالَ سَلَمُ قَوْمُ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَيْهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَمُ اللهُ اللهُ عَلَمُ اللهُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَمُ اللهُ عَلَيْهِ عَلَمُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلِيهِ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَالْمُ اللّهُ عَلْمَ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهِ عَلَى اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَالِهُ عَلَا عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَيْهِ عَلَا عَلِي عَالْمُ عَلَيْهِ عَلَامُ عَلَيْهِ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَالْمُعَامِعِ عَلَا عَلَا عَلَا عَلَالْمُعَامِعُوا عَلَا عَلَيْكُوا عَلَا عَلِي عَلَيْكُوا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَل

<sup>(</sup>١) جامع البيان لابن جرير (٢٩/ ٢٠٩).

<sup>(</sup>٢) جامع البيان لابن جرير (٣٠/ ١٨٣).

<sup>(</sup>٣) تقدم تخريجه.

<sup>(</sup>٤) تفسير ابن كثير (١٤/ ٣٨٥).

<sup>(</sup>٥) لسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٠٩).

<sup>(</sup>٦) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٦٧).

وقوله" هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ "أي: الذين أرصد لهم الكرامة. وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل، وقوله: "فراغ إلى أهله "أي: انسل خفية في سرعة، "فجاء بعجل حنيذ"أي: من خيار ماله وفي الآية الأخرى "﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلِ حَنِيذٍ ﴿ اللهِ عَلَى العبارة وعرض حسن. "أي: أدناه منهم، "قال ألا تأكلون"؟: تلطف في العبارة وعرض حسن.

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولا فقال "نأتيكم بطعام؟ بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتى ثمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال "ألا تأكلون "؟ علي سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل. (")

حق الضيف في السنة: عن أبي شريح الكعبي أن رسول الله على قال: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فها بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه ". (")

قال ابن بطال: سئل عنه مالك فقال: يكرمه ويتحفه يوما وليلة وثلاثة أيام ضيافة، قلت: واختلفوا هل الثلاث غير الأول أو بعد منها؟ فقال أبو عبيد: يتكلف له في اليوم الأول بالبر والألطاف، وفي الثاني والثالث يقدم له ما حضره ولا يزيده على عادته، ثم يعطيه ما يجوز به مسافة يوم وليلة وتسمى الجيزة، وهي قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل. (3) عن عبد الله بن عمرو بن العاص في قال: قال رسول الله عليه " إن لزورك عليك حقا". (6) وعن

<sup>(</sup>١) الرصف: حجارة مرصوف بعضها إلى بعض (لسان العرب لابن منظور ٩/ ١٢٠).

<sup>(</sup>٢) تفسير ابن كثير (١٣/ ٢١٧).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٦١٣٦)، ومسلم (١٣٥٢).

<sup>(</sup>٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٩٤٥).

<sup>(</sup>٥) البخاري (١٩٧٤).

أبي جحيفة عن أبيه قال "آخى النبي عَلَيْ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كُل فإني صائم، فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل. . الخ الحديث وفيه من الفوائد: صنع الطعام للضيف وتقديمه له.

يكره الغضب والجزع وعنده الضيف: عن أبي عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي بكر ويك أن أبا بكر تضيف رهطا فقال لعبد الرحمن: دونك أضيافي فإني منطلق إلى النبي على فافرُغ من قراهم قبل أن أجئ، فأنطلق عبد الرحمن فأتاهم بها عنده فقال: اطعموا فقالوا أين رب منزلنا؟ قال: اطعموا قالوا ما نحن بآكلين حتى يجيء رب منزلنا قال: اقبلوا عنا قراكم فإنه إن جاء ولم تطعموا لنلقين منه فأبوا فعرفت أنه يجد علي فلها جاء تنحيت عنه، فقال ما صنعتم فأخبروه، فقال يا عبد الرحمن فسكت فقال: يا غنثر، أقسمت عليك إن كنت تسمع صوتي لما جئت فخرجت فقلت: سل أضايفك. فقالوا صدق أتانا به قال: فإنها انتظر تموني والله لا أطعمه الليلة فقال الآخرون والله لا نطعمه حتى تطعمه قال لم أر في الشر كالليلة ويلكم ما أنتم؟ لم لا تقبلون عنا قراكم؟ هات طعامك فجاءه فوضع يده فقال: باسم الله فأكل وأكلوا"(۱)

ايثاره على النفس: عن أبي هريرة الله قال: جاء رجل إلى رسول الله على النهس فقال: إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال "من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا إلا قوت صبياني، قال: فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه، قال فقعدوا وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبي على فقال:

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٦١٤٠)، ومسلم (٢٠٥٧).

"قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة". (١)

وفي رواية البخاري "فأنزل الله ﷺ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُونَ شُحَّ نَفْسِهِ- فَأُوْلَيَهِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿ ۞ ﴾. (الحشر: من الآية ٩).

ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه صاحب الطعام واستحباب إذن صاحب الطعام للتابع:

عن أبي مسعود الأنصاري قال: كان رجل من الأنصار يقال له أبو شعيب وكان له غلام لحام فرأى رسول الله على فعرف في وجهه الجوع فقال لغلامه: ويحك اصنع لنا طعاما لخمسة نفر فإني أريد أن أدعو النبي على خامس خمسة. قال: فصنع ثم أتى النبي على فدعاه خامس خمسة، وأتبعهم رجل. فلما بلغ الباب قال النبي على "إن هذا اتبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع " قال لا بل آذن له يا رسول الله". (٢)

## ٢١\_ حقوق الجوار

معنى الجوار في اللغة: الجوار: المجاورة والجار الذي يجاورك، وجارك: الذي يجاورك. (٣)

احق الجارفي القرآن: قال الله عَلَى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ - شَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا

وَبِذِى ٱلْقُرْبَى وَٱلْبَتَاكَىٰ وَٱلْمَسَكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَى وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَٱلْمَسَكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَى وَٱلْجَارِ الْجُنْبِ وَٱلصَّاحِةِ بِالْجَنْبِ وَٱبْنِ ٱلسَّيِيلِ وَمَا مَلَكَتَ ٱيْمَنْكُمُ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: ٣٦). قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: والجار ذي القربى، يعني الذي بينك وبينه قرابة، وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي، في قوله والجار ذي القربى: يعني الجار المسلم، والجار الجنب يعنى اليهودي والنصراني (٤).

أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه والقيام بحقه والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه. ألا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى: "والجار ذي القربى" أي

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٢٤٥٦)، وأخرجه مسلم (٢٠٣٦).

<sup>(</sup>٣) لسان العرب لابن منظور (٤/ ١٥٣).

<sup>(</sup>٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣).

القريب، " والجار الجنب" أي الغريب، قاله ابن عباس وكذلك هو في اللغة، قلت: وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلمًا كان أو كافرًا، وهو الصحيح. (١)

٢. حقوق الجوار في السنة: "عن رجل من الأنصار قال: خرجت مع أهلي أريد النبي وإذا أنا به قائم، وإذا رجل مقبل عليه، فظننت أن لهما حاجة فجلست فو الله لقد قام رسول الله عليه حتى جعلت أرثي له من طول القيام، ثم انصرف، فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام، قال أتدري من هذا؟ " قلت: لا قال: ذاك جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه، أما إنك لو كنت سلمت عليه لرد عليك السلام". (٢)

عن عائشة عن النبي على قال: "مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه". "

أن يحب لجاره ما يحبه لنفسه: عن انس بن مالك عن النبي على قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه أو لجاره ما يحبه لنفسه". (1)

اكرام الجار ولو بالقليل: عن أبي هريرة هه عن النبي على قال: يا نساء المسلمات! لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة "أنوسن شاة ": هو حافر الشاة. (١)

وهذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطية المهدية، ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقار ما الموجود عندها، بل تجود بها تيسر وإن كان قليلا كفرسن شاة، وهو خير من العدم. (٧)

<sup>(</sup>١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥/ ١٨٧).

<sup>(</sup>٢) رواه أحمد (٥/ ٣٦٥)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ٤٢٧)، والخرائطي (٣٥/ ٣٦) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٧١).

<sup>(</sup>٣) رواه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥).

<sup>(</sup>٤) مسلم (٥٥)، والبخاري (١٣) بنحوه.

<sup>(</sup>٥) مسلم (١٠٣٠)، والبخاري (٦٠١٧).

<sup>(</sup>٦) الفتح (١٠/ ٥٩٤).

<sup>(</sup>٧) صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ١٢٩).

وعن عمرو بن معاذ الأشهلي، عن جدته أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "يا نساء المسلمات، لاتحتقرن امرأة منكن لجارتها ولو كراع شاة محرق". (١) الكراع: من الإنسان ومن الدواب وسائر المواشى: مادون الكعب.

وفي هذا الحديث الحض على الصلة والهدية بقليل الشيء وكثيره، وفي ذلك دليل على بر الجار وحفظه، لأن من ندب إلى أن تهدي إليه وتصله، فقد منعت من أذاه وأمرت ببره. (٢)

وعن أبي ذر الله قال: إن خليلي على أوصاني: "إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف". (")

عدم أذيته: عن أبي هريرة الله على الله على الله على الله على الله على الله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره !!. (٤)

وعن جحيفة قال: جاء رجل إلى رسول الله على يشكو جاره فقال: "اطرح متاعك على الطريق فطرحه، فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه، فجاء إلى النبي على فقال: يا رسول الله، ما لقيت من الناس، قال: وما لقيت منهم؟ قال: يلعنوني قال "قد لعنك الله قبل الناس، قال فإني لا أعود فجاء الذي شكاه إلى النبي على فقال له: "ارفع متاعك فقد كفيت"(٥) وعن أبي عامر الحمصي قال: كان ثوبان يقول: "وما من جار يظلم جاره ويقهره، حتى يحمله ذلك على أن يخرج من منزله فقد هلك ". (١)

لا يمنعه من غرز الخشبة في جداره: عن أبي هريرة الله عليه قال: " لا

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٢) والموطأ صـ ٧٠٩، والإمام أحمد (٤/ ٦٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب (٩٠).

<sup>(</sup>٢) التمهيد لابن عبد البر (٤/ ٢٩٥).

<sup>(</sup>٣) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٥).

<sup>(</sup>٤) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

<sup>(</sup>٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٣٤)، والحاكم في (المستدرك) (٤/ ١٦٥) وبنحوه في الأدب المفرد (١٢٥) قال عنه الشيخ الألباني: صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب (٢٥٥٨).

<sup>(</sup>٦) الأدب المفرد (١٢٧)، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد (٩٤).

يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره". قال: ثم يقول أبوهريرة: مالي أراكم عنها معرضين؟ والله! لأرمين بها بين أكتافكم. (١)

عدم إغلاق الباب على الجار ومنع المعروف: "عن ابن عمر قال: لقد أتى علينا زمان، أو قال حين، وما أحد أحق بديناره و درهمه من أخيه المسلم. ثم الآن الدنيا والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم سمعت النبي على يقول: "كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب! هذا أغلق بابه دوني، فمنع معروفه ". (٢)

دعاء النبي على جار السوء: عن أبي هريرة هذ: أن النبي على جار السوء: "اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول ". (")

أذية الجار سبب في دخول النار: عن أبي هريرة هقال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها! قال: هي في النار"قال: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من قلة صيامها، وصدقتها، وصلاتها، وإنها تصدق بالأثوار(1) من الأقط(0) ولا تؤذي جيرانها بلسانها! قال: هي في الجنة". (1)

وعن أبي هريرة الله أن رسول الله على قال "لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه". (٧) لا يشبع دون جاره: عن عبد الله بن المساور قال: سمعت ابن عباس يخبر ابن الزبير

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۲۰۹).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١١)، قال عنه الألباني: حسن لغيره، انظر: صحيح الأدب (٨١).

<sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٧)، وابن حبان برقم (١٠١٣)، والحاكم في المستدرك (١٠٢٣)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب (٨٦).

<sup>(</sup>٤) الثور القطعة العظيمة من الأقط والجمع أثوار. (لسان العرب لابن منظور ٤/١١١).

<sup>(</sup>٥) الأقط: شيء يتخذ من اللبن المحيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل لسان العرب (٧/ ٢٥٧).

<sup>(</sup>٦) رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٦٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب (٨٨).

<sup>(</sup>۷) مسلم (۷۳).

يقول: سمعت النبي على يقول "ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع". (') عن أنس قال: قال رسول الله على " ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع إلى جبنه وهو يعلم به". ('')

اثم من لا يأمن جاره بوائقه: عن أبي شريح أن النبي ﷺ: "قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه ". " وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: "لا يستقيم إيان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه "(<sup>1)</sup>

الجار الصالح والجار السيئ: عن إساعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله على: "أربع من السعادة: المرأة الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق والمركب السوء"(°)

الإحسان إلى الجاريؤدي إلى زيادة الإيمان: عن أبي هريرة ها قال: قال رسول الله على: "من يأخذ مني خمس خصال فيعمل بهن، أو يعلمهن من يعمل بهن؟ قال: قلت: أنا يا رسول الله، قال: فأخذ بيدي، فعدهن فيها، ثم قال: اتق المحارم؛ تكن أعبد الناس، وارض بها قسم الله لك؛ تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك؛ تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك؛ تكن مسليًا، ولا تكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب". (1)

<sup>(</sup>١) البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلي في مسنده (٢٦٩١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب (٨٢).

<sup>(</sup>٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٢٥٩)، صحيح لغيره. انظر: صحيح الترغيب (٢٥٦١).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٧).

<sup>(</sup>٤) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٩٨)، والبيهقي في الشعب (٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (٨٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٥٤).

<sup>(</sup>٥) ابن حبان (٢٣٢)، وأحمد بنحوه (١/ ١٦٨)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٨٢).

<sup>(</sup>٦) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٠)، والترمذي (٢٣٠٥)، والبيهقـي في الشـعب (٩٥٤٤)، (حسـن لغـيره) انظـر صحيح الترغيب (٢٥٦٧).

المحسن لجاره يكتب عند الله من الخيرين: عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله عند الله خيرهم لحاره". (١)

الأدنى فالأدنى من الجيران: عن الوليد بن دينار عن الحسن، أنه سُئل عن الجار؟ "فقال: أربعين دارًا أمامه، وأربعين خلفه، وأربعين عن يمينه، وأربعين عن يساره ". (٢)

حرمة عرض الجار: عن محمد بن سعد قال: سمعت أبا ظبية الكلاعي قال: سمعت المقداد بن الأسود يقول: سأل رسول الله على أصحابه عن الزنى؟ قالوا: حرام، حرمه الله ورسوله فقال: "لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره، وسألهم عن السرقة؟ قالوا: حرام، حرمه الله على ورسوله، فقال: لأن يسرق من عشرة أهل أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره". (")

اكرام الجار اليهودي: عن عبد الله بن عمرو أنه ذبحت له شاه فجعل يقول لغلامه: أهديت لجارنا اليهودي، أهديت لجارنا اليهودي، أهديت لجارنا اليهودي، أهديت أنه سيورثه". (٤)

يهدي إلى أقربهم بابًا: عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيها أهدي؟ قال: "إلى أقربهم منك بابا". (°)

#### ٢٢\_ حق الخادم والمملوك

<sup>(</sup>١) أخرجه الترمذي (١٩٤٤)، والإمام أحمد (٢/ ١٦٨)، وابن خزيمة (٢٥٣٩)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٠٣).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٩)، وحسن إسناده الألباني في صحيح الأدب (٨٠).

<sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٣)، وأحمد (٦/٨)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب (٧٦).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٥)، و أبوداود (١٥٢)، والترمذي (١٩٤٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب (٧٨).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٦٠٢٠).

الصلاة، اتقوا الله فيها ملكت أيهانكم "(1) يريد الإحسان إلى الرقيق والتخفيف عنهم (٢)، والأظهر أنه أراد بها ملكت أيهانكم المهاليك وإنها قرنه بالصلاة ليعلم أن القيام بمقدار حاجتهم من الكسوة والطعام واجب على من ملكهم وجوب الصلاة التي لا سعة في تركها(٣).

### وفيما يلي ذكر لبعض حقوق الخادم والمملوك في الإسلام:

أولًا حقه في العبادة: لا شك أن للخادم أو المملوك حقه في العبادة في الإسلام، ولذلك قال الفقهاء: والأجير يشهد الأعياد والجمعة ولا يشترط ذلك، وإنها أباح له ذلك لأن أوقات الصلاة مستثناة من الخدمة، وقال ابن مبارك: لا بأس أن يصلى الأجير ركعات السنة. (3)

ثانيًا: حقه في النفقة: عن المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر الغفاري وعليه على علامه حلة، فسألناه عن ذلك فقال: إني ساببت رجلًا فشكاني إلى النبي على، فقال لي النبي على: " أعيرته بأمه؟ ثم قال: إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس"(°)،

والشاهد من الحديث قوله على " فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس"، وقال على " للمملوك طعامه وكسوته بقدر ما تنفع ضرورته مستحق له على سيده. (٧)

ثالثًا: حقه في الرفق به في العمل: ويؤكد هذا الحق قوله عليه في الحديث "ولا

<sup>(</sup>١) أحمد (١/ ٧٨)، أبوداود (٥١٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦١٦).

<sup>(</sup>٢) النهاية في غريب الحديث والأثر الابن الأثر (٤/ ٧٨٩).

<sup>(</sup>٣) عون المعبود (١٤/ ٤٤).

<sup>(</sup>٤) المغني (٦/ ٤١).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٢٥٤٥).

<sup>(</sup>٦) مسلم (١٦٦٢) عن أبي هريرة ١٠٠٠

<sup>(</sup>٧) فيض القدير للمناوي (٥/ ٢٩٢).

تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم "(')، وقوله على "ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق " والمراد أنه لا يكلفه إلا جنس ما يقدر عليه وفيه الحث على الإحسان إلى الماليك والرفق بهم وألحق بهم من في معناهم من أجير ونحوه. (')

رابعًا: حقه في عدم سبه أو شتمه: ويبين ذلك حديث أبي ذر الله على الله على على الله عل

#### خامسًا: ألا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء:

لقد بوب البخاري في صحيحه بابًا بعنوان (كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أوأمتى) وذكر تحته قوله تعالى: (والصالحين من عبادكم وإمائكم) وغيرها.

وعن أبي هريرة عن النبي على أنه قال: "لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي مولاي ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي ". ففي كل هذا كراهية التطاول عليهم والترفع عليهم. (١)

سادسًا: وإذا ضربه فليجتنب الوجه: فعن أبي هريرة على عن النبي على قال: " إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه"(°)

#### 27\_ حقوق الدواب

#### ١- الأمر بإحسان الذبح والقتل وتعديد الشفرة:

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٥٤٥).

<sup>(</sup>٢) فيض القدير (٥/ ٢٩٢).

<sup>(</sup>٣) فتح الباري (٥/ ٢٠٧).

<sup>(</sup>٤) فتح الباري (٥/ ٢١١، ٢١١).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٢٥٥٩).

قال ﷺ "إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الله كتب الإحسان على كل فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته "(۱) فالله كالكتب الإحسان على كل شيء وعلى بمعنى (في) أي أمركم بالإحسان في كل شيء وعلى كل حاله أمر بالإحسان في الذبح وأمر بالإحسان في القتل.

والإحسان في القتل هو اختيار أسهل الطرق وأقلها إيلامًا.

وإذ ذبح فلا بد من الإحسان فلا يصرعها بعنف ولا يجرها للذبح بعنف ولا يذبحها بحضرة أخرى ويجب عليه أي على الذابح أن يحد شفرته أي سكينه أي ليجعلها حادة ويستحب أن لا يحدها بحضرة الذبيحة وأن يجعل السكين في إمرارها فيجب إراحة الذبيحة وإراحتها يكون بفعل كل ما سبق (٢).

#### ٢ – ومن حقوق الدواب أيضا حرمة صبرها لورود النهي عن صبر البهائم واتخاذها غرضا:

<sup>(</sup>١) أخرجه مسلم (١٩٥٥)، وأبو داود (٢٨١١).

<sup>(</sup>Y) mرح مسلم للنووي (٧/ ١١٨)، وعون المعبود (٤/ ٢).

<sup>(</sup>٣) البخاري (١٣ ٥٥)، ومسلم (١٩٥٦).

<sup>(</sup>٤) مسلم (١٩٥٩).

#### ٣\_ ومن حق الدواب أيضا تحريم تعذيبها بالعطش والجوع وفضل سقيها الماء:

فعن أسهاء بنت أبي بكر و الله النبي الله على صلى صلاة الكسوف، فقال: دنت مني النار حتى قلت: أي رب وأنّا معهم؟ فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هره قال: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعا". (١)

وقال ﷺ: " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض "(٢)

وفي الحديث دليل على تحريم تعذيب الحيوان فانظر هذه كيف دخلت النار بسبب تعذيبها لهذا الحيوان ومنع الماء والطعام عنها حتى ماتت فكل من لديه شيء وجب أن يحسن إليه ويرعاه كما يرعى كل صاحب روح. (٣)

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٣٣١٨).

<sup>(</sup>٣) شرح النووي (٧/ ٥٠١)، وفتح الباري (٦/ ٤٠٩).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

وغيره سواء كان مملوكا أو مباحا وسواء كان مملوكا له أو لغيره والله أعلم. (١)

٤ ومن حق الدواب أيضًا أن لا تتخذ كراسي: قال على الركبوا هذه الدواب سالمة والمتخذوها كراسي (٢٠)

وفي هذا دليل على حرمة إجهاد الدواب وتحميلها أكثر من طاقتها لقوله على ابتدعوها أي اتركوها ورفهوا عنها إذا لم تحتاجوا إلى ركوبها. (٣)

2. ومن حق الدواب أيضا عدم ضربها في وجهها ووسمها فيه: فعن جابر هقال: نهى رسول الله على عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه. (3) وعنه أن النبي على مر عليه مار قد وسم في وجهه فقال: "لعن الله الذي وسمه". (6) وفي رواية ابن عباس هم، فأنكر ذلك، قال: فو الله لا أسمه إلا أقصى شيء من الوجه فأمر بحمار له فكوى في جاعرتيه فهو أول من كوى الجاعرتين"(1)

قال النووي: فالوسم في الوجه منهي عنه بالإجماع للحديث فأما الآدمي فوسمه حرام لكرامته ولأنه لا حاجة إليه فلا يجوز تعذيبه وأما غير الآدمي فقال جماعة من أصحابنا يكره، وقال البغوي من أصحابنا لا يجوز فأشار إلى تحريمه وهو الأظهر لأن النبي على لعن فاعله واللعن يقتضي التحريم وأما وسم غير الوجه من غير الآدمي فجائز بلا خلاف عندنا لكن يستحب من نعم الزكاة والجزية ولا يستحب في غيرها ولا ينهى عنه. (٧)

#### ٢٤\_ حقوق الطريق

<sup>(</sup>۱) شرح مسلم للنووي (۷/ ۵۰۳).

<sup>(</sup>٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠)، وابن حبان (٥٦١٩)، والحاكم (١/ ٤٤٤)، وصححه، ووافقه الـذهبي. ووافقها الألباني كما في الصحيحة (٢١).

<sup>(</sup>٣) النهاية لابن الأثير (٥/ ٣٦٥).

<sup>(3)</sup> amba (1117).

<sup>(</sup>٥) مسلم (١١١٧).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۱۱۸).

<sup>(</sup>٧) شرح النووي على مسلم (٧/ ٣٤٩).

الطريق لغة: السبيل، تذكر، وتؤنث، والطريق مابين السكتين من النخل. (١)

حق الطريق في القرآن: قال الله ﴿ وَلَا تَشْنِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًا ۚ إِنَّكَ لَن تَغْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَى تَبْلُغَ ٱلْجِبَالُ طُولُا ﴿ وَالتبختر فِي وَلَى تَبْلُغَ ٱلْجِبَالُ طُولُا ﴿ وَالتبختر فِي الشّية: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَمًا ﴾ أي: متبخترًا متهايلًا مشي الجبارين ﴿ إِنَّكَ لَن تَغْرِقَ اللَّمْرَضَ ﴾ أي: لن تقطع الأرض بمشيتك ﴿ وَلَن تَبْلُغُ ٱلْجِبَالُ طُولًا ﴾ أي: لن تقطع بتهايلك وفخرك وإعجابك بنفسك بل قد يجازي فاعل ذلك بنقيض قصده. (٢)

أو أن معناه لن تجعل فيها خرقًا بدوسك لها وشدة وطئك عليها، ويدل لهذا المعنى قوله بعده (ولن تبلغ الجبال طولًا) أي أنت أيها المتكبر المختال: ضعيف حقير عاجز محصور بين جامدين! أنت عاجز عن التأثير فيهها، فالأرض التي تحتك لا تقدر أن تؤثر فيها فتخرقها بشدة وطئك عليها، فاعرف قدرك، ولا تمش في الأرض مرحًا. (٢)

وأيضًا قوله ﷺ: ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (القيان: ١٩)، "واقصد في مشيك" أي: امشي مشيا مقتصدًا ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط، بل عدلًا وسطًا بَيْنَ بَيْن. (1)

حقوق الطريق في السنة: عن أبي هريرة عن النبي على قال: " لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس ". (°) وعن أبي الوازع قال حدثني أبو برزة، قال: قلت: يا نبي الله علمني شيئا أنتفع به قال: "اعزل الأذى عن

<sup>(</sup>١) لسان العرب لابن منظور (١٠/ ٢٢٠).

<sup>(</sup>٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩/ ١١)، تفسير الطبري (٩/ ٨٨).

<sup>(</sup>٣) أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٥٣٨).

<sup>(</sup>٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١/ ٥٨).

<sup>(</sup>٥) مسلم (١٩١٤).

طريق المسلمين". (١)

غض البصر: قال الله على: ﴿قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَدِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمُّ ذَالِكَ أَرَكَى لَمُمُ الله على الله على الله على الله على الله الله من الله تعالى لعباده المؤمنين أنَّكَ لَمُمُ إِنَّ اللهَ خَبِيرُ بِمَا يَصَنَعُونَ أَنَّ ﴾ (النور: ٣٠). هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم. (١)

وقال ﷺ: ﴿ وَقُل لِلْمُوْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِينَ ذِينَتَهُنَّ إِلَّامَاظَهَـرَ مِنْهَا﴾ (النور: ٣١).

هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات، وغيرة منه لأزاجهن عباده المؤمنين، وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات. (٣)

عن أبي سعيد الخدري عن النبي على قال: " إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: ما لنا بدُّ؛ إنها هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أتيتم إلى المجالس فأعطوا الطريق حقها، قالوا وما حق الطريق؟ قال: غض البصر ". (3)

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۲۲۸).

<sup>(</sup>۲) تفسير ابن كثير (۱۰/ ۲۱۲).

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن كثير (١٠/ ٢١٦).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١).

<sup>(</sup>٥) تفسير ابن كثير (١١/ ٢٤١).

قال ذكرك أخاك بها يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته ". (١)

وعن أبي هريرة ه قال: قال رسول الله على: " الإيهان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيهان ". (٢)

رد السلام: قال الله ﷺ: ﴿ وَإِذَا حُبِيِّهُم بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (۞﴾ (النساء: ٨٦).

عن أبي هريرة الله على أبي على أبي على الله على أبي الله على الله على الله على الله على أبي على الله على أبي إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم". (")، وفي الحديث كما سبق ذكره عن النبي على قال ". . . ورد السلام . . . ". (١)

#### الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله ﷺ ﴿ كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْ كَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وقال الله ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاآهُ بَعْضِ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوْةَ ﴾ (التوبة: ٧١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله على يقول: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيهان"(°)، وفي الحديث كما سبق ذكره عن النبي على قال ". . . . وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر. . . . ". (¹)

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۵۸۹).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۸۵).

<sup>(</sup>٣) مسلم (٩٣).

<sup>(</sup>٤) أخرجه البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١).

<sup>(</sup>٥) رواه مسلم (٧٨).

<sup>(</sup>٦) أخرجه البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١).

#### عدم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه:

قال الله على ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ (الإسراء: ٣٧).

عن أبي هريرة هنعن النبي على قال: " بينها رجل يمشي قد أعجبته جمته وبراده إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة ". (١)

#### عدم قضاء الحاجة في الطريق وفي الظل وفي الماء:

عن أبي هريرة هأن رسول الله على قال: "اتقوا اللَّعَانين" قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال "الذي يتخلى في طريق الناس أوفي ظلهم"(").

قال الخطابي: المراد باللعانين الأمرين الجالبين للعن الحاملين الناس عليه والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما شتم ولعن، يعني عادة الناس لعنه، فلما صار سببا لذلك أضيف اللعن إليهما. (1)

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله على: " اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل". (°)

#### 20\_ حق اللجوء

يتفرع عن حرية الإنسان بالتنقل حق اللجوء إلى بلد آخر، وهو المعروف اليوم "باللجوء السياسي" أي حق الانتقال إلى بلد لا يحمل جنسيته، وذلك لأهداف سياسية ينادي بها، ويضطهد من أجلها أو يلاقي العنت، والمشقة والمضايقة بسببها.

<sup>(</sup>۱) البخاري (۵۷۸۹)، ومسلم (۲۰۸۸).

<sup>(</sup>۲) البخاري (۵۷۹۰)، مسلم (۲۰۸۸).

<sup>(</sup>٣) أخرجه مسلم (٢٦٩).

<sup>(</sup>٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١٦٤).

<sup>(</sup>٥) أخرجه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٦٧)، وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء (٦٢).

وحق اللجوء هو المعروف شرعًا بالهجرة، والتي كانت سنة الأنبياء مع أقوامهم وأممهم، فها منهم إلا وقد أوذي وأخرج من وطنه وكانت هجرة المسلمين إلى الحبشة في المرة الأولى، والثانية أول إقرار شرعي لحق المدينة، لشدة ما لاقوه من إيذاء المشركين بمكة وأملًا في إقامة الدولة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي في المدينة. (1)

#### وجوب الهجرة:

ويوجب القرآن على المؤمنين الخروج من دار يضطهدون فيها ولا يستطيعون إظهار شعائرهم إلى دار يأمنون فيها على دينهم وأنفسهم وأموالهم، ويعد القعود عن ذلك تقصير إذ يترتب عليه كفر بعد إيهان مما يكون سببا للنار في الآخرة فيكون الإنسان بذلك خاسرًا للدنيا والآخرة، خسر الدنيا بركونه إلى الذل والضعة وخسر الآخرة بعدم هجرته إلى أرض يستطيع فيها القيام بشعائر دينه قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ اللَّذِينَ تَوَفَّنُهُمُ الْمَلَتِيكَةُ ظَالِي اَنْفُسِهِم قَالُواْ فِيمَ كُنُمُ قَالُواْ فِيمَ لَكُنَّ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَنُهَا حِرُواْ فِيهَا فَأُولَتِكَ مَأْوَنَهُمْ جَهَنَمُ وَسَاءَتَ مَصِيرًا ﴿ إِلَّ النَّمُ تَعْفُو عَنْهُمْ وَكُلُونَ اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿ اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى الللّهُ اللّهُ عَلَى الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ

وقد أثنى الله على المهاجرين فقال على: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلَّذِينَ أَخْرِجُواْ مِن دِينرِهِمْ وَأَمْوَ لِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلَا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَنَا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ أُولَتِكَ هُمُ ٱلصَّلِدِقُونَ ﴾ (الحشر: ٨).

ثم أثنى الله على الأنصار الذين استقبلوا المهاجرين وأحسنوا وفادتهم وإقامتهم فقال على الله على الأنصار الذين استقبلوا المهاجرين وأحسنوا وفادتهم وإقامتهم فقال على الله على الدّار والإيمن مِن مَلهم أَيْرِهُم مُحَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَ نَفْسِهِ فَأُولَتِهِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَي الله المحسر عَلَى أَنفُسِهِم وَلُوكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَ نَفْسِهِ فَأُولَتِهِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ الله المحسر : ٩).

وبقي وجوب الهجرة حتى فتح الله مكة المكرمة، وقال رسول الله ﷺ: "لا هجرة بعد

<sup>(</sup>١) حقوق الإنسان في الإسلام، تأليف: محمد الزحيلي (ص٣٣٣).

<sup>(</sup>٢) حقوق الإنسان بين هدي الرحمن واجتهاد الإنسان، محمد أحمد محمد فرج عطية ص ١٠٨.

الفتح "(١)، والغالب أنه لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد الفتح، أما حكم الهجرة عامة إذا تحققت أسبابها فتبقى واجبة. (٢)

## ثواب الهجرة في سبيل الله من أرض الوطن:

ولما كانت الهجرة من الوطن وأرض الآباء والأجداد ومنابت الصبا صعبة وشاقة على النفوس، وفيها احتمال كبير بفقد الأموال، وتركها في يد الكفار، وكذا فقد الأقارب والأحبة، وقطع مورد الرزق، لذلك رغب الشارع الحكيم بها فقال الله وَمَن يُهَاجِرُ فِي سَبِيل الله يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ (النساء: ١٠٠).

ويثبت للمهاجر هذا الأجر والسعة والثواب بمجرد خروجه، وإن مات في الطريق، ولم يصل إلى دار الإسلام لقوله عَلَىٰ: ﴿وَمَن يَغُرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ ٱللَّوْتُ فَقَدُ وَقَعَ أَجْرُهُ مُكَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ ﴿ النساء: ١٠٠).

وهكذا يبشر القرآن المهاجر لله ورسوله بالسعة في الرزق، بدلًا عها تركه وفقده كها يبشره بالأجر العظيم عند الله تعالى، سواء حصل وحقق الهدف، أم أدركه الموت أثناء الطريق بعد خروجه من بلده مهاجرًا، ولا بد في الأمرين من إخلاص النية لله تعالى، لتكون الهجرة لله وللرسول، وهوما بينه رسول الله على في الحديث الصحيح المشهور عن عمر بن الخطاب في قال: قال رسول الله على: " الأعهال بالنية ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه "("). (ن)

#### حق الاستجارة والأمان:

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٧٨٣)، مسلم (١٣٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

<sup>(</sup>٢) حقوق الإنسان محمد الزحيلي صـ ٣٣٤، وانظر: شرح كتاب السير الكبير للسرخسي تحت فصل بعنوان (باب هجرة الأعراب).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٥٤)، مسلم (١٩٠٧).

<sup>(</sup>٤) حقوق الإنسان في الإسلام (٣٣٥).

# ومن صور حق اللجوء التي قررها الإسلام:

أن يعزم غير المسلم الفرار من بلده إلى دار الإسلام، ليتعرف أحكام الإسلام، سواء أكان مشركًا أم كتابيًا، وسواء قدم اختيارًا أم اضطرارًا، فيجب على المسلمين استقباله، واستضافته، وإعطاؤه حق الاستجارة، الوارد في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ السَّتَجَارَكَ فَأَجِرَهُ حَتَى يَسَمَعَ كَلَامَ ٱللَهِ ﴿ (التوبة: ٦).

فإن سمع الإسلام وأسلم، فبها ونعمت، وهو فضل من الله تعالى وإن طلب البقاء الدائم في دار الإسلام، فيعقد معه (عهد الذمة) ويصبح من رعايا الدولة الإسلامية، وإن أراد أن يبقى فترة مؤقتة فيعطي حق الأمان ويسمى (مستأمناً) كها جاء في الآية الكريمة وأكده رسول الله على بإقراره الأمان الذي أعطته أم هانئ لأحد المشركين وقال على: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ "، ومن حقه على الدولة الإسلامية عامة، وعلى كل مسلم خاصة: التمتع بالأمن والأمان والطمأنينة، ثم يبلغ إلى بلده ومأمنه، كها جاء في القرآن الكريم ﴿ثُمَّ أَتَلِعُهُ مَأْمَنَهُ. ﴾ (التوبة: ٦). (١)

# ٢٦ـ حقوق الذميين١-التزام تقريرهم في بلادنا إلا الحرم المكي:

لقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسُ فَلَا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَكَذَا﴾ (التوبة ٢٨).

#### ٢ وجوب الكف عنهم وحمايتهم:

بسبب عصمة أنفسهم وأموالهم بالعقد، وإنهاء الحرب معهم ومسالمتهم، لحديث بريدة (فسلهم الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم) (٢٠). وعن عمر بن الخطاب، قال: "وأوصِيهِ بِذِمَّةِ الله وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لُمُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَلَا يُكَلَّفُوا

<sup>(</sup>١) حقوق الإنسان في الإسلام، تأليف: محمد الزحيلي (ص ٣٣٦-٣٣٧).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۱۷۳۱).

إِلَّا طَاقَتَهُمْ "(١).

٣ عدم التعرض لكنائسهم ولا لخمورهم وخنازيرهم، ما لم يظهروها: فإن أظهروا الخمر أراقها عليهم، وإن لم يظهروها وأراقها مسلم ضمنها في رأي المالكية والحنفية، ولا يضمنها في رأي الشافعية والحنابلة، ويؤدب منهم من أظهر الخنزير (٢).

عدم إكراههم على الإسلام: قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ فَدَ تَبَيَّنَ ٱلرُّشَدُمِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

قال ابن كثير: أي: لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورًا(٣).

مالإحسان اليهم وبرهم: وهناك فرق بين الولاء والبراء والمعاملة بالحسنى، فالولاء شيء والمعاملة بالحسنى، فالولاء شيء والمعاملة بالحسنى شيء آخر، فالولاء لا يجوز لغير المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَا كُورُ اللَّهُ عَنِ ٱللَّهُ عَنِ ٱللَّهِ عَلَيْ اللَّهَ عَلَيْ اللَّهُ عَنِ ٱللَّهُ عَن اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَن اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَن اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَن اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَن اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَن اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَاللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَمْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَى اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَى اللّ

قال ابن جرير: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عَلَّاعم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ لَمَ يُقَنِئُوكُمْ فِ الدّينِ وَلَرْ يُحْرِجُوكُمْ مِن دِينَرِكُمْ ﴾، فلم يخصص به بعضًا دون بعض (أ). وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَلَا يَعْنِ قَالَتْ قَدِمَتْ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةً فِي عَهْدِ رَسُولِ الله عَلَيْ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْهِ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله عَلَيْهِ

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۷۳۱).

<sup>(</sup>٢) حقوق الإنسان في ضوء الكتاب والسنة (٤٩،٥٤٨).

<sup>(</sup>٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٢).

<sup>(</sup>٤) تفسير الطبري (٢٨/ ٦٦).

قُلْتُ: إن أمي قدمت علي، وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ(١).

7- عدم ظلمهم: حذر الإسلام من ظلم أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَكُمُ شَنَكَانُ قَوْمٍ عَلَىٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أُعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقُوى ﴾ تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَكُمُ شَنَكَانُ قَوْمٍ عَلَىٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أُعْدِلُوا هُو أَقْرَبُ لِلتَّقُوى ﴾ (المائدة: ٨)، وأوجب الإسلام المحافظة على دمائهم وأعراضهم ومعابدهم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال: قال رسول الله ﷺ: "أمَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجُنَّةِ وَإِنَّ بن عمرو بن العاص ، قال: قال رسول الله ﷺ: "أمَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجُنَّةِ وَإِنَّ رِيحَةًا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةٍ أَرْبَعِينَ عَامًا "('').

#### المبحث السادس: قالوا عن الإسلام.

برناردشو: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائمًا موضع الاحترام والإجلال؛ فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدًا خلود الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا). إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكتني اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنّه للمسيحية، لكتني اللهميحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولى أمر العالم لم

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٦٢٠)، مسلم (١٠٠٣).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري (٥/ ٢٦٣).

<sup>(</sup>٣) فتح الباري (٥/ ٢٦١).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٣١٦٦).

اليوم لوفق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

الفيلسوف (توماس كارليل): لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خدّاع مزوّر. وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أدّاها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنًا لنحو مائتي مليون من الناس، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبة وخدعة؟!

يان سامويلسون في كتابه: "الإسلام في السويد": إن الإسلام أشد حضارية ممّا يظنّه الكثير من المسيحيين و يذهب إلى القول أيضا بأنّ الإسلام هو مدرسة قائمة في حدّ ذاتها وليس الإسلام صورة منسوخة عن المسيحية كما يعتقد كثير من المسيحيين في الغرب.

الستشرق الألماني د، ج كامبفماير: " إن الاعتداء على الإسلام لا ترجى منه فائدة، ولن يرد المسلمين عن دينهم، ولن يعوق النهضة الإسلامية بل سيقويها "(١).

المستشرق لويس يوفع: "إن أشياء كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلمها من الحضارة الإسلامية منها نظرة العرب المتسامحة". (٢)

أرفولد توينبي: " أن الإسلام بوسعه تلبية كافة حاجات الإنسان في العصر الحاضر، فليس هناك أي دين كالإسلام يستطيع أن يقدم أنجح الحلول للمشكلات والقضايا المعاصرة (")

يقول الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا: "إن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم، الأمر الذي فقدته المسيحية، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة"(٤)

<sup>(</sup>١) وجهة الإسلام ص ١٠٣.

<sup>(</sup>٢) العرب وأورباص ١٠ نقلًا عن قالوا عن الإسلام ص ٣٢٧.

<sup>(</sup>٣) الإسلام والغرب والمستقبل، ص ٧٣٩.

<sup>(</sup>٤) الإسلام والغرب محاضرة الأمير تشارلز في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣.

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: "لا إكراه في الدين، هذا ما أمر به القرآن الكريم، فلم يفرض العرب على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فبدون أي إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد، إذ تشرق الشمس عليه بدفئها! وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة، هكذا انعطف الناس حتى من بقى على دينه، إلى السادة الفاتحين". (1)

\* ويقول توماس أرنولد في كتابه الدعوة الإسلامية: "لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح ". (٢)

\* \* \*

<sup>(</sup>١) (شمس الله تسطع على الغرب) زيغريد هونكه ٣٦٤-٣٦٨ ط/ دار الآفاق الجديدة بيروت.

<sup>(</sup>٢) الدعوة الإسلامية لتوماس أرنولد نقلا عن كتاب رد افتراءات المبشرين محمد جمعة عبد الله ص٢٤٢.

# الفصل الثالث رسول البشرية محمد علية

#### ويشتمل على المباحث الآتية:

تمهيد: أهمية معرفة شمائله ﷺ.

المبحث الأول: التعريف بالنبي ﷺ.

المبحث الثاني: بعض فضائل النبي عَلَيْهُ.

المبحث الثالث: أخلاق النبي عَيَيْةٍ.

المبحث الرابع: صحابة النبي عَلَيْةٍ.

المبحث الخامس: قالوا عن النبي على الله

#### واليك النفصيل

تمهيد: أهمية معرفة شمائله ﷺ.

أيها الأحبة هذا الحبيب يحلو لكل مسلم محب أن يتذكره، وأن يتصوره ويتخيله، وأن يعيش بقلبه مع هذا الحبيب ليعرف كيف كانت حياته؟ كيف كانت معاملاته؟ كيف كانت أخلاقه؟

وقد أمرنا الله على أن نقتفي أثره، وأن نسير على دربه، وأن نقلده في كل شيء، قال على: ﴿ لَقَدْكَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أَسُوَةً حَسَنَةً ﴾ (الأحزاب: ٢١). فنحن مأمورون أن نسير على دربه، وأن نقتفي أثره وأن نتبع سنته.

إن رسول الله على بشر ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ﴾ (الكهف: ١١)، ولكنه لم يكن بشرًا عاديًا.

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم أغر عليه للنبوة خاتم من نور يلوح ويشهد وضم الإله اسم النبي إلى اسمه وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا أحمد وشق له من اسمه ليجله

﴿ قُلَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرُ مِثْلُكُور يُوحَى إِلَى ﴾ (الكهف: ١١٠). وهذه هي التي رفعت قدره وأعلت شأنه، ورفعت مكانته عند الله ﷺ وعند الخلق، ولن ننال رفقته في الجنة وشفاعته يوم القيامة إلا إن اتبعنا سنته، وسرنا على طريقته واقتفينا أثره ﴿ قُلَ إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ يَوم القيامة إلا إن اتبعنا سنته، وسرنا على طريقته واقتفينا أثره ﴿ قُلَ إِن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَأَتَّبِعُونِي يُحْبِبَكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُرُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيثُ اللهِ لم يكن بشرًا عاديًا، لأنه مشرف بالوحي الذي أنزله الله عليه.

ومع هذه القطوف العطرة من سيرة النبي وأخلاقه ﷺ

# المبحث الأول: التعريف بالنبي ﷺ

اسمه ﷺ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ ابْنِ مُرَّةَ بْنِ كَنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ النَّصْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ النَّصْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ. (١)

إلى هنا معلوم الصحة ومتفق عليه بين النسَّابين، ولا خلاف أن عدنان من وَلَدِ إِسماعيل بن إبراهيم الطِّيخ.

وله عَنَّ أَسِهَاءَ أَخري. فعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ هُوَّالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله عَنَّ يَعُولُ: " إِنَّ لِي أَسْهَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمُاحِي، الَّذِي يَمْحُو الله بِيَ الْكُفْر، وَأَنَا الْحَاقِبُ: " إِنَّ لِي أَسْهَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا الْعَاقِبُ" (أَنَا الْعَاقِبُ: من لا نبي بعده. لقد الحُاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ" (أَنَّ والعاقب: من لا نبي بعده. لقد الحَاشِمُ أَللَهُ عَلَيْ ومنهم من أفرد في ذلك مصنفات بجمع الأحاديث المروية في أسمائه عَنْهُ . (أَنَّ اللهُ وَيَقَلَّ ومنهم من أفرد في ذلك مصنفات بجمع الأحاديث المروية في أسمائه عَنْهُ . (أَنَّ اللهُ وَاللهُ اللهُ ال

نسبه ﷺ: نبينا محمد ﷺ خير أهل الأرض نسبًا على الإطلاق، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته.

عن وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ الله اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلِدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى فَرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ وَلِدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَانِي مِنْ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ". (')

<sup>(</sup>١) البخاري كتاب مناقب الأنصار باب ٢٨.

<sup>(</sup>٢) البخاري (٤٨٩٦)، مسلم (٢٣٥٥).

<sup>(</sup>٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٨٣: ٨٤، دلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٥١: ١٦١.

<sup>(</sup>٤) مسلم (٢٧٧٦).

ولما ولدته أمه آمنة بنت وهب أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشرًا ودخل الكعبة، ودعا الله على وشكره، واختار للمولد اسم محمد وهذا الاسم لم يكن معروفًا عند العرب. (٢)

قابلته على الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة، وهي والدة عبد الرحمن بن عوف الله عبد الرحمن بن عوف الله عبد الرحمن بن عوف الله عبد الله

مرضعاته علي أويبة مولاة أبي لهب، ثم حليمة السعدية. (١)

اخوته وأخواته هي من الرضاعة: حمزة بن عبد المطلب «عم النبي هي »، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وعبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وجُدامة بنت الحارث «وهي الشياء»، وهؤلاء الثلاثة الأخيرون هم أولاد حليمة السعدية، مرضعة النبي عي (٢)

أعمامه على أعمام النبي عَلَيْ أحد عشر رجلًا وهم: العباس، والزبير، وأبو طالب «اسمه عبد مناف»، وعبد الكعبة، وحمزة، والمقُوِّم، وحَجْلُ «اسمه المغيرة»، وضرار وقُثَم، وأبو لهب «واسمه: عبد العُزى» والغَيْداق «اسمه مصعب»، لم يُسْلم منهم إلا

<sup>(</sup>۱) سيرة ابن هشام ۱/ ١٤٢.

<sup>(</sup>٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٢٤٦: ٢٤٧

<sup>(</sup>٣) البداية والنهاية لابن كثر ٢/ ٢٤٦.

<sup>(</sup>٤) صفة الصفوة لابن الجوزي ١/٥٦: ٥٧.

<sup>(</sup>٥) زاد المعاد لابن القيم ١/ ٨٣.

<sup>(</sup>٦) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٨٧: ٩٩.

حمزة والعباس رَفِيْ اللهُ الله

عمات النبي ﷺ: عمات النبي ﷺ ست وهن: أميمة، وأم حكيم، وبَرَّة، وعاتكة، وصفية، وأروى. (٢)

زوجاته ﷺ: لقد تزوج نبينا ﷺ إحدى عشر امرأة دخل بهن وهن بالترتيب كما يلي:

۱- خديجة بنت خويلد ۲- سودة بنت زمعة ۳- عائشة بنت أبي بكر الصديق ٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب ٥- زينب بنت خزيمة ٦- أم سلمة: هند بنت أمية المخزومية ٧- زينب بنت جحش ٨- جويرة بنت الحارث المصطلقية ٩- أم حبيبة: رَمْلة بنت أبي سفيان بن حرب ١٠- صفية بنت حُيى بن أخطب ١١ -ميمونة بنت الحارث الهلالية.

مات في حياة النبي ﷺ زوجتان هما: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة رضي الله عنهن جميعًا. (٢)

أولاده عنها، والله عنها، وعبد الله وعبد الله عنها، ثلاثة من الذكور وهم: القاسم، وعبد الله (يُلقب بالطيب، والطاهر)، وإبراهيم. وأما بناته فهن: زينب، ورقية، وأم كلثوم وفاطمة. وكل الأولاد والبنات من خديجة والله عنها عدا إبراهيم فمن مارية بنت شَمعون المصرية وكانت من مِلْكِ يمين للنبي على وكل أولاد النبي على ماتوا في حياته إلا فاطمة، رضي الله عنها، ماتت بعد النبي على بستة أشهر. (3)

كنيته على: أبو القاسم، وهو أكبر أولاده.

أحفاد النبي على: أحفاده على ستة وهم: أُمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأمها زينب بنت النبي على وعبد الله بن عثمان بن عفان وأمه رقية بنت النبي على والحسن والحسين،

<sup>(</sup>١) زاد المعاد لابن القيم ١/٤١.

<sup>(</sup>٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٩

<sup>(</sup>٣) زاد المعاد لابن القيم ١/ ١٠٥: ١١٤.

<sup>(</sup>٤) زاد المعاد لابن القيم ٣/ ١٠٣.

وزينب، وأم كلثوم، وهم جميعًا أبناء علي بن أبي طالب وأمهم فاطمة بنت النبي على . (')
حراسه على: سعد بن معاذ، ومحمد بن مسلمة، والزبير بن العوام، وعباد بن بشر،
وآخرون. فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (المائدة: ٦٧) خرج النبي على فأخبرهم بها وصرف الحرس. (')

حُدَاته عَلَيْ: (") وحُداة النبي عَلَيْهِ هم: عبدالله بن رواحة، وعامر بن الأكوع، وسلمة بن الأكوع، وأنجشة الحبشي عَلَيْهِ . (١)

كتابه على: كُتّاب النبي على الذين كانوا يكتبون القرآن الكريم ورسائله على: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وعامر بن فُهيرة، وعمرو بن العاص، وأبي بن كعب، وعبد الله بن الأرقم، وثابت بن قيس ابن شهاس، وحنظلة بن الربيع، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن رواحة، وخالد بن الوليد، وخالد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت على (°)

خاتمه على: كان خاتم النبي على من الفضة، وكان مكتوبًا عليه: محمد رسول الله: محمدٌ سطرٌ، ورسولُ سطرٌ، والله سطرٌ. (1)

شعراؤه على الله عنه عنه عنه عنه عنه عنه الله الله الله عنه والله عنه وحسان بن ثابت.

خُدَّامه ﷺ: أنس بن مالك وكان على حوائجه، وعبد الله بن مسعود صاحب نَعْله وسواكه، وعقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته يقود به في الأسفار، وأُسْلع بن شريك

<sup>(</sup>١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١/ ٣٣١، صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٢٩٤: ٣٠٩.

<sup>(</sup>٢) زاد المعاد لابن القيم ١/١٢٧.

<sup>(</sup>٣) الحادي: هو الذي يسوق الإبل ويغني لها بدون معازف.

<sup>(</sup>٤) زاد المعاد لابن القيم ١/ ١٢٨.

<sup>(</sup>٥) زاد المعاد لابن القيم ١/ ١١٧.

<sup>(</sup>٦) البخاري (٥٨٧٥، ٥٨٧٥).

<sup>(</sup>٧) زاد المعاد لابن القيم ١/٨١٨.

وكان صاحب راحلته، وبلال بن رباح، وسعد، مَوْليا أبي بكر الصديق، وأبو ذر الغفاري، وأيمن بن عُبيد، وكان على مَطهرته وحاجته. (١)

حجه وعمرته على: حج النبي على مرة واحدة وهي حجة الوداع وكانت في العام العاشر من الهجرة، واعتمر أربع عُمر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، وعمرة مع حجته وعمرة من الجعرانة. (٢)

مؤذنوه على: كانوا أربعة: بلال بن رباح، وعبد الله بن أم مكتوم بالمدينة، سعد القرظ بقباء، وأبو محذورة بمكة. (٣)

آخر صلاة للنبي على إمامًا للصحابة: هي صلاة المغرب وصلى فيها بسورة المرسلات. (١) أخر صلاة للنبي علي الله في حياته: هي صلاة فجر يوم الاثنين الذي مات فيه. (٥)

آخر كلام النبي على عند عائِشة وسي قالت: كَانَ رَسُولُ الله على يَقُولُ وَهُو صَحِيحٌ: لَنْ يُقْبَضَ نَبِيٌ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجُنَّةِ ثُمَّ يُحَيَّرُ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِي كَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ ثُمَّ قَالَ: اللهمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى، قُلْتُ: إِذًا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ الْحُدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُو صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا اللهمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى. (1)

وفاته على الله على الله على الله على الاثنين من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من المجرة، ودُفن ليلة الأربعاء، في حجرة عائشة رضي الله عنها.

<sup>(</sup>١) زاد المعاد لابن القيم ١/ ١١٦: ١١٧.

<sup>(</sup>۲) البخاري (۱۷۷۸)، مسلم (۱۲۵۳).

<sup>(</sup>٣) زاد المعاد لابن القيم ١ / ١٢٤.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٤٤٢٩)، مسلم (٤٦٢).

<sup>(</sup>٥) دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٩٢: ١٩٣.

<sup>(</sup>٦) البخاري (٦٣٤٤).

# المبحث: الثاني: بعض فضائل النبي عَلَيْهُ

أكرم الله نبيه على بفضائل جمّة، وصفات عدة، فأحسن خلْقَه وأتم خُلُقه، حتى وصفه تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمِ ﴾ (القلم: ٤)، ومنحه ظلفضائل عديدة، وخصائص كثيرة، تميز بها على عن غيره، فضلًا عن مكانة النبوة التي هي أشرف المراتب.

ونتناول في الأسطر التالية شيئًا يسيرًا من فضائله عَلَيْ .

أنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم: قال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أُولِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٦).

قال الشوكاني: فإذا دعاهم النبي على الشيء ودعتهم أنفسهم إلى غيره، وجب عليهم أن يقدموا ما دعاهم إليه، ويؤخروا ما دعتهم أنفسهم إليه، ويجب عليهم أن يطيعوه فوق طاعتهم لأنفسهم، ويقدموا طاعته على ما تميل إليه أنفسهم، وتطلبه خواطرهم. (١)

أنه ﷺ سيد ولد آدم: عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِع وَأَوَّلُ مُشَفَّع ". ('')

أنه ﷺ أمان لأمته: وعن أبي موسى الشَّعري ﴿ أَنَ النّبِي ﷺ قال " النَّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النَّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأصحابي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أصحابي مَا يُوعَدُونَ وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي فَإِذَا ذَهَبَ أصحابي أَتَى أمتي مَا يُوعَدُونَ ". "

أنه ﷺ خاتم الأنبياء: قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَّاۤ أَحَدِمِن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَم الأنبياء: قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدُ أَبَاۤ أَحَدِمِن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ وَخَاتَم النَّبِيَّتِ نَ ۗ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ أَنَّ رَسُولَ اللهُ ﷺ قَالَ: " إِنَّ مَثِلَى وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قبلي كَمَثُلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْنًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ

<sup>(</sup>١) فتح القدير٦/ ١٨.

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۷۷۸)

<sup>(</sup>٣) مسلم (٢٥٣١).

اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّنَ ". (١)

أن رسالته عامة للناس جميعًا: عن جابر بن عبد الله أنَّ النبي عَلَيْ قَالَ: "أُعْطِيتُ خُسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قبلي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قبلي، وَأُعِلَتْ لِي المُغَانِمُ وَلَمْ تَجَلَّ لأَحَدٍ قبلي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَة، وَكَانَ النبي يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّة، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً". (1)

أخذ الله له على العهد على جميع الأنبياء: من الأمور التي تدل على عظيم قدره على عند ربه ما أخذه الله من العهد له على جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على أنهه لو بعث على وهم أحياء أو أحد منهم فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه. قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَنَى النّبِيّيَانَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَبْ وَحِكْمَةِ ثُمّ عَلَى خَاءَ عُمْ رَسُولُ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَكُم لَتُؤْمِنُنَا بِهِ، ولَتَنصُرُنّه أَن قَالَ ءَأَقَرَرْتُمْ وَأَخَذُتُمْ عَلَى ذَلِكُم إِصْرِيّ قَالُوا أَقْرَرْنا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِن الشّنهِدِينَ ﴾

قرنه ﷺ خير قرون بني آدم: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: " بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بني آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الذي كُنْتُ فِيهِ ". (") وعَنْ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: " خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي". (")

أنه ﷺ خليل الرحمن: عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " أَلاَ إِنِّ أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلِّ مِنْ خِلِّهِ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الله ". (°)

وهذه الفضيلة لم تثبت لأحد غير نبينا وإبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام.

أن الله رفع له ذكره ﷺ: قال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (الشرح: ٤) فلا يذكر

<sup>(</sup>١) البخاري (٣٥٣٥)، مسلم (٢٢٨٦).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٣٣٥)، مسلم (٢١٥).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٣٥٥٧).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٢٦٥٢)، مسلم (٢٥٣٣).

<sup>(</sup>٥) مسلم (٢٣٨٣).

سبحانه إلا ذكر معه، ولا تصح للأمة خطبة ولا تشهد حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله، وأوجب ذكره في كل خطبة، وفي الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام وفي الصلاة التي هي عهاد الدين إلى غير ذلك من المواضع.

أن الله أقسم بحياته على: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَ غِيمٌ يَعْمَهُونَ ﴾ (الحجر: ٧٧) والإقسام بحياة المقسم بحياته يدل على شرف حياته وعزتها عند المقسم بها، وأن حياته على المحديرة أن يقسم بها لما فيها من البركة العامة والخاصة ولم يثبت هذا لغيره على المناه على المناه العامة والخاصة ولم يثبت هذا لغيره على المناه المناه المناه العامة والخاصة والمناه المناه العامة والخاصة والمناه المناه العامة والخاصة والمناه العامة والخاصة والمناه العيرة على المناه المناه

أن الله وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأوصافه على: فقال: ﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلنَّبِيُ ﴾ وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل ثبت أن كلا منهم نودي باسمه فقال تعالى: ﴿ يَكَادَمُ ٱسْكُنْ ﴾ ﴿ إِذْ قَالَ ٱللّهُ يَعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ ﴿ يَسُوسَى فقال تعالى: ﴿ يَكَادُمُ ٱسْكُنْ ﴾ ﴿ إِذْ قَالَ ٱللّهُ يَعِيسَى أَبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ ﴿ يَسُوسَى اللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَلِيْكَ اللّهُ وَلِيْكَ ﴾ ﴿ يَسُوسَى اللّهُ وَلَيْكَ اللّهُ وَلِيْكَ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرُومُ اللّهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرُومُ وَاحْرُومُ وَاحْرَامُومُ وَاحْرَامُومُ وَاحْرَامُهُ وَاحْرَامُومُ وَاحْرُومُ وَاح

النهي عن مناداته باسمه على: ﴿ لَا تَجْعَلُواْ دُعَآ الرَّسُولِ يَنْكُمْ مَا الله عَالَى: ﴿ لَا تَجْعَلُواْ دُعَآ الرَّسُولِ يَنْكُمْ مَا الله عَالَى: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَآ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ ال

لا يرفع صوت فوق صوته على: إن الله نهي الأمة أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته على ولا يجهروا له بالقول - كما هو الحال بين الناس- حتى لا تحبط أعمالهم فقال الله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهُا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا يَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِيَغْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَاتَشْعُرُونَ ﷺ (الحجرات: ٢). هذه بعض بفضائل النبي ﷺ.

المبحث الثالث: أخلاق النبي ﷺ.

أولًا: رسول الله رائد حياة الأخلاق:

فهذه إشارات سريعة إلى أخلاق سيد المتخلقين بمكارم الأخلاق صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وإننا مهم تكلمنا ومهم كتبنا في هذا الموضوع لا نستطيع أن نوفي قدر النبي عَلَيْهُ، فهو رائد حياة الأخلاق الكريمة، وهو الذي عَلَّم الدنيا محاسن الأخلاق، فلولاه بعد الله تخبط الناس في الجهل والغفلة والعمى، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَكَ إِلَّارَحْمَةُ لِلْعَكِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وقد زَكَى الله تبارك وتعالى نبيه على في كل شيء. ومن زكاه ربه فلا يجوز لأحد من أهل الأرض قاطبة أن يظن أنه يأتي في يوم من الأيام ليزكيه، بل إن أي أحد وقف ليزكي رسول الله على وليصف رسول الله على وليتكلم عن قدر رسول الله على فإنها يرفع من قدر نفسه، ومن قدر السامعين بحديثه عن الحبيب المصطفى على ولنعلم أنه لا يعرف أحد قدر النبي إلا الرب العلى ولذا:

زَكَّاه ربه في عقله فقال: ﴿ مَاضَلَّ صَاحِبُكُو وَمَاغُوي ﴾ (النجم: ٢).

وزَكَّاه في بصره فقال: ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُومَاطَغَيٰ ﴾ (النجم: ١٧).

وزكاه في صدره فقال: ﴿أَلَرُ نَشَرَحْ لَكَ صَدَّرَكَ ﴾ (الشرح: ١).

وزكاه في ذكره فقال: ﴿ وَرَفَعُنَا لَكَ ذِكْرُكَ ﴾ (الشرح: ٤).

وزكاه في طُهره فقال: ﴿ وَوَضَعْنَاعَنكَ وِزُرِكَ ﴾ (الشرح: ٢).

وزكاه في صدقه فقال: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْمُوكَىٰ ﴾ (النجم: ٣).

وزكاه في علمه فقال: ﴿ عَلَمُهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ (النجم: ٥).

وزكاه في حلمه فقال: ﴿ إِلَّهُ وَمِنِينَ كَرَّهُ وَقُ لَتَحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨). وزكاه في خلقه كله فقال جل وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤) ﷺ.

ومما زادني فخرًا وتيها وكدت بأخمي أطأ الثريا دخولي تحت قولك يا عبادي وأن سيرت أحمد لي نبيا.

قال القاضي عياض: اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم ﷺ الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا، ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله تعالى زلفى.

فأما الضروري المحض فيا ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب، مثل ما كان في جلبته من كيال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه، من غذائه ونومه، وملبسه ومسكنه، ومنكحه، وماله وجاهه. وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها، وكانت على حدود الضرورة وقواعد الشريعة.

وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية: من الدين، والعلم، والحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الأدب، والمعاشرة، وأخواتها، وهي التي جماعها: حسن الخلق. (1)

ثانيًا: بيان أصول أخلاق المصطفى وتحقق وصفه بها على أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها، ونقطة دائرتها: فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة، ويتضرع عن هذا ثقوب الرأي، وجودة الفطنة والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحسن السياسة والتدبير، واقتناء الفضائل، وتجنب الرذائل. وقد بلغ النبي على من

<sup>(</sup>١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ٧٦.

ذلك الغاية التي لم يبلغها بشر سواه. من تتبع مجارى أحواله، واطراد سيره، وطالع جوامع كلامه، وحسن شائله وبدائع سيره، وحكم حديثه، وعلمه بها في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة، وحكم الحكهاء وسير الأمم الخالية، وأيامها وضرب الأمثال، وسياسات الأنام، وتقرير الشرائع، وتأصيل الآداب النفيسة، والشيم الحميدة، إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه في فيها قدوة، وإشاراته حجة، كالعبارة، والطب، والحساب، والفرائض، والنسب، وغير ذلك، دون تعليم ولا مدارسة، ولا مطالعة كتب من تقدم، ولا الجلوس إلى علمائهم؛ بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك، حتى شرح الله صدره، وأبان أمره، وعلمه، وأقرأه، لاستيقن بالبرهان القاطع على نبوته، وبحسب عقله كانت معارفه في إلى سائر ما علمه الله تعالى، وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان، وعجاب قدرته وعظيم ملكوته، قال الله تعالى:

قال القاضي عياض: (١) وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة وهى المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، فجميعها قد كانت خلق نبينا على على الانتهاء في كما ها والاعتدال إلى عايتها حتى أثنى الله عليه بذلك فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَمُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلْهُ اللهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلْ

<sup>(</sup>١) من كتاب الشفا بتصرف ١/ ١١٨: ١١٧.

<sup>(</sup>٢) انظر الشفا ١/ ١١٢.

<sup>(</sup>٣) صحيح. رواه أحمد ٢/ ٣٨١، والبزار (٢٤٧٠)، والطحاوي في شرح المشكل (٤٤٣٢)، والبيهقي في السنن (١٩٢، ١٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٦٢٠٣)، مسلم (٢١٥٠).

واليك الآن باقة متوجة من أخلاق النبي ﷺ أرجو أن ينفع الله بها المحبين، وأن يدحض بها الحاسدين الحاقدين. إنه حسبنا ونعم الوكيل.

#### حلمه وعفوه واحتماله وصبره ﷺ.

حلمه وعفوه واحتهاله وصبره ﷺ، كلها معانٍ متقاربة، وهذا كله مما أدب الله به نبيه ﷺ فقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفُو وَأَمْرُ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضَ عَنِ ٱلجَنِهِ لِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩). وقال عبد الله بن الزبير: ﴿ خُذِ ٱلْعَفُو وَأَمْرُ بِٱلْعُرْفِ ﴾ قال: "مَا أَنْزَلَ الله إِلَّا فِي أَخْلَقِ النَّاسِ"('). وقال أيضا: أَمَرَ الله نَبيّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفُو مِنْ أَخْلَقِ النَّاسِ. ('')

وقال تعالى لنبيه: ﴿ وَأَصْبِرَ عَلَىٰ مَآ أَصَابِكَ ۚ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِٱلْأُمُورِ ۞ ﴿ (لقمان: ١٧).

ولا خفاء بها يؤثر من حلمه واحتماله، وأن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا. (")

وعَنْ عَائِشَةَ ﴿ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: "مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِنْهَا؛ فَإِنْ كَانَ إِنْهَا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله فَيَنْتَقِمَ لله جَهَا". ('')

قال ابن حجر في قوله " مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ": أي خاصة. فلا يرد أمره بقتل عقبة بن أبي معيط وعبد الله بن خطل (٥) وغيرهما ممن كان يؤذيه لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله. وقيل: أنه لا ينتقم إذا أوذي في غير السبب الذي يخرج إلى الكفر، كما عفا عن الأعرابي الذي جفا في رفع صوته عليه، وعن الآخر الذي جبذ بردائه حتى أثر في كتفه. (١) (١).

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٤٣).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢٦٤٤).

<sup>(</sup>٣) انظر الشفا ١/٨١١ بتصرف.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٣٥٦٠)، مسلم (٢٣٢٧).

<sup>(</sup>٥) انظر: حديث سعد بن أبي وقاص عند النسائي ٧/ ١٠٥ وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٢٣).

<sup>(</sup>٦) البخاري (٤٧٢)، مسلم (١٠٥٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: " إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً". (٢)

وَعَنْ ابنِ مَسْعُودٍ ﴿ قَالَ: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُو يَهْ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللهمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". (٣)

قال القاضي عياض: انظر ما في هذا القول من جماع الفضل، ودرجات الإحسان، وحسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم، إذ لم يقتصر على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال: اغفر أو اهد، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: "لِقَوْمِي"، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: "فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ". (4)

والحديث في بيان حلمه عَيَّةٍ كثير. فَعَنْ جَابِرٍ أَخبر أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ الله عَيَّةٍ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ الله عَيَّةٍ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله عَيَّةٍ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله عَيَّةٍ عَنْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله عَيَّةٍ عَنْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ الله عَيَّةٍ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيُّ، فَقَالَ: إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ رَسُولُ الله عَيْقِ يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقُلْتُ: الله ثَلَاثًا وَلَا يُعَاقِبُهُ وَجَلَسَ. (°)

وعَنْ أَنسَ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ عَلِيظُ الْحَاشِيةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ الله ﷺ قَدْ أَثَرَتُ بِهَا حَاشِيتُهُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. (1)

<sup>(</sup>١) فتح الباري ٦/ ٦٤٨.

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۹۹۷).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٣٤٧٧).

<sup>(</sup>٤) انظر الشفا ١/ ١٢٠.

<sup>(</sup>٥) البخاري (۲۹۱۰)، مسلم (۸٤٣).

<sup>(</sup>٦) البخاري (٥٨٠٩)، مسلم (١٠٥٧).

والحديث عن حلمه عليه الصلاة والسلام، وصبره، وعفوه عند القدرة؛ أكثر من أن تأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح وغيره إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين: من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظهره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فها زاد على أن عفا وصفح، صلوات ربي وسلامه عليه. (١)

#### جوده وكرمه وسخانه وسماحته ﷺ:

كان ﷺ لا يوازَى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا. (٢)

وعَنْ أَنَسِ بِنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَنِعَ أَهْلُ الْمُدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ النَّبِيُّ عَلَيْ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ النَّبِيُ عَلَيْ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ النَّبِيُ عَلَيْ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ وَهُو يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا لَنْ تُرَاعُوا وَهُو عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ، فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ. ")

قال النووي: في هذا كله بيان عظيم سخائه وغزارة جوده ﷺ. (4)

حتى قبل أن يبعث على فقد قال له ورقة بن نوفل: إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكَلُّ، تَكْسِبُ المُعْدُومَ. (٥)

وفي غزوة حنين يقول ابن القيم: وكان السَّبيُ ستة آلاف رأس، والإبلُ أربعةً وعشرين ألفًا، والغنم أكثرَ من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أُوقية فضة، فاستأنى بهم رسول الله على أن يقدَموا عليه مسلمين بِضْعَ عشرة ليلة ثم بدأ بالأموال فقسمها، وأعطى المؤلَّفة قلوبُهم أوَّلَ الناسِ، فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أُوقية، ومائةً من الإبل، فقال: ابني يزيد؟ فقال:

<sup>(</sup>١) انظر الشفا ١٢٣/١ بتصرف.

<sup>(</sup>٢) البخاري (٦٠٣٤).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٦٠٣٣)، مسلم (٢٣٠٧).

<sup>(</sup>٤) شرح النووي على مسلم ٨/ ٨١.

<sup>(</sup>٥) البخاري (٣)، مسلم (١٦٠).

"أعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً وَمِائةً مِنَ الإبل"، فقال: ابني معاوية؟ قال: "أعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، وَمِائةً من الإبل، ثم سأله مائة أُخرى فأعطاه، وأعطى من الإبل، ثم سأله مائة أُخرى فأعطاه، وأعطى النضر بن الحارث بن كلدة مائة من الإبل، وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين، وذكر أصحاب المائة وأصحاب الخمسين وأعطى العباسَ بن مرداس أربعين. . . . . الخ. (1)

شجاعته ونجدته على: فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل، والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف، وكان على منها بالمكان الذي لا يجهل، قد حضر المواقف الصعبة وفر الأبطال عن غير مرة وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه. (٢)

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ. قَالَ: قَالَ رَجُلُ لِلْبَرَاءِ: يَا أَبَا عُمَارَةَ أَفَرَرْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لاَ وَالله مَا وَلَى رَسُولُ الله ﷺ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ وَأَخِفَّا وُهُمْ حُسَّرًا لَيْسَ عَلَيْهِمْ سِلاَحٌ، أَوْ كَثِيرُ سِلاَحٍ، فَلَقُوا قَوْمًا رُمَاةً لاَ يَكَادُ يَسْقُطُ لَمُمْ سَهْمٌ. جَمْعُ هَوَازِنَ وَبَنِي نَضْرٍ. فَرَشَقُوهُمْ كَثِيرُ سِلاَحٍ، فَلَقُوا قَوْمًا رُمَاةً لاَ يَكَادُ يَسْقُطُ لَمُمْ سَهْمٌ. جَمْعُ هَوَازِنَ وَبَنِي نَضْرٍ. فَرَشَقُوهُمْ رَشُقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ، فَأَقْبَلُوا هُنَاكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَرَسُولُ الله ﷺ عَلَى بَعْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ يَقُودُ بِهِ. فَنَزَلَ فَاسْتَنْصَرَ وَقَالَ: أَنَا النّبِيُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، ثُمَّ صَفَّهُمْ. (")

عَنْ عَلِيٍّ ﴿ قَالَ: كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ الله ﷺ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْهُ. (')

قَالَ الْبَرَاءُ بِنُ عَازِبَ: كُنَّا وَالله إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ

<sup>(</sup>١) بتصرف من زاد المعاد ٣/ ٤٧٣، وأصل القصة في البخاري (٣١٥٠).

<sup>(</sup>٢) الشفا ١/٢٦.

<sup>(</sup>۳) مسلم (۲۷۷۱).

<sup>(</sup>٤) رواه أحمد في المسند ١٥٦/١، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٥٥، وأبو يعلى في مسنده (٣٠٢) (٢٥٨/١) وغيرهم، وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح.

يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ (١)

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْنِ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ الله ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ الله ﷺ عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ وَرُوهُ بْنُ نُفَائَةَ الجُنْاهِيِّ، فَلَمَا النَّقَى السُّلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَى السُّلِمُونَ مُدْيِرِينَ فَطَفِقَ رَسُولُ الله ﷺ يَرْكُضُ بَعْلَتَهُ قِبَلَ الْكَفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذَ بِلِجَامِ بَعْلَةِ رَسُولِ الله ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةً أَنْ لَا للهَّ عَلَى مَعْلَى اللهَ عَلَيْهِ أَكُفُّها إِرَادَةً أَنْ لَا للسَّمُرةِ، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيْتًا فَقُلْتُ: بِأَعْلَى صَوْتِي أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرةِ؟ قَالَ: فَوَ الله السَّمُرةِ، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيْتًا فَقُلْتُ: بِأَعْلَى صَوْتِي أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرةِ؟ قَالَ: فَوَ الله السَّمُرةِ عَلَى اللَّيْكَ يَالْبَيْكَ، قَالَ: فَوَ الله لَكَانَّ عَطْفَتُهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقِرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَيْكَ يَالْبَيْكَ، قَالَ: فَوَ الله السَّمُرةِ عَلَى اللَّيْكَ، وَلَاكُ وَاللهُ عَلَى عَبْسُ إِنَا لَيْكَ يَالْبَكَ عَلْفَةُ الْبَقِرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَيْكَ يَالْبَكَ يَالْبَيْكَ، قَالَ: فَوَ الله السَّمُ وَا عَلَى بَعْ الْجُلُونَ عَلْمُ اللهُ عَلَى الْمُؤْرِقِ وَلَهُ مَا هُو إِلّا أَنْ الْمَالُولُ عَلَى اللهُ عَلَى الْمَعْمُ الْمُؤْمِلُ وَرَبُ عُمَلِهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ الْفَالُولُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى الله

قال النووي: قال العلماء: ركوبه على البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد الناس هو النهاية في الشجاعة والثبات ولأنه أيضا يكون معتمدًا يرجع المسلمون إليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه. (٣)

وعَنْ أَنسِ بِنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ اللَّذِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا، لَنْ تُرَاعُوا وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ وَدُ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ وَهُو يَقُولُ: لَنْ تُرَاعُوا، لَنْ تُرَاعُوا وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَة

<sup>(</sup>۱) مسلم (۱۷۷۲).

<sup>(</sup>٢) مسلم (١٧٧٥).

<sup>(</sup>٣) شرح النووي على مسلم ٦/ ٣٦٠.

عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنْقِهِ سَيْفٌ، فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ. (١)

قال النووي: وفيه فوائد منها بيان شجاعته ﷺ من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس. (٢)

حيائه وعدم مواجهة الناس بالعتاب على: وكان النبي على أشد الناس حياءً وأكثرهم عن العورات إغضاء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِى فَيَسْتَحِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِن ٱلْحَقِ ﴾ (الأحزاب: ٥٣). (٣)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. ('' ومحل وجود الحياء منه ﷺ في غير حدود الله. (''

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا. (٦)

وَعَنْ عَائِشَةَ وَ اللَّهِ عَائِشَةً وَ اللَّهِ عَالَ النَّبِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَنْ الرَّجُلِ الشَّيْءُ لَمْ يَقُلْ: مَا بَالُ فُلَانٍ يَقُولُ، وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا". (٧)

حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق على: قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةِ مِّنَ اللهُ تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنَتَ لَهُمَّ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَشُواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩). وقال تعالى: ﴿ أَدْفَعُ بِأَلَتِي هِي أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ فَعُنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِمْقُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩٦). وقال أَنسٌ هه: " خَدَمْتُ النَّبِيَ عَلِيْ عَشْرَ سِنِينَ فَهَا قَالَ لِي أُفِّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتُهُ ؟ وَلَا لِشَيْءٍ خَدَمْتُ النَّبِيَ عَلَيْهِ عَشْرَ سِنِينَ فَهَا قَالَ لِي أُفِّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتُهُ ؟ وَلَا لِشَيْءٍ

<sup>(</sup>۱) البخاري (۲۰۳۳)، مسلم (۲۳۰۷).

<sup>(</sup>٢) شرح النووي على مسلم ٨/ ٧٥.

<sup>(</sup>٣) الشفا ١/ ١٢٩.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٦١٠٢)، مسلم (٢٣٢٠) واللفظ له.

<sup>(</sup>٥) فتح الباري ٦/ ٢٥٠.

<sup>(</sup>٦) البخاري (٣٥٥٩)، مسلم (٢٣٢١).

<sup>(</sup>٧) صحيح. رواه أبو داود في سننه (٤٧٨٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٦٤).

تَرَكْتُهُ لِم تَرَكْتُهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا". (١)

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله ﴿ قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ عَلَيْهِ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْحَيْلِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: اللهمَّ ثَبَتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا. (٢)

عَنْ أَنْسِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا الْتَقَمَ أُذُنَ رَسُولِ الله ﷺ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الرَّجُلُ هُوَ اللَّهِ عَلَى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ اللَّهِ عُلَا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ اللَّهُ عُلَا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ اللَّهُ عُلَا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ اللَّهُ عُلَا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ اللَّهُ عُلَى يَدَعُ يَدَهُ. (1)

وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادًا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه وربها بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام. (٥)

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَشُّمًا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. ('') وعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله

<sup>(</sup>١) صحيح. رواه أبـو داود في سـننه (٤٧٧٤)، والترمـذي في سـننه (٢٠١٥) وقـال: هـذا حـديث حسـن صحيح، وأحمد في المسند ٣/ ١٩٧، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٢٩٦).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢٨٧٨)، مسلم (٢٤٧٥).

<sup>(</sup>٣) انظر الشفا ١/ ١٣٤.

<sup>(</sup>٤) أبو داود (٤٧٩٤)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٨٥).

<sup>(</sup>٥) انظر الشفا ١٣٥.

<sup>(</sup>٦) صحيح. الترمذي (٣٦٤١)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأحمد في المسند ٤/ ١٩٠، والبيهقي في الشعب ٦/ ٢٥١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٨٠).

# عَلَيْهُ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ. (١)

قال ابن حجر: والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت وبقوله: (حَيْثُ شَاءَتْ) أي من الأمكنة. (٢)

شفقته ورافته ورحمته على: ﴿ لَقَدْ جَآءَ كُمْ رَسُوكُ مِن الْفُوسِينَ مَا عَنِينَ أَنفُسِكُمْ عَلَيْكُمُ عِلَيْكُمُ عِلْكُوبِينَ ﴿ (الأنبياء: ١٠٧). عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: وَقَالَ تعالى: ﴿ وَمَا آرُسَلْنَكُ إِلّا رَحْمَةُ لِلْعَلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله عَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْخَاشِيةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَة كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله عَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْخَاشِيةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَتِهِ حَتَّى رَأَيْتُ صَفْحَ أَوْ صَفْحَة عُنُقِ رَسُولِ الله عَلَيْهِ قَدْ أَثَرَتْ بِمَا حَاشِيةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ فَقَالَ: يَا مُحْمَدُ أَوْ صَفْحَة عُنُقِ رَسُولِ الله عَيْهِ قَدْ أَثَرَتْ بِمَا حَاشِيةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّة جَبْذَتِهِ فَقَالَ: يَا مُحْمَّدُ أَعْطِنِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَر لَهُ بِعَطَاءٍ. (\*)

ومن شفقته على أمته ﷺ تخفيفه وتسهيله عليهم. وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله عليه الصلاة والسلام: " لَوْلَا أَنْ أَشُقَ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ "(١)

ونهيهم عن الوصال. ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته. (°)

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ النَّبِيِّ عَلِيْهِ قَالَ: " إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ

<sup>(</sup>١) البخاري (٦٠٧٢).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٥٥٢.

<sup>(</sup>٣) البخاري (٥٨٠٩)، مسلم (١٠٥٧).

<sup>(</sup>٤) أحمد في مسنده ٢/ ٤٦٠، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٧٣ وغيرهما، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٩٤٤٨)، وكذلك أورده البخاري في صحيحه بلفظ: "كَـوْلَا أَنْ أَشُـقَّ عَـلَى أُمَّتِـي أَوْ عَـلَى النَّـاسِ لَأَمَـرْتُهُمْ بالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ".

<sup>(</sup>٥) انظر الشفا ١/ ١٣٨، ١٣٧.

# بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ". (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: " اللهمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ اللَّهِ مَا النَّبِيِّ عَلَيْهُ لَهُ اللَّهِ مَا الْقِيَامَةِ ". (٢)

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمُوعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. (٢)

ولما حصل له ما حصل في الطائف وكذبه قومه وسال دمه الشريف جاءه جبريل فقال: إِنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِهَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيهَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ: " بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا". (1)

## وفائه وحسن عهده وصلة رحمه ﷺ.

وأما عن وفائه ﷺ فحدث، فهو الذي علم الدنيا الوفاء وحسن العهد.

فَعَنْ أَنسٍ ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا أُتِيَ بالشَّيء يقول: اذْهَبُوا بِه إلى فُلانَةٍ فَإنَّها كَانَت صَدِيقةَ خَدِيْجةً. (°)

صلوات ربي وسلامه عليه حتى بعد موت خديجة ما زال وفيًا لها فيكرم خلائلها إكرامًا لها.

فَعَنْ عَائِشَةَ وَ عَلَىٰ قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةً هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَأَمَرَهُ الله أَنْ يُبشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ. (\*)

<sup>(</sup>۱) البخاري (۷۰۷)، مسلم (٤٧٠).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٦٣٦١) واللفظ له، مسلم (٢٦٠١).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٦٨)، مسلم (٢٨٢١).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٣٢٣١)، مسلم (١٧٩٥).

<sup>(</sup>٥) صحيح. أخرجه الحاكم في مستدركه وصححه (٧٣٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٢)، والطبراني في الكبير (٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨١٨).

<sup>(</sup>٦) البخاري (٣٨١٦)، مسلم (٢٤٣٥).

وعنها أيضا قالت: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ فَقَالَ: اللهمَّ هَالَةَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزِ مِنْ عَجُوزِ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرًاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ الله خَيْرًا مِنْهَا. (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا أَنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿ الله عَلَيْهِ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِم أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ عَبْدِ اللَّهُ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُهُمَا بِبَلَالِهَا. (٢)

فالشاهد من الحديث قوله: "غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُهَا بِبَلَاهِمَا" ومعناه: أي سأصلها شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه (بلوا أرحامكم) أي: صلوها. ""

وانظر إلى حاله مع الأطفال عَلَيْهِ، فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله عَلَيْهِ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ الله عَلَيْهِ وَلِأَبِي الْعَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، فَإِذَا شَحَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا. (1)

وفي حديث خَدِيجَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: وَالله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ المُعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحُقِّ. (°)

تواضعه ﷺ؛ وأما عن تواضعه ﷺ فعلى علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو أن يكون نبيا عبدا فاختار أن يكون

<sup>(</sup>۱) البخاري (۳۸۲۱)، مسلم (۲٤۳۷).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۰۶).

<sup>(</sup>٣) انظر شرح النووي ٢/ ٨٤.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٥١٦)، مسلم (٥٤٣).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٣)، مسلم (١٦٠).

عبدا نبيا. فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ مُتَوَكِّنًا عَلَى عَصًا فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: لَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا. (١)

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ ﴿ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ عَلَى يَقُولُ: لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ. (٢)

والإطراء هو المدح بالباطل تقول: أطريت فلانا مدحته فأفرطت في مدحه. (٦)

وكان على يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثها انتهى به المجلس جلس. (1)

كان رسول الله على ذكر الله، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك ويعطى كل جلسائه بنصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه. (٥)

ففي هذه الأحاديث بيان بروزه عليه للناس، وقربه منهم ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم، ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدي بها، وهكذا ينبغي لولاة الأمور. (٢)

عَنْ أَنْسِ قال جاء رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ اللَّهِ؟. (٧)

قال النووي: قال العلماء: إنها قال عليه هذا تواضعا واحتراما لإبراهيم على الخلته وأبوته

<sup>(</sup>١) ضعيف. أخرجه أبو داود (٥٢٣٠)، وأحمد في المسند ٥/٢٥٣، قال الألباني: لكن النهي عن فعل فارس والروم في مسلم (٤١٣) قال فيه: " إِنْ كِذْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالسُّومِ يَقُومُونَ عَـلَى مُلُـوكِهِمْ وَهُـمْ قُعُودٌ فَلَا تَفْعَلُوا".

<sup>(</sup>٢) البخاري (٣٤٤٥).

<sup>(</sup>٣) فتح الباري ٦/ ٥٥١.

<sup>(</sup>٤) انظر الشفا ١/٤٤/.

<sup>(</sup>٥) صحيح. الطبراني في المعجم الكبير (٤١٤)، وانظر: مختصر الشمائل للألباني ١/ ٢٣.

<sup>(</sup>٦) شرح النووي ٨/ ٩١.

<sup>(</sup>۷) مسلم (۲۳۲۹).

وإلا فنبينا ﷺ أفضل. (١)

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ ﷺ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ. (٢)

عَنْ عَمْرَةَ قَالَتْ: قِيلَ لِعَائِشَةَ: مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ، قَالَتْ: كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ، يَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَخْدِمُ نَفْسَهُ. (") عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكِ قَالَ: إِنْ كَانَتْ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ الله ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ. (1)

قال ابن حجر: وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل والأمة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت وبقوله (حيث شاءت) أي: من الأمكنة. (°)

عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته على الناس، وأعف الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، وأعف الناس، وأعف الناس، وأصدقهم لهجة، وقد اعترف له بذلك محادوه وعداه، وكان يسمى قبل نبوته: الأمين، قال ابن اسحاق: كان يسمى الأمين بها جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة. (٢)

ولما اختلفت قريش وتحاربت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي عَلِيمً داخل وذلك قبل نبوته فقالوا: هذا محمد؟ هذا الأمين قد رضينا به. (٧)

ونبينا ﷺ أصدق الناس، وسأل هرقل أبا سفيان فقال: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قال: لا. (^)

خوفه من ربه، وطاعته له وشدة عبادته على: وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته

<sup>(</sup>١) شرح النووي ٨/ ١٣٥.

<sup>(</sup>٢) البخاري (٦٧٦).

<sup>(</sup>٣) صحيح. الشمائل للترمذي ص ٢٨٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٧١).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٦٠٧٢).

<sup>(</sup>٥) فتح الباري ١٠/ ٥٥٢.

<sup>(</sup>٦) الشفا ١/ ١٤٨.

<sup>(</sup>٧) الشفا ١ / ١٤٨.

<sup>(</sup>۸) البخاري (۷)، مسلم (۱۷۷۳).

فعلى قدر علمه بربه، ولذلك قال في حديث أبي هريرة: " لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمُ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا". (١)

وفي حديث المُغيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ. (٢) وكان يصلي حتى ترم قدماه، فقيل له: أَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟! (٣)

قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ عَمَلُه ﷺ دِيمَةً، وَٱلْكُمْ يُطِيقُ مَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُطِيقُ! (') وَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ. (') قَالَ عُوف بن وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنْ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ نَائِيًا. (') قال عوف بن مالك: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة فاستاك، ثم توضأ، ثم قام يصلي فقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع فمكث راكعا بقدر قيامه ويقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت، والملكوت والكبرياء، والعظمة، ثم سجد بقدر ركوعه ويقول في سجوده سبحان ذي الجبروت والملكوت، والمكوت، والمكون والعظمة، ثم قرأ آل عمران، ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك. ('') عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الشَّخِّيرِ، رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَذِيزٌ كَأَذِيزِ المُرْجَلِ مِنْ النَّكَاءِ ﷺ. ('')

<sup>(</sup>١) البخاري (٦٤٨٥)، وانظر الشفا ١/ ١٥٨.

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۸۱۹).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٦٤٧١)، مسلم (٢٨١٩).

<sup>(</sup>٤) البخاري (١٩٨٧)، مسلم (٧٨٣).

<sup>(</sup>٥) مسلم (١١٥٦).

<sup>(</sup>٦) البخاري (١٩٧٢) من قول أنس ﷺ.

<sup>(</sup>٧) حسن. رواه أبو داود (٧٨٣)، والترمذي في الشائل (٣١٤) واللفظ له، والنسائي ٢/ ١٩١، وأحمد ٦/ ٢ وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٧٧٦).

<sup>(</sup>٨) أبو داود (٩٠٤)، والترمذي في الشائل (٣٢٣)، والنسائي ٣/ ١٣، وأحمد في المسند ٤/ ٢٥، ٢١،

وقال ﷺ في حديث الْأَغَرِّ الْمُزِنِيِّ: " إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ الله فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ". (١) عن عائشة ﴿ اللهِ عَلَيْهِ بَايَة من القرآن ليلة. (١)

وفي الصحيح عنه ﷺ قال: "وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ! "(")

عَنْ عَائِشَةَ ﴿ اللَّهِ عَائِشَةَ فَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِنَّهَا فَإِنْ كَانَ إِنْهَا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. (''

فمع كونه ﷺ يأخذ بالأيسر إلا أنه يحتاط دائها أن يكون إثها، فإذا كان الأيسر إثما لم يأخذ به، وهذا من أمانته ﷺ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِي المُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً. (°) وفي حديث عمر الطويل: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَائُلُ قَدْ أَثَرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ. (۱)

ولا يؤخذ من هذه الأحاديث أنه كان فقيرا على الله بل كان غنيا، ويكفيه ما كان يحصل عليه من غنائم الحروب، ولكنه كان لا يبقي شيئا في يده، فقد ركل الدنيا برجله فلا يريد منها إلا أن تبلغه إلى نعيم الآخرة.

زهده في الدنيا ﷺ: وأما زهده في الدنيا فحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد

وغيرهم، وصححه الألباني في المشكاة (١٠٠٠).

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۷۰۲).

<sup>(</sup>٢) حسن. رواه الترمذي (٤٤٨)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٢٣٣).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٣١٣٨)، مسلم (١٦٠٤) واللفظ له.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٣٥٦٠)، مسلم (٢٣٢٧).

<sup>(</sup>٥) صحيح. رواه الترمذي في السنن (٢٣٦٠)، وفي الشمائل (١٤٦)، وابسن ماجة (٣٣٧٤)، وأحمد ١٠٥٥، من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس به، وإسناده صحيح، وهلال بن خباب ثقة تغير بآخره، وحسنه الألباني في الصحيحة ٢١١٩.

<sup>(</sup>٦) البخاري (١٩١٥)، مسلم (١٤٦٩).

سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي عَلَيْ ودرعه مرهونة عند يهودي. (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله عَلَيْ: اللهمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا. (٢)

قال النووي: قال أهل اللغة العربية: القوت ما يسد الرمق وفيه فضيلة التقلل من الدنيا والاقتصار على القوت منها والدعاء بذلك. (٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى قُبِضَ. (4)

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: نَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: " مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: " مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا". (°)

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: " هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّهَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ".

# المبحث الرابع: صحابة النبي ﷺ.

لما كان الصحابة هم أول الناقلين لهذا الدين عن نبيهم وجب أن نبين منزلتهم من غير إفراط أو تفريط.

أولًا: تعريف الصحابي: الصحابي هو كل من لقي النبي عَيْكَ مؤمنًا به ومات على الإسلام(١٠).

ذكر بعض فضائلهم: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ تُعَمَّدُ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ اَشِدَّا عُلَى اللهُ وَالْحَقَّادِ رُحَمَا اللهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ اَشِدَا اللهُ عَنَ اللهِ وَرَضَّوَنَا أَسِيمَا هُمْ فِي وُجُوهِهِ مِنْ أَثَرِ السُّجُودُ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِ التَّوْرَئِةَ وَمَثَلُهُمْ فِ اللهِ عِيلِ كَرَرْعِ أَخْرَجَ شَطْعُهُ وَقَازَرُهُ فَاسْتَغَلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى السُّجُودُ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِ التَّوْرَئِةَ وَمَثَلُهُمْ فِ اللهِ نِجِيلِ كَرَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعُهُ وَقَازَرُهُ وَالسَّتَعَلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَى

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٧٨٠)، وانظر الشفا ١/ ١٥٤.

<sup>(</sup>۲) مسلم (۱۰۵۵).

<sup>(</sup>٣) شرح النووي ٤/ ١٥٧.

<sup>(</sup>٤) البخاري (٥٠٥٩)، مسلم (٢٩٧٦).

<sup>(</sup>٥) صحيح. رواه الترمذي (٢٣٧٧)، وأحمد ١/ ٣٠١، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٣٩).

<sup>(</sup>٦) الإصابة (١/٦)، وفتح المغيث (٣/٧٩).

سُوقِهِ- يُعَجِبُ ٱلزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارُّ وَعَدَاللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٩).

ثم بشرهم بها أعد لهم فقال: ﴿ وَأَعَدَ لَهُمْ جَنَّنَتِ تَجَـُرِى تَعَتَهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَأَ ذَلِكَ ٱلْفَوْرُ ٱلْفَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١٠٠). وأمر رسول الله ﷺ بالعفو عنهم والاستغفار لهم فقال: ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَنَهْتَ فَتَوكَلُ عَلَى ٱللّهِ أَلِنَّ ٱللّهَ يُحِبُ فَقَال: ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَالسَعَفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَنَهْتَ فَتَوكَلُ عَلَى ٱللّهِ أَلِنَّ ٱللّهَ يُحِبُ اللّهَ عَنْهُمَ وَاللّه عَمران: ١٥٩).

وأمره بمشاورتهم تطييبًا لقلوبهم وتنبيهًا لمن بعده من الحكام على المشاورة في الأحكام فقال: ﴿ فَإِذَا عَنَهُتَ فَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٥٩). وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم، وأن لا يجعل في قلوبهم غلا للذين آمنوا فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبِّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا عِلَّا لِلذِينَ ءَامَنُواْ رَبِّنَا إِنَّكَ رَءُونُ تَرْحِيمُ ﴿ الحشر: ١٠).

وأثنى رسول الله ﷺ عليهم وشبههم بالنجوم ونبه بذلك أمته على الاقتداء بهم في أمور دينهم كما يهتدون بالنجوم في ظلمات البر والبحر في مصالحهم.

عن أبِي مُوسَى الأشعري ﴿ قَالَ: صَلَّيْنَا المُغْرِبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ انْتَظَرْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ قَالَ: فَفِعلنا فَخَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ: مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله ، قُلْنَا: نُصَلِّي مَعَكَ الْعِشَاءَ قَالَ: أَصَبْتُمْ أَحْسَنْتُمْ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ النَّجُومُ أَتَى أهل السَّمَاءَ كَثِيرًا مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: النَّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتْ النَّجُومُ أَتَى أهل السَّمَاءَ

مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَنا أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَتْ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ (١٠).

ثم إنه ﷺ شهد لهم بكونهم خير أمته فقال: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي (١).

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله على قال: " لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ الله مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدُ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا ". (")

عن أنس بن مالك أنس رسول الله ﷺ قال: " آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النَّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ". ('')

فيجب على كل مسلم حب أصحاب النبي ﷺ لأن حبهم دين وإيهان وإحسان لأنه امتثال لأمر الله. وبغض الصحابة كفر ونفاق وطغيان.

فلقد نهى النبي ﷺ عن سبهم، وأخبر أمته بأن أحدًا منهم لا يدرك محلهم ولا يبلغ درجتهم، وأن الله تعالى قد غفر لهم. عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الخدري ﴿ قَالَ النبي ﷺ: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ ". (°)

عَنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى أَنَّ رَسُولَ الله عَلَيْ قَالَ: " لاَ يُبْغِضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ". (")

ومن عقيدة أهل السنة والجهاعة وجوب السكوت وعدم الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا، وذلك بعد مقتل عثمان بن عفان، ونعتقد أن فتنة الجمل قد تمت من غير اختيار من علي بن أبي طالب، ولا من طلحة بن عبيد الله، ولا من الزبير بن العوام ، وأن عائشة عليه خرجت للإصلاح بين المسلمين، مع العلم بأنهم

<sup>(1)</sup> amla (1707).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٢٦٥٢)، مسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله.

<sup>(</sup>٣) مسلم (٢٩٤٢).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٣٧٨٤).

<sup>(</sup>٥) البخاري (٣٦٧٣)، مسلم (٢٥٤١).

<sup>(</sup>٦) مسلم (٧٧).

جميعًا من الذين بشرهم رسول الله عَلَيْتُ بالجنة.

ومن عقيدة أهل السنة والجهاعة التوقف عها شجر بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن سفيان وسفيان والمحابه، وأن معاوية كان مع علي بن أبي طالب وأصحابه، وأن معاوية كان متأولًا في قتاله لعلى بن أبي طالب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن عقيدة أهل السنة والجاعة في أصحاب الرسول:

إن أهل السنة والجاعة لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة. ولهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم، وقد ثبت ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يُغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله على أنهم خير القرون، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا، ثم إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتي بحسنة تمحوه، أو عُفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد وهم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كُفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل، نذر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيهان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة، والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل، علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل، علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان

قال الإمام الطعاوي: ونحب أصحاب رسول الله على ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيهان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. (٢)

<sup>(</sup>١) مجموع فتاوى ابن تيميه (٣/ ١٥٥: ١٥٦).

<sup>(</sup>٢) العقيدة الطحاوية ١/٥٧.

قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله على فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول على عندنا حق، والقرآن حق، وإنها أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله على وإنها يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة. (1)

قال ابن تيمية: أن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول على قدح في الرسول علية السلام، كما قال مالك وغيره من أثمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله علية ليقول قائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين. وأيضًا فهؤلاء الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي على هم الذين نقلوا فضائل علي وغيره، فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بها نقلوه من الدين وحينئذ فلا تثبت فضيلة لا لعلي ولا لغيره. (٢)

قال الذهبي: يَعرف فضائل الصحابة ألى من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله وبعد موته من المسابقة إلى الإيان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا من اعتقاد مساويهم و إضهار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم، وبيان فضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول، والطعن في الوسائط طعن في الأصل والازدراء بالناقل، ازدراء بالمنقول وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من الزندقة والإلحاد في عقيدته. (٣)

معتقد أهل السنة والجماعة في الخلافة.

<sup>(</sup>١) الكفاية في علم الرواية صـ ٤٩.

<sup>(</sup>٢) مجموع فتاوي ابن تيمية ٤/ ٢٩.

<sup>(</sup>٣) الكبائر للذهبي صـ٢٩٤: ٢٩٣.

ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق الله تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة. والدليل على إثبات الخلافة لأبي بكر ما رواه جُبَيْر بْن مُطْعِم عَنْ أَبِيهِ قال: أَتَتْ امْرَأَةٌ رَسُولَ الله عَلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا أَن ترجع إليه، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ الله، إِنْ لَمْ أَجِديني فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ (').

قال عبد الله بن جعفر الطيار: ولينا أبو بكر فله فخير خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا ("). ولما لا يكون الخليفة الأول بعد رسول الله على أبو بكر وهو أول من صدق رسول الله وأسلم وصحبه وأحسن الصحبة، وأنفق عليه ماله، وصاحبه في الغار، والمنزَّل عليه السكينة، وعاتب الله على الخلق كلهم في النبي على إلا أبا بكر فإنه أخرجه من المعاتبة فقال على: ﴿إِلّا نَصُرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الّذِينَ كَفَرُوا ثَافِي اللهُ المَنْ إِذْ هُمَا النبي على فلم يستطع الحروج إلى الصلاة فأمر أن يتقدم أبو بكر فيصلي بالناس ولا يتقدم النبي على فلم يستطع الحروج إلى الصلاة فأمر أن يتقدم أبو بكر فيصلي بالناس ولا يتقدم غيره. وقال على لعائشة وهو على فراش موته: "ادْعِي لي أَبًا بَكْرٍ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فإني أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنِّ وَيَقُولَ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى. وَيَأْبَى الله وَالْمُؤْمِنُونَ إِلاَّ أَبَا بَكْرٍ ". (") وقال على: "إنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِه بنفسه وَمَالِهِ أَبُو بَحْرٍ". (")

فاجتمع المسلمون على بيعة أبي بكر الصديق وانقيادهم لإمامته لما اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما أعجبني فخشيت أن لا يبلغه أبو بكر فتكلم وأبلغ، وقال في

<sup>(</sup>١) البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).

<sup>(</sup>٢) أخرجه: أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤٣٩)، واللالكائي (٧/ ٢٩٩).

<sup>(</sup>٣) مسلم (٢٣٨٧).

<sup>(</sup>٤) البخاري (٢٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢).

كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، قال الحباب بن المنذر: لا والله لا نفعل أبدا منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء - يعني المهاجرين هم أوسط العرب دارا وأعزهم أحسابا - فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت خيرنا وسيدنا وأحب إلى رسول الله على وأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس. (١). (٢)

ونثبت الخلافة بعد أبي بكر المحمر الله واتفاق الأمة بعده عليه وفضائله المأشهر من أن تنكر وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه واتفاق الأمة بعده عليه وفضائله المأشهر من أن تنكر وأكثر من أن تذكر.

عن مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي: من خير النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكُر، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ، قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلُّ وَخُشَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلُّ مِنْ الْمُسْلِمِينَ". (٣)

وعن ابن عباس وعن أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت إليه فإذا هو عليٌ فترَّحم على عمر وقال: ما خلَّفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت كثيرا ما اسمع رسول الله على يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معها. (1)

ونثبت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنهما.

فلما قتل عمر بن الخطاب الله قالوا له: أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله علي وهو عنهم راض فسمّى

<sup>(</sup>١) البخاري (١٢٤١)، ومسلم (٩٤٢).

<sup>(</sup>٢) الاعتقاد للبيهقي (صـ٤٧٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٩٨)، والشريعة للآجري (٤/ ١٧٩١).

<sup>(</sup>٣) أخرجه: البخاري (٣٦٧١)، وأبو داود (٤٦٢٩).

<sup>(</sup>٤) راجع: العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٠٩)، والاعتقاد للبيهقي صـ٥٠، والشريعة (٤/ ١٧٩١).

عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن بن عوف وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة وقال: أُوصي الخليفة من بعدي نذكر وصيته بالمهاجرين الأولين، ثم بالأنصار خيرًا ثم بأهل الأمصار، ثم بالأعراب ثم بأهل الذمة، ثم ذكر دفنه فلما فرغوا من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم.

فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عثمان وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه وليحرصن على صلاح الأمة فأسكت الشيخان.

فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ والله علي أن لا آل عن أفضلكم، فقالا نعم. قال: فأخذ بيد أحدهما فقال لك قرابة من رسول الله على والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه (۱). فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد. يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلًا.

قال: وأخذ بيد عثمان وقال: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده.

فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون وهذا بعد أن شاور عبد الرحمن الناس ثلاثة أيام لا يخلو به رجل ذو رأي فيعدل بعثمان (٢). قال ابن عمر كنا في زمن النبي على لا نعدل بعد النبي على أحدًا بأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي على لا نفاضل بينهم. (١). (١)

<sup>(</sup>١) أخرجه: البخاري (٣٧٠٠).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٧٢٠٧).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٣٦٥٥).

<sup>(</sup>٤) الاعتقاد للبيهقي (صـ٥١٥)، وشرح العقيدة الطحاوي (٢/٧١٧).

فلما قتل عثمان وبايع الناس عليًا صار إمامًا حقًا واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة.

فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين على بن أبي طالب ، بعد عثمان ، بمبايعة الصحابة.

ومن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ما ورد عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيِّ: "أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي". (١)

ونعتقد أن العشرة الذين سهاهم رسول الله على وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة على ما شهد لهم رسول الله على قال شهد لهم رسول الله على وقوله الحق قال على: "عَشْرَةٌ فِي الجُنّةِ النّبِيُّ فِي الجُنّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجُنّةِ، وَعُمْرُ فِي الجُنّةِ، وَعُمْرُ فِي الجُنّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجُنّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجُنّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجُنّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الجُنّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكِ فِي الجُنّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجُنّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةً فِي الجُنّةِ وسعيد بن زيد فِي الجُنّةِ". (٣). (٣)

وصاهره النبي على بأن تزوج أم حبيبة أخت معاوية في ، فصارت أم المؤمنين، وصار هو خال المؤمنين. وهو محن قال الله على: ﴿ وَمَ مَ لَا يُخْزِى اللهُ النَّهِ النَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللهُ اللَّهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى الللهُ عَلَى اللهُ عَا عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ

قال: وسمعت ابن حنبل يقول: ما لهم ولمعاوية، نسأل الله العافية(°). فمن قال إن

<sup>(</sup>١) أخرجه: البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤)،

<sup>(</sup>٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحمد (١/٧١).

<sup>(</sup>٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٣١).

<sup>(</sup>٤) الشريعة (٥/ ٣٤٣١).

<sup>(</sup>٥) أبو بكر الخلال في السنة (صـ٤٣٢).

معاوية لم يكن كاتب الوحي ولا خال المؤمنين. فنقول له: هذا قول سوء رديء ويجب أن نتجنب هؤلاء القوم ولا نجالسهم ونبيِّن أمرهم للناس (١).

فمن قال هل معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز فنقول: إن معاوية أفضل من ستائة مثل عمر بن عبد العزيز<sup>(۲)</sup>.

فمعاوية ، عمل بسيرة عمر بن الخطاب سنين لا يخرم منها شيئًا (٢٠).

إن معاوية شه ثبت بالتواتر أنه أمره النبي على كما أمر غيره وجاهد معه وكان أمينًا عنده يكتب له الوحي، وما اتهمه النبي على في كتابة الوحي وولاه عمر بن الخطاب الذي كان من أخبر الناس بالرجال وقد ضرب الله الحق على لسانه وقلبه ولم يتهمه في ولايته. وقد ولي رسولُ الله على أباه أبا سفيان إلى أن مات النبي على وهو على ولايته.

فمعاوية خير من أبيه وأحسن إسلامًا من أبيه باتفاق المسلمين وإذا كان النبي على ولي أباه فلأن تجوز ولايته بطريق الأولى والأحرى ولم يكن من أهل الردة قط ولا نسبه أحد من أهل العلم إلى الردة. ولقد اتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو أول الملوك كان ملكه ملكًا ورحمة.

وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم أنه كان خيرًا من ملك غيره (١).

ونعتقد كذلك في أزواجه. ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله على وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق. قال الله على الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق. قال الله على المؤيند ألي الله والمؤيند ألي المؤيند ألله والمؤيند الله وأبتداء الآية في نساء النبي على وتخييرهن فلم اخترن الله ورسوله والدار الآخرة كان لهن ما أعد الله لهن من الأجر العظيم ثم ميزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر، ثم أبانهن

<sup>(</sup>١) السنة لأبي بكر بن الخلال (صـ٤٣٤).

<sup>(</sup>٢) السنة لأبي بكر بن الخلال (٤٣٧).

<sup>(</sup>٣) السنة لأبي بكر بن الخلال (٤٤٤).

<sup>(</sup>٤) فتاوى ابن تيمية (٤/ ٤٧٣ - ٤٧٩).

# منهن فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُو تَطْهِيرًا ﴾.

وإنها ورد بلفظ الذكور لإدخال غيرهن معهن في ذلك ثم أضاف البيوت إليهن بقوله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَئتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكَمَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَاتَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٤).

وجعلهن أمهات المؤمنين فقال: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَى بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِمٍمْ ۖ وَأَزْوَحُهُ الْمَهَا اللَّهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٦).

وحرم نكاحهن بعد وفاة نبيه على فقال: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُواْ أَزْوَجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿ الْأَحزاب: ٥٣). (١).

# المبحث الخامس: قالوا عن النبي ﷺ.

قال ول ديورانت: لقد كان محمد من أسرة كريمة ممتازة، ولكنه لم يرث منها إلا ثروة متواضعة، فقد ترك له عبد الله خمسة من الإبل، وقطيعًا من المعز، وبيتًا، وأمه عنيت بتربيته في طفولته. ولفظ محمد مشتق من الحمد وهو مبالغة فيه، كأنه حمد مرة بعد مرة، ويمكن أن تنطبق عليه بعض فقرات في التوراة تبشر قصة الحضارة، تحت عنوان محمد في مكة.

يقول سنرستن الآسوجي أستاذ اللغات السامية، في كتابه "تاريخ حياة محمد": إننا لم ننصف محمدًا إذا أنكرنا ما هو عليه من عظيم الصفات وحميد المزايا؛ فلقد خاض محمد معركة الحياة الصحيحة في وجه الجهل والهمجية، مصرًا على مبدئه، وما زال يحارب الطغاة حتى انتهى به المطاف إلى النصر المبين، فأصبحت شريعته أكمل الشرائع، وهو فوق عظهاء التاريخ.

مايكل هارت في كتابه مائة رجل في التاريخ: إن اختياري محمدًا، ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. فهناك رُسل وأنبياء وحكماء بدأوا

۱۰۰ الشريعة (٥/ ٢٤٨٥ – ٢٤٩٣).

رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها، كالمسيح في المسيحية، أو شاركهم فيها غيرهم أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى في اليهودية، ولكن محمدًا هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته. ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة، فإنه في هذا المجال الدنيوي أيضًا وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم. أيضًا في حياته، فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية، وأتمها".

برناردشو في كتابه "محمد" -والذي أحرقته السلطة البريطانية-:

إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائبًا موضع الاحترام والإجلال؛ فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالدًا خلود الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعنى أوروبا).

إنّ رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهل أو التعصّب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للمسيحية، لكنّني اطّلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنّه لم يكن عدوًّا للمسيحية، بل يجب أنْ يسمّى منقذ البشرية، وفي رأيي أنّه لو تولّى أمر العالم اليوم لوفق في حلّ مشكلاتنا بها يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها.

الدكتور (شبرك) النمساوي: إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها؛ إذ إنّه رغم أُمّيته، استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون، إذا توصلنا إلى قمته.

مايكل هارت العظماء مائة أولهم محمد (الرسول الأعظم): نشر في أمريكا في الزمن الحاضر كتاب بعنوان "المائة" أو "الخالدون مائة" أو "القمم المائة" أو "أعظم مائة في التاريخ".

وقد ألف هذا الكتاب الجديد من نوعه عالم الفلك والرياضيات والمؤرخ "مايكل

هارت"، لقد قام بالبحث في التاريخ عن الرجال الذين كان لهم أعظم تأثير على البشر وقد ذكر لنا في هذا الكتاب أكثر مائة رجل تأثيرًا على البشرية منهم آزوس، أرسطو، بوذا، كونفوشيوس، هتلر، أفلاطون، ذرادشت. وهو لا يعطينا علامات محددة عن المائة من ناحية تأثيرهم على الناس ولكنه يقوم بتقييم درجة هذا التأثير ويصفهم بترتيب تفوقهم في هذا التأثير من رقم واحد وحتى رقم مائة، وهو يوضح لنا أسبابه في ترتيب مرشحيه.

ونحن غير مطالبين بالموافقة على كلامه ولكننا لا يسعنا إلا أن نعجب بأمانة هذا الرجل ودقته في البحث.

وأكثر شيء يدعو للدهشة في تصنيفه المنتقى أنه وضع نبينا الكريم الرسول محمد ﷺ كرقم واحد أول المائة العظماء، وهو بذلك يؤكد بدون علم أو قصد شهادة الله تعالى في آخر تنزيل له للعالم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

#### ايقلين كوبولد:

١-". . . هذه هي مدينة الرسول ﷺ تعيد إلى نفسي ذكرى جهوده في سبيل لا إله إلا الله، وتلقي في روعي صبره على المكاره واحتاله للأذى في سبيل الوحدانية الإلهية".

٢-كان العرب قبل محمد على أمة لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا لجماعتها، فلما جاء محمد على بعث هذه الأمة بعثًا جديدًا يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات فغلبت العالم وحكمت فيه آجالًا و آجالًا.

٣- لعمري، ليجدن المرء في نفسه، ما تقدم إلى قبر الرسول على روعة ما يستطيع لها تفسيرًا، وهي روعة تملأ النفس اضطرابًا وذهولًا ورجاءً وخوفًا وأملًا، ذلك أنه أمام نبي مرسل وعبقري عظيم لم تلد مثله البطون حتى اليوم. . إن العظمة والعبقرية يهزان القلوب ويثيران الأفئدة فها بالك بالعظمة إذا انتظمت مع النبوة، وما بالك بها وقد راحت تضحي بكل شيء في الحياة في سبيل الإنسانية وخير البشرية.

٤ - لقد استطاع النبي ﷺ القيام بالمعجزات والعجائب، لمّا تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام وقبول الوحدانية الإلهية، لقد وفّق إلى خلق

العرب خلقًا جديدًا ونقلهم من الظلمات إلى النور.

٥-مع أن محمدًا على كان سيد الجزيرة العربية، فإنه لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفيًا بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريمًا بارًا كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بها لديه، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلًا لا يكاد يكفيه.

جوتة الأديب الألماني: إننا أهل أوربا بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه "محمد"، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي "محمد"..وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح "محمد" الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد.

## **دُرّاني**(۱):

١-أستطيع أن أقول بكل قوة أنه لا يوجد مسلم جديد واحد لا يحمل في نفسه العرفان بالجميل لسيدنا محمد على المعره به من حب وعون وهداية وإلهام؛ فهو القدوة الطيبة التي أرسلها الله رحمة لنا وحبًا بنا حتى نقتفي أثره. (٢)

٧-.. وأخيرًا أخذت أدرس حياة النبي محمد على فأيقنت أن من أعظم الآثام أن نتنكر لذلك الرجل الرباني الذي أقام مملكة لله بين أقوام كانوا من قبل متحاربين لا يحكمهم قانون، يعبدون الوثن، ويقترفون كل الأفعال المشينة، فغير طرق تفكيرهم، لا بل بدل عاداتهم وأخلاقهم، وجمعهم تحت راية واحدة وقانون واحد ودين واحد وثقافة واحدة وحضارة واحدة وحكومة واحدة، وأصبحت تلك الأمة ـ التي لم تنجب رجلًا عظيمًا

<sup>(</sup>١) الدكتور م. ج. دُرّاني Dr. M. H. Durrani: سليل أسرة مسلمة منذ القدم، أصبح نصرانيًا في فـترة مبكرة من حياته وتحت تأثير إحدى المدارس التبشيرية المسيحية، وقضى ردحًا من حياته في كنيسة إنكلترا، حيث عمل قسيسًا منذ عام ١٩٣٩ وحتى عام ١٩٦٣ حيث جاءه الإسلام "كها يأتي فصل الربيع"، فعاد إلى دين آبائه وأجداده.

<sup>(</sup>٢) رجال ونساء أسلموا (٤/ ٢٧ - ٢٨).

واحدًا يستحق الذكر منذ عدة قرون \_ أصبحت تحت تأثيره وهديه تنجب ألوفًا من النفوس الكريمة التي انطلقت إلى أقصى أرجاء المعمورة تدعو إلى مبادئ الإسلام وأخلاقه ونظام الحياة الإسلامية وتعلم الناس أمور الدين الجديد. (١)

٣-. . تحمل على ثلاثة عشر عامًا كاملةً من المتاعب \_ في مكة \_ دون انقطاع، وثهانية سنوات \_ في المدينة \_ دون توقف، فتحمل ذلك كله، فلم يتزحزح شعرة عن موقفه، وكان صامدًا، رابط الجأش، صلبًا في أهدافه وموقفه. عرضت عليه أمته أن تنصبه ملكًا عليها وأن تضع عند قدميه كل ثروات البلاد إذا كف عن الدعوة إلى دينه ونشر رسالته. فرفض هذه الإغراءات كلها فاختار بدلًا من ذلك أن يعاني من أجل دعوته. لماذا؟ لماذا لم يكترث أبدًا للثروات والجاه والملك والمجد والراحة والدعة والرخاء؟ لابد أن يفكر المرء في ذلك بعمق شديد إذا أراد أن يصل إلى جواب عليه. (٢)

3-هل بوسع المرء أن يتصور مثالًا للتضحية بالنفس وحب الغير والرأفة بالآخرين أسمى من هذا المثال حيث نجد رجلًا يقضي على سعادته الشخصية لصالح الآخرين، بينها يقوم هؤلاء القوم أنفسهم الذين يعمل على تحسين أحوالهم ويبذل أقصى جهده في سبيل ذلك، يقومون برميه بالحجارة والإساءة إليه ونفيه وعدم إتاحة الفرصة له للحياة الهادئة حتى في منفاه، وأنه رغم كل ذلك يرفض أن يكف عن السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة السعي لخيرهم؟ هل يمكن لأحد أن يتحمل كل هذا العناء والألم من أجل دعوة مزيفة؟ هل يستطبع أي مدخول غير مخلص أن يبدي هذا الثبات والتصميم على مبدئه والتمسك به حتى آخر رمق دون أدنى وجل أو تعثر أمام الأخطار وصنوف التعذيب التي يمكن تصورها وقد قامت عليه البلاد بأكملها وحملت السلاح ضده؟. (")

<sup>(</sup>١) المرجع السابق (٤/ ٢٨: ٢٩).

<sup>(</sup>۲) نفسه (۶/ ۲۹: ۳۰).

<sup>(</sup>٣) رجال ونساء أسلموا (٤/ ٣٠).

إن هذا الإيان وهذا السعي الحثيث وهذا التصميم والعزم الذي قاد به محمد على حركته حتى النصر النهائي، إنها هو برهان بليغ على صدقه المطلق في دعوته؛ إذ لو كانت في نفسه أدنى لمسة من شك أو اضطراب لما استطاع أبدًا أن يصمد أمام العاصفة التي استمر أوارها أكثر من عشرين عامًا كاملة. هل بعد هذا من برهان على صدق كامل في الهدف واستقامة في الخلق وسمو في النفس كل هذه العوامل تؤدي لا محالة إلى الاستنتاج الذي لا مفر منه وهو أن هذا الرجل هو رسول الله حقًا. هذا هو نبينا محمد على إذ كان آية في صفاته النادرة ونموذجًا كاملًا للفضيلة والخير، ورمزًا للصدق والإخلاص. إن حياته وأفكاره وصدقه واستقامته، وتقواه وجوده، وعقيدته ومنجزاته، كل أولئك براهين فريدة على نبوته؛ فأي إنسان يدرس دون تحيّز حياته ورسالته سوف يشهد أنه حقًا رسول من عند الله، وأن القرآن الذي جاء به للناس هو كتاب الله حقًا. وكل مفكر منصف جاد يبحث عن الحقيقة لابدً أن يصل إلى هذا الحكم". (١)

غاندي: يقول "مهاتما غاندي" في حديث لجريدة "ينج إنديا": "أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر، لقد أصبحت مقتنعًا كل الاقتناع أن السيف لم يكن الوسيلة التي من خلالها اكتسب الإسلام مكانته؛ بل كان ذلك من خلال بساطة الرسول، مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته. هذه الصفات هي التي مهدت الطريق، وتخطت المصاعب وليس السيف. بعد انتهائي من قراءة الجزء الثاني من حياة الرسول وجدت نفسي أسِفًا لعدم وجود المزيد للتعرف أكثر على حياته العظيمة.

غوستاف لوبون: ١-جمع محمد على قبل وفاته كلمة العرب، وبنى منهم أمة واحدة خاضعة لدين واحد مطبعة لزعيم واحد، فكانت في ذلك آيته الكبرى. ومما لا ريب فيه أن محمدًا على أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل

المرجع السابق (٤/ ٣٠ – ٣١).

الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية ولذلك كان فضله على العرب عظيًا. . ". (١)

Y-إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد على من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب ينصفون محمدًا على مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله. (٢)

٣-استطاع محمد على أن يبدع مثلًا عاليًا قويًا للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد على الخصوص ولم يتردد أتباعه في التضحية بأنفسهم في سبيل هذا المثل الأعلى. (٣)

٤ - لا شيء أصوب من جمع محمد على السلطات المدنية والحربية والدينية في يد واحدة أيام كانت جزيرة العرب مجزأة ما استطعنا أن نقدر قيمة ذلك بنتائجه، فقد فتح العرب العالم في قرن واحد بعد أن كانوا قبائل من أشباه البرابرة المتحاربين قبل ظهور محمد على (¹)
نظمى لوقا(°):

١ - ما كان محمد ﷺ كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، وهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل، وهمة البطل، فكان حقًا على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيّي فيه الرجل. (١)

٢-لا تأليه ولا شبهة تأليه في معنى النبوة الإسلامية، وقد درجت شعوب الأرض على
 تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضًا معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين

<sup>(</sup>١) دين الإسلام (ص١٦).

<sup>(</sup>٢) حضارة العرب (ص١١٥).

<sup>(</sup>٣) المرجع السابق (ص١١٦).

<sup>(</sup>٤) المرجع السابق (٣٩٣، ٣٩٤).

<sup>(</sup>٥) د. نظمي لوقا: نصراني من مصر، يتميز بنظرته الموضوعية وإخلاصه العميق للحق. ورغم إلحاح أبويه على تنشئته على المسيحية منذ كان صبيًا، فإنه كثيرًا ما كان يحضر مجالس شيوخ المسلمين ويستمع بشغف إلى كتاب الله وسيرة الرسول ، بل إنه حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز العاشرة من عمره، ألف عددًا من الكتب أبرزها "محمد الرسالة والرسول"، و"محمد في حياته الخاصة".

<sup>(</sup>٦) محمد الرسالة والرسول (ص ٢٨).

الألوهية بسبب من الأسباب، فها أقرب الناس لو تركوا لأنفسهم أن يعتقدوا في الرسول أو النبي أنه ليس بشرًا كسائر البشر وأن له صفة من صفات الألوهية على نحو من الأنحاء. ولذا نجد توكيد هذا التنبيه متواترًا مكررًا في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثَلَكُم وَ وَحَيَ إِلَى ﴾ (الكهف: ١١٠)، وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال. بل نجد ما هو أصرح من هذا المعنى فيها جاء بسورة الشورى: ﴿ فَإِنَّ أَعَرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَكَ عَلَيْهِم حَفِيظًا ۖ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلبَكْعُ ﴾ (الشورى: ٨٤) وظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه على إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس للناس أن يرفعوه فوقها. (١)

٣-رجل فرد هو لسان السهاء، فوقه الله لا سواه، ومن تحته سائر عباد الله من المؤمنين، ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر؛ بل يشفق، بل يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه. ولو أن هذا الرسول على بها أنعم من الهداية على الناس وما تم له من العزة والأيادي، وما استقام له من السلطان، اعتد بذلك كله واعتزّ، لما كان عليه جناح من أحد؛ لأنه إنها يعتد بقيمة ماثلة، ويعتز بمزية طائلة. يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: "لا تطروني كها أطرت النصارى ابن مريم، إنها أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله". ويخرج على جماعة من أصحابه فينهضون تعظيهًا له، فينهاهم عن ذلك قائلًا: "لا تقوموا كها يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا. (٢)

٤-ماذا بقي من مزعم لزاعم؟ إيهان امتحنه البلاء طويلًا قبل أن يفاء عليه بالنصر وما
 كان النصر متوقعًا أو شبه متوقع لذلك الداعي إلى الله في عاصمة الأوثان والأزلام.
 ونزاهة ترتفع فوق المنافع، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة، وسهاحة لا يداخلها زهو أو

<sup>(</sup>١) محمد الرسالة والرسول (٨٥، ٨٦).

<sup>(</sup>٢) محمد الرسالة والرسول (ص١٧٩، ١٨٠).

استطالة بسلطان مطاع. لم يفد. ولم يورث آله، ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها. وحرم على نفسه ما أحلّ لآحاد الناس من أتباعه، وألغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية حتى جعل العبدان والأحابيش سواسية وملوك قريش. لم يمكن لنفسه ولا لذويه. وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة غير مدفوعة، فسوّى ذلك كله بالأرض أي قولة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذا المجد الشاهق أو تدافع هذا الصدق الصادق؟ لا خيرة في الأمر، ما نطق هذا الرسول عن الهوى. . وما ضلّ وما غوى. . وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين. (١)

٥-أي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من "أبي القاسم" عَلَيْ الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السمو والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئًا مما يقتتل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام؟ ". (٢)

7-كان محمد على على حيويته ولا تملك حيويته. ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه. فهي قوة له تحسب في مزاياه، وليست ضعفًا يعد في نقائصه. لم يكن على معطل النوازع ولكنها لم تكن نوازع تعصف به. (")

\* \* \*

<sup>(</sup>١) المرجع السابق (١٨٣: ١٨٦).

<sup>(</sup>٢) محمد في حياته الخاصة (ص١٢).

 <sup>(</sup>٣) محمد في حياته الخاصة (٣٩، ٤٠)، ويمكن للقارئ أن يرجع للكتاب نفسه "محمد في حياته الخاصة"،
 فهو بمجمله يمكن أن يعد شهادة قيمة على حياة الرسول را العائلية الخاصة.

# شبهات العقيدة

## وفيها:

- ١-بطلان ألوهية المسيح
- ٧-شبهة: ثناء القرآن والسنة على التوراة والإنجيل
  - ٣- الصلب والفداء
  - ٤- إثبات التحريف في الكتاب المقدس.
    - ٥- شبهات في صفات الذات
      - ٦- شبهات صفات الفعل
        - ٧- شبهات في حق الله
          - ٨- شبهات عن القبر
          - ٩- شبهات عن الجنة
  - ١ شبهة: ادعاؤهم أن المسلم يخلد في النار.
    - ١١- أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف
      - ١٢- إثبات نبوة النبي ﷺ

## ١ بطلان ألوهية المسيح

نص الشبهة: ضل النصارى حينها وقعوا في عبادة المسيح النساء حيث زعموا أنه ابن الله، وهو أحد الأقانيم الثلاثة التي يعتقدون بها؛ ولذا كان لزامًا علينا أن نفند هذا المعتقد ونبين بطلانه؛ لنصل بإذن الله إلى الحق، وهو أنه لا إله إلا الله الواحد الأحد، لا شريك معه ولا ولد - سبحانه وتعالى عها يقول الظالمون علوًّا كبيرًا - وأن المسيح هو رسول الله، نبي من أنبيائه، عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الجواب على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: مقدمة وتشتمل على فصلين.

الأول: بيان عام للتوحيد عند المسلمين.

الثاني: حول شرح معنى ألوهية المسيح، وكيف تم انتزاع هذه العقيدة من نصوص العهدين، ومدى اتفاق النصاري على هذه العقيدة.

الوجه الثاني: الأدلة من القرآن على بطلان ألوهية المسيح.

الوجه الثالث: الأدلة من السنة على بطلان ألوهية المسيح.

الوجه الرابع: الأدلة من العهد القديم والأناجيل الأربعة على بطلان ألوهية المسيح.

الوجه الخامس: الأدلة من رسائل بولس على بطلان ألوهية المسيح.

الوجه السادس: بطلان أدلة النصارى على ألوهية المسيح.

الوجه السابع: استدلال النصاري بآيات من القرآن على ألوهية المسيح، والرد عليها.

#### وإليك النفصيل

الوجه الأول: مقدمة.

وتشمل على الأتي:

الفصل الأول: بيان عام للتوحيد عند المسلمين، وأهميته

أولا: تعريف التوحيد: التوحيد هو: إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية، وكهال الأسهاء والصفات. وهو حق الله الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعهال. عن معاذ بن جبل الله قال: كنت رديف النبي على على حمار فقال لي: " يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرى حَقَّ الله عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله؟. قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "

فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى الله أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: " لاَ تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَّكِلُوا ". (١) يُشْرِكُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: " لاَ تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَّكِلُوا ". (١)

والنصوص الدالة على وحدانية الله في القرآن الكريم كثيرة جدًا، بل إن القرآن كله ناطق بتوحيد الله ﷺ حق التوحيد وهذه جملة من الآيات الدالة على هذا الأصل:

١ - يقول الله على: ﴿ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدُ ﴿ اللّهِ الصَّحَدُ ﴿ لَ اللهِ وَاحَدَ اللّهِ وَاحَدَ وَلَمْ يَكُن لَهُ وَكُمْ يَكُن لَهُ وَكُمْ يَكُن لَهُ وَاحَدَ اللّهِ وَاحَدَ اللّهِ وَاحَدَ وَأَنه لَمْ يَلَد وَلَمْ يُولَد فليس له ابن لا عيسى الشّاؤولا غيره، ولا يشاركه في وحدانيته أحد.

٢ - يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا نَنَجُدُوٓا إِلَهُ يُنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَنَجِدُ ۗ فَإِيَّنَى فَأَرْهَبُونِ ﴾
 (النحل: ٥١)، وهنا نهى الله - سبحانه وتعالى - عن اتخاذ إلهين وأبان - سبحانه على الخصر إنها هو إله واحد لا إله غيره.

٤ - قال قَالَ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَ أَهُ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٢).

٥ – ويقول ﷺ: ﴿قُلُلُّوكَانَ مَعَدُهُ ءَالِهَ تُمَايَقُولُونَ إِذَا لَّابْنَغَوْا إِلَىٰ ذِىٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: ٤٢).

7 - ويقول عَلَىٰ: ﴿ مَا أَتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدِ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَا ۚ إِذَا لَذَهَ بَكُلُ إِلَا إِنِمَا خَلَقَ وَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ شَبْحَن اللَّهِ عَمَّا يَصِفُون ﴾ (المؤمنون: ٩١). هذه الآيات غيض من فيض، ذلك أن القرآن الكريم مليء بأدلة وحدانية الله - سبحانه وتعالى - وتوحيده حق التوحيد كما هو معلوم.

<sup>(</sup>١) البخاري (٢٠٧١).

ثانيًا: أنواع التوحيد: ثلاثة، وهي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسياء والصفات.

1. توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله. بأن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربّى جميع الخلق بالنعم وربّى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين، فلا خالق إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ الله خَلِقُ كُلِ شَيْءٍ ﴾ (الزمر: من الآية ٢٦). ولا رازق إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَتَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلّا الله، كما قال مدبّر إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِن السّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ (السجدة: ٥). ولا محيي ولا مدبّر إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ هُو يُحْيى وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة: ٥). ولا محيي ولا محيت إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ هُو يُحْيى وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يونس: ٥٦).

وقد قامت الأدلة الشرعية على وجوب الإيهان بربوبيته سبحانه وتعالى، كما في قوله: ﴿ الْعَالَمُ وَالْأَمْنُ مِبَارَكَ اللّهُ رَبُ الْعَالَمُ وَالْأَمْنُ مَبَارَكَ اللّهُ رَبُ الْعَرَافِ: ﴿ هُوَ اللّهِ يَ خَلُقَ لَكُم مّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ هُو الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَةِ الْمَتِينُ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّه الله الله والدِيانات؛ فكلُهم يعتقدون من التوحيد لم يخالف فيه كفار قريش، وأكثر أصحاب الملل والدِيانات؛ فكلُهم يعتقدون أن خالق العالم هو الله وحده، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

قال الله تبارك وتعالى عنهم: ﴿ وَلَهِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَرَ ٱلشَّمْسَ وَالْفَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴿ [العنكبوت: ٦١]، وقال: ﴿ قُل لِينِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ وَالْمَا مَن لَيْهُ وَلَا الله عَلَيْهِ وَرَبُ السَّمَعُونِ السَّبِعِ وَرَبُ السَّمَعُونِ السَّبِعِ وَرَبُ السَّمَعُونِ السَّبِعِ وَرَبُ السَّمَعُونِ السَّبِعِ وَرَبُ السَّمَونِ السَّبِعِ وَرَبُ السَّمَعُونِ السَّبِعِ وَرَبُ السَّمَعُولُونِ اللهِ أَلُولُ لَا نَقُولِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ منون: ٨٤-٩٠].

وذلك لأن قلوبَ العباد مفطورةٌ على الإقرار بربوبيته - سبحانه وتعالى - ولذا فلا يُصْبِحُ مُعْتقِدُه مُوَحِّدا، حتى يوحد في العبادة كما سيأتي

7. توحيد الأسماء والصفات: ومعناه الاعتقاد الجازم بأنَّ الله على الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وهو متَّصف بجميع صفات الكمال، ومنزَّهُ عن جميع صفات النقص، متفرد بذلك عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله على من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله على من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله.

وأسماء الله كثيرة، منها: الرحمن، والسميع، والبصير، والعزيز، والحكيم. فأهل السنة والجماعة: يعرفون ربهم بصفاته الواردة في القرآن والسنة، ويصفون ربهم بها وصف به نفسه، وبها وصفه به رسوله علي ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ويثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف، وقاعد تهم في كل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كُمِثْلِهِۦ شَيْ ۗ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿ ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسَمَآءُ ٱلْحُسَّنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۗ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَنَهِهِ ۚ سَيُجْزُونَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۞﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وأهل السنة والجماعة لا يحددون كيفية صفات الله- جل وعلا- لأنه تبارك وتعالى لم يخبر عن الكيفية، ولأنه لا أحد أعلم من الله سبحانه بنفسه، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعَلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٠٤١]. وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٤٠ ﴾ [النحل: ٧٤]. ولا أحد أعلم بالله بعد الله من رسوله ﷺ الذي قال الله تبارك وتعالى في حقه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْمَوَىٰٓ اللَّهِ إِنَّا هُوَ إِلَّا وَمَٰى يُوحَىٰ كَ ﴾، ويؤمنون أن الله- سبحانه وتعالى- هو الأول ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي

ليس دونه شيء، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اللهِ الذوات، فكذلك صفاته عَلِيمٌ اللهِ الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات، لأنه سبحانه لا سمى له، ولا كفء له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه؛ فيثبتون لله ما أثبته لنفسه إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل؛ فحين يثبتون لله ما أثبته لنفسه لا يمثلون، وإذا نزهوه لا يعطلون الصفات التي وصف نفسه بها، وأنه- تعالى- محيط بكل شيء، وخالق كل شيء، ورازق كل حي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ ١٤]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۞﴾ [الذاريات: ٥٨]. ويؤمنون بأن الله تعالى استوى على العرش فوق سبع سهاوات، بائن من خلقه، أحاط بكل شيء علما، كما أخبر عن نفسه في كتابه العزيز في سبع آيات كريمات بلا تكييف. قال تعالى: ﴿الرَّحْنَنُ عَلَى ٱلْعَـرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۞﴾ [طه: ٥]. وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَغْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِي تَمُورُ اللَّ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاآةِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعَلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ١٣﴾ [الملك: ١٦-١٧]، وقال: ﴿ إِلَيْهِ يَضْعَدُ ٱلْكِلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّلِحُ يَرْفَعُهُ، ﴾ [فاطر: ١٠].

ويؤمنون بأن الكرسي والعرش حق. قال تعالى: ﴿وَسِعَكُرْسِيّهُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضُ وَلَا الله ، ويُودُهُ وَهُو الْعَلِيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿ اللّهِ الله الله الله ، والله مستغن عن والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في فلاة وسع السموات والأرض، والله مستغن عن العرش والكرسي، ولم يستو على العرش لاحتياجه إليه؛ بل لحكمة يعلمها، وهو منزه عن أن يحتاج إلى العرش أو ما دونه، فشأن الله تبارك وتعالى أعظم من ذلك؛ بل العرش والكرسي محمولان بقدرته وسلطانه. وأن الله تعالى خلق آدم الشكربيديه، وأن كلتا يديه يمين ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء كما وصف نفسه سبحانه، فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ الله مَعْلُولَةً غُلَتَ آيَدِيهِمَ وَلُعِنُواْ عَالُواْ بَلَ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاهُ ﴾ [المائدة: ١٤]، وقال: ﴿ مَا الله وقال: ﴿ مَا الله عَلَى الله وقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ اللهُ مَنْ الله عَلَى الله المَائِلَةُ اللهُ اللهُ

مَنعَكَ أَن تَسَجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدَى ﴾ [ص: ٧٥]. ويثبتون لله سمعًا، وبصرًا، وعلمًا، وقدرةً، وقرةً، وعزّا، وكلامًا، وحياةً، وقدمًا وساقًا، ويدًا، ومعيةً، وغيرها من صفاته على التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز، وعلى لسان نبيه على بكيفية يعلمها الله ولا نعلمها؛ لأنه تعلى لم يخبرنا عن الكيفية، قال تعالى: ﴿إِنّي مَعَكُما آسَمَعُ وَأَرَك ﴾ [طه: ٢٤] وقال: ﴿وَهُو ٱلْعَلِيمُ لَلْمَكِيمُ ﴾ [التحريم: ٢]، ﴿وَكُلَّمَ ٱللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَبَنّعَى وَجَهُ رَبِّك ذُو ٱلْمِلَلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحن: ٢٧]، ﴿وَكُلّمَ ٱللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَبَنّعَى وَجَهُ رَبِّك ذُو ٱلْمِلَلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحن: ٢٧]، ﴿وَضَى ٱللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٧]، ﴿يُعَمُ وَنُ وَيُعَبُّهُمْ وَيُحَبُّهُمْ وَيُحْبُونَهُ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿به هه ﴾ [الزُّخرُف: ٥٥]، ﴿يَوَمَ يُكَشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلشَّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: ٢٤]، ﴿ ٱللهُ لاَ إِلَهُ إِلّا هُو ٱلْحَى ٱللّهُ عَلَيْهِمُ ﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿ وَغَيْمِ اللهُ عَلَيْهُمُ وَ اللهُ عَلَيْهُمُ ﴾ [الفتح: ٢]، وغيرها من آيات الصفات.

وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال تعالى: ﴿ وُبُوهٌ يَوَمَهِ نَاضِرَةٌ ﴿ آلَ إِلَى رَبّهَا الْظِرَةٌ ﴿ آلَ الْقَيَامَةُ اللهِ اللهُ الل

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، وسفيان بن عيينة، ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية، فقالوا: (أمرّوها كها جاءت بلا كيف).

وسأله رجل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اَسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيهان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالًا، وأمر به أن يخرج من المجلس. وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: (لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء؛ بل يصفه بها وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئًا؛ تبارك الله تعالى رب العالمين).

٣. توحيد الألوهية ويقال له توحيد العبادة: وهو توحيد الله بأفعال العباد التي أمرهم بها، وهو العلم والاعتراف والاعتقاد الجازم بأن الله هو الإله الحق ولا إله غيره، وكل معبود سواه باطل، وإفراده تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وأن لا يشرك به أحد كائنا من كان، ولا يُصْرَف شيء من العبادة لغيره؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكم والخوف والرجاء، والحبّ، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وأن يُعْبَدَ الله بالحُبِّ والحوف والرجاء جميعًا، وعبادتُه ببعضها دون بعض ضلال.

قال الله تعالى: ﴿إِيَاكَ نَعْبُهُ وَإِيَاكَ نَسْتَعِيثُ ﴾ [الفاتحة: ٥]. وقال: ﴿ وَمَن يَدَعُ مَعَ اللّهِ إِلَنها عَالَمُ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَن يَدَعُ مَعَ اللّهِ إِلَنها عَالَمُ اللّهُ تعالى اللّهُ تعالى اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهِ إِلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ وهو أول دعوة الرسل وآخرها ولأَجله أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكُتب، وسُلَت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين، وبين أهل الجنة وأهل وأنزلت الكُتب، وسُلَت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين، وبين أهل الجنة وأهل النّار، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ لَا إِللّهُ إِلّهُ اللّهُ ﴾، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَامِن قَبْلِكَ مِن رّسُولِ إِلّا

نُوحِى إِلَيْهِ أَنَهُ وَلاَ إِلَهُ إِلاَ إِلَهُ إِلاَ أَنَا فَأَعَبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. ومَن كان ربًا خالقًا، رازقًا، مالكًا، متصرفًا محييًا، مميتًا، موصوفًا بكل صفات الكهال، ومنزهًا من كلّ نقص، بيده كل شيء، وَجَبَ أَن يكون إلما واحدًا لا شريك له، ولا تُصْرَف العبادة إلا إليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَأَلإِنسَ إِلّا لِيهَ بُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وتوحيد الربوبية من مقتضيات توحيد الألوهية؛ لأنَّ المشركين لم يعبدوا إلما واحدًا، وإنها عَبدُوا آلهة مُتعَددة، وزعموا أنَّها تقرِّبهم إلى الله زلفى، وهم مع ذلك معترفون بأنها لا تضر ولا تنفع، لذلك لم يجعلهم الله مؤمنين رغم اعترافهم بتوحيد الربوبية؛ بل جعلهم في عداد الكافرين بإشراكهم غيره في العبادة. ومن هنا يختلف مُعْتَقَدُ السَّلف – أهل السُنَة والجهاعة – عن غيرهم في الألوهية؛ فلا يعنون كها يعني البعض أَنَ معنى التوحيد أنَّه لا خالق إلا والجه فحسب؛ بل إن توحيد الألوهية عندهم لا يتحقق إلا بوجود أصلين:

الأول: أَن تُصرف جميع أَنواع العبادة له-سبحانه-دون ما سواه، ولا يُعْطى المخلوق شيئًا من حقوق الخالق وخصائصه. فلا يُعبد إلا الله، ولا يصلى لغير الله، ولا يُشجَدُ لغير الله، ولا يُنذَرُ لغير الله، ولا يُتوكَّلُ على غير الله، وإن توحيد الأُلوهية يقتضي إفراد الله وحده بالعبادة.

والعبادة: إما قول القلب واللسان وإمَّا عمل القلب والجوارح.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشَكِى وَعَيْمَاى وَمَمَاقِ بِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَنْلِمِينَ ﴿ أَلَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلشَّلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَا يَلَهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزُّمَر: ٣].

الثاني: أَنْ تكون العبادة موافقة لما أمر الله تعالى به، وأمر رسوله عَلَيْة.

فتوحيد الله سبحانه بالعبادة والخضوع والطاعة هو تحقيق شهادة أن لا إِلَهَ إِلَّا الله، ومتابعة رسول الله ﷺ والإِذعان لما أمر به ونهى عنه هو تحقيق أنَّ مُحَمَدًا رَسُولُ الله، ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ مِشْدَيْنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وعلى هذا فالقسم الأخير يستلزمه القسمين الأولين ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي

هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم: الدعوة إلى هذا التوحيد.

فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصا محمد على وهذا القرآن الكريم، فإنه أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير، وبينه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية أدلة وبراهين على هذا الأمر بهذا التوحيد ووجوبه. فتصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، مثل الدعاء والخوف والتوكل والاستعانة والاستعاذة وغير ذلك.

فلا ندعو إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ أَدْعُونِيَ أَسْتَجِبُ لَكُو ﴾ [غافر: ٢٠]. ولا نخاف إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّ وَمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. ولا نتوكل إلا على الله، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوۤ أَ إِن كُنتُم مُّ وَمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

ولا نستعين إلا بالله، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُ ثُواِيَّاكَ نَسْتَعِيثُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

ولا نستعيذ إلا بالله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١].

وهذا النوع من التوحيد هو من أعظم ما جاءت به الرسل عليهم السلام لأن الأول لم تكن فيه خصومة مع المشركين، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدَّ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ المَّاعُونَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وهذا النوع من التوحيد هو الذي أنكره الكفار قديمًا وحديثًا، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِمَةَ إِلَنْهَا وَحِدًا ۚ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءُ مُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]. (١)

<sup>(</sup>١) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد تحت ترجمة كتاب التوحيد، والتوحيد للناشئة فصل أنواع

الفصل الثاني: شرح معنى ألوهية المسيح، ومدى اتفاق النصارى على هذه العقيدة. أولًا: نبذة تاريخية عن عقيدة المسيح، وكيف تبدلت مع ذكر قانون الإيمان المسيحي، وكيف انتزع من النصوص وكيف تطور:

1- إن الذي جاء به عيسى العلام من عند ربه هو التوحيد الذي جاء به كل رسول والإقرار بالعبودية الخالصة لله شأن كل رسول، فقد نشأ الجيل الأول بعد المسيح مؤمنًا بتوحيد الله وعبودية المسيح، وأنه كان نبيًا رسولًا، ورأينا ذلك في ما سطره الإنجيليون والقديسون بها فيهم بولس من نصوص موحدة.

كما نستطيع القول بأن الجيل الأول من تاريخ النصرانية كان موحدًا بشهادة التاريخ حيث يقول بطرس قرماج في كتابه " مروج الأخبار في تراجم الأبرار " عن بطرس ومرقس: "كانا ينكران ألوهية المسيح"، فهذا معتقد تلاميذ المسيح المقربين. وجاء في دائرة المعارف الأمريكية: "لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جدًا في التاريخ أو في حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين"، وذلك لأنها بدأت مع بدء النبوات، واستنارت وتلألأت ببعثة عيسى المعلى وتعاليمه الموحدة لله.

وفي دائرة معارف لاوس الفرنسية: "عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد ولا في عمل الآباء الرسوليين ولا عند تلاميذهم المقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان، وكشف مؤخرًا عن وثيقة مسيحية قديمة نشرت في جريدة "التايمز" في ١٥ يوليو ١٩٦٦م وتقول: إن مؤرخي الكنيسة يسلمون أن أكثر أتباع المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبى آخر لبنى إسرائيل. (١)

ولكن هذه العقيدة الناصعة أُدْخلت عليها التحريفات؛ بسبب دخول الوثنيين في النصرانية؛ وحرصهم على رواسب الوثنية التي جاءوا بها ومزجها بعقيدة التوحيد، حتى لم

التوحيد، ومعارج القبول ١/ ٩٧.

الله واحد أم ثلاثة (١/ ١٣٧).

يعد هناك إمكان لفصلها وفرزها وتنقية جوهر العقيدة منها.

ولم تجئ هذه الانحرافات كلها دفعة واحدة؛ ولكنها دخلت على فترات؛ وأضافتها المجامع واحدة بعد الأخرى؛ حتى انتهت إلى هذا الخليط العجيب من التصورات والأساطير، الذي تحار فيه العقول. حتى عقول الشارحين للعقيدة المحرفة من أهلها المؤمنين بها!

وقد عاشت عقيدة التوحيد بعد المسيح الله في تلامذته وفي أتباعهم. وأحد الأناجيل الكثيرة التي كتبت - وهو إنجيل برنابا - يتحدث عن عيسى الله بوصفه رسولاً من عند الله. ثم وقعت بينهم الاختلافات. فمن قائل: إن المسيح رسول من عند الله كسائر الرسل. ومن قائل: إنه رسول نعم ولكن له بالله صلة خاصة. ومن قائل: إنه ابن الله لأنه خلق من غير

أب، ولكنه على هذا مخلوق لله. ومن قائل: إنه ابن الله وليس مخلوقًا بل له صفة القدم كالأب، ولتصفية هذه الخلافات اجتمع في عام ٣٢٥ ميلادية « مجمع نيقية » الذي اجتمع فيه ثمانية وأربعون ألفًا من البطارقة والأساقفة. لصياغة قانون الإيهان فها هو الذي وصلوا إليه؟.

يقول نص قانون الإيمان: " المنبثق عن مجمع نيقية عام ٣٢٥ م. " نؤمن بإله واحد "آب يقول نص قانون الإيمان: " المنبثق عن مجمع نيقية عام ٣٢٥ م. " نؤمن برب آب ضابط الكل (") خالق السهاوات والأرض ما يرى وما لا يرى (ألى نؤمن برب واحد (") يسوع المسيح (") ابن الله الوحيد (") المولود من الآب قبل كل الدهور ((")، نور من نور (")، إله حق (") من إله حق (")، مولود غير مخلوق (")، مساو للأب في الجوهر (")، الذي به

<sup>(</sup>١) إنجيل (يوحنا ٣: ١٧).

<sup>(</sup>٢) من الرسالة الولى لأهل تسالونيكي (١١: ٣).

<sup>(</sup>٣) من إنجيل متى من (١: ٩- ٢٠).

<sup>(</sup>٤) متى (٢٥: ١١)، وسفر الخروج (١١: ٢٠).

<sup>(</sup>٥) من العبرانيين (١/ ٨)، والرؤيا (١٦/١٩).

<sup>(</sup>٦) العبرانيين (١٣/٨).

<sup>(</sup>۷) يوحنا (۱٦/٣).

<sup>(</sup>٨) من ميخا (٥/٢).

<sup>(</sup>٩) من العبرانيين (١/٣).

كان كل شيء (°). هذا هو الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاص نفوسنا (۱)، نزل من السهاء وتجسد (۱۷) من الروح القدس ومريم العذراء (۱۸) وتأنس (۱۹) وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي (۱۱) وتألم (۱۱) وقُبر (۱۱) وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كها في الكتب (۱۳)، وصعد إلى السهاوات (۱۱)، وجلس عن يمين أبيه (۱۵)، وأيضًا يأتي في مجده (۱۱) ليدين الأحياء والأموات (۱۷). الذي ليس لملكه انقضاء (۱۸)

هذا هو قانون الإيمان النصرائي الأول قبل تطويره: وأود أن أنبه إلى أن هذا التخريج ليس من عندنا ولكنه كما خرج عليه المؤتمرون قرارهم وقدموا به محمولًا بين يدي هذه المذكرة الإيضاحية.

<sup>(</sup>١) من إنجيل يوحنا (١٧/٥).

<sup>(</sup>۲) يوحنا (۱۷/ ٥).

<sup>(</sup>٣) من إنجيل يوحنا (٢٦/ ٥).

<sup>(</sup>٤) من إنجيل يوحنا (١٠/ ٣٠).

<sup>(</sup>٥) من إنجيل يوحنا (١/٣).

<sup>(</sup>٦) لايوجد في العهد الجديد، وإنها وضع بمعرفة المجمع.

<sup>(</sup>٧) يوحنا (١/ ١٤ والعبرانيين ١٠/٥).

<sup>(</sup>٨) لوقا (١/ ٣٥).

<sup>(</sup>٩) يوحنا (٨/ ٤٠).

<sup>(</sup>۱۰) يوحنا (۱۹/۱۹).

<sup>(</sup>١١) من الرسالة الأولى لبطرس (١/ ١١).

<sup>(</sup>۱۲) أشعياء (۹/۵۳ ومن متى ۲۷/ ٦٠).

<sup>(</sup>١٣) من سفر الرؤيا (١٤/ ١٤) ومن الرسالة الأولى لكورنثوس (١٥/ ٢).

<sup>(</sup>١٤) من إنجيل لوقا (٢٤/٥١).

<sup>(</sup>١٥) من إنجيل مرقص (١٩/١٦).

<sup>(</sup>۱٦) متى (۲۵/ ۳۱)

<sup>(</sup>۱۷) العرانيين (۱۰/ ۳۰)

<sup>(</sup>١٨) من إنجيل لوقا (١/ ٣٣).

وإذا جاوزت هذا التبرير وما فيه من تعسف وشطط بعيدين غريبين فإنك تجد أن الصورة التي رسمها القرار للألوهية ينقصها الوجه الثالث من وجوه التثليث وهو الروح القدس فالإيهان الذي يبشر به هذا القرار هو الإيهان بالآب والابن فقط، أما الروح القدس فهو ما دخل في تجسد الابن من مريم العذراء وهو في هذا الموضع قد يكون ملاك الرب أو جبريل أو كلمة الله أو الابن.

ونستطيع أن نتخذ من هذا القرار وثيقة تاريخية محققة للقول بأن التثليث المسيحي لم يكن معروفًا إلى سنة ٣٢٥ من ميلاد المسيح ولم يعترف المؤتمر المنعقد في هذا العام بغير الآب والابن.

كما نستطيع أن نقرر أيضًا أنه إلى ذلك الحين لم يكن المسيح قد دخل ببنوته في شركة مع الله على هذا النحو الذي يجعل منه الله مندمجًا في أقنومية الآب والروح القدسي. وغاية ما كان يتصور في هذه البنوة أنها فرع عن أصل وأنها إن دلت على الإله فلن تكون هي الإله. وفي هذا القرار إعلان صريح عن الله الآب أنه خالق للساوات والأرض، أما الابن فلم يكن له في خلق الساوات والأرض أي دخل.

ولكن المسيحية بعد هذا تدين بأن الله الآب لم يخلق شيئًا وإنها المسيح الابن هو الذي خلق كل شيء. فأقنوم الابن هو القائم بعملية الخلق كها انتهى إلى ذلك معتقد المسيحية بيد أن المسيحية إلى ما بعد منتصف القرن الرابع لم تكن قد استكملت حقيقتها فها زال موقف المسيح متأرجحًا مضطربًا بين الإله والإنسان. وإن الأمر ليحتاج إلى خطوة أو خطوات أخرى لسد هذه الفجوة العميقة التي تتذبذب فيها شخصية المسيح متأرجحة مضطربة بين الإله والإنسان. وليس يقوم لهذا الأمر إلا مجمع مقدس يسوي ألوان هذه الصورة المهزوزة ويحدد ملامحها وهذا ما قد كان فعلاً؟. ثم سار خلاف جديد حول الروح القدس؛ فقال بعضهم: هو إله، وقال آخرون: ليس بإله! ففي سنة ١٨٦ م، أمر الملك تاودسيوس الكبير بعقد مجمع مقدس في مدينة القسطنطينية للنظر في مقولة مقدونيوس بطريرك القسطنطينية التي كان ينادي بها في محيط كنيسته ويذيعها في أتباعه وهي أن الروح

القدس مخلوق كسائر المخلوقات فعقد مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ ليحسم الخلاف في هذا الأمر.

وواضح من هذا أن أمر الروح القدس لم يكن قد استقر بعد كوجه من وجوه الله وأقنومًا من أقانيمه متساويًا مع الآب والابن في الرتبة، وقد اجتمع في هذا المؤتمر مائة وخمسون أسقفًا يمثلون جميع الهيئات المسيحية. وكان من بينهم تيموثاوس بطريرك الإسكندرية الذي أسندت إليه رئاسة الجميع.

وقد نقل ابن البطريق ما تقرر في هذا المجمع، بناء على مقالة أسقف الإسكندرية:

قال تيموثاوس بطريك الإسكندرية: ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئًا غير حياته فإذا قلنا إن روح القدس مخلوق، فقد قلنا: إن روح الله مخلوق. وإذا قلنا: إن روح الله مخلوق، فقد قلنا: إن حياته مخلوقة، وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة، فقد زعمنا أنه غير حي. وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به. ومن كفر به وجب عليه اللعن. وكذلك تقررت ألوهية روح القدس في هذا المجمع، كما تقررت ألوهية المسيح في مجمع نيقية. وتم الثالوث من الآب، والابن، وروح القدس. وقد انتهى المؤتمر بإدانة مقدونيوس ومن كان على رأيه من الأساقفة ثم خرج المجمع بالمصادقة على قرار نيقية ثم إضافة نص جديد كالآتي مع بيان تخريجه من الكتاب المقدس في الحاشية: " نعم نؤمن بالروح القدس ألرب (الرب (المحيي)) المنبثق من الآب (المحيد)، نسجد له ونمجده مع الآب والابن (المناطق في الأنبياء (المعنيشة (المحيد)) واحدة (المعنيشة (المحيد)) مقدسة (المحتور)) واحدة (المحتور) مقدسة (المحتور))

<sup>(</sup>۱) يوحنا (۲٦/١٤).

<sup>(</sup>٢) الرسالة الثانية إلى كورنثوس (٢/ ١٧ و١٨).

<sup>(</sup>٣) رومية (٨/ ١١).

<sup>(</sup>٤) يوجنا (١٦/١٥)

<sup>(</sup>٥) إنجيل (متى ١٨ ١٩ – ٢٠).

<sup>(</sup>٦) (الرسالة الأولى لبطرس ١/ ٢١، ٢ بطرس ١/ ٢١).

ونعترف بمعمودية واحدة (٢) لمغفرة الخطايا (٢)، وننتظر قيامة الأموات (٨) وحياة الدهر الآتي. آمين (٩) ".

وقد جمع هذا النص كسابقه من أشتات ملفقة من الأناجيل والرسائل ومنتزعة من مواطنها انتزاعًا في غير رفق أو تلطف لتلتقي هنا على غير إلف أو تعارف وفي هذا النص يظهر الوجه الثالث للثالوث المقدس.

ثم تبدأ المسيحية النظر في الإله ذي الأقانيم الثلاثة نظرًا فلسفيا لاهوتيا تختلط فيه الفلسفة باللاهوت ويمتزج فيه الواقع بالخيال ويعمل العقل المسيحي في جد وبراعة في نسج ملحمة من أبرع الملاحم الأسطورية التي تصل السهاء بالأرض وتخلط الله بالإنسان، ولكن القصة لم تتم فصولًا بعد فها زال هناك فجوات تنتظر من المجامع المقدسة أن تملأها بتلك الكلهات التي تلتقطها من شتيت الصفحات في الأناجيل والرسائل.

ولأجل هذه الفجوات ثار خلاف آخر حول اجتماع طبيعة المسيح الإلهية وطبيعته الإنسانية، حيث أعلن نسطور بطريك القسطنطينية قوله: إن العذراء لم تلد متأنسا بل ولدت إنسانًا عاديًا ساذجًا ثم حل فيه الإله بإرادته لا بالاتحاد، فهو لهذا ذو طبيعتين وأقنومين. وقد انقسم المسيحيون إزاء هذا الرأي فكان بعضهم في جانب نسطور وكان البعض الآخر في الجانب المخالف له على حين وقف كثيرون موقف الحياد بين الحيرة والتردد.

<sup>(</sup>١) " إنجيل (متى ١٦/ ١٨).

<sup>(</sup>٢) (رومية ١٣/٥).

<sup>(</sup>٣) (أفسس ٥/ ٢٥، ٢٦).

<sup>(</sup>٤) إنجيل (يوحنا ١١/٥٢).

<sup>(</sup>٥) (أفسس ٥/٣).

<sup>(</sup>٦) (أفسس ٤/٥).

<sup>(</sup>٧) (عبرانيين ٨/ ٩،١٣/ ٢٢).

<sup>(</sup>٨) الرسالة الأولى لكورنثوس ١٥: ٢١).

<sup>(</sup>٩) إنجيل (لوقا ١٨: ٣٠).

ومن أجل هذا دعا الملك تاودوس الصغير ملك القسطنطينية إلى عقد المجمع المقدس فحضره نحو ماتتي أسقف وبعد مناقشات طويلة انتهى الرأي إلى القول بتجسد الكلمة واتحاد الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة. والذي يلفت النظر في مقررات هذا المؤتمر أنها لم تخرج غرج المقررات التي صدرت في المجمعين السابقين حيث لم تكن في صورة دعوة إلى إيهان بحقيقة جديدة وإنها جعلت هذه المقررات مقدمة لقانون الإيهان، وكأن المؤتمرين قدروا الخطر الناجم عن تبدل صورة العقيدة وما يدخل في قلوب الناس وعقولهم من هذه الإضافات التي تحدث كلها حدثت أحداث وبرزت آراء فذلك من شأنه أن يجعل الناس يتهمون المقولات التي تلقى إليهم من جهة الدين ويتشككون في إضافتها إلى السهاء حيث لا تبديل لكلهات الله نقول إن المؤتمرين قدروا هذا كله فلم يجعلوا لمقرراتهم شيئًا جديدًا يدخل في مجال العقيدة، وإنها جعلوه مقدمة إلى العقيدة ومدخلًا إلى الإيهان. وقد حملت هذه المقدمة ثلاث مقولات عن العذراء والمسيح والثالوث، وها هي كها صدرت في المجمع مع تخريج نصوصها:

1. تطويب العذراء: " نعظمك() يا أم النور الحقيقي() ونمجدك() أيتها العذراء القديسة() لأنك ولدت لنا مخلص العالم كله() أتى وخلص نفوسنا().

**٦ـ تمجيد السيد المسيح**: " المجد لك يا سيدنا (٢) و للكنا المسيح (<sup>٨)</sup> فخر الرسل (<sup>٩)</sup> إكليل

<sup>(</sup>١) إنجيل (لوقا ١/ ٤٨).

<sup>(</sup>٢) من إنجيل (لوقا ١/ ٤٣) ومن إنجيل (يوحنا ١/ ٨-١٠)

<sup>(</sup>٣) من (المزمور ٩١/ ١٥).

<sup>(</sup>٤) من (أشعياء ٧/ ١٤ ولوقا ١/ ٣٧).

<sup>(</sup>٥) من (لوقا ٣/ ١١).

<sup>(</sup>٦) من (لوقا ١٩: ١٠).

<sup>(</sup>٧) من (أشعيا ٨/٤٣).

<sup>(</sup>٨) من (لوقا ١/ ٣٣).

<sup>(</sup>٩) من (غلاطية ٦/ ١٤)

الشهداء(١) تهليل الصديقين(١) ثبات الكنائس(١) غافر الخطايا(١)".

**T. التبشير بالثالوث الأقدس:** " نكرز ونبشر (°) بالثالوث الأقدس (۲) لاهوت واحد (۷) نسجد له ونمجده (۸). يا رب ارحم يا رب ارحم (۱) يا رب بارك. آمين "(۱۰). هذه هي قوانين الإيهان التي نريد أن نمر عليها لنعرف كيف لفقت هذه القوانين وكيف جمعت كلهاتها من أسفارهم كها تجمع الكلهات المتقاطعة التي تنشر في الصحف.

ومن هنا نرى أنه فضلًا عن أن قانون الإيهان تطور عبر المجامع كها رأيتم فهو في الوقت نفسه ملفق من كلهات مفردة بعضها من أسفار العهد القديم وبعضها من أسفار العهد الجديد فهي كلها تلفيقات مأخوذة من أشتات متنافرة. (۱۱) قال سعد رستم في كتابه الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ويوحنا تنفي ألوهية المسيح كها ينفيها القرآن بعد ذكره

(۱۱) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية تعقيب الدكتور محمد جميل غازي، وسوسنة سليان لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصراني، وتاريخ الكتاب المقدس للدكتور بوست نقلًا عن ظلال القرآن سورة المائدة (آية ۷۳)، وهداية الحيارى من المجمع الأول إلى المجمع التاسع، وانظر المناظرة التقريرية واليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي صـ (۳۰۲-۳۰)، مسيحية بلا مسيح، كامل سعفان، صـ والمسيحية، حسني الأطير، ص (۷۹-۸۲)، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي، ص (۲۱۲-۲۱۲). وكتاب الله جل جلاله واحد أو ثلاثة (۱/ ۱۳۳)، وفي ظلال القرآن تفسر سورة المائدة (۱/ ۱۳۳).

<sup>(</sup>١) من (أشعياء ٣٨/٥).

<sup>(</sup>٢) من إنجيل (يوحنا ١٨/٥٥)

<sup>(</sup>٣) من إنجيل (يوحنا ١٥ / ٣٤).

<sup>(</sup>٤) من إنجيل (متى ٩ / ٣).

<sup>(</sup>٥) من (الرسالة إلى العبرانيين ١٠ / ٤٣).

<sup>(</sup>٦) من (متى ٢٨ / ١٩).

<sup>(</sup>٧) من (يوحنا ٥ / ٧).

<sup>(</sup>۸) من (متی ۶ / ۱۰).

<sup>(</sup>٩) من (المزمور ٣٣/ ١).

<sup>(</sup>۱۰) من (لوقا ۵۳ / ۲۶).

## لنص قانون الإيهان المسيحي:

تلك هي عبارة دستور إيهان النصارى بالمسيح بحروفها، وهي \_ كها نرى \_ صريحة في النص على إلهية المسيح وأنه إله حق غير مخلوق \_ أي أزلي بلا بداية \_ وأنه مساو للآب في جوهريته: أي في ألوهيته. وعليه فدستور الإيهان هذا، حسب ظاهره، يؤدي للقول بتعدد الآلهة، باعتباره يثبت الغيرية بين الآب (الله) والابن (المسيح) من جهة، مع تأكيده بنفس الوقت على إلهية كل منها وتساويها في الألوهية.

إذن صار عندنا إلهان اثنان! وهذا يتناقض بظاهره مع إيهان المسيحية القاطع بوحدانية الله، لذا لا بد من تفصيل تلك العقيدة المجملة، وبيان شرح مختلف فرق النصارى لها، لتتضح حقيقة ما يعتقده النصارى حول المسيح وعلاقته بالله كالحسبها جاء في كتب عقائدهم وتقريرات لاهوتيهم.

ثانيًا: شرح موجز لهذه العقيدة: يعتقد الجمهور الأعظم من النصارى أن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاث، والأقنوم لفظة يونانية تعني الشخص، و هذه الأقانيم أو الأشخاص الثلاث هي:

- ١ شخص الآب، وهو الخالق لكل شيء والمالك والضابط للكل.
- ٢- وشخص ابنه، المولود منه أزلًا المساوي لأبيه في الألوهية والربوبية لأنه منه.
- ٣- وشخص الروح القدس، وهذه الأقانيم الثلاثة متحدة في الجوهر والإرادة والمشيئة، إلا أن هذا لا يعني أنها شخص واحد بل هم أشخاص ثلاثة، كل واحد منهم إله كامل في ذاته غير الآخر، فالآب إله كامل، والابن إله كامل غير الآب، وروح القدس أيضًا إله كامل غير الآب والابن، ولكن مجموع الثلاثة لا يشكل ثلاث آلهة \_ كها هو مقتضى الحساب! \_ بل يشكل إلهًا واحدًا، ويعترفون أن هذا لا سبيل لفهمه وإدراكه بالعقل ويسمونه "سرّ التثليث".

ثم يعتقدون أن الأقنوم الثاني لله، أي أقنوم الابن، هو الذي تجسد وصار إنسانًا حقيقيًا،

بكل ما في الإنسانية من معنى، وهو المسيح المولود من مريم العذراء، فالمسيح في اعتقادهم إله إنسان، أي هو بشر حقيقي مثلنا تمامًا تعرض له جميع أعراض الضعف والاحتياج البشرية، وهو في عين الحال إله قادر كامل الألوهية، ويسمون هذا بسر التجسد.

وهكذا، فالمسيح، حسب تفسير قانون الإيهان المسيحي الذي تقرر في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م. ، هو شخص واحد ذو طبيعتين، طبيعة إنسانية (ناسوت) وطبيعة إلهية (لاهوت) فهو إله بشر.

ونتيجة هذه العقيدة أن يكون عيسى المسيح الطّيّلافي نظرهم ـ شخص واحد هو خالق وهو نفسه مخلوق، رازق ومرزوق، قديم وحادث! معبود وعابد، كامل العلم وناقصه، غني ومحتاج!... إلخ.

ولو كانت هذه الصفات المتناقضة لشخصين اثنين اتحدا بمظهر واحد لكان هناك مجال لفهم ما يقولون، لكن الذي يعسر على العقل فهمه بل يستحيل فهمه وقبوله عقلًا هو أن تكون هذه الصفات لشخص واحد وذات واحدة؛ لأن هذا بمثابة أن نقول أن هذا الشكل مربع ودائرة بنفس الوقت؛ لكن على أي حال الكنيسة الغربية تؤمن بذلك وتقر بأن هذا لا سبيل للعقل البشري القاصر أن يفهمه ويدركه ولذلك تعتبره سرًا من أسرار الله وتسميه، كما قلنا، بـ " سر التجسد ". (1)

<sup>(</sup>۱) ما ذكر أعلى كان عقيدة جهور المسيحيين أي: الروم الكاثوليك (اللاتين) أو الكنيسة الغربية التي رئاستها في روما، والروم الأرثوذكس، أي الكنيسة الشرقية اليونانية الأورثوذكسية التي رئاستها في القسطنطينية (والتي انفصلت عن الكنيسة الغربية عام ۸۷۹ م.)، والبروتستانت بفرقهم المختلفة من أنجليكان ولوثريين وإنجيليين وغيرهم. . . الذين خرجوا من بطن الكنيستين السابقتين في القرن السادس عشر الميلادي وما تلاه، لكن هناك طائفتين قديمتين من النصارى لم تعترفا أبدًا بقرار مجمع خلقيدونية المذكور، الذي نص على أن المسيح شخص واحد في طبيعتين، وهما: النساطرة أتباع نسطوريوس واليعاقبة أتباع يعقوب البرادعي.

أما النساطرة \_ وهم أقلية قليلة العدد تتوطن حاليًا شهال غرب إيران وجنوب شرق تركيا وشهال العراق وعدد من المناطق الأخرى ويسمون كذلك بالآشوريين \_ فهم يميزون في المسيح بين شخصين: شخص

وهذا هو مذهب جمهورهم خلافًا للنسطورية واليعقوبية كها هو مبين في الحاشية والحاصل أن جميع الفرق المسيحية تتفق على أن المسيح بشرٌ وإلهٌ بنفس الوقت! وإنها تختلف عن بعضها في مدى تأكيدها وإبرازها لأحد الجانبين الإلهية أو البشرية في المسيح، فاليعاقبة يؤكدون الجانب الإلهي أكثر، وعلى عكسهم النساطرة الذين يبرزون أكثر الجانب اللهي والبشري في حين يطرح الجمهور الأعظم رؤية متوازية ومتعادلة للجانبين الإلهي والبشري

عيسي البشر المولود من مريم العذراء الذي هو إنسان بشر محض، وشخص الله الابن، أو ابن الله الذي هو إله كامل، المتحد بعيسي الإنسان، حسب زعمهم، فالذي ولد من مريم العذراء هو عيسي الإنسان وليس الله، ولذلك رفضوا قبول عبارة " مريم والدة الله "، كما أن الذي صُلِبَ ـ في اعتقادهم ـ وتألم ومات، لم يكن الله الابن، بل عيسى الإنسان البشر، والحاصل أن المسيح في اعتقادهم شخصيتان متهايزتان لكل شخصية طبيعتها الخاصة: البشرية المحضة لعيسى الناصري المولود من مريم العذراء، والإلهية المحضة لابن الله المتحد بعيسى في اعتقادهم. وعلى النقيض من ذلك تمامًا الطائفة الأخرى وهم اليعاقبة، الذين يرون أن عيسى المسيح شخص واحد فقط، لا شخصان، وليس هذا فحسب، بل هذا الشخص الواحد ذو طبيعة واحدة أيضا، ولذلك يُسمُّون أيضًا بالمونوفيزيين، أي القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح، فاعتقادهم هو أن: أقنوم الابن من الله تجسد من روح القدس ومريم العذراء فصيَّر هذا الجسد معه واحدًا وحدة ذاتية جوهرية، أي صار الله (الابن) المتجسد، طبيعة واحدة من أصل طبيعتين، ومشيئة واحدة وشخصًا واحدًا. وبعبارة أخرى: المركز المسيّر والطبيعة الحقيقية لعيسى المسيح الذي ولد من مريم هي الألوهية المحضة، فهو الله عينه، أما بشريته فهي مجرد لباس فانٍ في إلهيته. فلذلك الله تعالى عندهم هو بذاته الذي وُلِدَ من مريم العذراء، لذا فهي والدة الله، والله نفسه هو الذي عُذِّب وتألم وصلب ومات! ثم قام بعد ثلاثة أيام من قبره حيًا - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- و في هؤلاء جاء قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله هُوَ الْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ الله شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُمْلِكَ الْمُسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأرْضِ بَجِيعًا وَللهَّ مُلْكُ السَّهَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يُخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ١٧)، وقوله سبحانه كذلك: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله هُوَ الْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمُسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجُنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٧).

وبهذا المذهب اليعقوبي تدين الكنيسة القبطية في مصر وكنيسة الحبشة التابعة لها، كها هو مذهب السريان الأرثوذكس في بلاد الشام، ومذهب الكنيسة الأرمنية الغريغورية. أما مذهب الجمهور الأعظم فهو الذي قال الله تعالى في شأنه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ اللَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَبًا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٧٣).

دون ترجيح أي منهما على الآخر. وبهذا نكون قد عرفنا عقيدة مختلف الفرق النصرانية بإلهية المسيح وكيفية تفسيرهم لهذه العقيدة (١)

(١) وبعد هذا العرض الموجز لعقيدتهم في المسيح يتوارد علينا سؤال مهم ألا وهو: هل آمن جميع المسيحيين دون خلاف مذه العقيدة؟

إن ما سبق عرضه لا يعني أن الموحدين انتهوا تمامًا، بل إن التاريخ والوثائق تثبت أنه وجدت ولا تزال، في كل عصر من عصور تاريخ المسيحية وحتى يومنا هذا، أعداد غير قليلة من علماء النصاري وعامتهم بمن أنكر تأليه المسيح ورفض عقيدة التجسد والتثليث مؤكدًا تفرد الله الآب وحده بالألوهية والربوبية والأزلية، وأن المسيح مهما علا شأنه يبقى حادثًا مخلوقًا، هذا وقد حظى أولئك الأساقفة أو البطارقة الموحدون بآلاف بل عشرات آلاف الأتباع والمقلدين، وليس ههنا مجال لذكر واستقصاء أسهاء كل من نقله التاريخ لنا من أولئك الموحدين الأعلام، ومن رام الاطلاع المفصَّل على ذلك فعليه بالكتاب القيِّم المسمى: "عيسى يبشِّر بالإسلام " للبروفيسور الهندي الدكتور محمد عطاء الرحيم، والذي ترجمه إلى العربية الدكتور (الأردني) فهمي الشما، فقد ذكر فيه مؤلفه الفرق النصرانية الموحدة القديمة وتحدث في فصل كامل عن أعلام الموحدين في النصرانية، كاد يستوعب فيها أسهاءهم وتراجهم وكتاباتهم ودلائلهم على التوحيد وأحوالهم وما لاقوه من اضطهاد ومحاربة في سبيل عقيدتهم، ونكتفي هنا بإشارة سريعة لأسهاء أشهر الفرق والشخصيات النصرانية الموحدة البارزة عبر التاريخ: فقد ذكرت المراجع التاريخية النصرانية، التي تتحدث عن تاريخ الكنيسة، أسهاء عدة فرق في القرون المسيحية الثلاثة الأولى كانت تنكر التثليث والتجسد وتأليه المسيح وهي: فرقة الأبيونيين، وفرقة الكارينثيانيين، وفرقة الباسيليديين وفرقة الكاربوقراطيين، فرقة الهيبسيستاريين، وفرقة الغنوصيين. وأما أشهر القساوسة والشخصيات المسيحية الموحدة القديمة التي تذكرها تلك المصادر فهي: ١ - ديو دوروس أسقف طرطوس.

٣-بولس الشمشاطي، وكان بطريركا في أنطاكية ووافقه على مذهبه التوحيدي الخالص كثيرون وعرفوا بالفرقة البوليقانية.

- ٣-الأسقف لوسيان الأنطاكي أستاذ آريوس (توفي سنة ٣١٢ م. )
- ٤-آريوس أسقف كنيسة بوكاليس في الإسكندرية (٢٥٠ ـ ٣٣٦ م
- ٥- يوزيبيوس النيقوميدي أسقف بيروت ثم نقل لنيقوميديا عاصمة الإمبراطورية الشرقية، وكان من أتباع لوسيان الأنطاكي ومن أصدقاء آريوس. أما أشهر الموحدين من رجال الدين والمفكرين المسيحيين المتأخرين فهم:
  - ١ الطبيب الأسباني ميخائيل سيرفيتوس ١٥١١)
  - ۲- القسيس الروماني فرانسيس ديفيد ١٥١٠) Francis David (١٥١٠)

٣- اللاهوتي الإيطالي فاوستو باولو سوزيني ١٩٣٩) Fausto Paolo Sozini (١٩٣٩. ١٦٠٤)

٤- الأستاذ المحقق البريطاني جون بيدل ١٦٦٥) John Biddle (١٦١٥).

٥- القسيس البريطاني توماس إيملين ١٦٦٣ (١٧٤١ . Thomas Emlyn (١٦٦٣)

٦- القسيس البريطاني ثيوفيلوس ليندسي ١٧٢٣ (١٨٠٨. Theophilos Lindsy)

٧- القسيس والعالم البريطاني جوزيف بريستلي ١٧٣٣) Joseph Priestly (١٧٣٣)

٨- القسيس الأمريكي ويليام إيليري تشانينغ ١٧٨٠) Naty. William Ellery Channing(١٧٨٠)

الكتاب المتاز " The Myth of God Incarnate " أي: أسطورة الله المتجسد، الذي ترجم للعربية "The Myth of God Incarnate" أي: أسطورة الله المتجسد، الذي ترجم للعربية ولعدة لغات عالمية، ويضم مقالات له وللفيف من كبار الأساتذة والدكاترة في اللاهوت ومقارنة الأديان في ولعدة لغات عالمية، ويضم مقالات له وللفيف من كبار الأساتذة والدكاترة في اللاهوت ومقارنة الأديان في حمعات بريطانيا، محورها جميعا ما أشار إليه البروفيسور هيك نفسه في مقدمة كتابه ذاك حيث قال ما نصه: The writers of this book are convinced that another major theological development is called for in this last part of the Twentieth Century. The need arises from growing knowledge of Christian origins and involves a A man approved " (recognition that Jesus was (as he is presented in Acts ۲. ۲۱ and that the later for a special role within the Divine purpose " by God The Second Person of the Holy Trinity conception of him as God Incarnate is a mythological or poetic way of expressing his cliving a human life .significance for us

وترجمته: [إن كُتَّاب هذا الكتاب مقتنعين بأن هناك، في هذا الجزء الأخير من القرن العشرين، حاجة ماسة لتطور عقائدي كبير آخر. هذه الحاجة أوجدتها المعرفة المتزايدة لأصول المسيحية، تلك المعرفة التي أصبحت تستلزم الاعتراف بعيسى أنه كان (كما يصفه سفر أعمال الرسل: ٢/ ٢١): " رجل أيده الله " لأداء دور خاص ضمن الهدف الإلهي، وأن المفهوم المتأخر عن عيسى والذي صار يعتبره " الله المتجسد والشخص الثاني من الثالوث المقدس الذي عاش حياة إنسانية " ليس في الواقع إلا طريقة تعبير أسطورية وشعرية عها يعنيه عيسى المسيح بالنسبة إلينا.

وأخيرًا فإن المتتبع لمؤلفات المحققين الغربيين المعاصرين حول تاريخ المسيحية وتاريخ الأديان والمطالع لما تذكره دوائر المعارف البريطانية والأمريكية الشهيرة حول المسيح وتاريخ تطور العقيدة النصرانية والأناجيل، يجد أن الغالبية العظمى من هؤلاء المفكرين والكتّاب العصريين لا تماري ولا ترتاب في كون غالب العقائد المعقدة للكنيسة النصرانية، لا سيها التثليث والتجسد والكفارة والأقانيم، ما هي إلا تعبيرات فلسفية بعدية

الوجه الثاني: الأدلة من القرآن على بطلان ألوهية المسيح سواء أكان هو الله، أو كان أحد الأقانيم الثلاثة.

الدليل الأول: القرآن ينفي الوهية المسيح: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَنْ يَمَ اللّهِ مَنْ اللّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهَ اللّهَ الْمَسِيحَ ابْنُ مَنْ يَمَ اللّهُ وَمَن يَمْ اللّهُ مِن اللّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهَ اللّهَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْكِمَ وَأَمَّكُهُ. وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّهِ مُلْكُ السّكَمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَعْلُقُ مَا يَشَاءً وَاللّهُ عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧].

قال السعدي رحمه الله: لما ذكر تعالى أخذ الميثاق على أهل الكتابين، وأنهم لم يقوموا به بل نقضوه، ذكر أقوالهم الشنيعة؛ فذكر قول النصارى – القول الذي ما قاله أحد غيرهم بأن الله هو المسيح ابن مريم، ووجه شبهتهم أنه ولد من غير أب، فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطل مع أن حواء نظيره، خُلِقَت بلا أم، وآدم أولى منه، خلق بلا أب ولا أم، فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما ادعوها في المسيح؟ فدل على أن قولهم اتباع هوى من غير برهان ولا شبهة؛ فرد الله عليهم بأدلة عقلية واضحة فقال: ﴿قُلْ فَمَن يَمَلِكُ مِنَ اللّهِ

عن رسالة المسيح التي لم تكن إلا رسالة توحيدية أخلاقية بسيطة. ولم يبق إلا القليل جدًا من المفكرين ودكاترة اللاهوت وأساتذة علم الأديان الغربيين ممن لا يزال يرى أن عقائد الكنيسة الرسمية تلك تمثل بالضبط نفس تعاليم المسيح وتعكس حقيقة رسالته.

و في الختام أشير إلى أن كثيرًا من الفرق النصرانية الجديدة، التي انشقت عن الكنيسة في قرننا هذا والذي سبقه، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، تتفق على إنكار إلهية المسيح وإنكار التثليث ورفض فكرة: الله. الإنسان، وتنظر لبنوَّة المسيح لله على معنى مجازي لا حرفي، ومن أشهر هذه الفرق الجديدة التي قالت بذلك:

<sup>1-</sup> فرقة الموحدين أو التوحيديين The Unitarians

۲- فرقة شهود يهُوَه Witnesses' Jehovah

۳- فرقة الروحيين The Spiritualist

<sup>1-</sup> فرقة العلم المسيحي The Christian Science

مع العلم أن لكل واحدة من هذه الفرق عشرات الكنائس، و عشرات آلاف الأتباع من مختلف الطبقات، لا سيها الطبقات المثقفة العصرية، في الولايات المتحدة الأمريكية وكثير من بلدان العالم الأخرى. " انظر فريد اشع ذلك في "كتاب الأناجيل الأربعة ورسائل بولس تنفي ألوهية المسيح " بتصرف.

سَيّعًا إِنّ أَرَادَ أَن يُهِ لِلْكَ الْمَسِيحَ أَبْرَ مَرْكِمَ وَأُمّكُهُ، وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ١٧]. فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعهم لو أراد الله أن يهلكهم ولا قدرة لهم على ذلك – دل على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك، ولا في قوته شيء من الفكاك. ومن الأدلة أن ﴿ وَلِلّهِ ﴾ وحده ﴿ مُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٨٩] بتصرف فيهم بحكمه الكوني والشرعي والجزائي، وهم مملوكون مدبرون، فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير، إلما معبودًا غنيًا من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال. ولا وجه لاستغرابهم لخلق المسيح عيسى ابن مريم من غير أب؛ فإن الله ﴿ يَعَلَقُ مَا يَشَاءً ﴾ إن شاء من أب وأم، كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم، كحواء. وإن شاء من أم بلا أب، كعيسى. وإن شاء من غير أب ولا أم كآدم (١).

الدليل الثاني: يثبت أن المسيح عبد آقاه الله البينات وأيده بروح القدس: قال تعالى: 
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَنَبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ الْمَعْدِهِ عِلْلَّ اللهُ البينات وأينْنَا عِسَى أَبْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَتِ وَأَيَّدْنَهُ 

بِرُوجِ الْقُدُسِ أَفَكُلُما جَاءَكُمْ رَسُولُ بِمَا لاَ بَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرُثُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْمُ وَفَرِيقًا نَقْنُلُون ﴾ 

[البقرة: ٨٧]. وقوله تعالى: ﴿ يَلْكَ الرُّسُلُ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ مِنْ عَلَمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ مَلَى مَنْ عَلَمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ مَلَى مَنْ عَلَى اللهُ مَا اقْتَتَلَ اللَّذِينَ 

وَوَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَعَ الْبَيّنَتِ وَأَيَّدْنَهُ بِرُوجِ الْقَدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُ اللَّذِينَ 
مِنْ بَعْدِهِم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيّنَتُ وَلَكِي اخْتَلَفُواْ فَعِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَن كَفَرُ وَلُوسَاءَ 
مِنْ بَعْدِهِم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيّنَتُ وَلَكِي اخْتَلَفُواْ فَعِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَن كَفَرُ وَلُو شَاءَ 
مَنْ بَعْدِهِم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيّنَتُ وَلَكِي اخْتَلَفُواْ فَعِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَن كَفَر وَلُو شَاءَ 
مَنْ بَعْدِهِم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيّنَتُ وَلَكِي اخْتَلَفُواْ فَعِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَن عَامَلَ وَعَنْهُمُ اللّهُ مَا اللّهُ مِن كَفَر وَلَوْ شَاءَ الله الله وحد القدس؛ للرد على اليهود وصف عيسى بهذين مع أن سائر الرسل أيدوا بالبينات وبروح القدس؛ للرد على اليهود الذين أنكروا رسالته ومعجزاته؛ وللرد على النصارى الذين غلوا فزعموا ألوهيته؛ ولأجل هذا ذكر معه اسم أمه مهم ذكر؛ للتنبيه على أن ابن الإنسان لا يكون إلمّا، وعلى أن مريم أمة الله الله كا صاحبة؛ لأن العرب لا تذكر أساء نسائها وإنها تكنى، فيقولون ربة البيت، والأهل، والأهل،

<sup>(</sup>١) تفسير السعدي ١/٢٢٦.

ونحو ذلك، ولا يذكرون أسماء النساء إلا في الغزل، أو أسماء الإماء (١).

الدليل الثالث: يثبت أن المسيح لا يستنكف عن عبادة الله تعالى: قال تعالى: ﴿ لَّنَ يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَيْكَةُ ٱلْمُقْرَبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكِيرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٧٢). قال السعدي رحمه الله: لما ذكر تعالى غلو النصاري في عيسى الطِّيناة، وذكر أنه عبده ورسوله، ذكر هنا أنه لا يستنكف عن عبادة ربه، أي: لا يمتنع عنها رغبة عنها، لا هو ﴿ وَلَا ٱلْمَلَيْكُةُ ٱلْمُقَرِّبُونَ ﴾ فنزههم عن الاستنكاف وتنزيههم عن الاستكبار من باب أولى، ونفي الشيء فيه إثبات ضده، أي: فعيسى والملائكة المقربون قد رغبوا في عبادة ربهم، وأحبوها وسعوا فيها بها يليق بأحوالهم، فأوجب لهم ذلك الشرف العظيم والفوز العظيم، فلم يستنكفوا أن يكونوا عبيدًا لربوبيته ولا لإلهيته، بل يرون افتقارهم لذلك فوق كل افتقار. ولا يظن أن رفع عيسي أو غيره من الخلق فوق مرتبته التي أنزله الله فيها وترفعه عن العبادة كمالا، بل هو النقص بعينه، وهو محل الذم والعقاب، ولهذا قال: ﴿ وَمَن يَسْـتَنكِفُ عَنْ عِبَـادَيِّهِـ، وَيَسْتَكَبِّرُ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ أي: فسيحشر الخلق كلهم إليه، المستنكفين والمستكبرين وعباده المؤمنين، فيحكم بينهم بحكمه العدل، وجزائه الفصل (١٠).

الدليل الرابع: يحكم بالكفر على من قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم: قال تعالى: 
﴿ لَقَدْ كَفَرُ اللَّذِينَ قَالُوٓ الْإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَدٌ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنَبَى إِسْرَاءِ يلَ اعْبُدُوا 
اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَنَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأُونَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَنَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ اللّهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ

قال ابن كثير رحمه الله: حكم الله تعالى بتكفير فرق النصارى، من الملكية واليعقوبية

<sup>(</sup>١) من التحرير والتنوير تفسير سورة البقرة آية ٢٥٣.

<sup>(</sup>۲) تفسير السعدى ١/٢١٦.

والنسطورية، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله - تعالى الله عن قولهم وتنزه وتقدس علوًا كبيرًا-.

هذا وقد تقدم إليهم المسيح بأنه عبد الله ورسوله، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال: ﴿ إِنِي عَبْدُ اللهِ ءَاتَـٰنِي ٱلْكِنْبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴾ ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله. بل قال: ﴿ إِنِي عَبْدُ اللهِ ءَاتَـٰنِي ٱلْكِنْبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَإِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُم قَاعُبُدُوهُ هَذَا صِرَطُ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (مريم: ٣٠-٣٦).

وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته، آمرًا لهم بعبادة الله ربه وربهم وحده لا شريك له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَنَبَيْ إِسَرَهِ يِلَ ٱعْبُدُوا ٱللّهَ رَبِي وَرَبَّكُم اللّهُ عَن يُشْرِكَ الله ولهذا قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَنَبَيْ إِللّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنّةَ وَمَأْوَنَهُ ٱلنّارُ ﴾ أي: فقد أوجب له النار، وحرم عليه الجنة كها قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاهُ ﴾ (النساء: ٨٤، ١٦)، وقال تعالى: ﴿ وَنَادَى ٓ أَصْحَبُ ٱلنّارِ أَصْحَبَ ٱلجُنّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَيْ الْمَاعِن الله عَلَيْ الله الله على الله عن مناديًا ينادي في الناس: ((إن الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة "، وفي لفظ: "مؤمنة))(١).

الدليل الخامس: حكم القرآن بالكفر على من قالوا: إن الله هو ثالث ثلاثة: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرُ اللَّذِينَ قَالُوٓا إِنَ اللّه قَالِثُ ثَلَاثَةُ وَمَا مِنْ إِلَاهٍ إِلّآ إِلَاّ إِلَهُ وَحِدُّ وَإِن لَمْ يَعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرُ اللَّهِ عَمّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَ اللَّهِ يَن عَالُوٓا مِنْهُمْ عَذَابُ اللّهِ اللّهِ عَمّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَ اللّهِ يَن كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ اللّهِ اللّهِ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ أَن اللّهُ عَمْ فُورٌ رَحِيتُ اللّهِ ﴿ المائدة ٢٧ - ١٤٤]. قال الرازي: في تفسير قول النصارى ﴿ قَالِكُ تُلَاثَةٍ ﴾ طريقان:

الأول: قول بعض المفسرين: وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة،

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير (٢/ ١١١). والحديث أخرجه البخاري (٢٨٩٧).

والذي يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ انَّخِذُونِ وَأُوْمَى إِلَهُ يَنِ مِن دُونِ اللّهِ ﴾ (المائدة: ١١٦)، فقوله ﴿ ثَالِثُ تَلَاثَةٍ ﴾ أي أحد ثلاثة آلهة، أو واحد من ثلاثة آلهة، والدليل على أن المراد ذلك قوله تعالى في الرد عليهم ﴿ وَمَا مِنْ إِلَكِهُ إِلَا إِللّهُ وَرَحِدٌ ﴾ وعلى هذا التقدير ففي الآية إضهار، إلا أنه حذف ذكر الآلهة لأن ذلك معلوم من مذاهبهم، قال الواحدي ولا يكفر من يقول: إن الله ثالث ثلاثة إذا لم يرد به ثالث ثلاثة آلهة، فإنه ما من شيئين إلا والله ثالثها بالعلم، لقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَجَّوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلّا هُو رَابِعُهُمَّ وَلَا حَسْمَةٍ إِلّا هُوسَادِ شُهُمٌ ﴾ (المجادلة: ٧).

والطريق الثاني: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد وثلاثة أقانيم - والبن وروح القدس - وهذه الثلاثة إله واحد، كها أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنوا بالأب الذات، وبالابن الكلمة، وبالروح الحياة، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة، وقالوا: إن الكلمة - التي هي كلام الله - اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر، واختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله، والابن إله، والروح إله، والكل إله واحد. واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل، فإن الثلاثة لا تكون واحدًا، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادًا وأظهر بطلانًا من مقالة النصارى. (١)

قلت: والقرص والشعاع والحرارة ثلاثة أوصاف لذات واحدة، ومن المكن أن نعد للشمس أكثر من ثلاثة أوصاف؛ فنقول مثلًا: والبعد والغروب والشروق والجمال والروعة وحجمها كذا ووزنها حوالي كذا. . . إلخ، فهذه كلها أوصاف لذات واحدة، أما ما يذكره النصارى؛ فإنها ثلاثة ذوات مختلفة، يريدون أن يجعلوها ذاتا واحدة، وهذا باطل ببداهة العقل.

الدليل السادس: وفيه قصر دور المسيح على الرسالة والاستدلال على ذلك ببعض

<sup>(</sup>١) التفسير الكبير (١٢/ ٥١).

الأحوال مثل أكل الطعام الذي يلزم منه الإخراج في الدنيا، قال تعالى: ﴿مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَكَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبَـلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأَمَّهُ صِدِيقَ لَمُ كَانَا يَأْكُلُنِ ٱلطَّعَامُ الْفَاعِدَ الطَّعَامُ الْفَاعِدُ الطَّعَامُ الْفَاعِدُ الْمُعَامُ الْفَاعِدُ الْمُعَامُ الْفَاعِدُ اللَّهُ الْمُعْلَمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْعُلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلَمُ الْمُلِمُ اللَّهُ الْمُنْتُولُ الْمُلِمُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُلْمُ اللَّهُ الْمُلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُنْ الْمُلِمُ الْمُلْمُ الْمُنْعُلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْمِلِمُ الْمُعْلَمُ ال

قال الرازي: أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل، الذين خلوا من قبله، جاء بآيات من الله كها أتوا بأمثالها؛ فإن كان الله أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى على يده؛ فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى، وفلق البحر على يد موسى، وإن كان خلقه من غير ذكر؛ فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى.

قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَــُهُ ﴾ وفي تفسير ذلك وجوه:

أحدها: أنها صدقت بآيات ربها وبكل ما أخبر عنه ولدها، قال تعالى في صفتها ﴿وَصَدَّقَتْ بِكُلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ (التحريم: ١٢).

وثانيها: أنه تعالى قال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا ٓ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرُاسُوِيًا ﴾ (مريم: ١٧)، فلما كلمها جبريل وصدقته وقع عليها اسم الصديقة.

وثالثها: أن المراد بكونها صديقة - غاية بعدها عن المعاصي وشدة جدها واجتهادها في إقامة مراسم العبودية؛ فإن الكامل في هذه الصفة يسمى صديقًا، قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ اللَّذِينَ أَنَّعُمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيَّةَنَ وَٱلصِّدِيقِينَ ﴾ (النساء: ٦٩). ثم قال تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلُونِ ٱلطَّعَامَ ﴾ اعلم أن المقصود من ذلك: الاستدلال على فساد قول النصارى، وبيانه من وجوه:

الأول: أن كل من كان له أم؛ فقد حدث بعد أن لم يكن، وكل من كان كذلك، كان مخلوقًا لا إلهًا.

والثاني: أنها كانا محتاجين؛ لأنها كانا محتاجين إلى الطعام أشد الحاجة، والإله هو الذي يكون غنيًا عن جميع الأشياء، فكيف يعقل أن يكون إلهًا؟.

الثالث: قال بعضهم: إن قوله ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ كناية عن الحدث، لأن من أكل الطعام فإنه لا بد وأن يحدث، وهذا عندي ضعيف من وجوه:

١ - أنه ليس كل من أكل أحدث، فإن أهل الجنة يأكلون ولا يحدثون.

٢- أن الأكل عبارة عن الحاجة إلى الطعام، وهذه الحاجة من أقوى الدلائل على أنه
 ليس بإله، فأي حاجة بنا إلى جعله كناية عن شيء آخر؟

٣- أن الإله هو القادر على الخلق والإيجاد؛ فلو كان إلها لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب، فما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه، كيف يعقل أن يكون إلها للعالمين؟ وبالجملة ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل. "(١)

وقال البقاعي: وخص الأكل؛ لأنه مع كونه ضعفًا لازمًا ظاهرًا، هو أصل الحاجات المعترية للإنسان؛ فهو تنبيه على غيره. ومن الأمر الجلي أن الإله لا ينبغي أن يدنو إلى جنابه عجز أصلًا، وقد اشتمل قوله تعالى وقال المسيئ ، وقوله وكانا يأكلن الطّعكام المائدة: ٧٥) على أشرف أحوال الإنسان وأخسها، فأشرفها عبادة الله، وأخسها الاشتغال عنها بالأكل الذي هو مبدأ الحاجات ".

الدليل السابع: يثبت أن عيسى عليه النَّيِيُّ صور في الرحم ومن كان كذلك لا يكون إلمًا، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُ كُمَّ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لاَ إِلَهُ إِلَّاهُوا الْعَرِينُ الْعَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ٦).

وفي هذه الآية ذكر دليلًا آخر على بطلان ألوهية المسيح فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُ كُمْ فِي اللَّهِ تعالى، اللَّهُ وعيسى الطَّيْ قد صور في رحم مريم؛ فهو قطعًا ممن صور الله تعالى، فكيف يكون إذا إلها مع الله أو ابنا لله كها يزعم النصارى؟. وهنا قرر الحقيقة فقال: ﴿لاّ إَلَكَ وَلَا اللهِ عَلَى العَرة التي لا ترام، والحكمة التي لا تخطىء هما مقتضيات أولوهيته

<sup>(</sup>١) التفسير الكبير (١٢ / ٥١ – ٥٢).

<sup>(</sup>٢) نظم الدرر (٢ / ١٦٥).

الحقة، التي لا يجادل فيها إلا مكابر، ولا يجاحد فيها إلا معاند، كوفد نصارى نجران ومن على شاكلتهم من أهل الكفر والعناد. (١)

الدليل الثامن: القرآن يثبت عبودية المسيح وبشريته: قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا صُرِبَ اَبُنُ مَرْيَهُ مَشَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴿ وَقَالُواْ ءَأَلِهَ ثَنَا خَيْرُ أَدْ هُوَ مَا صَرَبُوهُ لَكَ إِلّا جَدُلًا بَنِ مُرْ قَوْمُ خَصِمُونَ ﴿ إِنْ هُوَ إِلّا عَبْدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَهُ مَثْلًا لِبَنِي إِسْرَهِ بِلَ ﴾ وَلَا عَبْدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَهُ مَثْلًا لِبَنِي إِسْرَهِ بِلَ ﴾ وَلَوْ نَشَاهُ جَمَلُنَا مِنكُو مَلَيْكُمُ قَلَ الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿ وَإِنّهُ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتُرُكَ عِهَا وَلَوْ نَشَاهُ جَمَلُنَا مِنكُو مَدُونًا مُسَتَعِيمٌ ﴿ وَلَا يَصُدُ ذَكُمُ الشَّيْطِانُ إِنَّهُ لِللهَ عَدُولُ مَيْنُ ﴿ وَلَمَا جَاءَ وَلَا عَلَيْهُ وَلَا عَدُولُ مَيْنَ اللهُ وَلَا عَدْ حِشْتُكُم وَلَا يَعْدُولُ مُسْتَقِيمٌ وَلِأُبَيْنَ لَكُمْ بَعْضَ الّذِى تَغْلِفُونَ فِيةٍ فَاتَقُوا اللّهَ وَلَا اللّهُ هُو رَبِي وَرَبُّكُوهُ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَطُ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (الزخرف: ٥٠ - ٢١).

# وموضع الشاهد من الآية ما يلي

١ - قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدُ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، ﴿وَجَعَلْنَهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَةٍ بِلَ ﴾ يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب.

٢- قوله: ﴿ وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنا مِنكُر مَلَكَيْكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ أي: لجعلنا بدلكم ملائكة يخلفونكم في الأرض، ويكونون في الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من جنسهم، وأما أنتم يا معشر البشر، فلا تطيقون أن ترسل إليكم الملائكة، فمن رحمة الله بكم، أن أرسل إليكم رسلًا من جنسكم، تتمكنون من الأخذ عنهم.

٣-﴿ وَإِنَّهُ الْمِلْمُ لِلسَّاعَةِ ﴾ أي: وإن عيسى النَّكَ، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم.

أو إن المعنى: وإن عيسى العلى سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة ﴿ فَلَا تَمْتُرُكَ بِهَا ﴾ أي: لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر.

<sup>(</sup>١) أيسر التفاسير (المائدة: ٧٥).

﴿وَأَتَّبِعُونِ ﴾ بامتثال ما أمرتكم، واجتناب ما نهيتكم ﴿ هَنَذَا صِرَالُ مُسْتَقِيمٌ ﴾ موصل إلى الله عَلَى ﴿ وَلَا يَصُدُ ذَكُمُ عَدُولُ ﴾ حريص على إغوائكم، باذل جهده في ذلك.

3 - وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ يِأْلَبَيِّنَتِ ﴾ الدالة على صدق نبوته وصحة ما جاءهم به، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك من الآيات. ﴿ قَالَ ﴾ لبني إسرائيل: ﴿ قَدْ جِمْتُكُم يُالْمِكُمْ يَالْمُ وَالعلم، بها ينبغي على الوجه الذي ينبغي ﴿ وَلِأُ بَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي يَخْتُكُم يَالُمُ وَلَا أَبِينَ لَكُم صوابه وجوابه؛ فيزول عنكم بذلك اللبس؛ فجاء النفي مكملاً ومتما لشريعة موسى النفي ولأحكام التوراة. وأتى ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد له، وقبول ما جاءهم به. ﴿ فَأَنَقُوا الله وَ وَلَمْعُونِ ﴾ أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وامتثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، وآمنوا بي وصدقوني وأطيعون.

٥- وقوله: ﴿ إِنَّ الله هُو رَبِي وَرَبُّكُمْ فَاعَبُدُوهُ هَنَا صِرَطُّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ فيه الإقرار بتوحيد الربوبية، بأن الله هو المربي جميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة والباطنة، والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإخبار عيسى السَّيِّة أنه عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى: "إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة" والإخبار بأن هذا المذكور صراط مستقيم، موصل إلى الله وإلى جنته.

7- فلما جاءهم عيسى العَيْظَ بهذا ﴿ فَأَخْتَلَفَ ٱلْأَخْزَابُ ﴾ المتحزبون على التكذيب ﴿ مِنْ بَيْنِمِ مَ كُلُ قَالُ بعيسى العَيْظِ مقالة باطلة، ورد ما جاء به، إلا من هدى الله من المؤمنين، الذين شهدوا له بالرسالة، وصدقوا بكل ما جاء به، وقالوا: إنه عبد الله ورسوله، ﴿ فَوَيْلُ لِلّذِينَ طَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴾ أي: ما أشد حزن الظالمين وما أعظم خسارهم في

ذلك اليوم<sup>11(١)</sup>.

الدليل التاسع: وفيه أن عيسى الطّي ينطق في المهد؛ بأنه عبد جعله الله نبيًا، وأخبر-سبحانه وتعالى- أن أول كلمة نطق بها المسيح وهو في المهد - هي الإقرار بعبوديته لله-.

قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتَ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِ ٱلْمَهْدِ صَبِيتًا اللهِ قَالَ إِنِي عَبْدُ ٱللّهِ ءَاتَى انِي الْكَانَبُ وَجَعَلَنِي بِيَالَصَّلَوْةِ وَٱلرَّكُوةِ مَا دُمْتُ حَيَّا اللهُ وَجَعَلَنِي بِيَيَّا اللهُ وَجَعَلَنِي بَهُ الرَّكُ الْمَنْ حَيَّا اللهُ وَبَعْ اللهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيًّا وَبَرَّ اللهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيَّا اللهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيَّا اللهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيَّا اللهُ اللهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيَّا اللهُ اللهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيَّا اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيَّا اللهُ اللهُ اللهُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبُعُتُ وَاللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللّهُ اللهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الللّهُ الللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الل

قال الفخر الرازي: اعلم أنه وصف نفسه بصفات تسع: الصفة الأولى: قوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ السَّهِ ﴾ وفيه فوائد: الفائدة الأولى: أن الكلام منه في ذلك الوقت كان سببًا للوهم الذي ذهبت إليه النصارى، فلا جرم أول ما تكلم إنها تكلم بها يرفع ذلك الوهم فقال: ﴿إِنِّى عَبْدُ اللهِ ﴾ وكان ذلك الكلام وإن كان موهمًا من حيث إنه صدر عنه في تلك الحالة، ولكن ذلك الوهم يزول ولا يبقى من حيث إنه تنصيص على العبودية.

الفائدة الثانية: أنه لما أقر بالعبودية؛ فإن كان صادقًا في مقاله؛ فقد حصل الغرض، وإن كان كاذبًا لم تكن القوة قوة إلهية، بل قوة شيطانية فعلى التقديرين يبطل كونه إلهًا.

الفائدة الثالثة: أن الذي اشتدت الحاجة إليه في ذلك الوقت، إنها هو نفي تهمة الزنا عن مريم عليها السلام، ثم إن عيسى المنتخ لم ينص على ذلك، وإنها نص على إثبات عبودية نفسه، كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن الأم، فلهذا أول ما تكلم إنها تكلم بها.

الفائدة الرابعة: وهي أن التكلم بإزالة هذه التهمة عن الله تعالى، يفيد إزالة التهمة عن الأم؛ لأن الله سبحانه لا يخص الفاجرة بولد في هذه الدرجة العالية والمرتبة العظيمة.

<sup>(</sup>١) تفسير السعدي لسورة الزخرف آية (٥٨-٦١).

وأما التكلم بإزالة التهمة عن الأم، لا يفيد إزالة التهمة عن الله تعالى، فكان الاشتغال بذلك أولى، فهذا مجموع ما في هذا اللفظ من الفوائد.

واعلم أن مذهب النصارى متخبط جداً، وقد اتفقوا على أنه سبحانه ليس بجسم ولا متحيز، ومع ذلك فإنا نذكر تقسيمًا حاصرًا يبطل مذهبهم على جميع الوجوه فنقول:

١ - إما أن يعتقدوا كونه متحيرًا أو لا.

٢- فإن اعتقدوا كونه متحيزًا في مكان، أبطلنا قولهم بإقامة الدلالة على حدوث الأجسام المتحيزة في الأمكنة، وحينئذ يبطل كل ما فرعوا عليه.

٣- وإن اعتقدوا أنه ليس بمتحيز، يبطل ما يقوله بعضهم من أن الكلمة اختلطت بالناسوت اختلاط الماء بالخمر وامتزاج النار بالفحم؛ لأن ذلك لا يعقل إلا في الأجسام المتحيزة فإذا لم يكن جسمًا استحال ذلك.

#### ثم نقول للناس قولان في الإنسان:

١ - منهم من قال: إنه هو هذه البنية أو جسم موجود في داخلها.

٢ - ومنهم من يقول: إنه جوهر مجرد عن الجسمية والحلول في الأجسام
 فنقول لهؤ لاء النصارى:

١ - إما أن يعتقدوا أن الله، أو صفة من صفاته اتحد ببدن المسيح أو بنفسه.

٢- أو يعتقدوا أن الله، أو صفة من صفاته حل في بدن المسيح أو في نفسه.

٣- أو يقولوا: لا نقول بالاتحاد ولا بالحلول، ولكن نقول: إنه تعالى أعطاه القدرة على
 خلق الأجسام والحياة والقدرة وكان لهذا السبب إلها.

٤- أو لا يقولوا بشيء من ذلك ولكن قالوا: إنه على سبيل التشريف اتخذه ابنًا كما اتخذ إبراهيم على سبيل التشريف خليلًا، فهذه هي الوجوه المعقولة في هذا الباب، والكل باطل.

أما القول الأول بالاتحاد فهو باطل قطعًا، لأن الشيئين إذا اتحدا فهم حال الاتحاد، إما أن يكونا موجودين أو معدومين أو يكون أحدهما موجودًا والآخر معدومًا.

١- فإن كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فالاتحاد باطل.

٢-وإن عدما وحصل ثالث فهو أيضًا لا يكون اتحادًا بل يكون قولًا بعدم ذينك
 الشيئين، وحصول ثالث.

٣- وإن بقي أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالمجود لأنه يستحيل أن
 يقال المعدوم بعينه هو الموجود فظهر من هذا البرهان الباهر أن الاتحاد محال.

## وأما الحلول فلنا فيه مقامان:

الأول: أن التصديق مسبوق بالتصور فلا بد من البحث عن ماهية الحلول حتى يمكننا أن نعلم أنه هل يصح على الله تعالى أو لا يصح وذكروا للحلول تفسيرات ثلاثة:

أحدها: كون الشيء في غيره ككون ماء الورد في الورد والدهن في السمسم والنار في الفحم، واعلم أن هذا باطل لأن هذا إنها يصح لو كان الله تعالى جسمًا متحيزًا وهم قائلون بأنه ليس بجسم.

وثانيها: حصوله في الشيء على مثال حصول اللون في الجسم فنقول: المعقول من هذه التبعية حصول اللون في ذلك الحيز تبعًا لحصول محله فيه، وهذا أيضًا إنها يعقل في حق الأجسام المتحيزة لا في حق الله تعالى.

وثالثها: حصوله في الشيء على مثال حصول الصفات الإضافية للذوات فنقول: هذا أيضًا باطل لأن المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان الله تعالى في شيء بهذا المعنى لكان محتاجًا فكان محتنًا فكان مفتقرًا إلى المؤثر، وذلك محال، وإذا ثبت أنه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن إثباته في حق الله تعالى امتنع إثباته.

المقام الثاني: احتج الأصحاب على نفي الحلول مطلقًا بأن قالوا: لو حل لحل، إما مع وجوب أن يحل أو مع جواز أن يحل والقسمان باطلان، فالقول بالحلول باطل.

## وإنما قلنا: إنه لا يجوز أن يحل مع وجوب أن يحل:

١-لأن ذلك يقتضي إما حدوث الله تعالى أو قدم المحل وكلاهما باطلان، لأنا دللنا
 على أن الله قديم. وعلى أن الجسم محدث.

٢ – ولأنه لو حل مع وجوب أن يحل لكان محتاجًا إلى المحل والمحتاج إلى الغير ممكن

لذاته لا يكون واجبًا لذاته. (١)

ثم قال الرازي رحمه الله: ولنا في إبطال قول النصارى وجوه أخر.

أحدها: أنهم وافقونا على أن ذاته سبحانه وتعالى لم تحل في ناسوت عيسى الطَّلِيُّابل قالوا الكلمة حلت فيه، والمراد من الكلمة العلم. فنقول: العلم لما حل في عيسى ففي تلك الحالة إما أن يقال إنه بقى في ذات الله تعالى أو ما بقى فيها

ا - فإن كان الأول لزم حصول الصفة الواحدة في محلين. وذلك غير معقول، ولأنه لو جاز أن يقال العلم الحاصل في ذات عيسى الطبيخ هو العلم الحاصل في ذات الله تعالى بعينه، فلم لا يجوز في حق كل واحد ذلك حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد هو العلم الحاصل لذات الله تعالى.

٢ - وإن كان الثاني لزم أن يقال: إن الله تعالى لم يبق عالمًا بعد حلول علمه في عيسى
 التلخين وذلك مما لا يقوله عاقل.

وثانيها: أنا نقول دلالة أحوال عيسى على العبودية أقوى من دلالتها على الربوبية لأنه كان مجتهدًا في العبادة والعبادة لا تليق إلا بالعبيد فإنه كان في نهاية البعد عن الدنيا والاحتراز عن أهلها حتى قالت النصارى: إن اليهود قتلوه ومن كان في الضعف هكذا فكيف تليق به الربوبية.

وثالثها: المسيح إما أن يكون قديمًا أو محدثًا والقول بقدمه باطل لأنا نعلم بالضرورة أنه ولد وكان طفلًا ثم صار شابًا وكان يأكل ويشرب ويعرض له ما يعرض لسائر البشر، وإن كان محدثًا كان مخلوقًا ولا معنى للعبودية إلا ذلك، فإن قيل: المعنى بإلهيته أنه حلت صفة الآلهية فيه، قلنا: هب أنه كان كذلك لكن الحال هو صفة الإله والمسيح هو المحل والمحل محدث مخلوق فها هو المسيح (إلا) عبد محدث فكيف يمكن وصفه بالإلهية.

أما الاحتمال الثالث: وهو أن يقال معنى كونه إلهًا أنه سبحانه خص نفسه أو بدنه

<sup>(</sup>۱) تفسير الرازى (مريم: ۳۰).

بالقدرة على خلق الأجسام والتصرف في هذا العالم فهذا أيضًا باطل لأن النصارى حكوا عنه الضعف والعجز وأن اليهود قتلوه ولو كان قادرًا على خلق الأجسام لما قدروا على قتله بل كان هو يقتلهم ويخلق لنفسه عسكرًا يذبون عنه.

وأما الاحتمال الرابع: وهو أنه اتخذه ابنًا لنفسه على سبيل التشريف فهذا قد قال به قوم من النصارى يقال لهم الأرميوسية وليس فيه كثير خطأ إلا في اللفظ فهذا جملة الكلام على النصارى وبه ثبت صدق ما حكاه الله تعالى عنه أنه قال: إني عبد الله. الصفة الثانية: قوله تعالى: ﴿عَالَىٰنِيَ ٱلْكِنَابُ ﴾.

الصفة الثالثة: قوله: ﴿وَجَعَلَنِي بَنِيًّا ﴾.

الصفة الرابعة: قوله: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَاكُنتُ ﴾.

الصفة الخامسة: قوله: ﴿ وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوْةِ وَٱلزَّكَوْةِ مَا دُمَّتُ حَيًّا ﴾.

الصفة السادسة: قوله تعالى: ﴿وَبَرَّا بِوَلِدَقِ ﴾ أي جعلني برًا بوالدتي.

الصفة السابعة؛ قوله: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾.

الصفة الثامنة: هي قوله: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبُعثُ حَيًّا ﴾ الدليل العاشر: إثبات بنوة عيسى لمريم رضي الله عنها.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَكَتِيكَةُ يَكُمْرِيمُ إِنَّ ٱللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكُلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهَا فِي ٱلدُّنِيَا وَالْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُعَرِّينَ ﴿ آلَ عمران: ٤٥). يخبر تعالى أن الملائكة بشرت مريم عليها السلام بأعظم بشارة، وهو كلمة الله -عبده ورسوله - عيسى ابن مريم، سمي كلمة الله لأنه كان بالكلمة من الله، لأن حالته خارجة عن الأسباب، وجعله الله من آياته وعجائب مخلوقاته، فأرسل الله جبريل السَلِي إلى مريم، فنفخ في جيب درعها فولجت فيها تلك النفخة الزكية من ذلك الملك الزكي، فأنشأ الله منها تلك الروح الزكية، فكان روحانيا نشأ من مادة روحانية، فلهذا سمى روح الله ﴿ وَجِيهَا فِي ٱلدُّنِي وَٱلدُّيْرَةِ ﴾ أي:

له الوجاهة العظيمة في الدنيا، جعله الله أحد أولي العزم من المرسلين - أصحاب الشرائع الكبار والأتباع - ونشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق والمغرب، وفي الآخرة وجيها عند الله يشفع أسوة إخوانه من النبيين والمرسلين، ويظهر فضله على أكثر العالمين، فلهذا كان من المقربين إلى الله، أقرب الخلق إلى رجم، بل هو الكليلة من سادات المقربين (1).

الدليل الحادي عشر: القرآن يذكر مقالة اليهود في قتل عيسى، ويثبت أنه رسول الله؛ ثم هو ينهى عن الغلو فيه: قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَنَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللّهِ وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبّة لَمُمْ وَإِنَّ ٱلّذِينَ ٱخْنَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكِّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱلْبَاعَ النّهَا وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبّة لَمُمْ وَإِنَّ ٱلّذِينَ ٱخْنَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكِّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱلْبَاعَ النّاقَ وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينًا السّاء: ١٥٧).

وقوله تعالى: ﴿ يَتَأَهَّلَ ٱلْكِتَبِ لَا تَغُلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُۥ ٱلْقَلْهَاۤ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحُ مِنَّةً فَامِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِةً ، وَلَا تَقُولُواْ ثَلَاثَةً أَانتَهُواْ خَيْرًا لَكُمُ أَيْمَا اللّهُ إِلَهُ وَحِيلًا ﴿ اللّهِ اللهِ عَلَى اللّهِ اللهِ وَكِيلًا ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

قال السعدي رحمه الله: ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين؛ وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع. وذلك كقول النصارى في غلوهم بعيسى الطيالا، ورفعه عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية؛ الذي لا يليق بغير الله، فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات، فالغلو كذلك، ولهذا قال: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلَّا ٱلْحَقّ ﴾. وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء:

أمرين منهي عنهما، وهما: قول الكذب على الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه ورسله، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور.

ولما كانت هذه قاعدة عامة كلية، وكان السياق في شأن عيسى اللَّه نصَّ على قول الحق فيه، المخالف لطريقة اليهودية والنصرانية فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ

<sup>(</sup>١) تفسير السعدي سورة آل عمران (٤٥).

الله في أي: غاية المسيح الناس ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكهال أعلى حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة، التي هي أعلى الدرجات، وأجل المثوبات، وأنه وكلم وكلم أنه وألق المثرية وألق مَرْيَم في أي: كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنها كان بها، وهذا من باب إضافة التشريف والتكريم.

وكذلك قوله: ﴿ وَرُوحُ مِنْهُ ﴾ أي: من الأرواح التي خلقها، وكملها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة، أرسل الله روحه جبريل المنظم فنفخ في فرج مريم عليها السلام، فحملت بإذن الله بعيسى النظم.

فلما بين حقيقة عيسى العَيْق، أمر أهل الكتاب بالإيمان به وبرسله، ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة: أحدهم عيسى، والثاني مريم، فهذه مقالة النصارى قبحهم الله.

فأمرهم أن ينتهوا، وأخبر أن ذلك خير لهم، لأنه الذي يتعين أنه سبيل النجاة، وما سواه فهو طريق الهلاك، ثم نزه نفسه عن الشريك والولد فقال: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِدُ ﴾ أي: هو المنفرد بالألوهية، الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ﴿سُبْحَكَنَهُ وَ أَي: تنزه وتقدس ﴿أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ لأن ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ فالكل مملوكون له مفتقرون إليه؛ فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد.

ولما أخبر أنه المالك للعالم العلوي والسفلي أخبر أنه قائم بمصالحهم الدنيوية والأخروية وحافظها، ومجازيهم عليها تعالى(١).

الدليل الثاني عشر: تكذيب الله لهم في قولهم: إن المسيح ابن الله: قال تعالى: ﴿ اللَّهِ مُنْ اللَّهِ وَقَالَتِ اللَّهَ لَمَ اللَّهِ مُنَاتُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَدَرَى الْمَسِيحُ أَبْثُ اللَّهِ أَنْكَ قَوْلُهُم وَالْمَيْمِ وَاللَّهِ مَنْ اللَّهِ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهِ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهِ مُنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهِ مُنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

<sup>(</sup>١) تفسير السعدي ١/ ٢١٦، وانظر تفسير ابن كثير في هذا الموضع.

هذا لما رأوا من إحيائه الموتى مع كونه من غير أب؛ فكان ذلك سببًا لهذه المقالة، والأولى أن يقال: إنهم قالوا هذه المقالة؛ لكون الإنجيل وصفه تارة بابن الله، وتارة بابن الإنسان، كما رأينا ذلك في مواضع متعددة من الإنجيل، ولم يفهموا أن ذلك لقصد التشريف والتكريم، أو لم يظهر لهم أن ذلك من تحريف سلفهم لغرض من الأغراض الفاسدة.

قيل: وهذه المقالة إنها هي لبعض النصاري لا لكلهم.

وقوله: ﴿ ذَالِكَ قَوْلُهُم بِأَفَرَهِ هِم مَ العلم بأن القول لا يكون إلا الفم. الباطلة. وأما قوله: ﴿ بِأَفْرَهِ هِم مُ عَم العلم بأن القول لا يكون إلا الفم.

ففيه وجهان: أحدهما: أن يراد أنه قول لا يعضده برهان، فها هو إلا لفظ يفوهون به، فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان. وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب. وما لا معنى له مقول بالفم لا غير، والمقصود من الإشارة تشهير القول وتمييزه، زيادة في تشنيعه عند المسلمين. و فرياً فَوَهِ هِ عَم حال من القول، والمراد أنه قول لا يعدو الوجود في اللسان وليس له ما يحققه في الواقع، وهذا كناية عن كونه كاذبا؛ ولذلك قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه لم يذكر قولًا مقرونًا بذكر الأفواه والألسن، إلا وكان قولًا زورًا كقوله: ﴿ يَقُولُونَ مِأْ فَوَهِمِ مَا لَيْسَ فِي قُلُومِهِم ﴾ (آل عمران: ١٦٧)، وقوله: ﴿ كَبُرَتَ كَلِمَةً غَنْرُجُ مِن الفتح: ١١)، وقوله: ﴿ كَبُرَتَ كَلِمَةً غَنْرُجُ مِن قوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُومِهِم ﴾ (الفتح: ١١)، وقوله: ﴿ نَهُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَا لَيْسَ فِي قُلُومِهم ﴾ (الفتح: ١١)،

والثاني: أن يراد بالقول المذهب، كقولهم: قول أبي حنيفة، يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل: ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم، لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب، وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له؛ لم تبق شبهة في انتفاء الولد ﴿قَوْلَ اللَّهِ مَن الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء ﴿قَلَ نَلَهُ مُ

الله ﴾ وقال ابن عباس: لعنهم الله ﴿ أَنَّ يُؤْفَكُونَ ﴾؟ أي: كيف يضلون عن الحق، وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل؟ (١)

قال أبو السعود: اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى أحبارهم، وهم: علماء اليهود ورهبانهم وهم: علماء النصارى من أصحاب الصوامع؛ أي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم أربابًا من دون الله؛ بأن أطاعوهم في تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرمه، أو بالسجود لهم، ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى: ﴿ يَتَأَبَتِ لَا نَعْبُدُ الشّيطانَ ﴾ (مريم: ٤٤)، وقوله تعالى: ﴿ بَلْكَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَ ﴾.

قال عدي بن حاتم: أتيت رسول الله ﷺ، وفي عنقي صليب من ذهب، وكان إذ ذاك على دين يسمى الركوسية - فريق من النصارى - وهو يقرأ سورة براءة، فقال يا عدي! اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ اَتَّخَاذُوۤا اَحْبَارَهُم وَرُهُبَانَهُم الله الله الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟ فقلت بلى.

قال: ذلك عبادتهم. قال الربيع قلت لأبي العالية: كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل؟ قال: إنهم ربها وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف أقوال الأحبار؛ فكانوا يأخذون بأقوالهم ويتركون حكم كتاب الله. والمسيح ابن مريم، عطف على رهبانهم؛ أي: اتخذه النصارى ربًا معبودًا بعد ما قالوا: إنه ابنه - تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا - وتخصيص الاتخاذ به، يشير إلى أن اليهود ما فعلوا ذلك بعزير، وتأخيره في الذكر، مع أن اتخاذهم له على ربًا

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير سورة التوبة آية (٣٠).

معبودًا أقوى من مجرد الإطاعة في أمر التحليل والتحريم، كما هو المراد باتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا؛ لأنه مختص بالنصارى، ونسبته إلى أمه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للإيذان بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما أمروا أي والحال أن أولئك الكفرة ما أمروا في كتابيهم، إلا ليعبدوا إلمّا واحدًا عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا أمره ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه؛ فإن ذلك مخل بعبادته تعالى؛ فإن جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة، وقد قال المسيح: السلام من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، وأما طاعة الرسول من أمر الله تعالى بطاعته؛ فهي في الحقيقة طاعة لله قلق، أو وما أمر الذين اتخذهم الكفرة أربابا من المسيح والأحبار والرهبان إلا ليوحدوا الله. (۱)

<sup>(</sup>١) تفسير أبي السعود سورة التوبة آية (٣١).

<sup>(</sup>٢) تفسير السعدي ١/٥٨.

الدليل الخامس عشر: يثبت أنه لا فرق بين عيسى وبين غيره من الأنبياء في نبوته:

قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَــَا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَاۤ أُنزِلَ إِلَىٰۤ إِبْرَهِءَمَ وَإِسۡمَعِيلَ وَإِسۡحَقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّوكَ مِن زَّبِهِ مْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدِ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ البقرة: ١٣٦)، ووجه الدلالة من الآية أن عيسى الطِّينُ معدود ضمن الأنبياء الذين بعثهم الله للناس. فأما قوله: ﴿ وَمَا أُوتِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾، يعنى: وآمنا أيضًا بالتوراة التي آتاها الله موسى، وبالإنجيل الذي آتاه الله عيسى، والكتب التي آتي النبيين كلهم، وأقرَرنا وصدَّقنا أن ذلك كله حَق وهُدى ونور من عند الله، وأن جَميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى، يُصدِّق بعضهم بعضًا، على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله، والعمل بطاعته. (١) ولكون أهل الكتاب زادوا ونقصوا وحرفوا فيهما وادعوا أنهما أنزلا كذلك، والمؤمنون ينكرونه؛ اهتم بشأنهما فأفردهما بالذكر، وبين طريق الإيمان بهما، ولم يدرجهما في الموصول السابق؛ ولأن أمرهما أيضًا بالنسبة إلى موسى وعيسى أنهما منزلان عليهم حقيقة، لا باعتبار التعبد فقط كما في المنزل على إسحق ويعقوب والأسباط، ولم يعد الموصول لذلك في عيسى لعدم مخالفة شريعته لشريعة موسى إلا في النزر، ولذلك الاهتهام عبر بالايتاء دون الانزال؛ لأنه أبلغ لكونه المقصود منه، ولما فيه من الدلالة على الإعطاء الذي فيه شبه التمليك والتفويض، ولهذا يقال: أنزلت الدلو في البئر، ولا تقول: آتيتها إياها، ولك أن تقول: المراد بالموصول هنا ما هو أعم من التوراة والإنجيل، وسائر المعجزات الظاهرة بأيدي هذين النبيين الجليلين حسبها فصل في التنزيل الجليل، وإيثار الإيتاء لهذا التعميم، وتخصيص النبيين بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصاري. (٢) وقوله: ﴿ وَمَا أُوتِي ٱلنَّبِينُونَ مِن رَّبِّهِم ﴾ دلالة على أن عطية الدين، هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية. لم يأمرنا أن نؤمن بها أوتي الأنبياء من الملك والمال

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري ١/ ٦١٨.

<sup>(</sup>٢) تفسير الآلوسي ١/ ٣٩٥.

ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بها أعطوا من الكتب والشرائع. وفيه أن الأنبياء مبلغون عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء. وفي قوله: ﴿ مِن رَبِهِم ﴾ إشارة إلى أنه من كهال ربوبيته لعباده، أن ينزل عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته، تركهم سدى ولا هملًا. وإذا كان ما أوتي النبيون، إنها هو من ربهم، ففيه الفرق بين الأنبياء وبين من يدعي النبوة، وأنه يحصل الفرق بينهم بمجرد معرفة ما يدعون إليه، فالرسل لا يدعون إلا إلى الخير، ولا ينهون إلا عن كل شر، وكل واحد منهم، يصدق الآخر، ويشهد له بالحق، من غير تخالف ولا تناقض لكونه من عند ربهم ﴿ وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ النَّوْلُ اللَّهِ الْحَوْلُ مِنْ عِندِ غَلْلُهُ مَن عِند أَدوال الله من ادعى النبوة، فلا بد أن يتناقضوا في أخبارهم وأوامرهم ونواهيهم، كها يعلم ذلك من سبر أحوال الجميع، وعرف ما يدعون إليه. (١)

وقوله: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ ﴾ فيه وجهان: الأول: أنا لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإنا لو فعلنا ذلك كانت المناقضة لازمة على الدليل وذلك غير جائز.

الثاني: لا نفرق بين أحد منهم، أي لا نقول: إنهم متفرقون في أصول الديانات، بل هم مجتمعون على الأصول التي هي الإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَجَنَىٰ بِهِ عَلَى اللَّه عَلَى اللَّه عَلَى اللَّه وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا نَنْفَرَقُوا بِهِ عَلَى اللَّهِ عَلَا الله عَلَى اللَّهِ عَلَا اللَّهِ عَلَا اللَّهُ عَلَا اللَّهُ عَلَا اللَّهُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ۗ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا لَنَفَرَقُوا اللَّهِ عَلَا اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

فلما بيَّن تعالى جميع ما يؤمن به، عموما وخصوصا، وكان القول لا يغني عن العمل قال: ﴿ وَنَحُنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته، بباطننا وظاهرنا، مخلصون له العبادة بدليل تقديم المعمول، وهو ﴿ لَهُ ، كل العامل وهو ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ . فقد

<sup>(</sup>١) تفسير السعدي ١/ ٦٧.

<sup>(</sup>٢) تفسير الرازى (البقرة: ١٣٦).

اشتملت هذه الآية الكريمة – على إيجازها واختصارها – على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسهاء والصفات، واشتملت على الإيهان بجميع الرسل، وجميع الكتب، وعلى التخصيص – الدال على الفضل – بعد التعميم، وعلى التصديق بالقلب واللسان والجوارح والإخلاص لله في ذلك، وعلى الفرق بين الرسل الصادقين، ومن ادعى النبوة من الكاذبين، وعلى تعليم الباري عباده، كيف يقولون، ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبيانًا لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون. (۱)

الدليل السادس عشر: إذا كان إلها فكيف يطلب العون من الحواريين وفيه أن عيسى يقول من أنصاري إلى الله؟ فكيف يكون هو الله؟ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إلى الله؟ فكيف يكون هو الله؟ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بِاللّهِ وَاشْهَدُ بِأَنَا اللّهُ مَنْ أَنصَارِي إلى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ فَعْنُ أَنصَارُ اللّهِ عَامَنَا بِاللّهِ وَاشْهَدُ بِأَنَا مُسَلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٥٢). وقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا اللّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْأَنصَارَ اللّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَنْ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَنْ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَنْ اللّهِ عَالَهُ اللّهِ قَالَ اللّهِ قَالَ اللّهِ قَاللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ قَالَمُ اللّهِ فَعَلَى اللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ فَا اللّهُ الللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ الللللللللللللللللللللل

أي إنه لما رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك ﴿ قَالَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللهِ ﴾ من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله (٢٠). وقال مجاهد: أي من يتبعني إلى الله، والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله؟ كما كان النبي على يقول في مواسم الحج قبل أن يهاجر: "مَنْ رَجُل يُؤْوِيني عَلى أن أبلغ كلامَ رَبِّي، فإنَّ قُريْشًا قَدْ مَنَعُوني أنْ أُبلغ كلامَ رَبِّي، فإنَّ قُريْشًا قَدْ مَنعُوني أنْ أُبلغ كلامَ رَبِّي، فإنَّ قُريْشًا قَدْ مَنعُوني الأسود والأحمر. وهكذا عيسى ابن مريم، انْتذبَ له طائفة من بني إسرائيل؛ فآمنوا به،

<sup>(</sup>١) تفسير السعدي ١/ ٦٧.

<sup>(</sup>٢) تفسير السعدى ١/ ١٣١.

<sup>(</sup>٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٢) من حديث جابر ١٩٤٧).

وآزروه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه. ولهذا قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ قَاكَ الْمُحَوَّرِيُّونَ عَنْ أَنْصَارُ اللّهِ عَامَنًا بِاللّهِ وَاشْهَدَ بِأَنَا مُسَلِمُونَ ﴿ ثَنَ رَبَّنَا ءَامَنَا بِمَا أَزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَحَتُبْنَا مَعَ الشَّهِدِينَ ﴾ الحواريون، قيل: كانوا قصّارين وقيل: سموا بذلك لبياض ثيابهم، وقيل: صيادين. والصحيح أن الحواري الناصر، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما نَدبَ الناس يوم الأحزاب، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدَبَ الزبير (ثم ندبهم فانتدَبَ الزبير (ثم ندبهم فانتدَب الزبير) فقال ؛ "إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَاريا وَحَوَارِيي الزُّبيرُ". (۱)

الدليل السابع عشر: وفيه أن الله يتوفى عيسى ويرفعه اليه. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَكِعِسَىَ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِنَّى وَمُطَهِّرُكَ مِنَ اللَّهِ يَتُوفى عيسى ويرفعه اليه. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَكِعِسَىَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِنَّ اللَّهِ مُكَافِّدُ وَمُ اللَّهِ مُنْ اللَّهُ وَمُعَالِكُ وَمُكُمُ اللَّهِ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلْمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَّا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّ اللّهُ اللّهُ ال

وقد اختلف المفسرون في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِنَّى ﴾:

 ١ - فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره: إني رافعك إلي ومتوفيك، يعني معد ذلك.

٢- وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا: النوم، والأدلة على ذلك: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهِ يَتُوفَى يَتُوفَى كُمُ مِا اللَّهِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُهُ مِالنَّهَادِ ﴾ (الأنعام: ٢٠). وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتُوفَى الْاَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهِ كَا وَالِّي لَمْ تَمُتَ فِى مَنَامِهِ كَا فَيَمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهِ كَا وَالْمِي لَلْهُ يَمْتُ فِى مَنَامِهِ كَا فَيَمْسِكُ اللَّيْ قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاَخْرَى إِلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الله عَلَيْهَا الله عَلَى الله عَلَيْهَا وَاللَّهِ مَا الله عَلَى اللَّهُ عَلَى مَرْيَعَ بُهْتَنَا عَظِيمًا الله وَقَوْلِهِمْ إِنَّا لَهُ وَيَحْلُوهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَعَ بُهْتَنَا عَظِيمًا الله وَقَوْلِهِمْ إِنَّا لَهُ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَعَ بُهْتَنَا عَظِيمًا الله عَلَى الله وَقَوْلِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَعَ بُهْتَنَا عَظِيمًا الله وَقَوْلِهِمْ إِنَّا لَهُ عَلَى مَرْيَعَ اللَّهُ وَقَوْلِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَعَ بُهُ تَنَا عَظِيمًا الله تعالى: ﴿ وَيَكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَعَ بُهُ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنَّا لَهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنَّهُ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَعَ بُهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَعَ بُهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَيْهَا إِلَيْهُ وَيُولِيلُهُ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْهَا إِنْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهَا إِلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهَا إِلَيْهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

<sup>(</sup>٢) البخاري (٥٩٥٣).

قَنَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِكِن شُيِّهَ لَهُمَّ وَإِنَّ ٱلْذَينَ ٱخْنَلَفُواْ فِيهِ لَغِي شَكِ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِدِء مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱنِبَاعَ ٱلظَّلِيَّ وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينَا ١٠٠ بَل زَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١١٠ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ١١٠ ﴾ (النساء: ١٥٦ -١٥٩). والضمير في قوله: ﴿ قَبْلَ مَوْتِدِ ۗ ﴾ عائد على عيسى اللَّهُ أي: وإن من أهل الكتاب إلا يؤمن بعيسي قبل موت عيسى؛ وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلُّهم؛ لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام. وقوله تعالى: ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: برفعي إياك إلى السماء ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيكَمَةِ ﴾ وهكذا وقع؛ فإن المسيحالطَيْ لما رفعه الله إلى السهاء تَفَرَّقت أصحابه شيعًا بعده؛ فمنهم من آمن بها بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله. وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة. وقد ذكر الله مقالاتهم في القرآن، ورَد على كل فريق، فلما بعث الله محمدًا عَلَيْقٍ، فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق - كانوا هم أتباع كُل نبي على وجه الأرض-إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي، خاتم الرسل، وسيد ولد آدم، الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق، فكانوا أولى بكل نبي من أمته، الذين يزعمون أنهم على ملَّته وطريقته، مع ما قد حَرِّفوا وبدلوا.

ثم لو لم يكن شيء من ذلك، لكان قد نسخ الله بشريعته شريعة جميع الرسل بها بعث به محمدًا على من الدين الحق، الذي لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة، ولا يزال قائها منصورًا ظاهرا على كل دين؛ فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، واحتازوا جميع المهالك، ودانت لهم جميع الدول، وكسروا كسرى، وقصروا قيصر، وسلبوهما كُنُوزَهما، وأنفقت في سبيل الله، كها أخبرهم بذلك نبيهم عن ربهم الذي قوله: ﴿ وَعَدَ اللهُ الذِينَ ءَامَنُوا مِنْ مَعْ مِنْ مَعْ مِنْ مَعْ اللهُ الل

ولهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقًا؛ سلبوا النصارى بلاد الشام، وأَجْلُوهم إلى الروم، فلجؤوا إلى مدينتهم القسطنطينية، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة. وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أمَّته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية، ويستفيؤون ما فيها من الأموال، ويقتلون الروم مَقْتلة عظيمة جدا، لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيكَمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَاكُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ١٠٠٠ فَأَمَّا أَلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَكِيدًا فِي ٱلدُّنْيَ وَٱلْآخِرَةِ وَمَالَهُم مِن نَّصِرِينَ ﴾ وكذلك فعل تعالى بمن كفر بالمسيح من اليهود، أو غلا فيه وأطراه من النصاري، عَذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخْذ الأموال وإزالة الأيدي عن المهالك، وفي الدار الآخرة عَذابُهم أشد وأشق﴿وَمَا لَهُمُ مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقِ ﴾ (الرعد: ٣٤)، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهمْ أَجُورَهُمْ ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالجنات العاليات ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ ذَالِكَ نَتْلُوهُ عَلَيَكَ مِنَ ٱلْأَيَاتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ أي: هذا الذي قَصَصْنَاه عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره، هو مما قاله الله تعالى، وأوحاه إليك ونزله عليك من اللوح المحفوظ، فلا مرية فيه ولا شك، كما قال تعالى في سورة مريم: ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمٌ قَوْلَكَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۗ ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَنَّخِذَ مِن وَلَدٍّ سُبْحَنَهُ وَإِذا قَضَى آمَرا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيكُونُ ﴾ (مريم: ٣٤-٣٥)(١)

الدليل الثامن عشر: يثبت أن الله تعالى خلق عيسى العلى بكن: قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللّهِ كَمَثَلِ ءَادَمٌ خَلَقَكُهُ مِن ثُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥٩). يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللّهِ ﴾ في قدرة الله تعالى، حيث خلقه من غير أب ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ ؟

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٨٧.

فإن الله تعالى خلقه من غير أب ولا أم، بل ﴿ خَلَقَكُهُ ومِن ثُرَابٍ ثُمَّ قَالَلَهُ كُن فَيكُونُ ﴾ والذي خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى بكونه مخلوقًا من غير أب؛ فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشد بطلانًا وأظهر فسادًا. ولكن الرب على أراد أن يظهر قدرته لخلقه، حين خَلَق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ مَا القول ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ مَا القول لِلنَاسِ ﴾ (مريم: ٢١). وقال هاهنا: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن زَيِكٌ فَلا تَكُونَنَ مِن ٱلمُمْتَرِينَ ﴾ أي: هذا القول هو الحق في عيسى، الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال. ثم قال من بعد ظهور البيانِ: ﴿ فَمَنَ مَا تَكُونَ مَن ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ أي: نلتعن مِن بَعْدِ مَا جَآهَ كُونَ مَن ٱلْمُهُمَلُ وَلَقُلُ مَا الله الله الله الله الله المناهلة ﴿ ثُمَّ مَن بَعْمَلُ الْمُنْ عَالَا الْمَالَةُ مَنْ مَنْ أَلْمُ مَنْ عَالَا الْمَالَةُ مَنْ مَا أَلْمَالَهُ مَلَ مَنْ عَالَةً اللهُ عَلَى الله عَلَى مَن الله عَلَا المناه الله الله الله الله الله الله الله عَلَى مَنْ عَالَةً اللهُ عَلَى الله عَلَا المَالِهُ عَلَى الله عَلَا المَالِهُ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَا المَالِهُ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلْ المَاله الله عَلَى اله

قال السعدي: يخبر تعالى محتجًا على النصارى الزاعمين بعيسى السيخ ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة فضلًا أن يكون حجة؛ لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحدًا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم الله خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح ادعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى، فلهذا قال

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير سورة آل عمران آية (٩٥).

تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِسَىٰ عِندَ اللّهِ كَمَثُلِ ءَادَمٌ خَلَقَ هُومِن ثُرَابٍ ثُمُّ قَالَ لَهُ مُنْ فَيكُونُ ﴾ أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن المسيح السلاه هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الحاصة لك ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء عليهم السلام، ﴿ فَلَاتَكُنُ مِنَ ٱلْمُعَتَرِينَ ﴾ أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد على حلها أم لا فلا يوجب له عجزه عن حلها القدح فيا علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعَدُ ٱلْحَقِّ إِلّا ٱلضّلَالُ ﴾ وجهذه القاعدة تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه.

الدليل التاسع عشر: يثبت أن عيسى من الأنبياء الذين أوحى الله إليهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كُمّا أَوْحَيْنَا إِلْى نُوجِ وَالْنَبِيّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأُوحَيْنَا إِلَى إِبْرَهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَنَى وَيَعْقُوبَ وَيُوشَى وَهَنْرُونَ وَسُلَيَمَنَ وَالْيَبْنَادَاوُدَ دَوَاسَمَعِيلَ وَإِسْحَنَى وَيَعْقُوبَ وَيُوشَى وَهَنْرُونَ وَسُلَيَمَنَ وَاللّهَ الْمَادِ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَعِيلَ وَالسل دل على أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فلحوته دعوتهم، وأخلاقهم متفقة، ومصدرهم واحد، وغايتهم واحدة. وهو كقوله تعالى: ﴿وَزَكْرِيّنَا وَيَعْنَى وَعِيسَىٰ وَإِلْمَاسِّ كُلُّ فِينَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾ (الأنعام: ٥٨) وقوله: ﴿وَإِلْمَ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَيَعْمَى أَيْنِ مَرَّيَمٌ وَأَكْرِيّنَا وَيَعْنَى وَعِيسَىٰ وَإِلْمَاسِمُ كُلُّ فَنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾ (الأعام: منفقة عَلَى اللّه عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَعَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَ

الدليل العشرون: يذكر أن عيسى المَنْ جاء على آثار من سبقه من الرسل: قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا

عَلَىٰ اَتُوهِم بِعِيسَى اَبْنِ مَرْيَم مُصَدِقَالِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِن التَّورَدَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدَى وَوُورُ وَمُصَدِقَالِمَا بَيْنَ يَدَيْهِمِن النّورَدَةِ وَهُدَى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَقِينَ اللّهِ (المائدة: ٢٦). فقوله: ﴿وَقَفَيْنَا﴾ أي: أتبعنا، أي جعلنا عيسى ابن مريم يقفوا آثارهم، أي آثار النبين الذين أسلموا من بني إسرائيل، يقال قفيته مثل عقبته إذا اتبعته ﴿عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ يعني: أنبياء بني إسرائيل ﴿بِعِيسَى ابِّنِ مَرِّيمَ مُصَدِقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِن التَّورَدَةِ ﴾ أي: هدى إلى الحق، ونور التقوردة ﴾ أي: مؤمناً بها حاكمًا بها فيها ﴿وَءَاتَيْنَهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدَى وَدُورٌ ﴾ أي: هدى إلى الحق، ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات، ﴿مُصَدِقالِمَا بَيْنَ يَدَيِّهِ مِنَ التَورَدَةِ ﴾ أي: متبعًا لها، غير عناله له فيها، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون فيه، كها قال تعالى إخبارًا عن المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأْجِلَ لَكُمْ مَعْضَ اللّذِي حُرِمَ عَلَيْتِكُمْ ﴾ (آل عمران: ٥٠)؛ ولهذا المسيح أنه قال لبني إسرائيل: ﴿وَلِأُجِلَ لَكُمْ مَعْضَ اللّذِي حُكَمْ عَلَيْتِكُمْ أَي وَوله: ﴿وَهُدَى وَمُوعِظَةٌ الله عَنِيلَ المِهُ عَنِيلًا الإنجيل ﴿ هُدَى الله وخف وعيده وعقابه. المحارم والمَاثُم ﴿ لِلْمُنْقِبِكِ ﴾ أي: لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه.

وقوله: ﴿ وَلْيَحَكُمُ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَا آنزلَ ٱللهُ فِيهِ ﴾ قُرئ ﴿ وَلْيَحَكُمُ ﴾ بالنصب على أن اللام لام كي، أي: وآتيناه الإنجيل ﴿ فِيهِ هُدَى وَنُورٌ ﴾ ليحكم أهل ملته به في زمانهم. وقرئ: ﴿ وَلْيَحَكُمُ ﴾ بالجزم اللام لام الأمر، أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ومما فيه البشارة ببعثة محمد ﷺ ولأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَنَاهَلُ ٱلْكِنْكِ لَسَمُ عَلَى شَيْءٍ حَتَى تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَكَةَ وَٱلْإِنجِيلُ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمُ مِن دَّيِكُمُ وَلَيْرِيدُ كَنْيِلُ مِنْ أَنْزِلَ إِلَيْكُمُ مِن رَّيِكَ ﴾ (المائدة: ٦٨)، و قال هاهنا: ﴿ وَمَن لَدِيمَكُمُ وَلَيْ اللهُ الله الله الله الله الله المائلون إلى الباطل، ومَا أَنزِلَ الله الله الله الله الله الله المائدة ولا المائدة وليهم، المائلون إلى الباطل، التاركون للحق. (١)

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير۲/ ۹۰.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَنَبَيَّ إِسْرَهِ بِلَ إِنِي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُرُمُّ صَدَّقَالِمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ ٱلنَّوْرَنَةِ وَمُبَيِّرًا بَرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِى ٱسْمُهُ وَأَحَدُّ فَلَاّ جَآءَهُم بِالْبَيْنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (الصف: ٦).

الدليل الثاني والعشرون: وفيه اعتقاد اصحاب عيسى أنه رسول من ربه: قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَعِيسَى ٱبْنَ مَرْبَمَ هَلَّ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَيْنَا مَآبِدَةً مِنَ ٱلسَّمَآةِ قَالَ التَّهُمُ اللَّهُ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَعِنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَد صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّهِدِينَ ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْبَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا آلْزِلْ عَلَيْنَا مَآبِدَةً مِن الشَّهِدِينَ ﴿ قَالَ عِيسَى أَبْنُ مَرْبَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا آلْزِلْ عَلَيْنَا مَآبِدَةً مِن الشَّهِدِينَ أَلْ وَاللَّهُ مِنكَ وَارْزُقَنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّزِقِينَ ﴿ فَي اللّهُ مَلْ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ مَلْ اللّهُ وَاللّهُ وَلَيْ اللّهُ وَاللّهُ وَلِيلًا اللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَلّهُ وَلّهُ اللّهُ وَلّ مَا يَشَقّ عليه، وذلك كناية فلم يبق منظورًا فيه إلى صريح المعنى المقتضي أنّه يشكّ في استطاعة المسؤول، وإنّا يقول فلم يبق منظورًا فيه إلى صريح المعنى المقتضي أنّه يشكّ في استطاعة المسؤول، وإنّا يقول

<sup>(</sup>١) فتح القدير سورة المائدة آية ١١٠.

ذلك الأدنى للأعلى منه، وفي شيء يعلم أنه مستطاع للمسؤول، فقرينة الكناية تحقّقُ المسؤول أنّ السائل يعلم استطاعته.

ومنه ما جاء في حديث يحيى المازني «أنّ رجلًا قال لعبد الله بن زيد: أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله يتوضّأ». فإنّ السائل يعلم أنّ عبد الله بن زيد لا يشقّ عليه ذلك. فليس قول الحواريّين المحكي بهذا اللفظ في القرآن إلاّ لفظًا من لغتهم يدلّ على التلطّف والتأدّب في السؤال، كما هو مناسب أهل الإيمان الخالص. وليس شكًّا في قدرة الله تعالى ولكنّهم سألوا آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بالإيمان بأن ينتقلوا من الدليل العقلي إلى الدليل المحسوس. فإنّ النفوس بالمحسوس آنس. (1)

## الدليل الثالث والعشرون: وفيه الرد على النصاري في ادعاء الألوهية والتثليث صراحة.

وهذا مما يخاطب الله تعالى به عبده ورسوله عيسى بن مريم الطَّيِّ قائلًا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَنْعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِ وَأَمِّى مِن اتخذه وأمه إلهين من دون الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَنْعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِ وَأَمِّى إِللَّهُ يَنْ مِن دُونِ ٱللَّهُ ﴾، وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد.

وهذا هو أحد الوجهين في الآية، والثاني أن هذا السؤال في الدنيا والأول أظهر. (٢) وهذا التوبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ عيسى ويقول: ﴿ شُبِّحَكَنَكَ ﴾ عن هذا الكلام القبيح، وعمّا لا يليق بك، ﴿ مَا

<sup>(</sup>١) التحرير والتنوير ١/٢٣٣.

<sup>(</sup>٢) تفسير ابن كثير (المائدة: ١١٦) بتصرف.

يكُونُ لِيَ آنَ أَقُولَ مَالَيْسَ لِي بِحَقِ ﴾ أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئًا ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنها الجميع عباد مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون، ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ أَنَّ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا آعَلَمُ مَا فِي نَفْسِك ﴾ فأنت أعلم بها صدر مني و ﴿ إِنّك آنتَ عَلّمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ وهذا من كهال أدب المسيح الله في خطابه لربه، فلم يقل الله الله الله الله الله المن ذلك " وإنها أخبر بكلام ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة.

ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل، فقال: ﴿ مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ۗ فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجرئ على عظمتك، ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أني عبد مربوب، فكما أنه ربكم فهو ربي.

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِم شَهِيدًا مَّا دُمّتُ فِيهِم ﴾ أشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقم به. ﴿ فَلَمّا وَفَيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِم ﴾ أي: المطلع على سرائرهم وضهائرهم. ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِ شَيْءِ شَهِيدٌ ﴾ علما وسمعا وبصرا، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بها تعلمه فيهم من خير وشر. ﴿ إِن تُعَذِّبُهُم فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ وأنت أرحم بهم من أنفسهم وأعلم بأحوالهم، فلولا أنهم عباد متمردون لم تعذبهم. ﴿ وَإِن تَغَفِر لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الَّهَ بِيرُ لُكْرَكِيدُ ﴾ أي: فمغفرتك صادرة عن تمام عزة وقدرة، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة. ﴿ المُحَكِيدُ ﴾ حيث كان من مقتضي

حكمتك أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة. (١)

الدليل الرابع والعشرون: إثبات الأحدية والصمدية، وأن الله لم يلم ولم يولد.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدُ ﴿ ﴾ اللّهُ الصَّمَدُ ﴾ ثَولًا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿ هُو اللّهُ أَحَدُ ﴾ (الإخلاص: ١-٤). أي ﴿ قُلْ ﴾ قولًا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿ هُو اللّهُ أَحَدُ ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكهال، الذي له الأسهاء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل. ﴿ اللّهُ الصَحَمَدُ ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مههاتهم؛ لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كهاله أنه ﴿ لَمْ يَكِدُ وَلَمْ يُولَدُ ﴾ لكهال غناه ﴿ وَلَمْ يَكُنُ لَهُ مُ صَدُّ اللّه ولا في أفعاله، تبارك وتعالى. فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسهاء والصفات. (٢)

الوجه الثالث: الأدلة من السنة على بطلان ألوهية المسيح.

الدليل الأول: يثبت أن الله تعالى لم يلد ولم يولد، وأن من قال هذا القول فقد شتم الله عليا:

عن أبي هريرة على عن النبي على قال: "قال الله على: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك. فأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، ولم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفوًا أحد. وأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كها بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ". (")

وإنها سهاه شتمًا؛ لما فيه من التنقيص؛ لأن الولد إنها يكون عن والدة تحمله ثم تضعه،

<sup>(</sup>١) تفسير السعدي ٢٤٩/١.

<sup>(</sup>٢) تفسير السعدى ١/ ٩٣٧.

<sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري (٤٦٩٠).

ويستلزم ذلك سبق النكاح، والنكاح يستدعي باعثًا له على ذلك. والله سبحانه منزه عن جميع ذلك (١)، واتخاذ الولد نقص لاستدعائه محالين:

أحدهما: مماثلته للولد، وتمام حقيقته فيلزم إمكانه وحدوثه.

وثانيهما: استخلافه لخلف يقوم بأمره من بعده؛ إذ الغرض من التوالد بقاء النوع فيلزم زواله وفناؤه سبحانه؛ ولذا قال تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَوَاتُ يَنْفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۞﴾ (مريم: ٩٠)، والأحد: المنفرد المطلق ذاتًا وصفاتًا، وفرق بين الأحد والواحد؛ بأن الواحد لنفي مفتتح العدد، والأحد لنفي كل عدد، فالواحد ينبىء عن تفرد الذات عن المثل والنظير، والأحدينبيء عن تفردها عن كل نقص واتصافها بكل كمال، فكيف مع ذلك يحتاج إلى الولد؟ والصمد هو الذي يحتاج إليه كل أحد وهو غني عنهم. (٢) فأي شتم لله تعالى أعظم من أن يقال: إن لله ولدًا؟ وأي شتم أعظم من أن يقال: إن رب السموات والأرض - تبارك وتعالى - نزل عن كرسي عظمته وعرشه، ودخل في فرج امرأة تأكل، وتشرب، وتبول، وتتغوط، وتحيض فالتحم ببطنها، وأقام هناك تسعة أشهر، يتلبط بين نجو، وبول، ودم طمث، ثم خرج إلى القماط والسري كلما بكي ألقمته أمه ثديها، ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان، ثم آل أمره إلى لطم اليهود خديه، وصفعهم قفاه، وبصقهم في وجهه، ووضعهم تاجا من الشوك على رأسه والقصبة في يده؛ استخفافًا به وانتهاكًا لحرمته. ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه، فشدوه عليه وربطوه بالحبال، وسمروا يديه ورجليه، وهو يصيح ويبكى ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب؛ هذا وهو الذي خلق السموات والأرض، وقسم الأرزاق والآجال، ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعداءه من نفسه لينالوا منه ما نالوا؛ فيستحقوا بذلك العذاب والسجن في الجحيم، ويفدي أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه؛ فيخرجهم من سجن إبليس؛ فإن روح

<sup>(</sup>١) فتح الباري (٨/ ١٦٨).

<sup>(</sup>٢) مرقاة المفاتيح كتاب الإيهان ١/ ٢٣٣.

آدم وإبراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم، كانت في سجن إبليس في النار، حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه. وأما قولهم في مريم؛ فإنهم يقولون: إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة، ووالدته في الحقيقة، لا أم لابن الله إلا هي، ولا والدة له غيرها، ولا أب لابنها إلا الله، ولا ولد له سواه، وأن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء، ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها، ولكن اختصت عن النساء بأنها حبلت بابن الله، وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره، ولا والد له سواه، وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها، وابنها عن يمينه. والنصاري يدعونها ويسألونها سعة الرزق، وصحة البدن، وطول العمر، ومغفرة الذنوب، وأن تكون لهم عند ابنها ووالده - الذي يعتقد عامتهم أنه زوجها، ولا ينكرون ذلك عليهم - سورًا وسندًا وذخرًا وشفيعًا وركنًا، ويقولون في دعائهم: يا والدة الإله اشفعي لنا، وهم يعظمونها، ويرفعونها على الملائكة، وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الإله من العافية، والرزق، والمغفرة، حتى إن اليعقوبية يقولون في مناجاتهم لها: يا مريم يا والدة الإله، كوني لنا سورًا، وسندًا، وذخرًا، وركنًا، والنسطورية يقولون: يا والدة المسيح كوني لنا كذلك! ويقولون لليعقوبية: لا تقولوا يا والدة الإله، وقولوا يا والدة المسيح، فقالت لهم اليعقوبية: المسيح عندنا، وعندكم إله في الحقيقة فأي فرق بيننا وبينكم في ذلك؟ ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم في التوحيد. (١)

الدليل الثاني: يثبت أن عيسى مؤمن بالله معظم له: عن أبي هريرة النبي النبي الله على النبي الله عيسى بن مريم رجلًا يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عينى (٢)

وهذا العديث فيه وجهان: أحدهما: قال القرطبي: ظاهر قول عيسى الطَّيِّلاللرجل:

<sup>(</sup>١) هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصاري تحت عنوان خرافة الفداء (١/ ١٤٠).

<sup>(</sup>۲) البخاري (۲۲،۳۲).

سرقت، أنه خبر جازم؛ لكونه أخذ مالًا من حرز في خفية، وقول الرجل: كلا، نفي لذلك ثم أكده باليمين، وقول عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني، أي صدقت من حلف بالله، وكذبت ما ظهر لي من كون الأخذ سرقة؛ فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ماله فيه حق، أو ما أذن له صاحبه في أخذه أو أخذه؛ ليقلبه وينظر فيه، ولم يقصد الغصب والاستيلاء.

الثاني: ما قاله ابن القيم: إن الله تعالى كان في قلبه أجل من أن يحلف به أحد كاذبا، فدار الأمر بين تهمة الحالف، وتهمة بصره؛ فرد التهمة إلى بصره، كما ظن آدم التي صدق إبليس لما حلف له أنه ناصح، وهذا أحسن من الأول. (١)

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا يدل على سجية طاهرة، حيث قدم حلف ذلك الرجل؛ فظن أن أحدًا لا يحلف بعظمة الله كاذبًا على ما شاهده منه عيانًا؛ فقبل عذره ورجع على نفسه فقال: آمنت بالله أي صدقتك وكذبت بصري لأجل حلفك. (٢)

الدليل الثالث: وفيه لقاء النبي ﷺ بعيسى السِّلا ليلة الإسراء وذكر صفته.

<sup>(</sup>۱) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (٥٣٣) وانظر شرح مسلم للنووي (٢٣٦٨)، وفتح الباري (٦/ ٤٨٩)، وبدائع الفوائد (٣/ ٧١٨).

<sup>(</sup>٢) البداية والنهاية (٢/١١٦).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٣٢٥٤).

جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط". (١) فالحديث فيه أمران:

الأول: ذكر لقاء النبي عَلَيْ بعيسى، النَّهُ وأن ذلك غير لقائه بالله تعالى، كما في القصة المطولة عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكِ أَنَّ رَسُولَ الله عَلَّقَالَ: " أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ. . . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الشَّانِيةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ النَّكِيّ. فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ قَالَ جِبْرِيلُ. قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ قَالَ مُحَمَّدٌ. قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَى الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَوَكَرِيّاءَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمَا فَرَحَبَا وَدَعَوَا لِى بِخَيْرٍ ". (")

ففي هذه الروايات أنه قال له: "مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح فهل يقول الرب للعبد: يا أخي؟ ".

وفيها: أنه دعا له بخير فمن يدعوا عيسي لو كان هو الإله.

<sup>(</sup>١)البخاري (٣٢٥٥).

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم (٢٥٩).

<sup>(</sup>٣) أخرجه البخاري (٣٤٢)، ومسلم (٢٦٣).

<sup>(</sup>٤) أخرجه مسلم (٢٧٨).

وفيها: أنه لقيه في أثناء رحلة المعراج وليس في آخرها.

وفيها: أنه تردد في عودته بين موسى وربه، ولم يكن لعيسى النه شيء من هذا الحوار، فلو كان هو الرب لجرى معه هذا الحوار. وفيها: أنه قال فإذا أنا بابني الخالة، فإذا قلنا بأن مريم خالة يحيى النه فهل أم يحي خالة الرب؟ فإذا كانت كذلك فهلا توسل بها القوم كها توسلوا بأم الإله؟ وفي رواية أبي هريرة الله أنه كان يصلي وصلى كذلك خلف رسول الله على فلو كان هو الإله فلمن يصلى وكيف يصلى به رسول الله على الل

الأمر الثاني: صفة عيسى التيلا، وليس فيها شيء من صفات الله تعالى، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فقال في وصفه له: " وإذا عيسى بن مريم التيلا قائم يصلي؛ فإذا ربعة أحمر، جعد، عريض الصدر، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، شابًا أبيض، جعد الرأس، حديد البصر، مبطن الخلق، كأنها خرج من ديهاس، أقرب الناس به شبهًا، عروة بن مسعود الثقفي". (١)

وفي بعض الروايات: "بينها أنا نائم أطوف بالكعبة؛ فإذا رجل آدم، كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم، قد رجلها فهي تقطر ماء، متكتًا على رجلين، أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فسألت من هذا؟ فقيل: هذا المسيح بن مريم، سبط الشعر، يهادى بين رجلين، ينطف رأسه ماء، أو يهراق رأسه ماء؛ فقلت من هذا؟ قالوا ابن مريم". (٢) الدليل الرابع: وفيه إثبات أن عيسى من شباب أهل الجنة.

عن أبي سعيد الخدري هعن النبي قال: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنى الخالة: عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا". (")

الدليل الخامس: وفيه أن المسيح يدعو الله ويتضرع إليه، ولو كان إلهًا لما احتاج أن يرغب إلى الله ويدعوه؛ كما في هذا الحديث. عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ

<sup>(</sup>١) مسلم حديث (٢٧١).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٧)، والزيادة بين المعقوفين من صحيح مسلم (٢٧٣).

<sup>(</sup>٣) أخرجه الطبران٣/ ٣٨، وابن حبان (٦٩٥٩). والحديث صححه الألباني في الصحيحة (٧٩٦).

الله ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. . . فَبَيْنَهَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله المُسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ المُنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُو فَلَا يَجِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدِّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمْ الله مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجُنَّةِ فَبَيْنَمَا هُو كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى الله إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ الله يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْصَرُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ الله عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْس وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الله فَيُرْسِلُ الله طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ الله ثُمَّ يُرْسِلُ الله مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرِ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنْ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنْ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنْ النَّاسِ وَاللَّقْحَةَ مِنْ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنْ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنْ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنْ النَّاسِ فَبَيْنَهَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله رِيًّا طَيَّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَعْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ". (١)

الدليل السادس: وهو متعلق بنزول عيسى في آخر الزمان، وما هي مهمته بعد قتل الدجال؟ عن أبي هريرة الله قال: قال رسول الله عليه: " والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل

<sup>(</sup>۱) مسلم (۲۹۳۷).

فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال؛ حتى لا يقبله أحد". (١)

زاد عند مسلم: وفي رواية ابن عيينة: " إمامًا مقسطًا، وحكمًا عدلًا ".

ووجه الدلالة من الحديث: قوله: ليوشكن بكسر المعجمة: أي ليقربن، أي لا بد من ذلك سريعًا.

وقوله: أن ينزل فيكم، أي في هذه الأمة؛ فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله. وقوله: حكمًا أي حاكمًا، والمعنى أنه ينزل حاكمًا بهذه الشريعة؛ فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ، بل يكون عيسى حاكمًا من حكام هذه الأمة، وفي رواية الليث عن بن شهاب عند مسلم: حكمًا مقسطًا، وله من طريق بن عيينة عن بن شهاب إمامًا مقسطًا والمقسط العادل بخلاف القاسط فهو الجائر، وقوله فيكسر الصليب ويقتل الخنزير أي: يبطل دين النصر انية بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصاري من تعظيمه، ووقع في رواية عطاء بن ميناء عن أبي هريرة عند مسلم ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وقوله ويضع الحرب في رواية الكشميهني الجزية والمعنى أن الدين يصير واحدًا فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية وقيل معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له فتترك الجزية استغناء عنها وقال عياض يحتمل أن يكون المراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار من غير محاباة ويكون كثرة المال بسبب ذلك وتعقبه النووي وقال الصواب أن عيسى لا يقبل إلا الإسلام قلت: ويؤيده أن عند أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة وتكون الدعوى واحدة، قال النووي: ومعنى وضع عيسى الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى لما دل عليه هذا الخبر وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية بل نبينا عليه هو المبين للنسخ بقوله هذا، وقوله: ويفيض المال بفتح أوله وكسر الفاء وبالضاد المعجمة أي يكثر، وفي رواية عطاء بن ميناء المذكورة وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد، وسبب كثرته نزول البركات،

<sup>(</sup>۱) البخاري (۱۰۹ و ۲۳۶۶ و ۲۲۲۶)، ومسلم (۱۵۵).

وتوالي الخيرات بسبب العدل، وعدم الظلم، وحينئذ تخرج الأرض كنوزها، وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة قوله: حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها أي: أنهم حينتذ لا يتقربون إلى الله إلا بالعبادة لا بالتصدق بالمال وقيل: معناه أن الناس يرغبون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا، وما فيها، وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة عن الزهري بهذا الإسناد في هذا الحديث حتى تكون السجدة واحدة لله رب العالمين، وقوله: ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْل الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ هو موصول بالإسناد المذكور قال ابن الجوزي: إنها تلا أبو هريرة هذه الآية للإشارة إلى مناسبتها لقوله: حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها، فإنه يشير بذلك إلى صلاح الناس، وشدة إيانهم، وإقبالهم على الخير فهم لذلك يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا، والسجدة تطلق ويراد بها الركعة، قال القرطبي: معنى الحديث أن الصلاة حينئذ تكون أفضل من الصدقة لكثرة المال إذ ذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد، وقوله في الآية ﴿ وَإِن ﴾ بمعنى ما أي: لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصاري إذا نزل عيسي إلا آمن به، وهذا مصير من أبي هريرة إلى أن الضمير في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ وكذلك في قوله قبل موته يعود على عيسى أي إلا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى وبهذا جزم ابن عباس فيها رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قال قبل موت عيسى والله إنه الآن لحي ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون ونقله عن أكثر أهل العلم ورجحه ابن جرير وغيره ونقل أهل التفسير في ذلك أقوالًا أخر وأن الضمير في قوله به يعود لله أو لمحمد وفي موته يعود على الكتابي على القولين وقيل على عيسى وروى ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس لا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بعيسى فقال له عكرمة أرأيت أن خر من بيت أو احترق أو أكله السبع قال لا يموت حتى يحرك شفتيه بالإيهان بعيسى وفي إسناده خصيف وفيه ضعف ورجح جماعة هذا المذهب بقراءة أبي بن كعب الاليؤمنن به قبل موتهم أي أهل الكتاب قال النووي معنى

قال العلماء: الحكمة في نزول عيسي دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها وقيل: إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله والأول أوجه وروى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين وروى نعيم بن حماد في كتاب الفتن من حديث ابن عباس أن عيسى إذ ذاك يتزوج في الأرض ويقيم بها تسع عشرة سنة، وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة مثله مرفوعًا وفي هذا الحديث ينزل عيسى عليه ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام وتقع الآمنة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل وتلعب الصبيان بالحيات وقال في آخره ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون وروى أحمد ومسلم من طريق حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة ليهلن ابن مريم بفج الروحاء بالحج والعمرة الحديث وفي رواية لأحمد من هذا الوجه ينزل عيسي فيقتل الخنزير ويمحي الصليب وتجمع له الصلاة ويعطي المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما. (١) وعن أبي هريرة

<sup>(</sup>١) فتح الباري (٦/ ٤٩٣).

وقد أخرجه مسلم، من طريق ابن أبي ذئب، عن ابن شهاب بلفظ: وأمكم منكم قال الوليد بن مسلم فقلت لابن أبي ذئب إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري فقال وإمامكم منكم قال بن أبي ذئب أتدري ما أمكم منكم قلت تخبرني قال فأمكم بكتاب ربكم. (٢)

وعن جابر على قصة الدجال. قال: " فينطلقون؛ فإذا هم بعيسى بن مريم على الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله! فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم؛ فإذا صلى صلاة الصبح؛ خرجوا إليه. قال: فحين يرى الكذاب؛ ينهاث كها ينهاث الملح في الماء، فيمشي إليه فيقتله؛ حتى إن الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله! هذا يهودي، فلا يترك عمن كان يتبعه أحدًا إلا قتله". (")

وقال أبو الحسن الأبدي في مناقب الشافعي تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه ذكر ذلك ردًا للحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن أنس وفيه ولا مهدي إلا عيسى، وقال أبو ذر الهروي حدثنا الجوزقي عن بعض المتقدمين قال معنى قوله وإمامكم منكم يعنى أنه يجكم بالقرآن لا بالإنجيل.

وقال ابن التين معنى قوله: "وإمامكم منكم" أن الشريعة المحمدية متصلة إلى يوم القيامة وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم، وهذا والذي قبله لا يبين كون عيسى إذا نزل يكون إماما، أو مأمومًا وعلى تقدير أن يكون عيسى إمامًا فمعناه أنه يصير معكم بالجاعة من هذه الأمة قال الطيبي المعنى يؤمكم عيسى حال كونه في دينكم ويعكر عليه قوله في حديث آخر عند مسلم فيقال له صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة لهذه الأمة. وقال ابن الجوزي: لو تقدم عيسى إماما لوقع في النفس إشكال ولقيل أتراه تقدم

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣٢٦٥)

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم (١٥٥)

<sup>(</sup>٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٦٧) ثنا محمد بن سابق، ثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله به. وهذا إسناد على شرط مسلم.

نائبًا، أو مبتدئا شرعا فصلى مأمومًا لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله: لا نبي بعدي وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة والله أعلم. (١)

عن أبي هريرة أن النبي على قال: " الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلًا مربوعًا إلى الحمرة، والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنهار مع البقر، والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون"(٢).

فقول النبي على الله المجوهري: بنو العلات هم أولاد الرجل من نسوة شتى سميت بذلك لأن الذي تزوجها على أولى كانت قبلها ثم عل من الثانية العلل الشرب الثاني يقال له: علل بعد نهل، وعله يعله إذا سقاه السقية الثانية، وقال غيره سموا بذلك لأنهم أولاد ضرائر، والعلات الضرائر وهذا الثاني أظهر وأما وجه التسمية فقال جماعة منهم القاضي عياض وغيره معناه أن الأنبياء مختلفون في أزمانهم وبعضهم بعيد الوقت من بعض فهم أولاد علات إذ لم يجمعهم زمان واحد كما لم يجمع أولاد العلات بطن واحد وعيسى لما كان قريب الزمان من النبي، ولم يكن بينهما نبي كانا كأنهما في زمان واحد، فقال على "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم المناقل المناورة على الموقال الأنبياء إخوة من علات الحديث.

وفيه وجه آخر أحسن من هذا وهو أن النبي عليه شبه دين الأنبياء الذين اتفقوا عليه من

<sup>(</sup>١) فتح الباري (٦/ ٤٩٤).

<sup>(</sup>٢) أخرجه أبو داود (٤٣٢٤)، وابن ماجة (٤٠٧٨)، وأحمد في مسنده (٩٢٧٠) واللفظ له.

التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له والإيهان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه بالأب الواحد لاشتراك جميعهم فيه وهو الدين الذي شرعه الله لأنبيائه كلهم فقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمُ وَنَ اللّينِ مَا وَضَّىٰ بِهِ عَ الرَّهِمِ وَمُوسَى وَعِيسَى ۖ أَنَ أَقِيمُوا وَنَ اللّهِ عِنْ اللّهِ عَلَى اللّهِ الله وَمَا وَصَيّنا بِهِ عِلْ الرّهِمِ وَمُوسَى وَعِيسَى ۖ أَنَ أَقِيمُوا البّه الله البخاري في صحيحه باب ما جاء أن دين الأنبياء واحد وذكر هذا الحديث وهذا هو دين الإسلام الذي أخبر الله أنه دين أنبيائه، ورسله من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد فهو بمنزلة الأب الواحد و أما شرائع الأعهال، والمأمورات فقد تختلف فهي بمنزلة الأمهات الشتى التي كان لقاح تلك الأمهات من أب واحد كها أن مادة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متفق عليه فهذا أولى المعنيين بالحديث، وليس في تباعد أزمنتهم ما يوجب أن يشبه زمانهم بأمهاتهم، ويجعلون مختلفي الأمهات لذلك، وكون الأم بمنزلة الشريعة، والأب بمنزله الدين، وأصالة هذا وتذكيره، وفرعية الأم، وتأنيثها، واتحاد الأب، وتعدد الأم ما يدل على أنه معنى الحديث والله أعلم. (۱)

وقال ابن تيمية: ولما كان أصل الدين الذي هو دين الإسلام واحدًا، وإن تنوعت شرائعه قال النبي على في الحديث الصحيح: إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، والأنبياء إخوة لعلات، وإن أولى الناس بابن مريم لأنا فليس بيني، وبينه نبي فدينهم واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وهو يعبد في كل وقت بها أمر به في ذلك الوقت، وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت. (١)

وعن أبي هريرة أن النبي على قال: "ليس بيني وبينه نبي يعني عيسى وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة، والبياض بين ممصرتين كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض

<sup>(</sup>١) بدائع الفوائد (٣/ ١٩٧).

<sup>(</sup>٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٤٥٥).

أربعين سنة ثم يتوفى فيصلى عليه المسلمون "(١).

الدليل السابع: وفيه أن الناس يذهبون إلى عيسى النَّيِّ ليشفع لهم عند الله؛ فيحيل هذه الشفاعة إلى رسول الله ﷺ قائلًا: إن ربي غضب اليوم غضبًا الخ ولم يقل أنا اليوم غضبت.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ هُوَالَ: " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ الله وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المُهْدِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَمُمْ عِيسَى عُلَاإِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ رَبِّكَ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيقُولُ لَمُمْ عِيسَى عُلَاإِنَّ رَبِّى قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ فَضَبًا لَمْ يَغْضَبُ قَبْلُهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا - نَفْسِى نَفْسِى اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَى اللهَ اللهَ عَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَى اللهَ اللهَ عَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَى اللهَ اللهَ عَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَى اللهَ عَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَى اللهَ اللهَ عَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَى اللهَ عَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَى اللهُ اللهَ عَيْرِى اذْهَبُوا إِلَى اللهَ عَلَيْهِ اللهَ عَيْرَى اذْهَبُوا إِلَى اللهَ عَيْرَى اللهَ عَيْرَى اذْهَبُوا إِلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهَ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهَ عَلَى اللهَ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهَ عَنْ اللهُ ا

الدليل الثامن: وفيه أن عُبَّاد عيسى النِّيِّة يلقون في الناريوم القيامة؛ لأنهم كذبوا.

عن أبي سعيد الخدري والقمر إذا كانت صحوا؟. قلنا: لا قال: فإنكم لا تضارون في تضارون في رؤية الشمس، والقمر إذا كانت صحوا؟. قلنا: لا قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما. ثم قال: ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلمة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر، أو فاجر، وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة، ولا ولد، فها تريدون؟ قالوا: نريد أن تسقينا، فيقال: اشربوا، فيتساقطون في جهنم. ، ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فها تريدون؟ من كان يعبد الله تريدون؟ فيقولون: نريد أن تسقينا فيقال: اشربوا، فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر، أو فاجر ". (7)

<sup>(</sup>١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٤)، وأحمد (٩٢٧٠)، وابن أبي شيبة (٣٧٥٢٦) بسند صحيح.

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم (١٩٣) من حديث أبي هريرة، وأخرج نحوه من حديث أنس.

<sup>(</sup>٣) البخاري (٧٠٠١، ٤٣٠٥)، ومسلم (١٨٣).

قال القرطبي رحمه الله: وقد جاءنا على لسان من دلت المعجزة بصدقه أن الله تعالى إذا حشر الخلائق في صعيد واحد يعنى يوم القيامة فيقال للنصارى: ما كنتم تعبدون فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقول لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبه ولا ولد، ثم يقال لهم: ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا. فالله الله أدرك بقية نفسك قبل حلول رمسك، واستعمل سديد عقلك، ولا تعول على تقليد فاسد نقلك، واتبع الدين القويم دين الأب إبراهيم فيا كان يهوديًا ولا نصرانيًا، ولكن كان حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين فالله يعلم أني أنظر إليك وإلى كافة خلق الله بعين الرحمة، وأسأله هداية من ضل من هذة الأمة وأتأسف على الأباطيل التي ينتحلون فإنا لله وإنا إليه راجعون. (۱)

وإن ما ذكر عنهم في هذا الحديث، هو حال كل صاحب باطل؛ فإنه يخونه باطله أحوج ما كان إليه فإن الباطل لا حقيقة له وهو كاسمه باطل فإذا كان الاعتقاد غير مطابق، ولا حق كان متعلقه باطلا، وكذلك إذا كانت غاية العمل باطلة كالعمل لغير الله، أو على غير أمره بطل العمل ببطلان غايته وتضرر عامله ببطلانه وبحصول ضد ما كان يؤمله فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه بل صار معذبًا بفوات نفعه وبحصول ضد النفع فلهذا قال تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب فهذا مثل الضال الذي يحسب أنه على هدى. (٢)

الدليل التاسع: وفيه بشرى لكل مسلم بصفة عامة، ولكل نصراني دخل في الإسلام بصفة خاصة، وفيه أن عيسى عبد الله ورسوله: عن عبادة على النبي على الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمتة ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنارحق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل من أي أبواب الجنة الثهانية شاء". (")

<sup>(</sup>١) الإعلام بها في دين النصاري من الفساد والأوهام (١٠١).

<sup>(</sup>٢) التفسير القيم لابن القيم (٢/ ٦٠).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨).

قال النووي رحمه الله: هذا حديث عظيم الموقع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنه على جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم، فاختصر في هذه الأحرف ما يباين به جميعهم وسمى عيسى التي كلمة لأنه كان بكلمة كن فحسب من غير أب، بخلاف غيره من بنى آدم. قال الهروي: سمى كلمة لأنه كان عن الكلمة فسمى بها كها يقال للمطر رحمة، قال الهروي: وقوله تعالى ورُوح للأنه كان عن الكلمة فسمى بها كها يقال للمطر رحمة، قال الهروي: وقوله تعالى ورُوح منه أي رحمة قال: وقال ابن عرفة: أي ليس من أب إنها نفخ في أمه الروح، وقال غيره: وروح منه أي مخلوقة من عنده، وعلى هذا يكون إضافتها إليه إضافة تشريف كناقة الله، وبيت الله وإلا فالعالم له كاومن عنده. (١)

وقال ابن حجر: قال القرطبي: مقصود هذا الحديث التنبيه على ما وقع للنصارى من الضلال في عيسى، وأمه ويستفاد منه ما يلقنه النصراني إذا أسلم. وقال غيره: في ذكر عيسى تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيهانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، وكذا قوله: عبده، وفي ذكر رسوله تعريض باليهود في إنكارهم رسالته، وقذفه بها هو منزه عنه وكذا أمه وفي قوله وابن أمته تشريف له وكذا تسميته بالروح ووصفه بأنه منه كقوله تعالى وسخر لكم ما في الأرض جميعًا منه فالمعنى أنه كائن منه كها أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه أي أنه مكون كل ذلك وموجده بقدرته وحكمته، وقوله: وكلمته إشارة إلى أنه حجة الله على عباده أبدعه من غير أب، وأنطقه في غير أوانه، وأحيى الموتى على يده، وقيل: سمي كلمة الله لأنه أوجده بقوله: فلما كان بكلامه سمي به كها يقال سيف الله وأسد الله وقيل لما قال في صغره إني عبد الله، وأما تسميته بالروح فلما كان أقدره عليه من إحياء الموتى، وقيل: لكونه ذا روح وجد من غير جزء من ذي روح. (") ومن فوائد هذا الحديث عدم الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، فقوله: " وأن عيسى عبد

شرح مسلم للنووي (١/ ٢٣٦).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري ٦/ ٤٧٥.

الله ورسوله " تعريض باليهود في التفريق بين رسله في إنكارهم رسالته، ثم رسالة محمد على وتعريض بالنصارى - أنفسهم - في قولهم بالإيهان به مع التثليث، وهو شرك محض؛ وبه تعرف السر في تخصيص ذكر عيسى التيلافي هذا الحديث العظيم الجامع، ألا وحدة بين مسلم يؤمن بجميع أنبياء الله ورسله، ويهودي، أو نصراني: لا يؤمن بمحمد على كما قال الله - سبحانه -: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِ عَقَدِ اَهْتَدُوا الله وَإِنْ فَوَلُوا فَإِنَّا هُمْ في شِقَاقٍ الله - سبحانه -: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِ عَقَدِ اَهْتَدُوا أَوْ أَوْ اَنْ فَوَلُوا فَإِنَّا هُمْ في شِقَاقٍ الله - سبحانه -: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِ عَقَدِ اَهْتَدُوا الله ورسله (البقرة: ١٣٧). (١)

## الدليل العاشر: شهادة النجاشي لما جاء في القرآن من أن عيسى عبد، وقد كان على دينهم بل كان حاكمهم:

عن أم سلمة وقد بعثنا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا على أن يبعثوا إلى النجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخرومي وعمرو بن العاص، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا إلى النجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم. قالت فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار وعند خير جوار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلم النجاشي، ثم قالا لكل بطريق أنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إليك فيهم أشارف قومهم من آبائهم وأعهامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فإذا كلما الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم؛ فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بها عابوا عليهم، فقالوا نعم، ثم إنها قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم،

<sup>(</sup>١) الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان لبكر أبو زيد (١/ ٩٩).

ثم كلماه فقالا له أيها لاملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قوهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله صدقوا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بها عابوا عليهم فأسلمهم إليهها ليردوهم إلا بلادهم وقومهم، قالت فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله أذن لا أسلمهم إليهما ولا أكاد أقوام جاوروني ونزلوا ببلادي واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فأسئلهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني، قالت ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺفدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺكائنًا في ذلك ما هو كائن، فلما جاؤه – وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله - سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الأمم، قالت وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة، قالت فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا

قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عَلَى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا ويين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك، قالت فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه على، فقرأ عليه صدرا من ﴿كَهِيعَص الله قالت فبكي والله النجاشي حتى أخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقوا فو الله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد قالت أم سلمة فلم خرجنا من عنده قال عمرو بن العاصى والله لآتينه غدا أعيبهم عنده بها استأصل به خضراءهم، قالت فقال عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا، قال والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، قالت ثم غدا عليه من الغد فقال له أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قالت فأرسل إليهم فسألهم عنه، قالت ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسي إذا سألكم عنه، قالوا نقول والله فيه ما قال الله على وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه، فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال ما عدا عيسي بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم، وإن نخرتم والله اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي – " والسيوم " الآمنون - من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبر ذهب وإني آذيت رجلا منكم -"، وفيه أن النجاشي وافق الصحابة على اعتقاد المسلمين في عيسى الطَّيِّلاً. (١)

<sup>(</sup>١) حسن. أخرجه ابن إسحاق في السيرة، قال حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن

## الدليل الحادي عشر: وفيه نهي النبي ﷺ أصحابه وأمته عن الغلو الذي وقع فيه النصاري.

قال ابن حجر: والإطراء المدح بالباطل، تقول أطريت فلانًا مدحته فأفرطت في مدحه. وقوله: كما أطرت النصاري ابن مريم، أي في دعواهم فيه الإلهية، وغير ذلك. (٢)

الدليل الثاني عشر: وفيه إثبات كفر النصارى الذين لا يؤمنون برسول الله محمد ومما جاء به نبوة عيسى لا الاهيته: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ هُعَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيُّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ اللهُ عَلَيْ فَاللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ ا

قال النووي: وأما الحديث ففيه نسخ الملل كلها برسالة نبينا ، وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور، وهذا جار على ما تقدم في الأصول؛ أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح والله أعلم. وقوله : "لا يسمع بي أحد من هذه الأمة" أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنها ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم

هشام عن أم سلمة زوج النبي به، وعنه ابن هشام في السيرة (٢/ ١٧٧) ومن طريقه أخرجه أحمد (١/ ٢٠١) قال: حدَّثنا يَعْقُوب، قال: حدَّثنا أبي. و"ابن خزيمة" (٢٢٦٠) قال: حدَّثنا مُحمَّد بن عِيسَى، حدَّثنا سَلَمَة، يَعْنِي ابن الفَضْل. كلاهما (إبراهيم بن سَعْد والديَعْقُوب، وسَلَمَة بن الفَضْل) عن مُحمَّد بن إِسْحَاق، به. وهذا إسناد فيه: محمد بن إسحاق، وهو إمام المغازي صدوق يدلس وحديثه حسن إذا صرح بالتحديث، وانظر: التقريب (٥٧٢٥) والكاشف للذهبي (٤٧١٨) وهذا الحديث من أحاديث السيرة التي أسندها ابن إسحاق في السيرة وصرح فيها بالسماع فهو صحيح. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع، وقال الألباني في الصحيحة (٣١٩٠): إسناده جيد وقد سكت عنه الحافظ في الفتح (٧/ ١٨٨)، وقال على هامش فقه السيرة للغزالي (١٢٤): إسناده صحيح.

<sup>(</sup>١) البخاري (٣٢٦١).

<sup>(</sup>٢) فتح الباري (٦/ ٤٩٠).

<sup>(</sup>٣) أخرجه مسلم (١٥٣).

كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى. والله أعلم(١).

الدليل الثالث عشر: يُثبِّت أن عيسى مولودًا وقاه الله شر الشيطان عند الولادة، فلو كان إلها لوقى نفسه، وأيضًا قد سبق أن الإله لم يلد ولم يولد:

عن أبي هريرة هأن النبي على قال: "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد؛ فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها". ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا إن شئتم فراني أُعِيدُها بِكَ وَذُرِّيَتَهَا مِنَ الشَّيْطَنِ الرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: ٣٦). (٢)

قال القرطبي: هذا الطعن من الشيطان، هو ابتداء التسليط فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت: إني أعيذها بك، وذريتها من الشيطان الرجيم، ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى (<sup>۳)</sup>، وأيضًا هذه فضيلة ظاهرة، وظاهر الحديث اختصاصها بعيسى وأمه، واختار القاضي عياض أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها. (<sup>3)</sup>

## الدليل الرابع عشر: وفيه أن عيسى يهتم بالتبليغ عن الله تعالى:

<sup>(</sup>١) شرح مسلم للنووي (١/ ٤٢٨).

<sup>(</sup>٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٨).

<sup>(</sup>٣) فتح الباري (٦/ ٤٧٠)

<sup>(</sup>٤) شرح مسلم للنووي (١٥/ ١٢٠).

وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب، أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وآمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال أنا أفديه منكم بالقليل، والكثير ففدى نفسه منهم، وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله قال النبي وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة، والجاعة فإن من فارق الجاعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية، فإنه من جثا جهنم فقال رجل يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال وإن صلى وصام فدعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله هذا". (۱)

الدليل الخامس عشر: وفيه إثبات مرحلة المهد لعيسى الله أنطقه في المهد. عن أبي هريرة عن النبي على قال: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته؛ فتعرضت له امرأة وكلمته، فأبى فأتت راعيًا، فأمكنته من نفسها؛ فولدت غلامًا، فقالت: من جريج! فأتوه، فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام؛ فقال: من أبوك يا غلام؟ قال الراعي. قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال لا إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله! فترك ثديها، وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه – قال أبو هريرة كأني أنظر إلى النبي يعمص إصبعه – ثم مر بأمة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال اللهم اجعلني مثلها، فقالت لم ذاك؟ فقال الراكب

<sup>(</sup>١) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤).

جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون سرقت زنيت ولم تفعل". (١)

الدليل السادس عشر: وفيه أن عيسى ابن مريم الله يحج البيت الحرام: عن أبي هريرة هي يحدث عن النبي على قال: "والذي نفسي بيده، ليهلن ابن مريم بفج الروحاء، حاجًا أو معتمرًا أو ليثنينهما". (٢)

فهذه جملة من الأحاديث في سنة النبي على تثبت تارة أنه عبد، وتارة أنه مخلوق، وتارة أنه نبي . . . إلخ، وفي كل الأحوال هذه صفات لا تليق بالله تعالى؛ لأنها صفات المخلوقين، وقد ذكرنا في المقدمة بعض النصوص التي تدل على توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فهي في جملتها تضاف إلى الأدلة الدالة من القرآن والسنة على بطلان ألوهية المسيح الملك.

الوجه الرابع: الأدلة من العهد القديم والأناجيل الأربعة على بطلان ألوهية المسيح. وهي على أقسام:

القسم الأول: الأدلة المؤكدة لوحدانية الله تعالى الذي في السماوات، وأنه رب واحد،

وإله واحد، لا يشاركه في ربوبيته ولا ألوهيته أحد، ولا تجوز العبادة إلا له وحده فقط:

لقد تضافرت على إثبات تلك العقيدة: أي توحيد الذات وتوحيد الربوبية والألوهية، والتي هي أساس جميع الرسالات السهاوية، نصوص العهد الجديد والعهد القديم، وفيها يلي بيان بعض هذه النصوص:

أولًا: من العهد الجديد: ١-جاء في إنجيل مرقس (١٢/ ٣١: ٢٨): فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِي أَوَّلُ الْكُلِّ؟ » " فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِي: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلْمُنَا رَبُّ وَاحِدٌ. " وَتُحِبُّ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: هِنَ كُلِّ فَدْرَتِكَ. هذِهِ هِي الرَّبُ إِلْمُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قَدْرَتِكَ. هذِهِ هِي الرَّبَ إِلْمُكَ مِنْ كُلِّ قَدْرَتِكَ. هذِهِ هِي الرَّبَ إِلْمُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قَدْرَتِكَ. هذِهِ هِي الْوَصِيَّةُ الْأُولَى. " وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: ثُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (٣٢٥٤).

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم (١٢٥٢).

هَاتَيْنِ». ٣٢ فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحُقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ الله وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ)).

قُلت: هكذا جاء النص في إنجيل مرقس كها في العهد القديم، أما متى ولوقا فقد قاما بحذف عبارة: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَّهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ، وجاءت العبارة هكذا في إنجيل متى، حيث سأله الغربيين قائلًا في الفقرة: يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: وَثُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، هذِهِ هِي الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: ثُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّةُ الْخُرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّةُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ (متى ٢٢/ ٣٦).

وفي إنجيل لوقا: فقال له ما هو مكتوب في الناموس كيف تقرأ؟

فَأَجَابِ وَقَالَ: وَتَحُبِّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قدرتك، مِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ (لوقا ١٠ / ٢٦، ٢٧).

وهذا يؤكد أن توحيد الربوبية والألوهية أساس الشريعة وأساس دعوة جميع الأنبياء عليهم السلام، وهذا ما صدقه القرآن في قوله على: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولِ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

ومما يجدر بالذكر، أن سيدنا عيسى النيلا بين أنه لا وصية أعظم من هاتين الوصيتين، وأنهما أساس الناموس وأساس جميع دعوات الأنبياء، وبناء عليه، فلو كانت ألوهية عيسى النيلا ومشاركة الابن لله في ألوهيته، عقيدة حقة، والإيهان بها شرط ضروري للنجاة والخلاص الأخروي \_ كها نص عليه دستور الإيهان الذي تقرر بمجمع نيقية \_ لبين عيسى النيلا ضرورة الإيهان بذلك ولم يكتمه، خاصة في هذا المقام الذي سئل فيه عن أهم الوصايا، فلما لم يذكر ذلك في هذا المقام، علم أن ألوهية عيسى ليست من وصايا الله المنافقة المنافقة عيسى ليست من وصايا الله المنافقة على المنافقة عيسى ليست عن وصايا الله المنافقة المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أهم الوصايا الله عليه عليه المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أهم المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أهم المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أهم المنافقة عيس المنافقة عيسى المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أهم المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أهم المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أهم المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أهم المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أمافة عليه عن أمافة عن أمافة عيسى المنافقة عيسى المنافقة عيسى المنافقة عيس المنافقة عيسى المنافقة عيسى المنافقة عيسى المنافقة عيسى المنافقة عيسى ليست من وصايا الله عليه عن أمافة عيس المنافقة عيسى المنافقة عيسى المنافقة عيسى المنافقة عيس المنافقة ع

<sup>(</sup>١) وهذه الوصيه في العهد القديم بنحو نصها في الجديد في سفر التثنية (٦/ ١٥: ٤): اِسْمَعْ يَا اِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُمَّا رَبِّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوتِكَ. وَلْتَكُنْ هَذِهِ الْكَلِيَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ

(٢) وجاء في إنجيل يوحنا (١٧/ ١- ٣): " تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهِذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «أَيُّمَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. جَبِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيضًا، إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِي حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِي حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ اللَّسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ ".

وطبعًا هذا الكلام معناه باللغة العربية المتداولة: (لا إله إلا الله، المسيح رسول الله). (۱) وهي ما تعني بوضوح أن الجنة وحياتها الأبدية لا تنال إلا بالشهادة لله بالتوحيد، ولنبيه وصفيه المسيح المنه المنارسالة، وهو ما يعتقده المسلمون فيه المنه المنه

ففي هذه الآية بين عيسى الطيلا أن النجاة الأخروية تكمن في: الإيهان بأن الآب هو الإله الحقيقي وحده، فلفظة وحدك صريحة قاطعة في انفراد الآب بالألوهية، وعدم مشاركة أي أحد آخر \_ ومنهم المسيح الابن \_ له فيها. ويؤكد هذه أكثر عطف المسيح، كرسول لله تعالى، فيها يجب معرفته والإيهان به. وهذا هو عين ما قاله القرآن الكريم وهو وجوب الإيهان بالله وحده لا شريك له، وبأن المسيح رسول الله، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. ثم كيف يقول المسيح للإله هذه هي الحياة الأبدية أيها الإله أن يعرفوك أنك أنت الإله الحقيقي ولاحظ قال كلمة ﴿وحدك ﴾ ثم اعترف أن الله هو من أرسله؟ أليس المسيح هو الإله؟ لو كان هو الله حقًا كها تزعمون لقال ليعرفوك أني الإله الحقيقي وحدي أو

تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ، وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبُوابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبُوابِكَ. ﴿ وَمَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلْمُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيكَ، إِلَى مُدُنِ عَظِيمَةٍ جَيِّدَةٍ لَمْ تَبْنِهَا، وَبُيُوتٍ مَمْلُوءَةٍ كُلَّ خَيْرٍ لَمْ تَمْلُهُما، وَأَبَارٍ مَحْفُورَةٍ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيكَ، إِلَى مُدُنِ عَظِيمَةٍ جَيِّدَةٍ لَمْ تَبْنِهَا، وَبُيُوتٍ مَمْلُوءَةٍ كُلَّ خَيْرٍ لَمْ تَمْلُوهُ وَزَيْتُونٍ لَمْ تَغْرِسُهَا، وَأَكَلْتَ وَشَبِعْتَ، فَاحْتَرِزْ لِثَلاَّ تَنْسَى الرَّبَّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. الرَّبَّ إِلِمْكَ تَتَقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ. لاَ تَسِيرُوا وَرَاءَ آلِمَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِمِةِ الْأُرْضِ وَرَكُمُ الرَّبِ إِلْمَكُمْ إِللهُ غَيُورٌ فِي وَسَطِكُمْ، لِئَلاَّ يَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ إِلْمِكُمْ عَلَيْكُمْ فَيُبِيدَكُمْ عَلَيْكُمْ فَيُبِيدَكُمْ فَيُبِيدَكُمْ فَيُبِيدَكُمْ فَيُبِيدَكُمْ فَيُؤْرُضٍ.

<sup>(</sup>١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية (٥٩) والمناظرة التقريرية (١٦٨)، وإظهار الحق ٢/٢.

<sup>(</sup>٢) الله جل جلاله واحد أم ثلاثة (٩٣).

ليعرفوا أنك أنت الأب وأنا الابن وهناك الروح القدس، ونحن إله واحد؟ أليس هذا من الدجل؟ (١) وجاء في إنجيل متى (٤ / ٨ ـ • ١) قصة امتحان الشيطان للمسيح: "ثُمَّ أَخَذَهُ الله إِنْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ كَالِكِ الْعَالَمِ وَجُدْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أَعْطِيكَ هذِهِ أَيضًا إِنْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ كَالِكِ الْعَالَمِ وَجُدْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أَعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». ﴿ حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِ إِلِمِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ " فهل كان الشيطان يعِد الرب العظيم – مالك كل شيء وواهبه – بالدنيا؟!!.

وينقل القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره لإنجيل متى عن القديس جيروم قوله: "يقصد إبليس بكل هذه التجارب أن يعرف إن كان هو الحق ابن الله، ولكن المخلص كان موفقًا في إجاباته تاركًا إياه في شك"، فالشيطان كان وبقي جاهلًا بألوهية المسيح المدعاة. (٢)

فسيدنا المسيح النه وكد على ما هو منصوص في التوراة بأن الرب الإله وحده فقط، الذي ينبغي ويصح السجود له وعبادته، وبالتالي فلا تجوز العبادة ولا السجود لأي شيء آخر غيره، سواء كان المسيح الابن أو العذراء الأم أو الصليب أو أي كائن آخر سوى الله تعالى.

ثم إن نفس امتحان الشيطان لعيسى النفي ووسوسته له ومحاولته إضلاله لأكبر دليل، في حد ذاته، على بشرية عيسى المحضة وعدم إلهيته، إذ ما معنى امتحان الشيطان لله خالقه وربه؟! ومتى وكيف يكون الله تعالى في حاجة للامتحان والاختبار؟! وفي إنجيل برنابا (الفصل الثالث والتسعون) "أشهد أمام السهاء، وأشهد كل شيء على الأرض أني بريء من كل ما قد قلتم لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله، مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر ". (")

(٣) وفي إنجيل متى (١٩ / ١٦ \_ ١٧): " وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا المُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الطَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟ » \* فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟ » \* فَقَالَ لَهُ: «لَمِاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟

<sup>(</sup>١) انظر: كتاب أسئلة تبحث عن أجوبة لخطاب المصري.

<sup>(</sup>٢) الله جل جلاله واحد أو ثلاثة (٩٣).

<sup>(</sup>٣) التحفة المقدسية في مختصر تاريخ النصرانية.

لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ الله. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». "

قلت: لقد نفى سيدنا عيسى المناه المراحة عن نفسه الصلاح، ولعل المقصود به الصلاح الذاتي المطلق أي القداسة الذاتية المطلقة، وأثبته لله الواحد الأحد فقط. هذا القول يقلع أصل التثليث وما رضي تواضعًا أن يطلق عليه لفظ الصالح أيضًا، ولو كان إلهًا لما كان لقوله معنى، ولكان عليه أن يبين لا صالح إلا الأب وأنا وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة، وإذا لم يرض بقوله الصالح فكيف يرضى بأقوال أهل التثليث التي يتفوهون بها في أوقات صلاتهم (يا ربنا وإلهنا يسوع لا تضيع من خلقت بيدك) حاشا جنابه أن يرضى بها. (۱)

(٤) وفي إنجيل متى (٢٣ / ٨ ـ ١٠) يقول المسيح المسيط المسيطة: " وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تَدْعُوا سَيِّدِي، لأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ المُسِيحُ، وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ. وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَبًا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّهَاوَاتِ. ".

فالمعروف أنه في لغة الإنجيل، كثيرًا ما يعبر عن الله بالآب، وهنا كذلك، فقول عيسى الله بالآب، وهنا كذلك، فقول عيسى التخليل!" لا تدعوا لكم أبًا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السهاوات " يعنى ليس لكم إله إلا الله وحده الذي في السهاوات، وهذا صريح في نفي ألوهية كل أحد ممن هو على الأرض، ويدخل في هذا النفي المسيح كذلك لكونه على الأرض.

ويؤكد ذلك أيضًا، الاقتصار على وصف المسيح بالسيد والمعلم وعدم وصفه بالإله.

هذا وفيها يلي نورد عبارتين للقديس بولس، الذي يحتل مكانة عظيمة لدى النصارى؛ حيث تعتبر رسائله من إلهام الله تعالى، وبالتالي لها منزلة الوحي المعصوم عندهم، لذا ألحقت رسائله الأربعة عشر بالأناجيل واعتبرت جزءًا من كتاب العهد الجديد:

(٥) جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (٨/ ٤-٦): " فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ: نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنْ لَيْسَ إِلَّهُ آخَرُ إِلاَّ وَاحِدًا. \* لأَنَّهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى

<sup>(</sup>١) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ١/ ٦٠، وإظهار الحق ٢/٦

آلِيةً، سِوَاءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ آلِيةٌ كَثِيرُونَ وَأَرْبَابٌ كَثِيرُونَ. الكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: لَسُوعُ الْمُسِيعُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبُّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمُسِيعُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ". فقوله "ليس إله آخر إلا واحدًا "هو نفس الكلمة الطيبة وشعار التوحيد الخالد الذي بعث به جميع الأنبياء: "لا إله إلا الله ". وقوله " ولكن لنا إله واحد: الآب الذي منه جميع الأشياء " في غاية الصراحة والوضوح في إفراد الآب وحده بالإلهية وأن كل ما سواه منه جميع المشيح - مخلوق منه. ويزيد هذا الإفراد للآب بالألوهية تأكيدًا، ذكر يسوع المسيح بعده بصفة الرب فقط، ولا شك أنه لا يريد بالرب هنا الألوهية وإلا عاد مناقضا لنفسه؛ إذ يكون قد أثبت لنا إلهين اثنين بعد أن أكد أنه ليس لنا إلا إله واحد، لذلك لابد أن يكون مراده بالرب معنى غير الله، وهذا المعنى هو السيد المعلم، كما تدل عليه رسائله الأخرى وكما هو بالرب معنى غير الله، وهذا المعنى هو السيد المعلم، كما تدل عليه رسائله الأخرى وكما هو مصرح به في إنجيل يوحنا من أن لفظة الرب عندما تطلق على المسيح \_يقصد بها المعلم، ففي الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا (٣٨): " فقالا ربي! - الذي تفسيره: يا معلم! - أين تمكث؟ "و كذلك في إنجيل يوحنا (٣٨): " قالَ لهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: "

(٦) وفي رسالته إلى أهل أفسس (٤ / ٦): " إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ ". (١)

ثانياً: من العهد القديم: (١) أول وصية من الوصايا العشر التي أوحاها الله تعالى لسيدنا موسى النفي ، و كتبها له في الألواح، كما جاءت في سفر الخروج (٢٠/ ١-٤) من التوراة الحالية: " أَنَا الرَّبُّ إِهْكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آهِةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تَمِثْنَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي اللَّء مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدُهُنَّ ".

(٢) وفي سفر الخروج أيضًا (٢٣ / ١٣): "وَلاَ تَذْكُرُوا اسْمَ آلِيَةٍ أُخْرَى، وَلاَ يُسْمَعْ مِنْ فَمِكَ. "

<sup>(</sup>١) الأناجيل الأربعة ١/٢٦.

- (٣) وفي سفر التثنية من التوراة (٦ / ٤ ٥ ثم ١٤ ١٦) يوحي الله تعالى إلى موسى الله تعالى إلى موسى التَّفِينُ أن يقول لبني إسرائيل: " إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُمْنَا رَبُّ وَاحِدٌ. و فَتُحِبُّ الرَّبُ إِلهُكَ مِنْ كُلِّ قَوْتِكَ . . . . الرَّبُّ إِلهَكَ تَتَقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، إِلْمَكَ مِنْ كُلِّ قَوْتِكَ . . . . الرَّبُّ إِلهَكَ تَتَقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ. لاَ تَسِيرُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الأُمْمِ الَّتِي حَوْلَكُمْ، لأَنَّ الرَّبُ إِلهَكُمْ وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ. لاَ تَسِيرُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهِةِ الأُمْمِ الَّتِي حَوْلَكُمْ، لأَنَّ الرَّبُ إِلهَكُمْ عَلَيْكُمْ فَلَيْيِدَكُمْ عَنْ وَجُهِ الأَرْضِ".
- (٤) وفي سفر التثنية (٤/ ٣٩) من التوراة أيضًا: " فَاعْلَمِ الْيَوْمَ وَرَدِّدْ فِي قَلْبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. لَيْسَ سِوَاهُ".
- (٥) وفي سفر أخبار الأيام الأول (١٧ / ٢٠) قول داود الطَّيْلَالله ﷺ: " يَا رَبُّ، لَيْسَ مِثْلُكَ وَلاَ إِلهَ غَيْرُكَ حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا. ".
- (٦) وفي سفر نحميا (٩/ ٥-٧) من العهد القديم: " قُومُوا بَارِكُوا الرَّبَّ إِلَمْكُمْ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ، وَلْيَتَبَارَكِ اسْمُ جَلاَلِكَ الْمُتَعَالِي عَلَى كُلِّ بَرَكَةٍ وَتَسْبِيحٍ. ' أَنْتَ هُوَ الرَّبُ وَحْدَكَ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ وَكُلَّ جُنْدِهَا، وَالأَرْضَ وَكُلَّ مَا عَلَيْهَا، وَالْبِحَارَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَأَنْتَ تَحْيِيهَا كُلَّهَا. وَجُنْدُ السَّمَاءِ لَكَ يَسْجُدُ. ".
- (٧) وفي زبور داود السلام بسفر المزامير (١٦ / ١ ٢ ٤): " إِحْفَظْنِي يَا الله لأَنِّي عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. ' قُلْتُ لِلرَّبِّ: «أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي لاَ شَيْءَ غَيْرُكَ، تَكْثُرُ أَوْجَاعُهُمُ الَّذِينَ أَسْرَعُوا وَرَاءَ آخَرَ. لاَ أَسْكُبُ سَكَائِبَهُمْ مِنْ دَم، وَلاَ أَذْكُرُ أَسْمَاءَهُمْ بِشَفَتَيَّ".
- (٨) وفي المزامير لداود الطَّهُ أيضًا (١٨ / ٣٠-٣١): " الله طَرِيقُهُ كَامِلٌ. قَوْلُ الرَّبِّ نَقِيُّ. تُرْسٌ هُوَ لِحَمِيعِ المُحْتَمِينَ بِهِ. لأَنَّهُ مَنْ هُوَ إِلهٌ غَيْرُ الرَّبِّ؟ وَمَنْ هُوَ صَخْرَةٌ سِوَى إِلهِنَا؟ ".
- (٩) وفي سفر النبي إشعيا النَّيُّ (٤٤ / ٦): " هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ، رَبُّ الجُّنُودِ: «أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي".
- (١٠) وفي سفر النبي إشعيا أيضًا (٤٥ / ٧: ٥): " أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلهَ سِوَايَ. نَطَّقْتُكَ وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي. ۚ لِكَيْ يَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ

آخَرُ. 'مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هذِهِ".

### القسم الثاني: نصوص يبين فيها المسيح بكل وضوح أن الله تعالى إلهه ومعبوده.

(١) في إنجيل يوحنا (٢٠ / ١٧): " قَالَ لَمَا يَسُوعُ: «لاَ تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمُ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي وَلَجِينِ الْأَنِّي لَمُ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلِهِي وَإِلِهِكُمْ".

قلت: هذه الآية من أصرح العبارات في نفي عيسى الألوهية عن نفسه؛ إذ كيف يكون إلمّا وهو يعترف ويقر بأن الله تعالى إلهه؟! وهل الله يكون له إله؟ ؟ وهذا هو ما صدَّقه القرآن الكريم حين أكد أن عيسى السَّخاكان يقول: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَنَهِي إِسْرَوِيلَ ٱعْبُدُوا ٱللّهَ رَبّي وَرَبَّكُم اللهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَنَهُ ٱلنَّالُ وَمَا لِلظَّلِمِينَ مِنْ أَنصَادٍ ﴾ (المائدة: ٧٧). ومثله أيضًا ما قاله تعالى عنه السَّخانه سيقول يوم القيامة: ﴿ مَا المَّنْ مَنْ أَمْرَتَنِي بِهِ اللهُ اللهُ رَبّي وَرَبّكُم ﴾ (المائدة: ١١٧).

(٢) وفي إنجيل متى (٢٧/ ٤٦)، وإنجيل مرقس (١٥ / ٣٤): " وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟ » أَيْ: إِلِمِي، إِلْمِي، لَمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ " قلت: وهنا أيضًا يبين عيسى المسيح الطَّي أن الله تعالى إلهه، ويستغيث بإلهه هذا بتكرار وتضرع، فأين هذا ممن يدعي أن عيسى المسيح نفسه كان هو الله تعالى؟!

(٣) وفي رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس (١ / ٣ و١٦ - ١٧): " مُبَارَكُ الله أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمِسِحِ،.... لاَ أَزَالُ شَاكِرًا لاَ جُلِكُمْ، ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، "كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِللهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمِسِحِ، أَبُو الْمُجْدِ، رُوحَ الْجِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، " قلت: فوصف بولسُ الله تعالى بأنه أبو المسيح، ثم وصفه بإله المسيح، مما يفيد بكل وضوح أن يسوع المسيح عبدٌ لله وليس بإله، إذ لو كان المسيح إلها لما قال بولس أن الله تعالى إلهه، لأن " الإله " أزلي واجب الوجود لا خالق ولا إله له، وهذا من أوضح الواضحات!!

(٤) ومن ذلك ما جاء في متى في وصف المسيح "هو ذا عبدي" (متى ١٨/١٢)، وفي سفر أعمال الرسل "قد مجد عبده يسوع. . القدوس البار" (أعمال ٢/ ١٣–١٤)، "فإليكم أولا أرسل الله عبده" (أعمال ٣/ ٢٦)، وفي موضع آخر: "عبدك القديس يسوع " (أعمال ٤/ ٣٠).

وقد استبدلت لفظة (عبد) في التراجم العربية الحديثة بكلمة "فتى" الموهمة للعبودية أو البنوة، وذلك في التراجم العربية المختلفة، فيها تستخدم التراجم الإنجليزية كلمة (servant)، والتي تعنى خادم أو عبد.

وكتوضيح لهذا الصنيع الموهم ننقل قول متى: "لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل: هوذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سرت به نفسي، أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق" (متى ١٢/١٧-١٨)، فاستخدم كلمة (فتى)، فيها استخدم سفر إشعيا الذي نقل منه متى كلمة (عبد)، فيقول: "هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم" (إشعيا ١/٤٢).

#### القسم الثالث: نصوص تبين عبادة المسيح لله علله، وإكثاره من الصلاة له تبارك وتعالى.

(١) في إنجيل متى (١٤ / ٢٣ \_ و٢٥) "و بعد ما صفَّ الجموع، صعد (أي المسيح) إلى الجبل منفردًا ليصلي. ولما صار المساء كان هناك وحده. وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشيا على البحر! ".

قلت: من هذا النص يتبين أمران: أولًا: أن سيدنا المسيح المسيح المسيح المسيخ الصلاة منفردًا؛ ما يفيد أن هذه الصلاة كانت فعلا لرغبته بعبادة الله تعالى، لا لمجرد تعليم التلاميذ.

ثانيًا: أنه الله كان يقضي أحيانًا أكثر النهار وأكثر الليل في الصلاة، كما يفيده قوله: " ولما صار المساء "، وقوله: " وفي الهزيع الرابع من الليل " الذي يفيد أنه إلى ذلك الوقت كان لا يزال منفردًا لوحده مستيقظًا مشغولًا بالصلاة والمناجاة والعبادة. والنصوص الأخرى التالية تؤكد هذا المعنى:

- (٢) في إنجيل مرقس (١/ ٣٥): " وَفِي الصَّبْحِ بَاكِرًا جِدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ.
- (٣) وفي إنجيل لوقا (٥/ ١٦): " وأما هو (أي عيسى) فكان يعتزل في البراري ويصلي ".

- (٤) وفي إنجيل لوقا (٦ / ١٢) في تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي وقضى الليل كله
   ف الصلاة لله
- (٥) وفي لوقا (٩/ ٢٦) أيضًا: " وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد على جبل ليصلي، وفيها هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضا لامعًا ".
- (٦) وفي إنجيل لوقا أيضًا (٩ / ١٨): " وَفِيهَا هُوَ يُصَلِّي عَلَى انْفِرَادٍ كَانَ التَّلاَمِيذُ مَعَهُ".
- (٧) وفي إنجيل لوقا كذلك (١١ / ١): " وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَغَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: "يَارَبُّ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّي كَهَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أيضًا تَلاَمِيذَهُ".
- (٨) وفي إنجيل متى (٢٦ / ٣٦): " حِينَئِدٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَمَا
   جَشْسَيُمانِي، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: «اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أَمْضِى وَأُصَلِّي هُنَاكَ".
- (٩) وفي إنجيل متى أيضًا (٢٦/ ٣٩-٤٤): " ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا: (يَا أَبْتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ ». ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: (أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَرْيدُ أَنْتَ ». ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا، فَقَالَ لِبُطْرُسَ: (أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً ؟ إِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجُسَدُ فَضَعِيفٌ ». فَمَضَى أيضًا ثَانِيَةً وَصَلَّى قَائِلاً: (يَا أَبْتَاهُ، إِنْ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ تَعْبُرَ عَنِي هذِهِ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ ». ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ الْكَأْسُ إِلاَّ أَنْ أَشْرَبَهَا، فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ ». ثُمَّ جَاءَ فَوَجَدَهُمْ أَيضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً. فَتَرَكَهُمْ وَمَضَى أَيضًا وَصَلَّى ثَالِثَةً قَائِلًا ذلِكَ الْكَلاَمَ بِعَيْنِهِ. "
- (١٠) ويصور لوقا صلاته السلامية "جثا على ركبتيه وصلى" (لوقا ٢٢/٤). وذات يوم وقبل اختياره للتلاميذ "خرج إلى الجبل ليصلي، وقضى الليل كله في الصلاة لله، ولما كان النهار دعا تلاميذه" (لوقا ٦/ ١٢) فلمن كان الإله يصلي طوال الليل منفردًا؟ وكان يصلي متواريًا، وصار عرقه كعبيط الدم، يقول لوقا: "وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض، ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه" (لوقا

٢٢/ ٤٤)، يقول يوحنا ذهبي الفم: "من ذا لا يتعجب عندما يرى الله جاثيًا ومصليًا"(').

ومن تضرعه واستغاثته بربه، ما ذكره يوحنا عن حال المسيح المسلم عندما أحيا لعازر " ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: أيها الآب أشكرك، لأنك سمعت لي، وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتني" (يوحنا 1/ ١٠ ٤ - ١٤).

والتضرع والعبادة نوع من دلائل العبودية لا يجوز نسبته إلى الله أو للمتحد معه؛ إذ الأناجيل شهدت بعبوديته والتزامه بناموس موسى الطِّين في سائر أحواله.

ويتحدث بولس عن انتصار المسيح المسيح الكل على الكل بها فيهم الموت، ثم يذكر خضوعه بعد ذلك لله، فيقول: "متى أخضع له الكل، فحينئذ الابن نفسه أيضًا سيخضع للذي أخضع له الكل (كورنثوس (١) ٢٨/١٥). قلت: من تلك النصوص يظهر مدى اهتهام عيسى بالصلاة لله عز وجلَّ، وأن الصلاة كانت عبادة محببة له ومفزع يلجأ إليه عند الملهات، وأنه كان في الغالب يصعد للهضاب؛ ليصلي لوحده منفردا، يقضي بذلك أحيانًا أكثر الليل وأكثر النهار أيضًا.

و نسأل القارىء المنصف: هل الله تعالى يصلي؟ ؟ وإن صلّى فلمن يصلي؟ ألنفسه؟! وهل هذا يمكن أن يقول به مجنونٌ فضلا عن عاقل؟! إذن أليست تلك النصوص دلائل بينة وقاطعة على نفى إلهية عيسى وتأكيد عبوديته لله الواحد القهار؟ ؟

القسم الرابع: الله تعالى أعظم من المسيح: (١) في إنجيل يوحنا (١٤ / ٢٨) يقول السيد المسيح الطّيّة الله تعالى أعظم من المسيح: (١) في إنجيل يوحنا (١٤ / ٢٨) يقول السيد المسيح الطّيّة لتلاميذه: " سَمِعْتُمْ أَنِي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آيِ إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنتُمْ يُحِبُّونَنِي لَكُنتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. " قلت: الجملة الأخيرة صريحة في نفي عيسى الطّي الألوهية عن نفسه؛ لأنه لو كان إلها ـ كها يدعون ـ الله للحين أن المسيح الطّيّة الكان كاملًا مطلقًا، والكامل المطلق لا يوجد من هو أعظم منه، في حين أن المسيح الطّيّة الكان كاملًا مطلقًا، والكامل المطلق لا يوجد من هو أعظم منه، في حين أن المسيح الطّيّة الكان كاملًا مطلقًا، والكامل المطلق لا يوجد من هو أعظم منه، في حين أن المسيح الطّيّة الكان كاملًا مطلقًا، والكامل المطلق لا يوجد من هو أعظم منه، في حين أن المسيح الطّيّة المؤلّة المؤلّة

<sup>(</sup>١) الرأي الصريح في طبيعة ومشيئة المسيح، القمص غبريال عبد المسيح ص (٥٨).

يثبت أن الآب (أي الله تعالى) أعظم منه.

وهذا النص أيضًا يبين خطأ دستور الإيهان الذي أقره مجمع نيقية، والذي نص على التساوي بين الآب والابن. سبحان الله! رسول الله عيسى المسيح الطّيكالينفي التساوي بينه وبين الله، ويبين أن الله تعالى أعظم منه، وآباء مجمع نيقية يصرون على تساويهما، فأيهما نصدق؟

(٢) وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥ / ٢٨): " وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ (أي الله) الْكُلُّ، فَحِينَئِذِ الابْنُ نَفْسُهُ أيضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلُّ، كَيْ يَكُونَ الله الْكُلُّ فِي الْكُلِّ. "

قلت: ففي هذا النص، يبين بولس أن المسيح سيخضع في النهاية لله، وهذا بحد ذاته من أوضح الأدلة على عدم إلهية المسيح لأن الإله لا يخضع لأحد، كما أن في قوله: "
سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ "، دلالة أخرى على عدم إلهية المسيح لأن مفاد هذه الجملة أن الله تعالى هو الذي كان قد أخضع للمسيح كل شيء، مما يعني أن المسيح لم يكن يستطع، بذاته ومستقلًا عن الله، أن يسخر و يخضع الأشياء. فهل مثل هذا يكون إلماً؟!!

القسم الخامس: نصوص يؤكد فيها المسيح محدودية علمه: (١) في إنجيل مرقس (١٣ / ٣٢) يقول المسيح عن يوم القيامة: " وَأَمَّا ذلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ، وَلاَ الْمُلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّهَاءِ، وَلاَ الابْنُ، إلاَّ الآبُ. ".

(٢) وفي إنجيل متى (٢٤ / ٣٦)، قول عيسى أيضًا: " وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ، وَلاَ مَلاَئِكَةُ السَّمَاوَاتِ، إِلاَّ أَبِي وَحْدَهُ ". قلت: هذا النص من أوضح الأدلة على نفي إلهية المسيح السِّخُ؛ لأن المسيح حصر علم قيام الساعة بأبيه الله تعالى وحده فقط، ونفي هذا العلم عن نفسه وعن سائر عباد الله الآخرين من الملائكة وغيرهم، وسوى بين نفسه وبين سائر المخلوقات في انتفاء العلم بالساعة، وهذا ما صدقه القرآن الكريم أيضًا حين أكد انحصار علم الساعة بالله تعالى وحده كها جاء في قوله تعالى مثلًا: ﴿ الكريم أيضًا حين أكد انحصار علم الساعة بالله تعالى وحده كها جاء في قوله تعالى مثلًا: ﴿ وَضَحَ الأَدلة على بشرية عيسى السِّكُ المحضة، لأنه لو كان إلها؛ لكان علمه محيطًا بكل أوضح الأدلة على بشرية عيسى السِّكُ المحضة، لأنه لو كان إلها؛ لكان علمه محيطًا بكل

شيء ومساويًا لعلم الآب في كل شيء. هذا، ولما لم يكن العلم من صفات الجسد، فلا يجري فيه عذر أساقفة النصارى المشهور بأنه " نفى العلم باعتبار جسميته وناسوته "! لأن العلم ليس من صفات الجسد بل من صفات الروح. فظهر من ذلك بشريته المحضة عدم وجود أي طبيعة إلهية في المسيح المنسخ إذ لو وجدت لما جهل هذه الأمور.

(٣) في إنجيل متى (٢١ / ١٨ \_ ١٩): " وَفِي الصَّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعًا إِلَى المُدِينَةِ جَاعَ، " فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا إِلاَّ وَرَقًا فَقَطْ. فَقَالَ لَمَا: «لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبْدِ! ".

وفي إنجيل مرقس (١١/ ١٢-١٤): (وفي الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع، فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئا فلها جاء إليها لم يجد شيئا إلا ورقا لأنه لم يكن وقت التين فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمرًا بعد إلى الأبد وكان تلاميذه يسمعون).

هذا النص يبين أن سيدنا عيسى السلام الله الله الشجرة من بعيد، لم يدر ولم يعلم أنها في الواقع غير مثمرة، بل توقع لأول وهلة أن تكون مثمرة، لذلك ذهب باتجاهها، لكن لما اقترب منها ظهر له أنها غير مثمرة فعند ذلك غضب عليها ولعنها!. وفي هذا عدة دلائل واضحة على نفى إلهية عيسى المناها:

أولًا: عدم علمه منذ البداية بخلو الشجرة من الثمر يؤكد بشريته المحضة؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السهاء.

وثانيًا: كونه جاع تأكيد آخر أنه بشر محض، يحتاج للغذاء للإبقاء على حياته، فإن قالوا بأنه جاع بحسب ناسوته، قلنا أفلم يكن لاهوته قادرا على إمداد ذلك الناسوت (أي الجسد)؟! خاصة أنكم تدعون أن اللاهوت طبيعة دائمة له وحاضرة لا تنفك عنه!!.

وثالثًا: أنه لما وجد الشجرة غير مثمرة لعنها وبقي جائعا! ولو كان إلها لكان عوضا عن أن يلعنها ويبقى جائعا، يأمرها أمرا تكوينيا أن تخرج ثمرها على الفور؛ لأن الله لا يعجزه شيء، بل يقول للشيء كن فيكون، فكيف يُصْرَفون عن هذه الدلائل الواضحات والآيات البينات! وهل بعد الحق إلا الضلال؟

ومنها عدم علم المسيح التي بأشياء كثيرة، أهمها جهله بيوم القيامة، فقد قال: "أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في الساء، ولا الابن، إلا الآب" (مرقس ٢٣/ ٣٢)، فكيف تدعي النصارى بعد ذلك ألوهيته، فالجهل بالغيب مبطل لها. وليس ما يجهله المسيح هو موعد القيامة فحسب، بل كل ما غاب عنه فهو غيب يجهله إلا ما أطلعه الله عليه، ولذلك نجده عندما أراد إحياء لعازر يسأله " فانزعج بالروح واضطرب وقال: أين وضعتموه؟ " (يوحنا ١١/ ٣٣- ٣٤). ولما جاءه رجل يريد منه شفاء ابنه من الجنون " فسأل أباه: كم من الزمان منذ أصابه هذا؟ فقال: منذ صباه" (مرقس ٩/ ١١).

القسم السادس: نصوص تفيد ابتداء بعثة المسيح بنزول الملائكة وروح القدس عليه عند اعتماده عن يد النبي يحيى (يوحنا) المعمدان النبي المعمدان المعمدان النبي المعمدان النبي المعمدان النبي المعمدان النبي المعمدان المعمدان

(١) جاء في إنجيل متى (٣/ ١٣ ـ ١٧): " حِينَؤِذِ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنُ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلِيَّ! » يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلِيَّ! » فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ، لآنَهُ هكذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمَّلَ كُلَّ بِرّ». حِينَئِذِ سَمَحَ لَهُ. فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّهَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ الله لَهُ. فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ اللَّهَاوَاتِ قَائِلًا: « هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ نَازِلًا مِثْلَ حَامَةٍ وَآتِيًّا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّهَاوَاتِ قَائِلًا: « هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ مُرْرُتُ ". وأقول: من البديهي أنه لو كان المسيح السِّيهِ هو الله تعالى نفسه الذي تجسد ونزل سُرِرْتُ ". وأقول: من البديهي أنه لو كان المسيح السِّيهِ هو الله تعالى نفسه الذي تجسد ونزل لعلم الدنيا - كها يدعون - لكانت رسالته مبتدئة منذ ولادته، ولكان روح القدس ملازما له باعتباره جزء اللاهوت الذي لا يتجزأ - كها يدعون -، ولما احتاج إلى من ينزل عليه بالوحي أو الرسائه، ولما كان هناك أي معنى أصلا لابتداء بعثته بهبوط روح القدس عليه، وابتداء هبوط الملائكة صاعدين نازلين بالوحي والرسائل عندما بلغ الثلاثين من العمر، واعتمد على يد يوحنا النبي السِّيُّا! ، فهذا النص والنصوص التالية التي تبين كيفية بدء واعتمد على يد يوحنا النبي الشِيُّا! ، فهذا النص والنصوص التالية التي تبين كيفية بدء البعثة النبوية للمسيح، لأكبر وأوضح دليل - عند ذوي التجرد والإنصاف - على بشرية

المسيح المحضة وعدم إلهيته، وأنه ليس الله المتجسد بل عبدٌ رسولٌ ونبيٌّ مبعوثٌ برسالة من الله كسائر الأنبياء والرسل وحسب.

(٢) ولقد استشهد متى في إنجيله، ببشارة كانت قد وردت في سفر إشعيا من العهد القديم فاعتبرها بشارة عن المسيح، وهي تشير أيضًا لنزول روح الله (أي جبريل) على المبشَّر به، ليعلن الحق للأمم: " فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُمْلِكُوهُ، " فَعَلِمَ المبشَّر به، ليعلن الحق للأمم: " فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُمْلِكُوهُ، " فَعَلِمَ يَسُوعُ وَانْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ. وَتَبِعَنْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعًا. " وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ، "لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: " (هُوذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ لَكِيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: " (هُوذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ. . " (متى: ١٢ / ١٧: ١٤).

والشاهد قوله: أضع روحي عليه، أي أنزل جبريل، روح الله عليه بالوحي؛ فيخبر الأمم بالحق.

- (٣) وإلى هذا الشروع بالعمل الرسالي، أشار يوحنا في إنجيله فقال: " وَقَالَ لَهُ: «الحُقَّ الْحُقَّ الله يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الْحُقَّ الله يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ». " يوحنا: ١/ ٥١.
- (٤) هذا وقد نقل يوحنا الإنجيلي أيضًا عن النبي يحيى (يوحنا) المعمدان أنه قال لليهود لما تباحثوا معه عن ذاك (أي المسيح) الذي بدأ يعمد الناس، فقال النبي يحيى الطّيّلا للمهود لما تباحثوا معه عن ذاك (أي المسيح) الذي بدأ يعمد الناس، فقال النبي يحيى الطّيّلا للمم: " إذًا فرحي قد كمُلَ. ينبغي أن ذلك يزيد وأنا أنقص " (يوحنا: ٣ / ٢٩ \_ ٣). مبينًا بدء رسالة المسيح وتواتر وحي الله تعالى إليه.
- (٥) ولننظر ما ذكره لوقا عن بدء بعثة المسيح بنزول روح القدس عليه: " وَلَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيضًا. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ، " وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ عِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ وَلَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً، . . . ورجع يسوع من الأردن وهو ممتلئ من الروح القدس " (لوقا: ٣/ ٢١ ٢٣).

ونسأل أصحاب التثليث: أليس هذا النص أوضح دليل على نفي إلهية المسيح، ونفي التثليث؟ فأولًا: لو كان المسيح إلها متجسدًا؛ لما احتاج لروح القدس ليهبط عليه بالرسالة!

وثانيًا: لو كان التثليث حقًا؛ لكان المسيح متحدًا دائيًا وأزلًا مع روح القدس، فها احتاج أن يهبط عليه كحهامة! ولما قال الله تعالى عند اعتهاده وابتداء بعثته: هذا ابني الحبيب؛ لأنه من المفروض أنه كان جزء اللاهوت بزعمهم من البداية؛ ولأن الله لا يمكن أن تنفصل عنه إحدى صفاته.

القسم السابع: المسيح يُعرُف نفسه بأنه نبيٌّ ورسولُ لِلَّه، ويؤكد أنه عبدُ مأمورُ لا يفعل إلا ما يأمره به الله تعالى، ولا يتكلم إلا بما يسمعه من الله تعالى: البديمي أن المسيح المَيْ الله الله تعالى نفسه الذي تجسَّد وصار بشرًا وجاء لعالم الدنيا بنفسه \_ كما استقر عليه دستور الإيمان المسيحى - لما صح أن يطلق عليه لقب نبيّ؛ لأن " النبيّ " اسم لشخص منفصل عن الله يُنبىء عن الله تعالى، أي يخبر عنه، بها يسمعه من الله: إما بواسطة الكلام المباشر، أو الوحى الخفي، أو ملكِ رسول، كذلك لا يصح أن يطلق عليه اسم " رسول "؛ لأن الرسول اسم لشخص منفصل عن الله، يبعثه الله تعالى لأداء مهمة ما، أما الله تعالى لو تجسد فعلًا وصار بنفسه إنسانًا ونزل لعالم الدنيا؛ ليعلن الدين الجديد بنفسه، فلا يكون عندئذٍ رسولًا، إذ ليس ثمة مرسل له، بل في هذه الحالة يكون هو نفسه، وبدون واسطة، قد أخذ على عاتقه مهمة الاتصال بمخاطبيه. وحاصله: أنه لو صح أن المسيح كان الله نفسه متجسدًا، لما صح أن يسمى رسولًا ولا نبيًا. ولكن الحقيقة أن الأناجيل طافحة بالنصوص التي يعرِّفُ المسيح السَّلا فيها نفسه بأنه " نبيّ " وبأنه " رسول " أرسله الله تعالى للناس، وأن ما يقوله للناس ليس من عند نفسه بل من عند الله الذي أرسله، فتعليمه ليس لنفسه بل للآب الذي أرسله، فهل هناك أصرح من هذا في بيان الغيرية بين عيسي والله تعالى؟ ، وأنها اثنان: مُنبيء ونبي، ومُرسل ورسول؟!

و فيما يلي بعض ما جاء في هذا المعنى: (١) في إنجيل متى (١٣ / ٥٤ –٥٥): " وَلَمَّا جَاءَ إِلَى وَطَنِهِ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي مَجْمَعِهِمْ حَتَّى بُهِتُوا وَقَالُوا: «مِنْ أَيْنَ لهِذَا هذِهِ الحِّكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟ ° أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمَّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ، وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ ° أُولَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِحِذَا هِذِهِ كُلُّهَا؟ » ° فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ نَبِيٍّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ». ° وَلَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ قُوَّاتٍ كَثِيرَةً لِعَدَمِ إِيهَانِهِمْ " والشاهد في قوله " ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه " هُنَاكَ قُوَّاتٍ كَثِيرَةً لِعَدَمِ إِيهَانِهِمْ " والشاهد في قوله " ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه " حيث عبر عن نفسه بأنه نبي، وهذه الجملة وردت في الأناجيل الأربعة جميعًا.

(۲) وفي إنجيل متى كذلك (۱۰ / ۲۰ ـ ۲۱) في ذكره لما قاله السيد المسيح الناه اللحواريين الاثني عشر حين أرسلهم لدعوة بني إسرائيل وتبشيرهم بالإنجيل: "من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني ومن يقبل نبيًا باسم نبي فأجر نبي يأخذ. " (٣) في إنجيل لوقا (١٦/١٠) في آخر الخطبة التي قالها السيد المسيح النه قال للممن السبعين الذي أرسلهم اثنين اثنين للوعظ والبشارة بالإنجيل في قرى فلسطين، أنه قال لهم: " السبعين الذي أرسلهم اثنين والذي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي ". اللّذي يَسْمَعُ مِنْي، وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُ النّهَارُ خَرَجَ وَذَهَبَ إِلَى مَوْضِع (٤) وفي إنجيل لوقا (٤ / ٤٢ - ٤٣): " وَلَمَّا صَارَ النّهَارُ خَرَجَ وَذَهَبَ إِلَى مَوْضِع خَلاَء، وَكَانَ الجُّمُوعُ يُفَتِّشُونَ عَلَيْهِ. فَجَاءُوا إِلَيْهِ وَأَمْسَكُوهُ لِتَلاَّ يَذْهَبَ عَنْهُمْ. " فَقَالَ لَمُمْ:

(٥) وفي إنجيل يوحنا (٧ / ٢٨ – ٢٩): " فَنَادَى يَسُوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكُلِ قِائِلًا: «تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا، وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. "أَنَا أَعْرِفُهُ لاَّتِي مِنْهُ، وَهُوَ أَرْسَلَنِي".

"إِنَّهُ يَنْبَغِي لِي أَنْ أُبَشِّرَ المُدُنَ الأُخَرَ أيضًا بِمَلَكُوتِ الله، لأَنِّي لِهِذَا قَدْ أُرْسِلْتُ".

(٦) وفيه أيضًا (٨ / ١٦ – ١٨): " وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فَدَيْنُونَتِي حَق، لأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي، بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. وَأَيضًا فِي نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَق: وَحْدِي، بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي" وفيه كذلك (١٢/ ٤٤ – ٤٩) أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي، وَيَشْهَدُ لِي الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي" وفيه كذلك (١٢/ ٤٤ – ٤٩) فنادى يسوع، وقال الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني. والذي يراني يرى الذي أرسلني، أنا قد جئت نورًا إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة، وإن

سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير؛ لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبهاذا اتكلم. قلت: استشهاد المسيح المنه بحكم التوراة "شهادة رجلين حق " تصريح منه بالغيرية بينه وبين الله تعالى الذي يشهد له، فهما إذن اثنان: مرسِل ورسول، وهذا ينفي بوضوح قضية أن المسيح هو الله نفسه متجسدًا.

والآن إليكم هذه العبارة التي قد تفاجئكم بشدة وضوحها وصراحتها في نفي إلهية عيسى: (٧) ففي إنجيل يوحنا (٨/ ٤٠): " وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ الله" أقول: لو لم يكن في الإنجيل سوى هذه الآية لكفى بها دلالة على نفى إلهية عيسى الطَّيْلًا.

- (٨) وفيه أيضًا (٨ / ٢٦ ٢٩): "لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَمِ». وَلَمْ يَفُهمُوا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَمَّمْ عَنِ الآبِ. فَقَالَ لَمَّمْ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الْإِنْسَانِ، فَحِيتَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي الْإِنْسَانِ، فَحِيتَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي الْإِنْسَانِ، فَحِيتَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَيْ فَي وَالَّذِي أَرْسَلَتِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتُرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ ". أَي. وَالَّذِي أَرْسَلَتُه لِلْ مَا يُرْضِيهِ ". (٩) وفيه أيضًا (١٠ ٢/ ٣٦): " فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَنْ سَلَهُ إِلَى الْعَالَى، أَتَقُوهُ لُونَ لَهُ: انَّك
- (٩) وفيه أيضًا: (١٠/ ٣٦): " فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجُدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ الله؟ "
- (١٠) وفيه أيضًا: (٢٠/٢١): " فَقَالَ هَمُ يَسُوعُ أَيضًا: «سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا".

قلت: ففي العبارة الأخيرة يهائل سيدنا المسيح السيخ السيخ الرسال الآب له وإرساله هو لتلاميذه للدعوة والتبشير، وبالتالي فكها أن تلاميذه وحوارييه ليسوا عيسى بعينه! فبمقتضى التهائل لا يكون عيسى السيخ هو الله بعينه، بل يكون رسوله ومبعوثه.

(١١) **قوله**: " أنتم تدعونني معلّمًا وسيّدًا، وحسنًا تقولون، لأني أنا كذلك" (يوحنا

۱۳/۱۳)، فقد أكد المسيح صحة اعتقاد التلاميذ به، إنهم يرونه معلمًا وسيدًا لهم، وقد شاع تسميته عندهم بالمعلم، "وقال له: يا معلم " (مرقس ۱۰/۲۰)، أفكان من حسن الأدب أن يترك التلاميذ نداءه بالألوهية وأن ينادوه بهذا النداء المتواضع: معلم.

(۱۲) وقد بدأت نبوته، وهو في سن الثلاثين "ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة " (لوقا ٣/ ٢٣)، وقد كان ثمة وقت لم ينزل عليه الروح القدس " لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ. " (يوحنا ٧/ ٣٩).

(١٣) وشهد المسيح الشيخ لربه بالوحدانية، ولنفسه بالرسالة، فقال: " أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته " (يوحنا ٣/١٧):

(١٤) ولما خوفه الفريسيون من هيرودس قال لهم: " يَنْبَغِي أَنْ أَسِيرَ الْيَوْمَ وَغَدًا وَمَا يَلِيهِ، لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٍّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ! ٤٣٤ أُورُشَلِيمُ، يَاأُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ المُرْسَلِينَ " (لوقا ٣٣/٣٣-٣٤)، فشهد لنفسه بالنبوة، وخاف من مصرعه في أورشليم كما صرع فيها غيره من الأنبياء، فغادر أورشليم، وناداها: " يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ " ولم يقل لها: يا قاتلة الإله.

ولما أظهر المعجزات لقومه قرنها بدعوى نبوته قائلًا وهو يناجي الله: " ولكن أسألك من أجل هذه الجماعة، ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني " (يوحنا ٢٦/١١).

(10) وهو في كل ما يقوله عن الله معصوم لأنه ينطق بالوحي، فقد قال: " وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي " (يوحنا ١٤/ ٢٨)، وفي موضع آخر: " تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّابِ الَّذِي أَرْسَلَنِي " (يوحنا ١٦/ ١٦). وقال: " وَلاَ رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ " (يوحنا ١٦/ ١٦).

وفيما يلي بعض النصوص التي يبين فيها المسيح العَيْنَأنه لا يتكلم من نفسه بل هو حامل لرسالة من الله مأمور بتبليغها للناسِ، وأنه لا يعلم إلا ما يوحى إليه:

(١) في إنجيل يوحنا (١٤/ ٢٤): " أَلَّذِي لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظُ كَلاَمِي. وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلاّبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي".

(٢) وفيه أيضًا: (١٥/ ١٥) " لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ".

(٣) وفيه كذلك (١٢ / ٤٩ - ٥٠): " لأَنِّي لَمْ أَتكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً ".

(٦٦) ومما يبطل قول النصاري بألوهية المسيح، النصوص التي جعلته رسولًا خاصًا إلى بني إسرائيل، والإله لا يكون خاصًا بأمة دون أمة:

أُ- ومن ذلك قوله: " لَمُ أُرْسَلُ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ " (متى١٠/٦). ومثله قصة المرأة الكنعانية التي رفض شفاء ابنتها أول مرة، لأنها ليست من شعبه. (انظر متى ١٥/١٠-٢٨).

ب- ومثله الوعد الذي وعده كها جاء في لوقا "وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه، ويملك على آل يعقوب إلى الأبد" (لوقا ١/ ٣٢-٣٣)، فهل هو إله خاص ببني إسرائيل أم رسول خاص بهم؟ فلو كان إلهًا لما صح اختصاصه بشعب دون شعب، فهذا شأن الأنبياء.

(١٧) ونبوته الطَّيِّ هي معتقد الناس عامة فيه، وقد صرحوا بذلك أمامه فلم يخطئهم: أو فعندما أحيا المسيح ابن الأرملة في نايين " فَأَخَذَ الجُمِيعَ خَوْفٌ، وَجَكَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ» " (لوقا ٧/ ١٦).

ب ـ ولما أطعم الخمسة آلاف إنسان من خمسة أرغفة قالوا: " فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هذَا هُوَ بِالْحِقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ! " (يوحنا ٦/ ١٤).

(١٨) وقد قال بولس معترفًا برسالته وبشريته: " لأنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ الله وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ المُسِيحُ " (تيموثاوس (١) ٢/٥).

(٩ ) وقد صدق السير آرثر فندلاي في قوله في كتابه "الكون المنشور": "لا يعتبر عيسى إلمًا أو مخلصًا، إنما هو رسول من الله خدم في حياته القصيرة في علاج المرضى وبشر بالحياة الأخرى، وعلم بأن الحياة الدنيا ما هي إلا إعداد للملكوت الإلهي بحياة أفضل لكل من عمل صالحًا".

القسم الثامن: نصوص تؤكد أن السيح لم يكن يمتلك بذاته أي قدرة تشريعية أو تكوينية: فالذي أوتيه، إنها دُفع إليه من قبل الله تعالى من البديهيات التي لا نقاش فيها أن من صفات الله الله الطالق اللازمة: القدرة الكلية التامة، أي أن الله قادر على جميع المكنات وأن قدرته نابعة من ذاته وغير مكتسبة، بمعنى أن الله تعالى قادر وفاعل بالذات وبالاستقلال المطلق، فلا يحتاج في قدرته وأفعاله لمساعدة أي قدرة أخرى ولا إلى مدد أي شيء آخر، فهل هكذا كان شأن المسيح المنه كلا، على الإطلاق.

إن الأناجيل الأربعة تنقل عن سيدنا المسيح النظلا نفسه تصريحات متكررة يعلن فيها بكل وضوح أنه كان لا يقدر أن يفعل من نفسه شيئًا، ولا يفعل إلا ما أقدره الله تعالى عليه وأمره به، وأن ما لديه من سلطان وما أوتيه من قوة، هو مما منحه الله تعالى ودفعه إليه. وفي كل هذا نفي صريح لإلهية المسيح النظيل وتأكيد واضح لعبوديته لله على وافتقاره إليه. وفيها يلي بعض النصوص في هذا المجال:

- (١) جاء في إنجيل يوحنا: (٥/ ١٩): " فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم: لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئًا إلا ما ينظر الآب يعمل".
- (٢) وفيه أيضًا في نفس الإصحاح (٥/ ٣٠): " أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا.
   كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ، وَدَيْنُونَتِي عَادِلَةٌ، لأَنِّي لاَ أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي".
- (٣) وفي نفس الإصحاح أيضًا (٥ / ٣٦): " وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا، لأَنَّ الأَعْمَالَ التَّبِي أَعْطَانِي الآبُ لأُكمِّلَهَا، هذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُها هِي تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي الَّتِي أَنَا أَعْمَلُها هِي تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي ". ويؤكد هذا المعنى فيقول: " قَالَ هُمْ يَسُوعُ: مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذِ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَا شَيْنًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. ٢٩ وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُو مَعِي، وَلَمْ وَلَسْتُ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ " (يوحنا ٨/ ٢٨).
  - (٤) وفي إنجيل يوحنا (٣/ ٣٥): "اَلآبُ يُحِبُّ الابْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ في يَدِهِ. ".
- (٥) و في إنجيل متى (٢٨ / ١٨): " فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ ".
- (٦) وفي إنجيل لوقا (١٠ / ٢١ ٢٢): والتفت (أي المسيح) إلى تلاميذه وقال: كل

شيء قد دُفِعَ إِليَّ من أبي. (١)

القسم التاسع: نصوص تفيد أن المعجزات التي كان يصنعها المسيح الطبيط لم يكن يفعلها بقوته الذاتية المستقلة بل كان يستمدها من الله، و يفعلها بقوة الله: أي أن الفاعل الحقيقي لها كان الله على الذي أظهرها على يدي المسيح الطبيط لتكون شاهدًا له على صحة نبوته.

(١) من المعروف أن معجزة إحياء الموتى، كانت أحد أعظم معجزات السيد المسيح التَلِيِّلاً، فهل كان يفعلها بقوته الذاتية؟ أبدًا. فها هو إنجيل يوحنا يروي لنا معجزة إحياء المسيح لشخص مضي على وفاته أربعة أيام يدعى " عازر "، فيبين بوضوح أن هذه المعجزة ما حصلت إلا بعد أن تضرع المسيح لله على و طلب منه تحقيق هذه المعجزة؛ ليؤمن الناس به ويصدقوا أن الله تعالى أرسله، فسمعه الآب (الله) واستجاب له وأعطاه تلك المعجزة العظيمة. وإليك نص عبارته كما جاءت في يوحنا (١١/ ٤١ ـ ٤٤): " فَرَفَعُوا الْحُجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمُيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لأَجْلِ هذَا الْجَمْع الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُوْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي ». وَلَّمَا قَالَ هذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا! » فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيل. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ»". وكذلك روى متى ولوقا في إنجيليهما عن المسيح المَسَلِّة أنه إنها كان يخرج الشياطين من المصروعين والمجانين لا بقوته الذاتية ولكن بروح الله أو بإصبع الله. ففي إنجيل متى (١٢ / ٢٤ – ٢٨): " أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هذَا لاَ يُحْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلاَّ بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ». فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لَمُمْ: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِم عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَثْبُتُ. فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَقَدِ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ. فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَلْكَتُهُ؟ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ! وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ الله أُخْرِجُ

<sup>(</sup>١) انظر كتاب الله جل جلاله واحد أو ثلاثة ١/ ٨٢، والأناجيل والعقيدة لبهاء النحال ١/ ٩٧.

الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ الله ".

وفي إنجيل لوقا: (١١/ ٢٠) " وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ بِأَصْبِعِ الله أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ الله ".

(٣) في إنجيل يوحنا (٣٦/٥) قول عيسى الطَّيْلاً: " وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا، لأَنَّ الأَعْرَالُ النِّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ يُوحَنَّا، لأَنَّ الأَعْرَالُ اِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي".

قلت: والعبارة في غاية الدلالة والوضوح، ولا تحتاج لتعليق. كان هذا ما قاله المسيح عن معجزاته، وأما أصحاب عيسى فإنهم يؤكدون أن هذه المعجزات إنها هي من سلطان الله الذي أو تيه بالرسالة والوحى.

- (أ) في سفر أعمال الرسل (٢ / ١٤: ٢٢): " فَوَقَفَ بُطْرُسُ مَعَ الأَحَدَ عَشَرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ لَهُمْ: «. . . أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ الله بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا الله بِيَدِهِ فِي وَسُطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيضًا تَعْلَمُونَ ".
- (ب) وفي إنجيل متى (٩ / ٦- ٨): "حِينَئِدٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: "قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِهِ. ^فَلَمَّا رَأَى الجُّمُوعُ تَعَجَّبُوا وَمَجَّدُوا الله الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَانًا مِثْلَ هَذَا ".
- (ج) وفي إنجيل يوحنا (٣ / ١ ٢): "كَانَ إِنْسَانٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ، رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ. 'هذَا جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا وَقَالَ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللهُ مُعَلِّمًا، لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُن الله مَعَهُ ".
- (د) وفي إنجيل يوحنا أيضًا (٩ / ٣٠ ـ ٣٣) يقول الأعمى من الولادة (أي الأكمه)، الذي أبرأ عيسى الطَّكِلاعينيه، لليهود الذين جاءوا إليه يجادلونه بسبب إيهانه بنبوّة عيسى الطَّكِلاً: " أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَمُهُمْ: «إِنَّ فِي هذَا عَجَبًا! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ، وَقَدْ

فَتَحَ عَيْنَيَّ. "وَنَعْلَمُ أَنَّ الله لاَ يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي الله وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ، فَلِهذَا يَسْمَعُ ". قلت: فقول هذا المؤمن: " وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَّقِي الله وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ، فَلِهذَا يَسْمَعُ " يؤكد أن عقيدته هي: أن الله تعالى هو الذي سمع لدعاء عبده المتقي عيسى؛ فأيده بهذه المعجزة وغيرها.

(هـ) وفي إنجيل يوحنا (١١/ ٢٢: ٢١) تقول مرثا (أخت لِعَازَر) للمسيح اللَّهِ بعد موت أخيها، وقبل أن يحييه المسيح بإذن الله: " فَقَالَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ ههُنَا لَمُ يَمُتْ أَخِي! لَكِنِّي الآنَ أيضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ الله يُعْطِيكَ الله إِيَّاهُ ". قلت: والجملة الأخيرة في غاية الوضوح في الدلالة على ما قلناه.

#### القسم العاشر: نصوص فيها استغاثة المسيح بالله على وطلبه من الله تعالى المدد والعون.

ودعاؤه الله تعالى لنفسه ولأجل تلاميذه؛ مما يبين افتقار عيسى العَيْلاً لله تعالى وعدم استغنائه بنفسه.

(١) ففي إنجيل لوقا (٢٢ / ٣٩ ـ ٤٤): " وَحَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، وَتَبِعَهُ أَيضًا تَلاَمِيدُهُ. وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمُكَانِ قَالَ لَمُمْ: «صَلُّوا لِكَيْ لاَ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِيَةٍ». وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةٍ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبْتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةٍ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبْتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ». وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدَ جَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ". وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِ جَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتٍ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ". ونقل مرقس في إنجيله (١٤ / ٣٣ ـ ٣٦)، تضرُّعَ عيسى السَّخْبصورة أشد وضوحًا في ونقل مرقس في إنجيله (١٤ / ٣٣ ـ ٣٦)، تضرُّعَ عيسى السَّخْبصورة أشد وضوحًا في الاستمداد والاعتراف بالعجز وكون الاستطاعة بيد الله تعالى فقط، فقال: " وَابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ. ' وَقَالَ لَهُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى المُوتِ! أَمْكُنُوا هُنَا وَاسْهَرُوا». ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَحَرَّ عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ. وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ هَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ اللهُ اللَّهُ مُنْ السَّاعَةُ إِنْ أَمْكَنَ. وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ هَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِرْ عَنِي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ النَّهُ اللَّالَ مَا تُولِكُونَ لَيْكُنَ الْ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُولِدَ الْ الْمَا أُولِي الْمَالِي الْمَالِي اللْمَالِقُولُ الْمَالُولُ الْمَالُولُ الْمَالِي اللَّهُ الْمَالُولُ الْمَا أُرِيدُ أَنَا، اللَّهُ اللَّالَ مَا تُرْبِي الْمَالِكُ مُ مَا أُولِي الْوَلِهُ السَّهُ اللَّعَالَ الْعَالِ اللْمَالِعُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّالَ الل

أما يوحنا فنقل في إنجيله (١٢/١٢) عن عيسى الطِّيِّلا قوله هنا: " أَيُّهَا الآبُ نَجِّني مِنْ

هذِهِ السَّاعَةِ؟ ".

فأقول: هل الله يحتاج لنجدة غيره؟ أو يضطر للاستعانة بغيره والتضرع إليه؟ ؟ أو ليس الله بنفسه على كل شيء قدير؟! فلو كان سيدنا عيسى الطّي إلمّا كما زُعِمَ فما معنى تضرعه إلى الله وسؤاله إياه أن يكشف عنه الكرب وينقذه من المصيبة المحيطة به؟!.

(٢) وفي إنجيل لوقا: (٣٤/٢٣): " فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبْتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ ".

(٣) وفي إنجيل متى (٢٦ / ٥٠ - ٥٥): " حِينَئِذٍ تَقَدَّمُوا وَٱلْقَوْا الأَيَادِيَ عَلَى يَسُوعَ وَأَمْسَكُوهُ. وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ الْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّ لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرُ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ بِالسَّيْفِ مَهْلِكُونَ! أَتَظُنُ أَنِّ لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرُ مِنِ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ اللَّاكَةِ؟ فَكَيْفَ ثُكَمَّلُ الْكُتُبُ: أَنَّهُ هكذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟ ".

قلت: الشاهد في قول المسيح الله " أَتَظُنُّ أَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ الآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي " الذي هو دليل واضح على نفي إلهية عيسى؛ لأن الإله لا يستعين بغيره ولا يطلب شيئا من سواه، ولو كان المسيح إلمّا لقال عوضًا عن ذلك: " أتظن أني لا أستطيع الآن أن أحضر أكثر من اثني عشر جيشا من الملائكة. . . " أو قال " أتظن أنني لا أستطيع أن أطلب من أبي فيدل أقضي عليهم جميعا بأمر كن فيكون؟!. . . " الخ. أما قوله: أستطيع أن أطلب من أبي فيدل على أنه عبدٌ لله تعالى محتاج دائمًا لنصره ومدده.

(٤) في إنجيل يوحنا (١٤ / ١٥ - ١٦): " إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطُلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ " والشاهد هو قوله: " وَأَنَا أَطُلُبُ مِنَ الآبِ الْمَعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ " والشاهد هو قوله: " وَأَنَا أَطُلُبُ مِنَ الآبِ " مما يثبت احتياج عيسى الطَيْلا لله تعالى، وأنه لا يقدر من نفسه على أن يفعل ما يريد بل يطلب ذلك من ربه سبحانه وتعالى.

(٥) يشتمل الإصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا على دعاء طويل لعيسي التيكان

يرفعه إلى ربه تعالى ضارعا له، سائلًا إياه أن ينجده وأن يحفظ تلاميذه ويقدسهم ويحفظهم من الشرير. . . الخ، وهذا الدعاء يُعْرَف بِاسم: الدعاء لأجل التلاميذ وبِاسم: صلاة يسوع الكهنوتية، وهذا نص الدعاء: تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهِذَا وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. جَلِّهِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أيضًا، 'إِذْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبِدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ. ۚ وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ المُسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. ﴿ أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. \* وَالآنَ جَدّْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمُجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. ٢ «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَم. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلاَمَكَ. \*وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، ^لأَنَّ الْكَلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. ' مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَم، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لأَنَّهُمْ لَكَ. " وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ. " وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هَؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ. "حِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ فِي الْعَالَم كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي حَفِظْتُهُمْ، وَلَمْ يَمْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ ابْنُ الْهَلاَكِ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ. "أَمَّا الآنَ فَإِنِّي آتِي إِلَيْكَ. وَأَتَكَلَّمُ بِهِذَا فِي الْعَالَمِ لِيَكُونَ لَأَمْ فَرَحِي كَامِلًا فِيهِمْ. " أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كَلاَمَكَ، وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لاَّنَهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَم، كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَم، "لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَم بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ. "لَيْسُوا مِنَ الْعَالَم كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ. ٧ قَدِّسْهُمْ فِي حَقَّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق. ١ كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَم أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَم، ۚ '' وَلاَ جْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أيضًا مُقَدَّسِينَ فِي الحُقِّ. '' «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاءِ فَقَطْ، بَلْ أيضًا مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ، " لِيَكُونَ الجُمِيعُ وَاحِدًا، كُمَا أَنْكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أيضًا وَاحِدًا فِينَا،

لِيُوْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. "وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ المُجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَ فِي لِيكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، نَحْنُ وَاحِدٌ. "أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِي لِيكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ وَأَحْبَبْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا بَحِيْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. "أَيُّهَا الآبُ الْبَالُ، وَمَوْلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. " وَعَرَفْتُهُمُ السَمَكَ إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفُكَ، وَهُولاَءَ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. " وَعَرَفْتُهُمُ السَمَكَ وَسَأَعِرَفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ، وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ».

قلت: وكل هذا لا يصح على القول بالاهية عيسى الطِّلان الإله لا يطلب شيئا من غيره ولا يحتاج للدعاء والسؤال، بل يفعل ما يشاء بنفسه وبقدرته الذاتية.

القسم الحادي عشر: المسيح الشيخ يصرِّح بأنه إنسان وابن إنسان، وكذلك حواريَوه الخلّص كانوا يؤمنون بأن المسيح إنسان نبي ورجل مؤيّد من الله

(١) في إنجيل يوحنا (٨/ ٤٠) يقول سيدنا المسيح العَيْظُ لليهود: " وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحُقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ الله ". فما أبعد النجعة بين ما عرَّف به المسيح العَيْظُ نفسه هنا من أنه: إنسان يتكلم بالحق الذي يسمعه من الله، وبين تعريف المسيح في دستور الإيمان النصراني الذي تقرر عقب مجمع نيقية، والذي أوردناه في بداية الكتاب! فأي القولين نختار: أقول المسيح المختار العَيْظ، أم قول غلاة الأحبار؟!

(٢) أما النصوص التي يؤكد فيها المسيح أنه ابن الإنسان فهي كثيرة جدا وهذا اللقب أي: " ابن الإنسان " كان اللقب المحبب لعيسى الطبير قد تكرر في الأناجيل والرسائل الملحقة بها ٨٥ مرة. ونكتفى هنا بذكر بعضها:

أ ـ " وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلًا، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أيضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ " (مرقس: ١٠ / ٤٤ - ٤٥).

ب- " وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَّاةُ الأَبَدِيَّةُ " (يوحنا: ٣/ ١٤ - ١٥).

(٣) وقد مرت معنا قريبًا عبارة الحواريَّين الاثنين اللذين كانا يتكلمان مع المسيح بعد

حادثة صلبه \_ أو بالأحرى بعد شائعة صلبه \_ دون أن يعرفاه، لأنه كان متنكرا، حيث لما سألهما عن سبب حزنهما؟ حدّثاه عما حدث لـ:

" يسوع الناصري الذي كان إنسانا نبيًّا مقتدرًا في القول والفعل أمام الله وجميع الشعب " (إنجيل لوقا: ٢٤ / ١٣ -٢٠).

- (٤) كذلك مرت معنا عبارة القديس بطرس التي جاءت في كلمته التي ألقاها في مجمع التلاميذ والمؤمنين بعد رفع المسيح فكان مما قاله: " أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ اللَّقُوالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيلِهِ فِي وَسُطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أيضًا تَعْلَمُونَ " (أعهال الرسل: ٣/ ٢٢).
- (٥) وفي إنجيل يوحنا قصة المرأة السامرية التي آمنت بالمسيح لما أخبرها بالغيب المتعلق بأزواجها السابقين الخمسة! فقالت مندهشةً: " قَالَتْ لَهُ المُرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ لَبَيْ الْرَاقُةُ: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ لَبَيْ اللهُ اللهُ

والحاصل أن المسيح النصلي نفسه كان يؤكد بشريته وإنسانيته، وأنه من نسل البشر، كما أن حوارييه والمؤمنين به من تلاميذه ومعاصريه، كانوا ينظرون إليه على أنه إنسان ابن إنسان، وما كان أحد يعتبره إلها ابن إله (١).

## القسم الثاني عشر: الحواريون وكُتاب الأناجيل يعتبرون المسيح السَّيِّة عبدًا لِلَّه اجتباه اللَّه.

واختاره ويعتبرونه بشرًا نبيًا كموسى الني الله يرى المسلمون ـ تبعًا لتعليم كلام الله تعالى في القرآن الكريم ـ أن عيسى المسيح الني كان عبد الله ورسوله، ولعل بعض عوام النصارى يمج وصف المسيح ب " العبودية " ويرى فيه إنقاصا لقدر المسيح الني ، لكن الحقيقة التي قد يندهش لها المسلم قبل النصراني العامي، أن هذا الوصف بعينه، أعني وصف المسيح بالعبودية لله، جاء في متن الأناجيل، بل في متن التوراة والزبور، أي في تلك

<sup>(</sup>١) وسيأتي مزيد بيان حول هذا الوجه وذلك تحت فصل الأدلة التي يتعلقون بها لإثبات ألوهية تحت الوجه الثالث.

البشارات التي كان كتَّاب الأناجيل والحواريون يستشهدون بها على أن المقصود بها المسيح السيح السياد على ذلك:

(١) يقول متَّى \_ وهو أحد الحواريين الاثني عشر \_ في إنجيله (١٢ / ١٤ ـ ٢٠):

" فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُمْلِكُوهُ، فَعَلِمَ يَسُوعُ وَانْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ. وَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ فَشَفَاهُمْ جَمِيعًا. وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الْقَائِلِ: «هُوذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الْقَائِلِ: اللَّهُ وَذَا فَتَايَ اللَّذِي الْحَقِّ اللَّهُ مَا اللَّهُ مَوْفَهُ مَوْفَةً لاَ يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النَّصْرَةِ. "

ولذلك في الترجمة الأخرى الجديدة للعهد الجديد التي قامت بها الرهبانية اليسوعية (الكاثوليكية) في بيروت (١٩٨٩ م) استُخْدِمَت لفظة "عبدي" عند ذكر كلام متى واستشهاده بالبشارة المذكورة.

والحاصل أن تطبيق متى الحواري تلك البشارة على عيسى الكل يبين أن متى كان يرى

في عيسى: " عبد الله، الذي اختاره الله تعالى واجتباه وأوحى إليه بواسطة جبريل وبعثه بالحق للأمم. . . " تماما كما هو التصور الإسلامي للمسيح الطيلا، أي لم يكن متى يرى في المسيح إلهًا متجسدًا ولا ربًا معبودا!.

(٢) يذكر القديس لوقا، كاتب الإنجيل الثالث ومؤلف سفر " أعمال الرسل" (١٢)، في أعمال الرسل: أن القديس فيليبس (أحد المعاونين السبعة الذين اختارهم الحواريون لمعاونتهم في خدمة المائدة وتقسيم الأرزاق اليومية، لأنهم وجدوهم مملوئين من الروح القدس والحكمة)، لما سأله العبد الحبشي الخصى عن الشخص المراد بالآيات التي كان يتلوها من سفر النبي إشعيا الطِّيِّة والتي تقول: "كخروف سيق إلى الذبح. وكحمل صامتٍ بين يدي من يجزُّه. هكذا لا يفتح فاه. في ذلِّهِ ألغى الحكم عليه. ترى من يصف ذريته؟. لأن حياته أزيلت عن الأرض"، أجابه القديس فيليبس أن هذه الآيات تشير إلى يسوع وأخذ يشرح له ذلك، فآمن الرجل وطلب من فيليبس أن يعمده فعمده. من هذه القصة يتبين أن كلًا من لوقا كاتب أعمال الرسل والقديس فيليبس كانا يريان أن تلك البشارة في كلام إشعيا إنها تنطبق على المسيح وتشير إليه، وهو أمر أصبح فيها بعد من المسلمات لدى آباء الكنيسة. فإذا رجعنا إلى أصل هذه البشارة كها جاءت في سفر النبي إشعيا الكناف جدناها بشارة مطولة تبدأ هكذا: " هو ذا عبدي يعقل، يتعالى، ويرتقى، ويتسامى جدا. . (إلى أن قال) ظُلِمَ أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاةٍ تُساق إلى الذبح. . . (إلى قوله) وعبدي البار بمعرفته يبرِّر كثيرين وآثامهم هو يحملها، لذلك أُقسم له بين الأعزاء، ومع العظهاء يقسم غنيمة، من أجل أنه سكب للموت نفسه وأُحْصي مع أثمة وهو حَمَلَ خطيَّة كثيرين وشفع في المذنبين " (إشعيا: ٥٣ / ١ ثم ٧ ثم ١١ - ١٢). وعليه فإن لوقا وفيليبس اللذين طبقا هذه البشارة على المسيح، كانا يريان فيه: عبدًا لله َّ تعالى تسامي وارتقى بعظيم عظمائه. لذا لا نعجب إذا رأينا لوقا - في كتابه أعمال الرسل - يطلِق على المسيح مرارا لقب

"عبد الله" (١٤) كما نجد ذلك في أعمال الرسل: ٣/ ١٣ و٢٦، و٤ / ٢٧ و٣٠. هذا ومن الجدير بالذكر أن لوقا وفيليبس ليسا الوحيدين اللذين ذكرا أن تلك البشارة تشير للمسيح، بل شاركهما في ذلك أيضًا متى في إنجيله (١٧/٨).

(٣) وفي سفر أعمال الرسل أيضًا (٣ / ١٢ ـ ٢٦) ينقل لوقا الخطبة التي ألقاها القديس والحواري بطرس أمام الشعب الإسرائيلي فيقول: " فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ ذَلِكَ أَجَابَ الشَّعْبَ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، مَا بَالْكُمْ تَتَعَجَّبُونَ مِنْ هذَا؟ وَلِمَاذَا تَشْخَصُونَ إِلَيْنَا، كَأَنَّنَا بِقُوَّتِنَا أَوْ تَقْوَانَا قَدْ جَعَلْنَا هَذَا يَمْشِي؟ إِنَّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، إِلهَ آبَائِنَا، عَجَّدَ فَتَاهُ يَسُوعَ، الَّذِي أَسْلَمْتُمُوهُ أَنْتُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ أَمَامَ وَجْهِ بِيلاَطُسَ، وَهُو حَاكِمٌ بِإِطْلاَقِهِ. وَلَكِنْ أَنْتُمْ أَنْكُرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ، وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ. وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ، الَّذِي أَقَامَهُ الله مِنَ الأَمْوَاتِ، وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذلِكَ. وَبِالْإِيمَانِ بِاسْمِهِ، شَدَّدَ اسْمُهُ هذَا الَّذِي تَنْظُرُونَهُ وَتَعْرِفُونَهُ، وَالإِيمَانُ الَّذِي بِوَاسِطَتِهِ أَعْطَاهُ هذِهِ الصِّحَّةَ أَمَامَ جَمِيعِكُمْ. وَالْآنَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ بِجَهَالَةٍ عَمِلْتُمْ، كَمَا رُؤَسَاؤُكُمْ أيضًا. وَأَمَّا الله فَمَا سَبَقَ وَأَنْبَأَ بِهِ بِأَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ، أَنْ يَتَأَلَّمَ الْمُسِيحُ، قَدْ تَمَّمَهُ هَكَذَا. فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ. وَيُرْسِلَ يَسُوعَ الْمُسِيحَ الْمُبَشَّرَ بِهِ لَكُمْ قَبْلُ. الَّذِي يَنْبَغِي أَنَّ السَّمَاءَ تَقْبَلُهُ، إِلَى أَزْمِنَةِ رَدِّ كُلِّ شَيْءٍ، الَّتِي تَكَلَّمَ عَنْهَا الله بِفَم جَمِيع أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ. فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيْقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلْهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسِ لاَ تَسْمَعُ لِذلِكَ النَّبِيِّ تُبَادُ مِنَ الشَّعْبِ. وَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ أيضًا مِنْ صَمُوئِيلَ فَمَا بَعْدَهُ، جَمِيعُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا، سَبَقُوا وَأَنْبَأُوا بِهِذِهِ الْأَيَّامِ. أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ، وَالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ بِهِ الله آبَاءَنَا قَائِلًا لإِبْراهِيمَ: وَبِنَسْلِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. إِلَيْكُمْ أَوَّلًا، إِذْ أَقَامَ الله فَتَاهُ يَسُوعَ، أَرْسَلَهُ يُبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ".

من هذا النص أيضًا يتبين أن عقيدة القديس بطرس \_ الذي كان من أقرب الحواريين

للمسيح \_ بالمسيح النَّي من تتجاوز كونه عبد الله، وكونه نبيا كموسى الني محيث استشهد بطرس ببشارة واردة في التوراة يقول فيها الله تعالى لموسى أن يقول لبني إسرائيل: " إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ " فاعتبر البشارة متعلقة بالمسيح، مما يعني كون المسيح النَّي في اعتقاده نبيًا مثل موسى النّي والمثلية هذه تؤكد كون عيسى عبدًا رسولًا وبشرًا نبيًا كها كان موسى عبدًا رسولًا وبشرًا نبيًا.

القسم الثالث عشر وهو معضد لما سبق: نصوص تثبت أن أم عيسى وأصحابه لا يعلمون المتقد، فكيف عرفه من لم يره؟!

مما يدل على أن الفكرة لا علاقة لها بالمسيح ولا أتباعه، بل هي من مخترعات لاحقة لذلك العهد، وذلك يكفى للإعلان عن بطلانها.

وفي ذلك نصوص كثيرة منها:

1. عدم معرفة أمه العدراء البتول بالوهيته: إذ لما كان المسيح راجعا مع والدته ويوسف النجار حصل ما يدل على جهل والدته بمقامه، فإن جهلت والدته الطاهرة الوهيته، فمن ذا الذي يعلمها، فقد جاء في لوقا: " وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمَّهُ لَمْ يَعْلَمَا. ٤٤ وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفْقَةِ، ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْم، الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمَّهُ لَمْ يَعِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. ٤٦ وَبَعْدَ وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالمُعَارِفِ. ٥٤ وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. ٤٦ وَبَعْدَ ثَلَابَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالمُعَارِفِ. ٥٤ وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. ٤٦ وَبَعْدَ ثَلَابَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالمُعَارِفِ. ٥٤ وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. ٤٦ وَبَعْدَ ثَلَابُكَ مُعَدَّاكِمْ نَهُمُعُهُمْ وَيَسْأَهُمْ ... يَا بُنَيَّ، لِمَافَعُهُمْ وَيَسْأَهُمْ ... يَا بُنَيَّ، لِمَافَعُهُمْ وَيَسْأَهُمْ ... يَا بُنَيَّ، لَمَانَا يَعْلَتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ! " (لوقا ٢/ ٤١ – ٤٤)، فلو كانت مريم تعلم أن ابنها هو الله أو ابنه لما كان لهذا الخوف على المسيح أي معنى.

٢ - ويجيب المسيح سؤال أمه ويوسف النجار بقوله: " لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبُغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟ "، فهل فهمت البتول وزوجها من جوابه بأنه يتحدث عن ألوهيته وبنوته الحقيقية للآب؟ بالطبع: لا فهما لا يعرفان شيئًا عن هذا المعتقد الغريب. يقول لوقا: " فَلَمْ يَفْهَهَا الْكَلاَمَ الَّذِي قَالَهُ هُمَا " (لوقا ٢/٥٠).

٣- وفي مرة أخرى سمعت مريم البتول ورأت فرح سمعان الأورشليمي وهو يحمل

وليدها، ويحمد الله على أن عينيه قد اكتحلتا برؤية المعزي المخلص، لكنها والنجار لم تفهمان ما يقوله، فاكتفيا بعلامات العجب وأمارات الاستغراب، يقول لوقا: " وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ " (لوقا ٢/٣٣).

٤ - ويذكر يوحنا أن المسيح لما صلب ذهبت والدته لتذرف عليه الدمع. (انظر يوحنا / ٢٥)، أفلم تكن تعلم حين ذاك أن ولدها هو الله أو ابنه، وأن الموت لا يضيره؟

۵ وسمعان الصفا (بطرس)، أقرب التلاميذ إلى المسيح يقول وهو ممتلئ من الروح القدس: " أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذِهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ الله بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كُمَّا أَنْتُمْ أَيضًا تَعْلَمُونَ. ٣٣هذَا أَخَذُمُّوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ الله المُحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثْمَةٍ صَلَبَتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ " (أعمال الرسل ٢/ ٢٢)، فلم يشر في خطبته المهمة - التي كان فيها مؤيدا من الروح القدس - إلى شيء من الألوهية للمسيح، ولم يتحدث عن الناسوت المتأله ولا الإله المتجسد.

آ-ولما عرض المسيح - متنكراً بعد الصلب المزعوم: لرجلين من أصحابه قد حزنا بسبب ما تردد عن صلبه، سألها عن سبب حزنها فقالا: "يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي كَانَ إِنْسَانًا نَبِيًّا مُقْتَدِرًا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ أَمَامَ الله وَجَمِيعِ الشَّعْبِ. ٢٠ كَيْفَ أَسْلَمَهُ رُوَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَحُكَّامُنَا لِقَضَاءِ اللَّوْتِ وَصَلَبُوهُ. ٢١ وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ المُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. " (لوقا لِقَضَاءِ المُوْتِ وَصَلَبُوهُ. ٢١ وَنَحْنَ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ المُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ. " (لوقا لِقَضَاءِ المُوتِ وَصَلَبُوهُ. ٢١ وَنَحْنَ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُو المُزْمِعُ أَنْ يَفْدِي إِسْرَائِيلَ. " (لوقا متجسد نجا ١٩/٢٤)، فليس في قولها حديث عن ناسوت مقتول، ولا عن لاهوت متجسد نجا من الموت، إن غاية ما كانوا يرقبونه فيه، أن يكون مخلص إسرائيل، أي المسيح المنتظر الذي بشرت به الأنبياء. يقول القس إبراهيم سعيد عن هذين التلميذين: "إلى الآن لم يؤمنا بلاهوته. . لكننا لا ننكر عليهما أنها كانا مؤمنين بنبوته"(١).

٧- وأيضًا عجب منه تلاميذه ١٤ رأوا بعض معجزاته، ولو كانوا يرونه إلها لما كان في

<sup>(</sup>١) شرح بشارة لوقا، د. إبراهيم سعيد، ص (٦٣٤).

معجزاته أي عجب، فقد مر يسوع العَلَى بالشجرة وقد جاع، فقصدها، فلم يجد فيها سوى الورق. فقال: لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيبست الشجرة لوقتها، فتعجب التلاميذ "فقال لها: «لا يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ! ». فَيَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الحُالِ. فَلَمَّا رَأَى التَّلاَمِيذُ ذلِكَ تَعَجَّبُوا قَائِلِينَ: «كَيْفَ يَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الحُالِ؟ " (متى ٢١/ ١٨ - ٢٢). فدل عجبهم على أنهم كانوا لا يدركون شيئًا مما تعتقده النصارى اليوم من ألوهية المسيح، وإلا فإن إيباس الإله للشجرة ليس فيه ما يدعو لأي عجب.

٨ ـ وهذا يوحنا المعمدان (يحيى) النا الذي لم تقم النساء عن مثله. (انظر متى ١ / ١١)، يرسل إلى المسيح رسلًا بعد أن عمده ليسألوه " أمّّا يُوحَنّا فَلَمّا سَمِعَ فِي السِّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمُسِيحِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، ٣ وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَتْنَظِرُ آخَر؟ » عَالَجُابَ يَسُوعُ وَقَالَ لُهُمَا: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنّا بِهَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرُانِ: ٥ الْعُمْيُ يُبْصِرُونَ، وَالعُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالمُوتَى يَقُومُونَ، وَالْمُسَاكِينُ وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصَّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالمُوتَى يَقُومُونَ، وَالمُسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ. ٦ وَطُوبَى لِنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ». " (متى ١١/ ٣ - ٦). فيحيى المعمداني النا مع جلالة أمره لم يظن في المسيح أنه أكثر من النبي المنتظر الذي كانت تنتظره بنو إسرائيل.

٩. ولما جاءته المرأة السامرية ورأت قدراته وأعاجيبه: "قَالَتْ لَهُ المُرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ نَبِيٍّ! " (يوحنا ٤/ ١٩)، وما زادت على ذلك، فما وبخها ولا صحح لها معتقدها، فكان هذا معتقدًا يعتقده عامة الناس كما اعتقده تلاميذ المسيح وحواريوه.

• 1- وهو ما قاله عنه الأعمى الذي شفاه المسيح ورأى برهان الله على نبوة هذا المبارك " فَقَالُوا لَهُ: «كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاك؟ » ١ 1 أَجَابَ ذَاكَ وقَالَ: إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ " (يوحنا ٩ / ١٠ - ١١)، لكن النصارى اعتقدوا في هذه الحادثة ما لم يعتقده ذاك الذي شفاه المسيح، والذي شهد له بالإنسانية فحسب.

١١ـ وكذا الجموع التي رأته كثيرًا في أورشليم، وخرجت لاستقباله لما دخل أورشليم
 دخول الأبطال، هذه الجموع كانت تعتقد بشريته ونبوته " فقالت الجموع: هذا يسوع--

النبي" (متى ٢١/١١).

17. وهاهم أعداؤه الني من اليهود يلاحقونه، ويطلبون منه آية، فأخبرهم بأنه لن تأتيهم سوى آية يونان النبي (يونس) الني عينيَّذِ أَجَابَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّنَ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً». ٣٩ فَأَجابَ وَقَالَ لُهُمْ: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى مِنْكَ آيَةً إلاَّ آيَة يُونَانَ النَّبِيِّ " (متى ١٢/ ٣٨-٣٩). واليهود، لا ريب أنهم يبحثون عن آية تدل على نبوته التي يدعوهم إلى الإيهان بها، ولو كان ما يدعو إليه الألوهية لما رضوا منه بمثل تدل على نبوته التي يدعوهم إلى الإيهان بها، ولو كان ما يدعو إليه الألوهية لما رضوا منه بمثل آية يونان، وغيره من الأنبياء.

17. وفيما أحد الفريسيين يرقب المسيح متشككًا بنبوته تقدمت إليه امرأة خاطئة باكية تمسح رجليه بشعرها، تقبلها وتدهنها بالطيب، "فلها رأى الفريسي الذي دعاه ذلك، تكلم في نفسه قائلًا: لو كان هذا نبيًا لعلم من هذه المرأة التي تلمسه؟ وما هي؟ إنها خاطئة" (لوقا ٧/ ٣٩). لقد استنكر في نفسه نبوة - لا ألوهية - هذا الذي يجهل حال الخاطئة، مما يؤكد أن دعواه الني النبوة فحسب.

12. ولما أراد اليهود قتله، كانت جريمته عندهم دعواه النبوة، لا الربوبية، فقد قالوا لنيقوديموس: "ألعلك أنت أيضًا من الجليل؟ فتش وانظر. إنه لم يقم نبي من الجليل" (يوحنا ٧/٥٢)، إنهم يكذبونه في دعواه النبوة، وهو من الجليل التي لم يسبق أن أتى منها نبي.

10- والشيطان أيضًا لم ير في المسيح أكثر من كونه بشرًا، فاجترأ عليه محاولًا غوايته، لذلك فقد حصره في الجبل أربعين يومًا من غير طعام ولا شراب، وهو في ذلك يمتحنه ويمنيه بإعطائه الدنيا في مقابل سجدة واحدة له " هُثُمَّ أَخَذَهُ أَيضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَجُدْهَا، هُ وَقَالَ لَهُ: «أَعْطِيكَ هذِه بجيعَها إِنْ خَرَرْت عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ مَحْيَةٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِ إِلِمْك وَسَجَدْتَ لِي». ١٠ حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِ إِلِمْك تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». " (متى ٤/ ٩ - ١٠)، فهل كان الشيطان يعِد الرب العظيم مالك كل شيء وواهبه – بالدنيا؟!!.

17. ثم إن كان المسيح إلها متجسداً فكيف نفهم تبريراً لغيانة يهوذا؟ وهل يخان الإله؟ وكيف نفهم بطرس إنكار بطرس له ثلاث مرات ولعنه في الليلة التي أراد اليهود القبض فيها على المسيح؟ بل إن كل ما قيل في سيرة المسيح يصعب فهمه مع القول بألوهيته، ويترك علامات استفهام لا إجابة عنها.

(١٧) في انجيل متى (٢١ / ١٠ - ١١) قول المؤمنين بالمسيح الطَّكُ لدى استقبالهم له عند دخوله بيت المقدس: " مُبَارَكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي! ». "وَلَمَّا دَخَلَ أُورُ شَلِيمَ ارْتَجَّتِ دخوله بيت المقدس: " مُبَارَكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي! ». "وَلَمَّا دَخَلَ أُورُ شَلِيمَ ارْتَجَّتِ المُدينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً: «مَنْ هذَا؟ » "فَقَالَتِ الجُمُوعُ: «هذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الجُلِيلِ".

(١٨) وفي إنجيل يوحنا (٤/ ١٩): عن المرأة التي دهشت لما أخبرها المسيح، الذي لم يكن يعرفها من قبل، عن أزواجها الخمسة السابقين! أنها قالت: " يا سيّد! أرى أنك نبيّ. . ".

# القسم الرابع عشر: نصوص تثبت الحمل بالمسيح ثم ولادته ثم نموه التدريجي جسمًا وعقلًا:

وتثبت له كل أعراض الطبيعة البشرية من الجوع والعطش والتعب والنوم والخوف والاضطراب والألم بل الموت مما يتنزه عنه الباري سبحانه وتعالى. ولقد درس المحققون سيرة المسيح المنتخ - كما عرضتها الأناجيل - منذ بشارة أمه إلى حمله، وولادته في المزود، ثم لفه بالخرق، ثم ختانه، ومن ثم نشأته، وتعليمه مع الصبيان، ثم تعميده على يد المعمدان إلى أن ذكروا نهايته المزعومة على الصليب بعد أن جزع، وتذلل لله ليصرف عنه هذا الأمر؛ فوجدوا أن المسيح لا يفرق في شيء عن سائر الناس، فقد ولد وكبر، وأكل وشرب، ومات. فما الذي يميزه بالألوهية عن غيره؟

- (١) فقد ولد من فرج امرأة متلبطًا بدمها "وبينها هما هناك تمت أيامها لتلد" (لوقا ٦/٢).
- (٢) ونشأ جنينًا في رحم أمه مريم -عليها السلام -التي تحمل به مدة الحمل كاملًا ثم تضعه: " فَصَعِدَ يُوسُفُ أيضًا مِنَ الجُلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ النَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكُونِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ المُخْطُوبَةِ وَهِي حُبْلَى. ' وَبَيْنَهَا هُمَا هُنَاكَ تَكَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتُهُ وَأَضْجَعَتُهُ فِي وَهِي حُبْلَى. ' وَبَيْنَهَا هُمَا هُنَاكَ تَكَتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتُهُ وَأَضْجَعَتُهُ فِي

- الْمِنْدُودِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكُمَّا مَوْضِعٌ فِي المُنْزِلِ. " (لوقا: ٢/ ٤ ٧).
- (٣) **ورضع من ثدييها** "وفيها هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له: طوبي للبطن الذي حملك، والثدين اللذين رضعتها" (لوقا ٢٧/ ١١).
- (٤) المسيح المَيْنَ يُعْتَن عندما يبلغ شمانية أيام: " وَلَمَّ مَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّي يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ المُلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ " لوقا: ٢/ ٢١.
- (٥) وقد عمده يوحنا المعمدان الحيلا في نهر الأردن " جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه" (متى ١٣/٣)، أفجهل المعمدان أنه يعمد الإله؟ ومن المعلوم أن معمودية المعمدان غفران الذنوب، كما في متى: " واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم. . أنا أعمدكم بهاء للتوبة. . . حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه" (متى ٣/٣-١٤)، فهل كان الإله مذنبًا يبحث عمن يغفر له ذنوبه؟!
- (٦) كما تعرض لمكايد أعدائه فقد حاول الشيطان أن يغويه، فلم يقدر "قال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان" (متى ١٠-٩/٤).
- (٧) المسيح السيخ السيخ المسيخ عند الله والنّاسِ " (لوقا: ٢/ ٥٧). قلت: قوله " يتقدّم في الحكمة " دليل والفّامة والنّعْمة، عِنْدَ الله والنّاسِ " (لوقا: ٢/ ٥٢). قلت: قوله " يتقدّم في الحكمة " دليل واضح على عدم ألوهية المسيح؛ إذ لو كان المسيح إلها متجسدًا لكان محيطا، قبل وبعد تجسده المزعوم في رحم العذراء، بكل المعلومات وبالحكمة المطلقة ولما احتاج أن يتقدم فيها! وثمة فائدة أخرى في هذا النص يجدر التنبيه إليها، وهي أن العلم ومعرفة الحكمة ليست من الأمور الجسدية حتى يُقال أن المسيح إنها تدرج فيهها بحسب ناسوته! بل من صفات الروح، مما يؤكد بشرية المسيح المحضة روحًا وجسدًا وقلبًا وقالبًا.
- (٨) المسيح الطَّيْنِ يَجُوع: "ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا " (متى: ٤/ ١ ٢) ". وبحث عن طعام يأكله "وفي الصبح إذ كان راجعا إلى المدينة جاع" (متى ١/ ١/ ٢). وقد أكل وشرب، فسد جوعته، وروى ظمأه" فناولوه

جزءًا من سمك مشوي وشيئا من شهد عسل، فأخذ وأكل قدامهم" (لوقا ٤٢/ ٤٢ -٤٣)

" وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعًا إِلَى الْمُدِينَةِ جَاعَ، فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ، وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا إِلاَّ وَرَقًا فَقَطْ. فَقَالَ لَهَا: «لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ! " متى: ٢١/ ١٩: ١٨.

- (٩) المسيح المَسِين المَسِين " بَعْدَ هذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ، فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: «أَنَا عَطْشَانُ». " (يوحنا: ٢٨/١٩).
- (١٠) المسيح المسيخ الم
- (11) المسيح المسلم المسلم: " وكان هو في المؤخر على وسادة نائمًا. فأيقظوه وقالوا له: يا معلم أما يهمك أننا نهلك؟ " (مرقس: ٣/٤). والنوم من أحوال، وعوارض البشرية " وكان هو نائما" (متى ٢٤٤٨).
- (١٢) المسيح الطَّيِّة يحثر الأكل والشرب: " جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولُ وَشِرِّيبُ خَيْرٍ، مُحِبُّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. " (لوقا: ٧/ ٣٤).
- (١٣) المسيح السَّخْ يبكى: " قَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ، تَعَالَ وَانْظُرْ». " بَكَى يَسُوعُ. " فَقَالَ الْيَهُودُ: «انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ! " يوحنا: ٢١/ ٣٤ ـ ٣٦. واكتئب المسيح السَّخْلَا أصابه "وابتدأ يدهش ويكتئب" (مرقس ٢٤/ ٣٣)، وأحيانا كان يجتمع عليه الحزن والاكتئاب "وابتدأ يحزن ويكتئب" (متى ٢٦/ ٣٧).
- (12) المسيح الطَّيِّ يضطرب ويرتعد نفسيًا: " فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ تَبْكِي، وَالْيَهُودُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا يَبْكُونَ، انْزَعَجَ بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ، " وَقَالَ: «أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ؟ " (يوحنا: ١١ / ٣٣ \_ ٣٤). " لَمَّا قَالَ يَسُوعُ هَذَا اضْطَرَبَ بِالرُّوحِ، وَشَهِدَ وَقَالَ: «الْحُقَّ الْحُقَّ الْحُقَّ الْحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي! " (يوحنا: ٢١/٢١).
- (10) و السيح الطَّيِّلا يحزن بشدة ويكتئب حتى الموت: " حِينَئِذٍ جَاءَ مَعَهُمْ يَسُوعُ إِلَى

ضَيْعَةٍ يُقَالُ لَمَا جَشْسَيُمانِي، فَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: «اجْلِسُوا ههُنَا حَتَّى أَمْضِيَ وَأُصَلِّيَ هُنَاكَ». ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بُطْرُسَ وَابْنَيْ زَبْدِي، وَابْتَدَأَ يَحْزَنُ وَيَكْتَئِبُ. فَقَالَ لَمُمْ: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمُوتِ. أَمْكُثُوا ههُنَا وَاسْهَرُوا مَعِي " (متى: ٢٦ / ٣٦\_٣٨).

(17) المسيح المسيح المسلام حقيقة أمره في أول الدعوة: خوفًا من شر اليهود، ويأمر أتباعه أيضًا أن لا يُظهِروا أمره، بل يكتموا إيهانهم ويكتموا المعجزات التي يرونها اتقاءً من شر اليهود، كها أن المسيح نفسه يفر من اليهود ويتوارى عن أنظارهم هربا من شرّهم:

أ ـ " وَلَمَا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ تَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ. وَإِذَا أَبْرَصُ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا: «يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي». فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسهُ قَائِلًا: «أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!». وَلِلْوَقْتِ طَهُرَ بَرَصُهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «انْظُرْ أَنْ لاَ تَقُولَ لاَ حَدٍ. بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ، وَقَدِّمِ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «انْظُرْ أَنْ لاَ تَقُولَ لاَ حَدٍ. بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ، وَقَدِّمِ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مُوسَى شَهَادَةً لَمُمْ " (متى: ٨/ ١ ـ ٤)، و مثله في (مرقس: ١ / ٢٠ ٤ - ٤٤).

ب\_" وَالأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ حِينَمَا نَظَرَتْهُ خَرَّتْ لَهُ وَصَرَخَتْ قَائِلَةً: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ ابْنُ الله! ». وَأَوْصَاهُمْ كَثِيرًا أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ. " (مرقس: ٣/ ١١- ١٢).

ج \_ فَقَالَ (يسوع) لِمُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ أَنِّي أَنَا؟ » فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ: «مَسِيحُ الله! ». فَانْتَهَرَهُمْ وَأَوْصَى أَنْ لاَ يَقُولُوا ذلِكَ لأَحَدٍ " (لوقا: ٩ / ٢٠ \_ ٢١).

د\_" وَكَانَ يَسُوعُ يَتَرَدَّدُ بَعْدَ هَذَا فِي الجُلِيلِ، لأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ. " (يوحنا: ٧/ ١). قلت: ومن البديهي أنه لو كان إلها؛ لما خاف من أحد ولوجَّه أبصار وأذهان اليهود بعيدًا عنه، ولما احتاج للتواري عن أنظارهم.

(۱۷) وتعرض للطم والشتم "ولما قال هذا، لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا" (يوحنا ٢٢/ ١٨)، فلم يستطع أن يدفع عن نفسه إلا بالكلام، لأنه كان موثقا "قبضوا على يسوع وأوثقوه" (يوحنا ٨/ ١٢).

(۱۸) بل وتزعم الأناجيل أنه مات، فهل الرب يموت؟ "فصرخ يسوع بصوت عظيم، وأسلم الروح" (مرقس ۱۵/۳۷). ولا يجد الأسقف ترتليان (ق٣) ما يدفع به هذه

القاصمة إلا أن يقول: "لقد مات ابن الله! ذلك شيء غير معقول، لا لشيء، إلا لأنه مما لا يقبله العقل، وقد دفن من بين الموتى، وذلك أمر محقق، لأنه مستحيل (١)، ومع ذلك يؤمن به ترتليان والنصارى من بعده.

(١٩) وأخيرًا، فإن مما يؤكد بشرية المسيح ما أخبر من أنه الكالاسيدخل الجنة التي وعدها الله عباده المؤمنين، ومنهم المسيح وتلاميذه، وأنه سيشرب في اليوم الآخر ويأكل معهم، حيث قال: "في بيت أبي منازل كثيرة... أنا أمضي لأعد لكم مكانًا.... حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا " (يوحنا ١٤/٢ – ٣)، وقال: " إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم، حينها أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبي" (متى ٢٦/٢٦). وجماع هذا كله قوله الطِّيِّكُ عن نفسه: "وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله " (يوحنا ٨/ ٤٠)، أفلا نقبل شهادته الكافعن نفسه؟! فلو كان إلما لما صح منه أن يعمى علينا هذه الحقيقة بمثل هذا القول الصريح الدال على إنسانيته. وحين يصر النصاري على القول بألوهيته؛ فإنهم يضربون بعرض الحائط قول المسيح وتلاميذه، ويتنكرون بذلك لكل هذه النصوص التي لم تتحدث أبدا عن إله متجسد، ولا عن ناسوت حل به الله. وبذا يكون النصاري قد وقعوا فيها حذر منه مقدسهم بولس الذي تبرأ منهم ومن صنيعهم، حيث قال: " لأَنَّهُمْ لَّا عَرَفُوا اللهَ لَمُ يُمَجِّدُوهُ أَقْ يَشْكُرُوهُ كَالِهِ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبَيُّ. ٢٢وَبَيْنَهَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، ٢٣ وَأَبْدَلُوا عَجْدَ الله الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطَّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ. ٤٢ لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أيضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِم. ٢٥الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ الله بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمُخْلُوقَ دُونَ الْحُالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبْدِ. " (رومية ١/ ٢١–٢٥).

الوجه الخامس: الأدلة على بطلان ألوهية المسيح العِيْ من رسائل بولس. 🗥

<sup>(</sup>١) انظر: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، ص (٣٤٣).

<sup>(</sup>٢) قال سعد رستم: يرى كثير من المحققين الغربيين، الذين كتبوا عن المسيحية وعقائدها، في القرنين الأخيرين، ومثلهم كذلك عدد من الكتاب المسلمين، أن بولس ـ القديس الأكبر للنصرانية وصاحب ال ١٤

رسالة الملحقة بالأناجيل في كتاب العهد الجديد \_ هو واضع فكرة إلهية المسيح، ومبتدع عقيدة التجسد، وكنت أيضا من جملة من يعتقد أن بولس هو الذي أدخل هذه البدعة إلى النصرانية، إلى أن قيَّض الله تعالى لي اقتناء ومطالعة الترجمة العربية الحديثة للكتاب المقدس - حسب الرواية الكاثوليكية - التي نشرتها الرهبانية اليسوعية في بيروت عام ١٩٨٩، والمحلاة بالمقدمات لكل سفر، والحواشي الممتازة المتضمنة لشروح وإحالات مفيدة للغاية؛ إذ تساعد على إدراك معنى كثير من العبارات الغامضة، بالرجوع إلى ما يهائلها في المواضع الأخرى من الكتاب المقدس، فتبين لي لدى دراسة رسائل بولس والاستضاءة بتلك الحواشي، ومراجعة الترجمة الفرنسية العصرية المراجعة المحققة للكتاب المقدس، وترجمته الإنجليزية العصرية المراجعة المحققة أيضا، سيها للمواضع المتشابهة والحساسة في النص العربي، تبين أن عبارات بولس التي يظن عادة أنها نص منه على تأليه المسيح، لا تخرج عن أحد ثلاثة أمور:

1 \_ إما هي ترجمة احتمالية مرجوحة للنص اليوناني الأصلي، الذي يمكن \_ كما تشير الحواشي والترجمات المختلفة \_ أن يترجم بصورة أخرى، تبعا للتغير المحتمل للموضع، المشكوك به، للفاصلة أو النقطة في النص الأصلي، مما يجعل العبارة تتغير تغيرا تاما من نص على إلهية المسيح إلى كلام عن إلهية الله تعالى الآب!

٢ ـ أو هي عبارات مجازية، من الخطأ فهمها على معناها الحرفي الظاهر، وذلك بدلالة سياق الكلام، وبدلالة القرائن الأخرى، كملاحظة موارد استعمال بولس لنفس هذه الألفاظ في المواضع الأخرى من رسائله، مما يبين أن المراد الحقيقي لبولس من هذه الألفاظ هو معنى مجازي استعاري وليس المعنى الحرفي.

٣ ـ أو هي عبارة تتضمن وصف المسيح بلفظة مشتركة، مثل لفظة: " الربّ "، التي أحد معانيها هو الله، لكن لها معنى آخر هو: السيد، مع وجود قرائن تؤكد أن بولس يريد منها هذا المعنى الثاني غير التأليهي.

وبالتالي اتضح لي لدى التحقيق؛ أنه لا توجد في رسائل بولس، أي عبارة أو نص صريح قاطع في تأليهه للمسيح، بمعنى اعتباره الله تعالى نفسه الذي تجسد ونزل لعالم الدنيا، بل على العكس، نجد في رسائل بولس، نصوص واضحة ومحكمة لا تحتمل أي تأويل، تؤكد أن عقيدة الرجل كانت توحيدية محضة، حيث يؤكد على تفرد الله تعالى (الآب) بالإلهية والربوبية والخالقية واستحقاق العبادة، وأنه وحده الإله الخالق الحكيم القدير بذاته، الذي لم يُر ولا يُرى، الذي أبدع المخلوقات لوحده وأوجد جميع الكائنات بمن فيهم المسيح نفسه، الذي يعتبره بولس بكر كل خليقة، أي أول مخلوقات الله على، ويصرح بولس: بأن الله تعالى إله المسيح وسيده. وعمر بولس: بأن الله تعالى الله المسيح بمنظار اللوجوس في الفلسفة الأفلوطينية الحديثة التي ترى حسب نظرية الفيض – أن اللوجوس (العقل الكلي) هو أول ما فاض عن المبدأ الأول (الله) وبه وفيه وجدت سائر الكائنات؛ فبولس يرى أن المسيح هو ذلك الكائن الروحي الوسيط الذي فاض عن الله وبه وفيه خلق الله سائر الكائنات؛ فبولس يرى أن المسيح هو ذلك الكائن الروحي الوسيط الذي فاض عن الله وبه وفيه خلق الله سائر الكائنات؛ فبولس يرى أن المسلح جو ذلك الواسطة بينه وبين خلقه، ثم صيره في آخر الزمن، في الميعاد المقرر أزلًا، إنسانًا بشرًا، وأرسله لخلاص بني الواسطة بينه وبين خلقه، ثم صيره في آخر الزمن، في الميعاد المقرر أزلًا، إنسانًا بشرًا، وأرسله لخلاص بني

القسم الأول: أقاويل بولس الصريحة في نفي إلاهية المسيح، وإفراد الله تعالى وحده بالألوهية. أولًا: أقوال بولس في توحيد الذات الإلهية، وإفراد الله تعالى بالإلهية والربوبية والخالقية والقدرة

المستقلة: ١ - يقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس (و في الطبعات البروتستانتية تسمى كورنثوس) (٨/ ٤-٦): "فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ: نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ، وَأَنْ لَيْسَ إِلهٌ آخَوُ كورنثوس) (٨/ ٤-٦): "فَمِنْ جِهَةِ أَكْلِ مَا ذُبِحَ لِلأَوْثَانِ: نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ، وَأَنْ لَيْسَ إِلهٌ آخَوُ إِلاَّ وَاحِدًا. وَلاَّتُهُ وَإِنْ وُجِدَ مَا يُسَمَّى آلِهَةً، سواءٌ كَانَ فِي السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الأَرْضِ، كَمَا يُوجَدُ آلِهَةٌ كثيرُونَ وَأَرْبَابٌ كثيرُونَ. الكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لِهُ وَاحِدٌ: يَسُوعُ المُسِيحُ، وَاحْدُوهُ يسوع، به كل شيء وبه نحن أيضًا".

قلت: فهذا النص صريح في انحصار الإلهية بالله الآب وحده.

٢ ـ ويقول بولس في رسالته إلى أهل أفسس (٤ / ٥ ـ ٦): " رَبُّ وَاحِدٌ، إِيهَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَّةٌ، إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ. "

الإنسان، بعمله التكفيري العظيم، الذي تجلى حسب قول بولس - بآلامه وسفك دمه وموته على الصليب، تكفيرًا لخطايا البشر وفداء لهم بنفسه، فكرمه الله تعالى لأجل ذلك، وجد ورفع قدره فوق كل الكائنات وأجلسه عن يمينه فوق عرشه (يتفق النصارى هنا على تنزيه الله تعالى عن حدود المكان والزمان ويفهمون هذه العبارات على نحو غير تجسيمي) وجعله شفيعا للمؤمنين وقاضيا وحاكما بينهم يوم الدين، ثم ليخضع في النهاية لأبيه الروحي وخالقه وإلهه: الله تعالى الذي هو - حسب تعبير بولس - الكل في الكل. تلك هي خلاصة عقيدة بولس في المسيح، كما تترشح من رسائله وتعاليمه، وهي عقيدة، وإن كانت لا تخلو من غلو وخلط بين الدين والفلسفة اليونانية، ومبالغة بحق المسيح لا دليل عليها في الإنجيل، إلا أنها مع ذلك حفظت الحد الفاصل بين الله تعالى (الآب) في وحدانيته وتفرده بالقدم والإلهية، وبين المسيح المخلوق والخاضع لأبيه وإلهه الله تعالى في الإلهية - كما فعل ذلك للأسف دستور الإيمان النصراني الذي قرره مجمع ولا ساوت بينه وبين الله تعالى في الإلهية - كما فعل ذلك للأسف دستور الإيمان النصراني الذي قرره مجمع حلفظت على وحدانية ذات الله تعالى في الإلهية - كما فعل ذلك للأسف دستور الإيمان النصراني الذي قرره وبالتالي نيقية - بل أبقته في دائرة الكائن المخلوق والعبد الخاضع لسلطان الله تعالى العابد له والمتبع لأمره، وبالتالي حافظت على وحدانية ذات الله تعالى.

وفيها ذكر أعلى الصفحة سنبين الشواهد على ما نقول، ثم نعقب ذلك بالرد على شبهاتهم من بعض أقوال بولس المشتبهة التي تحتاج لتوضيح.

هذا وسنعتمد في الغالب على الترجمة العربية الحديثة الكاثوليكية للرهبانية اليسوعية في بيروت للعهد الجديد.

٣- ويقول بولس في رسالته الأولى إلى طيموتاوس (٢ / ٥): " لأنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ الله وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمِسِيحُ ". قلت: وهذه الجملة غاية في الصراحة والوضوح في إفراد الله تعالى بالألوهية ونفيها عن المسيح؛ إذ هي تؤكد أولا أن الله واحد، وأن المسيح شيء آخر، حيث هو الواسطة بين الله والناس، وبديهي أن الواسطة غير الموسوط، علاوة على تأكيده أن المسيح، ككلِّ إنسانٌ، وبهذا يتم الفصل بين الله والمسيح بكل وضوح، وتخصص الألوهية لله تعالى وحده فقط، فأنى يؤفكون!!

٤ - ثم يقول بولس في نفس الرسالة، بعد جملته تلك (٦ / ١٣ - ١٦): " وأوصيك في حضرة الله الذي يحيي كل شيء وفي حضرة يسوع المسيح الذي شهد شهادة حسنة في عهد بنطيوس بيلاطس، أن تحفظ هذه الوصية وأنت بريء من العيب واللوم إلى أن يظهر ربنا يسوع المسيح فسَيُظْهِرُه في الأوقات المحددة له:

المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكنًا في نور لا يدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية، آمين. " (حسب الترجمة البروتستانتية).

ذلك السعيد القدير وحده ملك الملوك ورب الأرباب، الذي له وحده الخلود ومسكنه نور لا يقترب منه، وهو الذي لم يره إنسان ولا يستطيع أن يراه، له الإكرام والعزة الأبدية. آمين. " (حسب الترجمة الكاثوليكية للرهبانية اليسوعية).

٥ - وفيها يلي نص خطبة خطبها بولس في أعيان مدينة أثينا، كها جاءت في أعمال الرسل (١٧ / ٢٢ - ٣٣): " فَوَقَفَ بُولُسُ فِي وَسْطِ أَرِيُوسَ بَاغُوسَ وَقَالَ: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَيْنِوِيُّونَ! (١٧ / ٢٢ - ٣٢): " فَوَقَفَ بُولُسُ فِي وَسْطِ أَرِيُوسَ بَاغُوسَ وَقَالَ: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَيْنِويُّونَ! لأَنْنِي بَيْنَهَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ، أَرَاكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَأَنْكُمْ مُتَدَيِّنُونَ كَثِيرًا، لأَنْنِي بَيْنَهَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ، وَجَدْتُ أَيْضًا مَذْبَحًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ: "لإله بَحْهُول». فَالَّذِي تَتَقُونَهُ وَأَنْتُمْ جَهْلُونَهُ، هذَا أَنَا أَنَادِي لَكُمْ بِهِ. الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، هذَا، إِذْ هُو رَبُّ السَّهَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي، وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُو يُعْطِي الجُومِيعَ هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي، وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُو يُعْطِي الجُومِيعَ هَيَاكُ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُو يُعْطِي الجُومِيعَ

حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ. وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجُهِ الأَرْضِ، وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ المُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ، لِكَيْ يَطْلُبُوا الله لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا. لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ. كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أيضًا: لأَنَّنَا أيضًا ذُرِيَّتُهُ. فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ الله، لاَ يَنْبَغِي أَنْ نَظُنَّ أَنَّ اللهَّهُوتَ شَبِيهٌ بِذَهَبٍ أَوْ فِضَةٍ أَوْ حَجَرِ نَقْشِ صِنَاعَةٍ وَاخْتِرَاعٍ إِنْسَانٍ. فَالله الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ إِنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِيًا عَنْ أَزْمِنَةِ الجُهْلِ. "لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ المُسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُل قَدْ عَيَنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيَمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ ".

قلت: فقد تكلم كلامًا جميلًا عن الله تعالى، ولم يأت بكلمة على أن المسيح كان هو ذاك الله الذي تكلم عنه، بل على العكس، قال: إن الله أقام رجلًا (أي إنسانًا) ليدين العالم عن طريقه، وأماته ثم بعثه ليجعله عَلَمًا ودليلا على يوم القيامة، وهكذا نلاحظ التهايز والفصل التام بين الله في وحدانيته والمسيح.

القسم الثاني: أقوال بولس الواضحة في توحيد الأفعال، وفي توحيد العبودية أي صرف كل مظاهر العبادة مثل الصلاة والدعاء والشكر والحمد والثناء والاستغاثة والالتجاء لله الآب وحده دون غيره:

١- يقول بولس في رسالته إلى أهل فيليبي (٤ / ٦ - ٧): " لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى الله. ﴿ وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْل، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي المُسِيحِ يَسُوعَ ".

قلت: فطلب الحوائج والصلاة والدعاء والشكر يجب رفعها لله تعالى،؛ لكي ينزل الله سكينته على المؤمنين بواسطة المسيح؛ ولكي يثبت قلوبهم ـ في المصاعب ـ على الإيهان، والثقة بالمسيح ومحبته.

٢ ـ ويقول في رسالته إلى أهل أفسس (٣/ ١٤ ـ ٢٠): " بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَكَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ المُسِيحِ، " الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ. " لِنَحِي يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ، " لِيَحِلَّ لِيَحِلَّ

المُسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، ١ وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلُو، ١ وَتَعْرِفُوا مَجَبَّةَ المُسِيحِ الْفَائِقَةَ المُعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِعُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ الله. ١ وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا الْفَائِقَةَ المُعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِعُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ الله. ١ وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا فَلَائِقَةَ المُعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتُونُ إِلَى كُلِّ مِلْءِ الله. ١ وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، أَكْثَرَ جِدًّا عَلَى فَوْ لَكُنِيسَةِ فِي المُسِيحِ يَسُوعَ عِلَى اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ

قلت: فبولس يؤكد أن الصلاة (الجثو على الركبتين)، إنها هي للآب فقط، لأنه منه وحده يستمد كل شيء، اسمه ووجوده، كها أنه بيده تعالى قلوب العباد، ومنه تعالى الثبات والتوفيق والهداية التي ينزلها على من يشاء بواسطة الملائكة والمسيح، فالمسيح هو مجرى الفيض وواسطة المدد فحسب، لذا فالتسبيح والمجد لله تعالى المعطي والمفيض، ويا ليت النصارى يأخذون بهذا ويكفون عن عبادة المسيح، والجثو للصلبان والتهاثيل!

٣- ويقول في رسالته الثانية إلى أهل قورنتس (١/ ٣- ٤ و٩ - ١٠): "تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، أبو الرأفة وإله كل عزاء، فهو الذي يعزينا في جميع شدائدنا لنستطيع، بها نتلقى نحن من عزاء من الله أن نعزي الذين هم في أية شدة كانت. . . لئلا نتكل على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات، فهو الذي أنقذنا من أمثال هذا الموت وسيُنقِذُنا منه: وعليه جَعَلْنَا رجاءَنا بأنه سينقذنا منه أيضًا. "ثم يقول في نفس الرسالة أيضًا: " وإن الذي يثبتنا وإياكم للمسيح، والذي مسحنا، هو الله، وهو الذي ختمنا بختمه وجعل في قلوبنا عربون الروح. . الشكر لله الذي يستصحبنا دائها أبدا في نصرِه بالمسيح وينشر بأيدينا في كل مكان شذى معرفته. . "

القسم الثالثُ: أقوال بولس الصريحة الواضحة في أن الله تعالى إلهُ المسيحِ وخالقُهُ وسيدُهُ، وأن المسيحَ عبدُ مخلوق خاضعَ لسلطان الله، وهذا في مسائل:

الأولى: أن المسيح الطَيْنَ مُخلوق لله وقد جاء واضحا في رسالة بولس إلى أهل قولسي (أو كولوسي) (١/ ١٥) حيث قال يصف المسيح: "اللَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ الذي لا يرى بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. "

فها هو قد وصف المسيح بأنه " بِكُرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ " وهذا تصريح بأن المسيح هو باكورة

خليقة الله أي أول مخلوقات الله المتصدر لعالم الخلق، وبديهي أن المخلوق عبد لخالقه ولا يكون إلها أبدًا.

الثانية: أن الله تعالى إلهُ المسيح وقد جاء صريحًا في قول بولس في رسالته إلى أهل أفسس (١ / ١٦ ـ ١٧): " لاَ أَزَالُ شَاكِرًا لاَّجْلِكُمْ، ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، "كَيْ يُعْطِيَكُمْ أَفسس (١ / ١٦ ـ ١٧): " لاَ أَزَالُ شَاكِرًا لاَّجْلِكُمْ، ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، "كَيْ يُعْطِيَكُمْ أَلِهُ رَبِّنَا يَسُوعَ المُسِيح، أَبُو المُجْدِ، رُوحَ الجُكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ " قلت: فهذا بيان صريح في أن الله تعالى، أبا المجد، هو إلهُ يسوع، وبالتالي يسوع عبده، وهذا نفي قاطع لإلهية المسيح لأن الإله لا يكون له إله!

الثالثة: أن المسيح يستمد قوته من الله ويخضع في النهاية، ككل المخلوقات، لله تعالى، وقد جاء صريحًا في كلام بولس، في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس (كورنثوس): (١٥ / ٢٤ ـ ٢٨): " وَبَعْدَ ذلِكَ النِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ اللَّلْكَ لله الآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى يَضَعَ جَيِيعَ الأَعْدَاءِ ثَعْتَ قَدَمَيْهِ. آخِرُ عَدُوِّ يُبْطَلُ هُوَ المُوْتُ. لأَنَّهُ أَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَعْتَ قَدَمَيْهِ. وَلكِنْ حِينَمَا يَقُولُ: "إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أَخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ هُوَ المُونَ عَيْرُ الَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ. وَمَتَى أَخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذِ الابْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِللَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ. كَيْ يَكُونَ الله الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. "

قلت: تظهر من هذا النص الحقائق التالية:

١- أن المُلْكُ الحقيقي الأصيلَ لله الآبِ وحده، وأما السلطان والمُلْكُ الذي أوتيه المسيح، فهو من عطاء الله وموهبته، وهو أمانة لأداء رسالة محددة وفق مشيئة الله، ثم يسلم المسيح فيها بعد الأمانة لصاحبها الحقيقي.

٢- أن المسيح لم يخضِع شيئًا من قوات الشر في العالم بقوته الذاتية، بل الله تعالى هو
 الذي أخضعها له.

٣- أن المسيح نفسه، بعد أن ينصره الله على قوى الشر و يجعلها تحت قدميه، سيخضع بنفسه لله؛ ليكون الله تعالى وحده الكل في الكل. ويذكرنا هذا بقوله تعالى في قرآنه المجيد:

﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (النجم: ٤٢).

وكل نقطة من هذه النقاط الثلاث تأكيد واضح على عدم إلهية المسيح.

القسم الرابع: تأكيد بولس الدائم، على الغيرية الكاملة بين الله تعالى والمسيح الخيرة والتعبير عنهما دائما ككائنين اثنين وشخصين منفصلين: من أوضح الأدلة على عدم اعتقاد بولس إلهية المسيح؛ ما يظهر في كل عبارة من عبارات رسائله، من فصل وتمييز واضحين بين الله، والذي يعبر عنه غالبا بالآب أو أبينا، والمسيح، الذي يعبر عنه غالبا بالرب أو ربنا، واعتبارهما شخصين اثنين وكائنين منفصلين، و الشواهد على هذا الموضوع اغني أن الله غير المسيح وأنها اثنين ـ من كلام بولس، كثيرة جدًا، مر بعضها فيها سبق، ونضيف هنا بعض الشواهد الأخرى لمزيد من التوضيح:

الديباجة الدائمة التي يفتتح بها بولس رسائله فيقول: " نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ الله أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ المُسِيح".

٢ ـ في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس (٣ / ٢٢): " كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ
 فَلِلْمَسِيحِ، وَالْمُسِيحُ لله "

٣ ـ وفي رسالته الثانية إلى أهل تسالونيقي (٢ / ١٦ ـ ١٧): " وَرَبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمُسِيحُ، وَالله أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عَزَاءً أَبُدِيًّا وَرَجَاءً صَالِحًا بِالنَّعْمَةِ، يُعَزِّي قُلُوبَكُمْ وَيُثَبَّتُكُمْ فِي كُلِّ كَلاَم وَعَمَل صَالِح. "

٤ - وفي رسالته إلى أهل أفسس (١ / ١٩ - ٢٢) يتحدث بولس عن عمل الله الذي عمله في المسيح فيقول: " إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، " فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي المُسْتَقْبَلِ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي المُسْتَقْبَلِ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي المُسْتَقْبَلِ أَيْسَاء الله الله وَقُوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ. "

وهذا الموضوع نفسه تكرر مرارًا في رسائل بولس. انظر على سبيل المثال: (أعمال الرسل: ١٣ / ٣٠)، ورسالته الأولى إلى الرسل: ١٣ / ٣٠)، ورسالته إلى (أهل أفسس: ١ / ٣٠) و رسالته إلى (أهل تسالونيقي: ١ / ٢٠)، ورسالته إلى (أهل أفسس: ١ / ٢٠) و رسالته إلى (أهل

قورنتس: ٦ / ١٤). ففي كل هذا تأكيد واضح وضوح الشمس في رابعة النهار على التمييز والفصل الكامل بين الله والمسيح وأنها اثنان لا واحد.

## القسم الخامس: بولس يصف المسيح بصفات ينفيها عن الله وينزُه الله عنها:

ا ـ بين بولس مرارًا موت المسيح وأنه دفن وبقي في قبره ثلاثة أيام إلى أن بعثه الله تعالى حيا: انظر رسالته إلى (رومية: ٨ / ٣٤) وفيها يقول: من هو الذي يدين المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضًا الذي هو أيضًا عن يمين الله الذي أيضًا يشفع فينا. وفيها أيضًا (١٤ / ٨ و ٩)، " ١ الأَنْنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِ نَعِيشُ، وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِ نَمُوتُ. الأَنْهُ لِهِذَا مَاتَ المُسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ، لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ. " (أهل غلاطية: ٢ / ٢١)، وقد قال فيها: لست أبطل نعمة الله لأنه ان كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب.

ورسالته إلى (أهل فيليبي: ٢ / ٨). . وفيها يقول: " موَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانِ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى المُوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. . . الخ ما قال بولس في هذا المعنى. هذا في حين يقول بولس واصفًا الله تبارك وتعالى: ". . . المُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ، "الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ المُوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الاَّبَدِيَّةُ. آمِينَ. ".

٢- كها ذكر بولس في رسائله مرارا أن المسيح تألم وعانى الشدائد، فعلى سبيل المثال نجده يقول في رسالته إلى أهل كولوسي (١/ ٢٤): " الَّذِي الآنَ أَفْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ، وَأُكُمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ المُسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ، "، أو يقول في رسالته الثانية إلى أهل قورنتس (١/ ٥): " لأَنَّهُ كَمَا تَكْثُرُ آلامُ المُسِيحِ فِينَا، كَذلِكَ بِالمُسِيحِ تَكُثُرُ تَعْزِيَتُنَا أَيضًا ". هذا في حين أن بولس، لما كان يقوم بالتبشير مع برنابا، في منطقة إيقونية، وظهرت على أيديها معجزات في مدينة لسترة حيث أقاما رجلًا مقعدًا خلقة فجعلاه يمشي - كها جاء في سفر أعهال الرسل -، وهجم وثنيو المدينة عليها معتقدين أنها إلهين نزلا من السهاء! وأرادوا أن يقدموا لهما ذبائح!! فصاحا (أي بولس وبرنابا) في

أولئك الوثنين الجهلة قائلين: " السراقية الرِّجَالُ، لِمَاذَا تَفْعَلُونَ هذَا؟ نَحْنُ أَيضًا بَشَرٌ تُحْتَ السَّهَاءَ الاَم مِثْلُكُمْ، نُبَشِّرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا مِنْ هذِهِ الأَباطِيلِ إِلَى الإِلهِ الحُيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّهَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، . . " (أعهال الرسل: ١٤ / ٨ - ١٥). والآن؛ بعد أن ذكرنا النصوص الدالة على بطلان هذه العقيدة من القرآن، والسنة، والأناجيل الأربعة، ورسائل بولس؛ ننتقل إلى الأدلة التي استدل بها القوم على ألوهية المسيح، وهي في الحقيقة عبارة عن شبهات وليست أدلة، وسنسوق كل شبهة منها ونتبعها بالرد عليها.

الوجه السادس: بطلان أدلة النصارى على ألوهية المسيح اللَّهِيَّ. تمهيد:

وقبل أن نبدأ بمناقشة أدلة النصارى، فإنا نسجل ملاحظات هامة في هذا الباب:

١ - أنه لا يوجد نص واحد في الكتاب المقدس يصرح فيه المسيح بألوهيته أو يطلب
 من الناس عبادته.

٢- كما لم يعبده أحد من معاصريه، ولم ينظر إليه هؤلاء إلا كمدع للنبوة، آمن به
 بعضهم، وكفر بنبوته الأكثرون من اليهود.

٣- لكن دعوى ألوهيته لا أساس لها في الكتاب المقدس، وفي هذا الصدد يتحدى ديدات،
 كبير قساوسة السويد في مناظرتها المتلفزة قائلًا: "أضع رأسي تحت مقصلة لو أطلعتموني على نص
 واحدقال فيه عيسى عن نفسه: أنا إله. أو قال: اعبدوني"، وهيهات أن يجدوه.

٤- أنه لم يكن أحد من تلاميذ المسيح يعتقد ألوهية المسيح، إذ لم يعبده واحد منهم، بل
 كلهم وجميع معاصري المسيح ما كانوا يعتقدون أكثر من نبوته، كما مر وسيأتي معنا تفصيله.

٥- ثم إن أقوى ما يتعلق به النصارى من الدليل، لا يوجد إلا في إنجيل يوحنا، ورسائل بولس، بينها تخلو الأناجيل الثلاثة من دليل واضح ينهض في إثبات ألوهية المسيح. بل إن خلو هذه الأناجيل عن الدليل المفقود هو الذي دفع يوحنا - أو كاتب يوحنا - لكتابة إنجيل عن لاهوت المسيح، فكتب ما لم يكتبه الآخرون، وجاءت كتابته مشبعة بالغموض والفلسفة الغريبة عن بيئة المسيح البسيطة التي صحبه بها العوام من أتباعه.

٦- عدم الدليل الصحيح الصريح على ألوهية المسيح، جعل النصارى يحرفون في طبعات الأناجيل الجديدة، ومن ذلك إضافتهم نص التثليث الصريح الوحيد في (يوحنا (١) ٥/٧). (١)
 والأدلة التي يتعلق النصارى بها على ألوهية المسيح النس على ستة ضروب، هي: (٢)

وادنه التي يتعلق النظاري به على الوهية والربوبية، والتي يسمونها (ألقاب الله).

**ثانيًا**: نصوص بنوة المسيح لله.

ثالثًا: نصوص الحلول الإلهي في المسيح.

رابعًا: نصوص نسبت صفات الله إلى المسيح.

خامسًا: نصوص نسبت أفعال الله إلى المسيح.

سادسًا: دلالة معجزات المسيح على ألوهيته.

أولًا: نصوص نسبت إلى المسيح الألوهية والربوبية

يستمسك النصارى بالألفاظ التي أطلقت على المسيح الطَّيْ الفظ الألوهية والربوبية، ويرونها دالة على ألوهية المسيح، وفي أولها:

١ - أنه سمي يسوع، وهي كلمة عبرانية أصلها: يهوه خلاص، ومعناها: الله خلاص.

٢- احتجاجهم وتمسكهم بها اعتبروه نبوءة عن المسيح في سفر إشعيا " لأنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبِديًّا" (إشعيا ٩/٢).

٣- كذا يستمسكون بقول داود في وصفه للقادم المبشر به بالنبوات أنه ربه أو سيده: " قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ». يُرْسِلُ الرَّبُ قَضِيبَ عِزِّكَ مِنْ صِهْيَوْنَ. تَسَلَّطْ فِي وَسَطِ أَعْدَائِكَ. شَعْبُكَ مُنْتَدَبِ فِي يَوْمِ قُوَّتِكَ، فِي زِينَةٍ

<sup>(</sup>۱) ومثله وقع التحريف في قول بولس: "عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد" (تيموثاوس (۱) ٣/ ١٦) فالفقرة كما قال المحقق كريسباخ: محرفة، إذ ليس في الأصل كلمة "الله"، بل ضمير الغائب "هو" أو "الذي". أو هي بصيغة المبنى للمجهول [أظهر في الجسد] كما سبق بيانه.

 <sup>(</sup>٢) نقل هذا الترتيب وكثير من كلام هذا الفصل من كتاب (الله جل جلاله واحد أو ثلاثة؟) للدكتور منقذ السقار (١٧) وما بعدها.

مُقَدَّسَةٍ مِنْ رَحِمِ الْفَجْرِ، لَكَ طَلُّ حَدَاثَتِكَ. أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: «أَنْتَ كَاهِنُ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُثْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ " (المزمور ١١٠/ ١-٤)، فسهاه داود النَّيْ ربًا. (').

٤ - كما يرى النصارى نبوءة أخرى دالة على ألوهية المسيح في قول إشعيا: " وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ». " (إشعيا ٧/ ١٤)، فكلمة عمانويل تعنى: الله معنا. ويرون تحقق النبوءة بالمسيح.

٥- كما بشر الملاك يوسف النجار خطيب مريم " فَسَتَلِدُ ابْنَا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لآنَهُ يُخُلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». " وَهذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: " (هُوذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنَا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: الله مَعَنَا. " (متى ١ / ٢٣: ٢١).

فتسميته الله معنا دليل - عند النصاري - على ألوهيته.

٦- ومثله جاء في العهد الجديد قول بولس: " المُسِيحُ حَسَبَ الجُسَدِ، الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلْمًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبْدِ. آمِينَ. " (رومية ٩/ ٥).

٧- ومثله قول توما للمسيح: "ربي وإلهي" (يوحنا ٢٠/٢٨).

٨- كما قال بطرس له: "حاشاك يا رب" (متى ٢١/ ٢٢)، وقال أيضًا: "هذا هو رب الكار" (أعمال ٢١/ ٣٦).

٩ - وجاء في سفر الرؤيا عن المسيح: " وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «مَلِكُ اللَّوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ " (الرؤيا ١٩/ ١٦)، وغير ذلك من النصوص مما أطلق على المسيح كلمة رب أو إله، فدل ذلك عندهم على ألوهيته وربوبيته.

#### والجواب عن ذلك من وجوه:

# الوجه الأول: إن هذه الأسماء لا تفيد ألوهية أصحابها وبيان ذلك ما يلي:

١-لأن هذه الإطلاقات ما كان لها أن تجعل من المسيح ربًا وإلهًا؛ إذ كثير منها ورد في
 باب التسمية، وتسمية المخلوق إلهًا لا تجعله كذلك؛ فقد سمي بولس وبرنابا آلهة لما أتيا

<sup>(</sup>١) انظر: شرح بشارة لوقا، د. إبراهيم سعيد، ص (٥٠٥).

ببعض المعجزات " فَاجُّمُوعُ لَمَّا رَأَوْا مَا فَعَلَ بُولُسُ، رَفَعُوا صَوْتَهُمْ بِلُغَةِ لِيكَأُونِيَّةَ قَائِلِينَ: «إِنَّ الآلِهَةَ تَشَبَّهُوا بِالنَّاسِ وَنَزَلُوا إِلَيْنَا" (أعمال الرسل ١١/١٤)، فقد كان من عادة الرومان تسمية من يفعل شيئًا فيه نفع للشعب: إلهًا، ولا تغير التسمية في الحقيقة شيئًا، ولا تجعل من المخلوق إلهًا، ولا من العبد الفاني ربًا وإلهًا.

٢- وقد سمي إسماعيل بهذا الاسم العبراني، ومعناه: "الله يسمع"، ومثله يهوياقيم
 أي: "الله يرفع"، ويهوشع "الرب خلص"، وغيرهم ... ولم تقتض أسماؤهم ألوهيتهم.

٣- وجاء في سفر الرؤيا: " مَنْ يَغْلِبُ فَسَأَجْعَلُهُ عَمُودًا فِي هَيْكُلِ إِلْهِي، وَلاَ يَعُودُ يَخْرُجُ
 إِلَى خَارِجٍ، وَأَكْتُبُ عَلَيْهِ اسْمَ إِلْهِي، وَاسْمَ مَدِينَةِ إِلْهِي، أُورُ شَلِيمَ الجُّدِيدَةِ النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ
 مِنْ عِنْدِ إِلْهِي، وَاسْمِي الجُّدِيدَ. " (الرؤيا ٣/ ١٢).

٤- وجاء في التوراة: " فَيَجْعَلُونَ اسْمِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ" (العدد ٢٧/٦)، ومع ذلك فليسوا آلهة. (1)

الوجه الثاني: هل سمي المسيح الرب والإله؟ وعلى فرض صدور التسمية، فهي لا تعني إلهًا معبودًا، وإنما تعني السيد المعلم:

فكلمة "الرب" التي ترد كثيرًا في التراجم العربية كلقب للمسيح هي في التراجم الأجنبية بمعنى: "السيد" أو "المعلم"، فالمقابل لها في الترجمة الإنجليزية هو كلمة lordومعناها: السيد، وفي الترجمة الفرنسية: monsier "، ومعناها: المعلم، وهكذا في سائر التراجم كالألمانية، والإيطالية، والأسبانية.

وما أتت به الترجمة العربية ليس بجديد، بل هو متفق مع طبيعة اللغة التي نطق بها المسيح ومعاصروه، فكلمة: "رب" عندهم تطلق على المعلم، وتفيد نوعًا من الاحترام والتقدير.

١- ففي إنجيل يوحنا أن المسيح كان يخاطبه تلاميذه: يا رب، ومقصودهم: يا معلم،
 فها هي مريم المجدلية" فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي! » الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ"
 وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب" (يوحنا ١٦/٢٠-١٧).

<sup>(</sup>١) وانظر دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ١/ ٤٨٤.

٢- وخاطبه اثنان من تلاميذه: "رب الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ " (يوحنا ١٩٨١). ولم يخطر ببال أحد من التلاميذ المعنى الاصطلاحي لكلمة الرب حين أطلقوها على المسيح، فقد كانوا يريدون: المعلم والسيد، ولذلك شبهوه بيوحنا المعمدان حين قالوا له: " يَارَبُ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّي كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أيضًا تَلاَمِيذَهُ " (لوقا ١١/١).

"- واستعمال لفظة الرب بمعنى: السيد، شائع في اللغة اليونانية، يقول ستيفن نيل: "إن الكلمة اليونانية الأصلية التي معناها: "رب" يمكن استعمالها كصيغة للتأدب في المخاطبة، فسجان فلبي يخاطب بولس وسيلة بكلمة: "سيدي" أو "رب"، يقول سفر الأعمال: "ثُمَّ أَخْرَجَهُمَا وَقَالَ: «يَا سَيِّدَيَّ، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ أَفْعَلَ لِكَيْ أَخْلُصَ؟ » فَقَالاً: «آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ المُسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ " (أعمال الرسل ١٦/ ٣٠). . . وكانت اللفظة لقبًا من ألقاب الكرامة. . . ".

٤- ومما يؤكد صحة هذا التأويل قول بولس، وهو يصف المسيح بالرب، ولا يمنعه ذلك أن يجعله عبدا لله "كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ المُسِيحِ، أَبُو المُجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ " (أفسس ١/١٧).

٥- وأما قول توما للمسيح "ربي وإلهي" فهو لم يقع منه في مقام الخطاب للمسيح، بل لما رأى المسيح حيًا، وقد كان يظنه ميتا استغرب ذلك، فقال متعجبا: "ربي وإلهي" (يوحنا ٢٨/٢٠)، ومما يؤكد صحة هذا الفهم أن المسيح أخبر في نفس السياق بأنه سيصعد إلى إلهه. (انظر يوحنا ٢٠/١٠)، وعليه فالألوهية هنا لو أريد بها المسيح فهي مجازية غير حقيقية. وقد يشكل على البعض في قوله: " أَجَابَ تُومًا وَقَالَ لَهُ: «رَبِّي وَإِلِهِي! ». " (يوحنا ٢٠/٢٠)، فيرى أن هذه الصيغة لم ترد في باب الاستغراب، بل في باب الخطاب المباشر للمسيح بلقب الألوهية، والحق أن (له) في النص إنها هي بمعنى لأجله أو لأجل ما رأى منه، ولها مثيل في الكتاب، في سفر صموئيل، حيث دعا النبي يوناثان الله من أجل داود، فيها يفهم من ظاهر السياق أن الحديث موجه إليه، وهو في الحقيقة دعاء لله من أجل داود،

يقول سفر صموئيل: " وَقَالَ يُونَاثَانُ لِدَاوُدَ: «يَا رَبُّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ، مَتَى اخْتَبَرْتُ أَبِي مِثْلَ الآنَ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرٌ لِدَاوُدَ وَلَمْ أُرْسِلْ حِينَئِذٍ فَأُخْبِرَهُ " (صموئيل الأول ١٢/٢٠)، فهو نداء لله، والسياق يقول: "وقال يوناثان لداود"، أي لأجله.

ثم لو فهم المسيح من كلام توما أنه أراد ألوهيته لما سكت الحيالية، فقد رفض الحيلة حتى أن يدعى صالحا، إذ لما ناداه بعض تلاميذه: " أيها المعلم الصالح. . . لِمَاذَا تَدْعُوني صَالحِتًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالحِتًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ الله. " (متى ١٩/١٧) فكيف يقبل أن يدعى ربا وإلها على الحقيقة؟.

٦ - وبخصوص الاستدلال بالمزمور " قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ " (المزمور ١١٠/١)، فهو لا يُراد به المسيح بحال من الأحوال، بل المراد منه المسيح المنتظر، الذي وعد به بنو إسرائيل، وهو محمد على الخطأ بطرس حين فهم أن النص يراد به المسيح، فقال: " لأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّهَاوَاتِ. وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي "حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. "فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ الله جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا. فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبهم" (أعمال الرسل ٢/ ٣٤-٣٧). ودليل الخطأ في فهم بطرس، وكذا فهم النصاري؛ أن المسيح أنكر أن يكون هو المسيح الموعود على لسان داود، " وَفِيهَا كَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ مُجْتَمِعِينَ سَأَلَهُمْ يَسُوعُ ١٠ قَائلًا: «مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمُسِيح؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟ » قَالُوا لَهُ: «ابْنُ دَاوُدَ». " قَالَ لَمُمْ: «فَكَيْفَ يَدْعُوهُ دَاوُدُ بِالرُّوحِ رَبَّا؟ قَائِلًا: " قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِيني حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. " فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟ » '' فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يُجِيبَهُ بِكَلِمَةٍ. وَمِنْ ذلِكَ الْيَوْم لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ بَتَّةً. " (متى ٢٢/ ٤١-٤٦). فالمسيح سأل اليهود عن المسيح المنتظر الذي بشر به داود وغيره من الأنبياء، "ماذا تظنون في المسيح، ابن من هو؟ " فأجابوه: "ابن داود"، فخطأهم، وقال: " فإن كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه! ".

٧- وفي مرقس: " كَيْفَ يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ الْمُسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ؟ " لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ

الْقُدُسِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي، حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. ٣فَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَدُعُوهُ رَبًّا. فَمِنْ أَيْنَ هُو ابْنُهُ؟ " (مرقس ٢١/ ٣٧). وهو ما ذكره لوقا أيضًا " وَقَالَ لَمُمْ: «كَيْفَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمِسِحَ ابْنُ دَاوُدَ؟ " وَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَقُولُ فِي كِتَابِ الْمُزَامِيرِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «كَيْفَ يَكُونُ اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي " حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. " فَإِذًا دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا. فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟ " (لوقا ٢٠ / ٢٠ ٤ - ٤٤)، فالمبشر به ليس من ذرية داود الذي سهاه ربًا له أو سيدًا، فيها لا يختلف النصارى في أن المسيح كان من ذرية داود كها جاء في نسبيه في متى ولوقا.

٨- وأما ما جاء في إشعبا من التنبؤ بقدوم عانوئيل، فهي ليست عن المسيح، الذي لم يتسم بهذا الاسم أبدًا، ولم يناد به إطلاقًا. والقصة في سفر إشعبا تتحدث عن قصة قد حصلت قبل المسيح بقرون، حين تآمر " راصين " ملك أدوم مع ملك مملكة إسرائيل الشمالية " فقح بن رمليا " على مملكة يهوذا الجنوبية وملكها آحاز، وقد جعل الله من ميلاد الطفل عانوئيل علامة على زوال الشر عن مملكة يهوذا، وإيذانا بخراب مملكة راصين وفقح على يد الآشوريين، وموت الملكين المتآمرين، يقول إشعبا: " ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلا:. . ولكن يعطيكم السيد نفسه آية. ها العذراء تحبل وتلد ابنا، وتدعو اسمه عانوئيل. زبدا وعسلا يأكل.

متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير، لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير، تخلى الأرض التي أنت خاش من ملكيها (راصين وفقح)، يجلب الرب عليك وعلى شعبك وعلى بيت أبيك أياما لم تأت منذ يوم اعتزال أفرايم عن يهوذا أي ملك أشور.

ويكون في ذلك اليوم أن الرب يصفر للذباب الذي في أقصى ترع مصر وللنحل الذي في أرض أشور. . . لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو: يا أبي ويا أمي تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك أشور" (إشعياء  $\sqrt{1-1}$ )، فالنص يتعلق بأحداث حصلت قبل المسيح بقرون، وذلك إبان الغزو الآشوري لفلسطين. وهذا النص الذي ذكره لوقا، وكذا النص الذي في إشعيا، قد تم تحريفها عن الأصل ليصبحا نبوءة عن

المسيح وأمه العذراء، وكانت الترجمات القديمة للتوراة مثل ترجمة أيكوثلا، وترجمة تهيودوشن، وترجمة سميكس والتي تعود للقرن الثاني الميلادي، قد وضعت بدلا من العذراء: المرأة الشابة، وهو يشمل المرأة العذراء وغيرها، وذلك أن اللفظ المستخدم بالعبرانية هو (علما)، بمعنى: الصبية أو الشابة، وليس (بتولا)، التي تعنى: العذراء.

ويذكر العلامة أحمد ديدات أن النسخة المنقحة (R. S. V) والصادرة عام ١٩٥٢م قد استبدلت كلمة العذراء في إشعيا بـ " الصبية "، ولكن هذا التنقيح لا يسري سوى على الترجمة الإنجليزية. (١)

أ- أين سمي عجيبًا أو مشيرًا أو قديرًا أو أبًا أو رئيس السلام؟ فليس في الكتاب المقدس نص يذكر أنه سمي بأي من هذه الأسهاء.

ب- فإن قالوا: المراد أن هذه صفات هذا الابن الموعود، فهي أيضًا لا تنطبق على المسيح بحال، فهي تتحدث عن نبي غالب منتصر يملك على قومه، ويكون وارثًا لملك داود، وكل هذا ممتنع في حق المسيح، ممتنع بدليل الواقع والنصوص.

فالمسيح الطِّيِّلالم يملك على قومه يومًا واحدًا، بل كان فارًا من بني إسرائيل، خائفا من بطشهم، كما هرب من قومه حين أرادوه أن يملك عليهم. " وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا، انْصَرَفَ أيضًا إِلَى الجُبَلِ وَحْدَهُ. " (يوحنا ٦/ ١٥).

لقد هرب منهم، وذلك لأن مملكته ليست دنيوية زمانية، ليست على كرسي داود، بل هي مملكة روحية في الآخرة " أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ

<sup>(</sup>١) انظر: هل الكتاب المقدس كلمة الله؟ أحمد ديدات، ص (٢٤-٢٥).

مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلكِنِ الآنَ لَيْسَتْ تَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا " (يوحنا ١٨/ ٣٦).

د- ثم إن إشعيا يتحدث عن شخص قدير، وليس عن بشر محدود لا يقدر أن يصنع من نفسه شيئًا كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ " (يوحنا ٥/ ٣٠)، شيئًا كَمَا قَالَ عن نفسه: " أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ " (يوحنا ٥/ ٣٠)، وفي نص آخر يقول لليهود: " الحُقَّ الحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَنُ يَعْمَلُ مِنْ الْفَسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ . " (يوحنا ٥/ ١٩).

ه- ثم إن الكتاب المقدس يمنع أن يكون المسيح ملكًا على بني إسرائيل، فقد حرم الله الملك على ذرية الملك الفاسق يهوياقيم بن يوشيا أحد أجداد المسيح، فقد ملك على مملكة يهوذا، فأفسد، فقال الله فيه: " هكذًا قَالَ الرَّبُّ عَنْ يَهُويَاقِيمَ مَلِكِ يَهُوذَا: لاَ يَكُونُ لَهُ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ، وَتَكُونُ جُثَتَهُ مَطْرُوحَةً لِلْحَرِّ نَهَارًا، وَلِلْبَرْدِ لَيْلًا. وَأَعَاقِبُهُ وَنَسْلَهُ وَعَبِيدَهُ عَلَى إِثْمِهِمْ، " (إرميا ٣٦/ ٣٠ - ٣١).

والمسيح - حسب الأناجيل - من ذرية هذا الملك الفاسق، يقول متى في سياق نسب المسيح: " وَآمُونُ وَلَدَ يُوشِيًّا وَيُوشِيًّا وَلَدَ يَكُنْيًا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ. " (متى ١٠-١١)، وقد أسقط متعمدًا اسم يهوياقيم، فذكر أباه يوشيا، وابنه يكينيا،. وبيان ذلك في سفر الأيام الأول " وَبَنُو يُوشِيًّا: الْبِكُرُ يُوحَانَانُ، الثَّانِي يَهُويَاقِيمُ، الثَّالِثُ صِدْقِيًّا، الرَّابِعُ شَلُّومُ. وَابْنَا يَهُويَاقِيمَ: يَكُنْيًا ابْنُهُ وَصِدْقِيًّا ابْنُهُ. " (الأيام (١) ٣/ ١٤-١٥)، فيهوياقيم أحد أجداد المسيح، وهذا يمنع تحقق نبوءة إشعيا في المسيح، فالملك القادم لن يكون من ذرية المحروم يهوياقيم.

الوجه الثالث: إطلاقات لفظ الألوهية والربوبية في الكتاب المقدس لا يدل على ألوهية المسيح لأنها أطلقت على غيره من المخلوقات وإليك البيان.

أ. إطلاقها على الملائكة فقد جاء في سفر القضاة، وهو يحكي عن ظهور ملاك الرب لمنوح وزوجه: " وَلَمْ يَعُدْ مَلاَكُ الرَّبِّ يَتَرَاءَى لِمُنُوحَ وَامْرَأَتِهِ. حِينَئِذِ عَرَفَ مَنُوحُ أَنَّهُ مَلاَكُ الرَّبِّ. " فَقَالَ مَنُوحُ لامْرَأَتِهِ: «نَمُوتُ مَوْتًا لأَنْنَا قَدْ رَأَيْنَا الله " (القضاة ١٦/ ٢١-٢٢)، ومراده ملاك الله. وظهر ملاك الله لسارة وبشرها بإسحاق " وَقَالَ لَمَا مَلاَكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْهَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَ قَدْ سَمِعَ لَمَذَلَّتِكِ. " وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ " (التكوين ١٦/ ١١ – ١٣) فأطلقت على الملاك اسم الرب.

ومثله تسمية الملاك الذي صحب بني إسرائيل في رحلة الخروج بالرب "وكان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلًا في عمود نار ليضيء لهم. . . فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم " (الخروج ١٦/١٣- ١٩/١٤)، فسمى الملاك ربًا.

ب. ومن ذلك إطلاق كلمة الرب على الأنبياء، من غير إرادة معناها الحقيقي، فقد قال الله لموسى عن هارون: " وَهُو يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلْمًا. " (الخروج ١٦/٤). ومثله في قول الله لموسى: " فَقَالَ الرَّبُّ لُمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلْمًا لِفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ. " (الخروج ٧/١) أي: مسلطا عليه. وقد عهد تسمية الأنبياء (الله) عَازًا أي رسل الله، فقد " كَانَ يَقُولُ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَهَابِهِ لِيَسْأَلُ الله: «هَلُمَّ نَذْهَبْ إِلَى الرَّائِي». لأَنَّ النَّبِيَّ الْيَوْمَ كَانَ يُدْعَى سَابِقًا الرَّائِي. " (صموئيل (١) ٩/٩).

 ومثله " الله قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ الله. فِي وَسْطِ الآلِمَةِ يَقْضِي: ٢ «حَتَّى مَتَى تَقْضُونَ جَوْرًا وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الأَشْرَارِ؟ " (المزمور ٢٨/٢: ١)، والحديث كها هو ظاهر من السياق عن أشراف بني إسرائيل وقضاتهم. بل يمتد هذا الإطلاق ليشمل كل بني إسرائيل كها في قول داود في مزاميره: " أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. ٢لكِنْ مِثْلَ النَّاسِ مَمُوتُونَ " (المزمور ٢٨/٢)، وهذا الذي استشهد به عيسى الطَّيِّ عَلَّكُمْ تَالَيْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ وَلاَ نَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ لا ولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ الله، وَلاَ يَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلَهِةٌ ؟ " إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ الله، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ المُكْتُوبُ، " فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ مُحْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ المُكْتُوبُ، " فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ مُنْ اللهُ؟ " (يوحنا ١٠/٣٤: ٣٤).

هـ وأطلقت على الشياطين، والآلهة الباطلة للأمم، فقد سمى بولس الشيطان إلمًا، كما سمى البطن إلها، وأراد المعنى المجازي، فقال عن الشيطان: "إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح" (كورنثوس (٢) ٤/٥)، وقال عن الذين يتبعون شهواتهم ونزواتهم: "الذين إلههم بطنهم، ومجدهم في خزيهم. . " (فيلبي ٣/ ١٩). ومثله ما جاء في المزامير " لأنّي أنّا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ الرَّبَّ عَظِيمٌ، وَرَبَّنَا فَوْقَ جَمِيعِا لآلِيةِ. " (المزمور ١٣٥/ ٥)، وألوهية البطن وسواها ألوهية مجازية غير حقيقية.

وجاء في " شرح أصول الإيمان ": " موسى تسمى (إلها) من الله ذاته، دلالة على نيابته عن الباري لدى فرعون، وليس لكونه اتصف بصفات إلهية، وكذلك القضاة تسموا (آلهة) لكونهم ينفذون مقاصد الله، وأما الأصنام والبطن والمال، فقد سميت بذلك لاتخاذ بعض الناس إياها آلهة، والشيطان تسمى (إلها) لتسلطه على العالم الحاضر "(١)

١١ - كما أن المسيح المسلح وهو يسمع بمثل هذه الاستعارات والآلهة المجازية أوضح بأن ثمة إلهًا حقيقيًا واحدًا، هو الله، فقال: " وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ اللَّسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. " (يوحنا ١٧/٣)، وهي ما تعني بوضوح

<sup>(</sup>١) شرح أصول الإيمان، الدكتور القس أندرواس واطسون، والدكتور إبراهيم سعيد، ص (٤٤).

فهذه لغة الكتاب المقدس في التعبير، والتي يخطئ من يصر على فهم الفاظها حرفيًا كما يخطئ أولئك الذين يفرقون بين المتشابهات، فالوهية هؤلاء جميعا مجازية، وكذا الوهية المسيح، سواء بسواء. (')

ثانيًا: نصوص بنوة السيح لله

وتتحدث نصوص إنجيلية عن المسيح الكلام، وتذكر أنه ابن الله، ويراها النصارى أدلة صريحة على ألوهية المسيح، فهل يصح هذا الاستدلال منهم؟ وما هو معنى البنوة لله؟ والجواب من وجوه:

الوجه الأول: معنى البنوة الصحيح.

١- إن المعنى المقصود للبنوة في كل ما قيل عن المسيح العَيْنُ وغيره إنها هو معنى مجازي بمعنى حبيب الله أو مطيع الله، أو المؤمن بالله. لذلك قال مرقس وهو يحكي عبارة قائد المائة الذي شاهد المصلوب وهو يموت فقال: "حقًا كان هذا الإنسان ابن الله" (مرقس ١٩/١٥). ولما حكى لوقا القصة نفسها أبدل العبارة بمرادفها فقال: "بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا" (لوقا ٢٧/٢٣).

٢- ومثل هذا الاستخدام وقع من يوحنا حين تحدث عن أولاد الله المؤمنين، فقال:
 "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنين باسمه" ٣- (يوحنا ١/٢١)، ونحوه في قول بولس: "كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (غلاطية ٨/١٤).

٤ - ومثل هذا الإطلاق المجازي للبنوة معهود في الكتب المقدسة التي تحدثت عن أبناء الشيطان، وأبناء الدهر (الدنيا) (انظر يوحنا ٨/ ٤٤، لوقا ١٦/٨).

<sup>(</sup>١) وفي كتاب "مرشد الطالبين": وأما اصطلاح الكتاب المقدس؛ فإنه ذو استعارات وافرة غامضة خاصة العهد العتيق. واصطلاح العهد العالي عند المعدد الجديد أيضا هو استعاري جدا، وخاصة مسامرات مخلصنا، وقد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمي النصارى شرحوها شرحا حرفيا. . . " وانظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٣/ ٧٠٢).

وأما المعنى الحقيقي للبنوة فقد نطقت به الشياطين، فانتهرها المسيح، ففي إنجيل لوقا " وَكَانَتْ شَيَاطِينُ أَيضًا تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ: «أَنْتَ المُسِيحُ ابْنُ الله! » فَانْتَهَرَهُمْ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَنَّهُ المُسِيحُ. " (لوقا ٤ / ٤١)، فهو المسيح فَانْتَهَرَهُمْ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَنَّهُ المُسِيحُ. " (لوقا ٤ / ٤١)، فهو المسيح فحسب، وليس ابن الله على الحقيقة.

٥- وبناء على هذا المعنى يرى البعض أن المقصود في العهد القديم والجديد بابن الله هو محمد على وهي كلها بشارات بالنبي على وببعثته ولكن اليهود ومن بعدهم النصارى قاموا بعمليات تحريف في كتابهم حتى يصرفوا هذه البشارات عن النبي على وحتى يجعلوها في ولد إسحاق لافي ولد إسماعيل (١).

### الوجه الثاني: هل سمى المسيح نفسه ابن الله؟

أول ما يلفت المحققون النظر إليه أنه لم يرد عن المسيح الحَيِّ في الأناجيل- تسميته لنفسه بابن الله سوى مرة واحدة في يوحنا (١٠/٣٦)، وفيها سوى ذلك فإن الأناجيل تذكر أن معاصريه، وتلاميذه كانوا يقولون بأنه ابن الله.

لذا فإن المحققين يشككون في صدور هذه الكلمات من المسيح الكافئ الاميذه، يقول سنجر في كتابه "قاموس الإنجيل": ليس من المتيقن أن عيسى نفسه قد استخدم ذلك التعبير". ويقول شارل جنيبر: " والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين، هي: أن المسيح لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه ابن الله. . . فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية". (٢)

وقد قال العالم كولمن بخصوص هذا اللقب: "إن الحواريين الذين تحدث عنهم أعمال الرسل تأسوا بمعلمهم الذي تحفظ على استخدام هذا اللقب ولم يرغب به، فاستنوا بسنته".

ويرى جنيبر أن المفهوم الخاطئ وصل إلى الإنجيل عبر الفهم غير الدقيق من المتنصرين الوثنيين فيقول: "مفهوم "ابن الله" نبع من عالم الفكر اليونان".

<sup>(</sup>١) وانظر: في هذا كتاب أقانيم النصاري الثلاثة لأحمد حجازي السقا من ٥٥-٧٤.

<sup>(</sup>٢) انظر: المسيحية، نشأتها وتطورها صـ (٥٠).

ويرى القس السابق سليهان مفسر - ويوافقه الدكتور شارل جنيبر - أن بولس هو أول من استعمل الكلمة، وكانت حسب لغة المسيح (عبد الله) وترجمتها اليونانية servant، فأبدلها بالكلمة اليونانية pais بمعنى طفل أو خادم تقربا إلى المتنصرين الجدد من الوثنيين (١).

# الوجه الثالث: هذه النصوص مقابلة بنصوص أخرى تصف المسيح بأنه ابن الإنسان

ثم هذه النصوص التي تصف المسيح الطَّيْلَا أنه ابن الله معارضة بثلاثة وثـمانين نصًا من النصوص التي أطلقت على المسيح لقب " ابن الإنسان "، فلئن كانت تلك التي أسمته ابن الله دالة على ألوهيته فإن هذه مؤكدة لبشريته، صارفة تلك الأخرى إلى المعنى المجازي، ومنها ما يلي:

١- قول متى: " فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِب أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُّورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ " (متى ٨/ ٢٠)، وأيضًا قوله: " إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، " (مرقس ١٤/ ٢١).

٢. وقد جاء في التوراة: "ليس الله إنسانًا فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم" (العدد ٩/٢٣). فالمسيح ليس الله.

٣. وقال متى (٩/ ٨: ٢) "وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحًا عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هذَا يُجَدِّفُ! » فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: «لِكَذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِ فِي قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هذَا يُجَدِّفُ! » فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: «لِكَذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِ فِي قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: وهذَا يُجَدِّفُ! » فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟ وَلَكِنْ لِكَيْ قُلُوبِكُمْ؟ أَيُّا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ: مَعْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقالَ: قُمْ وَامْشِ؟ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا». حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «قُم الْحُلُو فَرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِك! » فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَى الجُّمُوعُ تَعَجَّبُوا وَجَدَّدُوا اللهُ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَانًا مِثْلَ هِذَا".

عننم في متى أيضًا قول عيسى لحوارييه: (١٠/ ٢٣: ١٦) "هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَم فِي وَسْطِ

<sup>(</sup>١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، رؤوف شلبي صـ (٢٦٣-٢٦٤)، عيسى رسول الإسلام، سليهان مفسر، ص (٤٤-٤٧)، المسيحية، نشأتها وتطورها، ص (٥٠).

ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءً كَا لَحْيَّاتِ وَبُسَطَاءً كَا لَحُهَامٍ. وَلَكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَمَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُوا كَيْفَ أَوْ بِهَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنْكُمْ تُعْطُونَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسُتُمْ أَنْتُمُ اللَّيَحِيمِ مِنْ أَدِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ. وَسَيُسْلِمُ الأَنْ أَكُولُ أَخَاهُ إِلَى المُوتِ، وَالأَبُ لَسُتُمْ أَنْتُمُ اللَّوْلِيمِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلَكُونُونَ مُبْعَضِينَ مِنَ الجُمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلَكُنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى المُتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ. وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هذِهِ المُدِينَةِ فَاهُرُبُوا إِلَى الأَخْورَى. فَإِنِّ وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى المُتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ. وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هذِهِ المُدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الأَخْورَى. فَإِنِّ وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى المُتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ. وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هذِهِ المُدِينَةِ فَاهُرُبُوا إِلَى الأَخْورَى. فَإِلِي أَلْتُهَى فَهذَا يَخْلُصُ. وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هذِهِ المُدِينَةِ فَاهُرُبُوا إِلَى الأَخْورَى. فَإِنِي الْمُتَهَى فَهذَا يَخْلُونَ مَنْ أَنِيلَ حَتَّى يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ "

قال متى كذلك: (١٩/١١) " لأنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَيَشْرَبُ، فَيَقُولُونَ: هُوذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَرْرٍ، مُحِبُّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْحُظَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ بَنِيهَا".

٦- متى (١٢: ٨) " فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيضًا".

٧- متى (١٢: ٣٢) " وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ، لاَ فِي هذَا الْعَالَم وَلاَ فِي الآتِي".

٨ متى (١٦ / ٢٤ : ١٣): " وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى نَوَاحِي قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ سَأَلَ تَلاَمِيذَهُ قِائِلاً: "مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟ " فَقَالُوا: "قَوْمٌ: يُوحَنَّا المُعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ: إِيلِيًا، وَآخَرُونَ: إِرْمِينَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ". قَالَ لَمُمْ: "وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ " فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطُرُسُ وَقَالَ لَهُ: "طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بُطُرُسُ وَقَالَ : "أَنْتَ هُو المُسِيحُ ابْنُ الله الحُيِّ! ". فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: "طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بُطُرُسُ وَقَالَ : "أَنْتَ هُو المُسِيحُ ابْنُ الله الحُيِّ! ". فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: "طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بُطُرُسُ وَقَالَ : "أَنْتَ هُو المُسِيحُ ابْنُ الله الحُيِّ! ". فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: "طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بُطُرُسُ وَقَالَ : "أَنْتَ هُو المُسِيحُ ابْنُ الله الحُيِّ أَبِي الَّذِي فِي السَّهَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيضًا: أَنْتَ بُطُرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبُوابُ الجُحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. وَأَعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَى السَّهَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّهَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّهَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَمْ بِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّهَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَوْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّهَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَكْ بِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّهَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَوْبُولُ الْمَاسِمُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَنْ يَلْهُ عَلَى الْأَرْضُ يَكُونُ مَنْ يَلْهُ وَلُوا لاَ عَدِ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَالِي الْمَالِيمَ وَيَتَأَلَّا اللهُ الْمُؤْلِقُ الْمَالِيمَ وَيَتَأَلَمُ الْمَالِيمَ وَيَتَأَلَّمُ اللّهُ الْمَالِقُ الْمَالِقُ الْمَالِيمَ وَيَتَأَلَمُ اللهَ الْمُؤْلِقُ الْمَالِيمَ وَيَتَأَلِّهُ الْمَالِقُ الْمُؤْلِقُ الْمَالِكُ الْمُؤْلُولُولُ الْمَالِقُ الْمَالِقُ الْمَالِقُ الْمُؤْلُولُ الْمَالِقُ الْمَالِيمَ الْمَالِي الْمَالِقُ الْمُؤْلُولُ الْمَنْسُوعُ الْمَالِقُولُ الْمُؤْلُولُ الْمَوْلُ الْمَالِيمُ الْمُلِكِ الْمَالِعُ الْمَلْمُ الْمُؤْل

كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنتَهِرُهُ قَائِلًا: «حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا! » فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «اذْهَبْ عَنِّي وَابْتَدَأَ يَنتَهِرُهُ قَائِلًا: «حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا! » فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: «اذْهَبْ عَنِي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنْكَ لاَ تَهْتَمُّ بِهَا لله لكِنْ بِهَا لِلنَّاسِ». حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: «إِنْ أَرَادَ أَحَدُ أَنْ يَأْتِي وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتُبَعْنِي ".

وفي هذا النص أن الذي وصفه بأنه ابن الله هو بطرس مخالفًا بذلك أصحابه ثم وصفه عيسى في آخر النص بأن شيطان وفي نفس السياق والقصة صرح المسيح بأنه ابن الإنسان كما في:

٩. متى (٢٨/١٦) " فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي جَدْ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِدِ يُجَاذِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. \* اَخْتَقَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ يُجَاذِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. \* اَخْتَقَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ اللهَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ"

1٠ متى (١٨: ١٨) " لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ".

١١ـ متى (٢٠: ٢٨) " كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ ".

11. متى (٢: ٢) " تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ".

١٣. متى (٢٦: ٤٥) " ثُمَّ جَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَمُمْ: «نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! هُوذَا السَّاعَةُ قَدِ اقْتَرَبَتْ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي الْخُطَاةِ".

# الوجه الرابع: لقد ذكر الكتاب المقدس أبناء كُثر لله، فهل هم أيضًا آلهة؟

ولفظ البنوة الذي أطلق على المسيح أطلق على كثيرين غيره، ولم يقتض ذلك ألوهيتهم، بل حملت بنوتهم على المعنى المجازي، أي المؤمنين والصالحين، منهم:

١ - آدم الذي قيل فيه: "آدم ابن الله" (لوقا ٣/ ٣٨).

 $Y - e^{-1}$  ومثله قوله لداود: " أنت ابني، أنا اليوم ولدتك " (المزمور Y / Y).

٣- وسليمان أيضًا قيل أنه ابن الله، فقد جاء في سفر الأيام عنه: "هو يبني لي بيتًا ...أنا
 أكون له أبًا، وهو يكون لي ابنًا" (الأيام (١) /١٧/ ١٣- ١٣).

٤- كما سمى لوقا الملائكة أبناء الله لشيوع مثل هذه الاستخدام في الصدر الأول

للمسيحية "مثل الملائكة وهم أبناء الله " (لوقا ٢٠/٣٦).

٥ - وسمت النصوص أيضًا آخرين أبناء الله، أو ذكرت أن الله أبوهم، ومع ذلك لا يقول النصارى بألوهيتهم. فالحواريون أبناء الله، كها قال المسيح عنهم: " وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلِمِي وَإِلْمِكُمْ " (يوحنا ٢٠/١٠).

٦- وقال للتلاميذ أيضًا: " فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ
 كَامِلٌ" (متى ٥/ ٤٨).

٧- وعلمهم المسيح أن يقولوا: "فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. . . " (متى ٦/٩)، وقوله: " أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه" (متى ٦/١١)، فكان يوحنا يقول: " انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله" (يوحنا (١)٣/١).

٨- بل واليهود أيضًا كلهم أبناء الله، كما يوضحه قول المسيح لليهود: "أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالُ أَبِيكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الله" (يوحنا ٨/ ٤١).

٩- وفي سفر هوشع "لكِنْ يَكُونُ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُكَالُ وَلاَ يُعَدُّ، وَيَكُونُ عِوَضًا عَنْ أَنْ يُقَالَ لَمَهُمْ: لَسْتُمْ شَعْبِي، يُقَالُ لَمَهُمْ: أَبْنَاءُ الله الحُيِّ" (هوشع السلم).
 ١٠/١).

١٠ - ونحوه قال عنهم: "لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي. " (هوشع ١١/١).

١١ - ومن ذلك أيضًا ما جاء في سفر الخروج عن جميع شعب " فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ. " فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فأبيت" (الخروج ١/٢٢).

١٢ - وخاطبهم داود قائلًا: "قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ الله، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ بَجُدًا وَعِزَّا" (المزمور ٢٩/١). ١٣ – ومثله قوله: "لأنَّهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يُعَادِلُ الرَّبِّ. مَنْ يُشْبِهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ الله؟ " (المزمور ٨٩/٦).

١٤ - وفي سفر أيوب: "وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو الله لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِ" (أيوب
 ١٢).

كما نرى في التوراة هذا الإطلاق على الشرفاء من غير أن يفهم منه النصارى أو غيرهم الأله همة الحقيقية.

10- فقد جاء فيها: "أَنَّ أَبْنَاءَ الله رَأُوا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. " (التكوين ٢/٢). وعليه فلا يمكن النصارى أن يجعلوا من النصوص المتحدثة عن بنوة المسيح لله أدلة على ألوهيته ثم يمنعوا إطلاق حقيقة ذات اللفظ على غيره ممن وصف بذلك وتخصيصهم المسيح بالمعنى الحقيقي يحتاج إلى مرجح لا يملكونه ولا يقدرون عليه.

الوجه الخامس: بكورية المسيح بين الأبناء: لكن النصارى يرون تميزًا مستحقًا للمسيح في بنوته عن سائر الأبناء، فهم لا ينازعون في صحة الإطلاق المجازي عندما ترد لفظ البنوة بحق سائر المخلوقات.

لكن النزاع إنها يكمن في تلك الأوصاف التي أطلقت على المسيح ويثبتها النصارى على الحقيقة محتجين بأمور:

1. منها: أنه قد جاء وصف المسيح بأنه الابن البكر أو الوحيد لله. (انظر عبرانيين ٦/١)

٢. أو أنه سمى ابن الله العلى (انظر لوقا ١/ ٣٢، ٧٦).

٣-أو أنه ابن ليس مولودا من هذا العالم كسائر الأبناء، بل هو مولود من السماء، أو من فوق. (انظر يوحنا ١٨/١).

## ولكن ذلك كله تثبت النصوص أمثاله لأبناء آخرين:

١ - فَالْبَكُورِيةُ وَصَفَ بِهَا إِسْرَائِيلً" فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي

الْبِكْرُ. "فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ (الخروج ٤/ ٢٢–٢٣).

٢- وكذا إفرايم " لأنّي صِرْتُ لإِسْرَائِيلَ أَبًا، وَأَفْرَايِمُ هُوَ بِكْرِي" (إرميا ٣١/٩).
 وكذا داود " هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ، إِلِهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي. " أَنَا أَيضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا، أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ. " (المزمور ٢٦/٨٩-٢٧).

٣- ولئن قيل في المسيح أنه ابن الله العلي، فكذلك سائر بني إسرائيل "وبنو العلي
 كلكم" (المزمور ٢٨/ ٦).

الوجه السادس: الابن النازل من السماء: وتعلق مؤلهوا المسيح بها ذكرته الأناجيل عن المسيح الذي أتى من فوق أو من السهاء، و" أَلَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّهَاءِ هُوَ فَوْقَ الجُّمِيعِ" (يوحنا ٣/ ٣١)، وهم يرون صورة ألوهيته مشرقة في قوله: " أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. " (يوحنا ٨/ ٢٣)، فدل ذلك - وفق رأي النصارى - على أنه كائن إلهي فريد، وهو ابن لا كسائر الأبناء.

## والجواب على هذا من وجوه:

القصود من المجيء السهاوي، هو إتيان المواهب والشريعة لا إتيان الذات، وهو أمر يستوي به مع سائر الأنبياء، ومنهم يوحنا المعمدان فقد سأل المسيح اليهود: "مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنْ أَيْنَ كَانَتْ؟ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ » فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا: مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ لَنَا: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ "وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ، نَخَافُ مِنَ الشَّعْبِ. (متى ٢١/ ٢٥-٢٦).

٢- ومن قرأ النص كاملًا؛ تبين له ذلك، حيث جاء النص هكذا: "ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيضًا قَائِلًا: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ». "أيضًا قَائِلًا: «أَنَا هُو نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ». "أَخَابَ يَسُوعُ وَقَالَ فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: «أَنْتَ تَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَق، لأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. وَأَمَّا فَكُمْ: «وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَق، لأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. وَأَمَّا أَنَا اللَّهُ لَكُمُونَ مِنْ أَيْنَ آئِينَ أَيْنَ أَدْهَبُ. " أَنْتُمْ حَسَبَ الجُسَدِ تَدِينُونَ، أَمَّا أَنَا اللَّهُ لَكُمُونَ مِنْ أَيْنَ آئِينَ آئِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. " أَنْتُمْ حَسَبَ الجُسَدِ تَدِينُونَ، أَمَّا أَنَا اللَّهُ لَا تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ آئِينَ آئِينَ أَيْنَ أَذْهَبُ. " أَنْتُمْ حَسَبَ الجُسَدِ تَدِينُونَ، أَمَّا أَنَا اللهُ لَلْ لَا تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ آئِينَ أَيْنَ أَذْهُبُ. " أَنْتُمْ حَسَبَ الجُسَدِ تَدِينُونَ، أَمَّا أَنْ اللَّهُ عَلْمَ لَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَنْ إِلَى اللَّهُ الْمُونَ مِنْ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَذْهُبُ. " أَنْتُمْ حَسَبَ الجُسَدِ تَذِينُونَ، أَمَّا أَنَا أَنْ اللَّهُ الْمُؤْنَ مِنْ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَلَانًا أَنْ اللَّهُ الْفَرْ لَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ أَلَهُ الْمَالِقَالَ لَيْ الْمُعْرِقِيْ أَيْنَ أَيْنَ أَلِيْنَ أَيْنَ أَلْهُ أَنْ أَلَا لَهُ لَا لَا لَيْنَ أَيْنَا أَلْهُ أَيْنَ إِلَيْهُ إِلَى الْمَالَقِيْنَ الْمُونَا لَيْنَ أَنْ أَنْ أَلَى أَيْنَ الْمَالِقِيْنَ الْمَالَالَةُ أَلَا الْمَالَقِيْنَ الْمَالَقِيْنَ الْمَالَالَةُ اللَّهُ الْمَالَقَالَا لَلِي الْمَالَالَةُ أَلَالَالِكُونَا لَا الْمَالَالَةُ الْمُؤْنَا الْمَالَا لَكُونَا الْمَالَقُونَ أَلَالَتُهُمْ مَالِكُولُولُولُولُهُ الْمُؤْنَا لَنْ الْمُلْعُلُولُ الْمُلْمُ الْمُؤْنَالُولُولُولُولُ الْمُؤْنَا لَهُ أَنْ الْمُعْلَالَةُ الْمُعْلِقِيْلُ الْمُؤْمِ الْمَالَقِلَا لَلْمُعْمِلِهُ الْمُؤْلِقُ اللَّذِي الْمُلْمُ ا

فَلَسْتُ أَدِينُ أَحَدًا. ٣ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فَدَيْنُونَتِي حَق، لأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي، بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٧ وَأَيضًا فِي نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَق: ١ أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي، وَيَشْهَدُ لِي الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي». " فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ هُوَ أَبُوكَ؟ » أَجَابَ يَسُوعُ: «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أيضًا». هذَا الْكَلاَمُ قَالَهُ يَسُوعُ فِي الْخِزَانَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكُلِ. وَلَمْ يُمْسِكْهُ أَحَدٌ، لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أيضًا: «أَنَا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي، وَتَمُّوتُونَ فِي خَطِيَّتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا» ٣ فَقَالَ الْيَهُودُ: «أَلَعَلَهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولُ: حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لاَ تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟ ». ٣ فَقَالَ لَمُمْ: «أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هذَا الْعَالَم، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. " فَقُلْتُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ، لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ». ﴿ فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟ » فَقَالَ لَمُهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مِنَ الْبَدْءِ مَا أُكَلِّمُكُمْ أيضًا بِهِ. " إِنَّ لِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةً أَتَكَلَّمُ وَأَحْكُمُ بِهَا مِنْ نَحْوِكُمْ، لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَم». ﴿ وَلَمْ يَفْهَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَمُّمْ عَنِ الآبِ. \* فَقَالَ لَمُمْ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذِ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهِذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. " وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ». وَبَيْنَهَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهِذَا آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ. "فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ: «إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي، " وَتَعْرِفُونَ الْحُقَّ، وَالْحُقُّ يُحَرِّرُكُمْ». ٣ أَجَابُوهُ: «إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ نُسْتَعْبَدُ لأَحَدٍ قَطُّ! كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَارًا؟ » "أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «الْحُقَّ الْحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ. \* وَالْعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الأَبَدِ، أَمَّا الابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبِدِ. " فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الابْنُ فَبِا خُقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا. " أَنَا عَالِ ّأَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ. لَكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي لأَنَّ كَلاَمِي لاَ مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ. \* أَنَا أَتَكَلَّمُ بِهَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ». "أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ

كُنتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْهَالَ إِبْرَاهِيمَ! " وَلَكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحِتِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ الله. هذَا لَمْ يَعْمَلُهُ إِبْرَاهِيمُ. " أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّنَا لَمُ نُولَدْ مِنْ زِنًا. لَنَا أَبُّ وَاحِدٌ وَهُوَ الله». فَقَالَ لَمُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كَانَ الله أَبَاكُمْ لَكُنتُمْ تُحِبُّونَنِي، لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ الله وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي. " لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كَلاَمِي؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلي. " أَنْتُمْ مِنْ أَبِ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْء، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحُقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَق. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ. " وَأَمَّا أَنَا فَلاَّنِّي أَقُولُ الْحُقَّ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي. " مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحُقَّ، فَلِهَ إِذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟ \* اَلَّذِي مِنَ الله يَسْمَعُ كَلاَمَ الله. لِذلِكَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَسْمَعُونَ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الله». فَأَجَابِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَنًا: إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ؟ » " أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنَا لَيْسَ بِي شَيْطَانٌ، لكِنِّي أُكْرِمُ أَبِي وَأَنْتُمْ تُمِينُونَنِي. " أَنَا لَسْتُ أَطْلُبُ مَجْدِي. يُوجَدُ مَنْ يَطْلُبُ وَيَدِينُ. " اَلْحُقَّ الْحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْفَظُ كَلاَمِي فَلَنْ يَرَى المُوْتَ إِلَى الأَبْدِ». " فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: الآنَ عَلِمْنَا أَنَّ بكَ شَيْطَانًا. قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالأَنْبِيَاءُ، وَأَنْتَ تَقُولُ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِي فَكَنْ يَذُوقَ المُوْتَ إِلَى الأَبَدِ. " أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ وَالأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟ » ' أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أُمَِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ جَدْدِي شَيْئًا. أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي، الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلْمُكُمْ، ﴿ وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. وَأَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ. وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا، لَكِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَحْفَظُ قَوْلَهُ. " أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ». ° فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟ » ° قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الحُقَّ الْحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ". ٥ فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكُلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هَكَذَا" (يوحنا ٨/٥٥: ١٢). " وَفِيهَا هُوَ مُجُتَّازٌ رَأَى إِنْسَانًا أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ، 'فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ

أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبُوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟ ». "أَجَابَ يَسُوعُ: «لا هذَا أَخْطأَ وَلا أَبُوَاهُ، لكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ الله فِيهِ. ' يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. ° مَا دُمْتُ فِي الْعَالَم فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ». قَالَ هذَا وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَي الأَعْمَى. ﴿ وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: مُرْسَلٌ، فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيرًا. فَالْجِيرَانُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ قَبْلًا أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى، قَالُوا: «أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَيَسْتَعْطِي؟ » 'آخَرُونَ قَالُوا: «هذَا هُوَ». وَآخَرُونَ: «إِنَّهُ يُشْبِهُهُ». وَأَمَّا هُوَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنَا هُوَ». ﴿ فَقَالُوا لَهُ: «كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟ » "أَجَابَ ذَاكَ وقَالَ: «إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ يَسُوعُ صَنَعَ طِينًا وَطَلَى عَيْنَيَّ، وَقَالَ لِي: اذْهَبْ إِلَى بِرْكَةِ سِلْوَامَ وَاغْتَسِلْ. فَمَضَيْتُ وَاغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ». " فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ ذَاكَ؟ » قَالَ: «لاَ أَعْلَمُ». فَأَتُوا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ بِالَّذِي كَانَ قَبْلًا أَعْمَى. " وَكَانَ سَبْتٌ حِينَ صَنَعَ يَسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ. " فَسَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ أيضًا كَيْفَ أَبْصَرَ، فَقَالَ لَمُّمْ: "وَضَعَ طِينًا عَلَى عَيْنَيَّ وَاغْتَسَلْتُ، فَأَنَا أُبْصِرُ ». " فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ: «هذَا الإِنسَانُ لَيْسَ مِنَ الله، لأَنَّهُ لاَ يَحْفَظُ السَّبْتَ». آخَرُونَ قَالُوا: «كَيْفَ يَقْدِرُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ هذِهِ الآيَاتِ؟ » وَكَانَ بَيْنَهُمُ انْشِقَاقُ. ٣ قَالُوا أيضًا لِلأَعْمَى: «مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟ » فَقَالَ: «إِنَّهُ نَبِيٌّ! ». ^ فَلَمْ يُصَدِّقِ الْيَهُودُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى فَأَبْصَرَ حَتَّى دَعَوْا أَبُوَيِ الَّذِي أَبْصَرَ. " فَسَأَلُوهُمَا قَائِلِينَ: «أَهذَا ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولاَنِ إِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى؟ فَكَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ؟ » " أَجَابَهُمْ أَبُوَاهُ وَقَالاً: «نَعْلَمُ أَنَّ هذَا ابْنُنَا، وَأَنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى. " وَأَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ فَلاَ نَعْلَمُ. أَوْ مَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلاَ نَعْلَمُ. هُوَ كَامِلُ السِّنِّ. اسْأَلُوهُ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَفْسِهِ». " قَالَ أَبُوَاهُ هذَا لأَنَّهُمَا كَانَا يَخَافَانِ مِنَ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ تَعَاهَدُوا أَنَّهُ إِنِ اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ الْسِيحُ يُخْرَجُ مِنَ الْمُجْمَعِ. " لِذلِكَ قَالَ أَبُوَاهُ: «إِنَّهُ كَامِلُ السِّنِّ، اسْأَلُوهُ». فَدَعَوْا ثَانِيَةً الإِنْسَانَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى، وَقَالُوا لَهُ: «أَعْطِ مَجْدًا لله. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ هذَا الإِنْسَانَ خَاطِئٌ». " فَأَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: «أَخَاطِئٌ هُوَ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. إِنَّهَا أَعْلَمُ شَيْئًا

وَاحِدًا: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ». " فَقَالُوا لَهُ أَيضًا: "مَاذَا صَنَعَ بِكَ؟ كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟ » " أَجَابَهُمْ: "قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِلَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيضًا؟ أَلَعَلَّكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا. لِلَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا أَيضًا؟ أَلَعلَّكُمْ أَنَّمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَصِيرُوا لَهُ تَلاَمِيذَ؟ » " فَشَتَمُوهُ وَقَالُوا: "أَنْتَ تِلْمِيذُ ذَاكَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا تَلاَمِيذُ فَاكَ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا تَلاَمِيذُ مُوسَى. " نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ الله، وَأَمَّا هذَا فَهَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُو ». " أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَمُهُمْ: "إِنَّ فِي هذَا عَجَبًا! إِنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ هُو، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيْ. " الرَّجُلُ وَقَالَ لَمُهُ الله لاَ يَسْمَعُ لِلْخُطَاةِ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَقِي الله وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ، فَلِهذَا يَسْمَعُ وَنَعْلَ مَشِيئَتَهُ، فَلِهذَا يَسْمَعُ لَلْخُطَاةِ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَقِي الله وَيَفْعَلُ مَشِيئَتَهُ، فَلِهذَا يَسْمَعُ لَ مُنْذُا لللَّهْ لِا يَسْمَعُ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى. " لَوْ لَمْ يَكُنْ هذَا مِنَ الله لَمْ يَقُدِرْ أَنْ الله لَمْ يَقُدِرْ أَنْ الله لَمْ يَقُدِرْ أَنْ الله لاَ يَسْمَعُ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى. " لَوْ لَمْ يَكُنْ هذَا مِنَ الله لَمْ يَقُدِرْ أَنْ اللهُ لَمْ يَكُنْ هذَا مِنَ الله لَمْ يَقُدِرْ أَنْ

النص وهو عبارة عن مناظره بين المسيح وبين اليهود، وهو يدعوهم إلى الإيهان به، وفيه أكثر من موضع صريح وواضح في كونه إنسان وبشر، وليس إله ومن ذلك ما يلي:

- ١ قوله في ٨-١: "، بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي "فهذا صريح في كونه مرسل وأنه غير الآب (الإله)
- ٢- قوله: "وَأَيضًا فِي نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَق: ١ أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي، وَيَشْهَدُ لِي الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي ". ففي هذا أنهم طلبوا منه شهادة، فقال لهم إن في ناموسكم: إن شهادة رجلين حق، فجعل نفسه شاهدًا، والآب الذي أرسله شاهدا آخر، وهذا صريح في أن مرسل أو أنه غير الآب.
- ٣- قوله في (٨-٢٦): " لكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق. وَأَنَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَهذَا أَقُولُهُ لِلْعَالَم "فهذا أيضًا صريح في كونه مرسل ولايقول لهم إلا ما سمعه.
- ٤ قوله في (٨: ٢٨): " فَقَالَ لَمُ مُ يَسُوعُ: «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذِ تَفْهَمُونَ أَنِي أَنَا هُوَ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ نَفْسِي، بَلْ أَتَكَلَّمُ بِهِذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. ". وهذا صريح في أنه ابن الإنسان، وأنه مرسل، ولا يتكلم بشي من عند نفسه.
- ٥- قوله في (٨: ٤٠): " وَلَكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ

بِالْحُقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ الله". وهذا واضح وصريح في قوله وأنا إنسان!

٦ - قوله (٨: ٥٤): " أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أُجِّدُ نَفْسِي فَلَيْسَ جَبْدِي شَيْئًا. أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي، الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلْمُكُمْ". فلو كان إلها فلم لا يمجد نفسه؟

٧- قوله (٨: ٥٩): " فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ
 مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هكَذَا ". فلو كان إلهًا لماذا هرب منهم واختفى؟

٨- ولما طلى عين الأعمى بالطين وأمره بالاغتسال، ففعل وانفتحت عيناه وسأله اليهود عن عيسى فقال كها جاء في إنجيل يوحنا (٩: ١٧) "قالوا أيضًا للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك فقال أنه نبي ".

فها هو الأعمى قد صرح بأنه نبي، كل هذا في سياق هذه المناظرة التي اجتزؤا منها قوله؛ إنه ليس من هذا العالم لأنه من فوق، وليس فيها تصريح بأنه إله، وفي هذه النصوص التصريح بأنه نبي إنسان مرسل.

٣- وأما النازلون على الحقيقة من الساء فهم كثر، ولا تعتبر النصارى أيا منهم آلهة، منهم الملائكة، "لأن ملاك الرب نزل من السهاء" (متى ٢٨/٢). وكذا صعد أخنوخ إلى السهاء " وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ الله، وَلَمْ يُوجَدُّ لأَنَّ الله أَخَدَهُ. " (التكوين ٥/ ٢٤)، ومن المعلوم أن " وَلَيْسَ أَحَدُّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُو فِي السَّمَاءِ. " (يوحنا ٣/ ١٣)، فأخنوخ مثله، ولا يقولون بألوهيته. وكذا إيليا صعد إلى السهاء " " (يوحنا ٣/ ١٣)، فأخنوخ مثله، ولا يقولون بألوهيته. وكذا إيليا صعد إلى السهاء " فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ. " (الملوك (٢) ٢/ ١١). كما تذكر الأناجيل أن التلاميذ، هم أيضًا مولودون من فوق أو من الله، أي هم مؤمنون به، ففي يوحنا: " وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ شُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ الله، أي المُؤمنون بِاسْمِهِ الوحنا ١/ ١٢). فالمقصود بالولاد، الولاد الروحي، بحيث يتغير قلب الإنسان الخاطئ تغيرًا عظيًا كاملًا مستمرًا، كأنه ولد ثانية، ويحدث ذلك عند توبته وإيهانه. والمؤمنون بالمسيح الطَّيُّ مولودون من فوق بها أعطاهم الله من الإيهان، فهم كسائر المؤمنين كها قال بالمسيح الطَّيُّ مولودون من فوق بها أعطاهم الله من الإيهان، فهم كسائر المؤمنين كها قال

المسيح: " الحُقَّ الحُقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ الله " (يو حنا ٣/٣).

قال: " كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح، فقد ولد من الله" (يوحنا (١) ١/٥). وقال: " كل من يصنع البر مولود منه" (يوحنا (١) ٢٩/٢).

وقول المسيح السلام الناس المستعلائه على العالم "ليس دليلًا على الألوهية بحال، فمراده اختلافه عن سائر البشر باستعلائه على العالم المادي، بل هو من فوق ذلك الحطام الذي يلهث وراءه سائر الناس. وقد قال مثل هذا القول في حق تلاميذه أيضًا بعد أن لمس فيهم حب الآخرة والإعراض عن الدنيا، فقال: " لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُ فيهم حب الآخرة والإعراض عن الدنيا، فقال: " لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُ في في الْعَالَمُ وَلَكِنْ لاَنْكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمُ بَيْ الْعَالَمُ الله الله والْعَالَمُ الْعَالَمُ الله والله والله

#### ثالثًا: نصوص الحلول الإلهي في المسيح

ويرى النصارى أن بعض النصوص المقدسة تفيد حلولًا إلهيًا في عيسى الطَّيْل، منها قوله: "لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يوحنا ١٠/٣٨)، وفي موضع آخر " الذي رآني فقد رأى الآب. . . الآب الحال في " (يوحنا ١٤/٩-١٠)، ويبقى أقوى أدلة النصارى على ألوهية المسيح قوله: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠/٩٠).

فهذه النصوص أفادت - حسب قول النصارى - أن المسيح هو الله، أو أن حلولًا إلهيًا حقيقيًا لله فيه.

والجواب من وجوه:

١ اللَّهُ تعالى يَحُل فيمن آمن بيسوع ولهذا فحلول الله على مخلوقاته كما في

### كتابهم المقدس لابد أن يكون مجازيًا:

وقد تتبع المحققون هذه النصوص، فأبطلوا استدلال النصارى بها، وبينوا سوء فهمهم لها. فأما ما جاء من ألفاظ دلت على أن المسيح قد حل فيه الله – على ما فهمه النصارى – فإن فهمهم لها مغلوط؛ ذلك أن المراد بالحلول حلول مجازي كها جاء في حق غيره بلا خلاف، ونقول مثله في مسألة الحلول في المسيح.

فالله - حسب الكتاب المقدس- يحل في كثيرين، أي حلول المواهب الإلهية، لا حلول ذاته العلية التي تتنزه عن الحلول في المخلوقات المحدودة، فقد جاء في رسالة يوحنا " مَنِ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ الله، فَاللهُ يَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي الله. ١٦ وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الله عَرَفَنَا وَصَدَّقْنَا الله عَبَّةُ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الله عَبَّة، يَثْبُتْ فِي الله وَالله فِيهِ. " (يوحنا ٤/ ١٥- المُحَبَّة التِي لله فِينَا. الله عَبَّة، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي المُحبَّة، يَثْبُتْ فِي الله وَالله فِيهِ. " (يوحنا ٤/ ١٥- ١٥)، فحلول الله في الذين اعترفوا بالمسيح ليس بحلول ذوات، وإلا كانوا جميعًا آلهة.

ومثله؛ فإن الله يحل مجازًا في كل من يحفظ الوصايا ولا يعني ذلك ألوهيتهم، ففي رسالة يوحنا: "ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه، وهو فيه، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا" (يوحنا (١) ٣/ ٢٤)، فليس المقصود تقمص الذات الإلهية لهؤلاء الصالحين، بل حلول هداية الله وتأييده عليهم.

وكذا الذين يحبون بعضهم لله؛ فإن الله يحل فيهم برحمته، لا بذاته "إن أحب بعضنا بعضًا فالله يثبت فينا، ومحبته قد تكملت فينا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه، وهو فينا" (يوحنا (١) ٤/ ١٢ – ١٣).

وكما في قوله عن التلاميذ: " أنا فيهم، وأنت في" (يوحنا ٢٢/١٧). ومثله يقول بولس عن المؤمنين: "فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكُلُ الله الحُيِّ، كَمَا قَالَ الله: «إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بولس عن المؤمنين: "فإنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكُلُ الله الحُيِّ، كَمَا قَالَ الله: «إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ هَمَّمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. " (كورنثوس (٢) ٢١/١)، ويقول: "وأما أنتم فجسد المسيح" (كورنثوس (١) ٢١/ ٢٧)، فالحلول في كل ذلك مجازي. فقد أفادت هذه النصوص – بحسب زعمهم – حلولًا إلهيًا في كل المؤمنين، وهذا الحلول هو حلول

مجازي بلا خلاف، أي حلول هدايته ومواهبه وتوفيقه، ومثله الحلول في المسيح، ومن زعم الفرق وجب عليه إحضار الدليل.

## ٢\_ كما تذكر التوراة حلول الله\_ وحاشاه \_ في بعض مخلوقاته على الحقيقة.

ولا تقول النصارى بألوهية هذه الأشياء، ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج "المكان الذي صنعته يا رب لسكنك" (الخروج ١٥/١٥)، فقد حل وسكن في جبل الهيكل، ولا يعبد أحد ذلك الجبل.

وفي المزامير: "لَمَاذَا أَيَّتُهَا الجِبَالُ الْمُسَنَّمَةُ تَرْصُدْنَ الجُبَلَ الَّذِي اشْتَهَاهُ الله لِسَكَنِهِ؟ بَلِ الرَّبُّ يَسْكُنُ فِيهِ إِلَى الأَبَدِ. " (المزمور ١٦/٦٨).

٣- ولعل من أهم نصوص الحلول المزعوم قول المسيح: "أنا والآب واحد" (يوحنا ٢٠/ ٣٠)،
 ٣٠/ ٢٠)، وقوله: "من رآني فقد رأى الآب" (يوحنا ٢١٤)،

الم قول السيح: "أنا والآب واحد"، القول المنسوب إلى المسيح: "أنا والآب واحد" أهم ما يتعلق فيه أولئك الذين يقولون بألوهية المسيح، وقد فهموا منه وحدة حقيقية جهر بها المسيح أمام اليهود، وفهموا منه أنه يعني الألوهية لذاته. ولفهم النص؛ نعود فنقرأ السياق من أوله، فنرى بأن المسيح المني كان يتمشى في رواق سليان في عيد التجديد"فَاحْتَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: "إِلَى مَتَى تُعَلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ المُسِيحَ فَقُلْ لَنَا جَهْرًا». "أَجَابَهُمْ اللّهُودُ وَقَالُوا لَهُ: "إِلَى مَتَى تُعلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ المُسِيحَ فَقُلْ لَنَا جَهْرًا». "أَجَابَهُمْ اللّهُودُ وَقَالُوا لَهُ: "إِلَى مَتَى تُعلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ المُسِيحَ فَقُلْ لَنَا جَهْرًا». "أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: "إِنِي قُلْتُ لَكُمْ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ لاَنْكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي، كَمَا قُلْتُ لَكُمْ. "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَنْبَعُنِي. "وَأَنَا أَعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَبْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَغْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. وَالآبِي الَّذِي أَعْطَافِي إِيَّاهَا هُو أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي الَّذِي أَعْطَافِي إِيَّاهَا هُو أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي اللّذِي أَعْطَافِي إِيَّاهَا هُو أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. "أَبِي الَّذِي أَعْطَافِي إِيَّاهَا هُو أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي اللّذِي إِلَى الأَبْدِ، وَلاَ يَوْدَلُ الْوَلَيْ الْأَبْدِ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي . "أَنَا أَوْدِي الْكُلُولُ وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي . "أَنَا أَولاً وَدُ" (يوحنا ١٠ / ٢٤ - ٣٠).

فالنص من أوله يتحدث عن قضية معنوية مجازية(١) فخراف المسيح أي تلاميذه

<sup>(</sup>١) يرى القس جيمس أنس أنه ينبغي أن تفسر النصوص تفسيرًا مجازيًا إذا كان في سفر مملوء بالاستعارات

يتبعونه، فيعطيهم الحياة الأبدية، أي الجنة، ولن يستطيع أحد أن يخطفها منه (أي يبعدها عن طريقه وهدايته) لأنها هبة الله التي أعطاه إياها، ولا يستطيع أحد أن يسلبها من الله الذي هو أعظم من الكل، فالله والمسيح يريدان لها الخير، فالوحدة وحدة الهدف لا الجوهر. لكن اليهود في رواق سليهان، كان فهمهم لكلام المسيح سقيها - أشبه ما يكون بفهم النصاري له - لذا " تناول اليهود أيضًا حجارة ليرجموه. . لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلمًا". فعرف المسيح الكَلِّيخطأ فهمهم لكلامه، واستغرب منهم، كيف فهموا هذا الفهم وهم يهود يعرفون لغة الكتب المقدسة في التعبير المجازي فأجابهم: " أليس مكتوبا في ناموسكم: أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ " ومقصده ما جاء في مزامير داود: "أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ. " (المزمور ٦/٨٢). أي: فكيف تستغربون بعد ذلك مثل هذه الاستعارات، وهي معهودة في كتابكم الذي جعل بني إسرائيل آلهة بالمعنى المجازي للكلمة؟! فالمسيح أولى بهذه الألوهية المجازية من سائر بني إسرائيل" فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَم، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ الله؟ ٣ إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. (يوحنا۱۰/ ۳۷: ۳۷).

والنص في نسخة الرهبانية اليسوعية أكثر وضوحا، وفيه: "أجابهم يسوع: ألم يكتب في شريعتكم: قلت: إنكم آلهة؟ فإذا كانت الشريعة تدعو آلهة من ألقيت إليهم كلمة الله. . فكيف تقولون للذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم: أنت تجدف، لأني قلت: إني ابن الله". يقول الأب متى المسكين تعليقًا على هذه الفقرة: "المسيح يستشهد بالمزمور الثاني والثمانين: (الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي. . أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم)، فالوحي الإلهي هنا يعطي صفة الآلهة للمجمع الذي يجتمع على الحكم على أساس الحكم

التي لا تصح فيها التفسيرات الحرفية، فكيف الحال والإصحاح بين أيدينا يتحدث عن معان مجازية. انظر: علم اللاهوت النظامي، جيمس أنس، ص (٧١٣).

بكلمة الله. . يأتي ردا على ادعائهم أن كون المسيح إلها يعتبر تجديفا، في حين أن كل الذين صارت إليهم كلمة الله يدعون في الناموس آلهة"(١). وهكذا وبهذا الشاهد من المزامير صحح المسيح النفي لليهود ثم للنصارى الفهم السيئ والحرفي لوحدته مع الآب.

وهذا الأسلوب في التعبير عن وحدة الهدف والمشيئة معهود في النصوص خاصة في إنجيل يوحنا.

١- فهو يقول عن التلاميذ على لسان المسيح: "لِيَكُونَ الجُمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. "وَأَنَا قَدْ أَيْمَا الآبُ فِي وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أيضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. "وَأَنَا قَدْ أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِي أَعْطَيْتُهُمُ اللَّهِ اللَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنْنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِي أَعْطَيْتُنِي، لِيكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنْنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِي الْمَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي. " (يوحنا لِيكُونُوا مُكمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي. " (يوحنا لا يكُونُوا مُعنوي فحسب، وإلا لزم تأليه الله الله الله الله الله واحد، فإن التلاميذ والمسيح والآب أيضًا واحد، أي وحدة الذوات، فإن التلاميذ والمسيح والآب أيضًا واحد، أو باتحاد التلاميذ ببعضهم أو باتحاد المسيح فيهم بذاته.

٢- وفي موضع آخر ذكر نفس المعنى فقال عن التلاميذ: " أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ. " (يوحنا ١١/١٧)، أي كما وحدتنا هي وحدة هدف لتكن وحدتهم بنا كذلك.

٣- ومثله قوله: " تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ. " (يوحنا ١٤/٢٠).

٤ - ومثله يقول بولس: " فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكُلُ الله الحْيِّ، كَمَا قَالَ الله: «إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ
 وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. " لِذلِكَ اخْرُجُوا مِنْ وَسُطِهِمْ
 وَاعْتَزِلُوا، يَقُولُ الرَّبُّ. وَلاَ تَمَسُّوا نَجِسًا فَأَقْبَلَكُمْ، " (كورنثوس (٢) ٢/ ١٦ - ١٧).

٥- ومثله قوله: " إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ. "

<sup>(</sup>١) شرح إنجيل القديس يوحنا، الأب متى المسكين (١/ ٦٤٣ - ٦٤٣).

(أفسس ٤/٦).

٦- ومثله قول المسيح العَلِيّة لتلاميذه: " أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هَذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. " (يوحنا ١٥/٥)، أي من يحبني ويطيعني ويؤمن بي فهذا يأتي بثمر كثير.

٧- والمعنى الصحيح لقوله: "لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب في، وأنا فيه" (يوحنا ١٠/٣٨) أي أن الله يكون في المسيح، أي بمحبته وقداسته وإرشاده وتسديده، لا بذاته المقدسة التي لا تحل في الهياكل "العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي" (أعمال ٧/ ٤٨).

٨- وقد تكرر هذا الأسلوب في التعبير عن وحدة الهدف والمشيئة في نصوص كثيرة، منها قول بولس: " أَنَا غَرَسْتُ وَ أَبُلُوسُ سَقَى، لَكِنَّ الله كَانَ يُنْمِي. 'إِذًا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئًا وَلاَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ الله

9 - ومثله جاء في التوراة في وصف الزوجين " يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا " (التكوين ٢/ ٢٤) أي الجسد الواحد، لا أن ذاتها قد أضحت واحدة، وعليه لا يصح الفهم الظاهري السطحي لقوله: " وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتُرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. " (متى ١٩/٥)، ومثله سواء بسواء قول المسيح: "أنا والآب واحد".

١٠ ومثله أيضًا قول لابان ليعقوب ابن أخته " فَقَالَ لَهُ لاَبَانُ: «إِنَّمَا أَنْتَ عَظْمِي وَ لَخْمِي». فَأَقَامَ عِنْدَهُ شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ. " (التكوين ٢٩/ ١٤).

11- ومثله الرمز لوحدة الهدف والغاية بين التلاميذ باستعارة لفظ يدل ظاهره على وحدة الجسد، وليس مقصودًا، وذلك في قوله: " هكذا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي السِّيح، وَأَعْضَاءٌ بَعْضًا لِبَعْضٍ. " (رومية 17/٥)، ونحوه في قوله: " أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ

أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمُسِيحِ؟ " (كورنثوس (۱) ٦/ ١٥)، (وانظر صموئيل (۲) ١٥/ ٢٠)، كورنثوس (۱) ٢/ ٢٧)، (أفسس ٢/ ١٤). وغير ذلك من أمثلة وحدة المشيئة والهدف والمحبة، لا الذات.

۱۲ - ومثل هذا الاستخدام للوحدة المجازية، وحدة الهدف والمشيئة ورد في القرآن من غير أن يفهم منه أحد من المسلمين الوحدة الحقيقية، وحدة الذات، وذلك في قوله تعالى، وهو يخاطب نبيه: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله) (الفتح: ۱۰)، فلم يقل أحد من المسلمين أن الله ونبيه ذات واحدة كما صنع النصارى في قول المسيح: "أنا والآب واحد".

7. قول المسيح: الذي رآني فقد رأى الآب ومن أهم ما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح النسخ قوله: "الذي رآني فقد رأى الآب" (يوحنا ٤ / / ٩)، إذ فهموا منه أن الله الآب هو المسيح، وأن رؤية المسيح هي بالحقيقة رؤية لله على ولفهم النص الفهم الصحيح نعود إلى سياقه، فالسياق من أوله يخبر أن المسيح النسخ قال لتلاميذه: "أنا أمضي لأعد لكم مكانا، وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضًا وآخذكم " وقصده بالمكان الملكوت. فلم يفهم عليه توما فقال: " يَا سَيِّدُ، لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ الطَّرِيقَ؟ "، لقد فهم أنه يتحدث عن طريق حقيقي وعن رحلة حقيقية، فقال له المسيح مصححًا ومبينًا أن الرحلة معنوية وليست حقيقية مكانية: " أنا هُو الطَّرِيقُ وَالْحُقُّ وَالْحُيَّاةُ. " (يوحنا ٤ / ١ / ١- المرحلة معنوية وليست حقيقية مكانية: " أنا هُو الطَّرِيقُ وَالْحُقُّ وَالْحُيَّاةُ. " (يوحنا ٤ / ١ / ١)، أي أن اتباع شرعه ودينه هو وحده الموصل إلى رضوان الله وجنته.

ثم طلب منه فيلبس أن يريهم الله، فنهره المسيح وقال له: " أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ عُمَلُ وَالآبَ فِيَّ عُلْمَ لِهِ مِنْ نَفْسِي، لَكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ. " (يوحنا ١٠/١٤) أي كيف تسأل ذلك يا فيلبس، وأنت يهودي تعلم أن الله لا يرى، فالذي رآني رأى الآب، حين رأى أعمال الله (المعجزات) التي أجراها على يد المسيح.

١ - يشبه هذا النص تمامًا ما جاء متى " ثُمَّ يَقُولُ الْلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْلَكُوتَ المُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. " لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي.

عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. "عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. عَجْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. "فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ " وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ " وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ " وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيطًا أَوْ عَرُيانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ " وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيطًا أَوْ عَبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ " فَيُجِيبُ اللَّكِ وَيَقُول لَمُمْ: الحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِهَا أَنْكُمْ مَرِيطًا أَوْ عَبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ " فَيُجِيبُ اللَّكِ وَيَقُول لَمُمْ: الحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِهَا أَنْكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَوُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ. " (متى ٢٥/ ٢٤ - ٤٠)، ومن المعلوم فعلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَوُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ. " (متى ٢٥/ ٢٤ - ٤)، ومن المعلوم أن أحدا في الدنيا لا يقول بأن الجائع المطعم هو الملك رغم قوله: "فبي فعلتم"، إذ هذا على سبيل تقريب المعاني، لا الحلول والتهاهي بين الذوات.

ويشبهه ما جاء في إنجيل مرقس " فَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ ثُمَّ احْتَضَنَهُ وَقَالَ لَمُمْ: " «مَنْ قَبِلَ وَاحِدًا مِنْ أَوْلاَدٍ مِثْلَ هَذَا بِاسْمِي يَقْبَلُنِي، وَمَنْ قَبِلَنِي فَلَيْسَ يَقْبَلُنِي أَنَا بَلِ الَّذِي الْمَنْ قَبِلَنِي اللهِ عَنْ اللهِ اللهِ عَنْ أَنْ الطفل الذي رفعه المسيح هو ذات أَرْسَلَنِي " (مرقس ٩/ ٣٧: ٣٦)، فالنص لا يعني أن الطفل الذي رفعه المسيح هو ذات الله، ولكنه يخبر – عليه الصلاة والسلام – أن الذي يصنع برا بحق هذا الطفل، فإنها يصنعه طاعة ومحبة للمسيح، لا بل طاعةً لله وامتثالًا لأمره.

وكها أن من يرى المسيح فكأنه يرى الله، فإنه من قبل المسيح وتلاميذه فكأنها قبل الله وكها أن من يرى المسيح فكأنها يرى الله، فإنها رفض في الحقيقة دعوة الله، لذا يقول المسيح: " الله ومن كفر بهم ورفض دعوتهم فإنها رفض في الحقيقة دعوة الله، لذا يقول المسيح: " الله يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي " (لوقا ١٦/١٠).

٢- ويؤكده مرة أخرى فيقول: "مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي، وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. " (متى ١٠/ ٤٠)، وكذا من رأى المسيح فكأنه رأى الآب الذي أرسله، لأن " الْكَلاَمُ الَّذِي أَكلَّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ (يوحنا أَكلَّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتكلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَ فِيَّ هُو يَعْمَلُ الأَعْمَالَ (يوحنا ١٠/٥). والرؤية في قوله: "الذي رآني فقد رأى الآب" معنوية مجازية، أي رؤية البصيرة، لا البصر، وهذه الرؤية متحققة لكل المؤمنين الذين هم من الله كها قال المسيح الطيخ: "ليس أن أحدًا رأى الآب إلا الذي من الله، هذا قد رأى الآب" (يوحنا ٢/ ٤٦)، ومن المعلوم أن كل

المؤمنين هم من الله "كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح، فقد ولد من الله" (يوحنا (١) ٥/١)، فكلهم رأى الله رؤية المعرفة والإيهان. ولا يفوتنا أن ننبه هنا إلا أن عيسى لم يدع قط أنه الآب، ولا يقول بمثل هذا من النصارى أحد سوى الأرثوذكس، الذين هم أيضًا لا يقولون بأن المسيح هو الآب، لكنهم يقولون: الآب هو الابن، فالمعنى الحقيقي القريب للرؤية مرفوض.

٣- ومما يؤكد أن الرؤيا معنوية أنه قال بعد قليل: " بعد قليل لا يراني العالم أيضًا، أما أنتم فترونني" (يوحنا ١٤ / ١٩)، فهو لا يتحدث عن رؤية حقيقية، إذ يتحدث عن رفعه للسماء، فحينذاك لن يراه العالم ولا التلاميذ، لكنه يتحدث عن رؤية معرفية إيمانية يراها التلاميذ، وتعشى عنها وجوه العالم الكافر.

ويشهد له ما جاء في متى: " وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ. " (متى ١١/ ٢٧)، فهو المقصود من الرؤية المذكورة في النصوص السابقة.

٤ - ونحوه قوله: " فَنَادَى يَسُوعُ وَقَالَ: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي، لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. " وَالَّذِي يَرَا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. " أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ فِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظَّلْمَةِ. " وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينَهُ، لأَنِي لمَ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأَخَلَصَ الْعَالَمَ. " مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. الْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُو يَدِينُهُ لأَخَلِّصَ الْعَالَمَ. " مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. الْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُو يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، " لأَنِي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُو أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَتُكَلَّمُ النَّذِي أَنْ أَنَا بِهِ، فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ أَتُولُ وَبِهَاذَا أَتَكَلَّمُ " (يوحنا ١٢/ ٤٤-٥٥)، فالمقصود بكل ذلك رؤية المعرفة.

وقوله: " وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. " ولا يمكن أن يراد منه، أن الذي رأى الآب المرسل قد رأى الابن المرسل، إلا إذا كان المرسل هو المرسل، وهو محال للمغايرة التي بينها كما قال المسيح: "أبي أعظم مني" (يوحنا ١٤/ ٢٨)، وقال: "أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل" (يوحنا ١٠/ ٢٩).

ومثل هذا السياق الوارد في يوحنا (١٤/ ٩) والذي يفيد الاشتراك في الحكم بين المسيح والله، والذي عبر عنه هنا بالرؤية، مثل هذا معهود في العهد القديم والجديد:

السَّعْبِ فِي العهد القديم لما رفض بنو إسرائيل صموئيل " فَاجْتَمَعَ كُلُّ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَجَاءُوا إِلَى صَمُوئِيلَ إِلَى الرَّامَةِ " وَقَالُوا لَهُ: «هُوذَا أَنْتَ قَدْ شِخْتَ، وَابْنَاكَ لَمْ يَسِيرَا فِي طَرِيقِكَ. فَالآنَ اجْعَلْ لَنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ الشُّعُوبِ». ' فَسَاءَ الأَمْرُ فِي عَيْنَيْ صَمُوئِيلَ إِذْ قَالُوا: «أَمْعُونِيلَ إِذْ قَالُوا: «أَمْعُونِيلَ إِنْ قَالُوا: «أَمْعُونِيلَ إِلَى الرَّبِّ. ' فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «أَسْمَعْ لِصَوْتِ الشَّعْبِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لاَ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ. " (صموئيل (۱) ٨/٤-٧)، إذ رفضهم طاعة صموئيل هو عصيان لله في الحقيقة.

٢- وكذا في العهد الجديد، فقد قال بطرس لحنانيا الكاهن مبكتا إياه على أكل ثمن الحقل: " أَلَيْسَ وَهُو بَاق كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِك؟ فَهَا بَاللَّكَ وَضَعْتَ الحقل: " أَلَيْسَ وَهُو بَاق كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ، أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِك؟ فَهَا بَاللَّكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى الله». " (أعمال الرسل٥/٤)، فالكذب على الله في الحقيقة، ولا يعني أن الناس والله ذات واحدة.

٣- وقوله: "أنا هو الطريق والحق والحياة" يقصد فيه المسيح الالتزام بتعليمه ودينه الذي أنزله الله عليه، فذلك فقط يدخل الجنة دار الخلود، كما قال في موطن آخر: " لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فَي السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. " (متى ٧ / ٢١)، فالخلاص بالعمل الصالح والبر " فَإِنِي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّنَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الحُكْمِ. " وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لاَّخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمُحْمَع، وَمَنْ قَالَ لاَّخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لاَّخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمُحْمَع، وَمَنْ قَالَ لاَّخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحِهُمَع، وَمَنْ قَالَ لاَّخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الرِّجَهَةَمَ. " (متى ٥/ ٢٠-٢٢).

٤ - ويتأكد ضعف الاستدلال بهذا الدليل للنصارى "الذي رآني فقد رأى الآب" إذا
 آمنا أن رؤية الله ممتنعة في الدنيا، كما قال يوحنا: " الله لم يره أحد قط" (يوحنا ١٨/١)،

وكما قال بولس: " الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الْأَبْدِيَّةُ. آمِينَ. " (تيموثاوس (١) ٦/ ١٦)، فيصير النص لزاما إلى رؤية المعرفة والبصيرة.

٣. المسيح صورة الله: ومن أدلة النصارى على ألوهية المسيح ما قاله بولس عنه: "مجد المسيح الذي هو صورة الله" (كورنثوس ٤/٤). وفي فيلبي يقول: " اللّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ الله، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لله. ' لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. " (فيلبي ٢/٢-٧)، ويقول عنه أيضًا: " اللّذِي هُوَ صُورَةُ الله غَيْرِ النَّنْظُورِ، بِكُرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. " (كولوسي ١/٥٥).

### والجواب من وجوه:

الأول: قبل تفنيد هذه الشبهة، يجدر بنا أن نذكر الفقرات التي جاء تعبير بولس هذا ضمنها. فالأول جاء في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (٤ / ٣-٤) كما يلي:

" فإذا كانت بشارتنا محجوبة، فهي محجوبة عن السائرين في طريق الهلاك. (محجوبة) عن غير المؤمنين، الذين أعمى أبصارهم إله هذه الدنيا لئلا يبصروا نور بشارة مجد المسيح وهو صورة الله ".

والموضع الثاني جاء في رسالته إلى أهل فيليبي (٢ / ٥ - ٨): " فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكُو اللهِ اللهِ يَفْسِبُ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مَعَادِلًا للهِ . لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. 'وَإِذْ وُجِدَ فِي الْمُيْئَةِ مُعَادِلًا لله . لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. 'وَإِذْ وُجِدَ فِي الْمُيْئَةِ كَإِنْسَانِ ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى المُوتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ "، و مثل ذلك جاء في رسالة بولس إلى أهل قولوسي (١ / ١٥) ، حيث قال عن المسيح "هو صورة الله الذي لا يُرَى. " والآن نقول: إن وصف بولس للمسيح بأنه " صورة الله "، ليس فيه أي تأليه والآن نقول: إن وصف بولس للمسيح بأنه " صورة الله "، ليس فيه أي تأليه للمسيح؛ لأن هذه الصفة تكررت بعينها مرات عديدة في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ووصف بها الإنسان، بشكل عام والرجل بشكل عام أيضًا، ويفهم من تتبع موارد استعمالها في الكتاب المقدس أنها تعني نوع من التشابه العام أو العلاقة والترابط بين موارد استعمالها في الكتاب المقدس أنها تعني نوع من التوراة الحالية: " وَقَالَ الله: «نَعْمَلُ الإنسان ككل والله. فقد جاء في سفر التكوين من التوراة الحالية: " وَقَالَ الله: «نَعْمَلُ الإنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِم، الإنسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبُهَائِم،

وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، فَخَلَقَ الله الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ الله خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى. . . " (تكوين: ١ / ٢٦ ـ ٢٧). يقول مفسرو التوراة: إن المقصود بكون الإنسان خلق على صورة الله، هو ما يتميز به الإنسان عن الجهادات والنباتات والحيوانات بالعقل الكامل، والقدرة على النطق، والتعبير عما يريد، وبالإرادة والاختيار الحر وبالاستطاعة والقدرة، فضلا عن السمع والبصر والحياة والإدراك والعلم. . . الخ، أي أن هناك تشابه عام بين صورة الله في صفاته والإنسان، لذا قال سبحانه: إنه خلق الإنسان على صورته، وبتعبير آخر إن الله شاء أن يخلق مخلوقا تنعكس وتتجلى فيه ومضة من صفاته تعالى، من العقل والإرادة والاختيار والحياة والعلم والمعرفة والكلام والقدرة والسمع والبصر. . . الخ. ولما كانت صفات الكمال، من قوة وقدرة وعقل وحكمة، موجودة في الرجل أكثر من المرأة، لذا نجد بولس يعبر عن الرجل \_كل رجل\_بأنه " صورة الله " فيقول مثلًا في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس (١١ / ٧): " وأما الرجل فما عليه أن يغطي رأسه لأنه صورة الله ومجده ". أما قول بولس عن المسيح في الشاهد الثاني: " فمع أنه في صورة الله، لم يعد مساواته لله غنيمة، بل تجرد من ذاته متخذا صورة العبد وصار على مثال البشر وظهر في هيئة إنسان. . . الخ "، فقد يظن البعض أن فيه تصريحًا بألوهيته؛ لأنه صرح بمساواته لله، وبأنه تجسّد وأخذ صورة العبد ولبس لباس البشر، فصرح بالتجسّد.

فنقول: إن قوله "مساواته لله " ليست إلا تعبيرا آخر عن عبارته " أنه في صورة الله " والتي عرفنا أن المقصود منها: أنه لما كان الإنسان الكامل مجلى وصورة تنعكس فيها صفات الحق جلَّ وعلا، من عقل كامل وعلم وإرادة واختيار وقدرة وعدل وحكمة، وطهر وقداسة، وحب ورحمة ورأفة. . . . . الخ؛ لذا عبر عنه بأنه صورة الله، ومماثل لله، فيقول بولس: إن المسيح لم يستغل هذا التناظر والتساوي (الصفاتي الصوري) مع الله، لكي يفتخر ويتكبر ولا يخضع لله ويرى أنه صار على مستوى الله، كلا وحاشا، ولعله في هذا يلمِّح إلى آدم الذي -

حسبها تنقل التوراة التي تشكل خلفية فكر بولس باعتباره كان من أحبار اليهود ـ حاول أن يستغل قدرته وإرادته الحرة للأكل من الشجرة المحرمة؛ ليكون مساويًا لله في علمه وأبديته، حيث إن الشجرة ـ حسب نقل تلك التوراة ـ كانت شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الخلد والملك الذي لا يبلى ولا يفنى، أما المسيح فعلى العكس اختار التواضع والطاعة لمشيئة أبيه ووضع نفسه واستسلم للموت ـ على حد قول بولس ـ.

وأما قوله عن المسيح: إنه صار على مثال البشر وظهر بهيئة إنسان، فيعود لفكرة بولس عن المسيح التي سبق وشرحناها، وهي أنه يرى في المسيح أول (أو بتعبيره: بكر) خليقة الله، فكان كائنًا روحيًا قبل خلق العالم وبه وفيه خلق الله سائر الأشياء، فليس في تجسده أي إشارة للألوهية أو دلالة عليها.

ولا يختلف تجسده عن تجسد جبريل الأمين لما ظهر لمريم أو تجسد الملائكة الثلاثة الذين زاروا إبراهيم الطلائ؟ إذ من البديهي أن التجسد بحد ذاته، لا يعني أكثر من ظهور كائن روحي بمظهر جسدي إنساني، أما أن هذا الكائن الروحي كان قبل تجسده إلماً أو غير إله، فهذا يحتاج لدليل آخر.

الثاني: وإذا نظرنا إلى تتمة كلام بولس؛ ظهر لنا بكل وضوح انتفاء قصد إلهية المسيح واستحالة كون المسيح هو الله في نظر بولس، حيث قال: " فوضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله إلى العلى ووهب له الاسم الذي يفوق جميع الأسهاء..." (فيليبي: ٢ / ٨-٩).

فعبارات: أنه مات ثم رفعه الله إلى العلا ووهب له الاسم. . . تصيح بأعلى صوتها أن المسيح ليس الله، بل عبد لله، محتاج له، وليس بإله؛ لأن الإله لا يموت ولا يحتاج لمن يرفعه للعلا، ولا لمن يهبه أي شيء!

# الثالث: أنه يظهر لنا من خلال ما سبق ما يلي:

۱ - هذه الأقوال صدرت عن بولس، الذي لم يتشرف برؤية المسيح الطلحة، ولا التلمذة على يديه، ولا نرى مثل هذه العبارات عند أحد من تلاميذ المسيح وحوارييه، وهذا كاف

لإضفاء ظلال الشك والارتياب عليها.

٢- ثم إن الصورة تغاير الذات، وصورة الله هنا تعني " نائبه في إبلاغ شريعته ".

٣- كما قال بولس في موضع آخر عن الرجل: " فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَنْبُغِي أَنْ يُغَطِّي رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ الله وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا المُرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ. " (كورنثوس ١١/٧)، ومعناه أن الله أناب الرجل في سلطانه على المرأة.

٤ - كما أن كون المسيح على صورة الله لا يمكن أن يستدل به على ألوهيته، فإن آدم - وفق الكتاب المقدس - يشارك الله في هذه الصورة، فقد جاء في سفر التكوين عن خلقه: " وَقَالَ الله: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، ... فَخَلَقَ الله الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ مَلَى صُورَةِ الله خَلَقَهُ. " (التكوين ٢٦/١-٢٧).

٥- فإن أصر النصارى على الجمع بين الصورة وألوهية المسيح؛ فإن في الأسفار ما يخطئهم، فقد جاء في إشعيا " إجْتَمِعُوا يَا كُلَّ الأُمَمِ مَعًا ... لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي... قَيْلي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ. أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ. " (إشعيا ٤٣/٩-١١).

2. السجود للمسيح: وتتحدث الأناجيل عن سجود بعض معاصري المسيح له، ويرون في سجودهم له دليل ألوهيته واستحقاقه للعبادة. فقد سجد له أب الفتاة النازفة " وَفِيهَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهِذَا، إِذَا رَئِيسٌ قَدْ جَاءَ فَسَجَدَ لَهُ " (متى ٩/ ١٨). كما سجد له الأبرص "إذا أبرص قد جاء وسجد له " (متى ٨/ ٢)، وسجد له المجوس في طفولته " فخروا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم " (متى ٢/ ١١).

فيها رفض بطرس سجود كرنيليوس له، وقال له: "قم أنا أيضًا إنسان" (أعمال ١٠/ ٢٥)، فقد اعتبر السجود نوعًا من العبادة لا ينبغي إلا لله، وعليه يرى النصارى في رضا المسيح بالسجود له دليلًا على أنه كان إلهًا.

ولا ريب أن السجود مظهر من مظاهر العبادة.

#### والجواب من وجوه:

١- أن السجود لا يعني بالضرورة: أن كل سجود عبادة، فمن السجود ما هو

للتبجيل والتعظيم فحسب، كما سجد إبراهيم إكراما لبني حث " فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ وَسَجَدَ لِشَعْبِ الأَرْضِ، لِبَنِي حِثَّ" (التكوين ٢٣/٧).

٧- كما سجد يعقوب التَّكْنُوأزواجه وبنيه لعيسو بن إسحاق حين لقائه " وَأَمَّا هُوَ فَاجْتَازَ قُدَّامَهُمْ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَى أَخِيهِ. ، فَرَكَضَ عِيسُو فَاجْتَازَ قُدَّامَهُمْ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَى أَخِيهِ. ، فَرَكَضَ عِيسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ، وَبَكيَا. ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ وَقَالَ: «الأَوْلاَدُ وَقَالَ: «الأَوْلاَدُ وَقَالَ: «الأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله بِهِمْ عَلَى عَبْدِكَ». 'فَاقْتَرَبَتِ الجُارِيَتَانِ هُمَا وَأَوْلاَدُهُمَا وَسَجَدَتًا. 'فُتَرَبَتْ لَيْعَةُ أَيضًا وَأَوْلاَدُهَا وَسَجَدُوا. وَبَعْدَ ذلِكَ اقْتَرَبَ يُوسُفُ وَرَاحِيلُ وَسَجَدَا. " (التكوين ٣٣/٣-٧).

۳- کها سجد موسى اللَّه للم حين جاء من مديان لزيارته "فخرج موسى لاستقبال حميه، وسجد، وقبله" (الخروج ۱۸/۷).

٤ - وسجد إخوة يوسف الله تبجيلًا، لا عبادة لأخيهم يوسف "أتى إخوة يوسف، وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض" (التكوين ٢٤/٢)، واستمرت هذه العادة عند بني إسرائيل " وبعد موت يهويا داع جاء رؤساء يهوذا، وسجدوا للملك " (الأيام (٢) ٧/٢). وكل هذه الصور وغيرها كثير، لا تفيد أكثر من الاحترام، وعليه يحمل سجود من سجد للمسيح المله.

وأما رفض بولس وبطرس لسجود الوثنيين لهما؛ فكان بسبب أن مثل هؤلاء، قد يكون سجودهم من باب العبادة، لا التعظيم، خاصة أنهم يرون معجزات التلاميذ، فقد يظنونهم آلهة لما يرونه من أعاجيبهم.

# رابعًا: نصوص نسبت صفات الله إلى المسيح.

ا. أذلية السيح. ويتحدث النصارى عن المسيح الإله الذي كان موجودًا في الأزل قبل الخليقة، ويستدلون لذلك بأمور، منها ما أورده يوحنا على لسان المسيح أنه قال: " أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلُ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ». " فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" أَفْرَاهِيمَ؟ » " قَالَ لَمَهُ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ"

(يوحنا ٨/ ٥٦-٥٥)، ففهموا منه - باطلًا - أن للمسيح الطَّيُّ وجودا قبل إبراهيم، مما يعني - وفق فهمهم - أنه كائن أزلي. وأيدوا استشهادهم بها ذكره يوحنا عن المسيح: " هُوذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنِ، وَالَّذِينَ طَعَنُوهُ، وَيَنُوحُ عَلَيْهِ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. نَعَمْ آمِينَ. ^ «أَنَا هُو الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ. " (الرؤيا ٢/٧-٨) أي الأول والآخر. كها جاء في مقدمة يوحنا ما يفيد وجودًا أزليًا للمسيح قبل خلق العالم " فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ الله، وَكَانَ الْكَلِمَةُ الله. ٢ هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ الله. " (يوحنا ١/١-٢). فهذه النصوص مصرحة - حسب رأي النصاري - بأزلية المسيح وأبديته، وعليه فهي دليل ألوهيته.

# ويخالف المحققون في النتيجة التي توصل إليها النصارى:

1- إذ ليس المقصود من الوجود قبل إبراهيم الوجود الحقيقي للمسيح كشخص، بل المقصود الوجود القدري والاصطفائي، أي أن اختيار الله واصطفاءه له قديم، كما في قول بولس عنه - حسب الرهبانية اليسوعية -: "وكان قبل اصطفي قبل إنشاء العالم" (بطرس (۱) ۱/ ۲۰)، ومثله قال بولس عن نفسه وأتباعه: " كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنكُونَ قِدِّيسِينَ" (أفسس ۱/ ٤) أي اختارنا بقدره القديم كما اختار المسيح واصطفاه، ولا يفيد أنهم وجدوا أو أنه وجد حينذاك.

٢- وهذا الوجود القديم للمسيح النظاماًي الاصطفاء الإلهي والمحبة الإلهية له هو المجد الذي منحه الله المسيح، كما في قوله: " وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالمُجْدِ الذي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَم. " (يوحنا ١٧/٥).

٣- وهو المجد الذي أعطاه لتلاميذه حين اصطفاهم واختارهم للتلمذة كما الله اختاره للرسالة " أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا بَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ. " (يوحنا ١٧/ ٢٤)، ومحبة الشيء لا تستلزم وجوده، فقد يجب المرء المعدوم أو المستحيل، الذي لم ولن يوجد.

٤ - ومعرفة إبراهيم للمسيح - عليهما السلام - قبل خلقه ووجوده الأرضي، ليست
 معرفة لشخصه طبعا، لأنه لم يره قطعا، لذا فقوله: " فقد رآني وابتهج بي"، هو رؤية

مجازية، وهي رؤية المعرفة، وإلا لزم النصارى أن يذكروا دليلا على رؤية إبراهيم للابن الذي هو الأقنوم الثاني، أو أن يثبتوا لجسد المسيح وجودا زمن إبراهيم الحيلا، وقول المسيح: "من قبل أن يكون إبراهيم كنت أنا " (يوحنا ٨/٥٦-٥٨)، لا يدل على وجوده في الأزل، وغاية ما يفيده النص – إذا أخذ على ظاهره – أن للمسيح الحيلاوجودًا أرضيًا يعود إلى زمن إبراهيم، وزمن إبراهيم لا يعني الأزل.

٥ - ثم لو كان المسيح أقدم من إبراهيم وسائر المخلوقات، فإن له من يشاركه في هذه الأقدمية، وهو النبي إرمياء، والذي عرفه الله منذ القدم وقدسه قبل أن يخرج من رحم أمه، إذ يقول عن نفسه: " فَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قَائِلًا: " قَبْلُمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وقال عنه وقبُلُمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ" (إرمياء ١/ ٤ - ٥)، وقال عنه ابن سيراخ في حكمته: "وهو الذي قدس في جوف أمه" (ابن سيراخ ٩٤/٧)، وهذه المعرفة الإلهية لإرمياء بلا ريب أشرف من معرفة إبراهيم للمسيح وأقدم، ولا تستلزم وجودًا حقيقيًا له على الأرض.

7 - وممن شارك المسيح في هذه الأزلية المدعاة، ملكي صادق كاهن ساليم في عهد إبراهيم، فإن بولس يزعم أن لا أب له ولا أم، ويزعم أن لا بداية له ولا نهاية، أي هو أزلي أبدي، يقول بولس: " لأَنَّ مَلْكِي صَادَقَ هذَا، مَلِكَ سَالِيمَ، كَاهِنَ الله الْعَلِيِّ، الَّذِي اسْتَقْبَلَ إِبْرَاهِيمَ عُشْرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. المُتَرْجَمَ إِبْرَاهِيمَ عُشْرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. المُترْجَمَ أَوَّلًا «مَلِكَ الْبِرِ» ثُمَّ أيضًا «مَلِكَ سَالِيمَ» أَيْ «مَلِكَ السَّلاَمِ» بِلاَ أَبِ، بِلاَ أُمِّ، بِلاَ نَسَبٍ. لاَ بَدَاءَةَ أَوَّلًا «مَلِكَ الْبِرِ» ثُمَّ أيضًا «مَلِكَ سَالِيمَ» أَيْ «مَلِكَ السَّلاَمِ» بِلاَ أَبِ، بِلاَ أُمِّ، بِلاَ نَسَبٍ. لاَ بَدَاءَةَ أَوَّلًا هِوَ مُشَبَّةٌ بِابْنِ الله. هذَا يَبْقَى كَاهِنَا إِلَى الأَبَدِ. " (عبرانيين ٧/ ١-٣)، أيم لَهُ وَلاَ نِهَايَةَ حَيَاةٍ. بَلْ هُو مُشَبَّةٌ بِابْنِ الله. هذَا يَبْقَى كَاهِنَا إِلَى الأَبْدِ. " (عبرانيين ٧/ ١-٣)، فلم لا يقول النصارى بألوهية ملكي صادق الذي يشبه بابن الله، لكثرة صور التشابه بينها، بل هو متفوق على المسيح الذي يذكر النصارى أنه صلب ومات، وله أم بل وأب حسب ما أورده متى ولوقا -، في حين أن ملكي صادق قد تنزه عن ذلك كله!

٧- ومن هؤلاء الذين كانوا قبل إبراهيم ويستحقون الأزلية - لو فهمت النصوص

على ظاهرها - حكمة البشر أو النبي سليهان الحكيم حين قال عن نفسه وعن حكمة الله التي تجسدت فيه وفي غيره من البشر: "أنا الحكمة أسكن الذكاء، وأجد معرفة التدابير. . . الرب قناني أول طريقه، من قبل أعماله منذ القديم، منذ الأزل مسحت، منذ البدء، منذ أوائل الأرض، إذ لم يكن ينابيع كثيرة المياه، ومن قبل أن تقرر الجبال أبدئت، قبل التلال أبدئت " (الأمثال ٨/ ١٢ - ٢٥)، فقد أضحى سليهان أو الحكمة البشرية - وفقا للفهم الظاهري الحرفي - مسيحًا للرب منذ الأزل، وقول بعض النصارى: إن سفر الأمثال كان يتحدث عن المسيح النفيظ، لا دليل عليه، فسفر الأمثال قد كتبه سليهان كما في مقدمته "أمثال سليهان بن داود" (الأمثال ١/١)، وقد تكرر في مواضع متفرقة منه استمرار سليمان الحكيم في الحديث، وهو يقول: "يا ابنى أصغ إلى حكمتي" (الأمثال ٥/١)، وانظر (الأمثال ١/٨، ٣/١، ٣/٢١، ٥/١، ٧/١ وغيرها)، فالمتحدث في السفر هو سليمان الكيلا والحكمة المتجسدة فيه. وسليمان هو الموصوف بالحكمة في الكتاب المقدس، وأي حكمة؟ حكمة الله، فقد رأى معاصروه فيه حكمة الله " وَلَّمَا سَمِعَ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ بِالْحُكْمِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ الْمُلِكُ خَافُوا الْمُلِكَ، لأَنَّهُمْ رَأَوْا حِكْمَةَ الله فِيهِ لإِجْرَاءِ الْحُكْمِ" (الملوك (١) ٣/ ٢٨). ويمضي السفر ليبين لنا عظم حكمة الله، التي حلت وتجسدت فيه، فيقول: " وأعطى الله سليهان حكمة وفهمًا كثيرًا جدًا. . . وفاقت حكمة سليهان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر، وكان أحكم من جميع الناس. . . وكان صيته في جميع الأمم حواليه. . . وكانوا يأتون من جميع الشعوب؛ ليسمعوا حكمة سليان، من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته" (الملوك (١) ٤/ ٢٩-٣٤).

وفي سفر الأيام " مُبَارَكُ الرَّبُ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي صَنَعَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، الَّذِي أَعْطَى دَاوُدَ الْمُلِكَ ابْنًا حَكِيمًا صَاحِبَ مَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ، الَّذِي يَبْنِي بَيْتًا لِلرَّبِّ وَبَيْتًا لُمُلْكِهِ" (الأيام (٢) / ١٢)، فالحكيم هو سليهان الذي شرفه الله ببناء بيته.

٨- وكلمة "منذ الأزل مسحت" لا تدل على المسيح عيسى ابن مريم؛ إذ "المسيح"

لقب أطلق على كثيرين غير المسيح عيسى، عمن مسحهم الله ببركته من الأنبياء كداود وإشعيا. (انظر المزمور ٤٥/٧، وإشعيا ٢٦/١)، فلا وجه لتخصيص المسيح بالمسح دون غيره عمن الممسوحين. وأمام الحرج الذي يسببه نص سفر الأمثال؛ فإن البعض من النصارى يقولون: إن المتحدث في سفر الأمثال، هو حكمة الله، التي هي صفته الذاتية القائمة به في الأزل، وليس فعله الذي منحه لنبي الله سليان، وهذا المعنى مرفوض بدلالة النص الذي يتحدث عن نبي عمسوح بزيت البركة "منذ الأزل مسحت"، وصفة الله القائمة به لا يمكن أن تمسح، ولماذا تمسح؟

كها أن النص يتحدث عن حكمة مخلوقة، وإن كانت قديمة، فقد قالت الحكمة: "الرب قناني أول طريقه. ومن قبل أن تقرر الجبال أبدئت، قبل التلال أبدئت "، وفي الترجمة الإنجليزية المسهاة (THE GOOD NEWS BIBLE): ، والصادرة عام ١٩٧٨ - الترجمة الإنجليزية المسهاة (خلقني)، فتقول: The lord created me " بدلًا من قوله: (الرب قناني). وهو ذات الصنيع الذي صنعته نسخة الرهبانية اليسوعية، ففيها: "الرب خلقني أول طرقه، قبل أعهاله"، وهكذا فهذه الحكمة مخلوقة قديها، وهي مبدأة من قبل الجبال والتلال.

وفي حكمة ابن سيراخ "قبل كل شيء خلقت الحكمة" (ابن سيراخ ١/٤)، وتحديدًا "قبل الدهور، ومنذ البدء خلقني، وإلى الدهور لا أزول" (سيراخ ٢٤/٩)، فهي ليست حكمة الله الأزلية، بل حكمته التي أعطاها الحكماء فتجسدت فيهم، وفي مقدمتهم سليمان الحكيم، والذي "رأوا حكمة الله فيه " (الملوك (١) ٣/ ٣٨).

والمتأمل بتجرد للنص؛ لن يجد صعوبة لفهم نوع الحكمة التي تتحدث في النص السالف، فهي ثمينة " لأَنَّ الحُِكْمَةَ خَيْرٌ مِنَ الَّلاَلِئِ، وَكُلُّ الجُّوَاهِرِ لاَ تُسَاوِيهَا. " (الأمثال ١٨/١)، وهي بشرية "فم الصديق ينبت الحكمة" (الأمثال ١٠/٣)، وأول درجات هذه الحكمة البشرية مخافة الله "بدء الحكمة مخافة الله" (الأمثال ٩/١٠).

وأيضًا هذه الحكمة هبة الله للإنسان "الرب يعطي حكمة من فمه: المعرفة والفم" (الأمثال 7/7)، هي حكمة مقترنة بالفهم دائها، ويوصي كاتب السفر فيقول: "قل للحكمة أنت أختي، وادع الفهم ذا قرابة، لتحفظك من المرأة الأجنبية. . " (الأمثال 9/3-0). وبهذه الحكمة ساد السادة من الملوك والقضاة والأغنياء على غيرهم "أنا الحكمة أسكن الذكاء. . لي المشورة والرأي، أنا الفهم لي القدرة، بي تملك الملوك، وتقضي العظهاء عدلا، بي تترأس الرؤساء والشرفاء، كل قضاة الأرض، أنا أحب الذين يجبونني، والذين يبكرون إلي يجدونني، عندي الغنى والكرامة، قنية فاخرة فاخرة وحظ، ثمري خير من الذهب ومن الإبريز، وغلتي خير من الفضة المختارة، في طريق العدل أتمشى، في وسط سبل الحق، فأورث مجبي رزقا، وأملأ خزائنهم، الرب قناني أول طريقه. . . " (الأمثال 1/7/7). فالمتأمل لهذا وغيره – لا ريب – يجزم بأن هذه الحكمة، ليست صفة الله الأزلية القائمة به؛ إذ تلك لا تثمن بالجواهر واللآلئ، ولا تثمر الغنى والمال والملك والسلطان، كها لا تنبت من فم البشر، ولا تشمل بالطبع مخافة الله لأنها صفة الله. (')

٢. مقدمة إنجيل يوحنا: وأما الاستدلال على ألوهية المسيح بمقدمة يوحنا: " في الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ اللهِ كَانَ الْكَلِمَةُ اللهِ كَانَ الْكَلِمَةُ اللهِ كَانَ إِلْ الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ كَانَ الْكَلِمَةُ اللهِ كَانَ الْكَلِمَةُ اللهِ كَانَ الْكَلِمَةُ اللهِ كَانَ الْمَحققينَ معه شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ " (يوحنا ١/١-٣) فقد كان للمحققين معه وقفات عديدة ومهمة، منها:

<sup>(</sup>۱) ولربها أشكل على القارئ الكريم وصف سفر الأمثال للحكمة، بأنها صانعة أو خالقة في قوله: "كنت عنده صانعًا، وكنت كل يوم لذته فرحة دائهًا قدامه، فرحة في مسكونة أرضه " (الأمثال ٨/ ٣٠-٣١)، لكنه في الحقيقة تحريف مقصود بغرض الإلباس والتدليس، فالنص في الرهبانية اليسوعية مختلف تماما؛ إذ يقول: "وكنت عنده طفلًا، وكنت في نعيم يومًا فيومًا، ألعب أمامه في كل حين، ألعب على وجه أرضه"، وهو كها ترى لا يتحدث عن الحكمة الصانعة، بل عن الحكمة الطفولية التي تنشأ في الإنسان من سني لعبه وطفولته، وتترعرع وتنضج في قابل عمره.

من تلاميذه، بل كلام مسيحي تابعي ـ إن صح التعبير ـ وفيلسوف عاش في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني فلا يحمل في طياته أية حجة إلهية ملزمة. أما دعوى أنه كتب إنجيله بإلهام ووحى من الله فلا دليل علها إلا مجرد الظن.

٢- ما هو اعتقاد يوحنا كاتب هذا الإنجيل كما جاء في إنجيله ورسائله؟
 هناك عبارات صريحة واضحة ليوحنا نفسه، تؤكد عبودية المسيح لله تعالى، وأن
 الله تعالى إله المسيح وخالقه:

- (۱) أما نصه على أن الله تعالى إله المسيح وبالتالي فالمسيح عبد مربوب لله، فقد جاء في رؤيا يوحنا الكشفية (۱/ ٦) حين قال: ". . . ومن لدن يسوع المسيح الشاهد الأمين والبكر من بين الأموات وسيد ملوك الأرض، ذاك الذي أحبنا فحلنا من خطايانا بدمه، وجعل منا عملكة من الكهنة لإلهه وأبيه . . . "
- (٢) وأما نصه على أن المسيح مخلوق لله سبحانه وتعالى، فجاء واضحا في رسالته الأولى (٢/ ١) في قوله: " أكتب إليك ما يقول الأمين (المسيح)، الشاهد الأمين الصادق، بدء خليقة الله. . . "
- (٣) وأما أن المسيح يستمد من الله، وبالتالي لا يمكن أن يكون إلها لأن الله غني بذاته، فقد جاء ذلك مثلًا في رؤياه الكشفية أيضًا (١ / ١) حين يقول: " هذا ما كشفه يسوع المسيح بعطاء من الله ".
- (٤) وأما عن الغيرية الكاملة والتهايز والاثنينية بين الله: الآب والمسيح اللحية، فالأمثلة عليه كثيرة من كلام يوحنا، نكتفي بهذا الشاهد من رسالته الأولى (٢/ ١): " وإن خطئ أحد فهناك شفيع لنا عند الآب وهو يسوع المسيح البار. "
- (٥) ثم إن نفس النصوص الإنجيلية، التي سقناها قبل من إنجيل يوحنا، النافية لإلهية عيسى والمثبتة لعبوديته، تصلح كذلك للكشف عن عقيدة يوحنا مؤلف ذلك الإنجيل حول عدم إلهية المسيح؛ إذ من البديهي أن الرجل دوَّن في إنجيله ما يعتقده أو أنه كان يعتقد بها دونه، ونكتفي هنا بإشارة سريعة لثلاث نصوص قاطعة من إنجيل يوحنا:

١ - " قال لها يسوع: لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي. ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم " (إنجيل يوحنا: ٢٠ / ١٧).

٢- " تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السهاء وقال: أيها الآب، قد أتت الساعة. . .
 وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته. . . " (إنجيل يوحنا: ١٧ / ١-٣).

٣- " فقال لهم يسوع: لو كنتم أبناء إبراهيم لعملتم أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله " إنجيل (يوحنا: ٨/ ٤٠).

ومن خلال هذه النصوص تبدو عقيدة يوحنا، وأنه لم يعلّم التثليث، ولا أن الله هو المسيح، بل أفرد الله تعالى وحده بالإلهية، فينبغي أن يبقى هذا بالبال عند مناقشتنا التالية لما جاء في مقدمة الإنجيل التي استندوا إليها من كلام يوحنا؛ لأنه ما دام قد ثبت معنا بالدلائل السابقة أن يوحنا هذا يؤمن بأن الله الآب هو الإله الحقيقي وحده وإله المسيح وخالقه ومرسله؛ فلكي يكون كلام يوحنا منسجهًا مع بعضه، لا بد أن يُفهَم هذا النص أو يُفسَّر على نحو يتسق وينسجم مع عقيدته التوحيدية تلك، وهناك تفسيران محتملان لهذا النص:

التفسير المعقول الأول: هذه الافتتاحية قرأها كثير من القدماء على نحو فيه اختلاف بسيط في اللفظ، لكن مهم جدا، وقد أورد الغزالي في كتابه " الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل " اللفظ القديم الذي يمثل الترجمة الحرفية للمتن اليوناني الأصلي على النحو التالي: " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وإله هو الكلمة، كان هذا قديمًا عند الله، كلَّ به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان "

فالفرق بين الترجمتين هو في الجملة الثالثة، ففي حين تقول الترجمات الحديثة: "وكان الكلمة الله "، تقول الترجمة الحرفية القديمة: "وإله هو الكلمة " بتنكير إله. وتذكر الكتب التي تتحدث عن تاريخ العقيدة النصرانية، أن آريوس ومنكري ألوهية المسيح كانوا يؤكدون على أن الترجمة الحرفية الصحيحة للأصل اليوناني هي: "وإله هو الكلمة " والمسألة هي أن

كلمة " إله " في اصطلاح الإنجيل ـ واصطلاح الكتاب المقدس بشكل عام ـ لا تعني بالضرورة الله، بل تأتي أحيانا على معنى السيد والرئيس المطاع، مثل كلمة الرب، أو على معنى الملاك العظيم ونذكر مثالين على ما نقول: (١) جاء في سفر الخروج من التوراة قول الله تعالى لموسى المنابئ: " قد جعلناك إلما لفرعون وأخاك هارون رسولك " (الخروج: ٧/١).

(٢) وفي المزمور الثاني والثمانين من سفر المزامير قول الله تعالى لداود السخة: "الله قائم في مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي. . (إلى قوله): أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون " (المزامير: ٨٢ / ٢، ٢ - ٧). حيث يتفق مفسرو العهد القديم أن المقصود بالآلهة وببني العلي هنا: الرؤساء والقضاة والملائكة الذين هم أعضاء البلاط الإلهي - إذا صح التعبير -، وأن لقب آلهة وأبناء الله لهم ليس إلا لقبًا تشريفيًا لا أكثر، ولا يعني أبدًا أنهم شركاء الله تعالى في ذاته وإلهيم، كيف ومن تعاليم التوراة الأساسية وحدانية الله تعالى! وبناءً عليه، فعبارة " وإله هو الكلمة " معناها: وكائن وحيًّ عظيم بل رئيسٌ للكائنات وعظيمٌ مقرب من الله هو الكلمة.

هذا ومما يرجح هذه القراءة ويوجب المصير إلى هذا التفسير، أن الترجمات الحديثة التي تذكر " وكان الكلمة الله " تجعل افتتاحية يوحنا نصا مختل المبنى غير مستقيم المعنى، بل لا معنى له ولا يصح لأن معناها يصبح هكذا:

"في البدء كان الله، وكان الله عند الله! وكان الله هو الله، الله كان في البدء عند الله! ".

ومن البديهي أن الشيء لا يكون عند نفسه، فلا يصح أن نقول كان زيد عند زيد!! أما على التفسير الذي ذكرناه، فإذا صار الإله المُنكَّر بمعنى الكائن الروحي العظيم الذي هو غير الله، صح أن نعتبره كان عند الله. وقد نبه العلامة ديدات على هذا التلاعب في الترجمة الإنجليزية، وهي الأصل الذي عنه ترجم الكتاب المقدس إلى لغات العالم. فعاد بنا إلى الأصل اليوناني. فالنص في الترجمة اليونانية تعريبه هكذا "في البدء كان الكلمة، والكلمة الأصل اليوناني. فالنص في الترجمة اليونانية تعريبه هكذا "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله"، وهنا يستخدم النص اليوناني بدلا من كلمة (الله) كلمة هثيوس (hotheos)، وفي الترجمة الإنجليزية تترجم (God) للدلالة على أن الألوهية حقيقة. ثم

يمضي النص اليوناني، فيقول "وكان الكلمة (الله)" (وهنا يستخدم النص اليوناني كلمة تنتيوس بمعنى إله (tontheos)، وكان ينبغي أن يستخدم في الترجمة الإنجليزية كلمة (god) بحرف صغير للدلالة على أن الألوهية مجازية، كها وقع في نص سفر الخروج "جعلتك إلمًا لفرعون" (الخروج 1/2)، ومثله في حديثه عن الشيطان، والذي أسهاه بولس إله الدهر، الذي أعمى أذهان غير المؤمنين (انظر كورنثوس 1/2) فاستخدم النص اليوناني لرسالة بولس كلمة (tontheos)، وترجمت في النص الإنجليزي (god) مع وضع أداة التنكير (a). لكن الترجمة الإنجليزية حرفت النص اليوناني لمقدمة يوحنا، فاستخدمت لفظة (God) التي تفيد ألوهية حقيقة بدلا من (god) التي تفيد ألوهية أو مجازية، فوقع اللبس في النص، وهذا ولا ريب نوع من التحريف (الم

وقد استدركت بعض الترجمات العربية والعالمية الخطأ، فغيرت النص، منها نسخة ترجمة العالم الجديد في ترجماتها العالمية المختلفة، وقد جاء في نسختها العربية: "وكان الكلمة إلهًا". (٢)

<sup>(</sup>١) انظر: مناظرتان في استكهولم، أحمد ديدات، صـ (١٣٥ -١٣٧)، المسيح في الإسلام، أحمد ديدات، صـ (٨٤ -٨٧).

<sup>(</sup>٢) قال الدكتور منقذ السقار: وقد أفردت ملحقًا خاصًا بتبيان التحريف الذي وقعت فيه النسخ المخالفة في قراءة هذه الكلمة، ومما جاء فيه: "إن عبارة يوحنا أن الكلمة أولوغوس كان (إلها) أو (إلهيا) أو (كإله)، لا تعني أنه كان الله الذي كان هو معه، إنها تعبر فقط عن صفة معينة للكلمة أولوغوس، ولكنها لا تحدد هويته أنه الله نفسه".

ونقلت عن فيليب هارنر الكاتب في مجلة أدب الكتاب المقدس (المجلد ٩٢/ ٨٧) قوله: "أنا أرى أن القوة الوصفية للمسند في يوحنا ١: ١ بارزة جدا بحيث إنه لا يمكن اعتبار الاسم معرفة".

يقول الأب متى المسكين في شرحه لإنجيل يوحنا: "هنا كلمة (الله) جاءت في الأصل اليوناني غير معرفة بـ (الـ). . . ، وحيث (الله) المعرف بـ (الـ) يحمل معنى الذات الكلية، أما الجملة الثانية فالقصد من قوله: "وكان الكلمة الله" هو تعيين الجوهر أي طبيعة (الكلمة)، أنها إلهية، ولا يقصد تعريف الكلمة أنه هو الله من جهة الذات. وهنا يحذر أن تقرأ (الله) معرفًا بـ (الـ) في "وكان الكلمة الله"، وإلا لا يكون فرق بين الكلمة والله، وبالتالي لا فرق بين الآب والابن، وهذه هي بدعة سابيليوس الذي قال أنها مجرد أساء، في حين أن الإيهان المسيحي يقول: إن الأقانيم في الله متميزة، فالآب ليس هو الابن، ولا الابن هو الآب، وكل أقنوم له

التفسير المحن الثاني: يرى البعض أن الكلمة هي الأمر الإلهي "كن فيكون"، الذي به يخلق الله ما يشاء من الكائنات، كما جاء في سفر المزامير: "بكلمة الرب صنعت السهاوات... إنه قال فكان، وأمر فوجد" (المزمور: ٣٣/ ٢، ٩). وتصديق ذلك أننا نجد، في سفر التكوين من التوراة، أن الخلق تم بأوامر وكلمات إلهية: " وقال الله: ليكن نور، فكان نور.... وقال الله: ليكن في وسط المياه... فكان كذلك... الخ" التكوين (١/ ٣،٣).

وقالوا: إن الترجمة القديمة الصحيحة لعبارة " والكلمة صار جسدًا " هي: "والكلمة صنع جسدًا " أي أنه بالأمر الإلهي تم خلق إنسان بشر. فالكلمة هي الله ولكن الإنسان الذي خلق بها ليس الكلمة؛ وبالتالي فالمسيح مخلوق بالكلمة، وليس الكلمة ذاتها. ومنهم من يرى أن هناك محذوف تقديره: "و أثر الكلمة صار جسدًا".

وعلى كل حال، فهذه تفسيرات ممكنة ومعقولة لهذه الافتتاحية، ولا ندعي أنها صحيحة قطعا، لكن نرى أن المصير لفهم توحيدي للنص واجب، بعد أن عرفنا من عبارات يوحنا السابقة نفيه كون المسيح الله، وذلك عندما اعتبره مخلوقا خاضعا لله مستمدًا منه، وبين أن الله تعالى إله المسيح، وأن الله هو الإله الحقيقي وحده. (۱)

يقول الدكتور منقذ السقار: وإذا غض المحققون طرفهم عن ذلك كله، فإن في النص أمورًا ملبسة تمنع استدلال النصارى به على ألوهية المسيح:

اختصاصه الإلهي، كذلك فالله ليس هو الكلمة، والكلمة ليس هو الله الكلي" ونوافق الأب المسكين في كثير مما قاله عن تنكير الكلمة المستخدمة، ولا نوافقه على قوله: "وهنا يقابلنا قصور مكشوف في اللغة العربية فلا توجد كلمة (الله) بدون تعريف (الـ). . " إذ كلامه يوهم القارئ اضطرارهم إلى استخدام اللفظة المعرفة (الله) في غير معناها بسبب قصور اللغة العربية، وهو غير صحيح، فذكرها إلباس وتحريف، بدليل وقوعه في سائر التراجم العالمية، وفي مقدمتها الترجمة الإنجليزية التي تعرض عن استخدام اللفظ النكرة (god a)، وقصر على تعريف الكلمة (God) . . . انظر: الله جل جلاله واحد أو ثلاثة، وانظر تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ١/ ٣٠٩، و (اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص ٤٢ ـ ٤٤.

<sup>(</sup>۱) انظر: الأناجيل الأربعة ورسائل بولس تنفي ألوهية المسيح (ص ١٥٢)، ومناظرة بين الإسلام والنصر انية (٢/ ١٥٨).

أولها: ما معنى كلمة "البدء"؟ وأي بدء تعني؟ ما حده الزمني؟ وإذا كان له حد زمني فهل يكون له متعلق بالله؟ وهل ذلك مما يليق بكهال الله الذي لا يحصره شيء. . زمانًا. . . ومكانًا؟ فالله سبحانه أول بلا ابتداء ويجيب النصارى: أي الأزل. لكن ذلك لا يسلم لهم، فإن الكلمة وردت في الدلالة على معان منها:

١ - وقت بداية الخلق والتكوين كها جاء في " في البدء خلق الله السموات والأرض" (التكوين ١/١)، ومثله قول المسيح عن إبليس أنه كان منذ البدء: " أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْمُعَلِّ لَنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْمُعَلِّ لَلْنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْمُعَلِّ لَنَّا لَيْسَ فِيهِ حَق " (يوحنا ٨/ ٤٤).

٧- ومثله قاله متى على لسان المسيح، وهو يحاجج اليهود " قَالُوا لَهُ: «فَلِهَاذَا أَوْصَى مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هكذَا. " (متى ١٩/٧-٨)، ومعناه أن ذلك لم يكن مأذونًا به عند بداية الخليقة، وبداية الخلق لحظة مخلوقة، وليست الأزل الذي يسبق كل زمان.

٣- وترد كلمة البدء أيضًا، ويراد منها فترة معهودة من الزمن كما في قول لوقا: "كما
 سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء" (لوقا ١/ ٢)، أي في أول رسالة المسيح.

٤ - ومثله قول يوحنا: " أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لَسْتُ أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ وَصِيَّةً جَدِيدَةً، بَلْ وَصِيَّةً قَدِيمَةً كَانَتْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ. الْوَصِيَّةُ الْقَدِيمَةُ هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي سَمِعْتُمُوهَا مِنَ الْبَدْءِ. " (يوحنا ١: ٧/٢).

٥ - ومثله أيضًا قول يوحنا: " وَلَكِنْ مِنْكُمْ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ». لأَنَّ يَسُوعَ مِنَ الْبَدْءِ عَلِمَ مَنْ هُمُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُهُ. " (يوحنا ٦ / ٦٤).

٦- ومثله قوله في جواب اليهود لما سألوه: "فقالوا له: من أنت؟ فقال لهم يسوع: أنا
 من البدء ما أكلمكم أيضًا به" (يوحنا ٨/ ٢٥)، فكل هذه الاستعمالات لكلمة البدء لا

يراد منها الأزل، بل أوقات معينة حادثة.

وعليه فلا يجوز قول النصاري، بأن المراد بالبدء هنا الأزل إلا بدليل مرجح.

ويرجح الشيخ العلمي في كتابه الفريد "سلاسل المناظرات" بأن المعنى هنا هو بدء تنزل الوحي على الأنبياء، أي أنه كان بشارة صالحة عرفها الأنبياء كما في (إرميا ٣٣/ ١٤). (١)

ثانيها: ما المقصود بالكلمة؟ هل هو المسيح السَّكَا أم أن اللفظ يحتمل أمورًا أخرى، وهو الصحيح. فلفظة "الكلمة" لها إطلاقات في الكتاب المقدس، منها:

١ - كتاب الله أو وحيه "وكانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا" (لوقا ٣/٢)، " أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها" (لوقا ٨/ ٢١) "لكن ليس هكذا حتى إن كلمة الله قد سقطت، لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون" (رومية ٩/٦).

٢- ومنها: الأمر الإلهي الذي به صنعت المخلوقات، كما جاء في المزامير "بكلمة الرب صنعت السموات، وبنسمة فيه كل جنودها. . لأنه قال فكان، هو أمر فصار" (المزمور ٣٣/ ٦-٩)، ولهذا المعنى سمي المسيح المنتلاكلمة، لأنه خلق بأمر الله، من غير سبب بشري قريب (أي من غير أب)، أو لأنه - حسب المعنى الأول - أظهر كلمة الله.

٣- كما قد يسمى وعد الله كلمته؛ كما حكى النبي إرمياء استعجال بني إسرائيل ليوم البلاء والعذاب الذي أوعدهم الله إياه: " هَا هُمْ يَقُولُونَ لِي: «أَيْنَ هِيَ كَلِمَةُ الرَّبِّ؟ لِتَأْتِ!
 ٣ ١ أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَعْتَزِلْ عَنْ أَنْ أَكُونَ رَاعِيًّا وَرَاءَكَ، وَلاَ اشْتَهَيْتُ يَوْمَ الْبَلِيَّةِ. "

(إرمياء ١٧/ ١٥-١٦)، والمسيح وفق هذا المعنى كلمة الله؛ أي أنه الكلمة الموعودة المبشر بها على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وأما المعنى الذي يزعمه النصارى للكلمة (اللوغس)، وأنها الأقنوم الثاني للثالوث الأقدس، فلم يرد في كتب الأنبياء البتة.

ثالثها: وكان الكلمة الله عاية ما يستدل بها أن المسيح العَيْظُ أطلق عليه: (الله)، كما أطلق عليه الله على الله على القضاة في التوراة " الله تُقائِمٌ فِي مَجْمَعِ الله في وَسْطِ الآلِهَةِ يَقْضِي: ٢ «حَتَّى مَتَى

<sup>(</sup>١) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس، عبد الله العلمي، ص (٢٥٩-٢٦٢).

تَقْضُونَ جَوْرًا وَتَرْفَعُونَ وُجُوهَ الأَشْرَارِ؟ " (المزمور ۱/۸۲)، وكما سمي به أشراف اليهود في قول داود: " أحمدك من كل قلبي، قدام الآلهة أرنم لك" (المزمور ۱۳۸/۱)، وقد قال الله لموسى عن هارون: " وهو يكون لك فها، وأنت تكون له إلهًا " (الخروج ٤/١٦). وغيرهم كما سبق بيانه.

رابعها: قوله: والكلمة كان عند الله"، والعندية لا تعني المثلية، ولا المساواة. إنها تعني أن الكلمة خلقت من الله كها في قول حواء: "اقتنيت رجلًا من عند الرب" (التكوين 3/1)، فقايين ليس مساويًا للرب، ولا مثله، وإن جاءها من عنده، وجاء في موضع آخر" وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب" (التكوين ١٩/٢٤). (١) وما نبه عليه العلامة ديدات إلى أن هذا النص، قد انتحله كاتب الإنجيل من فيلون الإسكندراني (ت٠٤م)، وأنه بتركيباته الفلسفية غريب عن بيئة المسيح وبساطة أقواله وعامية تلاميذه، وخاصة يوحنا الذي يصفه سفر أعهال الرسل بأنه عامي عديم العلم، فيقول: " فلها رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهها إنسانان عديهًا العلم وعاميان تعجبوا" (أعهال ١٣/٤). (١)

#### خامسًا: نصوص نسبت أفعال الله إلى المسيح أ. إسناد الخالقية لله بالمسيح:

كما أسندت بعض النصوص الخالقية لله بالمسيح، فتعلق النصارى بها، ورأوها دالة على ألوهيته ومنها قول بولس عن المسيح: " فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ" (كولوسي ١٦/١-١٧)، وفي موضع آخر يقول: "الله خالق الجميع بيسوع المسيح" (أفسس ٣/٩)، ومثله ما جاء في مقدمة يوحنا "كان في العالم، وكون العالم به، ولم يعرفه العالم" (يوحنا ١١/١١)، ومثله في (عبرانيين ١/٢) وغيرها.

<sup>(</sup>١) الله جل جلاله واحد أو ثلاثة ١/٥٥.

<sup>(</sup>٢) نقلًا عن كتاب الله جل جلاله واحد أو ثلاثة ٥٣، وانظر كتاب الأناجيل والعقيدة ١/١٧،١٨.

والجواب من وجوه: ١- أننا نلحظ ابتداء أن الخلق في كافة النصوص الكتابية مسند لله تعالى فقط، فقد قال سفر التكوين "في البدء خلق الله الساوات والأرض" (التكوين ١/١)، ولم يذكر خالقا شارك الله بالخلق أو كان واسطة تم الخلق من خلاله، وفي سفر إشعياء "هكذا يقول الله الرب خالق السموات" (إشعيا ٤٢/٥)، كما وقد قال بولس وبرنابا لأهل مدينة لسترة: "نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها" (أعمال ١٤/١٥)، فلم يذكر الكتاب خالقا سوى الله العظيم.

وما بين أيدينا من أقوال بولس ويوحنا؛ فإنها إنها تتحدث عن الله الذي خلق بيسوع كها صنع المعجزات بيد يسوع (انظر أعهال ٢/ ٢٢)، ولا تذكر أنه هو الخالق أبدا، فغاية ما تحتمله هذه النصوص - لو سلم بصحتها - أن يقال بأن الله خلق بالمسيح ما خلق من الكائنات والمخلوقات. يقول القس جيمس أنس متحدثًا عن الأقانيم وأعهالما المختلفة: "ومن أمثلة التميز في الأعهال أن الآب خلق العالم بواسطة الابن"().

وهذا المعنى جد غريب لم تنطق به أنبياء العهد القديم، ولا ذكره المسيح الطيلاً، إنها ورد من كلام بولس ومقدمة يوحنا الفلسفية، المستمدة من الفكر الأفلوطيني والفلسفات الغنوصية؛ التي ترى أن الله أشرف من يخلق بنفسه، لذا ينيط هذا الفعل بالعقل الكلي أو الملائكة.

 ٢- ولا يمكن أن يكون المسيح الطي خالقًا للسهاوات والأرض وما بينهها؛ إذ هو ذاته غلوق، وإن زعمت النصارى أنه أول المخلوقين، لكنه على كل حال مخلوق، والمخلوق غير الخالق " الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة" (كولوسى ١/ ١٥).

٣- ثم إن الذي عجز عن رد الحياة لنفسه عندما مات؛ لهو أعجز من أن يكون خالقًا للسهاوات والأرض، أو أن تخلق به "فيسوع هذا أقامه الله" (أعمال ٢/ ٣٢)، ولو لم يقمه الله لما عاد من الموتى، وفي موضع آخر: "ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموات "

<sup>(</sup>١) علم اللاهوت النظامي، القس الدكتور جيمس أنس، ص (١٧٨).

(أعمال ٣/ ١٥)، ومثله قول بولس: "والله الآب الذي أقامه من الأموات" (غلاطية ١/١).

3- ويرى المحققون أن المقصود من هذه النصوص؛ أن المسيح خلقت به الخلائق خلقة الهداية والإرشاد، لا الإيجاد والتكوين، فتلك خلقة الله فحسب، والخلقة التي خلقها الله بالمسيح المنتي هي الخلقة الجديدة، خلقة الهداية، التي تحدث عنها داود، وهو يدعو الله بقوله: "قلبًا نقيًا اخلق في يا الله، وروحًا مستقيًا جدد في داخلي" (المزمور ١٠/٥١). ومثله قال بولس عن المؤمنين بالمسيح: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة" (كورنثوس (٢) ٥/١٠). وقال: "لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخُلِيقَةُ الجُدِيدَةُ. الله (خلاطية ٢/٥١). وفي موضع آخر يقول: "تلبسوا الإنسان المخلوق الجديد بحسب الله في البر" (أفسس ٤/ ٢٤). وعلى هذا الأساس؛ اعتبر يعقوب التلاميذ باكورة المخلوقات في البر" (أفسس ٤/ ٢٤). وعلى هذا الأساس؛ اعتبر يعقوب التلاميذ باكورة المخلوقات أوائل المهتدين الذين تلبسوا بالخليقة الجديدة. وعليه؛ فإن المقصود من خلق المسيح للبشر أوائل المهتدين الذين تلبسوا بالخليقة الجديدة. وعليه؛ فإن المقصود من خلق المسيح للبشر هو الخلق الروحي، إذ جعله الله محييا لموات القلوب وقاسيها.

٥- لكن قائلًا قد يرد استدلالنا وتأولنا للنصوص بها يقرأه فيها من حديث عن خلق السهاوات والأرض وما فيهها بالمسيح، فيرى أن النصوص التي يتعلق بها النصارى لا تتعلق بالبشر فقط؛ إذ فيها أن الله خلق به ما في السهاوات والأرض، وهذا قد يراه البعض - ممن لم يعتد طريقة الأسفار في التعبير - مانعًا من صرف النص إلى الخليقة الجديدة.

أما الذين اعتادوا على طريقة الأسفار في التعبير، فإنهم يرون في هذه النصوص مبالغة معهودة، حملتها مرارا الأسفار التوراتية والإنجيلية، ومن ذلك وصف العهد الجديد المسيح والتلاميذ أنهم نور العالم، يقول يوحنا: "مَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلاً: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتُبعني فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ " (يوحنا ٨/ ١٢)، وقال لتلاميذه: "أنتم نور العالم" (يوحنا ٥/ ١٤). ومن المعلوم أنهم جميعًا كانوا نورًا استنار به المؤمنون، وأعرض عنه غيرهم، فأظلمت قلوبهم، ولا يمكن أن يدعى ظهور النور في الجهاد والحيوان

الموجودين في العالم، فكما وصف النص يوحنا الإنجيلي المسيح وتلاميذه بنور العالم من غير أن يكون لهم أثر في إنارة غير قلوب المؤمنين من الكافرين أو الجهادات، فإنه وصف المسيح بأنه كان واسطة الخليقة الجديدة للعالم، والمقصود المؤمنون في العالم فحسب.

ومثله أيضًا، قول بولس عن المصالحة التي تمت بدم المسيح فإنه يقول: " وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. " (كولوسي ١/ ٢٠)، مع أن المصالحة كما يجزم القس جيمس أنس خاصة بشعبه المفديين دون الجهادات والكائنات الكافرة التي في السهاوات والأرض، فهؤلاء لا حظ لهم في المصالحة، التي قد يفهم من النص شمولها إياهم، كما قد يفهم من نصوص الخلق شموله غير المؤمنين. وقال بولس أيضًا عن الذين أرسل الله المسيح لفدائهم: " لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَرْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي المُسِيح، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ" (أفسس ١/ ١٠).

يقول القس جيمس أنس: " لا يمكن أن يكون معنى (كل شيء) العالمين، حيها وجمادها، كالشمس والقمر والنجوم؛ لأنها ليست قابلة للمصالحة مع الله؛ ولهذا السبب عينه لا يمكن أن يقصد بها كل الحيوان، ولا يمكن أن يقصد بها كل الخلائق العاقلة الساقطة؛ لأن المسيح لم يأت ليفتدي الملائكة الساقطين (عبرانيين ٢/ ١٦) ولا يقصد بها جميع البشر، لأن الكتاب يعلم أن ليس كل البشر يتصالحون مع الله"(١).

ومثله أيضًا قوله: "لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع" (كورنثوس (١) ٢٢/١٥)، فلئن كان الموت يشمل جميع البشر بسبب خطية آدم؛ فإن الذين يحيون جميع المؤمنين فحسب، لا جميع البشر الأموات الذين ماتوا بسبب خطيئة آدم. لكن النص كما رأينا يفهم من ظاهره ما لا يقصد، يفهم منه العموم ويراد به الخصوص، ومثل هذه المبالغات في التعبير – كما أسلفنا – معهودة ومألوفة في الكتاب، إذ يقول موسى لبني إسرائيل: "هوذا أنتم اليوم كنجوم السماء في الكثرة، الرب إلهكم يزيد عليكم مثلكم

<sup>(</sup>١) علم اللاهوت النظامي، جيمس أنس، ص (٧٢٤).

ألف مرة" (التثنية ١/ ١٠-١١). ومثله في قوله: " وَكَانَ الْمِدْيَانِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ وَكُلُّ بَنِي الْمُشْرِقِ حَالِّينَ فِي الْوَادِي كَاجُرَادِ فِي الْكَثْرَةِ، وَجِمَاهُمْ لاَ عَدَدَ لَهَا كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْمُثرِ فِي الْكَثْرَةِ " (القضاة ٧/ ١٢). وتصل المبالغة عند يوحنا أقصاها حين قال: " وَأَشْيَاءُ أَخَرُ كَثِيرَةُ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ المُكْتُوبَة " (يوحنا ٢١/ ٢٥)، فهذه المبالغة في الحديث عن خلقة الكون بالمسيح إنها هي بعض ما تعودناه من كتاب الكتاب المقدس. (١)

ب. إسناد الدينونة إلى المسيح: وتتحدث الأسفار عن المسيح الحياة ويان الخلائق يوم القيامة، يقول بولس: " أَنَا أُنَاشِدُكَ إِذًا أَمَامَ الله وَالرَّبِّ يَسُوعَ المُسِيحِ، الْعَتِيدِ أَنْ يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ، عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ " (تيموثاوس (٢) ٤/١)، فيرون في ذلك دليلا على ألوهيته، لأن التوراة تقول: "الله هو الديان" (المزامير ٥٠/٦).

والجواب من وجوه: ١- توجد نصوص تمنع أن يكون المسيح المسيطة والديان "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم، الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يوحنا ٣/ ١٧)، فالمسيح لن يدين أحدا. وهو ما أكده يوحنا بقوله: "وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم، من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه (أي الله وشرعه). الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" (يوحنا ١٢/٧٤-٤٨). وقال لهم أيضًا: أما أنا فلست ادين أحدا وإن كنت أدين فدينونتي حق لأنني لست وحدي بل أنا والآب الذي أرسلني (يوحنا ٨-٥).

٢- والمسيح الله لل يستطع أن يضمن الجنة لابني خالته وتلميذيه، ابني زبدي، لأن الله لم يأذن له بذلك، ومن كان هذا حاله فإنه عن الدينونة المطلقة أعجز، فقد جاءته أم ابني زبدي وكانا من تلاميذه "فسألها ما تريدين؟ قالت: أن يجلس ابناي هذان، واحد عن

<sup>(</sup>١) الله جل جلاله واحد او ثلاثة (٥٨) وانظر تخجيل من حرف التوراة والإنجيل.

يمينك، والآخر عن اليسار في ملكوتك. فأجاب يسوع، وأما الجلوس عن يميني وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي" (متى ٢٠/ ٢٠-٢٢).

٣- وإن أصر النصارى على أن الدينونة من أعمال المسيح الملكة فإن آخرين يشاركونه فيها، وهم تلاميذه الاثنا عشر، بما فيهم الخائن يهوذا الأسخريوطي " فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده؛ تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا، تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (متى ١٨/ ٢٨)، (وانظر لوقا ٢٢/ ٣٠).

٤ - وبولس أيضًا وغيره من القديسين سيهارسون الدينونة حتى للملائكة، حيث يقول: "ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟. . . ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة" (كورنثوس (١) ٦/ ٢-٣). فهو وغيره من القديسين سيدينون الملائكة والعالم، وليسوا آلهة.

٥- ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن دينونة المسيح للبشر - إن صحت - قد دفعها الله للمسيح الإنسان، فهو يصنعها بمقتضى إنسانيته " وأعطاه سلطانا أن يدين أيضًا، لأنه ابن الإنسان " (يوحنا ٥/ ٢٧).

ج. غفران المسيح الذنوب. ومما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح الطّيّلاما نقلته الأناجيل من غفران ذنب المفلوج والخاطئة على يديه، والمغفرة – كما يرون – من خصائص الألوهية، وعليه فالمسيح إله يغفر الذنوب، فقد قال للخاطئة مريم المجدلية: "مغفورة لك خطاياك " (لوقا ٧/ ٤٨)، كما قال للمفلوج: " ثق يا بني، مغفورة لك خطاياك "، وقد اتهمه اليهود لما سمعوا ذلك منه بالتجديف فقالوا: " قالوا في أنفسهم: هذا يجدف " (متى ١٩/ ٣)، أي أنه يدعى الإلهية حين يغفر للناس.

#### والجواب ما يلي:

١ – إذا رجعنا إلى قصتي الخاطئة والمفلوج؛ فإنا سنرى وبوضوح أن المسيح الحَيِّ ليس هو من غفر ذنبيهما، ففي قصة المرأة لما شك الناس بالمسيح وكيف قال لها: "مغفورة خطاياك"، وهو مجرد بشر، أزال المسيح الكَيْ اللبس، وأخبر المرأة أن إيهانها هو الذي

خلصها، ويجدر أن ننبه إلى أن المسيح لم يدع أنه هو الذي غفر ذنبها، بل أخبر أن ذنبها قد غفر، والذي غفره بالطبع هو الله تعالى.

والقصة بتهامها كها أوردها لوقا: " وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلِيّ. ٤٧ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ فَلِكَ أَقُولُ لَكَ: هَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يَغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُ قَلَالًا». ٤٨ ثُمَّ قَالَ لَهَا: «مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ». ٤٩ فَابْتَدَأَ اللَّتَكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: «مَنْ هذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضًا؟ ». • ٥ فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «إِيهَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، إِذْهَبِي بِسَلاَمِ اللهِ هذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضًا؟ ». • ٥ فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «إِيهَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، إِذْهَبِي بِسَلاَمٍ اللهَ هذا اللهِ عَلَى اللهِ وسعتها، والمسيح أخبرها برحمة الله التي وسعتها، وأفهم الحاضرين بوضوح أنه لم يجدف ولم يدع لنفسه مغفرة الخطايا. وإذا كان يغفر الخطايا فلم لم يغفر الله خطيئة آدم لأن الإنسان يقدر أن يغفر والله لا يقدر وأيضًا لماذا لم يغفرها المسيح من غير قتل او صلب يزيد الخطيئة ولا يمحوها؟. (١)

٢ - وكذا في قصة المفلوج لم يدع المسيح أنه الذي يغفر الذنوب، فقد قال للمفلوج: "ثق يا بني، مغفورة لك خطاياك" فأخبر بتحقق الغفران، ولم يقل: إنه هو الغافر لذنوب المفلوج.

٣- ولما أخطأ اليهود، ودار في خلدهم أنه يجدف، وبخهم المسيح على الشر الذي في أفكارهم، وصحح لهم الأمر، وشرح لهم أن هذا الغفران ليس من فعل نفسه، بل هو من سلطان الله، لكن الله أذن له بذلك، كما سائر المعجزات والعجائب التي كان يصنعها، وقد فهموا منه المراد، وزال اللبس من صدورهم، "فلما رأى الجموع تعجبوا، ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا ". (متى ٩/٨). والقصة بتمامها كما أوردها متى تقول: "قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». ٣وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا في قَلُوبِكُمْ؟ أَنْ شُيسَانِ هذَا يُجَدِّفُ! » ٤ فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ، فَقَالَ: «لَمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِ فِي قُلُوبِكُمْ؟ وَأَيُّا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ: مَعْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟ ٦ وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنْ الْإِنْ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْحُطَايَا». حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «قُم الْمِلْ

<sup>(</sup>١) وانظر مناظرة بين الإسلام والنصرانية ١٩٣ و٢٧٤.

فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ! » ٧فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ. ٨فَلَمَّا رَأَى الجُمُوعُ تَعَجَّبُوا وَبَجَّدُوا اللهَ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَانًا مِثْلَ هذَا. " (متى ٩/ ٣-٨).

فاتضح من هذا النص أمران: الأول: أن المسيح لم يقل للمفلوج: ثق يا بني لقد غفرتُ لك خطاياك! بل أنبأه قائلًا: مغفورة لك خطاياك. والفرق واضح بين الجملتين، فالجملة الثانية لا تفيد أكثر من إعلام المفلوج؛ بأن الله تعالى قد غفر ذنوبه، وليس في هذا الإعلام أي دليل على ألوهية المسيح؛ لأن الأنبياء والرسل المؤيدين بالوحي والمتصلين بجبريل الأمين، يطلعون بإطلاع الله تعالى لهم، على كثير من المغيبات والشؤون الأخروية ومنها العاقبة الأخروية لبعض الناس، كما أخبر نبينا محمد على عن بعض صحابته فبشرهم أنهم من أهل النار.

ثانيًا: قد يشكل على ما قلناه قول المسيح فيها بعد، ولكن لتعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا، فنسب غفران الخطايا لنفسه.

قلنا: آخر النص يجعلنا نحمل هذه النسبة على النسبة المجازية، أي على معنى أن ابن الإنسان (المسيح) خوله الله أن يعلن غفران خطايا، وذلك لأن الجملة الأخيرة في النص السابق تقول: " فلما رأى الجموع ذلك تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا "، فالغافر بالأصل والأساس هو الله تعالى، ثم هو الذي منح هذا الحق للمسيح وأقدره عليه؛ لأن المسيح فنى في الله تعالى وكان على أعلى مقام من الصلة بالله والكشف الروحى ولا يتحرك إلا ضمن حكمه وإرادته فلا يبشر بالغفران إلا من استحق ذلك.

ومما يؤكد أن غفران المسيح للذنوب هو تخويل إجمالي من الله تعالى له بذلك، وليس بقدرة ذاتيه له الحيالي هو أن المسيح، في بعض الحالات كان يطلب المغفرة للبعض من الله تعالى فقد جاء في إنجيل لوقا (٢٣ / ٣٤): " فقال يسوع: يا أبتاه! اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ". فانظر كيف طلب من الله غفران ذنبهم ولو كان إلمًا يغفر الذنوب

بذاته ومستقلًا، كما ادعوا، لغفر ذنوبهم بنفسه. (١)

٤ - وهذا السلطان دفع إليه، كما دفع كثير غيره من الله تبارك وتعالى: "التفت إلى تلاميذه وقال: كل شيء قد دفع إلي من أبي" (لوقا ٢٢/١٠)، وإلا فهو لا حول له ولا قوة، قد قال في موضع آخر: " دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (متى ١٨/٢٨)، لكنه ليس سلطانه الشخصي، بل هو قد دفع إليه من الله، ولو كان إلما لكان هذا من خصائصه وقدراته الذاتية، لكنه يعجز عنه عليه لأنه عبد الله، وكما يقول عن نفسه: " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا" (يوحنا ٥/ ٣٠)، فلولا دفع الله بهذا السلطان إليه لما قدر على غفران ذنب أو خطيئة.

٥- وسأل اليهود المسيح السلاق وكلموه قائلين: قل لنا: بأي سلطان تفعل هذا؟ أو من هو الذي أعطاك هذا السلطان؟ " فلم يزعم المسيح أنه سلطان ذاتي امتلكه بموجب لاهوته الأزلي، بل سألهم عن السلطان الذي كان ليوحنا المعمدان في معمودية غفران الذنوب من أين هو؟ فقال: "وأنا أيضًا أسألكم كلمة واحدة، فقولوا لي: معمودية يوحنا المعمدان، من السهاء كانت أم من الناس؟ " (لوقا ٢٠/٢-٤)، أي أنه يصنع الغفران وغيره بذات السلطان الذي كان للمعمدان، إنه سلطان النبوة فحسب.

7- وسلطان غفران الخطايا دفع أيضًا إلى غير المسيح النظم، فقد دفع إلى التلاميذ، وأصبح بمقدورهم غفران الذنوب التي تتعلق بحقوقهم الشخصية، بل وكل الذنوب والخطايا، ومغفرتهم للذنوب الشخصية بحقهم يقول عنه المسيح: "إن غفرتم للناس زلاتهم؛ يغفر لكم أيضًا أبوكم السهاوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضًا زلاتكم" (متى ٦/ ١٤- ١٥). فيها يعطيهم يوحنا صكًا مفتوحًا في غفران أي ذنب وخطيئة، فيقول: "من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت " (يوحنا وخطيئة، فيقول: "من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت " (يوحنا بالرهيتهم!

<sup>(</sup>١) الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ويوحنا تنفى ألوهية المسيح كما ينفيها القرآن (١٠٥).

٧- وقد ورثت الكنيسة عن بطرس والتلاميذ هذا المجد وهذا السلطان؛ فأصبح القسس يغفرون للخاطئين عن طريق الاعتراف أو صكوك الغفران، واعتمدوا في إقرار ذلك على وراثتهم للسلطان الذي دفع لبطرس "أنت بطرس وأعطيك مفاتيح ملكوت السهاوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السهاوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السهاوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السهاوات. . " (متى ١٦/ ١٩)، فلو غفر بطرس أو البابا - وارث كرسيه ومجده - لإنسان غفرت خطيئته من غير أن يقتضى ذلك ألوهية بطرس أو البابا أو القسيس.

٥- وهذا السلطان ليس خاصًا ببطرس وورثته، بل دفع لكل التلاميذ " اَلحُقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُونَهُ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ خَلُولاً فِي السَّمَاءِ. ١٩ وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ خَلُولاً فِي السَّمَاءِ. ١٩ وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطُلُبُونِ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي اللَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ " (متى ١٨/١٨ - ٢٠)، لكنه كما لا يَظْلُبُونِهُ لَمُ عَلَى الوهيتهم، لأنه ليس حقًا شخصيًا لهم، بل هبة إلهية وهبت لهم ولمعلمهم المسيح. هذا ما يذكره الكتاب المقدس.

9- ولما كان المسيح الطَّيِّلا يملكه من تلقاء نفسه؛ فقد طلب من الله أن يغفر لليهود، ولو كان يملكه لغفر لهم ولم يطلبه من الله كما في لوقا " فقال يسوع: يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا ٢٣/ ٣٤). (١)

#### سادسًا: دلالة معجزات السيح على ألوهيته

وتذكر الأناجيل الكثير من معجزات المسيح الكلا، وتستدل بها على ألوهيته كولادته من غير أب وإحيائه للموتى وشفائه للمرضى وإخباره بالغيوب.

#### والجواب عن ذلك من وجهين.

# الوجه الأول: كل الأنبياء أيده الله بالمعجزة فليست خاصة بعيسي الطِّيِّلا

وبناء عليه لاحظ المحققون - من قراء الكتاب المقدس - أن الكثير مما صنعه المسيح الطّيِّة من عجائب ومعجزات قد شاركه فيه غيره من الأنبياء، وسواهم، ولم يقل

<sup>(</sup>١) المصدر السابق وانظر تخجيل من حرف التوراة والانجيل ١/ ٤١٩

أحد من النصارى بألوهيتهم، فدل ذلك على أن غاية ما تدل عليه المعجزات نبوة أصحابها، وإلا لزم القول بألوهية كل من شارك المسيح في الأعاجيب التي صنعها الله على يديه. وإليك شيء من هذه المعجزات التي شاركه فيها غيره.

i. الميلاد العدراوي: لقد كانت ولادة المسيح الطبيخ من غير أب بشري إحدى أعظم معجزاته الطبيخ، وقد تعلق بها القائلون بألوهيته، يقول ياسين منصور: "لو لم يولد المسيح من عذراء لكان مجرد إنسان ". (١)

وهو بحق كذلك، بدليل أن بعض المخلوقات شارك المسيح في صورة هذه المعجزة الباهرة، أي ولادته من عذراء، من غير أب. فأصول سائر المخلوقات ومنهم البشر لا أب لهم ولا أم، ووجود آدم خلقًا سويًا أكبر وأكمل من خلقة المسيح الذي خلق جنينا في بطن أمه، ثم كبر بعد ذلك ونها. والميلاد من غير أب أعجوبة ولا ريب، لكنها لا تقتضي الألوهية بحال، ولو اقتضاها لاقتضى ألوهية أصول جميع الحيوانات، وألوهية أبوينا آدم وحواء، فقد ولد آدم من غير أب ولا أم، وولدت حواء من آدم، ولا أم لها. وذلك المعنى هو ما أرشدنا إليه الله بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ ثُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران: ٥٩).

ورغم المثلية القائمة بين آدم وعيسى من جهة ميلادهما من غير أب، إلا أن آدم يتميز عن عيسى بأمور، منها أن آدم الله أله غرج من بين نجو وطمث، وأيضًا فإن الله أسجد له ملائكته، وعلمه الأسهاء من علمه، كها كانت الجنة منزله، وقد تولى الله مناجاته بنفسه دون أن يرسل إليه رسولًا، إلى غير ذلك مما لم يكن لعيسى ولا غيره. فها دام آدم مميزًا بكل هذه المميزات، فلم لا تقول النصارى بألوهيته؟!

وممن فاق المسيح في هذه المعجزة - حسب الكتاب المقدس - ملكي صادق كاهن ساليم في عهد إبراهيم، فإن بولس يزعم أن لا أب له ولا أم ولا بداية ولا نهاية، يقول:

<sup>(</sup>١) مسيحية بلا مسيح، كامل سعفان (٦٢)، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، علاء أبو بكر (١٨٦).

"ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي ... بلا أب، بلا أم، بلا نسب، لا بداءة أيام له، ولا نهاية حياة، بل هو مشبه بابن الله، هذا يبقى كاهنا إلى الأبد" (عبرانيين ٧/ ١-٣)، فلم لا يقول النصارى بألوهية ملكي صادق، وهو الذي لا أب له ولا أم؟ ومثل هذا أيضًا يلزم النصارى بحق الملائكة، فهم أيضًا خلقوا من غير أب ولا أم، بل ولا طين، لكن النصارى لا تعتبرهم آلهة. وهكذا فالميلاد العذراوي لا يصلح دليلًا على الألوهية، وإن كان حدثًا فريدًا - نسبيًا - في تاريخ البشرية.

ب. معجزة إحياء الموتى: لا ريب أن معجزة إحياء الموتى معجزة عظيمة من معجزات المسيح السيح السيح الشيخ، وقد أثبتها القرآن له، وأخبر بأنها من عند الله ﴿وَأُحْيِي المُوْتَى بِإِذْنِ اللهِ ﴾ (آل عمران: ٤٩)، وهو ما يتفق أيضًا مع الإنجيل، فقد قال عيسى للذين شاهدوه وعاصروه: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئًا" (يوحنا ٥/ ٣٠).

لكن النصاري يصرون على أن إحياء الموتى يدل على ربوبية المسيح وألوهيته، ويتجاهلون نصوصًا كتابية أسندت ذات الفعل لغير المسيح. فلم لا تقول النصاري بألوهيتهم؟!.

إن إعراض النصارى عن القول بألوهية هؤلاء، إنها هو دليل على بطلان الاستدلال الألوهية المسيح بمعجزة الخلق.

١- فلئن كان المسيح أحيا لعازر (انظر يوحنا ١١/ ٤١-٤٤)، فإن النبي إلياس أحيا ابن الأرملة "وقال: أيها الرب إلهي، أيضًا إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها - وحاشا لله أن يسيء -، فتمدد على الولد ثلاث مرات، وصرخ إلى الرب وقال: يا رب إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش" (الملوك (١) ١٧/ ١٩-٢٤)، لذا خاطبه يشوع بن سيراخ: "أنت الذي أقمت ميتا من الموت" (ابن سيراخ ١٨/ ٥).

٢ - واليسع أيضًا أحيا - بإذن الله - ميتين أحدهما أحياه حال حياته، والآخر بعد وفاته،
 فقد أحيا ابن الإسرائيلية التي جاءته "دخل أليشع البيت، وإذا بالصبي ميت ومضطجع

على سريره، فدخل وأغلق الباب على نفسيها كليها، وصلى إلى الرب، ثم صعد واضطجع فوق الصبي، ووضع فمه على فمه، وعينيه على عينيه، ويديه على يديه، وتمدد عليه، فسخن جسد الولد، ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك، وصعد وتمدد عليه، فعطس الصبي سبع مرات، ثم فتح الصبي عينيه" (الملوك (٢) ٤/٣٦-٣٦).

٣- كما أحيا اليسع بقدرة الله بعد موته ميتًا وضعه أهله على قبر اليسع، فعاد حيا " وَفِيهَا كَانُوا يَدْفِنُونَ رَجُلاً إِذَا بِهِمْ قَدْ رَأَوْا الْغُزَاةَ، فَطَرَحُوا الرَّجُلَ فِي قَبْرِ أَلِيشَعَ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّجُلُ وَمَسَّ عِظَامَ أَلِيشَعَ عَاشَ وَقَامَ عَلَى رِجْلَيْهِ. " (الملوك (٢) ١٣/ ٢١).

3- والعجب من استدلال النصارى بإحياء الموتى لإثبات ألوهية المسيح الطيخة مع أنهم أثبتوا هذه القدرة للحواريين، والمقصود ما جاء قصة إحياء بطرس لطابيثا. فقد جاء في أعمال الرسل أن بطرس أحيا طابيثا بعد أن ماتت وغسلها أهلها "وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثا الذي ترجمته غزالة. . . . وحدث في تلك الأيام أنها مرضت وماتت، فغسلوها ووضعوها في علية . . . . فأخرج بطرس الجميع خارجا وجثا على ركبتيه وصلى، ثم التفت إلى الجسد وقال: يا طابيثا قومي، ففتحت عينيها، ولما أبصرت بطرس جلست" (أعمال ٩/٣٦-٤١)، فأي فرق بين ما فعله المسيح وما فعله بطرس، فكل ذلك بإذن الله وقدرته.

وكل التلاميذ – حسب الكتاب المقدس – يقدرون على إحياء الموتى، فقد قال لهم المسيح: " وَفِيهَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّهَاوَاتِ. الْمِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. " (متى ١٠/٧-٨)، فهل كل هؤلاء آلهة؟

٥- كما يغفل النصارى المتحدثون عن ألوهية المسيح الذي أحيا الموتى، يغفلون عن تلك النصوص التي تتحدث عن موت المسيح، وعجزه عن دفع الموت عن نفسه، كما عجز عن ردها إلى الحياة من جديد، حتى أعاده الله وأقامه من الأموات، وقد تكاثرت النصوص على إيراد هذه الحقيقة حتى بلغت خمسة عشر نصا، منها "فيسوع هذا أقامه الله" (أعمال ٢/ ٣٢)، ومنها "ورئيس الحياة قتلتموه الذي أقامه الله من الأموات " (أعمال

٣/ ١٥)، وكذا "المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله" (أعمال ٤/ ١٠). وهكذا بطل الاستدلال بهذه العجيبة على ألوهية المسيح، ولكنها بحق أعجوبة عظيمة دفعها الله للمسيح ليقيم بها الحجة على نبوة هذا النبي العظيم على المسيح ليقيم بها الحجة على نبوة هذا النبي العظيم على المسيح ليقيم بها الحجة على نبوة هذا النبي العظيم المسيح ليقيم بها الحجة على نبوة هذا النبي العظيم المسيح ليقيم بها الحجة على نبوة هذا النبي العظيم المسيح ليقيم بها الحجة على نبوة هذا النبي العظيم المسيح ليقيم بها الحجة على نبوة هذا النبي العظيم المسيح ليقيم بها الحجة على نبوة هذا النبي العظيم المسيح ليقيم بها الحجة على نبوة هذا النبي العظيم الله المسيح ليقيم المسيح المسيح المسيح المسيح المسيح ليقيم المسيح المسيح

- ج. معجزة شفاء المرضى: ويستدل النصارى على ألوهية المسيح العَيْ بقدرته على شفاء المرضى، ولئن كان عيسى العَيْلاقد شفى الأبرص (انظر متى ٨/٣) فإن اليسع شفى أبرصًا، وأمرض آخر وذريته من بعده بالبرص "فأرسل إليه أليشع رسولًا يقول: اذهب واغتسل سبع مرات في الأردن، فيرجع لحمك إليك، وتطهر. . . فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد، وخرج من أمامه أبرص كالثلج" (الملوك (٢) ٥/ ١٠ ٢٧).
- 6. التنبؤ بالغيوب: وقد تنبأ المسيح العلابكثير من الغيوب، فكانت كها قال، فقد أخبر التلميذان اللذان أرسلها لذبح فصح العيد بها سيكون لهما (انظر مرقس ٢ / ١٦-١٦)، وقد قال له بطرس: "يا رب أنت تعلم كل شيء" (يوحنا ٢١/ ٧١)، كها علم بأن الجحش المربوط في قرية بيت فاجي لم يركب عليه أحد، وهو كها يقول القس إبراهيم سعيد: "دليل جديد على أن المسيح يعلم بالغيب علمًا دقيقًا مفصلًا، لا يقبل شكًا ولا تأويلًا، وفي هذا برهان آخر على المجد الوضيع (هكذا) الذي كان يحف بالمسيح"(١).
- ١ لكن ليس المسيح وحده من قد تنبأ بالمغيبات، فقد تنبأ قبله يعقوب الطّي فقال المنائه: "اجتمعوا لأنبئكم بها يصيبكم في آخر الأيام..." (التكوين ١/٤٩ ٢٧).

٢- ومثله تنبأ صموئيل وإيليا (انظر صموئيل (۱) ۲/۱۰-۹، الملوك (۱) ۲۱/۲۱-۲)
 ٢٤)، وقد تحققت نبوءتهما في (الملوك (۲) ۱۰/۱۰-۲۰، ۹/۳۰-۳۷). ومثل هذا كثير في الأسفار المقدسة. (انظر صموئيل (۱) ۱۹/۳۲-۲۶، الملوك (۲) ۱۸/۸/۱۸-۱۲
 ۱۳، يوحنا ۱۱/۹۶-۵۲).

٣- وقد جاء في وصف بلعام بن بعور المتنبئ الكافر الذي قتله موسى الكافر الذي

<sup>(</sup>١) شرح بشارة لوقا، (ص٤٧٥).

يسمع أقوال الله، ويعرف معرفة العلي، الذي يرى رؤيا القدير" (العدد ٢٤/ ١٦) وذكرت الأسفار التوراتية عددًا من تنبؤاته التي تحققت.

٤- ثم إن المسيح الطَّيِّكَ كما تنبأ بالغيوب فإنه عجز عن أخر، وجهلها، إذ لم يعرف بالخبز وعدده (انظر متى ١٥/ ٣٢-٣٣).

٥- وينبه العلامة ديدات أنه لا يجوز للنصارى أن يذكروا شيئًا عن مغيبات أخبر عنها المسيح وهم ينسبون إليه الكذب - وحاشاه - عندما تنبأ بعودته السريعة قبل انقضاء جيله. (انظر مرقس ٢٦/١٣، ٣٠، متى ٢٠/٣٠) وهو ما لم يحدث حتى يومنا هذا.

هـ التسلط على الشياطين: وكذلك أوتي المسيح المسلطانًا على الشياطين (انظر متى ٢١/ ٢٧ - ٢٨)، ولكنها معجزة قام بها غيره.

١- فعندما اتهمه اليهود بأنه يخرج الشياطين بمعونة رئيسهم قال: "إن كنت أنا أخرج الشياطين ببعزبول، فأبناؤكم بمن يخرجونهم؟ " (متى ٢١/ ٢٧)، فأثبت لأبناء اليهود مثل قدرته.

٢- كما وقد حذر العلام من الكذبة الذين سينجحون في إخراج الشياطين فقال: "كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب، يا رب، أليس باسمك تنبأنا؟ وباسمك أخرجنا شياطين؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ " (متى ٧/ ٥-٣٢)، فالأنبياء الكذبة يخرجون الشياطين، من غير أن يدل ذلك على نبوتهم أو صلاحهم، فضلا عن القول بألوهيتهم.

وعجائب مختلفة: وتذكر الأناجيل عجائب متفرقة للمسيح المسيخ ، كتحويله الماء إلى خمر (انظر يوحنا ٢١/٧-٩)، وإطعامه الجمع كبير من خسة أرغفة (متى ١٤/١٩-٢١)، ويباس شجرة التين بقوله. (انظر متى ٢١/١٨-١٩). كما لا يفوتهم التنبيه إلى الظلمة العظيمة التي أعتمت الأرض عند موته المزعوم على الصليب (متى ٢٧/٥٥)، فدلت هذه العجائب المختلفة على ألوهيته وأنه ابن الله. وأيضًا يستدل القائلون بألوهيته المنسخ المنطراب عظيمٌ قَدْ له، فقد أوتي سلطانًا على العناصر الطبيعية، فالرياح والبحر يطيعه " وَإِذَا اضْطِرَابٌ عَظِيمٌ قَدْ حَدَثَ فِي الْبَحْرِ حَتَّى غَطَّتِ الأَمْوَاجُ السَّفِينَة، وَكَانَ هُو نَائِيًا. ٥٧ فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَأَيْقَظُوهُ

وكذا فإن المسيح صام أربعين يومًا لم يجع خلالها، وهو ما لا يطيقه بشر، فدل ذلك على أنه الله. (انظر متى ١/٤-٢). كما صعد المسيح إلى السماء، وجلس عن يمين الله. (مرقس ١/١٦)، وهو كما يرى النصارى منزل لم يصل إليه أحد من العالمين إلا المسيح بما له من خواص الألوهية.

ولكن أمثال هذه المعجزات بل وأعظم منها جرت على يدي غيره، ولم تقتض ألوهيتهم.

١ - فلئن كان المسيح الطّي قد حول الماء إلى خر (انظر يوحنا ٢/٧-٩)، فإن موسى الطّي حول الماء إلى دم كما في سفر الخروج " تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ، فَيَصِيرُ المَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنَ النّهْرِ دَمًا عَلَى الْيَابِسَةِ " (الخروج ٤/٩).

٧-وأما اليشع فقد صنع أعظم من ذلك، إذ ملأ قدور العجوز الفارغة زيتًا، من غير أن يكون فيها شيء " فَقَالَ: «اذْهَبِي اسْتَعِيرِي لِنَفْسِكِ أَوْعِيَةً مِنْ خَارِجٍ، مِنْ عِنْدِ جَمِيعِ جِيرَانِكِ، أَوْعِيَةً فَارِغَةً. لاَ ثُقَلِّلِي. ٤ ثُمَّ ادْخُلِي وَأَغْلِقِي الْبَابَ عَلَى نَفْسِكِ وَعَلَى بَنِيكِ، وَصُبِّي فِي جَمِيعِ هذِهِ الْوَعِيَةِ، وَمَا امْتَلاً انْقُلِيهِ». ٥ فَذَهَبَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَأَغْلَقَتِ الْبَابَ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَى بَنِيهَا. فَكَانُوا الأَوْعِيَةِ، وَمَا امْتَلاً انْقُلِيهِ». ٥ فَذَهَبَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَأَغْلَقَتِ الْبَابَ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَى بَنِيهَا. فَكَانُوا هُمْ يُقَدِّمُونَ لَهَا الأَوْعِيَةَ وَهِي تَصُبُّ. ٦ وَلَا امْتَلاَّتِ الأَوْعِيَةُ قَالَتْ لا بْنِهَا: «قَدِّمْ لِي أَيْضًا وِعَاءً». هُمْ يُقَدِّمُونَ لَهَا الأَوْعِيَةَ وَهِي تَصُبُّ. ٦ وَلَا الْمَثَلاَّتِ الأَوْعِيَةُ قَالَتْ لا بْنِهَا: «اللّه فَقَالَ: «اذْهَبِي بِيعِي فَقَالَ لَهَا: «لا يُوجَدُ بَعْدُ وِعَاءً». فَوَقَفَ الزَّيْتُ. ٧ فَأَتَتْ وَأَخْبَرَتْ رَجُلَ الله فَقَالَ: «اذْهَبِي بِيعِي الزَّيْتَ وَأَوْفِي دَيْنَكِ، وَعِيشِي أَنْتِ وَبَنُوكِ بِهَا بَقِيَ». " (الملوك (٢) ٤/٣-٧).

 ٤ - ولئن كان المسيح التي قد حول شجرة التين إلى يابس. (انظر متى ١٨/٢١-١٩)،
 فإن موسى التي حول العصا اليابسة إلى حية. (انظر الخروج ٧/٩)، وهو أعظم، إذ قد يدخل يبس الشجرة في قانون الطبيعة، لكن تحويل العصا إلى حية معجز بكل حال.

٥ - وأما الظلمة التي يدعي النصارى حصولها عند صلب المسيح، فهي ليست - بأي حال - بأكبر من الظلمة التي استمرت على أرض مصر ثلاثة أيام بسبب كفرهم بموسى، " فَمَدَّ مُوسَى يَلَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ فَكَانَ ظَلاَمٌ دَامِسٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ ثَلاَثَةَ آيَّامٍ " (الخروج ١٠/ ٢٢-٢٣).

7 - وأيضًا فإن يشوع لما حارب الأموريين، وكادت ليلة السبت أن تدخل، ناجى ربه فقال: "أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر دوم على وادي أيلون، فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب ... فوقفت الشمس في كبد السهاء، ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل" (يشوع 1/7/-10)، وهذا الذي حصل ليشوع لا يقتضي ألوهيته، وهو أعظم من غياب الشمس ثلاث ساعات، فإنها قد تغيب بالغيوم، وهو داخل في السنن المعهودة، أما توقف دوران الكرة الأرضية فهو أعظم من ذلك بكثير. 9 - وأعظم منهها، ما صنعه النبي إشعيا، فقد أعاد الله بدعائه الشمس إلى الوراء، ليبرهن للملك حزقيا على صدق مواعيد الرب. (انظر: الملوك 1/7/7/1-10)، وقال عنه ابن سيراخ: "في أيامه رجعت الشمس إلى الوراء" (ابن سيراخ 1/7/7/1-10)، ورغم هذا كله فإن أحدًا لا يقول بألوهية النبي إشعيا.

٨- ثم لئن كانت الطبيعة تطيع المسيح؛ فإن ذلك قد حصل مع الأنبياء أيضًا، فإيليا أطاعته النار حتى قال: " إن كنت أنا رجل الله فلتنزل نار من السهاء تأكلك أنت والخمسين الذين لك، فنزلت نار الله من السهاء وأكلته هو والخمسين الذين له" (الملوك / ١ / ١ - ١).

٩- وكذا أطاع البحر إيليا "و أخذ إيليا رداء، ولفه، وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك، فعبر كلاهما (أليشع وإيليا) في اليبس" (الملوك (٢) ٢/٧-٨)، وقد رأينا كيف

أطاعت الشمس والقمر يشوع.

٠١- وأما صيام المسيح الطَّكِمُ أربعين يومًا فلا يدل على ألوهيته؛ إذ إنه "جاع أخيرًا" (متى ٤/٢)، فلئن كان صومه وصبره يدل على ألوهيته، فإن جوعه يكذب هذه الدعوى، ويدل على بشريته.

١١- ولموسى الطِّخة "أقمت في الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة لا آكل خبزا ولا أشرب ماء" (التثنية ٩/٩).

۱۲ – وإيليا حين أكل ثم "سار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارًا وأربعين ليلة إلى جبل الله" (الملوك ۱۹/۷–۸).

۱۳ - ولئن قال النصارى برفع المسيح للسهاء وجلوسه عن يمين الله، فإن مثل ذلك حصل مع إيليا الذي رفع من غير أن يصلب أو أن يصفع أو أن يصاب بسوء. (انظر الملوك (۲) ۲/ ۱۱-۱۲)، ومثله حصل مع أخنوخ. (انظر التكوين ٥/ ٢٤).

15- وأما الجلوس عن يمين الله؛ فقد ألحقته الكنيسة بإنجيل مرقس (انظر مرقس ١٦/ ١٦)، ولا يمكن حمله على الحقيقة، بل غايته أن يقال: بأنه جلوس معنوي أي برفع مكانته، كما جاء في كلام ميخا "لقد رأيت الرب جالسا على كرسيه، وكل جند السماء وقوف عن يمينه ويساره" (الأيام (٢) ١٨/ ١٨). (١)

الوجه الأول: ذكر القرآن وأكد صدور المعجزات العظيمة عن المسيح الطيلا، وأخبر أنه يصنعها بتأييد من الله، فقال: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ الله وَأُبْرِئُ الْأَكْمَة وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي المُوْتَى بِإِذْنِ الله وَأُنبَّكُمْ بِهَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ (آل عمران: ٤٩).

<sup>(</sup>١) انظر مناظرة بين الإسلام والنصرانية (٢٦٩) وما بعدها والأناجيل الأربعة ورسائل بولس تنفي ألوهية المسيح (١٠٩) وما بعدها. .

- ١ " أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ " (متى ١٢/ ٢٨).
- ٢ وقال: " كُنْتُ بِأَصْبِعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ " (لوقا ١١/٢٠).
- ٣- وعندما جاء لإحياء لعازر " وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لَأَنْكَ سَمِعْتَ لِي، \$2 وَأَنَا عَلِمْتُ أَنْكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لأَجْلِ هذَا الجُمْعِ الْوَاقِفِ لَأَنْكَ سَمِعْتَ لِي، \$2 وَأَنَا عَلِمْتُ أَنْكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لأَجْلِ هذَا الجُمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنْكَ أَرْسَلْتَنِي " (يوحنا ١١/ ٤٠ ١٤)، لقد شكر الله أن قبل منه تضرعه ودعاءه حين رفع عينيه إليه متوسلا ضارعا، فاستجاب الله له، وأحيا على يديه لعازر.
- ٤ وأيضًا استلهم من الله القدير العون لما أراد إطعام الجمع من الأرغفة الخمس "رفع نظره نحو السهاء، وبارك وكسر" (متى ١٤/١٤).
- ٥- ولما جيء له بالأصم "رفع نظره نحو السهاء وأنّ، وقال: افثاً، أي انفتح، وللوقت انفتحت أذناه، وانحل رباط لسانه، وتكلم مستقيمًا" (مرقس ٧/ ٣٤-٣٥)، فأنينه تضرع واستغاثة بالله لم يخيبه الله فيهما.
- 7 وقال متحدثًا عن سائر معجزاته وأعاجيبه: "دفع إلى (أي من الله) كل سلطان في السهاء وعلى الأرض" (متى ١٨/٢٨)، فكل ما يؤتاه هبة الله، ولو كان إلمّا لكانت معجزاته ذاتية تنبع من طبيعته الإلهية، ولا يحتاج إلى من يهبها له أو يمنعه إياها.
- ٧- وأكد المسيح السلام أنه لا حول له ولا قوة بغير تأييد الله له، فقال: "أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا" (يوحنا ٥/ ٣٠).
  - ٨- ويقول: "الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي" (يوحنا ١٠/٢٥).
- 9 وأما الذين رأوا معجزات المسيح فقد عرفوا أنها يصنعه إنها هو من المعجزات التي يعطيها الله لأنبيائه، ولم يفهم أحد منهم ألوهية صاحب هذه المعجزات، فعندما شفي الصبي من الروح النجس "بهت الجميع من عظمة الله" (لوقا ٩/ ٣٤).

• ١ - ولما شفى المرأة المقوسة الظهر " استقامت (أي المرأة بظهرها) ومجدت الله" (لوقا ١٣/١٣). ولما أقام المفلوج ورأت الجموع ذلك "تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا" (متى ٩/٨).

۱۱- وهو ما قاله عنه الأعمى الذي شفاه " فقالوا له: كيف انفتحت عيناك؟ أجاب ذاك وقال: إنسان يقال له يسوع" (يوحنا ۹/ ۱۰-۱۱).

۱۲ – وحين انتهر البحر والرياح وأطاعته لم يفهم الراؤون لهذا ألوهيته رغم عظم هذه المعجزة، بل عجبوا لقدرة المسيح الإنسان، يقول متى: " فتعجب الناس قائلين: أي إنسان هذا؟ فإن الرياح والبحر جميعا تطيعه" (متى ٨/ ٢٧).

١٣ - ولما أرادت مرثا أخت لعازر أن يُحييَ أخاها أكدت معرفتها بأن هذه المعجزات هي من الله، وأنه يؤيد بها المسيح، فقالت له: " أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه" (يوحنا ١١/ ٢٢).

14- وهذا تلميذه بطرس كبير الحواريين يقول مخاطبًا الجموع مؤكدًا هذا المفهوم: "يسوع الناصري رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيده" (أعمال ٢/ ٢٢).

10 - وأيضًا نيقوديموس معلم الناموس، أدرك سر هذه المعجزات العظيمة التي يصنعها المسيح، وأنها من قبل الله، وبسبب عونه وتأييده، فقال للمسيح الكلا: " يا معلم، نعلم أنك قد أتيت من الله معلمًا، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل، إن لم يكن الله معه" (يوحنا ٣/٢).

١٦ - وتحكي الأناجيل ما يؤكد أن هذه المعجزات لم تكن إلا هبة من الله، وكان المسيح يحذر أن لا يؤتاها في بعض المواطن، لذلك لما تقدم إلى لعازر الميت خاف أن لا يتمكن من صنع معجزة "قال بعض منهم: ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضًا لا يموت؟ فانزعج يسوع أيضًا في نفسه" (يوحنا ١١/٣٥-٣٨).

١٧ - وفي مرات أخر طلب منه الفريسيون آيات، فلم يقدر على صنعها، أو لم يصنعها
 " فتنهد بروحه، وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية؟ الحق أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل
 آية، ثم تركهم ودخل السفينة ومضى" (مرقس ٨/ ١١ - ١٣).

ولما تكاثرت جموع اليهود عليه تطلب آية لم يجبهم إلى طلبهم، بل قال: "جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تعطى له آية" (متى ٢١/ ٣٩-٣٩).

1۸ - ثم لو كان ما يصدر من المسيح من آيات تدل على ألوهيته فلم يأمر بإخفائها، وهي السبيل الذي يدل الناس على حقيقته؟ فقد قال المسيح للأبرص لما شفاه "انظر، لا تقل لأحد شيئا" (مرقس 1/ ٤٤). ولما شفى الأعميان قال: "انظرا، لا يعلم أحد" (متى ٩/ ٣١).

وقال للأعمى الثالث لما شفاه: "لا تدخل القرية، ولا تقل لأحد في القرية" (مرقس ٨/ ٢٦).

وتكرر منه ذلك "فعلم يسوع وانصرف من هناك، وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعا، وأوصاهم أن لا يظهروه" (متى ١٦/ ١٥ - ١٦)، فالمسيح الكيانبإخفائه للمعجزات يريد أن لا ينشغل الناس بالمعجزات عن دعوته وجوهرها، ولو كانت دليل ألوهيته لوجب أن ينبههم إلى ذلك.

19 - المعجزات لا تدل - حسب الكتاب المقدس - على النبوة فضلًا عن الألوهية، والعجب - كل العجب - أن يعتبر النصارى معجزات المسيح المنتلا دالة على ألوهيته، والكتاب مصرح بقدرة غيره من البشر على صنع مثل هذه المعجزات العظيمة، من غير أن يكون ذلك دالا على ألوهية هؤلاء.

فقد أثبت الكتاب هذه المعجزات وما هو أعظم منها لكل المؤمنين بالمسيح، فقال: "الحق أقول لكم: من يؤمن بي، فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضًا، ويعمل أعظم منها" (يوحنا ١٢/١٤)، أي يستطيع المؤمنون شفاء المرضى بل وإحياء الموتى، بل ويستطيعون صنع أعظم من ذلك، وعليه لا تصلح في الدلالة على الألوهية.

• ٢- وفعل العجائب - حسب الكتاب المقدس - لا يصح للدلالة على صدق أو صحة إيهان أصحابها، فضلا عن النبوة أو الألوهية، فإن المسيح المنافئة ذكر بأن كذبة

سيفعلون المعجزات، ويزعمون أنهم يصنعونها باسم المسيح. فقد ذكر متى أن المسيح قال: "ليس كل من يقول لي: يا رب يا رب، يدخل ملكوت السهاوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السهاوات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (متى ٧/ ٢١-٣٣)، فهؤلاء المنافقون الكذبة قدروا على فعل المعجزات، ولم تدل على صلاحهم وإيهانهم، فضلًا عن نبوتهم وألوهيتهم.

وأيضًا إنسان الخطيئة يصنع الكثير من المعجزات والعجائب، من غير أن يعني ذلك صدقه أو ألوهيته، إذ يصنعها بعون الشيطان وقوته، يقول عنه بولس: "الذي مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة" (تسالونيكي (٢) ٢/ ٩).

#### الوجه السابع: استدلال النصاري بآيات من القرآن على ألوهية المسيح

وهي عبارة عن دعاوى وشبهات يرون فيها أن القرآن يشهد لألوهية المسيح:

فالادعاء الأول، هو: أن ضهائر الجمع التي تكلم الله بها عن نفسه في القرآن؛ تدل على ألوهية المسيح النفي الأنها - بزعمهم - تدل على أن الإله ثلاثة أشخاص منهم: المسيح النفي (فقد كان نصارى نجران يقولون عن عيسى النفي: هو الله، ويقولون: هو ولد الله ويقولون: هو ثالث ثلاثة، ويحتجون بأنه ثالث ثلاثة بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا وقضينا فيقولون: لو كان الله واحدا ما قال إلا فعلت، وقضيت وأمرت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم)(۱)، كما احتجوا على الرسول بشبقوله تعالى: ﴿إنا نحن ﴾ (الحجر: ٩). قالوا: وهذا يدل على أنهم ثلاثة)(١).

كذلك ردد عبد المسيح الكندي هذا الزعم حيث يقول - مخاطبًا عبد الله الهاشمي: " وفي كتابك أيضًا شبيه بها ذكرنا من قول موسى، ودانيال عن الله تعالى: فعلنا، وخلقنا،

<sup>(</sup>١) ابن هشام: « السيرة النبوية » ١/ ٥٧٥.

<sup>(</sup>٢) انظر: ابن تيمية « الجواب الصحيح » ٣/ ٤٤٨.

وأمرنا، وأوحينا، وأهلكنا، ودمرنا، مع نظائر لهذه كثيرة"(١) فحجتهم أن الله تكلم عن نفسه في القرآن بصيغة الجمع ومن ثم زعموا أن ذلك دليل على أن عيسى النه واحد من الذين تدل عليهم الضهائر المذكورة، وأن هذا الجمع إنها هو ثلاثة، وزعموا بذلك أن القرآن يدل على ألوهية المسيح النه.

أما الادعاء الثاني، فهو: أن المسيح النظم روح من الله بجعل (من) للتبعيض؛ إذ يرونه إلما من إله، وكلمة الله التي تجسدت – بزعمهم – وصارت إنسانًا أي أن كلمة الله هي عيسى النظم، إلى غير ذلك مما يتعلق بهذا الزعم. يقول عبد المسيح الكندي – مخاطبا عبد الله الهاشمي: (فافهم كيف أوجب (يقصد الرسول الله وقد كذب عليه في ذلك) أن الله تبارك وتعالى ذو كلمة وروح، وصرح بأن المسيح كلمة الله تجسدت وصارت إنسانًا)(٢).

أما الادعاء الثالث، فهو زعمهم أن المعجزات التي أيد الله بها عيسى الني ذكرت في القرآن تدل على ألوهية عيسى الني ولا سيها إحياء الموتى. وقد كان وفد نصارى نجران الذين وفدوا على الرسول الله (يحتجون في قولهم (عن عيسى بأنه) هو الله بأنه كان يحي الموتى، ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا) أي بالمعجزات التي أيد الله بها عيسى الني والتي ذكرت في القرآن.

الرد على هذه الشبهات

يدور الرد في محورين: الأول مجمل، والثاني مفصل.

الأول: المجمل، ويتكون من وجهين:

الأول: أن هذه العقيدة خالفت أصول الأنبياء في تقديس الله ووصفه بصفات الكمال، فكيف يدل عليها القرآن؟ وإليك التفصيل:

الأول: إن الله سبحانه وتعالى، هو الأول الواحد الأحد، لا شريك له في ملكه، ولا ند ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع إلا من بعد إذنه.

الثاني: أنه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه.

<sup>(</sup>١) « رسالة عبد المسيح الكندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية » صـ (٣٨).

<sup>(</sup>٢) « رسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية » ص (٤٢)

الثالث: أنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات، من الهرم والمرض والسنة والنوم والنسيان والخوف والهم والحزن ونحو ذلك.

الرابع: أنه لا يهاثل شيئًا من مخلوقاته، بل ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. ومما يبين ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدُّ الله الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (سورة الإخلاص). فهذه السورة متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال، التي لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد، الذي هو من لوازم الصمدية وغناه وأحديته، ونفي الكفء المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير. فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، ونفي إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه. وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك؛ ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن؛ فإن القرآن مداره على الخبر والإنشاء، والإنشاء ثلاثة: أمر ونهي وإباحة، والخبر نوعان: خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه فأخلصت سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ الخبر عنه، وعن أسمائه وصفاته؛ فعدلت ثلث القرآن، وخلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمي، كما خلصت سورة ﴿قل يا أيها الكافرون، من الشرك العملي الإرادي القصدي. (١)

الخامس: أنه لا يحل في شيء من مخلوقاته، ولا يحل في ذاته منها، بل هو بائن عن خلقه بذاته، والخلق بائنون عنه.

السادس: أنه أعظم من كل شيء منها، بل هو بائن عن خلقه بذاته، والخلق بائنون عنه.

السابع: أنه أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، وفوق كل شيء وعال على كل شيء وليس فوقه شيء البتة.

<sup>(</sup>١) زاد المعاد (١/ ٢٩٨).

فنحن نتبع طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فها اعتقدوه اعتقدناه، فها اعتقدوه أن الأحاديث التي تثبت عن النبي عليه في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وأن الله بائن عن خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سهاواته من دون أرضه. وقال أبو أحمد الكرخي: (كان ربنا وحده ولا شيء معه ولا مكان يحويه فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا لحاجته إليه فاستوى على استواء استقرار كيف شاء وأراد لا استقرار راحة كها يستريح الخلق وهو يدبر السهاوات والأرض ويدبر ما فيهها ومن في البر والبحر لا مدبر غيره ولا حافظ سواه يرزقهم ويمرضهم ويعافيهم ويميتهم والخلق كلهم عاجزون: الملائكة والنبيون والمرسلون وسائر الخلق أجمعين وهو القادر بقدرة والعلم بعلم أزلي غير مستفاد وهو السميع بسمع والبصير ببصر تعرف صفتهها من نفسه لا يبلغ كنهها أحد من خلقه متكلم بكلام يخرج منه لا بالة مخلوق كالة المخلوقين لا يوصف إلا بها وصف بها نبيه نبيه صلى الله عليه وسلم وكل صفة وصف بها نفسه أو وصف بها نبيه فهي صفة حقيقية لا صفة مجاز). (۱)

الثامن: أنه قادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء يريده، بل هو الفعال لما يريد.

التاسع: أنه عالم بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ويعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف كان يكون، وما لم يكن، لو كان كيف كان يكون، ﴿ وَمَا تَسَقُطُ مِن وَرَقَ قِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَاحَبَّةٍ فِي ظُلْمَنتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطّب وَلَا يَعْلَمُه على حقيقته.

العاشر: أنه سميع بصير، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصاء في الليلة الظلماء، فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، ونفذت مشيئته في جميع البريات، وعمت رحمته جميع المخلوقات،

<sup>(</sup>١) درء التعارض بين العقل والنقل ٣/ ٢٢٨.

ووسع كرسيه الأرض والسموات.

الحادي عشر: أنه الشاهد الذي لا يغيب، ولا يستخلف أحدًا على تدبير ملكه، ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده، أو يعاونه عليها، أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم.

الثاني عشر: أنه المتكلم الآمر الناهي، قائل الحق، وهادي السبيل، ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بها كسبت من الخير والشر، ومجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

الثالث عشر: أنه الصادق في وعده وخبره، فلا أصدق منه قيلًا، ولا أصدق منه حديثًا، وهو لا يخلف الميعاد.

الرابع عشر: أنه تعالى صمد بجميع الصمدية، فيستحيل عليه ما يناقض صمديته.

الخامس عشو: أنه قدوس سلام، فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص.

السادس عشو: أنه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه.

السابع عشر: أنه العدل الذي لا يجور ولا يظلم، ولا يخاف عباده منه ظلمًا.

فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل، وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه، ولا يخبر نبي بخلافه أصلًا، فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله، وتمسكوا بالمتشابهة من المعاني والمجمل من الألفاظ، وأقوال من ضلوا من قبل، وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل.

وأصول المثلثة ومقالتهم في رب العالمين تخالف هذا كله أشد المخالفة وتباينه أعظم المباينة(١).

والأدلة على هذا الفصل قد سبقت في هذا البحث؛ فلا نطيل بذكرها ثانية، والسؤال الآن هل في المسيح شيء من هذه الصفات في ضوء ما سبق بيانه في هذا البحث؟ والجواب: لا. فقل ما شئت في طائفة أصل عقيدتها أن الله ثالث ثلاثة، وأن مريم صاحبته، وأن المسيح ابنه، وأنه نزل عن كرسي عظمته، والتحم ببطن الصاحبة، وجرى له ما جرى

<sup>(</sup>١) هداية الحياري (١٥٩).

إلى أن قتل ومات ودفن، فدينها عبادة الصلبان، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر في الحيطان. يقولون في دعائهم: يا والدة الإله ارزقينا، واغفري لنا، وارحمينا، فدينهم شرب الخمور، وأكل الخنزير، وترك الختان والتعبد بالنجاسات، واستباحة كل خبيث من الفيل إلى البعوضة، والحلال ما حلله القس، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وهو الذي يغفر لهم الذنوب، وينجيهم من عذاب السعير(۱).

الوجه المجمل الثاني: إثبات نبوة عيسى اللَّكِيِّ، ورسالته من خلال القرآن، والأناجيل. وينقسم هذا الوجه إلى مبحثين: \_

المبحث الأول: نبوته ورسالته السلام من خلال القرآن:

وتقدمت أدلة هذا المبحث في أول هذا المجلد تحت الوجه الثاني: الأدلة من القرآن على بطلان ألوهية المسيح.

### المبحث الثاني: نبوته ورسالته السِّكمن خلال الأناجيل:

كذلك تدل الأناجيل الموجودة اليوم على نبوة عيسى ورسالته؛ فقد جاء في الأناجيل نصوص عدة، ونذكر منها إضافة إلى ما سبق ما يلى:

١ - " وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لُهُمْ: لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ " (متى (١٣: ٥٧) ولوقا (٤: ٢٤) و (١٣: ٣٣)، فهذا مما ينسب إليه من أقوال يشير بها إلى نفسه. ولفظ (مرقس ٦/٤)، إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته.

٢ - ومما يوضح ذلك نظرة بعض المدعويين من بني إسرائيل له، وأنه نبي قوله: " وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ. ٤٦ وَإِذْ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ، خَافُوا مِنَ الجُمُوع، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ. " (متى (٢١: ٤٥).

٣ - وقوله " وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ارْتَجَّتِ المُدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً: «مَنْ هذَا؟ » ١١ فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: «هذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الجُلِيلِ " (متى (٢١: ١١) وانظر سوى ما مر يوحنا (٦: ٤١) و (٧: ٤٠) و (9: ١٧) و لوقا (٧: ١٩) و مرقس (٦: ١٥) و يوحنا (٩: ١٧).

<sup>(</sup>۱) هداية الحياري (۸).

٤ - مر بنا قول عيسى الكيلا" وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي
 وحدك ويسوع الذي أرسلته ".

وقوله: " فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلا: تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن نفسي لم آت بل الذي أرسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني ".

فهذا من أقواله التي يوضح فيها أنه رسول من رسل الله.

إن ما سبق من نصوص تدل على نبوة عيسى النيخ ورسالته من خلال الأناجيل، على أن هناك نصوصًا أخرى تضيف إلى ما سبق بيان مهمة عيسى النيخ ووظيفته التي أرسله الله من أجلها؛ ألا وهي الدعوة إلى الله، وإلى عبادته وطاعته، وإبلاغ ما أمره الله أن يبلغه لبني إسرائيل من دين الله الذي أنزل على يديه آنذاك وهو النصرانية الصحيحة الموحدة، التي نسخها الله بالإسلام ولذا يسمى عيسى في الأناجيل معلم (يوحنا (٧: ٢٨ - ٢٩) و التي نسخها الله بالإسلام ولذا يسمى عيسى في الأناجيل معلم (يوحنا (٨: ٢٠ - ٢٨) و عيم وظيفة الرسل حيث يعلمون الناس الخير ويبلغونهم دين الله سبحانه وتعالى.

وهاهي النصوص الدالة على ذلك:

١ - قول الإنجيل " وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز (يدعو) ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل (مرقس
 ١١ - ١٥) " فها هو عيسى يدعو بني إسرائيل إلى التوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى والإيهان بالإنجيل كتاب الله الذي أنزله عليه.

٢ - قوله " فقال لهم إنه ينبغي لي أن أبشر المدن الأخر أيضًا بملكوت الله لأني لهذا قد أرسلت فكان يكرز في مجامع الجليل " (لوقا (٤: ٣٣ - ٤٤).

٣ - قوله " فقال لهم لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك أيضًا لأني لهذا خرجت "
 (مرقس (١: ٣٨).

٤ - وجاء في الإنجيل قوله: "كان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز بيشارة الملكوت " (متى (٤: ٢٣ - ٢٥).

٥ - كها جاء قوله " حينئذ ابتدأ يوبخ المدن التي صنعت فيها أكثر قواته (المعجزات التي أظهر الله على يديه) لأنها لم تتب: ويل لك يا كورزين، ويل لك يا بيت صيدا. . . وأنت يا كفرنا حوم " (متى (١١: ٢٠ - ٢٣).

٦ - جاء قوله ". . . ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني مادام نهار، يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل " (يوحنا (٩: ٤)، وانظر يوحنا (٣١).

 $V - \bar{e}_0$ له ". . . V لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبهاذا أتكلم وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية فها أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم " (يوحنا (١٢: ٤٩ – ٥٠) وأنظر يوحنا (٤: ٣١) و (٨: ٢٦و٢٨) ويوحنا (١٧: V - V)، يصدق هذا ما جاء في القرآن على لسان عيسى (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) (المائدة: V - V).

فعيسى الكلي كما تدل عليه الأناجيل، نبي رسول، جاء لإبلاغ بني إسرائيل رسالة ربه؛ ليتوبوا من معاصيهم وآثامهم، ويتبعوا كتاب الله الذي أنزله الله عليهم آنذاك على يد عيسى وهو الإنجيل.

وبذلك نكون قد انتهينا من الرد المجمل، والآن مع الرد التفصيلي على هذه الشبهة: الوجه الأول: خروج ضمائر الجمع عن الظاهر (الجمع) إلى غيره ولا سيما المفرد. ويتكون من مبحثين:

الأول: ما يقوله بعض علماء اللغة عن هذا الأسلوب والشواهد اللغوية المستخرجة من القرآن الكريم، والشعر الجاهلي.

الثاني: النصوص اللغوية التوراتية والإنجيلية في الموضوع نفسه.

أما عن الوجه الأول:

١ - أن هذا أسلوب سائغ لغة، قال ابن قتيبة " ومنه (أي من خروج ضمير الجمع عن

ظاهره إلى ما يخالف الظاهر) أن يخاطب الواحد بلفظ الجمع كقوله سبحانه: ﴿قال رب ارجعون﴾ (المؤمنون: ٩٩). وأكثر من يخاطب بهذا الملوك لأن مذاهبهم أن يقولوا: نحن فعلنا، يقوله منهم، يعني نفسه فخوطبوا بمثل ألفاظهم "(١)

كما قال ابن فارس ـ رحمه الله: " ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجمع فيقال للرجل العظيم: انظروا في أمري، وكان بعض أصحابنا يقول: إنها يقال هذا لأن الرجل العظيم يقول: نحن فعلنا: فعلى هذه الابتداء خوطبوا في الجواب(٢).

فهل هناك من هو أعظم من مالك الملك وأولى منه بمثل هذا الأسلوب؟

ويقول ابن تيمية: إن ضمير الجمع يقع "على من كان له شركاء وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم، الذي له أعوان يطيعونه وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك أو مثيل والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى؛ فإذا كان الواحد من الملوك يقول: إنا ونحن ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء ومليكه هو أحق بأن يقول: إنا ونحن مع أنه ليس له شريك، ولا مثيل بل له جنود السماوات والأرض "(")

٢ - اللغة العربية مليئة بالشواهد على خروج ضمائر الجمع عن ظاهرها للدلالة على
 المفرد، ومن ذلك ما في الشعر الجاهلى:

١ - يقول امرؤ القيس - حين رأى قبر امرأة في سفح جبل عسيب الذي مات عنده - أجارتنا إن الخطوب تنوب وكل غريب للغريب نسيب أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب فإن تصلينا فالقرابة بيننا وإن تصرمينا فالغريب غريب

<sup>(</sup>١) ابن قتيبة « تأويل مشكل القرآن » (ص٢٩٣).

<sup>(</sup>۲) « الصاحبي » (۳۵۳)

<sup>(</sup>٣) الجواب الصحيح (٣/ ٤٤٨).

وما هو أت في الزمان قريب(١)

أجارتنا ما فات ليس يؤوب

٢- ويقول عمرو بن كلثوم متغزلًا:

قفي قبل التفرق يا ظعينا

قفي نسألك هل أحدثت صرما

نخبرك اليقين وتخبرينا لوشك البين أم خنت الأمينا(٢)

٣- ويقول زهير بن أبي سلمي مخاطبا هرم بن سنان والحارث بن عوف:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن أكثر التسآل يوما سيحرم. (٣)

٣ - من الشواهد اللغوية في القرآن التي استخدمت فيها ضمائر الجمع للدلالة على
 الواحد مع أن الضمائر فيها تعود إلى غير الله غير الجمع سبحانه وتعالى ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيُهَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِخُمْهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٨).

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَمَا وَلِلْأَرْضِ اِثْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا وَقُوله (لحكمهم) ضمير جمع يدل على الثنى وليس على الثلاثة فأكثر، ولا على الواحد، وكذلك ياء الجماعة في (طائعين) ومثل ذلك قوله (أتينا) هذه بعض أمثلة استخدام ضهائر الجمع للدلالة على المثنى.

# أما استخدام ضمائر الجمع في القرآن للدلالة على المفرد فشواهدها:

قوله تعالى عن الخضر: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَنَا وَكُفُرُا ﴿ اللّهِفَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الل

<sup>(</sup>١) ديوان امرئ القيس (٧٩).

<sup>(</sup>٢) شرح المعلقات العشر (٢٠٢).

<sup>(</sup>٣) المرجع السابق ص (١٥٥).

مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿ ﴾ (الكهف: ٨٦ – ٨٨)، وقال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُرَدٌ وَقَالَ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِمِنَا مَنِطَقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٌ إِنَّ هَلَذَا لَمُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُدِينُ ﴿ ﴾ (النمل: ١٦).

فالضهائر في: (فخشينا) و (فأردنا) و (نعذبه) و (سنقول) و (أمرنا) و (علمنا) و (أوتينا) ضمائر جمع تدل على واحد وليس على اثنين أو ثلاثة أو أكثر.

ع - من العجيب أن عبد المسيح الكندي نفسه استخدم ضمير الجمع للدلالة على المفرد على نفسه هو في أثناء عرض شبهته نفسها حيث قال: "وشبيه بها ذكرنا "وهذا في رسالته كثير، فهل هو ثالث ثلاثة؟ وهكذا القسيس فندر حيث قال: "وإنها أوردنا ذلك إشعارًا بأننا لا نخطئ ". إن هذا دليل على أن هذا الأسلوب شائع مستخدم بكثرة، ولا سيها في الكتب وعند الكتاب، ويجري في سليقة العرب وسنن العربية قديهًا وحديثًا، وليس فيه أدنى غرابة أو شبهة لكن النصارى قوم مُلبسون.

الوجه الثاني: نصوص لغوية من خلال التوراة والأناجيل، تدل على المفرد أو المثنى وهي في صورة الجمع:

أُولًّا: شُواهد تورَّاتية وهي إما أن تدل: على المفرد أو على المثنى:

- أ) شواهد تدل على المفرد منها:
- (١) جاء في سفر التكوين " وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا " (التكوين ١: ٢٦).
  - (٢) وجاء فيه: " وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا " التكوين (٣: ٢٢).
    - (٣) وجاء فيه " هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم" (التكوين (١١: ٧).

فهذه ضمائر جمع تدل على المفرد، وعلى الرغم من أن النصارى قد يحرفونها كها حاولوا ذلك في القرآن، إلا أن مما يوضح دلالتها على المفرد؛ النصوص التوراتية التي تدل على الوحدانية - كها مر سابقًا - كها يؤيد ذلك أن اليهود الذين نزلت التوراة بلغتهم على مختلف عصورهم وتعدد أنبيائهم ما فهموا من ضهائر الجمع هذه إلا دلالتها على المفرد؛ إذ إن ذلك هو معتقد الدين اليهودي كها هو معروف.

جاء في نشيد الإنشاد " ارجعي ارجعي ياشولميت ارجعي أرجعي فننظر إليك " (نشيد

الإنشاد: ٦ - ١٣).

وسياق هذا النص تشبيب من حبيب بمحبوبته، ودلالة هذا النص على الواحد واضحة جدًا؛ إذ يقوله محب - بزعمهم - في محبوبته، وسياق هذا السفر كله غزلي.

ب) شواهد تدل على المثنى: جاء في العهد القديم قوله " تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبث في القرى لنبكرن إلى الكروم لننظر هل أزهر الكرم " (نشيد الإنشاد ٧: ١). وقوله " اجذبني وراءك فنجري " (نشيد الإنشاد ١: ٤) فهذه ضائر جمع أريد بها المثنى كها هو واضح من السياق.

ثانيًا: شواهد إنجيليم: من الشواهد الإنجيلية لاستخدام ضمائر المتكلمين التي تدل على الفرد: ١ - قول بولس: "كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسى فهاذا نقول ألعل عند الله ظلمًا حاشا" رومية (٩: ١٣ - ١٤).

٢ - ويقول أيضًا: " إذًا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيهان بدون أعمال الناموس.
 أفنبطل الناموس بالإيهان حاشا بل نثبت الناموس " رومية (٣: ٢٨ - ٣١).

٣- ويقول أيضًا: " فهاذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد " رومية (٤: ١).

٤ - ويقول: " فهاذا نقول إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر الذي بالإيهان المصدر نفسه (٩: ٣٠).

٥- بل قال بولس: " لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مرة ومرتين وإنها عاقنا الشيطان " تسالونيكي (٢: ١٨).

فقوله: (فهاذا نقول) و (نحسب) و (أفنبطل) و (نثبت) و (أردنا) و (نأتي) و (عاقنا) تشتمل على ضهائر جمع مستترة وجوبًا، أو ضهائر ظاهرة أسندت إلى أفعال، وهي تدل على مفرد، هو بولس وحده وليس ثلاثة هو ثالثهم. وهكذا نرى أن من الأساليب المعهودة في اللغة العربية التي نزل بها القرآن وترجمت إليها التوراة والإنجيل، استخدام ضهائر الجمع للدلالة على المثنى أو على المفرد فقط، وقد استخدمت لتعود إلى غير الله، مما يبين فساد دعوى النصارى

والمنصرين، في أن ضهائر الجمع المسندة لله سبحانه وتعالى في القرآن تدل على ألوهية عيسى السلام بزعم دلالتها على التثليث، وإنها هو أسلوب من أساليب التعظيم أولى به الخالق سبحانه وتعالى من كل مخلوق، واستخدامه جرى على لسان العرب كثيرًا حتى النصارى - كها مر وهو إلى اليوم معهود غير مستغرب سواء في مخاطبات الملوك أو غيرهم.

الوجه الثالث: قولهم بأن عيسى روح من الله؛ بجعل من للتبعيض، كما سبق بيانه في عرض شبهتم. والنصوص في هذا على قسمين:

القسم الأول: فالجواب على شبهتم فيه من وجوه:

أولًا: زعم الكندي أن القرآن "صرح بأن المسيح كلمة الله تجسدت وصارت إنسانًا ". فهو يشير إلى معتقد النصارى المعروف، وهو أن عيسى هو الكلمة، والكلمة هي الله فعيسى هو الله عتالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا - وهذا صريح في إنجيل يوحنا كها مر سابقًا، ونسبة هذا الكفر إلى القرآن بهتان عظيم وكذب صريح على القرآن المحفوظ كها أنزل، فليأت النصارى بنص يدل على هذا المعنى الباطل. إنها الذي في القرآن ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندا اللهِ كَمَثُلِ ءَادَمٌ فَلَقَ هُرِمِن تُرابِ ثُمُّ قَالَ لَهُ وَكُن فَي كُونُ اللهِ ﴿ (آل عمران: ٥٩). فمن الواضح أن عيسى مخلوق ليس هو الكلمة (كن) وإنها بها كان، وسمى بكلمة الله؛ لأنه بها خُلق وليس له أب.

له كن فيكون؛ فدل ذلك على أن هذا الولد مما يخلقه الله بقوله كن فيكون(١)

ثَالثًا: آية سورة النساء - السابق ذكرها (١٧١) - تكفي وحدها للرد على ادعاءات النصارى واستنتاجاتهم المزعومة من خلال قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُ وَ أَلْقَنَهُمَ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أو ﴿ بِكُلِمَةِ مِّنْهُ ﴾ أو ما يشاكل ذلك من الآيات.

فالآية تدل على أمور منها:

- (۱) نهي النصارى عن الغلو في دينهم وتحذيرهم؛ بأن لا يقولوا على الله سبحانه وتعالى إلا الحق ومن أول ذلك: عدم الغلو في المسيح فهو ليس إلا رسول الله سبحانه وتعالى وعبد من عبيده.
  - (٢) نسبت الآية عيسى نسبًا بشريًا بينًا إلى أمه مريم ابنة عمران عليهما السلام.
- (٣) حذر الله النصارى عن أن يقولوا بالتثليث، ومنه إدخال عيسى واحدًا من الثلاثة المزعومين باعتباره أنه إله منهم.
- (٤) أوضحت الآية على سبيل الحصر أن الله سبحانه وتعالى ليس إلا إلهًا واحدًا منزهًا عن أن يكون له ولد، وهذا يرد على ادعائهم أن عيسى ابن الله.
- (٥) هذه الآية حجة برهانية قاطعة تثبت بلغة الأرقام أن الله واحد أحد وحدانية لا يشوبها أدنى احتمال للشراكة معه؛ وذلك من خلال نفيها للثلاثة والتثليث وإثباتها في الوقت نفسه أن الله واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد، وليس واحدًا في ثلاثة أو ثلاثة في واحد، مع تحذير النصارى عن القول بالتثليث وتوعدهم على القول به.
- (٦) أبانت الآية أن عيسى الكلا كلمة الله ألقاها إلى مريم، فما المقصود بأنه كلمة الله؟ أو كلمة منه؟

رابعا: واليك بعض كلام العلماء في هذا المعنى:

١- قال الإمام أحمد ـ رحمه الله: " المعنى في قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبِّنُ

<sup>(</sup>۱) مجموع الفتاوي (۲۰/ ٤٩٣).

مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ وَ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ (النساء: ١٧١). فالكلمة التي ألقاها إلى مريم: حين قال له كن، فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن، ولكن بكن كان. فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقًا. وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى. . . وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة "(')

٢ – قال أبو عبيد القاسم بن سلام: " وأما المسيح فالمراد أن الله خلقه بكلمة لا أنه هو الكلمة لقوله ﴿ أَلْقَلُهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ ولم يقل ألقاه ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثُلِ ءَادَمٌ خَلَقَكُهُ مِن ثُرَابٍ ثُمَّ قَالَلَهُ ثُنُ فَيَكُونُ ۞.

٣- قال شاذان بن يحيى: " ليس الكلمة صارت عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى "(").

2 كما يقول ابن كثير - في قوله تعالى - ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمُ رَسُوكُ اللّهِ وَكَلّمَتُهُ وَكُلّمَتُهُ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ "أي إنها هو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه قال له كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل المنظم إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه هله، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم، والجميع مخلوق لله هله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنها هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل "

كما يقول ابن كثير: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةِ مِنْهُ اَسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ ﴾ (آل عمران: ٤٥). : " أي بولد يكون وجوده بكلمة من الله أي يقول له كن فيكون وهذا تفسير قوله ﴿ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةِ مِنْهُ ﴾ كها ذكر الجمهور " ويقول ابن جرير: " قال آخرون:

<sup>(</sup>١) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: « الرد على الجهمية والزنادقة فيها شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله » ويليه: كتاب السنة « صححه وعلق عليه إسهاعيل الأنصاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص (٤٣).

<sup>(</sup>۲) تفسیر این کثیر (۱/ ۵۹۰).

بل هي (أي قوله كلمة منه) اسم لعيسى سهاه الله بها كها سمى سائر خلقه بها شاء من الأسهاء ". ويروي بإسناده عن قتادة أنه قال: "قوله ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ قال: قوله ﴿ كُن ﴾ فسهاه الله الله الله كلمته؛ لأنه كان عن كلمته ". وقال أبو عبيد: "كلمته: كن فكان". وكلمة الله التي قيلت لعيسى في القرآن وسمي بها، هي مضافة إلى الله سبحانه وتعالى، وقد قسم ابن تيمية رحمه الله المضاف إلى الله تعالى إلى قسمين:

إضافة صفات، وإضافة أعيان: " فالصفات إذا أضيفت إليه تعالى، كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك؛ دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به، ليست مخلوقة؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها، ولابد لها من موصوف تقوم به، فإذا أضيفت إليه، علم أنها صفة له، لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول بها، فيسمى المقدور قدرة، والمخلوق بالكلمة كلامًا، والمعلوم عليًا، والمرحوم به رحمة". فعيسى المنه ليس هو عين الكلمة، وإنها قيل له كلمة الله؛ لأنه خلق بالكلمة ولم يكن له أب تولد منه وإنها هو ناشئ ومخلوق عن الكلمة: كن.

فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها تمتنع أن تكون صفات لله، فإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة، لكن أضيفت لنوع من الاختصاص المقتضي للإضافة، لا لكونها صفة، والروح الذي هو جبريل من هذا الباب، كها أن الكعبة والناقة من هذا الباب، ومال الله من هذا الباب، وروح بنى آدم من هذا، وذلك كقوله ﴿فَأَرْسَلْنَا وَلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًا ﴾، وقوله ﴿ فَإِذَا سَوَيَّتُهُ, وَنَفَخْتُ فِيهِمِن رُوحِي ﴾، وقوله ﴿ وَطَهَر بَدْتَى ﴾ وقوله ﴿ وَطَهَر بَدْتَى ﴾ وقوله ﴿ وَطُهَر بَدْتَى ﴾ وقوله ﴿ فَإِذَا سَوَيْتُهُ. وَنَفَخْتُ فِيهِمِن رُوحِي ﴾، وقوله ﴿ وَطُهَر بَدْتَى ﴾ وقوله ﴿ فَإِذَا سَوَيْتُهُ.

خامسًا: أن الإضافة من حيث اللغة " نسبة بين اسمين ". ويشترط فيها أن " لا يضاف الاسم إلى مرادفه فلا يقال: ليث أسدٍ ". بينها يزعم النصارى أن: عيسى هو الكلمة، وأن الكلمة هي الله؛ مما يعني تبعا لذلك: أن اسم عيسى ولفظ الجلالة (الله)

<sup>(</sup>١) مجموع الفتاوي (١٧/ ١٥١) والجواب الصحيح (٢/ ١٥٨).

اسيان ومسميان مترادفان عند النصارى - والعياذ بالله - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، مما يبطل هذه الإضافة لغة وعقلًا؛ لأنها حينئذ - حسب اعتقاد النصارى - تصبح مكونة من اسمين مترادفين ولا تصح هذه الإضافة، إلا إذا كانت تدل على اسمين وذاتين، يختلف كل منها عن الأخرى.

ثم من جهة أخرى؛ فإن هذا التركيب المكون من المضاف والمضاف إليه، يدل لغة على معنى يختلف عن المقصود بالمضاف إليه وحده فقط، أو بالمضاف فقط، فإذا قلنا: محمد رسول الله هي؛ فإن المراد بالتركيب الإضافي في هذه الجملة – وهو قولنا (رسول الله) – المكون من المضاف (رسول) ومن المضاف إليه لفظ الجلالة (الله) هو رسول الله محمد بن عبد الله هي الإنسان المخلوق، أما المضاف إليه وحده؛ فإنه لفظ الجلالة اسم الله سبحانه وتعالى وشتان ما بين الرسول المخلوق، والمرسِل الخالق سبحانه وتعالى، فالمضاف إليه يدل على مسمى معين، والتركيب من المضاف والمضاف إليه يدل على مسمى آخر مختلف كليًا عن ما يدل عليه المضاف إليه.

وهذا يعني من حيث اللغة أن: كلمة الله (المضاف والمضاف إليه) التي قيلت لعيسى والتي هي اسم له الطيخ ليست هي المضاف إليه هنا، وهو لفظ الجلالة (الله) فهذان اسمان يدلان على ذاتين مختلفتين: ذات عيسى المخلوقة التي تليق ببشريته، وذات الخالق - سبحانه وتعالى التي تليق بجلاله وعظمته، وشتان ما بين ذات الخالق وذات المخلوق، فكل ما في الأمر أن (كلمة الله) قيلت لعيسى الطيخ اسمًا له؛ لأنه مخلوق بالكلمة، كما مر، فادعاء النصارى أن الكلمة تجسدت وصارت عيسى أمر مكذوب على القرآن؛ لأنه يدل على أن عيسى بها صار ولم يكن هو الكلمة. فعيسى الطيخ مخلوق وكلمة الله: كن ليست مخلوقة.

القسم الثاني وهو: ما يتعلق بكون عيسى الشخروح من الله أو روح الله: فالجواب عنه منه وجوه الله: الأول: ما معنى قوله تعالى (وَرُوخ منهُ)؟

1. يقول الإمام أحمد: وأما قوله تعالى ﴿ وَرُوحُ مِّنَّهُ ﴾ يقول من أمره كان الروح فيه

كقوله: ﴿لَكُمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنَهُ ﴾ يقول من أمره، وتفسير روح الله إنها معناه أنها روح بكلمة الله خلقها كها يقال: عبد الله وسهاء الله وأرض الله(١).

٢- ويقول ابن جرير: وأما قوله ﴿ وَرُوحُ مِنْهُ ﴾؛ فإن أهل العلم اختلفوا في تأويله فقال بعضهم: معنى قوله " وروح منه " ونفخة منه لأنه حدث عن نفخة جبريل المناه في درع مريم بأمر الله إياه بذلك، فنسب إلى أنه روح من الله لأنه بأمره كان. (١)

٣- ويقول ابن كثير: في تفسير قوله ﴿ وَكَلِمَتُهُ وَ أَلْقَنَهَا إِلَى مَرْيَم وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ أي عيسى (إنها هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان ورسول من رسله وكلمته ألقاها إلى مريم أي خلقه بالكلمة التي أُرسل بها جبريل المنه إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربه على وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم، والجميع مخلوق لله على ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب يولد منه، وإنها هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل)

## ٤ قال الرازي: أما قوله ﴿وَرُوحٌ مِّنَّهُ ﴾ ففيه وجوه:

الأول: أنه جرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئًا بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح، فلم كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وإنها تكون من نفخة جبريل الطلا لا جرم وصف بأنه روح، والمراد من قوله (مِنْه) التشريف والتفضيل كما يقال: هذه نعمة من الله، والمراد كون تلك النعمة كاملة شريفة.

الثاني: أنه كان سببًا لحياة الخلق في أديانهم، ومن كان كذلك وصف بأنه روح. قال تعالى في صفة القرآن ﴿وَكَنَالِكَ أُوْحَيْنَا إِلْتَكَ رُوحًا مِّنَ أَمْرِنَا ﴾ (الشورى: ٥٢).

<sup>(</sup>١) الرد على الجهمية صـ (٤٣).

<sup>(</sup>٢) تفسير ابن جرير (٦ / ٣٥ - ٣٦).

الثالث: روح منه أي رحمة منه، قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيَدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ (المجادلة: ٢٢) أي برحمة منه، وقال ﷺ: "إنها أنا رحمة مهداة " فلها كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث أنه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم، لا جرم سمي روحًا منه.

الرابع: أن الروح هو النفخ في كلام العرب؛ فإن الروح والريح متقاربان، فالروح عبارة عن نفخة جبريل وقوله: (مِنْهُ) يعني أن ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه فهو منه، وهذا كقوله ﴿فَنَفَخْنَافِيهَامِن رُّوحِنَا﴾ (الأنبياء: ٩١).

الخامس: قوله (رُوحُ) أدخل التنكير في لفظ (رُوحُ) وذلك يفيد التعظيم، فكان المعنى: وروح من الأرواح الشريفة القدسية العالية، وقوله (مِنْهُ) إضافة لذلك الروح إلى نفسه لأجل التشريف والتعظيم. (١)

الثاني: أن (مِنْ) في قوله (وروح منه) لابتداء الغاية، وليست للتبعيض يقول ابن كثير: (وليست (من) للتبعيض كها تقول النصارى، بل هي لابتداء الغاية كها في الآية الأخرى ﴿ وَسَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنَهُ ﴾ (الجاثية: ١٣). وقد قال مجاهد في قوله (وَرُوحٌ مِنْهُ) أي رسول منه، وقال غيره: ومحبة منه والأظهر الأول وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كها أضيفت الناقة والبيت إلى الله) (٢٠).

الثَّالثُ: ولو فرض أن (مِنْ) هنا للتبعيض لفسد المعنى نصرانيًا كما سبق بيانه في قوله

<sup>(</sup>١) تفسير الرازي سورة النساء آية (١٧١).

<sup>(</sup>٢) تفسير ابن كثير (١ / ٥٩٠).

<sup>(</sup>٣) « أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١ / ٤٩٤ – ٤٩٥).

تعالى ﴿ بِكَلِمَةِ مِّنْهُ ﴾ فلو قلنا على سبيل الفرض: وروح بعض منه باعتبار أن الروح هو عيسى عينه لكان المعنى فاسدًا من وجوه:

١ – منها: أن عيسى يصبح جزءًا وبعضًا من الإله. والبعض ليس مساويًا للكل عقلًا، والنصارى يعتقدون أن المسيح (الابن) بزعمهم إله مساو للأب في الجوهر وليس جزءًا منه بل يعتقدون أن الكلمة كها مر آنفًا – وهي عيسى – هي الله فعيسى ليس بعضًا من الله، سواء كان هو الروح أو هو الكلمة بحسب اعتقادهم. وهذا مبطل لكون (مِنْ) للتبعيض، فضلًا عها مر سابقًا من استخدام (مِنْ) لابتداء الغاية في كتبهم على نحو يمنع من خلال السياق أن تكون للتبعيض وهو ما يهاثل ما ههنا.

وأما قوله تعالى (رُوحَنّا) في مثل قوله (فَأَرْسَلْنَا الَّيْهَا رُوحَنّا):

فيقول ابن كثير: " يعني جبريل النيلا". وكذلك روح القدس في مثل قوله تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّيِكَ بِٱلْحَقِيِّ ﴾ (النحل: ١٠٢). . يذكر ابن كثير أنه جبريل.

ويقول ابن تيمية ": إن المضاف في الثاني (أي القسم الثاني) من أقسام المضاف إلى الله علموك لله، مخلوق له، بائن عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى، كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من بين البيوت، وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق. ومن هذا الباب قوله تعالى فأرسَّلنا إليها رُوحَنا في فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها بشرًا سويًا وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقيًا، وأنه قال: إنها أنا رسول ربك. . . وهذا كله يدل على أنها عين قائمة بنفسها "(١).

كما يقول رحمه الله عن الموضوع نفسه " فأخبر هذا الروح الذي تمثل لها بشرًا سويًا أنه رسول ربها؛ فدل الكلام على أن هذا الروح عين قائمة بنفسها، ليست صفة لغيرها، وأنه رسول من الله ليس صفة من صفات الله؛ ولهذا قال جماهير العلماء: إنه جبريل التلكي فإن الله

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح (١٥٦٢ - ١٥٧).

سهاه الروح الأمين، وسهاه روح القدس، وسهاه جبريل" ( وهذا يوضح أنه ليس لهم أدنى شبهة في هذا؛ إذ المقصود بالروح القدس (وروحنا): جبريل النه وليس المسيح، بل إن البعض جعل معنى الروح في قوله تعالى (وَرُوحٌ مِنْهُ) أيضًا جبريل النه معنى الروح ههنا: جبريل النه قالوا: ومعنى الكلام: وكلمته ألقاها إلى وقال آخرون معنى الروح ههنا: جبريل النه قالوا: ومعنى الكلام: وكلمته ألقاها إلى مريم وألقاها أيضًا إليها روح من الله قالوا: فالروح معطوف به على ما في قوله " ألقاها " من ذكر الله بمعنى أن إلقاء الكلمة إلى مريم كان من الله ثم من جبريل النه ".

رابعًا: الروح أو الروح القدس أو روح الله عند النصارى، هو الأقنوم الثالث في ثالوثهم الوثني (۱)، وهذا مبطل لادعاء النصارى على القرآن فيها يتعلق بقوله وروح منه، أو روحنا من أساسه؛ لأن القرآن قال عن عيسى المنيخ: إنه روح من الله سبحانه وتعالى أو سهاه بذلك بينها المسيح عند النصارى هو الابن أو " الأقنوم الثاني " بزعمهم، وليس هو روح الله؛ لأن روح الله، أو الروح، أو الروح القدس عندهم ليس عيسى المنيخ وإنها هو الأقنوم الثالث، ولكل أقنوم بحسب اعتقاداتهم وظائف وأعمال ومهات لا يقوم بها الأقنوم الآخر فجعلها أقنومًا واحدًا لا شك أنه مبطل للتثليث النصراني جملة وتفصيلًا

وقد جاء في الأناجيل ما يوضح أن عيسى الطّيّ كان يخرج الشياطين بروح الله، مما يعني أن عيسى شيء، والمقصود بروح الله شيء آخر؛ إذ ينسب إلى عيسى قوله " ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله " متى (١٢: ٢٨)، وفي نص آخر يقول: " وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس ومن قال كلمة على ابن الإنسان (أي عيسى الطّي بزعم النصاري) يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي " متى (١٢: ١٣ – ٣٢)، وفي نص آخر " لأن الذي حُبل به فيها هو من الماء وإذا الروح القدس " متى (١٠: ٢٠)، وفي غيره " فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا

<sup>(</sup>١) المرجع السابق (١ / ٢٤٠).

<sup>(</sup>٢) انظر: « القاموس الموجز للكتاب المقدس » (١ / ٣٠٤ – ٣٠٥).

السهاوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلًا مثل حمامة وآتيا عليه " متى (٣: ١٦).

فروح الله أو الروح أو الروح القدس الواردة في النصوص السابقة لاشك أن المقصود بها غير عيسى، والمقصود بذلك عند النصارى: الأقنوم الثالث (الروح القدس). والذي هو غير عيسى؛ مما يبطل كل شبههم التي يحاولون من خلالها تأليه عيسى استنادًا إلى كتاب الله القرآن العظيم منطلقين من إنزال بعض معتقداتهم الفاسدة على قوله تعالى: (وَرُوحٌ مِنْهُ) أو "روحنا" ومخفين بعضًا.

ثالثًا: معجزات عيسى الله التي ذكرت في القرآن والتي استدلو بها على أن في القرآن ما يدل على ألوهية المسيح.

وبداية قد سبق الجواب عن شبهة الاستدلال بالمعجزات على الألوهية عمومًا وحسبنا هنا أن نشير إلى ما يدفع الاستدلال بالقرآن على هذا.

أولًا: إحياء الموتى: ذكر القرآن الكريم معجزات عدة لإحياء الموتى إنعامًا من الله على بعض رسله وإجابة لدعواتهم وتأييدًا لهم وتحديًا لأعدائهم من ذلك:

١- أَخْذ إبراهيم الْكِالْلطيور الأربعة بأمر الله له بعد دعائه الله أن يريه كيف يحيى الموتى، وتمزيقه لهن وتفريقه لأجزائهن على كل جبل منهن جزءا، ثم دعوته لهن أن يأتينه، فأتينه سعيًا، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِ عَمْ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْي ٱلْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ فَأَدُهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهَ عَلَى اللّهَ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى كُلّ جَبَلٍ مِنْهُ نَ إِلَيْكَ ثُمّ آجْعَلَ عَلَى كُلّ جَبَلٍ مِنْهُ نَ الطّهْ وَلَكُونَ إِلَيْكَ ثُمّ آجْعَلَ عَلَى كُلّ جَبَلٍ مِنْهُ نَ اللّهَ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلِيزُ حَكِيمٌ الله (البقرة: ٢٦٠).

فهل حدوث هذه المعجزة على يد إبراهيم النه النه الذي هو أب لعيسى - من خلال القرآن ومن خلال الأناجيل - مسوغ لاتخاذ إبراهيم إلمًا؟

 ٢\_ القاء موسى لعصاه الجماد التي لا روح فيها، ثم تحولها إلى ثعبان عظيم عند فرعون والملأ من قومه.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْمَلَمِينَ ﴿ حَقِيقً عَلَىٰ أَن لَآ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِتْنُكُم مِيكِنَةِ مِن رَّيِكُمْ فَأَرْسِلَ مَعِى بَنِيَ إِسْرَةِ يلَ ﴿ قَالَ إِن كُنتَ عِنَ ٱلصَّلَهِ قِينَ ﴾ جِثْتَ بِتَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِن ٱلصَّلَهِ قِينَ ﴾

(الأعراف: ١٠٤ – ١٠٧). وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَاۤ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۗ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَايَأْفِكُونَ ﴿ ﴾ (الأعراف: ١١٧).

فهذه معجزة عظيمة أنعم الله بها على موسى الكلام إذ أحيا الله هذه القطعة الصغيرة من الخشب الجهاد التي لا حياة فيها وجعلها حية عظيمة تسعى وتبتلع بفيها ما وضعه السحرة من عصي وحبال. . إلخ.

٣- احياء الميت الذي قتل في بني إسرائيل في عهد موسى الله بإذن الله بعد أمر الله لهم أن يضربوا الميت ببعض البقرة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن: ﴿ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰ لِكَ يُحْيِ اللهُ ٱلْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَتِهِ عَلَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ البقرة: ٧٧ – ٧٧).

فهؤلاء الذين ضربوا الميت ببعض لحم البقرة فقام حيًّا بإذن الله ليسوا من الرسل على ما يظهر – وعلى الرغم من هذا حدثت على أيديهم هذه المعجزة بإذن الله فهل كان هذا مدعاة لتأليه أحد منهم؟ أو تأليه موسى السلام إن النصارى زعموا أن علة تأليه عيسى السلامي إحياؤه للموتى، ولو فرض أنها علة لتأليه أحد ما من البشر؛ لكان العقل موجبًا أن يؤله كل من اشترك في هذه العلة فقام بمثل هذه المعجزات، أو الأمور الخارقة للعادة. وقد شارك عيسى غيره في معجزة الإحياء كما مر آنفًا، مما يبطل ادعاء النصارى في تأليه عيسى الملل لإحيائه الموتى على نحو عام.

ويبطل نسبة هذا التأليه إلى القرآن على نحو خاص؛ لأن القرآن أوضح أن كل ذلك بإذن الله وأن هناك من أنعم الله عليه بمثل معجزات عيسى المناة في إحياء الموتى، ولم يجعل ذلك منهم آلهة.

ثانيًا: الإخبار بالغيب: أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن العظيم عن بعض من أنعم عليهم: باطلاعهم - من لدنه - على بعض الغيوب من ذلك:

(أ) ما أنزل على سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله المحمد من الغيوب سواء في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة، وهو شيء كثير لا يتسع المقام لذكره، مثل الإخبار عن الأقوام السابقين له صلوات الله وسلامه عليه، وعن رسلهم وما جرى لهم مع أقوامهم، ومثل الإخبار عن قصة سليمان والهدهد

وملكة سبأ إلى غير ذلك من أمور غيبية ماضية بل وأمور غيبية مستقبلية (١).

ولما كانت الدعوى (دعوى الألوهية وما يرتبط بها) مدعاة من النصارى والمنصرين على القرآن، ولأن بعض أهل الكتاب كما يقول ابن تيمية يقول " لا نصدق إلا بما في القرآن "(۲). أي من معجزات الرسول الشافإنه يحسن ذكر بعض ما أنزله الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله الله في القرآن من الأخبار الغيبية، ولا سيما بعض ما يرتبط بعيسى المنافئة وأمه مما انفرد به القرآن الكريم ومن ذلك:

إخباره عن أحوال الرسل الماضين، وإخباره عن أمور مستقبلة جاءت كما أخبر ١٠٠٠

ولا شك أن هذا من باب الجدل فقط، وعلى زعم محاولة إلزام المسلم من خلال مسلماته، فيها يعتقدون أنه حجة لهم مثل: معجزات عيسى الطيخة أو غيرها وإليك ما يلي:

- (۱) أن مريم حملت بعيسى الطّين: ﴿ فَأُنتَبَذَتْ بِهِ عَمَكَانَا قَصِمتَا ﴿ فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَى عِنْمَ حِذْعِ ٱلنَّخَلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿ فَالَا تَعْزَفِ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْنَكِ سَرِيًا ﴿ وَهُزِى إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم: ٢٢ - ٢٥).
- (٢) أن عيسى الطَّكَ تكلم في المهد و﴿ قَالَ إِنِي عَبْدُ ٱللَّهِ اَتَىٰنِي ٱلْكِنْبَ وَجَعَلَنِي بَيْنَا الَّ وَجَعَلَنِي مَاكُنْ وَجَعَلَنِي بَيْنَا الَّ وَجَعَلَنِي جَبَّالًا مُبَارًكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَلِي بِٱلصَّلَوْةِ وَٱلرَّكَ وَقِمَ أَمُوتُ حَيًّا اللَّ وَرَبَرُّا بِوَلِدَ قِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّالًا شَيْ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أَبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مريم: ٣٠ ٣٣).
  - (٣) أن عيسى الطَّيِّين خلق من الطين كهيئة الطير؛ فنفخ فيه فصار طيرًا بإذن الله.
    - (٤) أن عيسى اللَّيْكُ كان ينبئهم بها يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

كل هذه الأخبار الغيبية لا يعلمها حتى النصارى أنفسهم وفق أناجيلهم الحالية، كما مر؛ فإنها أنزلها الله على يد عبده ورسوله وقل القرآن.

<sup>(</sup>١) انظر رحمت الله الهندي « إظهار الحق » (٢ / ٨١) فها بعد، وعبد العزيز السلمان « من معجزات النبي ﷺ» ومحمود مهدي الإستانبولي « إعجاز القرآن العلمي » الطبعة الثانية، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة.

<sup>(</sup>٢) ابن تيمية في الجواب الصحيح (٦ / ٦٨).

(ب) ما جاء في القرآن من إخبار نبي من أنبياء بني إسرائيل لهم عن آية ملك طالوت عليهم. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِينُهُمْ إِنَّ ءَاكَةَ مُلْكِهِ اَن يَأْنِيكُمُ ٱلشَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِكُمُ وَبَقِينَةٌ مِمَّا تَكَلَكُ ءَالُ مُوسَول وَءَالُ هَكُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَكِمِكَةُ إِنَّ سَكِينَةٌ مِّن رَبِّكُمُ وَبَقِينَةٌ مِمَّا تَكَلَكُ ءَالُ مُوسَول وَءَالُ هَكُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَكِمِكَةُ إِنَّ سَكِينَةٌ مِن رَبِّكُمُ وَبَقِينَةً مِمَّا تَكُلُ ءَالُ مُوسَول وَءَالُ هَكُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَكِمِكَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ كَا لَهُ مَا إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ اللهِ وَالبَقرة: ٢٤٨) فهذا نبي من بني إسرائيل يخبرهم عن أمور غيبية مستقبلية، لم تحدث بعد آنذاك فيا جعل ذلك منه إلمًا.

(ج) ما أعطاه الله سبحانه وتعالى - للخضر من العلم الغيبي الذي لم يُعطَه رسول من أولي العزم من الرسل وهو موسى صلوات الله وسلامه عليهم؛ فإن الخضر خرق سفينة المساكين الذين يعملون في البحر حفاظًا عليها؛ لأن الله أعلمه أن وراءهم ملكًا يأخذ كل سفينة غصبًا، وقتل الغلام خشية أن يرهق أبويه طغيانًا وكفرًا، وأقام الجدار الذي كان يريد أن ينقض؛ إذ كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة منه، كل ذلك من الإنباء بالغيب الذي منحه الله تعالى للخضر مما لم أطلع على أن عيسى المنافئ أعطي مثله لا في القرآن ولا في الأناجيل.

هذا فيما يتعلق بمعجزات مشابهة لمعجزات عيسى من خلال القرآن.

وأما عن المعجزات المشابهة من خلال التوراة والأناجيل فقد سبق بيانها بحمد الله تعالى، ولكن نشير هنا فقط إلى أن معجزات المسيح المسيخ التي وردت في الأناجيل إنها هي – بنص الأناجيل – بإذن الله تعالى يدل على ذلك من الأناجيل ما يلي:

(١) قوله: " فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ النَّيْتُ مَوْضُوعًا، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الآبُ، أَشْكُرُكَ لأَنْكَ سَمِعْتَ لِي، ٤٢ وَأَنَا عَلِمْتُ أَنْكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلكِنْ لأَجْلِ هَذَا الجُمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ، لِيُؤْمِنُوا أَنْكَ أَرْسَلْتَنِي». ٤٣ وَلَمَّا قَالَ هذَا صَرَحَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا! » فَحَرَجَ النُّتُ. " (يوحنا (١١: ٤١ - ٤٣) فانظر كيف رفع عيسى بصره إلى السهاء ودعا الله ومجده، وأوضح النص أن هذه المعجزة إنها هي من أجل أن يُصدقوا به رسولًا من عند الله، وقد استجاب الله دعاءه فخرج الميت حيًّا بإذن الله.

(٢) قوله " فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئًا إلا ما ينظر الآب " (يوحنا (٥: ١٩)، وينسب إلى عيسى الكي أنه قال: " والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك " (يوحنا (١٧: ٧)، فكل ما أوتيه المسيح الكي من إنباء بالغيب إلى غير ذلك من معجزات إنها هو بنص أقوال المسيح الكي من عند الله وبإذن الله سبحانه وتعالى، وهذا مثبت أنه ليس له من الأمر شيء، ومبطل لدعوى ألوهية المسيح من خلال الأناجيل كها بطلت هذه الدعوى قبل من خلال القرآن.

(٣) جاء في نص آخر: " فقالت مرثا ليسوع: يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي لكن الآن أعلم أن كل ما تطلبه من الله يعطيك إياه " (يوحنا (١١: ٢١ - ٢٢).

فهذه المرأة تعلم أن الأمر ليس بيده، وإنها إذا دعا الله أعطاه الله سؤله، فإحياء الموتى الذي حدث على يد المسيح، إنها هو بإذن الله سبحانه وتعالى.

(٤) وفي نص آخر: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل، قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كها أنتم تعلمون " (أعهال الرسل (٢: ٢٢)، وانظر: أعهال الرسل (١٠: ٣٨)، فالأمر بدهي عند المؤمنين بعيسى آنذاك من بني إسرائيل: أن المعجزات التي جاء بها إنها أوجدها وصنعها الله، وليس عيسى الله وإنها حصلت على يد عيسى فهي من (قبل الله) أو من عند الله وبإذن الله، وأوجدها الله سبحانه وتعالى وما عيسى إلا (رجل) أو عبد من عبيد الله، ورسول من رسله، ثبت صدقه بها أنزله الله على يديه من المعجزات (القوات والعجائب). ولذا على الرغم من إحياء عيسى للموتى بإذن الله، لم يجعل ذلك منه عند الجموع التي قام بالمعجزات في وسطها إلا أنه نبي فقط فلم يتجاوزوا به طور البشرية.

جاء في الأناجيل " فقال (أي عيسى) أيها الشاب لك أقول قم؛ فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه؛ فأخذ الجمع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه " (لوقا (٧: ١٤ - ١٦).

وفي النص الذي قبل هذا قالوا عن عيسى إنه (رجل تبرهن لكم من قبل الله)، ولم يقولوا: إله، أو ابن إله. وهذا مما يوضح حقيقة عيسى، وأنه عند بني إسرائيل الذين أرسل إليهم وآمنوا به، إنها هو رسول نبي وعبد من عباد الله؛ لأن المعجزات التي جاء بها، إنها كانت بإذن الله سبحانه وتعالى، ومن عنده وليست من عند المسيح ابتداءً.

وقد جاء في الأناجيل أن عيسى قال للحواريين " اشفوا مرضى طهروا برصا أقيموا موتى أخرجوا شياطين مجانا " (متى (١٠: ٨). وهذا دليل على أن إحياء الموتى، ليس علة ولا مبررًا لتأليه أحد من البشر؛ مما يسقط دعوى النصارى في ألوهية عيسى؛ استنادًا إلى إحيائه للموتى، فعلى فرض صحة هذا النص وافتراض تحققه من قبل الحواريين، يوضح بجلاء أن إحياءهم للموتى لم ولن يجعل منهم آلهة، وليس هذا مسوعًا لتأليه أحد من البشر؛ فإن زعم النصارى أن ذلك بسلطة أو بإذن من الله سبحانه وتعالى؛ فإن هذا الكلام هو عين الرد عليهم في حالة إحياء عيسى للموتى؛ إذ أحيا عيسى الموتى بإذن الله، كما أوضحت ذلك آيات القرآن ونصوص الأناجيل الآنفة الذكر.

\* \* \*

### ٧\_ شبهة: ثناء القرآن والسنة على التوراة والإنجيل

نص الشبهة:

جاء في القرآن والسنة النبوية ما يشير إلى تصديق القرآن للتوراة والإنجيل، والحديث عنها والثناء عليها وعلى موسى وعيسى عليها السلام، والحديث عن بني إسرائيل، مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوَرَنةُ فِيهَا عَالَى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوَرَنةُ فِيهَا مُحْكُمُ ٱللّهِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَيْحَكُمُ أَهّلُ ٱلإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ ٱللّهُ فِيهِ ﴾، وغير ذلك من الآيات. ويحتجون بأن النبي المسك التوراة في يده وقال: آمنت بك وبمن أنزلك.

فأخذوا من ذلك أن الكتاب الذي بأيديهم هو الذي أثنى عليه القرآن والسنة، وأنه لم يصبه زيف و لا تحريف، وإذا كان هذا الكتاب أثنى عليه القرآن والسنة، فلهاذا هذا الاضطهاد؟

والجواب عن هذه الشبهة في مبحثين:

الْبِحْثُ الْأُولُ: الرد الإجمالي على هذه الشبهة من هذه الوجوه:

الوجه الأول: الإيمان بجميع الرسل والكتب المنزلة عليهم هي عقيدة المسلمين.

الوجه الثاني: الثناء والمدح كان للكتاب الذي نزل على موسى و عيسى.

الوجه الثالث: مدح التوراة والإنجيل لا يعني مدح اليهود والنصارى.

الوجه الرابع: القرآن ناسخ للكتب السابقة، وشريعة النبي ﷺ ناسخة لجميع الشرائع؛ فوجب العمل بها في القرآن وبشريعة النبي ﷺ.

الوجه الخامس: هذا الثناء لا ينافي وجوب اتباع محمد ﷺ.

الوجه السادس: القرآن بيَّن أنهم خالفوا أحكام التوراة.

الوجه السابع: ذم أهل الكتاب لا يقدح في أنبيائهم.

المبحث الثاني: الرد التفصيلي على بعض الشبهات التي أثارها أهل الكتاب في إثبات صدق كتابهم من خلال ثناء القرآن على التوراة والإنجيل، وهي:

الشبهة الأولى: قالوا: إننا نجد في (القرآن الكريم) آيات تشهد بصدق التوراة والإنجيل - كما هما اليوم - وتؤكد أن الكتابين لم يحرفا.

الشبهة الثانية: قالوا: بأن القرآن أثنى على أهل الكتاب.

الشبهة الثالثة: قالوا: إن القرآن رفع قدرنا وأعلى منزلتنا، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِينَـمَةِ ﴾ (آل عمران: ٥٥).

الشبهة الرابعة: يقولون: بأن النبي الشبهة النبي الشبهة الرابعة: يقولون: بأن النبي الشبهة الخامسة: يقولون: بأن القرآن يعظمنا بتقديم البيع والكنائس، على المساجد. الشبهة السادسة: يقولون: بأننا وجدنا في القرآن تعظيم المسيح وأمه.

الشبة السابعة: يقولون: إن القرآن لما جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب فثبت بهذا ما معنا، ونفى عن كتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل والتغيير لما فيها بتصديقه إياها.

الشبهة الثامنة: يقولون: بأن القرآن شهد لهم أنهم أنصار الله.

الشبهة التاسعة: الرد على تأويلهم لقول الله تعالى ﴿ ذَلِكَ ٱلْكِتَابُ لَارَبُّ فِيهِ ﴾.

المبحث الثالث: وماذا عن البشارات التي توجد في الكتاب المقدس بنبوة رسول الإسلام محمدﷺ.

المبحث الأول: الرد الإجمالي على هذه الشبهة المبحث الأول: الإيمان بجميع الرسل والكتب المنزلة عليهم هي عقيدة المسلمين. قال الذ تسمعة: وقد أو حرب الله على عباده أن رؤ وزوا وحدم كتبه ورسام، وحك

قال ابن تيمية: وقد أوجب الله على عباده أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله، وحكم بكفر من آمن ببعض وكفر ببعض فقال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَا بِاللّهِ وَمَاۤ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَ عَامَنُواْ بِمِثْلِ مَا ءَامَنَا مُ بِعِنْ فَعَلِيمُ وَعَنْ لُلهُ مُسْلِمُونَ السَّ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِدِهِ فَقَدِ الْقَرَةُ وَمِنْ لُلهُ مُسْلِمُونَ السَّ فَا السَّرِيمُ عُلَيْكُولُ اللهُ وَمُلَالِمُ اللهُ وَمَا لَلْهُ وَمُؤْلِلُولَ اللّهُ وَمُولَ اللّهُ وَلَيْنَ عَامِنُوا بِمِثْلِ مَا اللهُ وَمَا اللهُ وَلَاللهُ وَلَا اللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلِي اللّهُ وَلَالِكُولُولُولُولُولَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا لَا اللّهُ وَلِمُ اللللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللهُ وَلَا اللّهُ وَلِي الللللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلْ الللللّهُ وَلَاللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلِي الللللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَاللّهُ وَلَاللّهُ وَلَاللّهُ وَلِلْمُ الللللّهُ وَلَاللّهُ وَلِمُ الللللّهُ وَلِمُ اللللّهُ وَلَا اللللللّهُ وَلَا اللللللّهُ وَلِمُ اللللّهُ وَلِمُ الللللّهُ وَلَا اللللللّهُ وَلَا اللللللّهُ وَلَا الللللّهُ وَلَا

 وَأَعْتَدُنَا لِلْكَنفِرِينَ عَذَابًا مُهِيئًا ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِقُواْ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمْ وَالْمَيْنِ وَلَا اللّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿ النساء: ١٥٠-١٥٢)، فذم المفرق بينهم بأن يؤمن ببعض دون بعض وبين أنه فضل بعضهم على بعض فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، فبين أنه فضل بعضهم على بعض، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَلَلْنَا بَعْضَ النّبِيِّينَ عَلَى بَعْضِ ﴾ (الإسراء: ٥٥).

وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام وهو أنه يجب الإيهان بجميع الأنبياء والمرسلين وبجميع ما أنزله الله من الكتب، فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل إبراهيم، ولوط، وموسى، وداود، وسليهان، ويونس، وعيسى، فهو كافر عند جميع المسلمين حكمه حكم الكفار، وإن كان مرتدًا استتيب فإن تاب وإلا قتل، ومن سب نبيًا واحدًا من الأنبياء قتل أيضًا باتفاق المسلمين، وما علم المسلمون أن نبيًا من الأنبياء أخبر به فعليهم التصديق به كها يصدقون بها أخبر به محمد وهم يعلمون أن أخبار الأنبياء لا تتناقض ولا تختلف، وما لم يعلموا أن النبي في أخبر به فهو كها لم يعلموا أن محمدًا أخبر به صلى الله عليهم أجمعين ولكن لا يكذبون إلا بها علموا أنه كذب، كها لا يجوز أن يصدقوا إلا بها علموا أنه صدق، وما لم يعلموا أنه كذب ولا صدق لم يصدقوا به ولم يكذبوا به كها أمرهم نبيهم محمد في وبهذا أمرهم.

وكان دينه الذي ارتضاه الله لنفسه هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينًا غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو دين الأنبياء وأتباعهم كما أخبر الله تعالى بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين، قال تعالى: ﴿ وَأَتَلُ عَلَيْهِمْ فَا اللهِ وَاللهِ وَهُو كُنْ عَلَيْهُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِتَايَنتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَا أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكًا عَكُمْ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ عُلَيْكُمْ عُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَى وَلا نُنظِرُونِ اللهِ فَإِن قَالَ اللهِ تَوَكَّلْتُهُمْ وَشُرَكًا عَكُمْ مِنَ أَجْرِ " إِنْ الجَرِي إِلَا عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللهِ وَالْمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللهِ وَالْمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللهِ اللهِ اللّهِ وَالْمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللهِ اللهِ اللّهِ وَالْمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ ال

(يونس: ٧١، ٧٧)، وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَةٍ إِبْرَهِ عَم إِلَا مَن سَفِه نَفْسَةً، وَلَقَدِ اصطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنّهُ فِي الْآنِيَا وَإِنّهُ فِي الْآنِيَ وَيَعْقُوبُ يَنبَنِي إِنَّ اللّهَ اصطفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَ إِلاّ وَانتُم الْعَالَمِينَ ﴿ وَوَصَىٰ بِهَا إِبْرَهِ عَمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَنبَنِي إِنَّ اللّهَ اصطفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَ إِلاّ وَانتُم الْعَالَمِينَ ﴿ وَوَصَىٰ بِهَا إِبْرَهِ عَمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَنبَنِي إِنَّ اللّهَ اصطفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَ إِلاّ وَانتُم الْعَلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٠ - ١٣٢)، وقال تعالى عن يوسف الصديق: ﴿ رَبِ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِن الْمُلُودِ وَعَلَمْ مُن أَوْلِي الْأَحَادِيثُ فَاطِرَ السَّمَونِ تِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيّ عِن الدُّنْيَا وَالْآلِخِرَةً تُوفَيْ مَن اللهُ عَن مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثُ فَاطِرَ السَّمَونِ تِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيّ عِن الدُّنْيَا وَالْآلِخِرَةُ تُوفِي الْمُعْلِي وَعَلَمْ مُوسَى أَنه قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَى اللّهُ قَالَ مُوسَى أَنه قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَى اللّهِ عَن مُوسَى أَنه قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْكُمُ مُ اللّهِ فَعَلَيْهِ تُوكَلُّوا إِن كُنْهُمُ مُسْلِمِينَ ﴾ (يونس: ٨٤).

فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم، هو دين الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعبادته تعالى في كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام، فلا يكون عابدا له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله كالذين قال فيهم: ﴿ أَمْ لَهُمْ شَرَكُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللّه ﴾ (الشورى: ٢١).

فلا يكون مؤمنًا به إلا من عبده بطاعة رسله، ولا يكون مؤمنا به ولا عابدا له إلا من آمن بجميع رسله، وأطاع من أرسل إليه فيطاع كل رسول إلى أن يأتي الذي بعده فتكون الطاعة للرسول الثاني، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلُنَا مِن رَسُولٍ إِلَّالِيُطَكَاعَ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ (النساء: ٦٤).

ومن فرق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافرا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ فَؤُمِنُ بِبَعْضِ يَكُفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ فَؤُمِنُ بِبَعْضِ يَكُفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ فَوْمُ ٱلْكَفِرُونَ حَقًا وَنَكُمُ فَرُ بِبَعْضِ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَأَعْتَدُنَا لِلْكَفِرِينَ عَذَابًا مُهِيئًا ﴿ اللّهِ وَاللّهِ عَلَى اللّهِ وَرُسُلِهِ وَلُمْ يُفَرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَاللّهِ عَنُولًا يَتِهِمُ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿ النساء: ١٥٠ – ١٥٢). (١)

الوجه الثاني: الثناء والمدح كان للكتاب الذي نزل على موسى و عيسى. أولًا: توراة موسى النصلاة أم التوراة المحرفة؟

يُقصد بتوراة موسى ذلك الكتاب الذي أوحاه الله إلى عبده موسى، والذي قرأه على بني إسرائيل في حياته، وحكم به وأخوه هارون فيهم، ثم تركه بينهم وانتقل إلى رحمة الله، يقول الله في القرآن عن توراة موسى الأصلية هذه: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَطة فِيها هُدًى وَنُورً وَ يَعَلَمُم بِهَا ٱلنَّبِيتُونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِن كِنْكِ ٱللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَحْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنَا وَلِيكا وَمَن لَمْ يَعَكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَتهِ فَهُمُ ٱلكَفِرُونَ اللَّه وَالمَائدة: ٤٤).

أ- ولقد كان في توراة موسى: لا إله إلا الله، الإحسان إلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين، مخاطبة الناس – غير الإسرائيليين – بالحسنى وعدم الاستكبار.

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/ ٢٩٩.

فهذا ما يقوله القرآن: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَنَى بَنِيّ إِسْرَتِهِ بِلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَالِيَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبِيَ وَٱلْمَالُوةَ وَءَاتُوا إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبِي وَٱلْمَالُوةَ وَءَاتُوا الرَّكُوةَ وَءَاتُوا الرَّكُوةَ ثُمَّ تَوَلَّيْ اللَّهُ مُعْرِضُون اللَّهُ اللَّهُ مُعْرِضُون اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُعْرِضُون اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

1- لكن التوراة المحرفة (۱) -باعتراف علمائها - والتي يتداولها الناس منذ قرون عديدة، وتجمع بين دفتيها هذا وذاك، ونسميها (توراة اليهود)، نجدها تقر عبادة الشيطان، "و قال الرب لموسى كلم هارون أخاك. . . يأخذ تيسين من المعز لذبيحة خطية. . . ويأخذ التيسين ويوقفها أمام الرب. . . و يلقي هارون على التيسين قرعتين قرعة للرب و قرعة لعزازيل . . . و يقرب هارون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب و يعمله ذبيحة خطية. . . وأما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيا أمام الرب ليكفر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية "(سفر اللاويين ١٦/ ٢: ١٠).

ويقول علماء الترجمة الفرنسية المسكونية تعليقًا على هذه الفقرة (يبدو أن عزازيل بحسب الترجمة السريانية – هو اسم شيطان كان العبرانيون والكنعانيون القدامي يعتقدون أنه يسكن البرية، والبرية أرض عقيمة لا يهارس فيها الله عمله المخصب).

سبحان الله، هل البرية أو الصحراء بعيدة عن سلطان الله؟ ، وحتى ولو لم يكن عزازيل شيطانًا؛ بل كان ملكًا أو كبير الملائكة، فإن اختصاصه بتقديم قربان إنها يعني عبادته. . . يعنى الشرك بالله.

Y- كذلك تقر توراة اليهود، الناس من غير بني إسرائيل على عبادتهم الأجرام السماوية باعتبار ذلك قدرًا إلهيًا قسمه الرب لتلك الشعوب، بينها يتفرد الإسرائيليون بعبادة الله فلا يشاركهم فيه أحد: "لئلا ترفع عينيك إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم كل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغتر و تسجد لها و تعبدها" (تثنية ٤: ١٩).

<sup>(</sup>١) انظر: شبهة تحريف الكتاب المقدس.

٣- كذلك تقر توراة اليهود استعباد غير الإسرائيليين ليكونوا عبيدًا لبني إسرائيل أبد الدهر: "وإذا افتقر أخوك عندك و بيع لك فلا تستعبده استعباد عبد. كأجير نزيل يكون عندك إلى سنة اليوبيل يخدم عندك. ثم يخرج من عندك هو و بنوه معه و يعود إلى عشيرته. . وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيدا وإماء. وأيضًا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون، ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكا لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك تستعبدونهم إلى الدهر" (لاويين ٢٥/ ٣٩: ٤٦).

٤- كذلك تفرض توراة اليهود على بني إسرائيل أن يقرضوا غيرهم بربا، بينها تحرم ذلك عندما يكون المقترض من الإسرائيلين: "لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا. للأجنبي تقرض بربا و لكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك" (تثنية ٢٣/ ١٩: ٢٠).

ب - ولقد كان في توراة موسى نبوءات صريحة عن خاتم النبين الذي يبعثه الله رسولاً إلى العالمين من غير بني إسرائيل؛ بل ومن أبناء إسماعيل بن إبراهيم على وجه التحديد: ﴿ الّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِئْبَ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ أَوْلِنَا فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكُنُمُونَ الْحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْعَقِّ مِنْهُمْ لَيَكُنُمُونَ الْحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْعَقِ وَوَنَ أَبْنَاءَهُمُ الْكِئْبَ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الْكِئْبَ وَالْمَوْنَ الْعَقَى وَالْمَوْنَ الْمَعَهُمْ وَلَمَا مَا يَعْمِونُونَ اللهِ مُصَدِقٌ وَهُمْ يَعْلَمُونَ اللهِ مُصَدِقٌ لَيْ مَنْ عَند اللهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْمِن قَبْلُ يَسْتَقْتِحُوبَ عَلَى الّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَا جَاءَهُم مَا عَرَفُواْ حِمَا اللهِ مُصَدِقٌ فَلَمَا مَا عَلَمُ اللهِ عَلَى الْكَفِرِينَ عَلَى اللهِ مَعْمَا اللهُ مَعْ اللهِ عَلَى اللهُ مَعْ اللهِ عَلَى اللهُ مَعْ اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَالَى اللهُ عَلَى مَن يَشَاهُ مِنْ عِبَادِومٌ فَا فَاعَامٍ عِفْضٍ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ الل

قال ابن عباس: أن يَهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه. فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه.

ولا يزال في توراة اليهود بقايا من بشارات خاتم النبيين مثل قول الرب لموسى: "أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك و أجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به.

ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه (انتقم منه)"(تثنية ١٨/ ١٨: ١٩).

القرآن يقرر إذن أن توراة موسى، أي التوراة الأصلية هي هدى ونور، وهذا حق لا مرية فيه، وأما توراة اليهود فهي توراة محرفة، فلا شك في ذلك على الإطلاق.

فكيف يثني القرآن على توراة حرفها أهلوها؟. (١)

## ثانيًا: إنجيل عيسى العلى أم الإنجيل الحرف؟

يقصد بإنجيل المسيح ذلك الكتاب الذي أوحاه الله إلى عبده المسيح عيسى ابن مريم النافية والذي ألقاه مواعظ وحكمًا على حوارييه، ومن سار خلفه من بني إسرائيل، وأكد فيه على التزامه بتوراة موسى أولًا وأخيرًا، يقول الله في القرآن عن إنجيل المسيح الحق: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَى ءَائنرِهِم بِعِيسَى أَبِن مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَكَدِّهِ مِنَ ٱلتَّوْرَنَةُ وَءَاتَيْنَكُ ٱلإِنجِيلَ فِيهِ الحق: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَى ءَائنرِهِم بِعِيسَى أَبِن مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَكَدِّهِ مِنَ ٱلتَّوْرَنَةُ وَءَاتَيْنَكُ ٱلإِنجِيلَ فِيهِ هُدَى وَمُوعِظَةً لِلمُتَّقِينَ اللَّهُ وَلَيْحَكُم أَهُلُ ٱلإِنجِيلِ هِمَا أَنزَلَ ٱللهُ فَالْوَلَيْكَ هُمُ ٱلْفَسِقُونَ ﴾ (المائدة ٤٦: ٤٧).

أ- ولقد كان مما في إنجيل المسيح: المسيح عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل، التخفيف على الإسرائيليين من شدة الشريعة، والتخفيف على المرضى والضعفاء، صنع المعجزات بإذن الله، والتنبؤ بالغيب القريب الذي يمكن التحقق من صدقه ليكون دليلًا على صدق تنبؤ المسيح بالغيب البعيد، فالقرآن قال في شأن المسيح وإنجيله: ﴿فَأَتَتْ بِهِ وَقُومَهَا تَحْمِلُهُ وَالْوَايْنَمُ رِيَمُ لَقَدُ عِنْتِ شَيْعًا فَرِيَا اللهِ يَعْلَى اللهِ وَالْمَالُولُو المَرَأُسُو وَمَاكَانَ أَمُّكِ بَغِياً الله فَأَشَارَتَ إِلَيْهُ قَالُوا كَيْفَ نُكِلِمُ مَن كَانَ فِالْمَهَدِ صَبِيتًا الله قَالَ إِنِي عَبْدُ اللهِ وَاتَمْنِي الْكِنْبُ وَجَعَلَى بَيْبًا الله وَجَعَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَل

<sup>(</sup>١) القرآن لا يشهد لتوراة اليهود (٤٣: ٣٧) بتصرف، وانظر: حديث القرآن عن التوراة (١٥٦: ١٦٦).

لكن الأناجيل. . . لا، بل مجموعة الأناجيل التي يتداولها الناس الآن قد حُرفت نصوصها مما دفع علماء المسيحية إلى تقرير الحقيقة الخطيرة الآتية: "القارئ في عصرنا وهو حريص على الدّقة، لا ينفك يبحث عن الأحداث التي تم إثباتها والتحقّق منها، يقع في حيرة أمام تلك المؤلفات التي تبدو له مفكّكة يخلو تصميمها من التنسيق، ويستحيل التغلب على تناقضاتها، ولا يُمكنها أن تردّ على الأسئلة التي تُطرح عليها. . . لقد جمع الإنجيليون ودونوا وفقًا لنظراتهم الخاصة ما أتاهم من التقاليد الشفوية".

١ - فهذه الأناجيل التي نسميها (أناجيل النصارى)أو (أناجيل المسيحيين) جعلت المسيح ابناً
 لله، فها هو كاتب إنجيل مرقس يبدأ بقوله: "بدأ إنجيل يسوع المسيح ابن الله" (مرقس ١٠).

ويقول كاتب إنجيل يوحنا: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" (يوحنا ٣: ١٦)، "و آيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. و أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله" (يوحنا ٢٠/ ٣٠: ٣١).

وذلك على الرغم مما هو باق في سفر أعمال الرسل إلى اليوم من شهادة تلاميذ المسيح أنه عبد الله تمامًا كما كان داود عبدًا لله: " رفعوا أصواتهم إلى الله بقلب واحد فقالوا: ياسيد أنت صنعت السماء والأرض والبحر وكل شئ فيها، أنت قلت على لسان أبينا داود عبدك بوحي الروح القدس، تحالف حقًا في هذه المدينة هيرودس وبنطيوس بيلاطس والوثنيون وشعوب إسرائيل على عبدك القدوس الذي مسحته" (أعمال الرسل ٤/ ٢٧: ٢٥).

ولقد اختارت ترجمة البرتستانت العربية كلمة (فتى) بدلًا من (عبد) كنوع من التشويش على فكر القارئ العادي، وإن كان ذلك لا يغير من حقيقة الأمر شيئًا، فالمسيح في عقيدة تلاميذه المقربين هو عبد الله ورسوله.

٢- بل إن إنجيل يوحنا كان هو الوحيد بين الأناجيل الذي تحدث عن حلول الإله في المسيح فقال: "لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال" (يوحنا ١٤: ١٠).

إن عقيدة حلول الإله في الإنسان هي من العقائد الوثنية القديمة، فقد كانت معروفة لدى الهنود والمصريين واليونان وغيرهم؛ بل إن قدماء المصريين توسعوا فيها حتى جعلوا روح الإله تحل في الحيوان، فكان ذلك مدعاة لعبادة الحيوان، بزعمهم.

٣- وحسبها يقول القرآن جاء المسيح ليخفف عن بني إسرائيل بعض قيود الشريعة، لكن هذه الأناجيل تجعل المسيح يشدد عليهم في أمور تتصل بحياتهم المعتادة مما يوقعهم في العنت أو الخطيئة، إن توراة موسى تسمح بالطلاق وتعدد الزوجات بلا حدود لكن المسيح شدد في موضوع الطلاق وجعله أقرب إلى المستحيلات مما تسبب عنه إلى اليوم مآسي وخطايا وانفلات اجتماعي.

يقول إنجيل النصارى على لسان المسيح: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن. و أما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها و ألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك و لا يلقى جسدك كله في جهنم. و قيل: من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. و أما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني و من يتزوج مطلقة فإنه يزني "(متى ٥/ ٢٧: ٣٢).

ويذكر هذا الإنجيل قول المسيح في بدء رسالته "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل "(متى ٥: ١٧)، ولما كان الناموس يسمح بالطلاق بلا قيود، فإن علماء المسيحية يقولون: إن هذا يعتبر أكبر نقض صريح للناموس.

٤ - ولم يذكر أي من الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى المسيحيين شيئًا عن معجزات المسيح في طفولته مثل التي ذكرها القرآن، ولقد وجدت هذه المعجزات في كتب مسيحية أخرى نشرت تحت اسم (الكتب المفقودة) وقد جاء فيها" عندما كان الرب يسوع في السابعة من عمره، كان يلعب مع بعض رفاقه الذين نحو سنة. . . وقد صنع أشكالًا من الطيور والعصافير، وعندما أمرها بالطيران فإنها طارت، وعندما أمرها بالتوقف فإنها توقفت ".

٥- بل إن أناجيل النصارى هذه تنسب للمسيح تنبؤات باطلة، من أخطرها أن نهاية العالم وانهيار النظام الكوني سوف تحدث قبل نهاية القرن الميلادي الذي عاش فيه المسيح وتلاميذه: " وفيها هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا و ما هي علامة مجيئك و انقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع. . . للوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس و القمر لا يعطي ضوءه و النجوم تسقط من السهاء و قوات السهاوات تتزعزع وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السهاء . . . و يبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السهاء بقوة و مجد كثير. . . الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله" (متى ٢٤/ ٣٤).

نهاية العالم-حسب هذه النبوءة - تحدث قبل أن يهلك الجيل الذي عاصر المسيح، ولقد هلكت عشرات الأجيال بعد المسيح ولا يزال النظام الكوني قائمًا ولا تزال الحياة مستمرة. ب - ولقد كان في إنجيل المسيح الحق نبوءات صريحة عن خاتم النبيين الذي يبعثه الله مباشرة بعد المسيح: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِسَى آبَنُ مَرَّمَ يَنَبَى إِسْرَهِ يِلَ إِنِي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُصَدِقًالِمًا بَيْنَ يَدَى مِنَ النَّورَئِةِ وَمُبَيِّرًا رِسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُصَدِقًالِمًا بَيْنَ يَدَى مِنَ النَّورَئِةِ وَمُبَيِّرًا رِسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُصَدِقًا لِمَا الصف: ٦).

ولا تزال إلى الآن بقية من هذه النبوءات مثلها نجده في إنجيل يوحنا، فعندما ظهر يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) كان اليهود يعلمون يقينًا من نبوءات كتبهم أنه لا يزال هناك في عالم الأنبياء ثلاثة لم يظهروا بعد، ولذلك أرسلوا يسألونه: "و هذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة و لاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف و لم ينكر و أقر: إني لست أنا

المسيح. فسألوه إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا، أنبي أنت؟ فأجاب لا. فقالوا له: ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية. . . فسألوه و قالوا له: فها بالك تعمد إن كنت لست المسيح و لا إيليا و لا النبي؟ " (يوحنا ١/ ٢٥: ١٩).

من الواضح تمامًا أن لكل واحد من الثلاثة الذين كان ينتظرهم اليهود اسمًا يُعرف به، وأن أسمائهم وترتيب ظهورهم هكذا: إيليا ثم المسيح ثم النبي، وأن ذلك النبي المرتقب يأتي بعد المسيح، ولما كان اليهود قد اشتهروا بظهور الأنبياء فيهم، فإن تسمية هذا المرتقب الأخير باسم (النبي) يعني ولا شك أنه نبي، ولكنه ليس ككل الأنبياء، إنه نبي أمره جلل وشأنه عظيم، إنه نبي الزمان.

وحتى بعد ظهور المسيح، استمر اليهود يخلطون بينه وبين النبي المرتقب، فقد حدث " في اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع و نادى قائلًا إن عطش أحد فليقبل إليًّ ويشرب. . . فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي. وآخرون قالوا هذا هو المسيح. . . فحدث انشقاق في الجمع لسببه" (يوحنا ٧/ ٢٤: ٣٤).

النبي المرتقب إذن يأتي بعد المسيح، هذا حق لا مرية فيه، ولم يأت بعد المسيح إلا محمد رسول الله إلى العالمين، هذا ولقد بين المسيح أن إيليا المنتظر الأول من أولئك الثلاثة قد جاء في شخص يوحنا المعمدان، فقد "ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا: ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أنبيًّا؟ نعم أقول لكم و أفضل من نبي. . . إن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى " (متى ١١/ ١٤: ٧).

ومرة أخرى "سأله تلاميذه قائلين فلهاذا يقول الكتبة: إن إيليا ينبغي أن يأتي أولًا (قبل المسيح)، فأجاب يسوع و قال لهم: إن إيليا قد جاء و لم يعرفوه؛ بل عملوا به كل ما أرادوا (أي قتلوه). . . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" (متى١٧/١٠: ١٣).

لقد ظهر النبي إيليا(إلياس) في بني إسرائيل في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، وانتهت حياته برفعه إلى السهاء حيًا، وكأنها تمهيد لرفع المسيح حيًا إلى السهاء دون أن يذوق

الموت في تراب الأرض، ولقد كانت البشارة للنبي زكريا أنه سيُرزق بابن اسمه يحيى (يوحنا) يتقدم في بني إسرائيل بروح إيليا: "وخرًا ومسكرًا لا يشرب ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. . . ويتقدم أمامه بروح إيليا" (لوقا / ١٣: ١٧).

لقد جاء يحيى بن زكريا (يوحنا المعمدان) تقوده روح إيليا النبي الذي ظهر قبله بقرون، ومن هنا قال المسيح عن يحيى هذا"إن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي".

القرآن يقرر أن إنجيل المسيح، أي الإنجيل الأصلي هو هدى ونور، وهذا حق لا مرية فيه، أما أناجيل النصارى، فلم يعد هناك شك بين علمائها، وأنها تعرضت للتحريف عبر القرون؛ بل ولا تزال تُحرف حتى وقتنا هذا. (١)

ونحن نطلب الآن من كل الطوائف النصرانية أن يظهروا لنا إنجيل عيسى الذي كان يكرز به بين الناس، فالذي بين أيدينا هي أناجيل بعض التلاميذ وتلاميذ التلاميذ، فالقرآن أثنى على إنجيل عيسى وأنتم تفتقدونه اليوم، فبأي وجه تعترضون؟.

# الوجه الثالث: مدح التوراة والإنجيل لا يعني مدح اليهود والنصارى.

فقد مدح الله التوراة (توراة موسى الطيلا)، والإنجيل (إنجيل عيسى الطيلا)، ومع ذلك فقد بين صفات اليهود والنصارى (أهل الكتاب) من الغدر والكذب والخيانة، وقد حكم الله عليهم بالكفر لما فعلوه أو قالوه عن الله وبين أنهم من أصحاب النار بهذه الأفعال وغيرها.

قال ابن تيمية: وإذا كان ما ذكره من مدح موسى والتوراة لم يوجب ذلك مدح اليهود الذين كذبوا المسيح ومحمدًا صلى الله عليها وسلم تسليًا، وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ باتفاق المسلمين والنصارى، فكذلك أيضًا ما ذكره من مدح المسيح والإنجيل، ليس فيه مدح النصارى الذين كذبوا محمدًا وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، واتبعوا المبدل المنسوخ، واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيها ذكر مدح للنصارى، والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيها ذكر مدح للنصارى، والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيها ذكر مدح لليهود بعد النسخ والتبديل. فعلم

<sup>(</sup>١) القرآن لا يشهد لتوراة اليهود (٤٤: ٥٥)، وانظر مبحث التحريف في هذه الموسوعة.

اتفاق أهل الملل كلها المسلمون واليهود والنصارى على أنه ليس فيها ذكر في القرآن من ذكر التوراة، والإنجيل، وموسى، وعيسى مدح لأهل الكتاب الذين كذبوا محمدالله، ولا مدح لدينهم المبدل قبل مبعثه، فليس في ذلك مدح لمن تمسك بدين مبدل، ولا بدين منسوخ، فكيف بمن تمسك بدين مبدل منسوخ؟. (١)

# الوجه الرابع: القرآن ناسخ للكتب السابقة، وشريعة النبي ﷺ ناسخة لجميع الشرائع فوجب العمل بما في القرآن وبشريعة النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيَّانَ لَمَا آءَاتَ يُتُكُمُ مِّن كِتَبِ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَ كُمْ رَسُولُ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُوْمِنُنَ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ أَقَالَ ءَأَقَرَرَتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى ۚ قَالُوا اللَّهُ مِيدِينَ اللَّهُ عَلَى نَولِكُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى ۚ قَالُوا اللَّهُ مِيدِينَ اللَّهُ عِلَى فَعَن تَولَى بَعَدَ ذَلِكَ فَأُولَا مِكُمْ مِن الشَّهِدِينَ اللَّهِ عَمَن تَولَى بَعَدَ ذَلِكَ فَأُولَا مِن هُمُ الْفَلْسِقُونَ وَالْأَرْضِ طَوَعُ الْفَلْسِقُونَ وَالْأَرْضِ طَوَعُ اللَّهُ مَا فَي السَّمَونَ وَالْأَرْضِ طَوَعُ الْفَلْسِقُونَ وَالْأَرْضِ طَوَعُ اللَّهُ مَا وَالْمَا مِن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوَعُ الْفَلْسِقُونَ وَالْأَرْضِ طَوَعُ اللَّهُ مِيمَ اللَّهُ مَا وَاللَّهُ مِن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوَعُ اللَّهُ مَا وَاللَّهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوَعُ اللَّهُ مَا وَالْمَا مِي اللَّهُ مِيمَا اللَّهُ مِي اللَّهُ مِي اللَّهُ مِي اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ مَا وَالْمَا مِي اللَّهُ عَلَيْ وَالْمَالِي اللَّهُ مِي اللَّهُ مِي اللَّهُ مَا اللَّهُ مَا وَالْمَامِلُونَ وَالْمُرْمَالُ وَالْمَامُ مُن فِي السَّمَامُ وَاللَّهُ مِي اللَّهُ مِي اللَّهُ مِي اللَّهُ مُولِكُ وَلَهُ اللَّهُ مَا وَالْمَامُ وَالْمَامُ وَالْمُعُونَ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُولِي الللَّهُ مِي اللَّهُ مِي اللْمُولِقِ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُهُ وَالْمُولِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ الْمُعَالِقُ الْمُؤْلِقُ مُنْ فِي السَّمُ الْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُولِقُ اللَّهُ مُولِقُولُ وَالْمُؤْلِقُ الْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ وَالْمُؤْلِقُ اللَّ

قال ابن تيمية: فقد بين أن من اتخذ الملائكة، والنبيين أربابًا فهو كافر، فمن اتخذ من دونهم أربابًا كان أولى بالكفر، وقد ذكر أن النصارى اتخذوا من هو دونهم أربابًا بقوله تعالى: ﴿ اَتَّخَادُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَكُمْ وَمُمَّالُهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَكُمْ وَمُمَّا أُمِرُوا إِلَا لِيَعْبُدُوا إِلَىهًا وَحِدُا لَا لَا إِلَا هُوا سُبْحَانَهُ عَمَا مُرْيَكُمُ وَمَا أُمِرُوا إِلَا لِيَعْبُدُوا إِلَىهًا وَحِدُا لَا لَا إِلَىهَ إِلَا هُوا سُبْحَانَهُ عَمَا يُشْرِكُونَ اللهِ هُوا التوبة: ٣١).

ثم قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَنَقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَبِ
وَحِكْمَةِ ثُمَّ جَآءَ كُمْ رَسُولُ مُصَدِقُ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ - وَلَتَنصُرُنَّهُ وَ قَالَ ءَأَقُرَرَتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى
ذَلِكُمْ إِصْرِيَّ قَالُواْ أَقْرَرُنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّلِهِدِينَ ﴾ (آل عمران: ٨١).

قال ابن عباس وغيره من السلف: ما بعث الله نبيًا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/ ٢٧٠.

ليؤمنن به ولينصرنه، والآية تدل على ما قالوا فإن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِي ثَلَقَ ٱلنِّبِيِّنَ ﴾ يتناول جميع النبيين ثم قال: وقوله: ﴿لَمَا ءَاتَيْتُكُمُ مِن حِتَبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ هي ما الشرطية والتقدير: أي شيء أعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، ولا تكتفوا بها عندكم عها جاء به، ولا يحملنكم ما آتيتكم من كتاب وحكمة على أن تتركوا متابعته؛ بل عليكم أن تؤمنوا به وتنصروه وإن كان معكم من قبله من كتاب وحكمة فلا تستغنوا بها آتيتكم عها جاء به، فإن ذلك لا ينجيكم من عذاب الله.

فدل ذلك على أنه من أدرك محمدًا من الأنبياء وأتباعهم وإن كان معه كتاب وحكمة فعليه أن يؤمن بمحمد وينصره كما قال: ﴿ لَمَا ٓءَاتَيْتُكُم مِن كِتَبِ وَحِكُمَة ثُمَّ جَآءَ كُمُ رَسُولُ أَن يؤمن بمحمد وينصره كما قال: ﴿ لَمَا ٓءَاتَيْتُكُم مِن كِتَبِ وَحِكُمَة ثُمَّ جَآءَ كُمْ رَسُولُ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَكُم لَتُوْمِنُ نَيْهِ وَ لَتَنصُرُنَّهُ وَ ﴾ وقد أقر الأنبياء بهذا الميثاق وشهد الله عليهم به كما قال تعالى: ﴿ قَالَ أَأْفُرَرُتُم وَأَخَذْتُم عَلَى ذِلِكُم إصري قَالُواْ أَقْرَرُنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَّا مَعَكُم مِن الشّاهِدِين ﴾ قال تعالى: ﴿ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْفَكسِقُون ﴾ (آل عمران: ٨٢). (١)

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم اللي إلى عيسى اللي المهم آتى الله أحدَهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيّ مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنن به ولينصر نّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته؛ ولهذا قال تعالى وتقدس: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَقَ النّبِينِ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَبِ وَحِكْمَةٍ ﴾ أي: لمها أعطيتكم من كتاب وحكمة ﴿ ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعكُم لَتُوْمِئنَ بِهِ عَلَى ذَلِكُم إضري ﴾.

قال علي بن أبي طالب، وابن عمه عبد الله بن عباس و عنه عنه الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بَعَث محمدًا وهو حَيّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمَرَه أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه.

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/١٩٩: ٢٠٠٠.

فالرسول محمد على خاتم الأنبياء دائمًا إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدَّم على الأنبياء كلهم؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في يوم الحشر في إتيان الرب لِفَصْل القضاء، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين، حتى تنتهي النوبة إليه، فيكونَ هو المخصوص به. (١)

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ " والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يهوديُّ وَلاَ نصرانيُّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ". (٢)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ " لاَ تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شيء، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقِّ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلاَّ أَنْ يتبعني ". (')

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير ٣/ ١٠١: ١٠١ مختصرًا.

<sup>(</sup>۲) مسلم (۱۵۳).

<sup>(</sup>٣) البخاري (٢٦٨٥).

<sup>(</sup>٤) حسن. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٤٢١)، ومن طريقه ابن أبي عاصم في السنة (٥٠)، وأخرجه الدار مي في السنن (٤٣٥)، وأحمد في المسند٣: ٣٨٧، والبزار في كشف الأستار (١٢٤)، البيهقي في الشعب (١٧٩) من طرق عن مُجَالِدٍ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرِ به.

قال الألباني: وهذا سند فيه ضعف من أجل مجالد وهو ابن سعيد الهمداني قال الحافظ في " التقريب ": " ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره ".

#### الوجه الخامس: هذا الثناء لا ينافي وجوب اتباع محمد ﷺ.

قال ابن تيمية: وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه وعلى من اتبعه وكان على دينه الذي لم يبدل فهذا حق، وهو لا ينافي وجوب اتباع محمد على من بعث إليه، فلو قدر أن شريعة المسيح لم تبدل، وأن محمدًا أثنى على كل من اتبعها وقال مع ذلك: إن الله أرسلني إليكم؛ لم يكن ذلك متناقضا وإذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل أن يكذبوه، فكيف وهو إنها مدح من اتبع دينا لم يبدل؟ وأما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم؛ بل ذمهم كها قال: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَكَرَى آخَذُنَا مِيثَقَهُم فَنَسُوا كُنَّ مِيثَلَق مُع وَسُوفَ كَا مَنْ الله وَمُونَ الله وَمُونَ الله وَمُونَ الله وَمُونَ الله وَمُونَ الله وَمُونَ الله عَلَى الله وَمُونَ الله وَمُؤْنَ الله وَمُونَ الله والله والله

وقد قدمنا أن النصارى كفروا كها كفرت اليهود، كفروا بتبديلهم ما في الكتاب الأول، وكفروا بتكذيبهم بالكتاب الثاني، وأما من لم يبدل الكتاب أو أدرك محمدًا فآمن به فهؤلاء مؤمنون، ومما يبين ذلك أن تعظيم المسيح للتوراة واتباعه لها وعمله بشرائعها أعظم من تعظيم محمد للإنجيل، ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطًا عن اليهود وجوب اتباعهم للمسيح، فكيف يكون تعظيم محمد للإنجيل مسقطًا عن النصارى وجوب اتباعه؟ (۱) الوجه السادس: القرآن بيئن أنهم خالفوا أحكام التوراة.

لقد جاء القرآن واضحًا في موقفه تجاه هذه الأسفار وحفظتها من الأحبار والعلماء، سنذكر عددًا من الأساسيات منها:

(١) الجواب الصحيح ٢/ ١٤٢: ١٤٣.

وقال الحافظ في " الفتح " (١٣: ٢٨٤): " رواه أحمد، وابن أبى شيبة، والبزار، ورجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفا ". قلت -- أي الألباني - لكن الحديث قوي فإن له شواهد كثيرة. وذكر - الشيخ - بعضها. ثم قال: وجملة القول: أن مجيء الحديث في هذه الطرق المتباينة، والألفاظ المتقاربة لما يدل على أن مجالد بن

سعيد قد حفظ الحديث فهو على أقل تقدير حديث حسن. والله أعلم إرواء الغليل ٦/ ٣٤: ٣٨.

٢- قام على أمر هذه الكتب طائفة من الأحبار والكهنة والكتبة وُجد بينهم:

أ- الذين يحرفون كلام الله بتغييره وتبديله وعدم الحفاظ على صورته الأصلية: ﴿ مِّنَ اللَّهِ مِنْ هَادُوا يُحَرِّفُونَ ٱلْكِلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ٤٠ (النساء: ٤٦).

ب- الذين يضيفون إلى كلام الله وينقصون منه ما شاءت لهم أهواءهم، ثم يدعون أن ذلك وحي الله: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَغَرِيقَا يَلُوُنَ أَلْسِنَتَهُم وَالْكِنْبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ أَلْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَوْبَ وَهَا هُو مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَوْبَ وَهُمْ مِنَ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَوْبَ وَهُمْ مِنَ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَوْبَ وَهُمْ يَعْمُونَ اللّهِ مَا كَانَ لِبَسَرٍ أَن يُوْتِيهُ اللّهُ الْكِتَنبَ وَالْحُكُم وَالنّبُونَ ثُمَ يَقُولُ لِلنّاسِ كُونُوا يَعْمَلُونَ اللّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبّينِينِي بِمَا كُنتُم تُعَلِّمُونَ الْكِنبَ وَبِمَا كُنتُم تَمْ يَقُولُ لِلنّاسِ كُونُوا عِلَى اللّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبّينِينِينَ بِمَا كُنتُم تُعَلِمُونَ الْكِنبَ وَبِمَا كُنتُم تَمْ يَقُولُ لِلنّاسِ كُونُوا وَلاَ يَأْمُرُكُم وَالنّينِينَ بِمَا كُنتُم تُعَلِمُونَ الْكِنبَ وَبِمَا كُنتُم تَمْ تَدُرُسُونَ اللهِ وَلَكِن كُونُوا رَبّينِينِينَ بِمَا كُنتُم تُعَلِمُونَ الْكِنبَ وَبِمَا كُنتُم تَمْ تَدُرُسُونَ الللهِ وَلاَينَتِينَ أَرْبَابًا أَيَامُرُكُم وَالنّينِينَ وَلَا لَكُنْ مِعْدَ إِذْ أَنتُم تُمسَلِمُونَ اللهِ وَلاَينَينِينَ وَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الْكَوْبُ وَلَا اللّهُ الللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللل

قَلِي لَا أَفَوَيْلُ لَهُم مِّمَا كُنَبَتْ أَيْدِيهِم وَوَيْلُ لَهُم مِّمَا مِّمَا يَكْسِبُونَ ﴿ (البقرة: ٧٩)، ﴿ وَمِنهُمْ أُونِيُّ أَلَيْ فَا يَكْسِبُونَ ﴿ (البقرة: ٧٨)، ﴿ قُلْ وَمِنهُمْ أُونِيُّ لَا يَظُنُونَ ﴿ (البقرة: ٧٨)، ﴿ قُلْ يَتَأَهْلَ الْحَيْنَ اللَّهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ الله

ج- ولقد درج كثير منهم ممن عهد إليهم بالحفاظ على كتب الله من الكتبة والرؤساء الدينيين على كتمان الحق الذي لا يتفق وأهواءهم مثل نبوة محمد الذي جاء من العرب الأميين وكانت بشارته – ولا تزال بقيتها – في كتبهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَقَ الّذِينَ أُوتُوا الأميين وكانت بشارته – ولا تزال بقيتها – في كتبهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَقَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَبَ لَتُبَيِّئُنَةُ لِلنَاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم وَاشْتَرَوْا بِهِ مَنَا قَلِيلًا فَيْقُسَ مَا الْكِتَبَ لَمُ تَلِسُوكَ الْحَقَ بِالْبَطِلِ وَتَكْنُمُونَ يَشْتَرُونَ لَكُ (آل عمران: ١٨١)، ﴿ يَتَأَهْلَ الْكِتَبِ لِمَ تَلِسُوكَ الْحَقِ بِالْبَطِلِ وَتَكُنُمُونَ الْحَقَ وَأَنتُم تَعْلَمُونَ اللّهِ (آل عمران: ١١)، ﴿ يَتَأَهْلَ الْكِتَبِ لِمَ تَلِسُوكَ الْحَقِيلِ وَيَعْفُوا عَن رَسُولُنَا يُبَيِّثُ لَكُمْ حَيْيِرًا مِمَا حَنْتُم مُعْفُونَ مِنَ الطَّلُوتِ بِهِ اللّه مَن الطَّلُودِ بِإِذَنِهِ عَن الطَّلُودِ اللهَ عَرَاهُ السَّلُودِ وَيُخْرِجُهُم مِن الظَّلُمُنَ إِلَى صَرَطٍ مُسَتَقِيمٍ (آلَهُ وَيُخْرِجُهُم مِن الظَّلُمُنَةِ إِلَى صَرَطٍ مُسَتَقِيمٍ (آلَهُ (المائدة: ١٦٥)).

ونستطيع الآن تقرير ما يمكن استخلاصه من موقف القرآن من الأسفار اليهودية والمسيحية -أي الكتاب المقدس - فنقول: إن هذه الأسفار بها بقية مما أنزله الله، كها أنها فقدت قدرًا من الحقائق عندما ضاع منها حظ من التنزيل الإلهي، وهي تضم بين جنباتها اختلافًا كثيرًا بسبب ما صنعته بها أيدي البشر الذين استحفظوا عليها وقاموا على أمرها، ولقد جمع ذلك سيدنا محمد خاتم النبيين الذي أُوتي بحق جوامع الكلم - في عبارة موجزة فقال: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل الله)(۱).

<sup>(</sup>١) البخاري (٤٨٥).

إن من معجزات هذا النبي الأمي أن هذا هو عين ما قاله علماء الكتاب المقدس في دائرة المعارف البريطانية: (لقد أصبح من الواضح أن هذه الأسفار لا تحتوي كل الصدق، وأن ليس كل ما تحتويه هذه الأسفار بصادق).

أليس هذا هو مجمل حديث خاتم النبيين: لا تصدقوهم ولا تكذبوهم. (١) الوجه السابع: ذم أهل الكتاب لا يقدح في أنبيائهم.

قال ابن القيم: ماذا على الرسل الكرام من معاصي أعمهم وأتباعهم؟ وهل يقدح ذلك شيئًا في نبوتهم أو يغير وجه رسالتهم؟ وهل سلم من الذنوب على اختلاف أنواعها وأجناسها إلا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؟ وهل يجوز رد رسالتهم وتكذيبهم بمعصية بعض أتباعهم لهم؟ وهل هذا إلا من أقبح التعنت؟ وهو بمنزلة رجل مريض دعاه طبيب ناصح إلى سبب ينال به غاية عافيته، فقال: لو كنت طبيبًا لم يكن فلان وفلان وفلان مرضى، وهل يلزم الرسل أن يشفوا جميع المرضى بحيث لا يبقى في العالم مريض؟ هل تعنت أحد من الناس للرسل بمثل هذا التعنت؟ (٢)

المبحث الثاني الرد التفصيلي على بعض الشبهات التي أثارها أهل الكتاب في إثبات صدق كتابهم من خلال ثناء القرآن على التوراة والإنجيل.

وقبل عرض هذا المبحث نقرر مسألتين:

الأولى ـ إن كل شبهة سنعرضها يدخل تحتها آيات كثر سنكتفي بذكر آية منها (١٠٠٠).

الثانية \_ يدخل في ثنايا الرد على كل شبهة من هذه الشبه - الآي ذكرها-بعض من الردود الإجمالية التي مضت.

الشبهة الأولى: قالوا: إننا نجد في (القرآن الكريم) آيات تشهد بصدق التوراة والإنجيل ـ كما هما اليوم ـ وتؤكد أن الكتابين لم يصابا بتحريف، ولا تزييف.

<sup>(</sup>١) القرآن لا يشهد لتوراة اليهود؛ أحمد عبد الوهاب (٦٠) صلاح عبد الفتاح الخالدي (٩٦: ٩٧).

<sup>(</sup>۲) هداية الحياري (۲۱٦).

<sup>(</sup>٣) ذكرنا ذلك حتى لايظن القاريء أننا تركنا آيات لم يرد عليها.

من مثل قول الله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوَرَيْلَةُ فِيهَا حُكُمُ ٱللَّهِ ﴾ (المائدة: ٤٧).

والجواب عن هذه الشبهة من هذه الوجوه: الوجه الأول: بيان سبب نزول الآيات. ١- نذلت عامة:

قال ابن كثير: نزلت هذه الآيات الكريات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة الله ورسوله، المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله على: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا عَامَنَا بِأَفْوَهِهِ وَلَمْ تُوَقِيمِ مُوابِ خاوية عَلَمَ وَهُولاء هم المنافقون. ﴿ وَمِن اللَّذِينَ هَادُوا ﴾ أعداء الإسلام وأهله. وهؤلاء كلهم منه، وهؤلاء هم المنافقون. ﴿ وَمِن اللَّذِينَ هَادُوا ﴾ أعداء الإسلام وأهله. وهؤلاء كلهم صمّعُون لِلْمَافقون في أي: يستجيبون له، منفعلون عنه ﴿ سَمَنعُونَ لِقَوْمٍ المَرْيِنَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ أي: يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون مجلسك يا محمد. وقيل: المراد أنهم يتسمعون الكلام، ويُنهُونه إلى أقوام آخرين عمن لا يحضر عندك، من أعدائك أنهم يتسمعون الكلام، ويُنهُونه إلى أقوام آخرين عمن لا يحضر عندك، من أعدائك عقلو، ويعم يعلمون ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيتُ مَ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤَوّهُ فَأَخَذَرُوا ﴾. (١)

## ٢ ـ نزلت في قضية القتل التي حدثت في اليهود:

قيل: نزلت في أقوام من اليهود، قتلوا قتيلا وقالوا: تعالوا حتى نتحاكم إلى محمد، فإن أفتانا بالدية فخذوا ما قال، وإن حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ قَالَ: إِنَّ الله ﴿ قَالَ الله ﴿ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَتِهِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ ﴾ ﴿ أُولَتِهِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ ﴾ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْكَفِرُونَ ﴾ ﴿ أُولَتِهِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ ﴾ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنْزَلَمَا الله في الطَّاثِفَتَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَانَتْ إِحْدَاهُمَا قَدْ قَهَرَتِ الأُخْرَى فِي الجُاهِلِيَّةِ حَتَّى الْرَّفَضُوا وَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنَّ كُلَّ قَتِيلٍ قَتَلَتْهُ الْعَزِيزَةُ مِنَ الذَّلِيلَةِ فَدِيَتُهُ خَمْسُونَ وَسْقًا، وَكُلَّ الْرَقَضُوْا وَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنَّ كُلَّ قَتِيلٍ قَتَلَتْهُ الْعَزِيزَةُ مِنَ الذَّلِيلَةِ فَدِيتُهُ خَمْسُونَ وَسْقًا، وَكُلَّ

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير ٥/ ٢١٩.

قَتِيل قَتَلَتْهُ الذَّلِيلَةُ مِنَ الْعَزِيزَةِ فَدِيَتُهُ مِائَةُ وَسْقِ، فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ النبي ﷺ المُدينَةَ فَذَلَّتِ الطَّائِفَتَانِ كِلْتَاهُما لَقْدَم رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ لَمْ يَظْهَرْ وَلَمْ يُوطِئْهُمَا عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصُّلْح، فَقَتَلَتِ الذَّلِيلَةُ مِنَ الْعَزِيزَةِ قَتِيلًا فَأَرْسَلَتِ الْعَزِيزَةُ إِلَى الذَّلِيلَةِ أَنِ ابْعَثُوا إِلَيْنَا بِهَائَةِ وَسْقٍ. فَقَالَتِ الذَّلِيلَةُ: وَهَلْ كَانَ هَذَا فِي حَيَّيْنِ قَطُّ دِينُهُمَا وَاحِدٌ وَنَسَبُهُمَا وَاحِدٌ وَبَلَدُهُمَا وَاحِدٌ دِيَةُ بَعْضِهِمْ نِصْفُ دِيَةِ بَعْضِ؟ إِنَّا إِنَّمَا أَعْطَيْنَاكُمْ هَذَا ضَيًّا مِنْكُمْ لَنَا، وَفَرَقًا مِنْكُمْ فَأَمَّا إِذْ قَدِمَ مُحُمَّدٌ فَلاَ نُعْطِيكُمْ ذَلِكَ. فَكَادَتِ الْحُرْبُ تَهِيجُ بَيْنَهُمَا ثُمَّ ارْتَضُوا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَتِ الْعَزِيزَةُ فَقَالَتْ: وَالله مَا مُحَمَّدٌ بِمُعْطِيكُمْ مِنْهُمْ ضِعْفَ مَا يُعْطِيهِمْ مِنْكُمْ، وَلَقَدْ صَدَقُوا مَا أَعْطَوْنَا هَذَا إِلاَّ ضَيًّا مِنَّا وَقَهْرًا لَمُّمْ، فَدُسُّوا إِلَى مُحَمَّدٍ مَنْ يَخْبُرُ لَكُمْ رَأْيَهُ إِنْ أَعْطَاكُمْ مَا تُرِيدُونَ حَكَّمْتُمُوهُ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِكُمْ حَذِرْتُمْ فَلَمْ ثُحَكِّمُوهُ، فَدَشُوا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ لِيَخْبُرُوا لَهُمْ رَأْىَ رَسُولِ الله ﷺ فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ الله ﷺ أَخْبَرَ الله رَسُولَهُ بِأَمْرِهِمْ كُلِّهِ، وَمَا أَرَادُوا فَأَنْزَلَ الله ﷺ اَلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَدِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ءَامَنَّا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَمَن لَّذ يَعْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَتَهِكَ هُمُ ٱلْفَسِيقُونَ ﴾ ثُمَّ قَالَ: فِيهِمَا وَالله نَزَلَتْ وَإِيَّاهُمَا عَنَى الله ﷺ . (١)

٣. نزلت في اليهوديّين اللذين زنيا، وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم، من الأمر برجم من أحْصن منهم، فحرفوا واصطلحوا فيها بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم والإركاب على حمار مقلوبين. فلما وقعت تلك الكائنة بعد هجرة النبي ، قالوا فيها بينهم: تعالوا حتى نتحاكم إليه، فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه، واجعلوه حجة بينكم وبين الله، ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك.

<sup>(</sup>١) حسن. أخرجه أحمد في المسند ٢٤٦١، أبو داود (٣٥٧٦) من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة. وأخرجه أحمد في المسند ٢٨٦١، أبو داود (٣٥٩١، ٤٤٩٤)، النسائي ١٩/٨ وابن أبي حاتم في التفسير (٦٣٩١) من طرق عن عكرمة. كلاهما (عبيد الله، عكرمة) عن ابن عباس به. وإسناده حسن، حسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٠٥٣).

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَانِبٍ ﴿ قَالَ مُرَّ عَلَى النبي ﷺ بِيهُودِيِّ مُحَمَّمًا مَجُلُودًا فَدَعَاهُمْ ﷺ فَقَالَ: " مَحَدَّا مَجَدُونَ حَدَّا الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ ". قَالُوا: نَعَمْ. فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ: "أَنشُدُكَ بِالله الذي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى! أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟ ». قَالَ: لاَ. وَلَوْلاَ أَنْكُ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْرِنُكَ. نَجِدُهُ الرَّجْمَ. وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ. وَإِذَا أَخْذُنَا الضَّعِيفَ أَقْمَنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ. قُلْنَا: تَعَالُواْ فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شيء نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجُلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "اللهمَّ إِني أَوَّلُ الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجُلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "اللهمَّ إِني أَوَّلُ لَكَمْ وَالْمُولُ لَا يَعْنَى أَوْرَبَعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجُنْفِ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاخَذُرُوا فَخُدُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذُرُوا. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَن لَمَ يَحُدُلُ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَن لَمَ يَحْدُونَ فَى الْكُفَّرِ فَي الْكُفَّرِ فَي إِلَى قَوْلِهِ فَإِنْ أَقْرَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَن لَمَ يَحْدُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذُرُوا. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَمَن لَمْ يَعَرُكُ اللهُ فَأَوْلَتَهِكَ هُمُ الظَلِيمُونَ ﴾ ﴿ وَمَن لَمْ يَحْدُونَ ﴾ فَو مَن لَمْ يَعْدَلُ وَلَيْهِ فَا مُنْ اللهُ وَمَن لَمْ يَعْدُلُ وَمَن لَمْ يَعْدُلُوهُ وَمِن لَمْ يَعْمَى الْطَلِيمُونَ ﴾ فَو مَن لَمْ يَعْدَلُ وَلَتَهِكَ هُمُ الطَلِيمُونَ ﴾ فَمَن لَمْ يَعْمَلُ وَلَيْهِ فَي الْكُفَّارِ كُلُّهُمْ الطَلِيمُونَ فَي الْكُفَّارِ كُلُّهَا. (") وهذا القول رجحه أكثر أهل العلم. (")

<sup>(</sup>١) أخرجه البخاري (١٣٢٩، ٦٨١٩)، مسلم (١٦٩٩).

<sup>(</sup>۲) مسلم (۲۷۰۰).

<sup>(</sup>٣) تفسير البغوي ٢/ ٣٨، تفسير القرطبي ٦/ ١٧٢، تفسير ابن كثيره/ ٢٢٠.

قال ابن كثير: وقد يكون اجتمع هذان السببان - الثاني والثالث - في وقت واحد، فنزلت هذه الآيات في ذلك كله، والله أعلم. (١)

قال ابن كثير: فهذه أحاديث دالة على أن رسول الله وحكم بموافقة حكم التوراة، وليس هذا من باب الإلزام لهم بها يعتقدون صحته؛ لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة، ولكن هذا بوحي خاص من الله على إليه بذلك، وسؤاله إياهم عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم، مما تراضوا على كتهانه وجحده، وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة فلها اعترفوا به مع عَملهم على خلافه، بان زيغهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم، وعدولهم إلى تحكيم الرسول إنها كان عن هوى منهم وشهوة الكتاب الذي بأيديهم، لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به لهذا قالوا: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا ﴾ أي: الجلد لوافقة آرائهم، لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به لهذا قالوا: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا ﴾ أي: الجلد والتحميم ﴿فَخُذُوهُ ﴾ أي: اقبلوه ﴿وَإِن لَمْ تُوتُونُهُ فَأَحُذُونًا ﴾ أي: من قبوله واتباعه(\*).

الوجه الثاني: هذا التحكيم فيما يتفق مع القرآن لا فيما يناقضه أو يخالفه.

فقد أمر أهل (التوراة) أن يحكموا بها أنزل الله في كتابهم! وأمر أهل (الإنجيل) أن يحكموا بها أنزل الله في كتابهم! والله أنزل في التوراة وأنزل في الإنجيل الأمر باتباع محمد فإذا لم يحكموه، فكأنهم لم يحكموا التوراة والإنجيل. وإذا لم يؤمنوا به، فكأنهم لم يؤمنوا بها في التوراة والإنجيل. يتضح لنا أن المقصود تحكيم هذه الكتب، فيها يتفق مع القرآن لا فيها يناقضه أو يخالفه. (")

قال ابن كثير: وقوله: ﴿ وَلَيَحْكُو آهَلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَا آنزَلَ ٱللّهُ فِيهِ ﴾ قُرئ ﴿ وَلَيَحْكُو ﴾ بالنصب على أن اللام لام كي، أي: وآتيناه الإنجيل ليحكم أهل ملته به في زمانهم. وقرئ: ﴿ وَلَيَحْكُو ﴾ بالجزم اللام لام الأمر، أي: ليؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أمروا به فيه، ولي وما فيه البشارة ببعثة محمد ﷺ والأمر باتباعه وتصديقه إذا وجد، كما قال تعالى: ﴿ قُلُ

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير ٥/ ٢٢٩.

<sup>(</sup>۲) تفسیر ابن کثیر ۵/ ۲۲۵: ۲۲۸.

<sup>(</sup>٣) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ٢/ ٨٨.

يُتَأَهِّلُ ٱلْكِنْبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَقَّى تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنِيلُ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ ﴾ الآية (المائدة: ٢٨) وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِي ٓ ٱلأُمِّى الَّذِي يَجِدُونَهُ، مَكْنُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَمُ مْ عَنِ ٱلمُنكَ رِ وَيُحِلُ لَهُمُ الطَّيِبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبْنِينَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالُ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمُ ٱلطَّيِبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبْنِينَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالُ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمُ ٱلطَّيْبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبْنِينَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلِلُ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمُ أَلْفَيْلِكُونَ وَيَصَمُوهُ وَٱتَّبَعُواٱلنُّورَ ٱلَّذِي ٱلْإِلَىٰ اللَّهِ كَانَتْ عَلَيْهِمُ أَلْمُعْلِحُونَ عَلَيْهِمُ الْمُعْلِحُونَ وَمَن لَدِي عَنْهُمْ وَمَن لَدَي يَعْصُمُ مِمَ أَنْوَلَ ٱللَّهُ فَأُولَتِيكَ هُمُ ٱلْمُعْلِحُونَ وَلَا عَلَيْ وَمُن لَدِي عَنْهُمُ إِلَىٰ اللهُ وَلَيْكِكُ هُمُ ٱلْمُعْلِحُونَ وَلَا عَلَيْ وَمُن لَدَي يَعْصُمُ مِمَا أَنْوَلَ ٱللهُ فَأُولَتِيكَ هُمُ ٱلْمُعْلِحُونَ لَالْمُونَ إِلَى البَاطِلِ، التاركون للحق. وقد الفَانِيقُونَ ﴾ أي: الخارجون عن طاعة ربهم، المائلون إلى الباطل، التاركون للحق. وقد تقدم أن هذه الآية نزلت في النصارى، وهو ظاهر السياق. (١)

ولهذا قال الله تعالى بعدها: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتنَبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْدِ مِنَ ٱلْحَقِّ الْمَا الله تعالى بعدها: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكَةُ وَلَا تَنَبِّعَ أَهُوَا مَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ اللهُ لَكِتَبَ وَمُهَيْمِنَا عَلَيْهِ فَاحْتُ مُ بَيْنَهُم بِمَا آنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَنَبِّعُ أَهُوَا مَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ ٱللّهُ لَجَعَلَكُمُ أَمَّةً وَحِدَةً وَلَئِكِن لِيَبَلُوكُمْ فِي مَا مَاتَنكُمُ لِكُمْ بِمَا كُمْتُمْ فِيهِ تَغَلِّفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨).

الوجه الثالث: الآية فيها رد عليهم حيث جاء في آخرها (يُعَرَفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)
قال محمد رشيد رضا: وتما يجب التنبيه له هنا أن دعاة النصرانية يحتجون بهذه الآية وما في معناها على كون التوراة التي في أيديهم وأيدي اليهود هي ما أنزله الله تعالى على موسى، لم يعرض لها تغيير ولا تحريف، وذلك أنهم كأولئك اليهود الذين يأخذون من القرآن أهوائهم ويردون ما يخالفها جدلاً، والمؤمنون يؤمنون بالكتاب كله، فالكتاب بين لنا أن عندهم التوراة أي الشريعة، وأن فيها حكم الله في القضية التي تحاكموا فيها إلى النبي وقد صدق الله تعالى وهو أصدق القائلين، وبين لنا أيضًا أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه ومن بعد مواضعه، وأنهم نسوا حظًا مما ذُكروا به، وإنها أوتوا نصيبًا من الكتاب إذ نسوا نصيبًا آخر وأضاعوه، وقد صدق الله تعالى في ذلك أيضًا، ولما خرجت أمة القرآن نسوا نصيبًا آخر وأضاعوه، وقد صدق الله تعالى في ذلك أيضًا، ولما خرجت أمة القرآن

<sup>(</sup>۱) تفسير ابن كثير ٥/ ٢٢٤.

بالقرآن من الأمية وعرفوا تاريخ أهل الكتاب وغيرهم كالبابليين ظهر لهم أن إخبار القرآن بذلك كان من معجزاته الدالة على أنه من عند الله؛ إذ ظهر لهم أن اليهود قد فقدوا التوراة التي كتبها موسى ثم لم يجدوها، وإنها كتب لهم بعض علمائهم ما حفظوه منها ممزوجًا بها ليس منها، والتوراة التي في أيديهم تثبت ذلك كها بيناه في غير هذا الموضع. . . وهذه الآيات (المائدة ٥٥: ٤٧) من سياق التي قبلها والتي بعدها، والغرض منها بيان كون التوراة كانت هداية لبني إسرائيل فأعرضوا عن العمل بها لما عرض لهم من الفساد، وبيان مثل ذلك في الإنجيل وأهله، ثم الانتقال من ذلك إلى ما سيأتي من ذكر إنزال القرآن ومزيته وحكمة ذلك، ومنه يُعلم أن العبرة بالاهتداء بالدين وأنه لا ينفع أهل الانتهاء إليه إذا لم يقيموه؛ إذ لا يستفيدون من هدايته ونوره إلا بإقامته والعمل به، وأن إيثار أهل الكتاب أهوائهم على هداية دينهم، هو الذي أعهم عن نور القرآن والاهتداء به (١)

الوجه الرابع: الآية فيها تعجب من صنعهم حيث عدلوا عن الحق إلى الباطل؛ فظهر جهلهم وعنادهم.

قال الرازي: هذا تعجيب من الله تعالى لنبيّه ﷺ بتحكيم اليهود إياه بعد علمهم بها في التوراة من حد الزاني، ثم تركهم قبول ذلك الحكم، فعدلوا عما يعتقدونه حكمًا حقًا إلى ما يعتقدونه باطلًا طلبًا للرخصة، فلا جرم ظهر جهلهم وعنادهم في هذه الواقعة من وجوه:

أحدها: عدولهم عن حكم كتابهم، والثاني: رجوعهم إلى حكم من كانوا يعتقدون فيه أنه مبطل، والثالث: إعراضهم عن حكمه بعد أن حكموه، فبيّن الله تعالى حال جهلهم وعنادهم لئلا يغتر بهم مغتر أنهم أهل كتاب الله ومن المحافظين على أمر الله(٢).

قال محمد رشيد رضا: هذا تعجيب من الله لنبيه ببيان حال من أغرب أحوال هؤلاء القوم، وهو أنهم أصحاب شريعة يرغبون عنها ويتحاكمون إلى نبي جاء بشريعة أخرى وهم لم يؤمنوا به، أي: وكيف يحكمونك في قضية كقضية الزانيين أو قضية الدية، والحال

<sup>(</sup>١) تفسير المنار ٦/ ٣٣٦: ٣٣٧.

<sup>(</sup>٢) تفسير الرازى ١١/ ٢٣٦.

أن عندهم التوراة التي هي شريعتهم فيها حكم الله فيها يحكمونك فيه، ثم يتولون عن حكمك بعد أن رضوا به وآثروه على شريعتهم لموافقته لها، أي: إذا فكرت في هذا رأيته من عجيب أمرهم، وسببه أنهم ليسوا بالمؤمنين إيهانًا صحيحًا بالتوراة ولا بك، وإنها هم ممن جاء فيهم ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ أَتَخَذَ إِلَهُ هُ هُونَهُ وَأَضَلَهُ اللهُ عَلَى عَلَي الله الأول، أو نسخه لحكمة عنه إلى غيره إلا إذا آمن بأن ما رغب إليه شرع من الله أيضًا أيد به الأول، أو نسخه لحكمة اقتضت ذلك باختلاف أحوال عباده، وهؤلاء تركوا حكم التوراة التي يدّعون الإيهان بها واتباعها؛ لأنه لم يوافق هواهم، وجاؤوك يطلبون حكمك رجاء أن يوافق هواهم ثم يتولون ويعرضون عنه إذا لم يوافق هواهم، فها هم بالمؤمنين بالتوراة ولا بك ولا بمن أنزل على موسى التوراة وأنزل عليك القرآن. (١)

## الشبهة الثانية: قالوا: بأن القرآن أثنى على أهل الكتاب.

قوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَّوةً لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْمَيهُودَ وَالَّذِينَ اَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَ اَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَ اَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَكَرَىٰ ۚ ذَالِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيسِينِ وَالرهبان لئلا يقال: إن وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسَتَكِيرُونَ ﴾ (المائدة: ٨٢)، فذكر القسيسين والرهبان لئلا يقال: إن هذا قبل عن غيرنا، ودل بهذا على أفعالنا وحسن نياتنا ونفى عنا اسم الشرك بقوله: اليهود والذين أشركوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا والذين قالوا إنا نصارى أقربهم مودة.

#### والجواب عليه من هذه الوجوه:

## الوجه الأول: ما هو وجه (نوعية) هذا المدح أو الثناء؟

قال الطبري: والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن النفر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله، أن ذلك إنها كان منهم لأن منهم أهل اجتهاد في العبادة، وترهب في الديارات والصوامع، وأن

<sup>(</sup>١) تفسير المنار ٦/ ٣٩٥.

منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها، فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحق إذا عرفوه، ولا يستكبرون عن قبوله إذا تبينوه؛ لأنهم أهل دين واجتهاد فيه ونصيحة لأنفسهم في ذات الله، وليسوا كاليهود الذين قد دربوا بقتل الأنبياء والرسل، ومعاندة الله في أمره ونهيه، وتحريف تنزيله الذي أنزله في كتبه. (١)

قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَلَتَجِدَتَ أَقَرَبَهُم مَودَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَكَرَىٰ ﴾، أي: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم؛ إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱبَّعُوهُ رَأْفَةً وَرَحَمَةً ﴾ (الحديد: ٧٧)، وفي كتابهم: (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر).

وليس القتال مشروعًا في ملتهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّ مِنْهُمُ قِسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكَبُرُونَ ﴾ أي: يوجد فيهم القسيسون -وهم خطباؤهم وعلماؤهم، فقوله: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكَبُرُونَ ﴾ تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف، فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى آعَيْنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَا عَرَفُواْ مَنَ ٱلْكَبْنَا مَعَ مَنَا عَرَفُواْ مَنَ الْبَشَارة ببعثة محمد الله ﴿ يَقُولُونَ رَبِّنَا عَامَنَا فَأَكُنْبَنَا مَعَ مَن يشهد بصحة هذا ويؤمن به.

وقوله: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَظْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِـ ٱلْصَالِحِينَ اللَّهِ وَمَا اللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ النصارى هم المذكورون في قوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱهْلِ الصَّالِحِينَ لِلَّهِ لَهُ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَنتِ اللَّهِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَنتِ

<sup>(</sup>١) تفسير الطبري٧/ ٤.

اللهِ ثَمَنَاقِلِيلًا أُوْلَيَهِكَ لَهُمْ أَجَرُهُمْ عِندَ رَبِهِمْ إِن اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (الله (الله عمران: ١٩٩)، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ الّذِينَ النِّنَهُمُ الْكِنْبَ مِن قَبْلِهِ مُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (الله عَمران: ١٩٩)، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ الّذِينَ النِّنَهُمُ الْكِنْبَ مِن قَبْلِهِ مُم اللهُ اللهُ مُم مَرَّيّنَ إِنَّا كُنّا مِن قَبْلِهِ مُسلِمِينَ (الله وَلَيْكَ يُؤْتَونَ أَجْرَهُم مَرَّيّنِ عِنا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِئَةَ وَمِمّا رَزَقَنَهُمْ يُنفِقُونَ (الله مُن وَإِذَا سَمِعُوا اللّغُو أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ آعَمَلُكُمْ سَلَمُ عَلَيْكُمْ لَا بَنْغِي الْجَهِلِينَ (القصص: ٥٢ - ٥٥).

ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿ فَأَتْبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّنتِ تَجَّرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ﴾ أي: فجازاهم على إيهانهم وتصديقهم واعترافهم بالحق ﴿ جَنَّنتِ تَجّرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي: ساكنين فيها أبدًا، لا يحولون ولا يزولون، ﴿ وَذَلِكَ جَزَآهُ ٱلْمُحسِنِينَ ﴾ أي: في اتباعهم الحق وانقيادهم له حيث كان، وأين كان، ومع من كان (١).

الوجه الثاني: تتمة الآية حجة عليهم.

قال ابن تيمية: والجواب أن يقال تمام الكلام ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أَنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى ٱعْبُنَهُمْ تَغِيضُ مِنَ الدَّيْ مِمَا عَرَفُواْ مِن ٱلْحَقِّ يَعُولُونَ رَبِّنَا عَامَنَا فَا كُنْبَسَ مَعَ ٱلشَّهِدِينَ ﴿ وَمَا لَنَا لا نُوْمِنُ وَمَا مَا اللَّهِ وَمَا جَاءَنا مِن ٱلْحَقِّ وَنَطَعَعُ أَن يُدْخِلنا رَبُنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّلِحِينَ ﴿ فَ فَأَنْبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَدَتٍ تَعْرِى مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْهَدُ خَلِدِينَ فِيها وَذَلِك جَزَاهُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ المَائِدة: ٣٨ - ٨٥)، خَنَت تَعْرِى مِن تَعْتِها ٱلْأَنْهَدُ خَلِدِينَ فِيها وَذَلِك جَزَاهُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ المَائِدة: ٣٨ - ٨٥)، فهو سبحانه لم يعد بالثواب في الآخرة إلا لهؤلاء الذين آمنوا بمحمد ﷺ الذين قال فيهم: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا ٱلزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى آعَيُنَهُمْ تَغِيضُ مِن الدّين شهدوا له بالرسالة فشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وهم الشهداء الذين قال فيهم: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا فَا لَيْكُونُوا وَالنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ٣٤ ).

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير ٥/ ٣١٢: ٣١٥ مختصرًا.

ولهذا قال ابن عباس وغيره: في قوله: ﴿ فَأَكُ تُبْنَا مَعَ الشَّهِدِينَ ﴾، قال: مع محمد ولهذا قال ابن عباس وغيره: في قوله: ﴿ فَأَكُ تُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ كَمَا قال الحواريون: ﴿ رَبَّنَا وَامْتُهُ، وكل من شهد للرسل بالتصديق فهو من الشاهدين كما قال الحواريون: ﴿ رَبَّنَا وَامْتُهُمُ مُنَا الرَّسُولَ فَأَكُ تُبْنَا مَعَ الشَّلِهِدِينَ ﴿ آلَ عمران: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱرْكَعُوا وَاَسْجُدُوا وَاَعْبُدُوا رَيَّكُمْ وَاَفْعَلُوا الْخَيْر لَعَلَّكُمْ وَاَعْبُدُوا وَ اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اَجْتَبَنكُمْ وَمَاجَعَلَ الْخَيْر لَعَلَّكُمْ وَمُاجَعَلَ عَلَيْكُمْ وَاللّهِ عِنْ وَمَا اللّهُ عَلَيْكُمْ وَاللّهِ عِنْ مَنْ مَنْ اللّهُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ ٱلرّسُولُ عَلَيْكُمْ وَالدِّينِ مِنْ حَرَجٌ مِيَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَهِيمَ هُو سَمّنكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ ٱلرّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُو وَيَاكُونُوا شُهَدَاءً عَلَى ٱلنَّاسِ قَاقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكُوةَ وَاعْتَصِمُوا يِاللّهِ هُو مَوْلَنكُمُ وَعَمَا أَمْوَلَى وَنِعْدَ ٱلنَّصِيرُ اللهِ ﴾ (الحج: ٧٧، ٧٧) (١)

## الوجه الثالث: العلة من هذا المدح في الآية.

وأما قوله في أول الآية: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَوالَّذِينَ اَشْرَكُواً وَلَتَجِدَنَ اَمْنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ عَالَوا إِنَّا نَصَكَرَىٰ ﴾، فهو كما أخبر سبحانه وتعالى فإن عداوة المشركين واليهود للمؤمنين أشد من عداوة النصارى، والنصارى أقرب مودة لهم وهذا معروف من أخلاق اليهود؛ فإن اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة ما ليس في النصارى، وفي النصارى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود، والعداوة أصلها البغض، فاليهود كانوا يبغضون أنبياءهم فكيف ببغضهم للمؤمنين؟.

وأما النصارى فليس في الدين الذي يدينون به عداوة ولا بغض لأعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فسادا، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين أهل ملة إبراهيم المؤمنين بجميع الكتب والرسل؟.

وليس في هذا مدح للنصارى بالإيهان بالله ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب واستحقاق الثواب، وإنها فيه أنهم أقرب مودة وقوله تعالى: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّ مِنْهُمُ

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ٢/ ٤٦: ٨٨.

قِسِيسِينَ وَرُهْبَانَا وَأَنَهُمْ لَا يَسَتَكَيْرُونَ ﴾، أي: بسبب هؤلاء وسبب ترك الاستكبار يصير فيهم من المودة ما يصيرهم بذلك خيرا من المشركين وأقرب مودة من اليهود والمشركين، ثم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَى ٓ أَعَيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَهُواْ مِنَ ٱلْحَقِي ﴾.

فهؤلاء الذين مدحهم بالإيهان ووعدهم بثواب الآخرة، والضمير وإن عاد إلى المتقدمين فالمراد جنس المتقدمين لاكل واحد منهم كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمُ فَاخْشُوهُم فَزَادَهُم إِيمَننا وَقَالُواْ حَسَبُنا اللَّهُ وَنِعْم الوَكِيلُ الله ﴿ (الله عمران: ١٧٣)، وكأن جنس الناس قالوا لهم: إن جنس الناس قد جمعوا، ويمتنع العموم فإن القائل من الناس والمقول له من الناس والمقول عنه من الناس ويمتنع أن يكون جميع الناس قال لجميع الناس إنه قد جمع لكم جميع الناس ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ النَّهُودُ عُنَرَارُ أَبِنُ اللّهِ ﴾، أي: جنس اليهود قال هذا، لم يقل هذا كل يهودي، ومن هذا أن في النصارى من رقة القلوب التي توجب لهم الإيهان ما ليس في اليهود وهذا حق (۱۰).

الوجه الرابع: مدح النصاري بأنهم أقرب مودة لا يمنع أن يكونوا كفرة.

قال القرافي: وأما مدح النصارى بأنهم أقرب مودة، وأنهم متواضعون فمسلَّم، لكن هذا لا يمنع أن يكونوا كفرة مخلدين في النار وغضب الجبار؛ لأن السجايا الجليلة والآداب الكسبية تجتمع مع الكفر والإيهان، كالأمان والشجاعة، والظرف واللطف وجودة العقل. فليس فيه دليل على صحة دينهم (٢).

الشبهة الثالثة: قالوا: إن القرآن رفع قدرنا وأعلى منزلتنا، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ التَّبُعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى وَمِ الْقَيْدَمَةِ ﴾ (آل عمران: ٥٥).

والجواب عليه من هذه الوجوه: الوجه الأول: من هم الذين اتبعوه؟

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ٢/ ٤٦: ٨٨.

<sup>(</sup>٢) الأجوبة الفاخرة (١١١).

قال القرافي: إن الذين اتبعوه ليسوا النصارى الذين اعتقدوا فيه بأنه ابن الله، وسلكوا مسلك المتأخرين، فإن اتباع الإنسان موافقته فيها جاء به، وكون هؤلاء المتأخرين اتبعوه محل نزاع؛ بل متبعوه هم الحواريون، ومن تابعهم قبل ظهور القول بالتثليث، وأولئك هم الذين رفعهم الله في الدنيا والآخرة، ونحن منهم وهم منا، ونحن إنها نطالب هؤلاء بالرجوع إلى ما كان أولئك عليه، فإن قدس الله أرواحهم آمنوا بعيسى وبجملة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين.

وكان عيسى العلام بمحمد الله المنافرة وكذلك المنافرة المن

فخواص الله تعالى يألمون ويخجلون من اطلاعهم على انتهاك حرمة الله تعالى، وإن لم يكن لهم فيها مدخل ولا لهم فيها تعلق، فكيف إذا كان لهم فيها تعلق من حيث الجملة؟ ومن عاشر أماثل الناس ورؤساءهم، وله عقل قويم، وطبع مستقيم غير طبع النصارى أدرك هذا، فها آذى أحد عيسى المنه ما آذته هؤلاء النصارى، نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه. (۱)

الوجه الثاني: بيان المعنى الصحيح للآية.

قال الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: وجاعل الذين اتبعوك على منهاجِك وملَّتك من الإسلام وفطرته، فوق الذين جحدوا نبوِّتك وخالفوا سبيلهم من جميع أهل الملل، فكذَّبوا بها جئت به وصدوا عن الإقرار به، فمصيِّرهم فوقهم ظاهرين عليهم (٢).

<sup>(</sup>١) الأجوبة الفاخرة (٨٢: ٨٥).

<sup>(</sup>٢) تفسير الطبري ٣/ ٢٩٢.

قال الشوكاني: قوله: ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ التَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفُرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيدَمَةِ ﴾ أي: الذين اتبعوا ما جئت به، وهم خلص أصحابه الذين لم يبلغوا في الغلو فيه إلى ما بلغ من جعله إلماً، ومنهم المسلمون، فإنهم اتبعوا ما جاء به عيسى الملح ووصفوه بها يستحقه من دون غلو، فلم يفرطوا في وصفه، كها فرطت اليهود، ولا أفرطوا كها أفرطت النصارى. وقد ذهب إلى هذا كثير من أهل العلم. وقيل: المراد بالآية: أن النصارى الذين هم أتباع عيسى لا يزالون ظاهرين على اليهود غالبين لهم قاهرين لمن وجد منهم، فيكون المراد عيسى لا يزالون ظاهرين على من خالفهم من بالذين كفروا هم اليهود خاصة؛ وقيل: هم الروم لا يزالون ظاهرين على من خالفهم من الكافرين، وقيل: هم الحواريون لا يزالون ظاهرين على من كفر بالمسيح، وعلى كل حال الكافرين، وقيل: هم الحواريون لا يزالون ظاهرين على من كفر بالمسيح، وعلى كل حال فغلبة النصارى لطائفة من الكفار، أو لكل طوائف الكفار لا ينافي كونهم مقهورين مغلوبين بطوائف المسلمين، كما تفيده الآيات الكثيرة، بأن هذه الملة الإسلامية ظاهرة على كل الملل قاهرة لها مستعلية عليها(۱).

الشبهة الرابعة: يقولون: بأن النبي الثنى على كتابنا، وفي هذا دليل على أنها لم تحرف. ويستندون إلى أن النبي الأسلام أمسك التوراة وقال: (آمنت بكِ وبمن أنزلك). والجواب على هذه الشبهة من هذه الوجوه:

<sup>(</sup>١) فتح القدير ١/ ١٤٥.

فَوَضَعَ التَّوْرَاةَ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ: " آمَنْتُ بِكِ وَبِمَنْ أَنْزَلَكِ". ثُمَّ قَالَ " ائْتُونِي بِأَعْلَمِكُمْ ". فَأَتِي بِفَتِّي شَابِّ ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ الرَّجْمِ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ عَنْ نَافِعِ(').

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٤٩) من طريق هِشَام بْن سَعْدِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَسْلَمَ حَدَّتَهُ عَنِ ابْنِ عُمَر يه، بهذه الزيادة. وقد خالف هشام بن سعد في روايته عن زيد بن أسلم عن ابن عمر، نافع وعبد الله بن دينار كلاهما عن ابن عمر بدون الزيادة.

أما طريق نافع عن ابن عمر فأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الحدود، باب مَا جَاءَ في الرَّجْم، وأخرجه البخاري (١٣٢٩)، مسلم (١٦٩٩) من طريق موسى بن عقبة، وأخرجه أحمد في المسند ٦: ١، والبخاري (٧٥٤٣) من طريق أيوب، وأخرجه مسلم (١٦٩٩) من طريق عبيد الله، كلهم (مالك، موسى، أيوب، عبيد الله) عن نافع عن ابن عمر. بدون هذه الزيادة ولفظه: عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَتِ الْبَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللهِ عَنْ عَنْدِ اللهِ عَنْ ابن عمر. بدون هذه الزيادة ولفظه: عَنْ عَبْدِ اللّهِ عَنْ عَبْدُ اللّهِ عَنْ عَبْدُ اللّهِ عَنْ عَبْدُ اللّهِ عَنْ الرَّجْم. فَأَتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. فَقَالَ عَبْدُ الله بَنْ سَلام: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْم. فَأَتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ لَكُهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلام فَقَالُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلام فَعَالُ اللهِ عَبْدُ اللّهِ بْنُ سَلام فَقَالُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْر شَالاً عَبْدُ اللهِ عَنْدُ اللهِ بْنُ عَلَى اللهِ عَنْ اللهَ عَبْدُ الله أَنْ عَبْدُ الله أَدْ عُمَر فَعَ اللهَ عَبْدُ اللهِ وَمَا بَعْدَهُ فَقَالُ عَبْدُ اللّهِ عَنْ اللّهِ عَنْهُ اللّهِ عَلَى اللّه عَبْدُ الله وَعَلَيْهِ فَوْجِمَا. فَقَالَ عَبْدُ اللهَ بْنُ عُمَر هُمَ اللّه عَلْم اللهُ عَلَى اللّه عَلَى اللّه عَلَى اللهُ اللهُ الله الله الله عَلَى اللهُ عَلْم اللهُ عَلَى اللّه عَمْدَ اللهُ اللهُ عَلَى اللّه عَلَى عَلَى المُولُ اللّه عَلَى اللّه عَلَى عَلَى الْمُولُ اللّه عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى عَلَى اللهُ الْمُعَالَة الْمُعَالَة اللهُ اللهُ

أما طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر فأخرجه البخاري (٦٨١٩) من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر. بدون هذه الزيادة ولفظه. عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﴿ الْمَالَةُ اللّهِ عَلَيْهُ بِيَهُودِيَّ وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ أَحْدَثَا جَمِيعًا. فَقَالَ لَمُمْ: " مَا تَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمْ؟ ". قَالُوا: إِنَّ أَحْبَارَنَا أَحْدَثُوا تَحْمِيمَ الْوَجْهِ وَالتَّجْبِيَةَ. قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ سَلاَم ﴿ اللّهِ بَاللّهِ بِالتَّوْرَاةِ. فَأْتِي بِهَا فَوضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْم، وَجَعَلَ يَقْرَأُ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا. فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَلاَم ﴿ اللهِ يَلِيَةٍ فَرْجِمَا. قَالَ ابْنُ بَعْدَهَا. فَقَالَ لَهُ ابْنُ سَلاَم ﴿ اللهِ يَلِيَةٍ فَرُجِمَا. قَالَ ابْنُ عَمْر ﴿ اللهِ عَلَيْهِ اللّهِ عَلْمَ اللهِ اللهِ عَلَيْهِ اللّهُ عَلَيْهِا.

فتبين من خلال ذلك أن هشام بن سعد في روايته عن ابن عمر قد تفرد بهذه الزيادة.

وهشام بن سعد تكلم فيه أهل العلم بالجرح والتعديل كالآتي:

#### من جرحه:

١- أحمد بن حنبل قال: لم يكن هشام بن سعد بالحافظ. وقال أيضا: هشام بن سعد كذا وكذا، كان يحيى بن
 سعيد لا يروي عنه. وقال أيضا: ليس هو محكم الحديث.

٢- وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين: هشام بن سعد ضعيف. وقال معاوية بن صالح، عن يحيى بن
 معين: ليس بذاك القوي.

٣- يحيى بن سعيد القطان نقل عنه يحيى بن معين و أحمد بن حنبل أنه كان لا يحدث عنه.

الوجه الثاني: على القول بتحسينها فلا شبهة في ذلك؛ لأن المقصود التوراة الأصلية التي نزلت على موسى النيخ.

قال ابن حجر: وقد استدل به – أي: حديث ابن عمر الله المحمد على أنهم لم يسقطوا شيئًا من ألفاظها. . . . . والاستدلال به لذلك غير واضح؛ لاحتمال خصوص ذلك بهذه الواقعة فلا يدل على التعميم. وكذا من استدل به على أن التوراة التي أحضرت حينئذ كانت كلها صحيحة سالمة من التبديل؛ لأنه يطرقه هذا الاحتمال بعينه ولا يرده قوله: (آمنت بك وبمن أنزلك) لأن المراد أصل التوراة (۱).

الشبهة الخامسة: يقولون: بأن القرآن يعظمنا بتقديم البيع والكنائس، على المساجد.

#### ومن عدله:

وقال العجلي: جائز الحديث، حسن الحديث. قلت: والعجلي معروف بتساهله.

وقال أبو زرعة: شيخ محله الصدق، قلت: وهذا ليس من مراتب العدالة القوية.

وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، و لا يحتج به. قلت: وهذا يدل على أنه لو خالف الأوثق فإن حديثه مردود. وقال الساجي: صدوق.

استشهد به البخارى فى الصحيح، وقال الحاكم: أخرج له مسلم فى الشواهد. أي أن ذلك ليس في الأصول. تهذيب الكيال ٣٠٠/٥، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٨، الطبقات الكبرى ٥/ ٤٧٠، الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٠٨، الجرح والتعديل ٩/ ٢١، أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة ٢/ ٣٩١. المجروحين ٣/ ٨٩.

وبالتالي فهذه الزياة لا تصح. ومما يدل على ذلك أيضا أن الحديث جاء عن غير ابن عمر بدون هذه الزياد ة، منهم: البراء بن عازب كما عند مسلم (١٧٠٠)، وجابر بن عبد الله كما عند مسلم (١٧٠١).

وأبي هريرة كما عند أبي داود (٤٤٥٠، ٤٤٥١)، والطبراني ٦/ ٢٣٢: ٣٣٣.

٤- وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر: ليس بالقوي.

٥- وقال البرذعي: سمعت أبا زرعة يقول: هشام بن سعد واهي الحديث.

٦- ابن حبان قال: كان ممن يقلب الأسانيد وهو لا يفهم، ويسند الموقوفات من حيث لا يعلم، فلما كثر مخالفته الأثبات فيها يروي عن الثقات بطل الاحتجاج به، وإن اعتبر بها وافق الثقات من حديثه فلا ضير.

٧- قال ابن سعد: كان كثير الحديث يستضعف، و كان متشيعا.

۸- قال ابن أبى شيبة عن على ابن المدينى: صالح، و ليس بالقوى.

<sup>(</sup>١) فتح الباري لابن حجر ١٨٧/١٢.

قالوا: ثم وجدناه يعظم إنجيلنا ويقدم صوامعنا ويشرف مساجدنا ويشهد بأن اسم الله يذكر فيها كثيرًا وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَمُدِّمَتَ صَوَيِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكُرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج: ٤٠).

﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱنَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَنَبْنَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَاءَ رِضَوَنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَعَاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد: ٢٧).

وذلك يدل على أن النصارى -في زعمهم- على الحق، فلا ينبغي لهم العدول عما هم عليه؛ لأن العدول عن الحق إنها يكون للباطل.

#### والجواب عليه من هذه الوجوه:

الوجه الأول: ذكر الله يكون في المسجد، وإذا ذكر في الصوامع والبيع فهي على العهد الأول قبل التبديل والتحريف.

قال ابن تيمية: إن فيها - الآية - ذكر الصوامع والبيع، وأما قوله: (ويذكر فيها اسم الله كثيرًا فإنها ذكره عقب ذكره المساجد، والمساجد للمسلمين، وليس المراد بها كنائس النصارى، فإنها هي البيع ثم قوله تعالى: ﴿ يُذَكّرُ فِيهَا السّمُ اللّهِ كَثِيرًا فِي البيع والصوامع، وإما ختصًا بالمساجد فلا يكون في ذلك إخبار بأن اسم الله يذكر كثيرًا في البيع والصوامع، وإما أن يكون ذكر اسم الله في الجميع فلا ريب أن الصوامع والبيع قبل أن يبعث الله محمدًا كان فيها من يتبع دين المسيح الذي لم يبدل ويذكر فيها اسم الله كثيرًا، وقد قيل: إنها بعد النسخ والتبديل يذكر فيها اسم الله كثيرًا وإن الله يجب أن يذكر اسمه.

وأهل الكتاب خير من المشركين، وقد ذكرنا أنه لما اقتتل فارس والروم وانتصرت الفرس ساء ذلك أصحاب رسول الله ﷺ وكرهوا انتصار الفرس على النصارى؛ لأن النصارى أقرب إلى دين الله ﷺ من المجوس، والرسل بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد

وتقليلها، وتقديم خير الخيرين على أدناهما حسب الإمكان، ودفع شر الشرين بخيرهما. فهدم صوامع النصارى وبيعهم فساد إذا هدمها المجوس والمشركون، وأما إذا هدمها المسلمون وجعلوا أماكنها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا فهذا خير وصلاح.

وهذه الآية ذكرت في سياق الإذن للمسلمين بالجهاد بقوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواً وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿ آَ ﴾ (الحج: ٣٩)، وهذه الآية أول آية نزلت في الجهاد ولهذا قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱخْرِجُواْ مِن دِيكرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾.

ثم قال: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ ﴾ فيدفع بالمؤمنين الكفار، ويدفع شر الطائفتين بخيرهما كما دفع المجوس بالروم النصارى، ثم دفع النصارى بالمؤمنين أمة محمد على وهذا كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُر دُ جَالُوتَ وَءَاتَكُ ٱللَّهُ ٱلمُلكَ وَالْحِصَمَةَ وَعَلَمَهُ مِكَا يَشَكَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَفَسَدَتِ وَالْجَرَافُ وَلَكُونَ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكَ فَلَ اللهِ الْعَلَمَ الْعَلَمُينِ ﴾ (البقرة: ٢٥١)(١).

## الوجه الثاني: التقديم في اللفظ فإنه يكون للانتقال من الأدنى إلى الأعلى

قال القرافي: إن هذه الآية تقتضي أن المساجد أفضل بيت عند الله تعالى، على عكس ما قالوه وتقريره أن الصنف القليل المنزلة عند الله تعالى أقرب إلى الهلاك من العظيم المنزلة، والقاعدة العربية أن الترقي في الخطاب إلى الأعلى فالأعلى أبدًا في المدح والذم، والتفخيم والامتنان، فيقال في المدح: الشجاع البطل، ولا يقال: البطل الشجاع؛ لأنك تعد راجعًا عن الأول، وفي الذم: العاصي الفاسق، ولا يقال: الفاسق العاصي، وفي التفخيم: فلان يغلب المألف والمائة، والسر في الجميع أنك تعد راجعًا عن الأول، كقهقرتك عما كنت فيه إلى ما هو أدنى منه، إذا تقرر ذلك ظهرت فضيلة المساجد ومزيد شرفها على غيرها، وأن هدمها أعظم من هدم غيرها، لا يوصل إليه إلا المساجد ومزيد شرفها على غيرها، كما نقول: لولا السلطان لهلك الصبيان والرجال بعد تجاوز ما يقتضي هدم غيرها، كما نقول: لولا السلطان لهلك الصبيان والرجال

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/ ٢٣٩: • ٢٤، وانظر: تفسير الرازي٢٣/ • ٤.

والأمراء، فترتقي أبدًا للأعلى لتفخيم أمر عدم السلطان، وأن وجوده سبب عصمة هذه الطوائف، أما لو قلت: لولا السلطان لهلك الأبطال والصبيان لعُد كلامك متهافتًا. (١)

قال ابن تيمية: وأما التقديم في اللفظ فإنه يكون للانتقال من الأدنى إلى الأعلى كقوله تعالى: ﴿ قُلْ النَّمَاحَرَّمَ رَبِيَ الْفَوَحِشَ مَاظَهَرَمِنَهَا وَمَابَطَنَ وَآلٍ ثُمَ وَالْبَغْى بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَالَمَ يُنَزِّلَ بِهِ عَسَلَطَنَا وَأَن تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَا يُعَلَّى وَالْمَا مَن الْمَالَ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ اللَّهِ فَا الْمُعَلِي وَأَلِيهِ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ اللَّهِ فَا اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ اللَّهِ (الأعراف: ٣٣)، وقوله: ﴿ يَوْمَ يَفِرُ اللَّرَ عُن الْجِهِ اللَّهِ وَأَلِيهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَمَن الْمُعَلِي وَقُولُونَ عَلَي اللَّهُ وَاللَّهُ وَمَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَمَلْكُونَ اللَّهُ وَمَلْكُونَ اللَّهُ وَمَل اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَمَلُونَ اللَّهُ وَمَلْكُونُ اللَّهُ وَمَلْكُونَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَمَلَوْنَ اللَّهُ وَمَلْكُونَ اللَّهُ وَمَلُونَ اللَّهُ وَمَلُونَ اللَّهُ وَمَلُونَ اللَّهُ وَمِن الْحَالِي اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللِهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

فأمر النبي ﷺ أن يهدم ذلك المعبد ويتخذ مكانه المسجد الذي يعبد الله وحده فيه؛ فإن المساجد هي بيوت الله في الأرض قال تعالى: ﴿ قُلْ آمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۗ وَٱقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ

<sup>(</sup>١) الأجوبة الفاخرة (٨٧: ٨٨).

حُكِلِّ مَسْجِدٍ وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَّ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿ الْأَعْرَافَ: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿ وَقَالَ تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَنِجِدَ ٱللَّهِ شَنِهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم فِٱلْكُفْرِ ۚ أُولَكِيكَ حَبِطَتَ أَعْمَلُهُمْ ﴾ الآية إلى قول: ﴿ اللّهِ شَنهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم فِٱلْكُفْرِ ۚ أُولَكِيكَ حَبِطَتُ أَعْمَلُهُمْ ﴾ الآية إلى قول: ﴿ التوبة: ١٧، ١٨)، وقال تعالى: ﴿ اللّهُ نُورُ ٱلسَّمَورَتِ وَٱلْآرَضِ مَثَلُ نُورِ السَّمَورَتِ وَٱلْآرَضِ مَثَلُ فُرُوا السَّمَورَتِ وَالْآرَضِ مَثَلُ فَولِهِ : ﴿ إِلِهُ قُولُهِ : ﴿ يَغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

فقد تبين أنه ليس لهم حجة في شيء مما جاء به محمد؛ بل ما جاء به حجة عليهم من وجوه متعددة (۱).

### الوجه الثالث: أن هذا عام في كل زمن.

قال القرافي: إن المراد بهذه الآية أن الله تعالى يدفع المكاره عن الأشرار بوجود الأخيار في كل عصر، فيا من زمان إلا وفيه أهله من الأخيار، فيكون وجود الأخيار سببًا لسلامة الأشرار من الفتن والمحن، فزمان موسى الني سلم فيه أهل الأرض من بلاء يعمهم بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة الموسوية، وزمان عيسى الني سلم فيه أهل الأرض من بلاء يعمهم بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة العيسوية، وزمان محمد الشريعة أهل الأرض من بلاء يعمهم بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة المستقامة على الشريعة المحمدية، وكذلك سائر الأزمان الكائنة، بعد الأنبياء عليهم السلام كل من كان مستقياً المحمدية، وكذلك من كان مستقياً

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/ ٢٤٠: ٢٤١.

على الشريعة الماضية هو سبب لسلامة البقية، فلولا أهل الاستقامة في زمن موسى الله لله تبق صوامع يُعبد الله فيها على الدين الصحيح لعموم الهلاك فينقطع الخير بالكلية، وكذلك سائر الأزمان، فلولا أهل الخير في زماننا لم يبق مسجد يُعبد الله فيه على الدين الصحيح، ولغضب الله تعالى على أهل الأرض.

والصوامع أمكنة الرهبان في زمن الاستقامة حيث يُعبد الله تعالى فيها على دين صحيح، وكذلك البيعة والمسجد، وليس المراد هذه المواطن إذا كفر بالله تعالى فيها وبُدلت شرائعه، وكانت محل العصيان والطغيان، لا محل التوحيد والإيهان، وهذه المواطن في زمن الاستقامة لا نزاع فيها، إنها النزاع لما تغيرت أحوالها وذهب التوحيد وجاء التثليث، وكُذبت الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وصار ذلك يُتلى في الصباح والمساء، فحينئذ هي أقبح بقعة على وجه الأرض وألعن مكان يوجد، فلا تجعل هذه الآية دليلًا على تفضيلها(۱).

قال الزجاج: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شرع كل نبي المكان الذي يصلي فيه، فلولا ذلك الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه، وفي زمن عيسى الصوامع، وفي زمن نبينا محمد الساجد فعلى هذا إنها دفع عنهم حين كانوا على الحق قبل التحريف وقبل النسخ (٢).

#### الوجه الرابع: الضمير يعود على أقرب مذكور.

قال القرافي: والآية تدل على أن المساجد أفضل بيت وُضع على وجه الأرض للعابدين من وجه آخر، وذلك أن القاعدة العربية أن الضمائر إنها يحكم بعودها على أقرب مذكور، فإذا قلت: جاء زيد وخالد وأكرمته، فالإكرام خاص بخالد؛ لأنه الأقرب، فقوله تعالى: ﴿ يُذْكِرُ فِيهَا السَّمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ يختص بالأخير الذي هو المساجد؛ لأن قوله فيها

<sup>(</sup>١) الأجوبة الفاخرة (٨٦: ٨٧).

<sup>(</sup>٢) تفسير الرازي٢٣/ ٤٠.

ضمير يختص بالقريب، وهذا قول المفسرين — فتكون المساجد قد اختصت — بكثرة ذكر الله تعالى، وهو يقتضي أن غيرها لم يساوها في كثرة الذكر فتكون أفضل وهو المطلوب. (۱) الوجه الخامس: بيان الحكمة في هذا الترتيب، وتأخير المساجد على من ذكر.

١- لأن الترتيب الوجودي كذلك، فهي - البيع والكنائس- أقدم بناء وهذا ليس للتشريف(١٠).

٢- لتقع المساجد في جوار مدح أهلها، فلم كان رسول الله على خير الرسل، وأمته خير الأمم لا جرم كانوا آخرهم ولذلك قال على: "نحن الآخرون السابقون "(").

٣- وقيل: لقربها من الهدم، وقرب المساجد من الذكر كما أخر السابق في قوله:
 ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِدٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَتِ ﴾ (فاطر: ٣٢). (١)

٤ – للانتقال من شريف إلى أشرف؛ فإن البيع أشرف من الصوامع لكثرة العباد فيها فإنها معبد للرهبان وغيرهم، والصوامع معبد للرهبان فقط، وكنائس اليهود أشرف من البيع؛ لأن حدوثها أقدم، وزمان العبادة فيها أطول، والمساجد أشرف من الجميع؛ لأن الله تعالى قد عبد فيها بها لم يعبد به في غيرها(٥).

٥ – وتأخير المساجد؛ لأنها أعم، وشأن العموم أن يعقب به الخصوص إكمالًا للفائدة (٢). الوجه السادس: ليس في ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدل دين المسيح، وإنما فيه مدح لمن اتبعه.

فهو حق كما قال تعالى، وليس في ذلك مدح للرهبانية، ولا لمن بدل دين المسيح وإنها فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة حيث يقول: ﴿ وَجَعَلْمَنَا فِى قُلُوبِ اللَّهِ عَلَيْ اللَّهِ فَي قال: ﴿ وَرَهْبَانِيَةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كُنَبْنَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي:

<sup>(</sup>١) الأجوبة الفاخرة (٨٨).

<sup>(</sup>٢) تفسير الرازي٢٣/ ٤٠، تفسير القرطبي ١٦: ٧٧، تفسير الألوسي ١٧/ ١٦٤.

<sup>(</sup>٣) تفسير الرازي٢٣/ ٤٠، تفسير الألوسي ١٧/ ١٦٤، والحديث أخرجه البخاري (٢٣٨)، مسلم (٨٥٥).

<sup>(</sup>٤) تفسير القرطبي ١٢: ٧٧، تفسير الألوسي ١٧/ ١٦٤.

<sup>(</sup>٥) تفسير الألوسي ١٧/ ١٦٤.

<sup>(</sup>٦) التحرير والتنوير ١٧/ ٢٩٧.

وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم، وهذه الرهبانية لم يشرعها الله ولم يجعلها مشروعة لهم؛ بل نفى جعله عنها كما نفى ذلك عما ابتدعه المشركون بقوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَـَآبِبَةٍ وَلَاوَصِيلَةٍ وَلَاحَامِ﴾ (المائدة: ١٠٣).

وهذا الجعل المنفي عن البدع هو الجعل الذي أثبته للمشروع بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمٌ مِنْرَعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: ٤٨)، وقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ (الحج: ٦٧)، فالرهبانية ابتدعوها لم يشرعها الله.

وللناس في قوله (رهبانية) قولان:

أحدهما: أنها منصوبة يعني: ابتدعوها إما بفعل مضمر يفسره ما بعده، أو يقال: هذا الفعل عمل في المضمر والمظهر كما هو قول الكوفيين حكاه عنهم ابن جرير وثعلب وغيرهما ونظيره قوله: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآهُ فِي رَحْمَتِهِ عَ وَالطَّلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمُ عَذَابًا أَلِيًّا ﴿ آ ﴾ (الإنسان: ٣١)، وقوله: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَالَةُ ﴾ (الأعراف: ٣٠) وعلى هذا القول فلا تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة والرحمة.

والقول الثاني: إنها معطوفة عليها فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة ويكون هذا جعلًا خلقيًا كونيًا، والجعل الكوني يتناول الخير والشر كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَسِمَّةً كِدْعُونَ إِلَى ٱلنَّكَارِ ﴾ (القصص: ٤١).

وعلى هذا القول فلا مدح للرهبانية؛ لأنها في القلوب فثبت أنه على التقديرين ليس في القرآن مدح للرهبانية. ثم قال: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَاءَ رِضَوَنِ ٱللّهِ ﴾ أي: لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمر به لا بها يبتدع. وهذا يسمى استثناء منقطعا كما في قوله: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلّا النّباعَ الظّنِ ﴾ (النساء: ١٥٧)، وقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيّنُهَا اللّهِ مِنْ عَلْمٍ إِلّا النّباعَ الظّنِ ﴾ (النساء: ١٥٧)، وقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيّنُهَا اللّهُ مِنْ مَنْ اللّهِ اللّهُ مَنْ تَرَاضِ مَنْكُمْ ﴾ (النساء: ٢٩)، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلّا الْمَوْتَ الْأُولَ ﴾

(الدخان: ٥٦)، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسَجُدُونَ ۗ ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۞ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَاتِ لَهُمُمْ أَجُّرُ غَيْرُمَمْنُونِ ۞﴾ (الانشقاق: ٢٠-٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغُوا وَلاَ تَأْثِيمًا ١٠٠ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ١٥٠ ﴿ وَمَا كَاكَ لِمُوْمِنِ أَن يَقْتُلُ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا ﴾ (النساء: ٩٢). وهذا أصح الأقوال في هذه الآية. ولا يجوز أن يكون المعنى أن الله كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله؛ فإن الله لا يفعل شيئًا ابتغاء رضوان نفسه، ولا أن المعنى أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوانه كما يظن هذا وهذا بعض الغالطين كما قد بسط في موضع آخر وذكر أنهم ابتدعوا الرهبانية وما رعوها حق رعايتها وليس في ذلك مدح لهم؛ بل هو ذم ثم قال تعالى: ﴿ فَتَاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ وكثير منهم فاسقون، ولو أريد الذين آمنوا بالمسيح أيضًا فالمراد من اتبعه على دينه الذي لم يبدل، وإلا فكلهم يقولون: إنهم مؤمنون بالمسيح، وبكل حال فلم يمدح سبحانه إلا من اتبع المسيح على دينه الذي لم يبدل ومن آمن بمحمد عليه، لم يمدح النصاري الذين بدلوا دين المسيح ولا الذين لم يؤمنوا بمحمد عَلَيْهُ.

فإن قيل: قد قال بعض الناس إن قوله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةُ ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ عطف على رأفة ورحمة ورهبانية أيضًا المعنى: أن الله جعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية أيضًا ابتدعوها، وجعلوا الجعل شرعيًا ممدوحًا. قيل: هذا غلط لوجوه:

منها: أن الرهبانية لم تكن في كل من اتبعه؛ بل الذين صحبوه كالحواريين لم يكن فيهم راهب، وإنها ابتدعت الرهبانية بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة فإنها جعلت في قلب كل من اتبعه.

ومنها: أنه أخبر أنهم ابتدعوا الرهبانية بخلاف الرأفة والرحمة فإنهم لم يبتدعوها، وإذا كانوا ابتدعوها لم يكن قد شرعها لهم فإن كان المراد هو الجعل الشرعي الديني لا الجعل الكوني القدري فلم تدخل الرهبانية في ذلك، وإن كان المراد الجعل الخلقي الكوني فلا مدح للرهبانية في ذلك.

ومنها: أن الرأفة والرحمة جعلها في القلوب، والرهبانية لا تختص بالقلوب؛ بل الرهبانية ترك المباحات من النكاح واللحم وغير ذلك، وقد كان طائفة من الصحابة رضوان الله عليهم هموا بالرهبانية فأنزل الله تعالى نهيهم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيّبَاتِ مَا أَحَلَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعَلَى نهيهم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيّبَاتِ مَا أَحَلَ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعَدَدُوا إِنَ اللهَ لَا يُحِبُ اللهُ عَلَيْنَ ﴾ (المائدة: ٨٧).

وثبت في الصحيحين أن نفرًا من أصحاب النبي الله قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال آخر: أما أنا فأقوم لا أنام، وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال آخر: أما أنا فلا آكل اللحم، فقام النبي خطيبًا فقال: " ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا؟ لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام/ وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني.

وفي صحيح البخاري، أن النبي رأى رجلًا قائمًا في الشمس فقال: " ما هذا؟ "قالوا هذا أبو إسرائيل. نذر أن يقوم في الشمس، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم فقال: " مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه".

وثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبته: " خير الكلام كلام الله، وخير الهدى هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة".

وفي السنن عن العرباض بن سارية أن النبي على قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة".

وقد بينت النصوص الصحيحة أن الرهبانية بدعة وضلالة، وما كان بدعة وضلالة لم يكن هدى ولم يكن الله جعلها بمعنى أنه شرعها كما لم يجعل الله ما شرعه المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فإن قيل: قد قال طائفة: معناها ما فعلوها إلا ابتغاء

رضوان الله، ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وقالت طائفة: ما فعلوها أو ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله.

قيل: كلا القولين خطأ والأول أظهر خطأ؛ فإن الرهبانية لم يكتبها الله عليهم؛ بل لم يشرعها لا إيجابًا ولا استحبابًا، ولكن ذهبت طائفة إلى أنهم لما ابتدعوها كتب عليهم إتمامها وليس في الآية ما يدل على ذلك فإنه قال: ﴿مَا كُنَبْنَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآةَ رِضَوَنِ ٱللّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايِتِها ﴾، فلم يذكر أنه كتب عليهم نفس الرهبانية ولا إتمامها ولا رعايتها؛ بل أخبر أنهم ابتدعوا بدعة، وأن تلك البدعة لم يرعوها حق رعايتها.

فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايِتَهَا ﴾ يدل على أنهم لو رعوها حق رعايتها لكانوا ممدوحين، قيل: ليس في الكلام ما يدل على ذلك؛ بل يدل على أنهم مع عدم الرعاية يستحقون من الذم ما لا يستحقونه بدون ذلك، فيكون ذم من ابتدع البدعة ولم يرعها حق رعايتها أعظم من ذم من رعاها وإن لم يكن واحد منها محمودًا؛ بل مذمومًا مثل نصارى بني تغلب ونحوهم ممن دخل في النصرانية ولم يقوموا بواجباتها؛ بل أخذوا منها ما وافق أهواءهم فكان كفرهم وذمهم أغلظ ممن هو أقل شرا منهم، والنار دركات كها أن الجنة درجات، وأيضًا فالله تعالى إذا كتب شيئًا على عباده لم يكتب ابتغاء رضوانه؛ بل العباد يفعلون ما يفعلون ابتغاء رضوان الله، وأيضًا فتخصيص الرهبانية بأنه كتبها ابتغاء رضوانه فكيف بالرهبانية؟

وأما قول من قال: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله فهذا المعنى لو دل عليه الكلام لم يكن في ذلك مدح للرهبانية؛ فإن من فعل ما لم يأمر الله به؛ بل نهاه عنه مع حسن مقصده غايته أن يثاب على قصده لا يثاب على ما نهى عنه، ولا على ما ليس بواجب ولا مستحب فكيف والكلام لا يدل عليه فإن الله قال: ﴿مَا كَنَبْنَهَا عَلَيْهِمْ إِلّا ٱبْتِغَاءَ رِضُونِ ٱللّهِ ﴾؟

ولم يقل: ما فعلوها إلا ابتغاء رضوان الله. ولا قال: ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله، ولو كان المراد ما فعلوها أو ما ابتدعوها إلا ابتغاء رضوان الله لكان منصوبًا على المفعولية، ولم يتقدم لفظ الفعل ليعمل فيه ولا نفي الابتداع؛ بل أثبته لهم، وإنها تقدم لفظ الكتابة فعلم أن القول الذي ذكرناه هو الصواب وأنه استثناء منقطع، فتقديره وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله؛ فإن إرضاء الله واجب مكتوب على الخلق، وذلك يكون بفعل المأمور وبترك المحظور لا بفعل ما لم يأمر بفعله وبترك ما لم ينه عن تركه، والرهبانية فيها فعل ما لم يؤمر به وترك ما لم ينه عنه (۱).

## الشبهة السادسة: يقولون: بأننا وجدنا في القرآن من تعظيم المسيح وأمه.

حيث يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّتِي ٓ أَخْصَلَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَالْبَنَهَا عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَ

جوابًا على ما سبق ذكره نقول:

قوله تعالى: ﴿ وَأَيَّذَنَهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ حق، وهذا ليس خاصا فقط بعيسى اللَّيِّيَّة

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/ ٢٢٨: ٢٣٢.

مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْءَ ٱلطَّيْرِ بِإِذْ فِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيُّرَابِإِذْ فِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَحْمَهُ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْ فِي وَإِذْ كُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَ يَا الْمَوْقَى بِإِذْ فِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِالْذِينَ وَقَالَ اللَّذِينَ وَقَالَ اللَّذِينَ وَقَالَ اللَّذِينَ وَقَالَ اللَّذِينَ وَقَالَ اللَّذِينَ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللْلِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

فروح القدس الذي نزل بالقرآن من الله هو الروح الأمين وهو جبريل. وثبت في الصحيح عن أبي هريرة أنه سمع النبي اللهم أيده بروح القدس"(١)

فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافح عن الله ورسوله، وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل النه وأهل الأرض يعلمون أن محمدًا لله يكن يجعل اللاهوت متحدًا بناسوت حسان بن ثابت، فعلم أن إخباره بأن الله أيده بروح القدس لا يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، فعلم أن التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح، وأهل الكتاب يقرون بذلك، وأن غيره من الأنبياء كان مؤيدًا بروح القدس كداود وغيره؛ بل يقولون: إن الحواريين كانت فيهم روح القدس، وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى أن روح القدس يكون في غير المسيح؛ بل في غير الأنبياء ".

<sup>(</sup>۱) البخاري (۳۲۱۲)، مسلم (۲٤۸٥).

<sup>(</sup>٢) البخاري (٣٢١٣)، مسلم (٢٤٨٦).

<sup>(</sup>٣) الجواب الصحيح ٢/ ١٢٥: ١٢٦، وراجع شبهة ألوهية المسيح.

الشبة السابعة: يقولون: إن القرآن لما جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب، فثبت بهذا معنا، ونفى عن كتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل والتغيير لما فيها بتصديقه إياها.

كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَابِ ﴾

(المائدة: ٤٨)، ومثل قوله تعالى: ﴿ زَنَّكَ عَلَيْكَ ٱلْكِئْنَبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّهِ ﴾ (آل عمران: ٣).

والجواب عليه من هذه الوجوه:

الوجه الأول: تصديق النبي ﷺ للأنبياء من قبله، وبما أنزله الله عليهم من كتب حق.

قال ابن تيمية: أما تصديق خاتم الرسل محمد ﷺ لما أنزل الله قبله من الكتب، ولمن جاء قبله من الأنبياء فهذا معلوم بالاضطرار من دينه، متواترٌ تواترا ظاهرا كتواتر إرساله إلى الخلق كلهم، وهذا من أصول الإيهان(١).

الوجه الثاني: الآيات نفسها حجة عليهم.

فقد تمسكوا بأول الآية وتركوا آخرها لما فيها من الجواب عليهم قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ۗ إِلَيْكَ ٱلْكِتَنَبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْدِ مِنَ ٱلْكِتَنِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْدِ ﴾ (المائدة: ٤٨).

فبيَّن أنه أنزل هذا القرآن مهيمنًا على ما بين يديه من الكتب، والمهيمن: الشاهد المؤتمن الحاكم، يشهد بها فيها من الحق، وينفي ما حرف فيها، ويحكم بإقرار ما أقره الله من

<sup>(</sup>١) وقد بينا ذلك في الوجه الأول من الردود الإجمالية.

<sup>(</sup>٢) الجواب الصحيح ١/ ٢٦١.

أحكامها، وينسخ ما نسخه الله منها، وهو مؤتمن في ذلك عليها، وأخبر أنه أحسن الحديث وأحسن القصص، وهذا يتضمن أنه كل من كان متمسكًا بالتوراة قبل النسخ من غير تبديل شيء من أحكامها؛ فإنه من أهل الإيهان والهدى، وكذلك من كان متمسكًا بالإنجيل من غير تبديل شيء من أحكامه قبل النسخ فهو من أهل الإيهان والهدى، وليس في ذلك مدح لمن تمسك بشرع مبدل؛ فضلًا عمن تمسك بشرع منسوخ؛ ولم يؤمن بها أرسل الله إليه من الرسل، وما أنزل إليه من الكتب؛ بل قد بين كفر اليهود والنصارى بتبديل الكتاب الأول، وبترك الإيهان بمحمد عليه في غير موضع (۱).

وأيضًا: فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ فَاحَكُم بَيْنَهُم بِمَا آنزَلَ اللّهُ وَلا تَنَّبِعُ أَهُوآ هُمٌ عَمّا جَآ عَ فَى الْحَكَمِينَ إليه من أهل الكتاب وسائر أهلِ الملل، بكتابه الذي أنزله إليه، وهو القرآن بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهلِ الملل، بكتابه الذي أنزله إليه، وهو القرآن الذي خصّه بشريعته. يقول تعالى ذكره: احكم، يا محمد، بين أهل الكتاب والمشركين، بيا أنزل إليك من كتابي وأحكامي، في كل ما احتكموا فيه إليك، من الحدود والجُرُوح والقوَد والنفوس، فارجم الزاني المحصن، واقتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة ظليًا، وافقاً العين بالعين، واجدع الأنف بالأنف، فإني أنزلت إليك القرآن مصدِّقًا في ذلك ما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليه رقيبًا، يقضي على ما قبله من سائر الكتب قبلَه، ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود الذين يقولون: إن أوتيتم الجلد في الزاني المحصن دون الرجم، وقتلَ الوضيع بالشريف إذا قتله، فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا عن الذي جاءك من عند الله من الحق، وهو كتاب الله الذي أنزله إليك. يقول له: اعمل بكتابي الذي أنزلته إليك إذا احتكموا إليك فاخترتَ الحكم عليهم، ولا تتركنَ العمل بختابي الذي أنزلته إليك في كتابي (").

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/٢٦٢.

<sup>(</sup>٢) تفسير الطبري ٦/ ٢٦٨: ٢٦٩.

### الشبهة الثامنة: يقولون: بأن القرآن شهد لهم أنهم أنصار الله.

حيث يقول كما قال عيسى ابن مريم: ﴿مَنْ أَنصَارِى ٓ إِلَى اللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَعَنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَعَامَنَت طَّآبِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَةِ مِلَ وَكَفَرَت طَآبِفَةٌ فَأَيَّدُنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَى عَدُوقِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَهِرِينَ ﴾ (الصف: ١٤).

#### والجواب عليه من هذه الوجوه:

الوجه الأول: الحواريون مؤمنون مسلمون، لكن ليس في هذا أنهم رسل الله.

فيقال هذا حق، والحواريون مؤمنون مسلمون وهم أنصار الله لكن ليس في هذا أنهم رسل الله، ولا في هذا أن كل ما أنتم عليه من الدين مأخوذ عنهم، ولا في هذا أن الواحد من الحواريين معصوم من الغلط؛ بل أمر الله المؤمنين من أمة محمد أن يكونوا أنصار الله كما طلب المسيح ذلك بقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ ﴾ ...

#### الوجه الثاني: أن هذا الوصف ليس خاصًا بهم.

فقد وصف الله المؤمنين أصحاب النبي من أهل المدينة النبوية بأنهم أنصار الله بقوله تعالى: ﴿وَالسَّنبِقُونَ اللهُ المُهَجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالْذِينَاتَّبَعُوهُم بِإِحْسَنِ رَّضِي اللهُ عَنْهُم وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ (التوبة: ١٠٠)، والمهاجرون أفضل من الأنصار، وهم أيضًا من أنصار الله نصروه كها نصره الأنصار لكن لما كان لهم اسم يخصهم وهو المهاجرون وهو أفضل الاسمين خص الأنصار بهذا الاسم. والمهاجرون والأنصار أفضل ممن آمن بموسى ومن آمن بعيسى عند المسلمين ومع هذا فليس فيهم عندهم نبي ولا رسول لله ولكن فيهم رسل رسول الله الله تسليمًا "أ.

كذلك فإن أول الآية يرد عليهم، فإن الله سبحانه وتعالى أمر عباده أن يكونوا أنصارًا له.

قال ابن كثير: يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله، كما استجاب الحواريون

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/ ٢٦٠.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق.

لعيسى حين قال: ﴿مَنَّ أَنصَارِيٓ إِلَى اللَّهِ ﴾؟ أي: معيني في الدعوة إلى الله عَلى: ﴿ قَالَ الْمُوَارِيُّونَ ﴾.

وهم أتباع عيسى عليه الله المنه الله المنه الله الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين ومُوَازروك على ذلك؛ ولهذا بعثهم دعاةً إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين. وهكذا كان رسول الله الله يقول في أيام الحج: "من رجل يُؤويني حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي، حتى قيَّض الله الله الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وَفُوا له بها عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سهاهم الله ورسوله: الأنصار، وصار ذلك عَلَمَا عليهم الله وأرضاهم (١).

الشبهة التاسعة: الرد على تأويلهم لقول الله تعالى.

﴿ ذَلِكَ ٱلْكِ َتَكِ يَنْ فِيهُ هِدَى لِلْمُنَقِينَ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوَةَ وَمَمَا رَنَقَعُهُمْ يُنفِعُونَ ﴾ وَٱلَّذِينَ يُوْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن هَبَلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِونُ ﴿ أُولَتِهِكَ عَلَى هُدًى مِن رَبِهِم وَأُولَتِهِكَ هُمُ وَالَّذِينَ يُومَنُونَ بِالغيبِ المُمْلِحُونَ ﴾ (البقرة: ٢-٥)، حيث قالوا: فمعنى بالكتاب: الإنجيل، والذين يؤمنون بالغيب نحن النصارى الذين آمنا بالمسيح وما رأيناه، ثم أتبع بالقول "والذين يؤمنون بها أنزل إليك وما أنزل من قبله،

والجواب عليه من هذه الوجوه:

الوجه الأول: هذا التأويل من تحريف الكلم عن مواضعه وتبديل كلام الله علله.

وأما تأويلهم قوله: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ إنه الإنجيل، ﴿ اللِّينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْهَبِ وَيُعِيمُونَ السَّلَاةَ وَمَا رَنَقَعُهُمْ يُغِعُونَ ﴾ عنى بهم النصارى، فهو من تحريف الكلم عن مواضعه وتبديل كلام الله؛ كها فعلوه في قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ ٱلْإِسَلَامِ دِينًا ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وفي قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ ٱلْإِسَلَامِ دِينًا ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وفي قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ ٱلْإِسَلَامِ دِينًا ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وفي قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ ٱللَّهِ مَن القرآن على غير وفي قوله: ﴿ وَمَا وَلُوه مِن القرآن على غير

<sup>(</sup>١) تفسير ابن كثير ١٣/٥٥٠.

المعنى الذي أراد الله به، وهذا مما يؤيد أنهم فعلوا كذلك بالتوراة والإنجيل فإنه إذا كان القرآن الذي قد عرف تفسيره، والمراد به العام والخاص، ونقل ذلك عن الرسول نقلاً متواترًا حتى عرف معناه علما يقينًا اضطراريًا فيبدلون معناه ويحرفون الكلم عن مواضعه، فهاذا يصنعون بالتوراة والإنجيل ولم ينقل لفظ ذلك ومعناه كما نقل القرآن وليس في أهل تلك الكتب من يذب عن لفظها ومعناها كما يذب المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه؟ (١).

#### الوجه الثاني: " ذلك " تستخدم للإشارة إلى الغائب و الحاضر.

وهؤلاء غرهم قوله: ﴿ ذَلِكَ آنَكِتُ فَظنُوا أَن لَفَظ ﴿ ذَلِكَ ﴾ لما كان يشار بها إلى الغائب أشير بها إلى الإنجيل. فيقال لهم: هذا كقوله: ﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَنَتِ وَٱلذِّكُمِ الْعَائِبِ أَشير بها إلى الإنجيل. فيقال لهم: هذا كقوله: ﴿ وَسَعَلُوا الْمَحْكِيمِ ﴿ الله قبل هذه الآية، وقوله: ﴿ وَسَعَلُوا مَا أَنفَقُمُ وَلِيسَتَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكُمُ ٱللَّهِ يَعَكُمُ يَيْنَكُمُ ﴾ (الممتحنة: ١٠)، وقوله: ﴿ فَإِذَا بَلَغُنَ أَجَلَهُنَّ مَا أَنفَقُمُ وَلِيسَتَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكُمُ ٱللَّهِ يَعَكُمُ يَيْنَكُمُ ﴾ (الممتحنة: ١٠)، وقوله: ﴿ فَإِذَا بَلَغُنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُونٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنكُو وَأَقِيمُوا ٱلشَّهَدَةَ لِلّهِ فَأَلْمِيكُمُ مُن كَانَ يُوقِمِنُ بِاللّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ (الطلاق: ٢)، ومثله قوله تعالى بعد ذَلِكُ مِن عَدْلِ خبر يوسف الصديق: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءَ ٱلْغَيْبِنُوجِيهِ إِلَيْكَ ﴾ (يوسف: ١٠٢).

وقال أيضًا لما ذكر خبر مريم: ﴿ ذَالِكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْعَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذَ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ ﴾ (آل عمران: ٤٤)، كما قال لما ذكر آيات يخبر فيها عن نوح: ﴿ يَلْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ (هود: ٤٩)، وقال: ﴿ الرَّ يَلْكَ ءَايَنْتُ ٱلْكِئنَبِ ٱلْمُبِينِ (آ) إِنَّا أَنزَلْنَهُ قُرَّءَ نَا عَرَبَيّالَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ١،٢).

و (تلك) في المؤنث مثل (ذلك) في المذكر، ومع هذا فأشار إلى القرآن ومنه قوله: ﴿ الَّرْ تِلْكَ ءَايَتُ ٱلْقُرْءَانِ مُبِينِ ﴾ (الحجر: ١)، وقوله: ﴿ طَسَنَ تَلْكَ ءَايَتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابِ مُبِينِ ﴾ (النمل: ١)، ومنه قوله: ﴿ طَسَمَ اللَّ تَ تِلْكَ ءَايَتُ ٱلْمُبِينِ ﴾ (القصص: ١، ٢).

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/٢٦٣.

ومثل هذا كثير، وذلك أنه لما أنزل قوله: ﴿ ذَلِكَ اللَّهِ عَنْ لَارَبْتُ فِيهُ هَدَى لِلْفَتِينَ ﴾ (البقرة: ٢)، ونحو ذلك، لم يكن الكتاب المشار إليه قد أنزل تلك الساعة، وإنها كان قد أنزل قبل ذلك فصار كالغائب الذي يشار إليه كها يشار إلى الغائب وهو باعتبار حضوره عند النبي يشار إليه كها يشار إليه كها قال تعالى: ﴿ وَهَنَذَا ذِكْرٌ مُبَارِكُ أَنزَلَنَهُ ﴾ (الأنبياء: ٥٠)(١). الوجه الثالث: الآية نفسها ترد عليهم.

وقد قال تعالى: ﴿ هُدَى لِلْمُنَقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْفَيْتِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوَةَ وَمِمَّا رَنَقَنَهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ وَقُمِنُونَ بَمَا أَنزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزلَ مِن قَبِّكَ وَبَا لَآخِزَةِ هُرْ نُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: ٢-٤).

قال ابن تيمية: وقد وصف النصارى بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وأنهم كافرون ظالمون، فكيف يجعلهم المتقين الذين يؤمنون بالغيب؟.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْهَمَ ﴾ (المائدة: ٧٧). وقد أخبر أن الله ولي المتقين فقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَبِعُهَا وَلَائَشَيعً أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنْكَ مِنَ ٱللّهِ شَيْئًا وَإِنَّ ٱلظَّلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ أَ

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/٢٦٣: ٢٦٤.

وَاللّهُ وَلِيُّ ٱلْمُنَّقِينَ ﴿ الجَاثِية : ١٨ ، ١٩ )، فلو كانوا من المتقين فضلًا عن أن يكونوا هم المتقين؛ لكان الله وليهم ولكانت موالاتهم واجبة على المؤمنين، وهو قد نهى عن موالاتهم وجعل من يتولاهم ظالمًا وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار بعضهم أولياء بعض، وأيضًا فإن الله على قال: ﴿ المَّيْنَ بَوْنِيُونَ بِالْمَنِينَ وَيُعِيمُونَ المَلَوّة ﴾ (البقرة: ٣)، وهي الصلاة التي أمر بها في قوله: ﴿ أَقِرِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اليَّلِ وَقُرْءَانَ الله صلاة بغير طهور "، الفَحْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿ الْإسراء: ٨٧)، وقد قال على: "لا يقبل الله صلاة بغير طهور "، والنصارى يصلون بغير طهور، وقال على: " لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب " وهم لا يقرؤونها، والصلاة التي فرضها وأثنى عليها مشتملة على استقبال الكعبة وعلى ركوع وسجدتين في كل ركعة، وغير ذلك نما لا يفعله النصارى، فكيف يمدحهم بإقامة الصلاة وهم لا يقيمون الصلاة التي أمر بإقامتها؟.

ثم لو قال اليهودي المراد بقوله: ﴿ ذَلِكَ النَّكِتَبُ ﴾ التوراة ﴿ بِالْمُتَقِينَ ﴾ اليهود. لكان هذا -مع بطلانه - أقرب من قول القائل: إن المراد بالكتاب الإنجيل؛ لأن التوراة أحق بذلك من الإنجيل فإنها الأصل والله تعالى يقرن بينها وبين القرآن في غير موضع كقوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةِ مِن رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِن فَبِّلِهِ كِنْكُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (هود: ١٧)، وقوله تعالى: ﴿ قُلُ أَرَمَيْتُم إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِيَ إِسْرَةِ يَلَ مِنْ اللّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِيَ إِسْرَةِ يَلَ عَلَى مِثْلِهِ وَقُوله تعالى: ﴿ قُلُ أَرْمَيْتُكُم إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِيَ إِسْرَةِ يَلَ عَلَى مِثْلِهِ وَقُوله تعالى: ﴿ قُلُ أَرْمَيْتُكُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مُنْ بَنِي إِلَيْ مِنْ اللّهُ وَكُفَرَتُم اللّهُ وَكُفَرَتُم اللّهُ لَا يَهْدِى القَوْمَ الظّالِمِينَ اللّهُ (الأحقاف: فَا مَا قوله تعالى: ﴿ وَالّذِن يُومِونُونَ إِنّا أَنْزِلَ مِن مَلَّكِ اللّهُ لَا يَهْدِى القَوْمَ الطّالِمِينَ اللّهُ (البقرة: ٤).

فهي صفة ثانية للذين يؤمنون بالغيب مجملا ثم وصفهم بإيهان مفصلًا بها أنزل إليك وما أنزل من قبله، والعطف بالواو يكون لتغاير الذوات ويكون لتغاير الصفات كقوله تعالى: ﴿ سَيِّحِ ٱسْمَ رَبِّكِ ٱلْأَعْلَى ﴿ اللَّهِ عَلَقَ فَسَوَى ﴿ وَٱلَّذِى قَدَرَ فَهَدَىٰ ﴿ وَٱلَّذِى آخُرَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ على: ١-٥)، والذي خلق فسوى هو الذي قدر فهدى وهو

ومثله قوله: ﴿ قَدْ أَفَلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغُوِمُعُرِضُورَ ﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ الْحَرُوجِهِمْ حَفِظُونَ ﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ الْفَرُوجِهِمْ حَفِظُونَ ﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ الْفَرُوجِهِمْ مَفِظُونَ ﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ الْفَرُوجِهِمْ مَفِظُونَ ﴾ عَلَىٰ أَزْوَجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنَهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَرُونِ فَي وَالَّذِينَ هُرَ عَلَىٰ صَلَوْتِهِمْ يُحَافِفُونَ ﴾ الْعَادُونَ ﴿ وَاللَّهِ مَنُونَ اللَّهُ مَنُونَ اللَّهِمَ عَلَىٰ صَلَوْتِهِمْ يُحَافِفُونَ ﴾ الله منون ١٠-١١)، فهم صنف واحد وصفهم بهذه الصفات بحرف الواو.

وقد فسر قبل قوله: يؤمنون بالغيب صفة المؤمنين من غير أهل الكتاب كمشركي العرب، والذين يؤمنون بها أنزل إليك وما أنزل من قبلك صفة من آمن به من أهل الكتاب، وعلى هذا القول هؤلاء غير هؤلاء لكن هذا ضعيف؛ فإنه لا بد في المؤمنين من غير أهل الكتاب أن يؤمنوا بها أنزل إليه وما أنزل من قبله، ولا بد في مؤمن أهل الكتاب أن يؤمن الإيهانين واجب على كل واحد، ولا يكون أحد على هدى من ربه مفلحا إلا بهذا وهذا.

وأما قول النصارى: نحن الذين آمنا بالسيد المسيح وما رأيناه، فهكذا اليهود آمنوا بموسى المسلمون آمنوا بمحمد وما رأوه؛ بل المسلمون آمنوا بموسى وعيسى وسائر النبيين وما رأوهم بخلاف اليهود والنصارى الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، ثم الغيب ليس المراد به صورة النبي بي فإن صورة النبي ليست من الغيب فإن الناس يرونها وليس في رؤيتها ما يوجب إيهانًا ولا كفرًا، ولكن الغيب ما غاب عن مشاهدة الخلق وهو ما أخبرت به الأنبياء من الغيب فيدخل فيه الإيهان بالله وملائكته

وكتبه ورسله وهو الإيهان بأنهم رسل الله، وسواء رؤيت أبدانهم أو لم تر فقد يراهم من لم يؤمن برسالتهم وقد يؤمن برسالتهم من لم يرهم.

والمقصود الإيهان برسالتهم لا بنفس صورهم حتى يقول القائل: آمنا بنبي ولم نره وقد يعلم من دلائل نبوته وأعلام رسالته من لم يره أكثر مما يعلمها من رآه (١).

#### الوجه الرابع: شهادة الكتاب المقدس على نفسه بالتحريف.

إليك أيها القارئ الشهادة بتحريف الكتاب المقدس من الكتاب المقدس نفسه:

أولًا: أن كاتب المزمور (٥٦: ٤) ينسب إلى داود الطَّيَّة بأن أعداءه طوال اليوم يحرفون كلامه: مَاذَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْنَعَ بِي الْبَشَرُ؟ يُحَرِّفُ أَعْدَائِي طَوَالَ الْيَوْم كَلاَمِي.

ثانيًا: لقد اعترف كاتب سفر إرميا (٢٣: ١٣، ١٥، ١٦) بأن أنبياء أورشليم وأنبياء السامرة الكذبة حرفوا كلام الله عمدًا: في أَوْسَاطِ أَنْبِيَاءِ السَّامِرَةِ شَهِدْتُ أُمُورًا كَرِيهَةً، إِذْ تَنَبَّأُوا بِاسْمِ الْبَعْلِ، وَأَضَلُّوا شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَفِي أَوْسَاطِ أَنْبِيَاءِ أُورُشَلِيمَ رَأَيْتُ أُمُورًا مَهُولَةً: يَرْتَكِبُونَ الْفِسْقَ، وَيَسْلُكُونَ فِي الأَكَاذِيبِ، يُشَدِّدُونَ أَيْدِي فَاعِلِي الإِثْمِ لِئَلاَّ يَتُوبَ مَهُولَةً: يَرْتَكِبُونَ الْفِسْقَ، وَيَسْلُكُونَ فِي الأَكَاذِيبِ، يُشَدِّدُونَ أَيْدِي فَاعِلِي الإِثْمِ لِئَلاَّ يَتُوبَ أَحَدٌ عَنْ شَرِّهِ. . . لأَنَّهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ أُورُشَلِيمَ شَاعَ الْكُفْرُ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الأَرْضِ.

ثالثًا: لقد اعترف كاتب سفر إرميا بأن اليهود حرفوا كلمة الله؛ لذلك فهو ينسب لإرميا في (٢٣: ٣٦) توبيخ النبي إرميا لليهود: أما وحي الرب فلا تذكروه بعد؛ لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه؛ إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلَهِ الحُيِّ، الرَّبِّ الْقَدِيرِ، إِلْهَا.

رابعًا: وكاتب سفر الملوك الأول (١٩: ٩) ينسب لإليا النبي حين هرب من سيف اليهود فيقول: وَقَالَ الرَّبُّ لإِيليًّا: «مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا يَالِيليَّا؟ » فَأَجَابَ: «غِرْتُ غَيْرةً لِلرَّبِّ اليهود فيقول: وَقَالَ الرَّبُ لإِيليَّا: «مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا يَالِيليَّا؟ » فَأَجَابَ: «غِرْتُ غَيْرةً لِلرَّبِّ اللَّيْفِ، الإِلَهِ الْقَدِيرِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَنكَّرُوا لِعَهْدِكَ وَهَدَمُوا مَذَابِحَكَ وَقَتلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، وَبَقِيتُ وَحْدِي. وَهَا هُمْ يَبْغُونَ قَتْلِي أَيضًا.

<sup>(</sup>١) الجواب الصحيح ١/ ٢٦٤: ٢٦٨.

ويتسائل بعضهم الذين يتجاهلون الشواهد والأدلة الدالة على تحريف كتابهم المقدس قائلين: عندما يعطى الله الإنسان كتابا من عنده، فهل تظن أنه لا يستطيع المحافظة عليه من عبث البشر؟

نقول لهؤلاء الذين يتجاهلون الأدلة والشواهد الدالة على تحريف كتابهم المقدس: نعم، إن الله قادر على أن يحفظ كلمته ولكنه سبحانه وتعالى اختار أن يوكل حفظ كلمته إلى علماء وأحبار اليهود، ولم يتكفل هو بحفظها فقد ترك حفظ كلمته بيدهم فكان حفظ الكتاب أمرًا تكليفيًا، وحيث إنه أمرٌ تكليفيٌ فهو قابلٌ للطاعة والعصيان من قبل المكلفين، فالرب استحفظهم على كتابه ولم يتكفل هو بحفظه، وإليكم الأدلة من كتابكم المقدس على هذا:

جاء في سفر التثنية (٤: ٢) قول الرب: وَالآنَ أَصْغُوا يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الشَّرَائِعِ وَالأَخْكَامِ الَّتِي أُعَلِّمُهَا لَكُمْ لِتَعْمَلُوا بِهَا، فَتَحْيَوْا وَتَدْخُلُوا لِإمْتِلاَكِ الأَرْضِ الَّتِي يُورِّثُهَا لَكُمُ الرَّبُّ إِلَمْكُمْ لاَ تزيدوا عَلَى الكلام الذي أنا أوصيكم به، وَلاَ تُنَقِّصُوا مِنهُ، لتحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها.

وجاء في سفر الأمثال (٣٠: ٥-٦): كل كلمة من الله نقية. ترس هو للمحتمين به. لا تزد على كلماته لئلا يوبخك فتكذّب.

وقد جاء في سفر الرؤيا (٢٢: ١٨) قول الكاتب: وَإِنَّنِي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ النُّبُوءَةِ هَذَا: إِنْ زَادَ أَحَدٌ شيئًا عَلَى مَا كُتِبَ فِيهِ، يَزِيدُ الله عليه الضربات، وَإِنْ حذف أَحَدٌ شيئًا مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ النُّبُوءَةِ هَذَا، يُسْقِطُ الله نَصِيبَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْحُيَاةِ.

إن هذا النص تعبير واضح من الكاتب بأن الله لم يتكفل بحفظ هذا الكتاب؛ لأنه جعل عقوبة من زاد شيئًا كذا ... وعقوبة من حذف شيئًا كذا. . . فهذا دليل واضح بأن الله لم يتكفل بحفظ الكتاب.

وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى عن التوراة التي كانت شريعة موسى الطَّخِير، وشريعة الأنبياء من بعده حتى عيسى الطِّنِينَ: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرَئةَ فِيهَا هُدُى وَنُورُرُ ۚ يَحَكُمُ بِهَا

النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اَسْتُحْفِظُوا مِن كِنْبِ اللَّهِ وَكَانُونُ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اَسْتُحْفِظُوا مِن كِنْبِ اللَّهِ وَكَانُونُ عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِنَايَتِي ثَمَنَا قَلِيلاً وَمَن لَكَانُونَ عَنْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتَهِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ عَنْ (المائدة: ٤٤).

ومعنى ﴿أَسْتُحْفِظُوا ﴾: أي أمروا بحفظه، فهناك حفظ، وهنا استحفاظ.

وإذا كان الأحبار والرهبان ممن جاء بعد لم يحفظوا؛ بل بدلوا وحرفوا، فليس معنى ذلك أن الله لم يقدر على حفظ كتابه \_ حاشا وكلا \_ ولكن المعنى: أن الله لم يتكفل بحفظه؛ بل جعل اليهود أمناء عليه.

ومن المعلوم أن هناك المئات من الرسل والانبياء جاؤوا بعد نوح النس ولم يتكفل الرب بحفظ رسائلهم سواء كانت شفوية أو مكتوبة وإلا فأين هي؟ مثال ذلك: صحف ابراهيم التي ذكرت في القرآن الكريم فلا وجود لها اليوم.

وأخيرًا: فهل هناك أعظم من شهادة الكتاب المقدس على نفسه بالتحريف؟ فقل لي بربك أيكون الثناء والمدح على هذا المحرف؟ (١).

المبحث الثالث: وماذا عن البشارات التي توجد في الكتاب المقدس بنبوة رسول الإسلام محمد الله البشارة الأولى: (أقِيمُ لَهُمْ نَبِيًا مِنْ وَسَطِ إِحْوَتِهِمْ مِثْلَكَ).

بشارة بمحمد والوحى إليه.

في (التثنية ١٨/ ٢١: ٢١): قَالَ لِيَ الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. "أُقِيمُ لَمُّمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلُكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. " وَيَكُونُ أَنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ. " وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ لِكَلاَمِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أُطَالِبُهُ. " وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ. بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ.

ومعنى النص أن موسى لما جمع بني إسرائيل ناحية الطور ليسمعوا صوت الله وهو يتحدث معه في جبل الطور (حوريب)حدث من هيبة الله وجلاله رعد وبرق ونار ودخان،

<sup>(</sup>١) يراجع تفصيلًا بحث: تحريف الكتاب المقدس في هذه الموسوعة.

فخاف بنو إسرائيل، وقالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا فيها بعد فليكن عن طريق نبي ونحن نسمع لهذا النبي ونطيع، فاستحسن الله منهم ووعدهم بنبي له يسمعون ويطيعون.

ولاحظ أن هذا النص هو الذي تشير إليه آية سورة الأعراف ﴿ الَّذِينَ يَنَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ النَّبِيَّ ٱلأَبْرَى اللَّهِ مَكُنُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَئةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكِرِ . . . ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

#### البشارة الثانية: (فأنا أغيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبُا).

وهي بشارة بأمة محمد، ففي (التثنية٣٦/ ٢٢): هُمْ أَغَارُونِي بِهَا لَيْسَ إِلهَا، أَغَاظُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ. فَأَنَا أُغِيرُهُمْ بِهَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ.

والمقصود من الفقرة: أن بني إسرائيل أغضبوا الله تعالى بانحرافهم عن التوحيد وعبادتهم الأوثان، وأن الله سيغيظهم باصطفاء العرب الذين هم عندهم محقرون وجاهلون.

#### البشارة الثالثة: (الاستعلان من جبال فاران).

وهي بشارة بنبوة محمد وبها يُوحى إليه: ففي (التثنية ٣٣/ ٢): جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَمَّمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلاَّلاً مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ. البشارة الرابعة: (البركة بإسماعيل).

وهي بشارة بمحمد. ففي (التكوين١٧/ ٢٠): وَأَمَّا إِسْهَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. إِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً.

وفي الطبعات القديمة (. . . وَأُكَثِّرُهُ جِدًّا جِدًّا . . )، وقد وردت هذه البشارة في عدة مواضع من سفر التكوين مما يقوي الاستدلال بها على نبوة محمد ويبعد الوهم عنها (١).

\* \* \*

<sup>(</sup>١) للمزيد: يُراجع بحث (إثبات نبوة نبينا محمد على المن من هذه الموسوعة.

## الفهرس

١	تقديم
11	مقدمة العمل
٠٠	منهج الردعلي الشبهات
YY	المقدمة
Yo	الفصل الأول
۲۵	المبحث الأول: الصراع بين الحق والباطل
٣٠	المبحث الثاني: المناظرة وآدابها
<b>TV</b>	الفصل الثانيالفصل الثاني
۳۸	المبحث الأول: حالة العالم قبل الإسلام
٥٦	المبحث الثاني: الإسلام وبيان معناه
νν	المبحث الثالث: مراتب الدين
١٠٢	المبحث الرابع: بيان بعض مزايا الشريعة الإسلامية
11•	المبحث الخامس: الإسلام بين الوسطية والغلو
109	المبحث السادس: الحقوق الإسلامية
الإسلامي	المطلب الأول: مقدمة عامة عن الحقوق ومزايا هذا الدين
	المطلب الثاني: ذكر بعض هذه الحقوق بشيء من التفصيل
٣٠٨	المبحث السادس: قالوا عن الإسلام
۳۱۱	الفصل الثالث: رسول البشرية محمد ﷺ
<b>*</b> 1*	تمهيد: أهمية معرفة شهائله ﷺ
٣1٣	511
۳۱۸	
<b>***</b>	**************************************
٣٣A	المبحث الرابع: صحابة النبي ﷺ
	المبحث الخامس: قالوا عن النبي ﷺ
	٠٠- بطلان ألوهية المسيح
1 - 4	، بعدر ق رسيد رسيدي

<b>404</b>	لوجه الأول: مقدمة وتشمل على الآتي
404	لفصل الأول: بيان عام للتوحيد عند المسلمين، وأهميته
۳٦٨	لفصل الثاني: شرح معنى ألوهية المسيح، ومدى اتفاق النصاري على هذه العقيدة
۳۸۱.	لوجه الثاني: الأدلة من القرآن على بطلان ألوهية المسيح سواء أكان هو الله، أو كان أحد الأقانيم الثلاثة
٤١٢.	لوجه الثالث: الأدلة من السنة على بطلان ألوهية المسيح
٤٣٤ .	لوجه الرابع: الأدلة من العهد القديم والأناجيل الأربعة على بطلان ألوهية المسيح
٤٧٣ .	لوجه الخامس: الأدلة على بطلان ألوهية المسيح الله من رسائل بولس
٤٨٢ .	لوجه السادس: بطلان أدلة النصاري على ألوهية المسيح السلام السلام السلام المسلم
00£.	لوجه السابع: استدلال النصاري بآيات من القرآن على ألوهية المسيح
٥٨١	٢ - شبهة: ثناء القرآن والسنة على التوراة والإنجيل
٥٨٢	لمبحث الأول: الرد الإجمالي على هذه الشبهة
٥٨٢ .	الوجه الأول: الإيمان بجميع الرسل والكتب المنزلة عليهم هي عقيدة المسلمين
۰۸۰ .	الوجه الثاني: الثناء والمدح كان للكتاب الذي نزل على موسى و عيسى
094.	الوجه الثالث: مدح التوراة والإنجيل لا يعني مدح اليهود والنصاري
०९६ .	الوجه الرابع: القرآن ناسخ للكتب السابقة
٥٩٧ .	الوجه الخامس: هذا الثناء لا ينافي وجوب اتباع محمد ﷺ
٥٩٧ .	الوجه السادس: القرآن بيَّن أنهم خالفوا أحكام التوراة
٠٠٠.	الوجه السابع: ذم أهل الكتاب لا يقدح في أنبيائهم
بهم من	المبحث الثاني الرد التفصيلي على بعض الشبهات التي أثارها أهل الكتاب في إثبات صدق كتا.
٠٠٠	خلال ثناء القرآن على التوراة والإنجيل
ما اليوم	الشبهة الأولى: قالوا: إننا نجد في (القرآن الكريم) آيات تشهد بصدق التوراة والإنجيل - كما هم
· · ·	– وتؤكد أن الكتابين لم يصابا بتحريف، ولا تزييف
۲۰۱.	الوجه الأول: بيان سبب نزول الآيات
	الوجه الثاني: هذا التحكيم فيما يتفق مع القرآن لا فيما يناقضه أو يخالفه
	الوجه الثالث: الآية فيها رد عليهم حيث جاء في آخرها (يُحُرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)
۱۰۲	الوجه الرابع: الآية فيها تعجب من صنعهم حيث عدلو اعن الحق إلى الباطل؛ فظهر جهلهم وعنادهم.

٠٠٧	الشبهة الثانية: قالوا: بأن القرآن أثني على أهل الكتاب
٠٠٧	الوجه الأول: ما هو وجه(نوعية) هذا المدح أو الثناء؟
٠٠٩	الوجه الثاني: تتمة الآية حجة عليهم
	الوجه الثالث: العلة من هذا المدح في الآية
	الوجه الرابع: مدح النصاري بأنهم أقرب مودة لا يمنع أن يكونوا كفرة
جَاعِلُ الَّذِينَ	الشبهة الثالثة: قالوا: إن القرآن رفع قدرنا وأعلى منزلتنا، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ وَـ
· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة﴾ (آل عمران: ٥٠)
· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	الوجه الأول: من هم الذين اتبعوه؟
۲۱۲	الوجه الثاني: بيان المعنى الصحيح للآية
٠١٣	الشبهة الرابعة: يقولون: بأن النبي ﷺ أثنى على كتابنا، وفي هذا دليل على أنها لم تحرف
نج بها ٦١٣	الوجه الأول: قوله (آمنت بك وبمن أنزلك) زيادة شاذة في الحديث الصحيح لا يحة
710	الوجه الثاني: المقصود التوراة الأصلية التي نزلت على موسى العَيْنِي
٠١٥	الشبهة الخامسة: يقولون: بأن القرآن يعظمنا بتقديم البيع والكنائس، على المساجد
العهد الأول قبل	الوجه الأول: ذكر الله يكون في المسجد، وإذا ذكر في الصوامع والبيع فهي على ا
· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	التبديل والتحريف
٠١٧	الوجه الثاني: التقديم في اللفظ فإنه يكون للانتقال من الأدني إلى الأعلى
719	الوجه الثالث: أن هذا عام في كل زمن
٦٢٠	الوجه الرابع: الضمير يعود على أقرب مذكور
٦٢١	الوجه الخامس: بيان الحكمة في هذا الترتيب، وتأخير المساجد على من ذكر
٦٢١ 4	الوجه السادس: ليس في ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدل دين المسيح، وإنها فيه مدح لمن اتبع
ۘۅؘٲؽۜۮ <i>۫</i> ڬۿؙؠؚۯۅڃ	الشبهة السادسة: يقولون: بأننا وجدنا في القرآن من تعظيم المسيح وأمه.قوله تعالى: ﴿
	ٱلْقُدُسِ ﴾ حتُّ، وهذا ليس خاصا فقط بعيسى الطَّيْلا
معنا، ونفي عن	الشبة السابعة: يقولون: إن القرآن لما جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب، فثبت بهذا ما
	كتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل والتغيير لها فيها بتصديقه إياها
	الوجه الأول: تصديق النبي ﷺ للأنبياء من قبله، وبها أنزله الله عليهم من كتب حقٌّ.
	الوجه الثاني: الآيات نفسها حجة عليهم

۲۳۰	الشبهة الثامنة: يقولون: بأن القرآن شهد لهم أنهم أنصار الله
۲۳۰	الوجه الأول: الحواريون مؤمنون مسلمون، لكن ليس في هذا أنهم رسل الله
۲۳۰.	الوجه الثاني: أن هذا الوصف ليس خاصًا بهم
٦٣١	الشبهة التاسعة: الرد على تأويلهم ( دَالِكَ الْكِتَابُ لَارَبُ فِيهُ مُنكَ الْشَلِينَ ۞ ﴿
۲۳۱ .	الوجه الأول: هذا التأويل من تحريف الكلم عن مواضعه وتبديل كلام الله على الله على الله الله الله الله
۲۳۲ .	الوجه الثاني: " ذلك " تستخدم للإشارة إلى الغائب و الحاضر
۲ <b>۳۳</b> .	الوجه الثالث: الآية نفسها ترد عليهم
۲۳۲ .	الوجه الرابع: شهادة الكتاب المقدس على نفسه بالتحريف
<b>ጓ</b> ሦለ	المبحث الثالث: وماذا عن البشارات التي توجد في الكتاب المقلس بنبوة رسول الإسلام محمد الله على المبحث المبارات التي توجد في الكتاب المقلس بنبوة رسول الإسلام محمد الله المبارات التي توجد في الكتاب المقلس بنبوة رسول الإسلام محمد الله المبارات التي توجد في الكتاب المقلس بنبوة رسول الإسلام محمد الله المبارات التي توجد في الكتاب المقلس بنبوة رسول الإسلام محمد الله المبارات التي توجد في الكتاب المقلس بنبوة رسول الإسلام محمد الله المبارات التي توجد في الكتاب المقلس بنبوة رسول الإسلام محمد الله المبارات التي توجد في الكتاب المقلس بنبوة رسول الإسلام محمد الله الله المبارات التي توجد في الكتاب المقلس بنبوة رسول الإسلام محمد الله الله الله الله الله الله الله الل

# الفهرس الإجمالي للموسوعة

عنوان المجلد	رقم المجلد
المقدمة وبطلان ألوهية المسيح	اطجلد الأول
الصلب والفداء والتحريف	المجلد الثاني
شبهات عن العقيدة	المجلد الثالث
شبهات عن علوم القرآن	المجلد الرابع
شبهات عن القرآن الكريم وعلومه	المجلد الخامس
شبهات عن القرآن الكريم	विस्ध विषाटक
شبهات عن السنة النبوية والأنبياء	शिपाग ।
شبهات عن النبي ﷺ	المجلد الثامن
شبهات عن زوجات النبي ﷺ والصحابة	المجلد الناسع
شبهات عن الفقه والمرأة	اطجلد العاشر
شبهات عن المرأة	المجلد الحادي عشر
شبهات عن اللغة والإعجاز العلمي	المجلد الثاني عشر